

العَقْدُ الْقَرِيدُ

تأليف

الْفَقِيهَ إِحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّدَوِيِّ

بتحقيق

محمد سعيد الغريبان

المجلد الاول



9189106

Bibliotheca Alexandrina

العقود الفريدة

تأليف

الشيخ الفقيه أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله

المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العرابي

الجزء الأول

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تعريف بالكتاب ومؤلفه

بقلم

محمد سعيد العريان

يُعَدُّ كتاب «العقد» لابن عبد ربه من أقدم ما وصل إلينا من كتب الأخبار والنوادر؛ لم يسبقه إلى هذا الباب فيما نعرف إلا ثلاثة نقر: الجاحظ صاحب البيان والتبيين: سنة ٢٥٥ هـ؛ وابن قتيبة صاحب عيون الأخبار: سنة ٢٧٦ هـ؛ والمبرد صاحب الكامل: سنة ٢٨٥ هـ.

على أن ابن عبد ربه وإن كان مسبوقاً إلى التأليف في هذا الباب، قد اجتمع له في هذا الكتاب ما لم يجتمع مثله في كتاب قبله ولا بعده من كتب هذا الفن؛ فكان بذلك حقيقاً بالمنزلة العلية التي أحلها إياها أدباء العربية؛ إذ كان مصدراً من أهم مصادر التاريخ الأدبي التي يُعَوَّل عليها ويُستند إليها، بحيث لا يُغْنِي عَنْهُ كتاب في المكتبة العربية - على غناها وما احتشد فيها من تراث أدباء العرب.

وحقيقةً والحق أن هذا الكتاب هو موسوعة أدبية عامة، ويوشك من ينظر فيه أن يجرم بأنه لم يغادر شيئاً مما يهتم به الباحث في «علم العرب» إلا حَرَّضَ له، وأغنى به «علم العرب» مجموعة المعارف العامة في الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع التي تتكوّن منها عناصر الثقافة العربية العامة لمعهد مؤلف هذا الكتاب؛ ونحو الفروع التي انشعبت من علم

العرب قريباً من ذلك التاريخ واختصت بالبحث في «علوم الدين» ثم تميّزت باستقلالها - لا يتقدم الباحث أن يجد فروعاً من مسائلها قد عرض لها صاحبُ العقد في أبواب متفرقة من كتابه؛ لعله لا يجد لكثير منها نظائر في كثير من الكتب الخالصة للبحث في هذه العلوم . وثمة فضل آخر يميز صاحب العقد على سابقيه عن عرضوا لهذا الباب ، هو أن ابن عبد ربه أندلسيٌّ من أهل الجزيرة يتحدث عن أدب المشاركة فلا تقتصر به مغربته عن اللحاق والسبق ؛ ولعل هذا كان بعض دواعي ابن عبد ربه إلى تأليف كتابه ؛ إذ كان في طبعه من المنافسة وحب الثَّلب ما يحفزه إلى هذا المضمار ، كما سنذكره بعد .

وليس لي من حاجة إلى الحديث عن نهج صاحب العقد في تأليف كتابه ؛ فقد تكفل هو بتبيان ذلك في مقدمة الكتاب ، ولكن الذي يعني أن أذكره هنا ، هو أن ذلك النهج الذي سلكه مسبقاً إليه وسلكه كذلك من بعده : كان يستند إلى قاعدة مقررّة في «علم الأدب» كما عرفه القدماء ؛ انظر إلى ابن خلدون يقول في مقدمة تاريخه : «هذا العلم - يعني علم الأدب - لا موضوع له يُنظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته ، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناجمهم ؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة ، من شعرٍ على الطبقة ، ويجمع متساوٍ في الإجابة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة ، يستقرى منها النظرة في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض من أيام العرب ، ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهمل من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة ؛ والمقصود بذلك كله أن لا يفتنى على الناظر فيوشيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب جميعاً أخبارها ، والأخذ من كل علم يطرق» .

هذا الحدّ الذي ذكره ابن خلدون في تعريف علم الأدب - تخصصه - ، وعبد ربه وافٍ لكل المشتغلين بالأدب قبل عهد ابن خلدون ، فله المختار بعد كلام في عبد ربه وبعده : يجمعون من أشعار العرب وأخبارهم بحسنه وتحسنه .

ليكون من ذلك سبيل إلى تحصيل المسكّة ، وإلى الإجابة في فنى المنظوم والمشور على أساليب العرب ومناحيهم ؛ وإذ كان ابن عبد ربه لم يقصد من كتابه إلى أكثر من هذا المعنى ، فقد كان ذلك نتهجه في تصنيف كتابه والحشد له والفتن فيما ينقل ويختار من أشعار العرب وأخبارها ، ومن أطراف كل علم وطرأفه .

ولقد وفق ابن عبد ربه فيما جمع لكتابه من فنون الأخبار ، ورعته العناية رعاية هيأت لكتابه الخلود والذكر ؛ فان كثير مما اجتمع له في هذا الكتاب قد عصفت الأيام بمصادره الأولى فدرست آثارها وضاعت فيما ضاع من تراث المكتبة العربية وآثار الكتاب العرب ، وبقي العقد خلقاً منها لاغناء عنه ولا بديل منه ، يرجع إليه الأديب والمؤرخ واللغوى والنحوى والعروضى وصاحب الأخبار والقصص ، فيجد كل طلبته وفرضه ، ولا يستغنى عنه غير هؤلاء من طلاب النوارد والطرف في باب الطعام والشراب والقناء والنساء والحرب والسياسة والاجتماع ومجالس الأمراء ومحاورات الرؤساء ، وغير ذلك مما لا يستوعبه الحصر ولا يبلغه الإحصاء .

على أن ابن عبد ربه لم ينظر فيما جمع لكتابه من الفنون نظراً لمختص ، بحيث يختار ما يختار لكل فرع من فروع المعرفة بعد نقد وتمحيص واختبار فلا يقع منه في باب من أبواب الفن إلا ما يجتمع عليه صواب الرأى عند أهله ، لا ؛ ولكنه نظر إلى جملة ما جمع نظراً الأديب الذى يروى التادوة لخلوة موقعها لاصحة الرأى فيها ، ويختار الخبر لقام معناه لا لصواب موقعه عند أهل الرأى والنظر والاختصاص ؛ انظر إليه فيما روى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً ، تجد الصحيح والمردود والضعيف والمتواتر والموضوع ~~جميعاً~~ ما نقل من حوادث تاريخ وأخبار الأمم والملوك ، تجد منه ما تعرف وما تنكر ، لم يغادر شيئاً مما تكلم به إلا ما يتناقض آخره وأوله ؛ ولم يكن ابن عبد ربه من الغفلة بحيد ، مجموعة المعارف العامة في الإجماع أخبار ومؤلف نوادر ، جمع ما جمع وألف ما ألفه من الثقافة العربية العامة لمهد مؤلف أخذ وما يدع ؛ ذلك كان شأنه وشأن المؤلفين في هذا

أرسفا : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » ... ثم دار الزمان وجدت الحوادث في آثار العرب فأخذتهم بالسنين ونقص من الأموال والأنفس والثروات ، وتبعثرت المكتبة العربية فحلت بعد امتلاء ؛ ولكن علم المشاركة ظل محفوظاً بين دفتي كتاب ابن عبد ربّه المغربي الأندلسي القرطبي ... ١

هذا ، وقد كان كتاب العقد من بعد ، مرجعاً له خطره ومقداره عند كثير من علماء المشاركة ؛ فقل عنه القلقشندى في صبح الأعشى ، والنويرى في نهاية الأرب ، والأشبهى في المستطرف ، والبغدادى في خزنة الأدب ، وابن خلدون في المقدمة ، وغير هؤلاء كثير حتى قل أن يخلو كتاب من كتب النوادر بعد إلا كان العقد مرجعاً وخزانة علمه ، ولو أنني ذهبت أستقصى أسامى الكتب التي سطا أصحابها على العقد فاحتلوا من خزائنه ما أفنأهم وذهب بصيتهم وشهرتهم كل مذهب - لأعيان البحث وانقطع بي دون الاستقصاء.

ولكن هذا الكتاب على ما قدمت من وصفه ومن خبره واحتفال العلماء به ، لم يسلم من عبث الأيام ، وعدا عليه ما عدا على كثير من تراثنا العربي في الشرق والغرب ؛ فلم يصل إلينا إلا بعد ما تناوله أيدي العابثين بالمسخ والتشويه والحذف والزيادة ، حتى أوشك - بما دخل عليه - أن يفقد قيمته العالية عند أهل البحث والنظر .

وكانت أولى طبعاته في مصر سنة ١٢٩٣ هـ ، ومن هذه الطبعة كل الطبعات التالية ؛ فهي صورة منها بما فيها من الغلط والتعريف والحشو والنقص ؛ ولم يحاول أحد منذ ذلك التاريخ أن ينظر في هذه الموسوعة العربية نظراً للعالم المحقق فيخرجها لقراء العربية في صورة أدنى إلى الكمال ؛ بل ، قد حاول هذه المحاولة غير واحد من أهل التحقيق ثم ارتدوا جميعاً على أعقابهم ، ومن هؤلاء من يُعدُّ رأساً في الآداب العربية ، منهم الأستاذة الأعلام أصحاب « مختار العقد » : المرحوم محمد الحضري بك ، وعبد الحائق عمر بك ، وعبد العزيز خليل بك ، وعبد الحكيم محمد . انظر إليهم يقولون في مقدمة المختار بعد كلام في وصف العقد ... غير أن أربابنا فيه ثلاثة عيوب كادت تذهب بحسنه وتمحو الإلهام المستفاد

الناس به : أما الأول فتحريف يكاد المعنى يضع بسية في كثير من مواضعه ، حتى سمعنا من أديب كبير أن إصلاح المقد الفريد بما ليس في مكتبة إنسان ؛ ويبيِّن لك هذا أن تنظر إلى مثل هذه الجملة : «والفرح في أهلك» ثم تعلم أنها حُرِّفَت عن : «والقدح في الملك» ، وحينئذ يظهر لك صعوبة هذا الإصلاح حقيقة ... الخ .

قلت : ولو أن الأمر اقتصر على مثل عبارة «الفرح في أهلك» ، والقدح في الملك» لكان الأمر أهون مما قدروا ...

وسمعتُ من لاأنهم أن المرحوم الأستاذ المرصني ، شيخ أدباء الجيل ، ثم مرة أن يقرأ المقد لتلاميذه ثم نكص ، إشفافاً من مشقة تصحيحه ؛ فإذا كان هذا الخبر صحيحاً ، ولا أحسبه بعيداً من الصحة ، فإن فيه الدلالة على مقدار ما عبثت الأيام بأصول هذا الكتاب ، وما يعترض سبيل تصحيحه من أهوال ...

قلت : إن في النسخة التي بين أيدينا اليوم من العقد ما فيها من المسخ والتحريف والنقص والزيادة ؛ أما المسخ والتحريف لحسبي الإشارة إلى نوعهما فيما ذكرت قبل من قول أصحاب «مختار العقد» ؛ وأما النقص فإن مواضعه ظاهرة في هذه الطبعة بما زيد فيها من العبارات والحروف بين العلامتين [] ؛ وأما الزيادة لحسب القارئ منها مثل واحد أنه إليه : فقد كانت وفاة ابن عبدربه مؤلف المقد على التحقيق سنة ٣٧٨ هـ ؛ فبين أن له أن يترجم في أخبار الخلفاء وتواريخهم للرازي والمتي ، والمستكني ، والمطيع ، وكلهم بعد وفاة ابن عبدربه ؟

ذلك هو المقد الفريد كما كان ، وما هو ذا اليوم بين يدي قاربه ؛ لا أزعج أني بلغت به كل ما أردت ، ولكني بذلت له كل ما أطق ؛ وحسبي أن أجد بين يدي قراء العربية اليوم نسخة من هذه الموسوعة الجامعة أقرب إلى السكال والصحة ، لأشعر بالرَّضا إلى ما بذلت ، وما أنفقت من عافية ؛ ولا أحاول أن أصف على أكثر مما يصف .

الفن من قبله ومن بعده ، على حدود متعارفة بينهم ورسم موضوعه . على أن ذلك لا ينعني أن ما يجمع من مثل تلك الأحاديث وهذه الأخبار ليس له مفزاه عند أهل الاختصاص والفن ، ولكنها أشياء للاستدلال لا للدليل ، كما يقول أصحاب المنطق .

ذلك هو موجز الرأى فى التعريف بهذا الكتاب وقيمته فيما عرّض له من أبواب العلم والأدب ؛ وبقي علينا أن نعرف المصادر التى استند إليها ابن عبد ربه من الكتب والرواة . يقول ابن عبد ربه فى مقدمته : « وقد ألقت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإن مالى فيه هو تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش لدرر كل كتاب ؛ وما سواه فأخوذ من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والأدباء ... »

وهذا الذى يقوله المؤلف فى وصف كتابه ، يدعونا إلى السؤال : من أين اختار ابن عبد ربه مختاراته ؟ وما هى مصادر الأولى ؟ ... انظر إليه تجده يروى عن الشيبانى ، والمدائنى ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، والعتبى ، والشعبي ، والسجستاني ، والجاحظ ، وابن قتبية ، والمبرد ، والريثى ، والزبائى ، وابن سلام ، وابن الكلبي ، وغيرهم من علماء المشارقة ؛ وعن الخشنى ، وابن وضاح ، وبق بن مخلد ، من علماء الأندلس ؛ فأى هؤلاء لى ابن عبد ربه فأخذ عنهم شقة إلى شقة ، وأبهم نقل إليه من أخباره راوية عن راوية ... لم يعرض أحد من ترحموا لابن عبد ربه - للحديث عن رحلته له إلى المشرق - إلا فروضاً نظرية استنبطها بعض المتأخرين لدلائل يستند إليها فى كتاب « العقد » ولا تراها تصلح للاستدلال ؛ فلم يبق إلا أن صاحب العقد قد روى من أخبار المشارقة ما نقل إليه حيث هو فى مقامه من قرطبة ؛ ولم يعبر البحر ولم يركب الصحراء ؛ وقد كان من شيوخ ابن عبد ربه فى الأندلس كما سذكروه بعد : الخشنى ، وبق بن مخلد ، وابن وضاح ؛ ولأولئك منهم رحلة إلى المشرق ورواية .

على أن كثيراً من كتب المشارقة وعلومهم كانت ذاتة لطلال العهد لابن عبد ربه .

وكان لها عند العلماء منزلة ومكان ؛ فليس ثمة ما يمنع أن يكون ابن عبد ربه قد استعان كثيراً أو قليلاً بما كانت تضمُّ المكتبةُ العربية في قرطبة من آثار المشاركة .

وقد قدّمنا القول في صدر هذا البحث أنه لم يسبق ابن عبد ربه إلى التأليف في باب الأخبار والنوادر على هذا النحو إلا ثلاثة نفر : الجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد .

أما الجاحظ والمبرد فقد كان لهما نهج في التأليف يخالف نهج العقد ، على اتفاقهما في الموضوع والغرض ؛ فكان اتفاقهما بما اطلع عليه من مؤلفاتهما في المادة لافي الطريقة وأما ابن قتيبة ؛ فإن بينه وبين ابن عبد ربه مشابهة من وجوه ، تحلّت بعض الباحثين على الزعم بأن صاحب العقد كان في نهجه وفي تبويبه لاحقاً مقلداً ، بل قد غلّا بعضهم في الاستنتاج فزعم أن ابن عبد ربه قد سطا على كثير من كتب ابن قتيبة فنقلها نقلاً إلى عقده بحالها من غير تغيير كبير ؛ وإنه مما يقوّي هذا الزعم ، تلك الشهرة العظيمة التي كان يحظى بها ابن قتيبة عند أهل الأندلس ، حتى كانوا يهتمون من حلتْ مكتبته من مؤلفاته ، ولكن العقد الفريد على الرغم من ذلك غيرُ عيون الأخبار ، وابن عبد ربه غير ابن قتيبة ، ولكل من الرجلين شخصيته المتميّزة بوضوح من خلال مختاراته ، ولكل منهما مزاجه وروحه ومذهبه وجوه الذي يعيش فيه ؛ فوالله كان هذا الزعم صحيحاً أو مبالغاً في الاستنتاج ، فلن يضير ذلك صاحب العقد شيئاً ، ولن ينقص شيئاً من قدر كتابه ؛ إذ كانت المادة التي اجتمع منها الكتابان ليست ملكاً لأحد الرجلين ، ولا هي أثرٌ من إنشائه الأدبي الخالص ولكنها تراث مشترك يورّثه أبناء العربية مما خلف آباؤهم .

... وليس معنى أنه لم يسبق ابن عبد ربه في باب ما هؤلاء نفر الثلاثة ، أنه لم يأخذ عن غيرهم ؛ ولكن الذي نغنيه أن اتفاقهما بكتب هؤلاء نفر كانت أظهر دلالة على نفسها ، وإلا فقد كانت مكتبة قرطبة لهذا العهد حافظة بطائفة من الكتب لم يجتمع مثلها في زمان مكان ، فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد استعان منها بالكثير ، إلى جانب ما أخذ من أفواه العلماء المغاربة الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق أذاعوا بها علم العربية بين الشرق والغرب

ويقول الأستاذ أحمد أمين عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة ، في بحث نشره للتعريف بصاحب العقد (مجلة الثقافة - العدد ٩٤ - ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠) : إن آمالي أبي علي القالي كانت هي النواة الأولى التي بذرها أبو علي في بلاد الأندلس من علوم المشرق وعليها تخرج مشهورو الأدباء في الأندلس ، ومنهم ابن عبد ربه ...

وظاهر كلام الأستاذ العميد صريح في أن ابن عبد ربه كان لاحقاً لأبي علي القالي ، وأنه من تلاميذه ، وأن كتاب «الأمالي» أسبق من «العقد الفريد» ، وأنه أول ما نقل إلى المغاربة من علم المشرق ...

وأرى هذا كله خطأ لا يستند إلى دليل من التاريخ ، فقد كان مقدّم أبي علي القالي إلى الأندلس بعد وفاة ابن عبد ربه بسنتين وأشهر (توفي ابن عبد ربه بقرطبة سنة ٣٢٨ ، وكان مقدّم أبي علي القالي في إمارة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٠) ، وكان تأليف كتابه الأمالي بعد مقدمه بسنين ؛ إذ كان هذا الكتاب هو مجموع محاضراته في جامع قرطبة .

فاذا أضفنا إلى ذلك أن ابن عبد ربه قد فرغ من تأليف كتابه «العقد» في سنة ٣٢٢ على ما برّجحه ، وقدّرنا المدة التي أملى فيها أبو علي محاضراته في جامع الزهراء قبل أن يجمعها في كتاب بيضع سنين ، كان لنا من ذلك برهان لا يُدفع بأن العقد الفريد كان أسبق من الأمالي بيضع عشرة سنة ؛ فلا وجه هناك للقول بأن ابن عبد ربه كان من تلاميذ أبي علي ، وبأن كتابه على منهاجه .

وأما قوله إن كتاب الأمالي كان النواة الأولى من علم المشاركة في الأندلس ، فينقضه ما كان معروفاً قبل ذلك في الأندلس من كتب القوم ، حتى روى ابن كثير في تاريخه : أن أهل المغرب كلوا يهتمون من لم يكن في بيته من مؤلفات ابن قتيبة شئ . (توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦ ، وكان مولد أبي علي سنة ٢٨٨) ، وكان للمغاربة من العناية بتحصيل علم المشرق والتبكير إليه مادما المستنصر إلى أن يرسل وراءه النسخة الأولى من كتاب الأغاني لأبي الفرج فيشتريها بألف دينار ...

أضف إلى ذلك أن رحلة المغاربة إلى الشرق كانت متصلة لطلب العلم

القرن الثالث ؛ فلا يمكن مع هذا أن يكون علم أبي عليّ جديداً على أهل الأندلس في أواسط القرن الرابع ، وأن يكون نواةً وقدوةً ومنشئ مدرسة يخرج عليها مثل ابن عبد ربه مؤلف العقد

ويتحدث ابن عبد ربه في مقدمته عن « تأليف الاختيار وحسن الاختصار » فأتى معنى لما يُذكر من حسن الاختصار ، في هذا المقام ؟ أترأه يعني حسن الاختصار في المجموع ، أو في كل خبر على حدة ؟ أمضى : هل كان ابن عبد ربه يروى الخبر بحروفه كما سمعه أو قرأه من غير اختصار فيه وإنما كان يختصر في جملة ما يروى من الأخبار بحيث لا يُثبت منها إلا ما تدعو الحاجة إليه ؟ أو كان يختصر الخبر نفسه فيحذف من حروفه ما يحذف وينقص ما ينقص ذهاباً إلى الاقتصاد في التعبير عن المعنى الذي ينقله ؟ ...

أقول : هذا كتاب العقد بين أيدينا ، وقد نظرتُ فيه طويلاً ، وعاودت النظر مرات فبدأ لي من طول المراجعة أمرٌ لا بد من التنبيه إليه : ذلك أن بعض دواعي ابن عبد ربه في تبويب كتابه ، كانت تقتضيه أن يثبت الخبر مرات في أبواب متفرقة ، لصلاحته للدلالة في أكثر من موضوع واحد ؛ فإذا أنت حققتَ النظر في هذه الأخبار المكررة قلَّ أن تجد منها خبراً مروباً في موضعين بحروفه على وجه واحد ، قسمة الحذف والزيادة والإبدال وليس هناك من سبب - فيما نرى - لهذا الاختلاف في رواية خبر واحد في كتاب واحد لمؤلف واحد ، إلا أن يكون المؤلف يملك من حرية التصرف في رواية هذه الأخبار ما يسمح له أن يرويهما بلفظه ، ويؤدبها على الوجه البياني الذي يراه ؛ فهو يرويهما بالحذف والاختصار حيناً ، وبالبسط والزيادة حيناً آخر ؛ ... فهل كان ذلك بعض ما يعنيه ابن عبد ربه بـ « حسن الاختصار » ؟ ...

... ولقد يكون هذا الخلاف في رواية خبر واحد نتيجة لازمةً لاختلاف الرواة العظمى عنهم ، أو نتيجة لازمة لاختلاف الكتب التي ينظر فيها ويقتبس منها ؛ ولكن لا بد من أن تكون رواية الخبر في الموضعين واحداً ، والكتاب المنقول عنه

واحداً كذلك ؟ ...

أظن أنه يحق لي بازاء مثل ذلك أن أزعج ابن عبد ربه لم يكن ينظر إلى شروط الرواية تلك النظرة المتحرّجة التي تفرض على مثله في هذا المقام أن يلزم جانب الحرص في المحافظة على نص ما يرويه بحرفه ، وأنه كان يحيز نفسه أن يتصرف في رواية بعض الأخبار تصرفاً يؤدي بها معناها دون حروفها ؛ وأحسب ذلك يصلح تعليلاً لافتراد ابن عبد ربه في بعض ماورد في كتابه من نصوص تخالف ما أجمع عليه رواة في مختلف كتب الأخبار وال نوادر ؛ وأحسبه كذلك سبباً فيما التزمه صاحب العقد ونبه إليه في مقدمته وهو حذف الأسانيد فيما روى من أخباره .

فاذا صح ذلك ، كان العقد إلى جانب ماقدّمنا من التعريف بمزاياه ، مرجعاً لغوياً يمكن الاستناد إليه في شيء من التطورات اللغوية لبعض معاني العربية بين الشرق والغرب .
صحيح أن بعض هذا الاختلاف في رواية بعض الأخبار قد يكون مرجعه رواية الكتاب نفسه وكتيبته ونُسأخه ، ولكن ذلك إذا صحّ في قليلها لا يصح في سائرهما ؛ وقد نبهنا في هامش هذه الطبعة إلى كثير من أنواع هذا الاختلاف ، فلا يرجع إليها من شاء للنظر والاستدلال .

بقى أن نسأل : لماذا قصّر ابن عبد ربه كتابه على (أخبار المشازقة) وهو من هو علما وتحصيلا ومعرفة بأداب قومه ، وقرطبة هي ما هي في ذلك العصر الزاهر في الأدب والعلم والفن والسياسة ؟ ...

تعليل ذلك سهل ميسور لمن يعرف تاريخ ذلك العصر في قرطبة وبنداد حاضرق البلاد العربية في الغرب والشرق .

لقد كان فرار عبد الرحمن الداخل ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق ، محاولة جريئة لإقامة حكومة المنفرب بازاء الحكومة العباسية في بغداد ؛ ولقد حالف التوفيق عبد الرحمن

كثير مما أراد ، وأقام عرشاً لبني أمية في الأندلس يتوارثه بنوه سيداً عن سيد ، كلهم يحرص على التهوؤ بدولته إلى المنزلة التي يجعلها تناظر بغداد ؛ فمن ذلك كانت المنافسة بين الدولتين في الشرق والغرب دائمة لا تفتي ، وكانت الوفود لا تنقأ ساعية بين الحاضرتين ، فلا يظهر جديد في بغداد حتى يكون قبوه في قرطبة ، ولا ينجم نجم في قرطبة حتى يذيع خبره في بغداد ؛ واتخذت المنافسة بين الدولتين مظهراً علياً يبدو أثره فيما كان من اهتمام المغاربة بالرحلة إلى الشرق للترؤد من معارفه ، وفيما كان من تطلع المشاركة إلى الأندلس ليعرفوا كل جديد من خبره وما أحدث علماءه وأدباؤه في مختلف فروع المعرفة .

على أن المغاربة مع ما كان فيهم من اعتداد بأنفسهم وحصية للبلاد لم يكن منكروراً لبهم أن علم العربية في المشرق كله ، منه نشأ وفيه تَمَازُجاً ؛ فكانت إليه أنظارهم ، وإليه حُجَّتْهم وقبلتهم ، ولا يتم تَمَازُجُ العالم منهم - عند الرؤساء - وعند العامة - إلا أن يكون عليه مَشْرِيقاً .

وكما نشاهد في مصر لعهدنا من يزيد في الفضل بكثرة ما يروى من علم الأوربيين وما يقص من مشاهداته لبهم وما يروى من أخبارهم - كان هنالك في ذلك العهد ... وفي ذلك العهد كان ابن عبدربه ، وكأني به وقد رأى المنزلة التي ينزلها علماء المشاركة من نفوس قومه ، والمكان الرموق الذي تحتله مؤلفاتهم وكتبهم ؛ حتى كان شأن ابن قتيبة وكتبه عندهم ما قدّمنا - كأني به وقد رأى ذلك ، فذبر أمراً ، وأحكم خطة ، واتخذ طريقاً ؛ ثم خرج على الناس بكتابه يقول : ها أنا ذا ، وما هم أولاء !

وكان علماء الأندلس يرحلون إلى المشرق ، فرحل المشرق إلى الأندلس في كتاب

ابن عبدربه ... !

ذلك وجه الرأي فيما أحسب لاقتصار كتاب ابن عبدربه على أخبار المشاركة لإقلال

منه ، لا أرى لذلك وجهاً سواه .

المسألة ~~رحل~~ كتاب ابن عبدربه إلى المشرق تسبقه شهرته ، ووقع في يد الصاحب بن عباد ~~مكتوماً~~ ملهوا ياتمس فيه علم عالم يعلم ، فاهو إلا أن نظر فيه حتى طواه وهو يقول

نفسه ؛ ولى من حُسن تقدير القراء فيها أحسنتُ وواسع مغفرتهم فيها قصُرتُ ما ينبغي من استجداء الشاء أو تقديم المعاذير ؛ والله حسي !

وإذ كان العقد على ما قدمت من قيمته لكل باحث ، كان لابدً لتمام نفعه أن يكون له فهرس ترشد إلى أبوابه وتهدى إلى مسالكه ؛ فُتبتُ بأن أقسم فهرسه إلى خمسة أنواع :

١ - فهرس الموضوعات ، وقد جعلته ملحقاً بكل جزء من أجزائه .

٢ - فهرس الأعلام ، ويشمل كل ما يضم العقد بين دفتيه من الأسماء والكُنى ، من غير التفاتٍ إلى مراتبهم العلمية .

٣ - فهرس القوافي .

٤ - فهرس القبائل والبطون والأماكن والبلدان والطوائف .

٥ - فهرس أنصاف الآيات .

وهذه الفهارس الأربعة الأخيرة ملحقه بالجزء الأخير من الكتاب ، مرتبة على حروف الهجاء .

وأحب أنه كان يسعني أن أجعل للأمثال فهرساً سادساً ، لولا أني رأيتها مجموعة في كتاب واحد من جواهر العقد ، بحيث لا يصعب على القارئ أن يتهدى منها إلى ما يريد من غير احتياج إلى فهرس يهدى إليها .

وقد ارتضيتُ أن أجعل الكتاب (في ثمان مجلدات) إذ كان العقد - على أنه كتاب العالم والأديب والمؤرخ - مما لا يستغنى عنه طالب القصص وال نوادر ، ومُتَمِّسُ الفكاهات والمُلح ، ومتَّبِعُ الأخبار والطُرْف ؛ ومثل هذا الكتاب الذي يُلتمس للريضة واللهو ، ينبغي أن يخفف مجلده ، ليسهل على صاحبه في السفر والحضر ، وفي الحديقة والمنزل .

... ويبقى أمر لابد من التثنية إليه ، ذلك أني آثرتُ تسمية الكتاب بالـ

الذي يعرفه به أكثر قراء العربية اليوم في مختلف أقطارها ؛ وهو «العقد الفريد» وإنما سماه مؤلفه «العقد» فقط ، فاستحدث المتأخرون هذه الصفة «الفريد» . ووفق إلى هذا الرأي المستشرق الألماني بروكلمان (Broekelmann) ، وتابعه بعض الباحثين من كتاب العربية ويرجع الأستاذ جبرائيل سليمان جبور في كتابه (ابن عبد ربه وعقده) أن زيادة «الفريد» في اسم الكتاب وقعت فيما بين سنتي ٦٥٢ - ٨٥٠ هـ ، وقد استند في رأيه ذلك إلى دلائل حقيقة بالتقدير والنظر ؛ فمن شاء فليرجع إليها (ص ٢٩ - ٣١) فإن في ذكرها هنالك فناء وكفاية .

× ترجمة المؤلف

٨٢٤٦ - ٨٣٢٨ هـ .

أراني قد ذكرت عن الكتاب ما وسعني من غير أن أعرف بصاحبه على أني أحسب القارئ قد يجد في بعض ما ذكرت ما قد يغنيه عما بقي ؛ وفي الكتاب بعد ما يدل على صاحبه دلالة لا تحتاج إلى تعريف ؛ وليس ابن عبد ربه مجهولاً لقراء العربية بحيث يلزمي التعريف به ، وليس الحديث عن تاريخه من السهولة بحيث يُغنى في درسه صفحات في مقدمة كتاب ؛ على أني مثبت هنا بعض خبره على إيجاز ، تفادياً من النقص ، وتوسطاً بين المنزكين .

نسبه :

هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القُرطبي الأندلسي ، وكان جده سالم مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن مالك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .

نشأته:

نشأ ابن عبد ربه بقرطبة حاضرة الأندلس لعهد نبي مروان ، وكان مولده في العاشر من رمضان سنة ٢٤٦ هـ ، ولم تعرف عنه رحلة إلى غير بلاد الأندلس ، وعاصر من أمراء نبي مروان : محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) والمنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) ، وعبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٢٨٠ هـ) ، وعبد الرحمن الناصر بن محمد (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) ومات في إمارته ؛ وله في هؤلاء أمراء الأربعة مدائح ذكر بعضها في كتابه ؛ ويظهر أنه كان مختصاً بهم محظياً لديهم ؛ به في عبد الرحمن الناصر الأروجة الشهيرة التي فصل فيها مناقبه مرتبة على السنين لما سنة ٣٢٢ ، وقد أوردتها في كتاب المسجدة الثانية في أخبار الخلفاء وتواريخهم وألبهم (أنظر الجزء الخامس) .

شعبه ولا يُعرف شيء من تاريخ ابن عبد ربه فيما عدا أنه كان في شبابه لاهياً وكوفاً بالقاء ، ولكن ذلك لم ينمعه من التحصيل والفرس ، حتى عُتد من فقهاء الأندلس ، وله شعر أيام صباه رجع عنه في أخباره وعارجه بقصائد في الزهد تنمها «المحطات»

شيوخه:

ويذكر المؤرخون من شيوخ ابن عبد ربه ثلاثة : يقي بن مخلد بن يزيد القرطبي (ت سنة ٢٧٦ هـ) ، ومحمد بن عبد السلام الحنفى القرطبي (توفي سنة ٢٨٦ هـ) ومحمد بن وهب وكان للأوكن رحلة إلى المشقة ورواية وتصانيف مشهورة .

خلقه وصفته:

لم يذكر لنا المؤرخون شيئاً من سيرة ابن عبد ربه تدل على خلقه وصفته ، إلا ما قد من حديث لوه وصوبته في شربابه ، ثم توبه وزهد من بعد ، ويمكننا أن نستنتج دراسة أدبه أنه كان غيوراً ، ولو كان بالمنافسة ، معتدلاً بنفسه ، ميلاً إلى المزاح والنزج جريئاً على البذاء ، يبدو ذلك من بعض ما نقله عنه وقد آتاه وتعليقه على كثير من أخبار العلماء ، وفي العقد كثير من ذلك .

أماصفته الجسدية فلا نجد مايقربها إلى خيالنا إلا قصة أوودها المقرى عن حديث كان بين ابن عبد ربه وأبي محمد يحيى القفطاط الشاعر، يستفاد منها أن ابن عبد ربه كان دميما، أَدْرَ، قَرِيبَ الخطو، يُبَاعِدُ ما بين رجله، هُزَاة .

مؤلفاته:

لا يُعرف لأن عبد ربه كتاب غير العقد، وديوان شعر مفقود، وذكر صاحب كشف الظنون أن له كتابا آخر سماه «اللباب في معرفة العلم والآداب».

ولا نعرف على التحقيق متى ألف ابن عبد ربه كتاب «العقد» وهو قد عمر اثنتين وثمانين سنة، ولكننا نرجح أنه فرغ من تأليفه قريبا من سنة ٣٢٢ هـ أى قبل موته بسنتين تقريبا، برشدنا إلى ذلك أن رجوزته في مغازى عبد الرحمن الناصر، وقد فصل فيها أخباره ووقاته إلى ذلك التاريخ، فلو أن ابن عبد ربه لم يكن قد فرغ من تأليف كتابه في سنة ٣٢٢ لوجد مجالا للزيادة في هذه الأرجوزة حتى يبلغ بها ما يشاء من تاريخ أميره، وقد كان في أعماله بعد هذا التاريخ ما كان حقيقا بالإشادة والتسويه.

وفاته:

وأصيب ابن عبد ربه بالفالج في آخر سنه، وتوفي يوم الأحد لثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٣٢٨ هـ، ودفن يوم الاثنين في مقبر قاضي العباس بقرطبة.

محمد بن عبد الرحمن

رحمه الله وأتابه

به، شبرا في مساء الاثنين (*) ١١ من شوال سنة ١٣٥٩ م
١١ من نوفمبر سنة ١٩٤٠ م

على أ

هو

القُرطبي الأندلسي

لنا هذه المقدمة للطبعة الأولى في هذا المجلد وقد رأينا أن نبقى عليها في هذه الطبعة كما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر واعن

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي :

الحمد لله الأول بلا ابتداء ، الآخر بلا انتهاء ، المنفرد بقدرته ، المتعالى
فى سلطانه ، الذى لا تحويه الجهات ، ولا تمتع الصفات ، ولا تذكره العيون ،
ولا تلبسه الظنون ، البادئ بالإحسان ، العائد بالأمعان ، الدال على بقائه بفناء
خلقه ، وعلى قدرته بعجز كل شئ سواه ، المنفرد بإساءة المذنب بعفوه ، وجعل
المسئء بحبله ، الذى جعل معرفته اضطراباً ، وعيادته اختياراً ، وأخلق الخلق من
بين ناطق معرفت بوحديته ، وصامت متخشع لربوبيته ، لا يخرج شئ عن قدرته ،
ولا يعزب عن رؤيته ، الذى قرن بالفضل رحمته وبالعدل عذابه ، والناس مدينون
بين فضله وعذابه ^(١) آذنون بالزوال ، آخذون فى الانتقال من دار بلاء إلى دار جزاء .
أحمده على حبله بمد عليه ، وعلى عفوه بعد قدرته ، فإنه رضى الحمد شكراً ^(٢)
لجزيل نعمائه ، وجليل آلائه ، وجعله مفتاح رحمته ، وكفاه نعمته ، وآخر دعوى
أهل جنته ، بقوله عز وجل : (وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .
وصلى الله على نبيه الكريم ، الشافع المقرب ، الذى بعث آخرأ واصطفى
أولاً ، وجعلنا من أهل طاعته ، وعتقنا شفاعته وبعد :

- فإن أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أمة قد تكلموا فى الأدب وتلفسوا فى العلوم
على كل لسان ، ومع كل زمان ، وإن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده
فى اختصار بديع معاني المتقدمين ، واختيار جواهر ألفاظ السالفين ، وأكثروا
فى ذلك حتى أحتاج المختصر منها إلى اختصار ، والمختصر إلى اختيار ، ثم إنى رأيت

(١) فى بعض الأصول ، وعدله .

(٢) فى بعض الأصول ، ثمتنا .

- آخر كل طبقة وواضع كل حكمة ومؤلف كل أدب أعذب ألفاظاً ، وأسهل بنية ، وأحكم مذهباً ، وأوضح طريقة ، من الأول ، لأنه ناقض ^(١) متعقب ، والأول بادئ متقدم . فليُظَر الناظر إلى الأوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين إنصاف ، ثم يجعل عقله حكماً عادلاً قاطعاً ؛ فعند ذلك يعلم أنها شجرة باسقة الفرع ، طيبة المنبت زكية التربة ، يانعة الثمرة . فمن أخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوة ومناهج من الحكمة ، لا يستوحش صاحبُه ، ولا يضلُّ من تمسك به .
- وقد ألفت هذا الكتاب وتخيَّرت جواهره من متخيَّر جواهر الآداب ، وعصم أول جوامع البيان ، فكان جوهر الجواهر ولباب اللباب وإن مالى فيه هو تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش لدرر ^(٢) كل كتاب ، وما سواه فأخوذة من أفواه العلماء ، ومأثور عن الحكماء والآباء . واختيار الكلام أصعب ١٠ من تأليفه / وقد قالوا : اختيار الرجل وإدِّ عقله .
- وقال الشاعر :

قد عرفناك بأختيارك إذ كا . نَ دليلاً على اللبيب أختياره

- وقال أفلاطون : يقول الناس مُدَوِّنة في أطراف أقلامهم ، وظاهرة في حُسن أختيارهم . فطلبت نفاثات الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكيم وضروب الأدب ١٥ ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته باباً على حديثه ، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره من كل باب . وقصدت من جملة الأخبار وقصود الآثار إلى أشرفها جوهرًا ، وأظهرها رونقًا ؛ وألفها مغنى ، وأجزلها لفظًا ، وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، أخذاً بقول الله تبارك وتعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) .
- وقال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . ٢٠

(١) في بعض الأصول « ناكس »

(٢) في بعض النسخ « لصدور » وفي بعض آخر « للور »

وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه وفيما بين ذلك سقطات^(١) الرأي وزلّ القول . ولكل عالم همزة ولكل صادم نبوة .

وفي بعض الكتب : أنفرد الله تعالى بالكمال ولم يبرأ أحد من نقصان .

وقيل للعتابي : هل تعلم أحداً لا عيب فيه ؟ قال : إن الذي لا عيب فيه

٥ لا يموت أبداً ، ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة .

وقال العتابي : من قرض شعراً أو وضع كتاباً فقد أسند للخصوم

وأسند للآلسن ، إلا عند من نظر فيه بعين العدل ، وحكم بغير الهوى ، وقليل ما هم .

وحذف الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز وهرباً من

١٠ التثقل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر ، لا ينفعها الإسناد بآصاله

ولا يضرها ما حذف منها . وقد كان بعضهم يحذف إسناد الحديث من سنة متبعة وشريعة مفرضة ، فكيف لا يحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستطرف .

سأل حفص بن غياث الأعشى عن إسناد حديث . فأخذ بقلقه وأسند إلى

حائط وقال : هذا إسناد .

١٥ وحدث ابن السامك بحديث ، فقل له : ما إسناده ؟ قال : هو من المرسلات عزيلاً .

وحدث الحسن البصري بحديث ، فقل له : يا أبا سعيد ، عمن ؟ قال وما تصنع

بـ « عمن » يا ابن أخي ؟ أما أنت فثالثك موقعته ، وقامت عليك حجته .

كما قد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون

الأخبار ، ولا جامعة لجل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لأكثر المعاني

٢٠ التي تجري على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وأحلبت

كل كتاب منها بشواهد من الشعر مجازين الأخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها ،

وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لغربنا على قاصيته ،

(١) في بعض الأصول « سقطه » وفي سائرهما « سقط »

- وبلدينا على آتقطاعه خطأ من المنظوم والمنثور . وسميته كتاب « العقد الفريد » لما فيه من مختلف جواهر الكلام ، مع دقة المسلك وحسن النظام .
- وجزأته على خمسة وعشرين كتاباً كل كتاب منها جزآن ، فذلك خمسون جزءاً .
- في خمسة وعشرين كتاباً ، قد انفرد كل كتاب منها بأسم جوهرة من جواهر العقد .
- ٥ - فأولها كتاب الولولة في السلطان . ثم كتاب الفريدة في الحروب ومدار أمرها .
- ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد . ثم كتاب الجمانة في الوفود . ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك . ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب . ثم كتاب الجوهرة في الأمثال . ثم كتاب الزمردة في المواعظ والزهد . ثم كتاب النيرة في التعازي والمرائي . ثم كتاب البييمة في النسب وفضائل العرب . ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب ، ثم كتاب المجئبة في الأجوبة . ثم كتاب الواسطة في الخطب . ثم كتاب
- ١٠ المجئبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة . ثم كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم . ثم كتاب البييمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة . ثم كتاب النيرة الثانية في أيام العرب وقائعهم . ثم كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقاطععه ومخارجه . ثم كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعِلل القوافي . ثم كتاب الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف
- ١٥ الناس فيه . ثم كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهم . ثم كتاب الجمانة الثانية في المتنبيين والمؤرورين والبخلاء والطفيليين . ثم كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان . ثم كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب . ثم كتاب الولولة الثانية في التنف والمدايا والفكاهات والمُلح .

كِتَابُ التَّوَلُّوةِ فِي السُّلْطَانِ

السلطان زمام الأمور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود والقطب الذي عليه فرش السكاب مدار [الدين و^(١)] الدنيا . وهو حي الله في بلاده وظله المددود على عبادته ، به يتمتع حريمهم ، ويتنصر مظلومهم ، وينقمع ظالمهم ، ويأمن غائضهم .

٥ قالت الحكماء : إمام عادل ، خير من مطر وابل . وإمام غشوم ، خير من لعنة . فتنه تدوم . ولما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

وقال وهب بن منبه : فيما أنزل الله على نبيه داود عليه السلام : إني أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك يدي . فمن كان لي على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة ، ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة .

١٠ حقق على من قلده الله أمانة حكمه ، وملكه أمور خلقه ، وأختصه بإحسانه ، ومكّن له في سلطانه ، أن يكون من الأهتمام بمصالح رعيته ، والاعتناء بمرافق أهل طاعته ، بحيث وضعه الله من الكرامة ، وأجرى عليه من أسباب السعادة . قال الله عز وجل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَانُكُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) .

١٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة في حكمة خير من عبادة ستين سنة . وقال صلى الله عليه وسلم : كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته .

وقال الشاعر :

فكلكم راع ونحن رعيته . وكل يلاقي^(٢) ربه فيحاسبه .
ومن شأن الرعية قلة الرضى عن الأئمة ، وتجنّب العذر عليهم^(٣) ، وإلزام

(١) التكلة من نهاية الأرب :

(٢) في بعض الأصول : سيق ،

(٣) أى تضيق العذر عليهم .

اللائمة لهم ورب ملوم لا ذنب له . ولا سبيل إلى السلامة من أسنة العامة إذ كان رضى جملتها وموافقة جماعتها من المعجز الذى لا يدرك والمُنتج الذى لا يُملك . ولكل حصته من العدل ، ومنزته من الحكم . فن حق الإمام على رعيته أن يقضى عليهم بالأغلب من فعله والأعم من حكمه ، ومن حق الرعية على إمامها حسنُ القبول لظاهر طاعتها وإضرابه صفحاً عن مكاشفتها ، كما قال زياد لما قديم العراق واليا عليها : أيها الناس ، قد كانت بيني وبينكم إحسن ، فجعلت ذلك دبراً أذنى وتحت قدمي ، فمن كان مُحسناً فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئاً فليزغ عن إسمائه . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّل من بنى لم أكشف له قناعاً ولم أهيك له سترًا حتى يُبدى صفحته لى .

١٠ لابن عمر وقال عبد الله بن عمر : إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر ، وإذا كان الإمام جائراً فله الوزرُ وعليك الصبر .

لكعب الأحبار وقال كعب الأحبار : مثل الإسلام والسلطان والناس : مثل الفُسطاط والعمود والأوتاد . فالفسطاط الإسلام ، والعمود السلطان ، والأوتاد الناس . ولا يصلح بعضها إلا ببعض .

١٥ وقال الأفوه الأودي :

لا يصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَأَسْرَةِ لَهُمْ . وَلَا سَرَاةٌ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا
وَالْبَيْتُ لَا يَبْنَى إِلَّا لَهُ عِمْدٌ . وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
وَأَمَّا تَجْمَعُ أَوْتَادُ وَأَعِمْدَةٌ . يَوْمًا فَقَدْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

، نصيحة السلطان ولزوم طاعته

٢٠ قال الله تبارك تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

وقال أبو هريرة : لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الأئمة . وطاعتهم من طاعة الله ، وعصيانهم من عصيان الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ فارق الجماعة أو خَلَعَ يَدًا من طاعة مات مِيتَةً جَاهِلِيَّةً .

وقال صلى الله عليه وسلم : الدينُ النصيحة ، الدينُ النصيحة ، الدينُ النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأولى الأمر منكم .

فَنُصَحَ الإمام ولزومُ طاعته فرضٌ واجبٌ وأمرٌ لازم ، ولا يتم إيمانُ إلا به ، ولا يثبت إسلامٌ إلا عليه

الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال لى أبى : أرى هذا الرجل — يعنى عمر بن الخطاب — يَسْتَفْهَمُكَ وَيَقْدَمُكَ عَلَى الْأَكْبَرِ مِنْ أَهْوَابِ عَمْدِ صلى الله عليه وسلم . وَإِنِ مَوْصِيكَ بِخِلَالِ أَرْبَعٍ : لَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا يُجَسِّرَنَّ عَلَيْكَ كَذِبًا ، وَلَا تَطْوَغْهُ نَصِيحَةً ، وَلَا تَنْتَابَنَّ عَنْهُ أَحَدًا .

قال الشعبي : فقلت لأبن عباس : كل واحدة خير من ألف . قال : إى والله ، ومن عشرة آلاف .

وفى كتاب الهند^(١) : أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ مُلُوكِهِمْ فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّ نَصِيحَتَكَ وَاجِبَةٌ فِي الصَّغِيرِ الْخَفِيرِ وَالْكَبِيرِ الْخَطِيرِ ، وَلَوْلَا الثِّقَةُ بِفَضِيلَةِ رَأْيِكَ ، وَاحْتِمَالُكَ مَا يَشُقُّ^(٢) مَوْقِعُهُ [مِنَ الْأَسْمَاعِ وَالْقُلُوبِ]^(٣) فِي جَنْبِ صَلَاحِ الْعَامَةِ وَتَلَاوِيِ الْخَاصَةِ ، لَكَانَ مُخْرَقًا مَنِ أَنْ أَقُولَ ؛ وَلَكِنَّا إِذَا رَجَعْنَا إِلَى أَنَّ بَقَاءَنَا مُوَصُولٌ بِبَقَائِكَ ، وَأَنْفُسُنَا مُتَعَلِّقَةٌ بِنَفْسِكَ ، لَمْ نَجِدْ بَدَأًا مِنْ آدَاءِ الْحَقِّ إِلَيْكَ وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسَلْنِي ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ ، وَالْأَمَاءَ مَرَضَتَهُ ، وَالْإِخْوَانَ بَيْتَهُ^(٤) ، فَقَدْ أَخْلَى بِنَفْسِهِ ؛ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَنْتَجِعُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ ، إِلَّا أَنْ يَبْقَى بِعَقْلِ الْمَقُولِ لَهُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا أَحْتَمِلَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ

(١) يريد « كاتبة وديمة » وهذا ما يعنيه ابن عبد ربه في أكثر من موضع من العقد .

(٢) في عيون الأخبار « ما يسوء »

(٣) التَّكَلُّفُ من عيون الأخبار

(٤) في بعض الأصول « نته » والبث والاث بمعنى . وقيل : الـث أن تفسر حديثاً كنتم أول

ما وصى به
العباس ابنه حين
قدمه عمر

رجل من الهند
ينصح ملكاً

ما كان فيه من قَفْع فهو للسامع دون القاتل . وإنَّكَ أيها الملك ذو فضيلة في الرأي وتصرف في العلم ، ويُشجِنِي ذلك على أن أخبرك بما تكره ، واثقاً بمعرفتك^(١) نصيحتي لك وإيثاري إِيَّاكَ على نفسي .

ابن عجة
يتمتع الوليد

- وقال عمرو بن عُتبة للوليد حين تَغَيَّرَ الناسُ عليه : يا أمير المؤمنين ، إنه يُنطقني
الأنسُ بك ، وتُسكني الهية لك^(٢) ، وأراك تأمن أشياء أعافها عليك ، فأسكتُ
مُطِماً أم أقولُ مشفقاً ؟ قال : كلُّ مقبول منك ، والله فينا علمٌ غيبٌ نحن صابرون
إليه . فقتل بعد ذلك بأيام .

لابن صفوان في
خالصة السلطان

- وقال خالد بن صفوان : مَنْ صحب السلطان بالصحة والنصيحة أكثرُ عدوًّا
من صحبه بالدش والخيانة ؛ لأنه يجتمع على الناصح عدوُّ السلطان وصديقه بالعداوة
والحسد ، فصدِّقُ السلطان يُنافسه في مرتبته ، وعدوه يُبْغِضُه لنصيحته .

ما يصحب به السلطان

لابن المقفع في
خادم السلطان

- قال ابن المقفع : ينبغي لمن خَدَمَ السلطان ألا يفتَر به إذا رضى ولا يفتَر له
إذا سخط ، ولا يَسْتَقِلَّ ما حمله ، ولا يُلْحِفُ في مسأله . وقال أيضاً : لا تكن
مُحِبَّتَكَ للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم . فإن كنتَ حافظاً
إِذَا وَلَوْكَ ، حَذِراً إِذَا قَرَّبَوْكَ ، أَمِناً إِذَا آتَمَنُوكَ ذليلاً إِذَا صَرَمُوكَ ، راضياً
إِذَا أَحْطَلُوكَ ، تعلِّمهم وكأنك متعلِّم منهم ، وتؤدِّبهم وكأنك متأدِّب بهم ، وتشكرهم
ولا تكلفهم الشكر . وإلا فالبعدُ منهم كلُّ البعد ، والحذرُ منهم كلُّ الحذر .
وقال المأْمُون : الملوك تتعمَّل كل شيء إلا ثلاثة أشياء : القَدَحَ في الملك ،
وإفشاء السر ، والتعرُّضَ للحرم .

- وقال ابن المقفع : إِذَا نَزَلَتْ من السلطان نزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له في
كل كلمة ؛ فَإِنَّ ذلك يُوجب الوحشة ويُلْزِمُ الانقباض .

(١) في بعض الأصول : بمعرفة .

(٢) العبارة في صيون الأخبار والوزراء والكتاب للجيشياري مع خلاف .

وقال الأصمعي : توصلت بالملح وأدركت بالقرب .

وقال أبو حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك : إنما السلطان سوق ، فما نفق عنده حُرل إليه .

ولما قَدِم معاوية من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه ٥
هند : فقالت له : يا بُني ، إنه قلبا ولدت حُرّة مثلك ، وقد استملك هذا الرجل ،
فأعمل بما وافقه أحييت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان : فقال له :
يا بُني ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرقعهم سَبَقَهُمْ
وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة : وقد قلدوك جسيما من أمرهم ؛
فلا تخالفن أمرهم ، فإنك تجرى إلى أميد لم تبلغه ، ولو قد بلغت لتنفست^(١) فيه .
قال معاوية : فمجت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ . ١٠

وقال أبو رزٍ لصاحب بيت المال : إني لا أعذرُك في خيانة درهم ، ولا أحمك ١٥
على صيانة ألف . أَلَف : لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك ، فإنك إن
مُحِت قليلا خنت كثيرا . واحترس من خصلتين : النقصان فيها تأخذ ، والزيادة
فيها تعطى ؛ وأعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة ، العُدّة^(٢) على العدو ،
إلا وأنت عندي آمنٌ من موضعه الذي هو فيه ، وخواتمه التي هي عليه ، لحقّق ١٥
ظني باختيارى إياك أحقق ظنك في رجائك إياي ؛ ولا تتعوض بخير شرا ،
ولا برفعة ضمة ، ولا بسلامة ندامة ، [ولا بأمانة خيانة]^(٣) .

ولما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان قال له : إن أباك كفى أخاه ٢٠
عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا ؛ فلا تتكلن على عُذر مني فقد اتكلت على كفاية
منك . وإياك مني قبل أن أقول إياي منك ؛ فإن الظن إذا أخلف مني فيك أخلف
منك في ؛ وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد اتعبك أبوك فلا تريحن نفسك .

(١) لتنفست فيه : أي استرحت عنده .

(٢) في الأصول : القوة ، وما أثبتناه رواية عيون الأخبار .

(٣) التكلفة من عيون الأخبار .

لعمر بن الخطاب
وماوية حين
قدم عليه الشام

- قال يزيد : حدثني أبي أنَّ عمر بن الخطاب لما قَدِمَ الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقَّاهما معاوية في موكب ثَقِيل ، فجاوزَ عمرَ معاوية حتى أُخْبِر به ، فرجع إليه . فلما قُرِب منه نزل إليه ، فأعرض عنه ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً . فقال له عبد الرحمن بن عوف : أتبت الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ، أنت صاحبُ المركبِ آنفًا مع ما بلغني من وقوف ذوى الحاجات ييا بك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذاك ؟ قال : لأننا في بلاد لا تمتنع فيها من جواسيس العدو ولا بُد لهم مما يُرهبهم من هبة السلطان ؛ فإن أمرتني بذلك أقت عليه ، وإن نبتني عنه أتيت . فقال : لئن كان الذي تقول حقاً فإنه رأي أريب ؛ وإن كان باطلاً فإنه مُخدَع أديب ، وما أمرك به ولا أنهاك عنه . فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر هذا الفتي عما أوردته فيه !
- ١٠ فقال : لحسن موارده جشمناه ما جشمناه .

الربيع الحارثي
في حاضرة ابن
الخطاب

- وقال الربيع بن زياد الحارثي : كنت عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرين . فكتب إليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعُماله وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا . فلما قدِمنا أتيتُ يرفاً^(١) ، فقلت : يا يرفاً ، ابنُ سيلٍ مُسترشد ، أخبرني أيُّ الهينات أحبُّ إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عُماله ؟ فأومأ إلى الخشونة . فأخذتُ خُفَّين مطارقين^(٢) ، ولبستُ جُبَّة صوف ، ولئت رأسي بعمامة دَكْناء . ثم دخلنا على عمر ، فصقنا بين يديه وصعدنا فينا نظره وصوب ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ، فدعاني ؛ فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي . قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلت : البحرين . قال : فكم تُرزق ؟ قلت : خمسة دراهم في كل يوم . قال : كثير ! فما تصنع بها ؟ قلت : أنقوت منها شيئاً وأعود يباقيها على أقارب لي ، فما قَصَل منها فعلى فقراء المسلمين . فقال : لا بأس ، أرجع إلى موضعك ؛ فرجعت إلى موضعي من الصف . ثم صعدنا وصوب ،

(١) يرفاً : غلام عمر بن الخطاب .

(٢) مطارقين : قد أطبق نعل على نعل ثم خرزتا .

فلم تقع عينه إلا على ، فدعاني ؛ فقال : كم سَنُوك ؟ فقلت : ثلاث وأربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت . ثم دعا بالطعام ، وأصحابي حديثو عهد بلتين العيش وقد تجزعت له ، فَأَتَى بَجَبْرَ يَابِسَ وأَكْسَارَ بَعِيرٍ ^(١) ، فجعل أصحابي يداقون ذلك ، وجعلت أكل فأجيد الأكل . فنظرتُ فإذا به يلحظني من بينهم ، ثم سبقتُ مني كلمة تمنيت أني نُحِتَ في الأرض ولم أَلِظْ بها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس يحتاجون إلى صلاحك ، فلو عمدتَ إلى طعام هو أَلْيَنُ من هذا . فزجرني وقال : كيف قلت ؟ قلت : أقول : لو نظرتُ يا أمير المؤمنين إلى قُورتِكَ من الطحين فيُخبز لك قبل إرادتك إياه يوم ، ويُطبخ لك اللحم كذلك ، فتُؤْتَى بالخبز لينا وباللحم غريضا . فسكن من غربه وقال : هذا قصدت ؟ قلت : نعم . قال : ياربيع ، إنا لو نشاء للملأنا هذه الرُحَاب من صلاحك وسبائك وصناب ، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال : (أَذْهَبَتْ طَبَائِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَمْتُمْ بِهَا) ثم أمر أبا موسى أن يُقرئ وأن يَسْتَبْدِلَ بِأَصْحَابِي

ابن عبد ربه
يفسر غريب
الخبز

قوله . لثنا على رأسي . . يقال : رجل ألوث ، إذا كان شديدا ، وذلك من اللوث ؛ ورجل ألوث ، إذا كان أهرج ، مأخوذ من اللوثة . يقال : (لثت عمامة على رأسي) يقول : أدبرتها بعضها على بعض على غير استواء .

وقوله « صلاحك » هي شئ يعمل من اللحم ، فنهأ ما يطبخ ومنها ما يشوى ، يقال : صلقت اللحم ، إذا طبخته ، وصلفته إذا شويته .

وقوله « غريضا » يقول طريا . يقال : لحم غريض ، تراد به الطراوة قال العتاني :

إذا ما فاتني لحم غريض . ضربت ذراع بكري فاشتويتُ

و « سبائك » يريد الحواري من الخبز ، وذلك أنه يُسبك فيؤخذ بخالصة ، والعرب تسمى الرقاق : السبائك .

(١) في بعض الأصول « وأكسار بغير إدام » .

و«الصناب» طعام يؤخذ من الزبيب والحردل، ومنه قيل للفرس : صِنَابِي
إذا كان في لونه حمرة . قال جرير :

تُكَلِّفُنِي مَعَايِشَ آلِ زَيْدٍ • وَمَنْ لِي بِالْمُرَقِّقِ وَالصَّنَابِ

وقوله : «أكسار بعير» فالكثير والفصل والجزل : العظم يفصل ما عليه من

اللحم . وقوله «نعمي على قوم شهواتهم» أي عابهم بها ووبخهم .

ومما يُصحب به السلطان : ألا يُسَلَّم على قادم بين يديه ، وإنما استأن ذلك

زياد ابن أبيه ؛ وذلك أن عبد الله بن عباس قَدِم على معاوية وعنده زياد ؛ فرحب

به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ولم يكلمه زياد شيئاً فابتدأه ابن عباس وقال :

ما حالك أبا المنيرة ! كأنك أردت أن تُحدث بيننا وبينك همرا . قال : لا ، ولكنه

لا يُسَلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين . فقال له ابن عباس : ماترك الناس التحية

بينهم بين يدي أمرائهم . فقال له معاوية : كُفَّ عنه يا بن عباس ، فإنك لانشاء أن

تغلب إلا غلبت .

دخل أبو مسلم على أبي العباس وعنده المنصور . فسلم على أبي العباس . فقال له :

يا أبا مسلم ؛ هذا أبو جعفر ! فقال له : يا أمير المؤمنين . هذا موضع لا يَقضى فيه لإحقاك !

أبو حاتم عن العتي قال : قَدِم معاوية من الشام ، وعمرُو بن العاص من مصر

على عمر بن الخطاب ؛ فأقعدهما بين يديه وجعل يسألهما عن أعمالهما ، إلى أن

آخترض عمرو في حديث معاوية ، فقال له معاوية : أَعَمَلِي تَعِيب وإلَى تقصد ؟

هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي وأخبره عن عملي ! قال عمرو : فعلت أنه بعمل

أبصر مني بعمله ، وأنَّ عمر لا يدع أولَ هذا الحديث حتَّى يصير إلى آخره ؛ فأردت

أن أفعل شيئاً أشعل به عمر عن ذلك ، فرفعتُ يدي فطمعت معاوية . فقال عمر :

تالله ما رأيت رجلاً أسفَّ منك ! قُمْ يا معاوية فاقصصْ منه . قال معاوية : إن أبي

أمرني ألا أقضى أمراً دونه . فأرسل عمر إلى أبي سفيان . فلما أتاه ألقى له وسادة

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . ثم

قصَّ عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية . فقال : لهذا بعثتُ إلَى ؟ أخوه وابن عمه :

زياد أول من
استنّى ترك
السلام على قادم
عند السلطان

ترك أبي مسلم
السلام على
المنصور بخبرة
السفاح

معاوية وابن
العاص بين يدي
عمر حين قدمهما
من الشام ومصر

وقد آنى غير كبير ، وقد وهبُ ذلك له .

وقالوا : يبغي لمن يحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة وإن استقلها ،
ولكن كلامه له كلام رقيق لا كلام خرق ، حتى يُخبره بعينه من غير أن يواجهه
بذلك ولكن يضرب له الأمثال ، ويُخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه .
الحيلة لنصيحة
السلطان

وقالوا : من تعرض للسلطان أزدراه ، ومن تظامن له تخطأه . فشبها السلطان
في ذلك بالرج الشديدة التي لا تُعثر بما لأن وتمايل معها من الحشيش والشجر ،
وما استهدف لها قصته . قال الشاعر :

إن الرياح إذا ما أغصمت قصمت هـ عيدان تبعر ولا يعبان بالرتيم^١

وقالوا إذا زادك السلطان إكراماً فرده إعظاماً ، وإذا جعلك عبداً فأجله رباً .

وقال شبيب بن شبة : يبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا
أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت ، ويكون من ناحية إذا
التفت لم تستقبله الشمس .
لتعيب في سيرة
السلطان

وقرأت في كتاب للهند أنه أهدى ملك ثياب وحل ، فدعا بامراتين له ، وخير
أحظاهما عنده بين اللباس والحلى . وكان وزيره حاضراً فنظرت المرأة كالمشيرة له ،
فمزمها باللباس تمضيئنا بعينه ، فلحظه الملك . فاختارت الحلية لكلا يفطن للعمرة
وصار اللباس للأخرى . فأقام الوزير أربعين سنة كاسراً عينه لكلا تقرّ في نفس
الملك ، وليظن أنها عادة وخلقة .
وزير الهند بين
الملك والملكة

اختيار السلطان لأهل عمله

لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان قال له : أوصيك بثلاثة :
حاجبك ، فإنه وجهك الذي به تلقى الناس : إن أحسن فأنت المحسن ، وإن أساء
فأنت المسيء ؛ وصاحب شرطك ، فإنه سوطك وسيفك : حيث وضعهما فأنت
لا بن هبيرة يوم
مسلم بن سعيد
حين وجهه
إلى خراسان

(١) الرتم : نبت من حق الشجر يشبه لدقته بالرتم ، وهي الحيوط .

وضعهما ؛ وعُتِلَ القَدْرُ^(١) قال : وما عمال القدر ؟ قال : أن تختار من كل كورة رجلا لعملك ، فإن أصابوا فهو الذي أردت ، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب .

اختيار ابن
أرطاة بين إياس
والقاسم
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة : أن أجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجَوْشَنِي^(٢) فَوَلَّ القضاة أفضهما ؛ لجمع بينهما ، فقال له إياس : أيها الرجل ، سَلْ عني وعن القاسم فقيهي البصرة : الحسن وابن سيرين — وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين وكان إياس لا يأتيهما — فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به . فقال القاسم : لا تسأل عني ولا بعتي ؛ فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفضه مني وأعلم بالقضاء ؛ فإن كنت كاذبا فإني أدعي أن توليني ، وإن كنت صادقا فيدعي لك أن تقبل قولي . فقال له إياس : إنك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها يمين كاذبة . يستغفر الله منها وينجو مما يخاف . فقال له عدى : أما إذ فهمتها فأنت لها . فاستغفاه .

بين عدى وإياس
في القراء
وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : دُلّني على قوم من القراء أولهم . فقال له : القراء ضربان : ضرب يعملون للأخرة ولا يعملون لك ، وضرب يعملون للدنيا . فما ظنك بهم إذا أمكنهم منها ؟ ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولهم .

أبو قلابة والقضاء
أيوب السخيتاني ، قال : طَلَبَ أبو قلابة لقضاء البصرة ، فهرب إلى الشام فأقام حيناً ثم رجع . قال أيوب : قتلته له : لو أنك وليت القضاء وعدلت كان لك أجران . قال : يا أيوب ، إذا وقع السابح في البحر فكم عني أن يسبح .

تولية عبد الملك
الشمي على قضاء
البصرة
وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه : دلوني على رجل أستعمله . فقال له رَوْح ابن زُبَاع : أدلك يا أمير المؤمنين على رجل إن دعوتوه أجابكم ، وإن تركتموه

(١) عمال القدر : ذؤوب الشرف والحسب . وفي محاضرات الأدباء « عليك بأهل القدر الذين إن عدلوا فذلك مارجوت فيهم » .
(٢) في الأصول « الجرشي » وهو تصحيف .

لم يأتكم، ليس بالمحلف طلباً، ولا بالمعين هرباً: عامر الشعبي؛ فوله قضاء البصرة.

وسأل عمر بن عبد العزيز أبا جحز^(١) عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مَصْنُوعٌ له وليس بصاحبها. قال: فلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحسد أغاه وينافس أباه ويحقر مولاه. قال: فلان؟ قال: يكافئ الأكفاء ويمادى الأعداء ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً، فبدر الرجل يطلب منه العمل فقال عمر: والله لقد أردتكَ لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعَنَّ عليه. وطلب رجلٌ من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله. فقال: إنا لانتعمل على عملنا من يريده.

ودأب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي ولاية. فقال: يا عم، نفسٌ تحبها خير من ولاية لا تحصيها.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: فرّ من الشرف يتبعك الشرف؛ وأحرص على الموت تُوهبُ لك الحياة.

وتقول النصارى: لا يُختار للجثثة^(٢) إلا زاهداً فيها غير طالب لها.

وقال إياس بن معاوية: أرسل إلى ابن هيرة فأتيتُهُ، فسأكتني^(٣) فسكت، فلما أطلت قال: هيه. قلت: سل عما بدا لك. قال: أقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: أنفرض الفرائض؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العرب شيئاً؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العجم شيئاً؟ قلت: أنا بها أعرف. قال: إني أريد أن أستمع بك على عملي. قلت: إن في خلا ثلاثاً لا أصلح معها للعسل. قال: ما هي؟ قلت: أنا حميم كما ترى، وأنا حديد، وأنا عتي. قال:

(١) في الأصول: أبا غحز، والتصويب من الطبري.

(٢) الجثثة: رياسة النصارى دينية.

(٣) كذا في عيون الأخبار؛ وفي الأصول: فسألني.

تولية ابن هيرة
لإياس

عمر ورجل
طلب عملاً

أما دَمَانَتُكَ فَأَنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ النَّاسَ بِكَ ، وَأَمَّا الْعَيَّ فَأَنِّي أَرَاكَ تُعَرِّبُ عَنْ
نَفْسِكَ ، وَأَمَّا الْحَدَّةُ فَأَبْنَى السُّوْطِ يَقْوَمُكَ . [قُمْ قَدْ وَلِيَّتُكَ ^(١)] قال : فَوَلَّانِي
وَأَعْطَانِي مِائَةَ دَرَاهِمٍ ^(٢) ، فَهِيَ أَوَّلُ مَا تَمَوَّلْتُهُ .

وقال الأصمعي : وَلِيَّ سُلَيْمَانَ بْنِ حَبِيبٍ الْحَمَارِي قَضَاءَ دِمَشْقَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ
وَسُلَيْمَانَ وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَزَيْدَ وَهْشَامَ .

وَأَرَادَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَكْحُولًا عَلَى الْقَضَاءِ فَأَبَى عَلَيْهِ . قَالَ لَهُ : وَمَا يَمْنَعُكَ
قَالَ مَكْحُولٌ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا ذُو شَرَفٍ
فِي قَوْمِهِ ، وَأَنَا مَوْلَى .

ولما قَدِمَ رِجَالُ الْكُوفَةِ عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ يَشْكُونَ سَمْدَ بَنِي وَقَاصٍ ،
قَالَ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، إِنْ وَلِيْتُ عَلَيْهِمُ التَّقِيَّ ضَعُفُوهُ ، وَإِنْ وَلِيْتُ
عَلَيْهِمُ الْقَوِيَّ تَجَرَّوهُ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَغْنَمَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ التَّقِيَّ الضَّعِيفُ لَهُ
تَقْوَاهُ وَعَلَيْكَ ضَعْفُهُ ، وَالْقَوِيَّ الْفَاجِرُ لَكَ قُوَّتُهُ وَعَلَيْهِ جَوْرُهُ . قَالَ : صَدَقْتَ ،
فَأَنْتَ الْقَوِيُّ الْفَاجِرُ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِمْ أَيَّامَ عَمْرٍ وَصَدْرًا مِنْ أَيَّامِ عُثْمَانَ
وَأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ ، حَتَّى مَاتَ الْمَغْنَمَةُ ^(٣) .

تولية ابن الخطاب
للمغيرة مكان
ابن أبي وقاص
على الكوفة

حسن السياسة وإقامة المماكة

كتب الوليدُ بْنُ عُبَيْدِ الْمَلِكِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ بِأَمْرِهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ
بِسِيرَتِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنْ أَيْقَظْتُ رَأْيِي وَأَنْتُمْ هَوَايَ ، فَأَدْنَيْتَ السَّيِّدَ الْمُطَاعَ
فِي قَوْمِهِ ، وَوَلَّيْتَ الْمُجْرِبَ ^(١) الْحَازِمَ فِي أَمْرِهِ ، وَظَلَمْتَ الْحَرَّاجَ الْمُؤَفَّرَ لِأَمَانَتِهِ ،
وَقَسَمْتَ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ نَفْسِي قَسَمًا أُعْطِيهِ حَظًّا مِنْ لَطِيفِ عَنَائِي وَنَظَرِي ؛

الحجاج يصف
سيرته للوليد

(١) التكلة من عيون الأخبار .

(٢) في عيون الأخبار : أَلْفِي دَرَاهِمٍ .

(٣) الخبر في شرح نهج البلاغة ، ومحاضرات الأدباء .

(٤) في عيون الأخبار : الحرب ، بفتح فكسر - وهو الشنيد الغضب .

وصرفتُ السيفَ إلى النَّظَفِ^(١) المسمى ، والثوابُ إلى الحسن البريء ؛ تخاف
الريبُ صولة العقاب ، وتمسك الحسن بحظه من الثواب .

وقال أردشير لابنه : يا بني ، إنَّ المَلِكَ والعدلَ أخوان لا غنى لأحدهما عن صاحبه
فالمَلِكُ أَسُّ والعدلُ حارس ، وما لم يكن له أَسٌّ فهدوم ، وما لم يكن له حارس
فضاع . يا بُنَيَّ أجعل حديثك مع أهل المراتب ، وعطيتك لأهل الجهاد ، وبشرك
لأهل الدين ، وسرك لمن عَنَاه ما عناك من ذوى العقول^(٢) .

وقالت الحكماء : مما يجب على السلطان العدلُ في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه ،
وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه : فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان . ومدار
السياسة كلها على العدل والإنصاف ، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما
ولا يدور إلا عليهما ، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها . وينبغي لمن
كان سلطاناً أن يُقيم على نفسه حُجة الرعية . ومن كان رعية أن يقيم على نفسه
حجة السلطان . ولكن حكمه على غيره بمثل حكمه على نفسه ؛ فإنما يعرف حقوق
الأشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع أقدارها . ولا يكون أحد سلطاناً حتى
يكون قبلَ ذلك رعية .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولا يصلحُ له
منكم إلا من كان له سيف مَسْلُول ، ومال مَبْذُول ، وعدل تطمئن إليه القلوب .

ووصف بعض الملوك سياسته فقال : لم أهزل في وعد ولا وعيد ، ولا أمر
ولا نهى ولا عاقبت للفتن . واستكفيت^(٣) ، وأثبتت على النساء لا للهوى .
وأودعت القلوب هبة لم يشبها مقت ، ووداً لم تشبه جراً . وعممت بالقوت ،
ومنعت الفضول .

(١) النظف : المتهم الريب .

(٢) انظر عيون الأخبار (١٣٠١) ومحاضرات الأدباء (١ : ١٠٤) في خبر هنا
وهناك خلاف في بعض الالفاظ .

(٣) استكفيت : وليت الأكف .

ولذكر أعرابي أميراً فقال : كان إذا ولى لم يُطابق بين جفونه ، وأرسل العيون على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ؛ فالحسن راج والمسيء خائف .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين في غير ضَعْف ، القوي في غير عُنْف .

وقال الوليد بن عبد الملك لآبيه : يَا أَبَتِ ، مَا السَّيَاسَةُ ؟ قَالَ : هِيَ الْخَاصَّةُ مَعَ صَدَقِ مَوَدَّتِهَا وَاقْتِيَادُ قُلُوبِ الْعَامَةِ بِالْإِنصَافِ لَهَا ، وَاحْتِمَالُ هَفَوَاتِ الصَّنَائِعِ .

بن الوليد
عبد الملك وآبيه
في السياسة

وكتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : أَمَلَكِ الرِّعْيَةَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا تَنْظُرُ بِالْحُبِّ مِنْهَا ، فَإِنْ طَلَبَكَ ذَلِكَ مِنْهَا بِإِحْسَانِكَ أَدُومَ بَقَاؤِهِ مِنْهُ بِاعْتِسَافِكَ . وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَمْلِكُ الْأَبْدَانَ فَاجْمَعْ لَهَا الْقُلُوبَ بِالْحُبِّ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّعْيَةَ إِذَا قَدَّرْتَ أَنْ تَقُولَ قَدَّرْتَ أَنْ تَفْعَلَ ؛ فَاجْهَدْ أَلَّا تَقُولَ تَسْلَمُ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ .

لأرسطوطاليس
الإسكندر

وقال أردشير لاصحابه : إِنَّمَا أَمْلِكُ الْأَجْسَادَ لَا النِّيَّاتِ ، وَأَحْكُمُ بِالْعَدْلِ لَا بِالرَّضَى ، وَأَخْصُصُ عَنِ الْأَعْمَالِ لَاعَنِ السَّرَائِرِ .

وكان عمرو بن العاص يقول في معاوية : اتَّقُوا أَدَمَ^(١) قَرِيشَ وَابْنَ كَرِيمِهَا ، مِنْ يَضْحَكُ فِي النَّصَبِ ، وَلَا يَنَامُ إِلَّا عَلَى الرَّضَى ، وَيَتَنَاوَلُ مَا فَوْقَهُ مِنْ تَحْتِهِ^(٢) .

وقال معاوية : إِنْ لَا أَضْعُ سِنِي حَيْثُ يَكْفِينِي سَوَاطِي ، وَلَا أَضْعُ سَوَاطِي حَيْثُ يَكْفِينِي لِسَانِي ؛ وَلَوْ أَنَّ بَنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ . قَلِيلٌ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ إِذَا مَدَّوْهَا أَرْخَيْتُهَا ، وَإِذَا أَرْخَوْهَا مَدَدْتُهَا .

لمعاوية
في سياسته

وقال عمرو بن العاص : رَأَيْتُ مُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ أَيَّامِنَا بِصَفَيْنَ خَرَجَ فِي عُدَّةٍ لَمْ أَرَهُ خَرَجَ فِي مِثْلِهَا ، فَوَقَّفَ فِي قَلْبِ عَسْكَرِهِ لِحُجْلِ يَأْخُظُ مَيْمَنَتَهُ فِيرَى الْجَنْجَلَ ، فَيَبْدُرُ إِلَيْهِ مِنْ سَيْدَتِهِ . ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِمِدْرَتِهِ ، فَتُخْنِنُ اللَّحْظَةُ عَنِ الْإِشَارَةِ . فَدَخَلَهُ زَهْرٌ مِمَّا رَأَى ، فَقَالَ : يَا بَنَ الْعَاصِ ، كَيْفَ تَرَى هَؤُلَاءِ وَمَا مِ عَلَيْهِ ؟ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ يَسُوسِ النَّاسِ بِالْدِّينِ وَالْدُّنْيَا مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَوْقَى

لعمرو بن العاص
في معاوية
وسياسته

(١) الأدم : الأسوة أو السيد ؛ وفي بعض الأصول : أكرم .

(٢) يصف حسن تأتية الأمر وقدرته على الصعاب مع يسر .

له من طاعة رعيته ما أوتى لك من هؤلاء . فقال : أفندرى متى يَفُتدُ هذا وفي كم ينتقص جميعه ؟ قلت : لا . قال : في يوم واحد . قال : فأكثرُ التعجب . قال : إلى والله وفي بعض يوم . قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كُذِّبوا في الوعد والوعيد ، وأعطوا على الهوى لا على الفناء : فسدَّ جميعُ ما ترى .

• وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن علي إذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه : أنْ شَمَّرَ للعرب ، وجاهد عدوك ، وأثَر من الظَّنين دينه بما لا يَشْلُم دينك ، وولَّ أهل البيوتات تستصلح به عشارهم .

وقالت الحكماء : أسوسُ الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها ، وقلوبها بخوارطها . وخوارطها بأسبابها من الرغبة والرهبة .

١٠ وقال أبو ريز لابنه شيرويه : لا توسعن على جُندك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقا يضجون به منك : ولكن أعطهم عطاءً قَصدًا ، وآمنهم منعا جميلا ، وابسط لهم في الرجاء ، ولا تبسط لهم في العطاء .

ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده . صدق الذي قال : أجمع كلبك يَتَّبِعُكَ ، وسَمَنهُ يأكلُكَ . فقال له أبو العباس الطوسي : يا أمير المؤمنين ، أما تخشى إن أجمته أن يُلَوِّح له غيرك برغيف فيقبَّعه ويدعَكَ .

٢٠ وكتب أبو ريز إلى ابنه شيرويه من الحبس : أعلم أن كلمة منك تَسفك دماء وأخرى تحقن دماء ، وأن سخطك سيفٌ مسلول على من سخطت عليه ، وأن رضاك بركةٌ مُستفيضة على من رَضيت عنه ، وأن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك . فاحترس في غضبك من قولك أن يخطي . ومن لوتك أن يتغير ، ومن جسدك أن يَخِفَّ ؛ فإن الملوك تُعاقب حَزْماً وتعفو حِلْماً . وأعلم أنك تَجِلُّ عن الغضب ، وأن مُلكك يصنُر عن رضاك ، قدَّرتُ لِسخطك من العقاب كما قدَّرتُ لرضاك من الثواب ^(١)

وخطب سيفيد بن سُويد بمحضر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إن للإسلام حائِطاً مُنبِعا ، وباباً وثيقاً . فحافظ الإسلام الحق وبابه العدل ،

(١) الخبر في عيون الاخبار على اختلاف وزيادة .

ولا يزال الإسلام مَنيعاً ما أشدَّ السلطان ، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل .

وقال عبد الله بن الحكم إنه قد بضطن على السلطان رجلان : رجل أحسن في مُحْسِنِينَ فَأَثْبُوا وَحَرِّم ، ورجل أساء في مسيئين فَعُوقِبَ وَعُفِيَ عَنْهُمْ ؛ فيبذني للسلطان أن يحترس منهما .

لابن الحكم
في الحاقه على
السلطان

وفي التاج : كتب أرويز لابنه شيرويه يوصيه : ليكن من تختاره لولايتك آمراً كان في ضعة فرغته ، أو ذا شرف كان مهتلاً فأصطنعته . ولا تجعله آمراً أصبته بعقوبة فأضع لها ، ولا آمراً أطاعك بعد ما أذلته^(١) . ولا أحداً ممن يقع بقلبك^(٢) أن إزالة سلطانك أحب إليه من ثبوته ؛ وإياك أن تستعمله ضرعاً غمراً^(٣) كثيراً إعجابه بنفسه ، قليلاً تجربته في غيره . ولا كبيراً مُدْبِراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه .

لأرويز يوصي
ابنه شيرويه

بسط المعدلة ورد المظالم

الشياني قال : حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قطبة ابن حميد قال : إني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه - وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ف نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك . فقالت :

نصف المأمون
أمة من أمة

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يُهْدَى لَهُ الرِّشْدُ . وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَسْلُ
تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً . عُدِي عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدٌ

٢٠

(١) زيادة عن عيون الأخبار ونهاية الأرب .

(٢) في نهاية الأرب وعيون الأخبار « في خطبك » .

(٣) الضرع : الضعيف . والفمر : من لا تجربة له .

وَابْتَدَأَ مِنْ ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ۖ ظُلُمًا وَفُرْقًا مِثْلَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ .

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول :

فِي دُونِ مَا قُلْتِ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَدُّ ۖ عَنِّي وَأَفْرِحَ مِثْنِي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصِرْنِي ۖ وَأُخْضِرِي الْخُضْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُعِدُّ
وَالْمَجْلِسُ السَّبْتُ إِنْ يَفُضَّ الْجُلُوسُ لَنَا ۖ نَتَبَعَكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْمَجْلِسُ الْآخِذُ ۝

قال : فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة ،
فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ،
أين الخضم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين . وأومأت إلى العباس
أنه . فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل
كلأها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ، إنك بين يدي
أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فأخفضي من صرتك . فقال المأمون :
دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برء ضيعتها إليها ، وظلم
العباس بظلمه لها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي يبلذها أن يؤجر لها
ضيعتها^(١) ويحسن معاوتها ، وأمر لها بنفقة^(٢) .

١٥ العتبى قال : إنى لقاعد عند قاضى هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد
ابن طلحة وصاحب حرس هشام ، حتى قعدا بين يديه ، فقال : إن أمير المؤمنين
جرائى^(٣) فى خصومة بينه وبين إبراهيم . فقال القاضى : شاهدك على الجوراية .
قال أنترانى قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ، وليس بينى وبينه إلا هذه السُّترة ؟
قال : بلى ، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا بينة . قال : فقام الحرسى
فدخل إلى هشام فأخبره ، فلم نلبث أن قمعت الأبواب وخرج الحرسى فقال :
٢٠ هذا أمير المؤمنين . وخرج هشام ، فلما نظر إليه القاضى قام ، فأشار إليه وبسط

(١) الإيفار : إسقاط الخراج .

(٢) انظر نهاية الأرب (٦ : ٢٧٦) .

(٣) جرائى جوراية ، بالفتح والكسر : وكلنى .

الحكم على هشام
فى خصومة بينه
وبين إبراهيم
ابن محمد

له مُصلًى ، فقام عليه وإبراهيم بين يديه ، وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه . قال : فتكلموا وأحضروا البيّنة . فتمضى القاضى على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق ، فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظلك . فقال له هشام : لقد هممتُ أن أضربك ضربة ينثر منها لحك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلتنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق . فقال هشام : آسرها على ! قال : لا ستر الله علىّ إذا ذنب يوم القيامة إن سترتها . قال : فإني مُعطيك عليها مائة ألب . قال إبراهيم : فسترتها عليه حياته مُنماً لما أخذتُ منه ، وأذعتها بعد مائة تزييناً له .

الحجاج وسليك
إن سلكه

قال : وورد على الحجاج بن يوسف سُلَيْكُ بن سُدْكَه^(١) فقال : أصلح الله الأمير ، أرغبني سَمَك ، واغضض عني بصرك ، واكف عني غربك ، فإن سمعت خطأ أوزللا فدونك والعقوبة . قال : قل . فقال : عصي عاص من عُرض العشيرة ؛ خُلق على اسمي^(٢) وهُدِمَ منزلي ، وخُرِمْتُ عطائي . قال : هيأت ! أو ما سمعت قول الشاعر :

جَانِيكَ مَنْ يَخْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ . تُعْدِي الصَّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرْبِ

وَلَرُبَّ مَاخُوذٍ بِذَنْبٍ عَشِيرِهِ . وَبِمَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ

قال : أصلح الله الأمير ، إني سمعت الله عز وجل قال غير هذا . قال : وما ذلك ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ إِنَّا إِذَا لَطَائِمُونَ ﴾ . فقال الحجاج : على يزيد بن أبى مسلم . فقتل بين يديه ، فقال : افكك لهذا عن اسمه ، واضحك له بعبطائه ، وآبن له منزله ، ومُرْ مناديا ينادى : صدق الله وكذب الشاعر .

(١) لعله فرعون بن عبد الرحمن المعروف بابن سلكه الذى عاصر الحجاج ؛ إذ سلكه ابن سلكه جاهل

(٢) خلق على اسمي ، أى ضرب عليه بخلفه من المداد وذلك إذا أريد جليس العطاء عن صاحبه

وقال معاوية : إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرا إلا الله .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته . فكتب إليه : حَصِّهَا بِالْعَدْلِ وَتَقَطُّطُهَا مِنَ الظُّلْمِ .

لعمري
ابن عبد العزيز
يوصي عادلا

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم - وهو وإلى أرس فارس : ياربيع ، آثر الحق ، والزم القصد ، وابسط العدل ، وارفق بالربة ، وأعلم أن أعدل الناس من أنصف نفسه ، وأجورهم من ظلم الناس لغيره .

للهدي يوصي
ابن أبي الجهم

وقال ابن أبي الزناد : عن هشام بن عروة قال : استعمل ابن عامر عمرو بن أصبغ على الأهواز ، فلما عزله قال له : ماجئت به ؟ قال له مامعي إلا مائة درهم وأثواب . قال : كيف ذلك ؟ قال : أرسلني إلى بلد أهل رجлан : رجل مسلم له مالى وعليه ماعلى ، ورجل له ذمة الله ورسوله ، فوالله مادريت أين أضع يدي . قال : فأعطاه عشرين ألفاً . وقال جعفر بن يحيى : الخراج عموء الملك ، وما استنزير بمثل العدل ، ولا استنزير بمثل الظلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

بين ابن عامر
وابن أصبغ

صلاح الرعية بصلاح الإمام

قال الحكماء : الناس تبع لإمامهم في الخير والشر .

وقال أبو حازم الأعرج : الإمام سوق ، فما فقق عنده جلب إليه .

ولما أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتاج كسرى وسواريه . قال : إن الذى أذى هذا لأمين . قال له رجل : يا أمير المؤمنين ، أنت أمين الله ، يؤذون إلبك ما أذيت إلى الله تعالى ، فإن رمت رتعوأ .

عمر بن الخطاب
وتاج كسرى
وسواريه

ومن أمثالهم فى هذا قولهم : إذا صلحت العين صلحت سواها .

الإصمعى قال : يقال : صنفان إذا صلحا صلح الناس : الأمراء والفقهاء .

اطلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالذوطة ، فأنكر منها شيئا ، فقال لوكيله : ويحك ! إني لأظنك تخوننى . قال : أظن ذلك ولا تسقيته . قال : وتفعله ؟

بين مروان
ووكيله

قال : نعم والله ، إني لأخونك ، وإنك لتخون أمير المؤمنين ، وإن أمير المؤمنين ليخون الله ؛ فَلَعنَ الله شر الثلاثة .

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

الحكام في

الملك والوزراء

قالت الحكام : لا ينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالموودة والنصيحة ، ولا تنفع الموودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف . ثم
٥ على الملوك بعدُ ألا يتركوا محسناً ولا مسيئاً مادون جزاء ؛ فإنهم إذا تركوا ذلك ، تهاون المحسن ، وأجترأ المسيء ، وفسد الأمر ، وبطل العمل .

للأخف في

فساد البطانة

وقال الأخف بن قيس : من فسدت بطائنته كان كمن غصّ بالماء ، ومن غصّ بالماء فلا مَسَاخَ له ، ومن خانته ثِقَاتُهُ فقد أُتِيَ من مَأْمَنِهِ .

لابن الأخف .

١٠ وقال العباس بن الأخف :

قُلِّي لِمَا ضَرَّتْ دَائِي • يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَعِي
كَيْفَ احْتِرَامِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا • كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
وقال آخر :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرُ إِلَيْهِمْ • فَهُمْ كُرْبَتِي فَأَيْنَ الْفِرَارِ

١٥ وأول من سبق إلى هذا المعنى عدى بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر :

لعدى بن زيد

لَوْ يَنْبِئُ الْمَاءُ حَلْقِي شَرِقٌ • كُنْتُ كَالْعَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(١)

وقال آخر :

إِلَى الْمَاءِ يَسْعَى مَنْ يَنْصُرُ بِرَيْقِهِ • قُلْ أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَنْصُرُ بِمَاءِ

وقال عمرو بن العاص : لأسلطان إلا برجال ، ولأرجال إلا بمال ، ولأمال

لابن العاص

في العدل

٢٠ إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

وقالوا : إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواله .

(١) الاعتصار أن يترشف الماء قليلاً قليلاً .

قالوا : ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يُحسِنُ القول ولا يحسن الفعل ولاخير في القول إلا مع الفعل ، ولا في المال إلا مع الجود ، ولا في الصدق إلا مع الوفاء ، ولا في الفقه إلا مع الورع ، ولا في الصدقة إلا مع حُسن النية ، ولا في الحياة إلا مع الصحة .

قالوا : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزرائه وزراء سَوَاءَ أمتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد أن ينتفع منه بمنفعة . وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التساح ، فلا يستطيع أحد أن يدخله وإن كان محتاجاً إليه .

صفة الإمام العادل

- كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله :
- ١٠ أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصالح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، وتصفه كل مظلوم ، ومقرع كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرقيق بها ، الذي يرتادها أطيب المرعى ، ويدودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنئها من أذى الحز والقز . والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالآب الحاني على ولده ، يسعى لهم صفاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، كالأثم الشفيفة البرة الرفيقة بولدها ، حلتها كرها ووضعته كرها ، وربته طفلاً ، تسمه بسمه ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتقطعه أخرى ، وتفرج بعافيته وتنتم بشكايته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، وصي اليتامى ، وغازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم . والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، كالقلب بين الجوارح : تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . والإمام العدل يا أمير المؤمنين ، هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسَمِعُهُمْ ، وينظر إلى الله ويربهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كمعد أتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فتد

كتاب الحسن
البصري إلى عمر
ابن عبد العزيز
في وصف
الإمام العادل

المال ، وشرّد العيال ، فأفقر أهله وفزق ماله .

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخيائث والفواحش فكيف إذا أتاهما من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ؛ فتزوّد له ولما بعده من الفزع الأكبر .

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه قواؤك ، ويفارقك أحباؤك ، يُسلبونك في قعره فريداً وجيداً . فتزوّد له ما يصحّبك (يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه) واذكر يا أمير المؤمنين (إذا بُعِثَ ما في القبور ، وحُصِّلَ ما في الصدور) فالأسرار ظاهرة ، والكتاب (لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) .

فالآن يا أمير المؤمنين ، وأنت في مهل ، قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل ، لا تحك يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة ، فبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يُعَرِّتْكَ الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، وبأكون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . ولا تنظر إلى قدرتك ^(١) اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في جبال الموت ، وموقوف بين يدي الله تعالى في جمع من الملائكة والنبين والمرسلين ، وقد (عَنَتِ الرُّجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) .

إني يا أمير المؤمنين ، وإن لم أبلغ بِعِظَى ما بلغه أولو النهى من عظمي ، فلم آلك شفقةً ونصحا ، فأزِلْ كتابي إليك كدأوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة . والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ^(٢)

هبة الإمام في تواضعه

١ قال ابن السبّاك لعيسى بن موسى : تواضعك في شرفك أكبر من شرفك !

لأن السبّاك

وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رغبة ، وزهد عن قُدرة ، وأنصف عن قُوَّة .

ذكر عن التجاشي أمير الحبشة أنه أصبح يوماً جالساً على الأرض والتاج على رأسه ، فأعظم ذلك أساقفته : فقال لهم : إني وجدتُ فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام ، يقول له : إذا أنعمتُ على عبيد نعمة فواضع إلى أئمتها عليه ، وإني ولدتُ لي الليلة غلام ، فتواضعت لذلك شكراً لله تعالى .

وقال ابن قتيبة : لم يُقلْ بيتٌ أبدعُ من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية :
يُعْضِي حِثَاءً وَيُنْقِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ • فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ ^(١)
وأحسن منه عندى قول الآخر :

فَتَى زَادَهُ عِزُّ الْمَهَابَةِ ذِلَّةً • فَكُلُّ عَزِيزٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعٌ
وقال أبو العتاهية :

يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ^(٢) • لَيْسَ التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطَّيْنَ بِالطَّيْنِ
إِذَا أُرِدْتُ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ • فَانْظُرْ إِلَى مَلَكٍ فِي زِيٍّ مِسْكِينٍ
ذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ وَاللَّهُ نِعْمَتُهُ • وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
وقال الحسن ابن هانئ في هية السلطان مع حجة الرعية :

إِمَامٌ عَلَيْهِ هَيْئَةٌ وَحَجَّةٌ • أَلَا بَابِي ذَاكَ الْحَبِيبُ الْمُحَبَّبُ
وقال آخر في الهية وإن لم تكن في طريق السلطان :
بَنَفْسِي مِنْ لَوْ مَرَّ بَرْدُ بَنَانِهِ • عَلَى كَيْدِي كَانَتْ شِفَاءً أُنَامُهُ
وَمَنْ هَانَى فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهَيْئَتُهُ • فَلَا هُوَ يُعْطِينِي وَلَا أَنَا سَائِلُهُ
ولابن هرمة في المنصور :

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ جِغَافٍ سَرِيرِهِ • إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

(١) البيت للفرزدق في زين العابدين على بن الحسين .

(٢) في الديوان « وطيلتها » .

كريم له وجهان وجهه لدى الرضى • أسبل وجهه فى الكربة باسل
فألم الذى أمنت آمنه الردى • وأم الذى أوعدت بالشكل فأكل
وليس بمعطى العفو من غير قدرة • ويدعو إذا ما مكنته المقاتل
وقال آخر فى الهية :

• أماشم بافتى دين ودنيا • ومن هو فى اللباب من اللباب
أهابك أن أبوح بذات نفسى • وتركى للعتاب من العتاب
وقال أشجع بن عمرو فى هبة السلطان :

منعت مهابتك النفوس حديثها • بالثبته تركه وإن لم تعلم
ومن الولاء مقيم لا يتقى • والسيف تقطر شفتاه من الدم

وقال أيضا لهرون الرشيد :

وعلى عدوك يلبن عم محمد • رصدان : صوة الصبح والإغلام
فإذا تنبه رعتنه ، وإذا غفا • سلئت عليه سبوك الأعلام
وقال الحسن بن هانى فى الهية فأفرط :

ملك تصور فى القلوب مثاله • فكانته لم يخل منه مكان

• ١٥ • ما تنطوى عنه القلوب بقجرة^(١) • إلا يكلمه بها اللحظان^(٢)

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة • لفؤاده من خوفه خفان

فجاء هذا البيت فى إفراطه أن الرجل إذا خاف شيئا أو أحبه أحبه بسمه
وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه ، فالنطف التى فى الأصلاب
داخلة فى هذه الجملة .

قال الشاعر :

• ٢٠ • ألا ترى ليكتيب • يحبك لحمه ودمه

(١) فى الأصول : • بعجرة • وما أثبتنا من الديوان . والجملة : المزة من الفجر ، وهو
الانبعاث فى المعاصى .

(٢) اللحظان : النظر بمؤخر العين .

وقال المكفوف في آل محمد :

أَجِبْكُمْ حُبًّا عَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ . تَضَمَّنَهُ الْأَحْشَاءُ وَالْعَمَّ وَالسَّمَّ
ومثل هذا قول الحسن بن هاني :

وَأَخَذْتُ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى لَئِنْ لَمْ تُخْلَقْ . لَتَخَافَكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقْ
فاذا خافه أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم ، على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر : أنَّ النطف التي أخذ الله ميثاقها يجوز أن يضاف إليها ما هي
لا بد فاعلةٌ من قبل أن تفعله ، كما جاء في الأثر : إن الله عز وجل عَرَضَ عَلَى
آدم ذريته فقال : هؤلاء أهل الجنة ويعملون ، هؤلاء أهل النار ويعملون .

شعر للدلائف
في الهية

١٠ وهأنا أقول في الهية^(١) :

يَا مَنْ يُجَرِّدُ مِنْ بَصِيرَتِهِ . تَحْتَ الْحَوَادِثِ صَائِمَ الْعَزَمِ
رُعْتُ الْعَدُوَّ فَمَا مَثَلَتْ لَهُ . إِلَّا تَفَرَّعَ مِنْكَ فِي الْحُلُمِ
أُنْخِصِي لَكَ التَّيْدِيرُ مُطَرِّدًا . مِثْلَ أَطْرَادِ الْفِعْلِ لِلْإِسْمِ
رَفَعَ الْحَسُودُ إِلَيْكَ نَظِيرَهُ . فَرَأَاكَ مُطْلَعًا مَعَ التَّجَمِّ

للأخطل
في معاوية

١٥ أبو حاتم سهل بن محمد قال : أنشدني العنبي للأخطل في معاوية :

تَسْمُو الْعَيُونُ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ . مُعْطَى الْمَهَابَةِ نَافِعَ ضَرَارٍ
وَتَرَى عَلَيْهِ إِذَا الْعَيُونُ كَمَعَتْهُ . سَيِّمَا الْحَلِيمِ وَهَيْبَةِ الْجَبَّارِ

تم الجزء الأول من كتاب الألوذة في السلطان بين الله ومنه . من قصة خبة وعشرين قسما من
تجزئة المؤلف . يتلوه الجزء الثاني من القسم ، وهو باقي كتاب الألوذة في السلطان من كتاب العقد .
وقد الحمد والمئة . والحمد لله أولا وآخرا وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٢٠

حسن السيرة والرفق بالرعية

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية :
 ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ
 مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ .

مما جاء في
 الكتاب والسنة
 في معنى هذا
 العنوان

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب .
 فقال لهما : أشيرا عليّ . فقال له سالم : اجعل الناس أبا وأخاً وابناً ، فبرّ أباك ،
 واحفظ أخاك ، وارحم ابنك . وقال محمد بن كعب : أحب للناس ما تحب لنفسك
 واکره لهم ما تكره لنفسك ، واعلم أنك أول خليفة يموت .

مشورة سالم
 وابن كعب على
 عمر بن
 عبد العزيز حين
 ولي الخلافة

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبت ، مالك لا تتفدّ في
 الأمور ، فواته لأبالي في الحق لو غلّت بي وبك القدور . قال له عمر : لاتعجل
 يا بُني ، فإن الله تعالى ذم الخرف في القرآن مرتين وحزّمها في الثالثة ، وأنا أخاف
 أن أحل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

بين عمر بن
 عبد العزيز
 وابنه في الرفق

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن أرطاة : أما بعد ، فإن أمكنتك القدرة
 على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك ، وأعلم أن مالك عند الله مثل مال الرعية عندك .
 وقال المنصور لولده عبد الله المهدي : لا تُبْرِم أمرا حتى تفكر فيه ؛ فإن
 فكرة العاقل مرآته تُريه حسناته وسيئاته ؛ وأعلم أن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ،
 والسلطان لا تصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس
 بالعضو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

من عمر إلى
 ابن أرطاة
 في الرفق

مما وصى
 المنصور به ابنه

وقال خالد بن عبد الله القسري لبلال بن أبي بردة : لا يحملك فضل المقدرة
 على شدة السطوة ، ولا تطلب من رعيّتك إلا ما تبذله لها ؛ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) .

وصية خالد
 القسري لبلال

وقال أبو عبد الله كاتب المهدي : ما أخرج ذا القدرة والسلطان إلى

قرين^(١) يَجْزُرُهُ ، وَحِياهُ يَكْفُهُ ، وَعَفْلٌ يَعْقِلُهُ ، وَإِلَى تَجْرِبَةِ طَوِيلَةٍ ، وَعَيْنٌ حَفِيزَةٌ ، وَأَعْرَاقٌ تَسْرَى إِلَيْهِ ، وَأَخْلَاقٌ تُسَهِّلُ الْأُمُورَ عَلَيْهِ ؛ وَإِلَى جَلِيسٍ شَفِيقٍ ، وَصَاحِبٍ رَقِيقٍ ، وَإِلَى عَيْنٍ تُبْصِرُ الْعَوَاقِبَ ، وَقَلْبٍ يَخَافُ الْغَيْرَ . وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لَوْثُ^(٢) الْكِبَرِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ قَلَنْتَاتِ اللِّسَانِ ، وَلَمْ يَتَعَاطَمْ ذَنْبًا وَإِنْ عَظُمَ ، وَلَا ثَنَاءً وَإِنْ سَمِجَ .

٥ وَكَتَبَ أَرْدَشِيرُ إِلَى رَعِيَّتِهِ : مَنْ أَرْدَشِيرُ الْمُؤَيَّدُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَوَارِثُ الْعُظَمَاءِ ، إِلَى الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ هُمْ حِلَّةُ الدِّينِ ، وَالْأَسَاوِرَةُ الَّذِينَ هُمْ حِفْظَةُ الْبَيْضَةِ ، وَالْكِتَابُ الَّذِينَ هُمْ زِينَةُ الْمَمْلَكَةِ ، وَذَوِي الْحَرْثِ الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْبِلَادِ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ سَالِمُونَ ؛ فَقَدْ وَضَعْنَا عَنْ رَعِيَّتِنَا بِفَضْلِ رَأْفَتِنَا بِهَا إِتَاوَتْهَا الْمَوْضُوعَةُ عَلَيْهَا ، وَنَحْنُ مَعَ ذَلِكَ كَاتِبُونَ إِلَيْكُمْ بَرُوصَةً فَاحْفَظُوهَا : لَا تَسْتَشْعِرُوا الْحَقْدَ فَيَدْهَمَكُمْ الْعَدُو ، وَلَا تَحْتَكِرُوا فَيَسْهَمَكُمْ الْقَحْطُ ؛ وَتَزَوَّجُوا فِي الْأَقَارِبِ فَإِنَّهُ أَمْسَ لِلرَّحِمِ وَأَثْبَتَ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَعُدُّوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا ؛ فَإِنَّهَا لَا تُبْقَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا تَرْضَاهَا فَإِنَّ

الْآخِرَةَ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِهَا^(٣) .

ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه وصية مروان
ابن الحكم
عبد العزيز ابنه
حين ولاه مصر

١٥ على مصر ، وقال له حين ودَّعه : أَرْسَلْ سَكِينًا وَلَا تُوصِهِ . أَيْ بَنِي ، انْظُرْ إِلَى مُحَالِكَ ، فَإِنْ كَانَ لَمْ عِنْدَكَ حَقٌّ غَدَوَةٌ فَلَا تُؤَخِّرْهُمْ إِلَى عَشِيَّةٍ ، وَإِنْ كَانَ لَمْ عَشِيَّةٌ فَلَا تُؤَخِّرْهُمْ إِلَى غَدَوَةٍ ، وَأَعْطِهِمْ حَقُّوْقَهُمْ عِنْدَ مُحَالِكَا تَسْتَوْجِبُ بِذَلِكَ الطَّاعَةَ مِنْهُمْ . وَلِمَا كَانَ أَنْ يَظْهَرَ لِرَعِيَّتِكَ مِنْكَ كَذِبٌ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرَ لَمْ مِنْكَ كَذِبٌ لَمْ يَصْدُقْكَ فِي الْحَقِّ . وَاسْتَشِرْ جُلَسَاءَكَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَبِينَ لَكَ فَارْتَدِّبْ إِلَى يَأْتِيكَ رَأْيِي فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ كَانَ بِكَ غَضَبٌ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ فَلَا تَتَوَاضَعْ بِهِ عِنْدَ سَوْرَةِ الْغَضَبِ ، وَاجْبِسْ عَنْهُ عَقُوبَتَكَ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ ثُمَّ يَكُونُ مِنْكَ مَا يَكُونُ وَأَنْتَ سَاكِنٌ الْغَضَبِ مَنْطَفِئُ الْجَمْرَةِ ، فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ جَعَلَ السَّجْنَ كَانَ

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : دِينَ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : دَمٌ .

(٣) الْفَرِيقُونَ الْأَخْبَارُ (١ : ٧)

حلياً ذا أناة . ثم انظر إلى ذوى الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك ؛ ثم ارفع^(١) منازلهم منك على غيرهم ، على غير آسرتسال ولا اقتباس ، أقول هذا وأستخلف الله عليك .

أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي ، قال : قال زياد : ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة ، استعملت رجلاً فكسر خراجيه ، خشي أن أعاقبه ففرز إليه وأستجار به فأمنه ؛ فكتبته إليه : إن هذا أدب سوءاً من قبلى . فكتب إلى : إنه لا ينبغي أن ننسوس الناس سياسة واحدة ، لأنن جميعاً فتمرح الناس في المعصية ، ولا نشد جميعاً ففعل الناس على المهالك . ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للراقة والرحمة^(٢) .

من معاوية
زياد بن جندب
في إليه

١٠ ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

قالت الحكماء : أحزم الملوك من قهر جده هزله ؛ وغلب رأيُه هواه ، وجعل له الفكر صاحباً يُحسِّن له العواقب ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده .

للملك

وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد وكان ولي عهده : يا بُنى ، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه إلا حرفان : حزمٌ وتوان . وقالوا : ينبغي للعاقل ألا يستصغر شيئاً من الخطأ والزلل ، فإنه متى ما استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير ؛ فقد رأينا الملك يُؤثِّر من العدو المحتقر ، ورأينا الصحة تُؤثِّر من السوء اليسير ، ورأينا الأنهار تندفق من الجداول الصغار .

وصية عبد الملك
لولى عهده
الوليد
لبعضهم في اليسير
من الزلل

وقالوا : لا يكون الذم من الرعية لأعيانها إلا لأحد ثلاثة : كرمٌ قُصِّر به عن قدره فاحتمل لذلك حُفناً ، أو لثيمٌ بُلِّغَ به ما لا يستحق فأورثه ذلك بهطراً ، أو رجلٌ مُنِعَ حظُّه من الإنصاف فشكا تقربطاً .

في القم يكون
من الرعية

(١) في بعض الأصول : ارفع .

(٢) الخبر في باب الآداب .

وفي كتاب الهند : خير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيف من كلام الهند في الملوك حولها النسور .

وقيل للملك سلب ملكه : ما الذي سلبك ملكك ؟ قال : دَفَعُ شغلِ اليوم إلى غد ، والتماسُ عُدَّةٍ بتضييع عُدَّة ، واستكفاء كلِّ مخدوع عن عقله . والمخدوع عن عقله من بلغ قدراً لا يستحقه ، وأُثِيبَ ثواباً لا يستوجه .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اتهموا هذه الفرس فإنها تمز مر السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عين .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزم الخلفاء ، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا ذكر عمر تقول : كان والله أحوزياً^(١) نسيج وحده ، قد أعد للأمر أفرأها .

وقال المنيرة بن سُبَّة : ما رأيت أحداً هو أحزم من عمر : كان والله له فضل يمنه أن يتخذه ، وعقل يمنه أن يتخذ .

وقال عمر : لست بحبِّ والحبِّ لا يتخذني .

ومر عمر بينات يُنى ، بأجر وجص ، فقال : لمن هذا ؟ قيل : لعاملك على البحرين . فقال : أبتِ الدرهم إلا أن تُخرج أعناقها ، فأرسل إليه فشاطره ماله .

وكان سعد بن أبي وقاص يقال له المستجاب ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سعد . فلما شاطره عمر ماله ، قال له سعد : لقد هممت . قال له عمر : بأن تدعو علي . قال : نعم . قال إذا لا تجدني يدعاه ربي شقياً .

وهجا رجل من الشعراء سعد بن أبي وقاص يوم القادسية ، فقال :

ألم ترَ أن الله أظهر دينه . وسعدُ يباب القادسية مُعَصِّمُ
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة . ونسوة سعدٍ ليس فيهن آيم
فقال سعد : اللهم اكفني يده ولسانه . فقطعت يده ويكف لسانه .

ولما عزل عمر أبو موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطره ماله ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله ، دعا

(١) الاحوزي : الحسن السياق للأمور وفيه بعض النفاذ

أبا موسى فقال له : ما جاريتان بلنّى أنهما عندك ، إحداهما تُدعى عقيلة والأخرى من بنات الملوك ؟ قال : أما عقيلة لجارية بينى وبين الناس ، وأما التي هى من بنات الملوك فإني أردتُ بها غلاء الغداه . قال : فما جفتان تعملان عندك ؟ قال : رزق شاة في كل يوم ، فيُعمل نصفها غُدوة ونصفها عشية . قال : فما ميكيالان بلنّى أنهما عندك ؟ قال : أنا أحدهما فأوفى أهل به وذبي ، وأما الآخر فيتعامل الناس به . قال : أدفع لنا عقيلة ، والله إنك لمؤن لا تدلّ أو فاجر مُبل^(١) : ارجع إلى عملك عاقصاً بقرتك مُكْتَسِماً بِذَنَبِكَ^(٢) : والله إن بلنّى عنك أمرٌ لم أعِدك .

ثم دعا أبا هريرة فقال له : هل علمت من حين أني استعملتك على البحرين وأنت بلا فعلين ، ثم بلنّى أنك آتيت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار ؟ قال : كانت لنا أفراس تانجت . وعطايا تلاحقت . قال قد حسبتُ لك رزقك ومؤوتك . وهذا فضلُ فأذه . قال : ليس لك ذلك . بلى والله وأوجع ظهرَكَ ! ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه ، ثم قال : إيت بها . قال : احتسبتها عند الله . قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائفا ، أجنّت من أقصى حَجَرِ البحرين يَحْبِي الناس لك لا لله ولا للسليين ؟ ما رجعت بك أُمَيْمَةٌ إِلَّا لِرَعِيَةِ الْحُمْر . وأُمَيْمَةٌ أم أبي هريرة .

وفي حديث أبي هريرة قال : لما عزلني عمر عن البحرين قال لي : ياعدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ؟ قال : فقلت : ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه ، ولكني عدو من عاداهما^(٣) ، وما سرقتُ مال الله . قال : فن أين آتجعت لك عشر آلاف ؟ قلت : خيلٌ تانجت ، وعطايا تلاحقت ، وسهام تانبت . قال : فقبضها مني ، فلما صليتُ الصبح استغفرت لأمير المؤمنين . فقال لي بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف صلواتُ الله عليه .

(١) لا تقل : لا تخون . والمبل : الحديث الداهية ، أو الثالب بحجة .

(٢) القرن : من الشعر . وعقده : عقده وليه . والاكتساع بالذنب : إدخاله بين الأرجل . أراد بالعبارتين : الذلة والمهانة .

(٣) في الأصول : عاداك ، وما أثبتنا رواية عيون الأخبار .

قلت : يوسف نبى وأنا ابن أُمينة ، أخشى أن يُشتم عِرضى ، ويُضربَ ظهرى ،
وَيُنزَعَ مالى .

قال : ثم دعا عمرُ الحارثَ بن وهب ، فقال : ما يُلَاصُّ وأَعْبَدُ يَدُها بمانى
دينار ؟ قال : خرجتُ بِنَفَقَةٍ مَعى فَتَجَرَّتْ فيها . فقال : أما والله ما بعشناكم
لِتَتَجَرَّوا فى أموال المسلمين ، أَدَّها . فقال : أما والله لا عَمِلْتُ عمَلاً بَعْدَها ! قال :
أَنتَظِرُ حَتى أَسْتَعْمَلَكَ !

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص . وكان عاملاً على مصر : من
عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، سلامٌ عليك ، أما بعد . فإنه بلدنى
أنه قُتِلَ لك قاشيةٌ من خيل ولبل وغنم وبقر وعبيد ، وعهدى بك قبل ذلك
أن لا مَالَ لك . فاكْتَبَ لى من أين أَصْلُ هذا المال ولا تكتبه .

فكتب إليه : من عمرو بن العاص إلى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ،
سلام عليك ، فإنى أحمدُ إِيْلِكَ الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه أتانى
كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه ما قُتِلَ لى ، وأنه يعرفنى قبل ذلك لا مال لى . وإنى
أَعْلِمُ أمير المؤمنين أنى بأَرْضِ السَّعْرِ فيه رخيص ، وأنى أعالج من الحرقة والزراعة
ما يُعالج أهلُه ، وفى رِزْقِ أمير المؤمنين سعة . والله لو رأيتُ خيانتَكَ حلالاً
ما خنتُكَ ؛ فأقصرُ أيها الرجل ، فإن لنا أحساباً هى خيرٌ من العمل لك ، إن رجعنا
إليها عشنا بها . ولعمرى إن عندك من لا يَذُمُ معيشته ولا تَذُمُ له [وذكرت أن
عندك من المهاجرين الأولين من هو خيرٌ منى ^(١)] فأثنى كانت ذلك ولم يُفْتَحِ
قُفْلَكَ ولم تَشْرَكَكَ فى عملك ؟

فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنى والله ما أنا من أساطيرك التى تُسَطَّرُ وتُسَقَّك
الكلام فى غير مرجع ، وما يفتى عنك أن تزكى نفسك . وقد بعثتُ إليك محمد
ابن مسلة فضاطره مالك ؛ فإنكم أيها الرُّهطُ الأمراء تجلستم على عيون المال ،

لم يُعوزكم عُذر ، تجمعون لابنائكم ، وتمهدون لأنفسكم . أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار . والسلام .

فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاماً كثيراً . فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً . فقال له عمرو : أتخزمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف أكلته ، ولكنك قدمت إلى طعاماً هو تقدمة شر . والله لا أشرب عندك ماء . فكتب لي كل شيء هو لك ولا نكتمه . فشاغلته ماله بأجمعه ، حتى بقيت نعلاه ، فأخذ إحداها وترك الأخرى ! فغضب عمرو بن العاص فقال : يا محمد بن مسلمة ، قبح الله زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل . والله إنني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلاًها ، وما منها إلا في نيرة^(١) لا تبلغ رُسغِيه ؛ والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يليبس الديباج مزقوراً^(٢) بالذهب .

قال له محمد : اسكت ، والله إن عمر لخير منك ، وأما أبوك وأبوه ففي النار ، والله لولا الزمان الذي سبقك به لألفيت مُقعد شاة يسرك غزوها^(٣) ويسوءك بكؤها^(٤) . فقال عمرو : هي عندك بأمانة الله . فلم يخبر بها عمر

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال : بعث معاوية إلى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدم ، وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر - يعني بالأدم القيد - وكتب إلى عمر يقول : إنني وجدت في حصون الروم جماعة من أسارى المسلمين مقيدين بقيود حديد - أنفذت منها هذا ليراه أمير المؤمنين - وكانت العرب قبل ذلك تقيد بالقيد . قال جرير : هـ ... أو لجدل الأدام^(٥)

وأبوسفيان
في مال وأدم

- (١) النمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب .
(٢) مزورا : مزينا .
(٣) غزوها : دحها .
(٤) بكؤها : قلة لبنها .
(٥) البيت :

هو القين وابن القين لا قين مثله ليطح المساحي أو لجدل الأدام

خرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدم . قال : فذهب أبو سفيان بالأدم والكتلب إلى عمر وأحتسب المال لنفسه . فلما قرأ عمر الكتاب ، قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا في بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاصصتنا به . فقال عمر : أطرحوه في الأدم حتى يأتي بالمال . قال : فأرسل أبو سفيان من أمته بالمال . فأمر عمر بإطلاقه من الأدم . قال : فلما قدم الرسول على معاوية قال له : رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك . قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدم وحسب المال : قال : إني والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه !

١٠ زار أبو سفيان معاوية بالشام ، فلما رجع من عنده دخل على عمر فقال : أجزنا أبا سفيان . قال : ما أصبنا شيئاً فنجزك به . فأخذ عمر غامته فبعت به إلى هند ، وقال للرسول : قل لها : يقول لك أبو سفيان : انظري إلى الخرجين اللذين جئت بهما فأحضرهما . فابست عمر أن أتى بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم ، فطرهما عمر في بيت المال . فلما ولي عثمان ردهما عليه . فقال أبو سفيان : ما كنت لأخذ مالا عابه علي عمر .

١٥ ولما ولي عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطلائع وصدقاتها ثم عزله ، تلقاه في بعض الطريق ، فوجد معه ثلاثين ألفاً ، فقال : أتى لك هذا ؟ قال : والله ما هو لك ولا للسلين ، ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريتها . فقال عمر : عايلنا وجدنا معه مالا ، ما سيبله إلا بيت المال . ورفضه . فلما ولي عثمان قال لعتبة : هل لك في هذا المال ، فإني لم أر لأخذ ابن الخطاب فيه وجها ؟ قال : والله إن بنا إليه الحاجة ، ولكن لا ترد علي من قبلك فردد عليك من بعدك .

٢٠ القحضي^(١) قال ضرب عمر رجلاً بالذرة ، فنادى : يا أقصى ! فقال أبو سفيان : ابن أخي ، لو قبل اليوم تسادى قصياً لانتك منها النطاريف . فقال له عمر : اسكت لا أبالك . قال أبو سفيان : ها ، ووضع سبابة على فيه .

(١) هو الوليد بن هشام القحضي .

عمر وأبو سفيان
في مال حاول
إخفاءه

عمر وعتبة في
مال وجدته

عمر وأبو سفيان
في رجل دعا
بدماء الجاهلية

خليفة بن خياط قال : كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص - وإنما قيل له الناقص لفرط كاله - إلى مروان بن محمد - ويأنه عنه تلكؤ في بيعته - : أما بعد ، فإنني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى . فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . فآتته بيعته .

كتاب يزيد إلى مروان يأمره بالبيعة

ولما منع أهل مروا غسان الماء وزجته إلى الصعاري ، كتب إليهم أبو غسان : إلى بني الأستاه من أهل مرو : ليمسني الماء أو لتصحبكم الخيل . فما أسى حتى أتاه الماء . فقال : الصدق يُبني عنك لا الوعيد .

أبو غسان وأهل مرو حين منوا الماء

وكتب عبد الله بن طاهر الخراساني إلى الحسن بن عمر التقي : أما بعد ، فقد بلغني ما كان من قطع الفسقة الطريق ما بلغ ، فلا الطريق تحمي ، ولا اللصوص تكفي ، ولا الرعية ترضى ، وتطمع بعد هذا في الزيادة : إنك لمنفسح الأمل . وأيم الله لتكفيني من قبلك أو لأوجهن إليك رجلا لا تعرف مرة من جهنم ولا عدوى من رُحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كتاب ابن طاهر إلى الحسن التقي

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم واليه بخراسان : أما بعد ، فإن وكيع بن حسان كان بالبصرة منه ما كان ، ثم صار لصا بسجستان ، ثم صار إلى خراسان ، فإذا أتاك كتابي هذا : فاهدم بناءه ، واحلل لواه . وكان على شرطة قتيبة فعزله . وولى الضبي عم مسعود بن الخطاب .

كتاب الحجاج إلى قتيبة في أمر وكيع

وبلغ الحجاج أن قوما من الأعراب يفسدون الطريق ، فكتب إليهم : أما بعد : فإنكم قد استخفتم الفتنة ، فلا عن حق تقاتلون . ولا عن منكر تنهون ، وإني أتم أن رد عليكم مني خيل تنسف الطارف والثائد ، وتدع النساء آياتي والأبناء يامى والديار خرابا . فلما أتاهم كتابه كفوا عن الطريق .

كتاب الحجاج إلى قوما يفسدون في الأرض

التعرض للسلطان والرد عليه

قالت الحكماء : من تعرض للسلطان أرداه ، ومن تظامن له تخطاه . وشبهوه

لحكماء

في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان لها من الشجر وما لها من الحشيش .
وما استهدف لها من الدوح العظام قصفته . قال الشاعر :

إنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا أَغْصَفَتْ قَصَفَتْ • عِيدَانِ تَبْعَ وَلَا يَبْأَنُ بِالرِّيمِ (١)

لحيب

وقال حبيب بن أوس ، وهو أحسن ما قيل في السلطان :

هو السَّيْلُ إِنِ وَاجَهَتْ أَتَقَدَّتْ طَوْعَهُ • وَتَقْتَادَهُ مِنْ جَانِبِهِ فَيَتَّبِعُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

هو السَّيْفُ إِنِ لَا يَلْتَهُ لَأَنْ مَتْنُهُ • وَحَدَّاهُ إِنِ خَاشَتْهُ حَشِيَّتَانِ

بن معاوية
وأبي الجهم

وقال معاوية لأن الجهم العدوي : أنا أكبر أم أنت ؟ فقال : لقد أكلت في
عُرسِ أُمِّك يا أمير المؤمنين . قال : عند أي أزواجها ؟ قال : عند حفص بن
المُنْزِرَةِ . قال : يا أبا الجهم ، إيتاك والسلطان ، فإنه يفضب غضب الصبي ويأخذ
أخذ الأسد .

وأبو الجهم هو القاتل في معاوية :

وَنُضِيبُهُ لَنُخْبِرَ حَالَتِهِ • فَتُخْبِرُ مِنْهَا كَرَمًا وَلِينًا

تَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا • تَمِيلُ إِذَا تَمِيلُ عَلَى أَيْنَا

معاوية وعبيدة
الأسدي

وقدم عبيدة الأسدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

١٥

مُعَاوَى إِنَّا بَشَرٌ فَأَسْجَعُ • فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَيْدِ

أَكُنْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْنَاهَا • فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ

أَنْتُمْ بِالْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا • وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ

فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكْتَ صَبَا • يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدِ

فصاح به معاوية فقال : ما جزأك على ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ؛ وصدقك

٢٠

إذ كذبوك . قال : ما أظنك إلا صادقا ، وقضى خوائجه .

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال : خطب أبو جعفر المنصور ،

- خُفِيدَ الله وأُتِيَ عليه ثم قال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجل من عُرَضِ الناس فقال : أَذْكَرُك الله الذي ذَكَرْتَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَجَابَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِلا فِكْرَةٍ وَلَا رُويَةٍ : سَمِعَا وَطَاعَةُ لِمَنْ ذَكَرَ بِاللَّهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَذْكَرَ بِهِ وَأَنْسَاهُ فَتَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِيمِ (لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) . وَأَمَّا أَنْتَ ، فَوَاقَهُ مَا أَلَّهِ أَرَدَتْ بِهَا ، وَلَكِنْ لِيَقَالَ : قَالَ فَهَوَّجَ فَصَبْرُ ! وَأَهْوَنُ بِهَا لَوْ كَانَتْ ، وَأَنَا أَحَدُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَخْتَهَا ؛ فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ ، وَمَنَا أَخَذَتْ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْخُطْبَةِ .

الرشيد ومعه
عليه في خطبته

- وَقَامَ رَجُلٌ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ وَهُوَ يَخْطُبُ بِحُكْمٍ ، فَقَالَ : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) فَأَمَرَ بِهِ فَضْرِبَ مِائَةَ سَوْطٍ ، فَكَانَ يَنْتَظِرُ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيَقُولُ : الْمَوْتُ ! الْمَوْتُ . فَأَخِيرَ هَارُونَ أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَاسْتَحْلَاهُ ، فَأَحْلَاهُ .
- وَالْمَدَائِنِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حَتَّى اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ ، فَحَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ ، وَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَعْذِرُكَ . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ مَقَالِكَ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُومَ مِثْلَ مَقَامِكَ . مَنْ هَاهُنَا مِنْ أَقْرَبِ الْحَرَسِ يَقُومُ إِلَيْهِ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ ؟

الوليد ومعه
عليه في خطبته

- الرَّيْثَانِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : خَاطَرَ رَجُلٌ رَجُلًا أَنْ يَقُومَ إِلَى مَعَاوِيَةَ إِذَا سَجَدَ فَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى كَفَلِهِ وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا أَشْبَهَ بِخَيْرِكَ بِعَجِيزَةٍ أَمْلَكَ هَذَا ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مَعَاوِيَةَ عَنْ صَلَاتِهِ قَالَ :

عاطر بن
معاوية وزيد

- يَا بَنَ أَخِي ، إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ كَانَ إِلَى ذَلِكَ مِنْهَا أَمِيلٌ ؛ فَخُذْ مَا جَعَلُوا لَكَ . فَأَخَذَهُ . ثُمَّ خَاطَرَ أَيْضًا أَنْ يَقُومَ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ فِي الْخُطْبَةِ فَيَقُولُ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مِنْ أَوْكَ ؟ فَعَمِلَ . فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : هَذَا يُخْبِرُكَ . وَأَشَارَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ . فَقَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ قَالَ : مَا قَتَلَهُ غَيْرِي ، وَلَوْ أَدْبَيْتُهُ عَلَى الْأَوَّلَى مَا عَادَ إِلَى الثَّانِيَةِ .

- وَخَاطَرَ رَجُلٌ أَنْ يَقُومَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ فِي الْخُطْبَةِ فَيَقُولُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، مِنْ أَمْلَكَ ؟ فَعَمِلَ . فَقَالَ لَهُ : الثَّابِتَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَصَابَتْهَا رِمَاحُ الْعَرَبِ فَبِعِثَتْ

ابن العاص
وعاطر سأل
من أمه

بُعْظَا ، فاشترها عبد الله بن جُدعان للعاص بن وائل ، فولدت فَأُنْجِبَتْ ؛ فَإِنْ
كَانُوا جَعَلُوا لَكَ شَيْئاً نَحْنُهُ .

• دخل خُرَيْمُ الناعم على معاوية بن أبي سفيان ، فظفر معاوية إلى ساقه فقال :
أَيُّ سَاقَيْنِ ! لو أَنَّهُمَا عَلَى جَارِيَةٍ ! فقال له خريم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين !
قال : واحدة بأخرى والبدائي أظلم .

تحلم السلطان

على أهل الدين والفضل إذا اجتمعوا عليه .

زيد عن مالك بن أنس قال : بعث أبو جعفر المنصور إلى وإلى ابن طاوس ؛
فأتيناه فدخلنا عليه ، فإذا هو جالس على قُرْشٍ قد نُصِّدَتْ ، وبين يديه أنطاخ
قد بُطِطَ ، وجلاوزة^(١) بأيديهم السيوف يضربون الاعتاق ، فأومأ إلينا أن
أجلسا ، فجلسنا . فأمارق عنا طويلا^(٢) ، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس
فقال له : حدثني عن أهلك . قال : نعم ، سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركَ الله في حكمه
فأدخل عليه الجور في عدله » . فأمسك ساعة ؛ قال مالك : فضمنت ثيابي من
ثيابه مخافة أن يملأني من دمه . ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عِظْني يا ابن طاوس
قال : نعم يا أمير المؤمنين ، [إِنَّ] الله تعالى يقول ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ .
إِذْ رَمَىٰ ذَاتَ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخَافُ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ . وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ بِأُورَ الشَّيْخَرِ
بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ .
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ قال مالك : فضمنت
ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه . فأمسك ساعة حتى أسود ما بيننا وبينه ،
ثم قال : يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة . فأمسك عنه . ثم قال : ناولني هذه الدواة .

(١) الجلاوزة : الشرطة .

(٢) في بعض الأصول : قتيلا .

فأسك عنه ؛ فقال : ما يمنعك أن تناوئنيها ؟ قال : أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها . فلما سمع ذلك قال : قوما عني . قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم .

قال مالك : فما زلتُ أعرفُ لابن طاووس فضله .

- أبو بكر بن أبي شيبة قال : قام أبو هريرة إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة فقال له : أنظّل عند أبنه فلان ترؤحك بالمرأوح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يُصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفضل ، ثم قال : أسمعوا من أميركم .

أبو هريرة
ومروان بن
أبنا بالجمعة

- فرج بن سلام عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : حدثني رجل من أهل المدينة كان ينزل بشق بني زُرَيْقٍ ، قال : سمعت محمد بن إبراهيم يحدث قال : سمعت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين بالمدينة ليسوا من قريش ؛ فقالوا لأبي جعفر : أجعل بيتنا وبينه ابن أبي ذئب . فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول في بني فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت أشرار . قالوا : أسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد . وكان عامله على المدينة . قال : ما تقول في الحسن بن زيد ؟ قال : يأخذ بالإحنة ويقضي بالهوى . فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو صفك بشيء ، قال : ما تقول في ؟ قال : أعفني . قال : لا بد أن تقول . قال : لا تعدل في الرعية ، ولا تقسم بالسوية . قال : فتذير وجه أبي جعفر . فقال إبراهيم بن يحيى ابن محمد بن علي صاحب المواصل : دأبني بدهه يا أمير المؤمنين . قال : أقعد يا بني ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله دأبور . قال : ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال : يا أمير المؤمنين ، دعنا نحن فيه ؛ بلذني أن لك ابناً صالحاً بالعراق ، يعني المهدي قال : أما إنك قلت ذلك ، إنه الصوام القوام البعيد ما بين الطارين^(١) قال : ثم قام ابن أبي ذئب فخرج ، فقال أبو جعفر : أما والله ما هو بمسوق العقل ، ولقد قال بذات نفسه .

بين أبي جعفر
وأبي ذئب

(١) بعد العارفين : كناية عن شرف النسب .

قال الاحمسي : ابن أبي ذئب ، من بني عامر بن لؤي ، من أنفسهم .

المأمون
والخارث بن
مسين

قال : ودخل الخارث بن مسكين على المأمون فسأله عن مسألة فقال : أقول فيها كما قال مالك بن أنس لا يكفك هارون الرشيد ، وذكر قوله فلم يُعجب المأمون . فقال : لقد تيسرت فيها وتيس مالك . قال الخارث بن مسكين : فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين أتيس ؛ فتغير وجه المأمون . وقام الخارث بن مسكين ففرج وتندم على ما كان من قوله ، فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون ، فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفائه ؛ ثم أقبل حتى دخل عليه ، فقربه المأمون من نفسه ، ثم أقبل عليه بوجهه فقال له : يا هذا ، إن الله قد أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني ، فقال لنبيه موسى صلى الله عليه وسلم إذ أرسله إلى فرعون : ﴿ قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ كَلَهُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى ﴾ قال : يا أمير المؤمنين ، أبوء بالذئب ، وأستغفرُ الرب . قال : عفا الله عنك ، أنصرف إذا شئت .

النصور
وأبو سنيان
الثوري

وأرسل أبو جعفر إلى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فلما دخل عليه قال : عِظْنِي أبا عبد الله . قال : وما عِظْتُ فيها عِلِّتْ فَأَعْظُكَ فيها جِهَلْتُ ؟ فما وجد له المنصور . جوابا .

أبو النضر
وعامل الخليفة

ودخل أبو النضر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة ، فقال له أبا النضر ، إنا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ، ولا نجد بدا من إتمامها ، فما ترى ؟ قال له أبو النضر : قد أتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة ؛ فأيهما اتبعت كنت من أهله .

وأنظر هذا القول ما رواه الأعمش عن الشعبي . أن زيادا كتب إلى الحكم بن عمرو اليفراني ، وكان على الصائفة ^(١) : إن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء ، فلا تقسم بين الناس ذهابا ولا فضة [واقسم ماسوى ذلك ^(٢)] فكتب إليه : « إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين .

(١) الصائفة : الفرزة في الصيف .

(٢) التكلة من البيان والتدين .

واقه لو أن السموات والأرض كانتا رتقاَ على عبد فأتى الله ليجعل له منها مخرجاً ، ثم نادى في الناس فقسم فيهم ما اجتمع له من النعم .

ابن هيرة
والحسن البصري
والشعبي

- ومثله قول الحسن حين أرسل إليه ابن هيرة وإلى الشعبي فقال له : ما زى أبا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها ، فإن أنفذتها واقضت سخط الله ، وإن لم أنفذها خشيت على دمي ؟ فقال له الحسن : هذا عندك ، الشعبي فقيه الحجاز . فسأله فرّق له الشعبي وقال له : قارب وسدد ، فإنما أنت عبد مأمور ، ثم التفت ابن هيرة إلى الحسن وقال : ما تقول يا أبا سعيد ؟ فقال الحسن : يا بن هيرة ، خِف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله . يا بن هيرة ، إن الله مانعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله . يا بن هيرة ، لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فانظر ما كتب إليك فيه يزيد فأعرضه على كتاب الله تعالى ، ١٠ فما وافق كتاب الله تعالى فأنفذه ، وما خالف كتاب الله فلا تنفذه ؛ فإن الله أولى بك من يزيد ، وكتاب الله أولى بك من كتابه . فضرب ابن هيرة يده على كف الحسن وقال : هذا الشيخ صدّقني ورب الكعبة . وأمر للحسن بأربعة آلاف ، وللشعبي بألفين ؛ فقال الشعبي : رفقنا فرقق لنا . فأما الحسن فأرسل إلى المساكين ، فلما اجتمعوا فرقها ، وأما الشعبي فإنه قبلها وشكر عليها . ١٥

معاوية
والأحنف في
استغلاف يزيد

ونظير هذا : قول الأحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استغلاف يزيد . فسكت عنه ، فقال : مالك لا تقول ؟ فقال : إن صدقناك أسخطناك ، وإن كذبتناك أسخطنا الله ، فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله . فقال له : صدقت .

- وكتب أبو الدرداء إلى معاوية : أما بعد . فإنه من يلتبس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكّله الله إلى الناس . ٢٠

كتاب
أبي الدرداء إلى
معاوية

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية : أما بعد فإنه من يعمل بمسأخط الله يصير حامدُهُ من الناس ذامًّا له . والسلام .

كتاب عائشة
إلى معاوية

هشام وثامع
لصحته بأربع

أبو الحسن المدائني قال : خرج الزهري يوماً من عند هشام بأربع ، قيل له : وما هن ؟ قال : دخل رجل على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاحٌ مُلكك واستقامة رعيّتك . فقال : هاتهن . فقال : لا تَعِدَنَّ عِدَّةً لا تَتَّقِي من نفسك بإنجازها . قال : هذه واحدة فهات الثانية . قال لا يَفْرُزَنَّكَ المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المُتَحَدِّرُ وغراً . قال : هات الثالثة . قال : واعلم أن للأعمال جزاء فأتق العواقب . قال : هات الرابعة . قال : واعلم أن الأمور بَفَنَاتٍ فكن على حذر .

١٠ قد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم ! فالتفت إلى المنبرة فقال له : هذا رجل فاستوصي به خيراً .

عبد الملك
والمارث في
ابن الزبير

وقال عبد الملك بن مروان للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة : ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا ؟ - يعني ابن الزبير - : فقال : ما كان كاذباً . فقال له يحيى بن الحكم : من أمك يا حار ؟ قال : هي التي تعلم . قال له عبد الملك : اسكت فهي أنجب من أمك .

الوليد
ابن عبد الملك
والزهري

١٥ دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ما حديثٌ يحدثنا به أهل الشام ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيةً كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات . قال : باطلٌ يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غيرُ نبي ؟ قال بل نبي خليفة . قال : فإن الله يقول لنبه داود : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْزَلُ الْحِسَابُ ﴾ فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة : فاطنك بخليفة غير نبي ؟ قال : إن الناس ليُغرونا عن ديننا .

يحيى بن عمار
وعبد الملك

الأصمعي عن إسحاق بن يحيى عن عطاء بن يسار قال : قلت لوليد بن عبد الملك : قال عمر بن الخطاب : «وددت أني خرجت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي» .

فقال : كذبت . فقلت : أَوَ كَذَّبْتُ ! فَا أَفَلْتُ مِنْهُ إِلَّا بِجُرْئِيَةِ الذَّقَنِ ^(١)

المشورة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ندم من استشار ، ولا شقي من استخار .

وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي ، فقال : (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ؛ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) .

من كلام الله تعالى

ولما مَمَّتْ تَقِيفُ بِالْإِرْتِدَادِ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشَارُوا عِثَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِي ، وَكَانَ مَطْلَعُهُ فِيهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُمْ لَا تَكُونُوا آخِرَ الْعَرَبِ إِسْلَامًا وَأَوَّلَهُمْ إِرْتِدَادًا ؛ فَنَفَعَهُمُ اللَّهُ بِرَأْيِهِ .

عِثَانُ وَتَقِيفُ
لَمَّا هَمَّتْ
بِالْإِرْتِدَادِ

وسئل بعضُ الحكماء : أَيُّ الْأُمُورِ أَشَدُّ تَأْيِيدًا لِلْفَتَى ^(٢) وَأَيُّهَا أَشَدُّ إِضْرَارًا بِهِ ؟ فقال : أَشَدُّهَا تَأْيِيدًا لَهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَتَجَرِبَةُ الْأُمُورِ ، وَحُسْنُ التَّنَبُّثِ . وَأَشَدُّهَا إِضْرَارًا بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : الْإِسْتِدْبَادُ ، وَالتَّهَانُ ، وَالْعَجَلَةُ .

لبعض الحكماء
فيما ينفع ويضر

وأشار حكيم على حكيم برأى فقبله منه . فقال له : لقد قلتَ بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلطُ حُلُوَ كَلَامِهِ بِمِرَّةٍ ، وسهله بَوَعْرَةٍ ، ويحركُ الإشفاقُ منه ما هو ساكنٌ من غيره ، وقد وعيتُ النصحَ وقبلتهُ ؛ إذ كان مصدره من عند مَنْ لَا يُشَكُّ فِي مَوَدَّتِهِ وَصَفَاءِ غِيهِ وَتُصَحُّ حَيِّيهِ . وما زلتُ بحمدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ طَرِيقًا وَاسْخًا ، وَمُنَارًا بَيْنَنَا .

بين حكيم وحكيم

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول : إِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ الْفَطِيرَ . وكان يستعِذُ بآلِهِ مِنَ الرَّأْيِ الدَّيْرِيِّ ^(٣) الْحَمِيرِ .

لِلرَّاسَبِيِّ فِي
الرَّأْيِ الْفَطِيرِ

وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : رَأْيُ الشَّيْخِ أَحْسَنُ مِنْ مَشْهَدِ ^(٤) الْغَلَامِ .

لعل في رأى
الشيخ

(١) مثل يضرب لمن نجا من التلف وقد أشرف .

(٢) في نهاية الأرب (٦ : ٧٠) : « للعقل » .

(٣) الرأى الديري : الذى يسبح بعد فوات الفرصة .

(٤) كذا في بعض الأصول ويعيون الأخبار والذى في سائر الأصول ونهاية الأرب وجملة .

وأوصى ابنُ هُبيرةَ ولده فقال : لا تكن أولُ مُشيرٍ ، وإياك والهُوى والرأى
الفطير . ولا تشيرنَّ على مستبدٍ [ولا على وغد ولا على مسكون ولا على لجوج ،
وخف الله في موافقة هوى المستشير]^(١) ، فإن التماس موافقة لؤم ، والاستماع
منه خيانة .

وكان عامر بن الظرب حكيم العرب يقول : دعوا الرأى يغبَّ حتى يختمر ،
وإياكم والرأى الفطير . يريد الأناة في الرأى والتثبت فيه .
ومن أمثالهم في هذا قولهم : لا رأى لمن لا يُطاع .
وكان المهلب يقول : إن من البلية أن يكون الرأى يد من يملكه دون
من يُصهره .

العتبي قال : قيل لرجل من عبس : ما أكثر ضوابكم ؟ قال : نحن ألف رجل
وفينا حازمٌ واحد ، فنحن نشاوره ، فكأننا ألف حازم .
قال الشاعر :

الرأى كالليل مُسوّدُ جوانبه . والليل لا يَنْجَلِي إلا بإصباح
فأضْمُ مصابيحَ آراء الرجال إلى . مصباح رأيك تَزْدُدُ ضوءَ مصباح

العتبي قال : أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الأعلى وهو أول داخلٍ على
الخليفة وأخرُ خارج من عنده . قال : ثم رأيتُه وإنه لَيُتَّقَى كَمَا يُتَّقَى البعيرُ الأجربُ ،
فقال لي : يا أبا العراق ، أتَهْمَنُ القومُ في سريرتنا ، ولم يقبلوا منا علانيتنا ، ومن
ورائهم وورائنا حكمٌ عدل .

ومن أحسن ما قيلَ فيمن أُشيرَ عليه فلم يقبل ، قولُ سُبَيْحٍ لأهل الجماعة بعد
إيقاع خاله بهم : يَا بَنِي حَنيفَةَ ، بُعْدُ لَكُمْ كَمَا بَعْدَتْ عاد وثمود . أما والله لقد
أبناكم بالامر قبل وقوعه ، كَأَنِّي أَسْمَعُ جَرَسَهُ وَأُبْصِرُ غَيْبَهُ ، وَلَكِنِّكُمْ أَيْتَمُ النَّصِيحَةِ
فاجْتَنَيْتُمُ التَّدَامَةَ . وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكُمْ تَهْمُونَ النَّصِيحَ وَتُسَمُّهُونَ الْحُلِيمَ ، اسْتَشْعَرْتُ

منكم اليأس وخِفْتُ عليكم البلاء . والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غِزَةٍ ، ولقد
أهلَكُم حتى مَلَّ الواعظُ ووهن الموعوظ ، وكنتم كأنما يُعْنَى بما أنتم فيه غيرُكم ،
فأصبحتُم وفي أيديكم من تكذيبِ التصديق ، ومن نصيحتي الندامة ؛ وأصبح في يدي
من هلاككم البكاء ، ومن ذلكم الجزع . وأصبح ما فات غيرَ مردود ، وما بقي
غيرَ مأمون .

وقال القطامي في هذا المعنى :

ومُعَصِبَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا • يزيدك مرّةً مِنْهُ اسْتِغَاةً
وخير الأمر ما استقبلتَ منه • وليس بأنَّ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا
كذلك وما رأيتَ النَّاسَ إِلَّا • إلى ما جَسَرَ غَاوِيهِمْ سَرَاةً
ترام . يغمزون من استرَكُوا • ويحْتَنِبُونَ من صدق الهِصَاةُ^(١)

وكان يقال : لا تستشر معلمي ولا حائكًا ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء .
وأشدُّ في الملحين :

وكيف يُرْجَى العقلُ والرأى عند من • يروح إلى أنثى ويفندو إلى طفل
وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها .

وكان يقال : لا رأى لحاقن ولا حازق : وهو الذى ضنطه الخف . ولا لحاقب^{١٥}
وهو الذى يحد رزًا في بطنه .
ويشد في الرأى بعد فوته :

وعاجز الرأى مضياغ لقرصته • حتى إذا فات أمرُ عاتب القدرا .

ومن قولنا في هذا المعنى :

فلئن سمعتَ نصيحتي وعصيتها • ما كنتُ أولَ ناصحٍ مَعَصِيٍّ^{٢٠}

وقال حبيب في بني قنلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم :

لم يَأْلُكُمْ مالكٌ صَفْحًا ومَغْفَرَةً • لو كانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْهَيَى في لَحْمٍ

(١) المصاع : القنالة والمجالة بالسيف .

حفظ الأمرار

قالت الحكماء : صدوك أوسع لسرك من صدر غيرك .

للحكماء

وقالوا : سرك من دمك . يعنون أنه ربما كان في إفشاءه سفك دمك .

من عبد الملك
إلى الحجاج

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف :

ولا تُفش سرّك إلا إليك . فإنّ لكل نصيح نصيحا

وإني رأيت غشوة الرجا . لي لا يتركون أديما صحيحا

للحكماء

وقالت الحكماء : ما كنت كاتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

وقال عمرو بن العاص : ما استودعت رجلا سرا فأفشاء فليته : لأنني كنت

لعمر بن العاص

أضيق صدرا منه حين استودعته إياه حين أفشاء .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه . فصدر الذي يُستودع السر أضيق

قيل لأعرابي : كيف كتمانك للسر ؟ قال : أجهد المخير وأحلف للمستخير .

لبعض الأعراب

وقيل لآخر : كيف كتمانك للسر ؟ قال : ما قلبي له إلا قبر .

وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء : القدح في الملوك ،

للمأمون

وإفشاء السر ، والتعرض للحرم .

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثنا ، أفلا

أحدثك به ؟ قال لا ، يابني ، إنه من كتم سره كان الخیار له ، [ومن أفشاء كان

الخيار عليه ^(١)] فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا .

وفي التاج أن بعض ملوك النعم استشار وزيره ، فقال أحدهما : لا ينبغي

ملك من ملوك

النعم استشار

وزيره

للك أن يستشير منا أحداً إلا غالياً به ؛ فإنه أموت للسر ، وأحزم للرأى ،

وأجدر بالسلامة ، وأعني لبعضنا من غائلة بعض ؛ فإن إفشاء السر إلى رجل

واحد أوثق من إفشاءه إلى اثنين ، وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشاءه إلى جماعة ؛ لأن

الواحد رَهْنٌ بِمَا أَفْتَى إِلَيْهِ ، والثاني مطلقٌ عنه ذلك الرهن . والثالث عِلاوة فيه . فإذا كان السر عند واحد كان أخرى أن لا يُظهره رغبة ورهبة ، وإن كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة ، واتسعت على الرجلين المعارض . فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بخيانة مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حجة معه ^(١) .

لبعض الشعراء

ومن أحسن ما قالت الشعراء في السر قولُ عمر بن أبي ربيعة :

فَقَالَتْ وَأَرْنَحْتَ جَانِبَ السِّرِّ : إِنَّمَا هِيَ مَعِيَ فَتَحَدَّثَ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرْقُبٍ ، وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
وَقَالَ أَبُو حَجَّجٍ التَّمُتِيُّ :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ ، وَسَأَلِي النَّاسَ عَنْ بَأْسِي وَعَنْ خُلُقِي
قَدْ أَطْعَمَ الطَّغْنَةُ التَّجْلَاءَ عَنْ عُرْضٍ ، وَأَكْتَمُ السِّرَّ فِيهِ طَرِبَةُ الْعُنُقِ
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ يَهُجُو :

أَغْرَبَالًا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا ، وَكَأَنُونا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ

الإذن

يُزِيدُ وَحَاجِبُهُ : قَالَ زِيَادٌ لِحَاجِبِهِ تَجَلَّانَ : كَيْفَ تَأْذِنُ لِلنَّاسِ ؟ قَالَ : عَلَى الْبَيِّنَاتِ ، ثُمَّ عَلَى الْإِسْنَانِ ، ثُمَّ عَلَى الْأَدَابِ . قَالَ : فَن تَوَخَّرَ ؟ قَالَ : مَنْ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ بِهِمْ . قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَلْبَسُونَ كُيُوءَ الشَّتَاءِ فِي الصَّيْفِ وَكُيُوءَ الصَّيْفِ فِي الشَّتَاءِ .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ حُصَيْنٍ إِذَا حَضَرَ بَابَ أَحَدٍ مِنَ السُّلَاطِينِ جُلَسَ جَانِبًا ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ لَتَتَّبَعِدَ مِنَ الْإِذْنِ مُجْهِدًا ؛ قَالَ : لِأَنَّ أَدْعَى مِنْ بَعِيدٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَفْضَى مِنْ قَرِيبٍ . ثُمَّ قَالَ ^(٢) :

لسعيد بن عتبة
في بعده عن
الآذن

(١) انظر عيون الأخبار ونهاية الأرب والوزراء والكتاب للجهمياري .

(٢) الشعر للبعيث بن حريث (انظر الحماسة) .

وإنَّ مَسِيرِي فِي الْبِلَادِ وَمَنْزِلٌ هُوَ الْمَنْزِلُ الْأَخْصَى إِذَا لَمْ أَقْرَبِ
ولست وإنَّ أَذْنِبْتُ يَوْمًا يَأْتَعُ ، خَلَّاقِي وَلَا دِينِي ابْتِغَاءَ التَّحَبُّبِ
وقد عَدَّهُ قَوْمٌ تِجَارَةً رَاجِحَةً ، وَيَعْنِي مِنْ ذَلِكَ دِينِي وَمَنْصِبِي
وقال آخر :

بعض الكراماء

رَأَيْتُ أَتَمَلًّا يُسْرِعُونَ تَبَادُرًا : إِذَا فَتَحَ الْبَوَابُ بَابَكَ إِنْصَبَا
ونحن جُلُوسٌ سَاكِنُونَ رِزَانَةً هـ وَجِلْمًا إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ أَجْمَعًا^(١)

بين معاوية
وابن الأشعث
في الدخول
على الملوك

ووقف الأشعث بن قيس ومحمد بن الأشعث ياب معاوية ، فَأَذِنَ لِلْأَحْنَفِ ،
ثُمَّ أَذِنَ لَابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَأَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ حَتَّى تَقْدَمَ الْأَحْنَفُ وَدَخَلَ قَبْلَهُ . فَلَمَّا
رَأَاهُ مُعَاوِيَةُ غَمَّ ذَلِكَ وَأَحْنَفُهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَذْنْتُ لَهُ قَبْلَكَ
وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ قَبْلَهُ ، وَإِنَّا كُنَّا نَلِي أُمُورَكُمْ نَلِي آدَابِكُمْ ، وَلَا يَزِيدُ مُتَزَيِّدٌ فِي
خَطْوِهِ إِلَّا لِنَقْصٍ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ .

وقال همام الرقاشي^(٢) :

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِ مَغْلَلَةٍ هـ وَفِي الْعَتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
قَتَمْتُ قَبْلِي رَجُلًا مَا يَكُونُ لَمْ هـ فِي الْحَقِّ أَنْ يَلِجُوا الْأَبْوَابَ قَدَامِي
لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرُكَتُ أَقْرَبَهُمْ هـ قُرْبِي وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ
حَتَّى جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضْتُ هـ يَبَابِ قَهْرِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ^(٣)

قيل لمعاوية : إِنَّ آدَابَكَ يَقْدَمُ مَعَارِفُهُ فِي الْإِذْنِ عَلَى وَجْهِ النَّاسِ . قَالَ : لِمَاوِيَةِ فِي آدَاهِ
وما عليه ؟ إِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَتَنْتَفِعُ فِي الْكَلْبِ الْعَقُورِ وَالْجَلِّ الصُّتُولِ ؛ فَكَيْفَ فِي رَجُلٍ
حَسِيبٍ ذِي كَرَمٍ وَدِينٍ ؟

وقالت الحكماء : لَا يُوَاطِبُ أَحَدٌ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ فَيُلْقِي عَنْ نَفْسِهِ الْأَلْفَةَ هـ
ويحتمل الأذى ويكظم الغيظ إلا وصل إلى حاجته .

الحكام
في الوصول
إلى المراد

(١) الشعر الحسبي بن المنذر (انظر البيان والتبيين) .

(٢) في نسخة هذه الأبيات خلاف كبير بين ابن قتيبة والجاحظ وصاحب تاج العروس

(٣) أدلوها بأقوام : استشفع بهم .

وقالوا : من أدمن قَرَعَ الباب يوشك أن يُفْتَحَ له .

وقال الشاعر ^(١) :

كَم من فَتَى قَصَّرت في الرزق خُطوته • أصبته بسهام الرزق قد فَلَجَا
إن الأمور إذا انسَدَّتْ ، مسالكها • فالصبر يفتق منها كل ما ارتججا
لا تَيَأْسَنَّ وإن طالَّتْ مطالبةٌ • إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخِيقْ بذى الصبر أن يحظى بحاجته • ومُذْمَنُ القَرَعِ للأبواب أن يَلججا
ونظر رجل إلى رَوْح بن حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور ؛ فقال له :

بين رجل وروح

لقد طال وقوفك في الشمس . فقال : ذلك ليطول جلوسى ^(٢) في الظل .

ونظر آخر إلى الحسن بن عبد الحميد يُزاحم الناس على باب محمد بن سليمان ،
فقال : أمثلك يَرْضَى بهذا ! فقال :

بين رجل
والحسن بن
عبد الحميد

أهينَ لهم نفسى لأكرمها بهم • ولا يُكْرِمُ النفسَ الذى لا يُهينها

وفي كتاب الهند : إن السلطان لا يقرب الناس لقرب آباءهم ولا يبعدهم
لبُعدهم ، ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم ، فيُقَرِّبُ البعيد لنفعه ، ويُبعد القريب
لضرِّه . وشبهوا ذلك بالجُرْدِ الذى هو في البيت مجاور ، فن أجل ضرِّه نُفِى ،
والبازى الذى هو وحشى ، فن أجل نفعه أُقْتِى .

من كلام الهند

استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال : أُلج ؟ فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرجْ إلى هذا الاستئذنان وقلْ له يقول :
السلام عليكم ، أَدْخِلْ ؟

بين النبي صلى الله
عليه وسلم
ومستأذن

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الاستئذنان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه . الأولى إذن ، والثانية مؤامرة ،
والثالثة عزمة ، إما أن يأذوا وإما أن يرجع .

لعل
كرم الله وجهه

(١) ينسب هذا الشعر لبشار بن برد ، ومحمد بن بشير ، على خلاف في ذلك .

(٢) كذا في نهاية الأرب وفي الأصل : ليطول وقوفى ، والذي اخترناه أجود

الحجَّاب

قال زياد لحاجبه : يا عجلان ، إني وليتك حِجَّابِي وعزتك عن أربع : هذا المنادى إلى الله في الصلاة والفلاح ، لانتحبه عنى فلا مُسلطان لك عليه ، وطارق الليل لانتحبه ، فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء به تلك الساعة ؛ ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة ، فأذْخِله عني وإن كنت في الحافي ، وصاحب الطعام ، فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد .

ووقف أبو سفيان ياب ، عثمان بن عفان وقد آتَخل بعض مصالح المسلمين لحجه ؛ فقال له رجل وأراد أن يُغريه : يا أبا سفيان ما كنت أرى أن تقف ياب مُضْريّ فيحجّبك ، فقال أبو سفيان : لا عِدْمَتُ من قومي من أقف يابه فيحجّبي .

استأذن أبو الرداء على معاوية لحجه ؛ فقال : من يَشْأُ أبواب الملوك يُمْ ويقعد ، ومن يجد باباً مغلقاً يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً ، إن دَعَا أُجِيبَ وإن سأل أُعْطِيَ .

قال محمود الوراق :

شاد الملوك قصورهم فحسبوا . من كل طالب حاجة أو راعب
غالوا بأبواب الحديد لِمِزْها . وتَوَقَّروا في قُبْح وجه الحاجب
فإذا تَلَطَّف للدُّخُول عليهم . راج تَلَقَّوه بِوَعْد كاذِب
فاطْلُب إلى ملك الملوك ولا تكن . بأيدي الضراعة طالبا مِنْ طالبٍ

سعيد بن مسلم ، قال : كنت والياً يارمينية ، ففتر أبو هفان أياها يابى . فلما وصل إلّى مَثَل قائماً بين السباعين وقال : والله إني لأعرف أئواماً لو علموا أن سَفَّ التراب يُقيم من أَرَد أصلابهم لجلوه مُسَكَّة لأرماهم لإِثْراء للتنزه عن عيش وبقى الحواشي . أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطيء العطفة . إنه والله لا يثنيني عنك إلا ما يصرفك عني ، ولأنّ أكون مُعْظِلاً مُعْزِياً أَحَبُّ إلّى من أن أكون

بين سعيد بن
سلم وأبي هفان
في الحجاب

- مُكثِّرًا مَبْدَأً ؛ والله ما نَسْأَلُ عَمَلًا لَا نَضْبِطُهُ ، وَلَا مَالًا إِلَّا وَنَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُ ؛
وهذا الأمر الذي قد صار إليك وفي يدك قد كان في يدي غيرك ، فأمسروا والله
حديثًا ، إنْ خَيْرًا فخير وإنْ شَرًّا فشر . فتَحِبُّ إلى عِبَادِ الله بِحَسَنِ الدِّشْرِ وَلِإِنْ
الْجَانِبِ وَتَسْهِّلُ الْحِجَابَ ، فَإِنْ حُبَّ عِبَادِ الله مَوْصُولٌ بِحُبِّ الله ، وَبُغْضُهُمْ
مَوْصُولٌ بِبُغْضِهِ ، لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ الله عَلَى خَلْقِهِ ، وَرَقَابُوهُ عَلَى مَنْ اغْوَجَّ عَنْ سَبِيلِهِ .
أبو مسهر قال : أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبدك الحُجْبِي ،
فكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

بين أبي مسهر
وإبن عبدك

إِنِّي أَتَيْتُكَ لِلتَّلَاسِيمِ أَمْسٍ فَلَمْ تَأْذَنْ عَيْلِكَ لِالْإِسْتَارِ وَالْحُجْبِ
وَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي لَمْ أَرِدْ وَلَا . وَاقِهِ مَارُذَ إِلَّا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

- فأجابني ابن عبدك ، فقال :

لو كنت كَأَنَّا بِالْحُسْنَى لَقُلْتُ كَمَا . قَالَ ابْنُ أَوْسٍ (١) وَفِيمَا قَالَهُ أَدَبُ
« لَيْسَ الْحُجَابُ بِمُقْصَدٍ عَنْكَ لِي أَمْلًا . إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجُّبُ ،
وَقِفْ يَا بَنِي مُحَمَّدٍ بَنِي مَنْصُورٍ رَجُلٌ مِنْ خَاصَتِهِ تُحِبُّ عَنْهُ ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

ابن منصور
ورجل من
خاصته، حجب عنه

- عَلَى أَيْ بَابِ أَطْلَبُ الْإِذْنَ بَعْدَمَا . حُجِبَتْ عَنْ الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ
وَقَفَّ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى بَابِ بَعْضِ الْمَاشِيِّينَ فَطَلَبَ الْإِذْنَ ، فَقِيلَ لَهُ : تَكُونُ
لَكَ عُرْدَةٌ ، فَقَالَ :

لَنْ أَعْدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ . سَأَصْرِفُ وَجْهِي حَيْثُ تُبْغِي الْمَكَارِمُ
مَتَى يَظْفَرُ الْغَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ . وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ ؟
وَنَظِيرُ هَذَا الْمَعْنَى لِلْعَتَاهِيَةِ حَيْثُ يَقُولُ :

للعتاهي

- قَدْ أَتَيْتُكَ لِلسَّلَامِ مَرَارًا . غَيْرَ مَنْ مَنَّا بِذَلِكَ الْمَزَارِ
فَإِذَا أَنْتَ فِي اسْتِثَارِكَ بِأَلْيَةٍ . لِي عَلَى مِثْلِ حَالِنَا بِالنَّهَارِ
وَقَفَّ رَجُلٌ يَابُ ابْنِ دُفْلٍ ، فَقَامَ بِهِ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ ، فَتَلَطَّفَ فِي رَقْعَةٍ وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ ،
حُجِبَ عَنْهُ

أبو دلف ورجل
حجب عنه

وكتب فيها :

إذا كان الكريمُ له حِجَابٌ • فافضل الكريم على اللئيم ؟
فأجابه :

إذا كان الكريمُ قليلَ مال • ولم يَسُدَّ ثَمَلُ الحِجَابِ
وأبوابُ الملوكِ مُحَجَّبَاتٌ • فلا تَسْتَظْمِرُ حُجَابَ بَابِ

وقال حبيب الطائي في الحِجَابِ :

سأترك هذا البابَ ما دامَ إذنه • على ما أرى ، حتى يلين قليلاً
فما غاب من لم يَأْتِهِ متعمداً • ولا فاز من قد نالَ منه وصولاً
ولا جعلتُ أرزاقنا بيد امرئ • حمى بابَه من أن يُنال دُخُولاً
إذا لم نجد للإذنِ عندك مَوْضِعاً • وَجَدنا إلى ترك المجيء سبيلاً
وأشدُّ أبو بكر الطمار :

لأبي بكر الطمار

مالك قد جُلَّتْ عن وفائك واستبدلتَ يا عمرو شيمَةً كدِرَةً
لستُم ترجون الحسابَ ولا • يومَ تكونُ السماءُ مُنْقَطِرَةً
قد كانت وجهي لديك معرفةً • فاليوم أضخى باباً من التكررة

وقال غيره :

أَتَيْتُكَ للتسليم ؛ لا أني امرؤ • أَرَدْتُ ياتِيائِكَ أسبابَ نائِكَ
فألفيتُ بواباً يبابك مُغْصِراً • بهدمَ الذي وطئته من فضائِكَ
وقد قال قومٌ : حاجبُ المرءِ عاملٌ • على عَرَضِهِ ؛ فاحذرْ خيانتَ عاملِكَ

لبعض الشعراء

وقال الحسن بن هاني :

أيها الزاكب المُنْعَذُ إلى الفضلِ ترفقْ فدونَ فضلِ حِجَابِ
ونعمَ هَبِكَ قد وصلتَ إلى الفضلِ فهل في يدِكَ إلا التُّرَابُ ؟

لحسن بن هاني

وقال آخر - وهو محمود البغدادي :

حِجَابُكَ من مَهَابَتِهِ عَظِيمٌ • وخيرك في الدين غداً يسيراً

لمحمود البغدادي

خَرَجْتُ كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ إِلَّا ۖ تَرَابًا صَارَ فِي نَفْسِي كَثِيرًا

وقال العتابي : القصابي

حِجَابُكَ لَيْسَ يَشْبَهُ حِجَابُ ۖ وَخَيْرُكَ دُونَ مَطْلَبِهِ السَّحَابُ
وَنَوْمُكَ نَوْمٌ مِّنْ وَرْدِ الْمَنَاسِبِ ۖ فَلَيْسَ لَهُ إِلَى الدُّنْيَا إِيَابُ

وقال غيره :

أَنَا بِالْبَابِ وَقِفْ مِنْذُ أَصْبَحْتُ عَلَى السَّرِجِ مُسَكَا بَعْنَانِي
وَبَعْنِ الْبَوَابِ كُلِّ الَّذِي بِي ۖ وَرَأَيْتُ كَأَنَّهُ لَا يَرَانِي

وقال غيره :

إِذَا مَا أُنِينَاهُ فِي حَاجَةٍ ۖ رَفَعْنَا الرِّقَاعَ لَهُ بِالْقَصَبِ
لَهُ حَاجِبٌ دُونَهُ حَاجِبٌ ۖ وَحَاجِبٌ حَاجِبُهُ مُتَحَجِّبٌ ^(١)

١٠

قال أبو بشير ^(٢) : حَجَبِي بَعْضُ كِتَابِ الْعَسْكَرِ ، فَكَبَيْتُ إِلَيْهِ : إِنْ مِنْ لَمْ
رَفَعَهُ الْإِذْنَ لَمْ يَضَعِ الْحِجَابُ ، وَأَنَا أَرْفَعُكَ عَنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، وَأَرْغَبُ
بِكَ عَنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ . وَكُلٌّ مِنْ قَامَ فِي مَنْزِلِكَ ، عَظُمَ قَدْرُهُ أَوْ صَغُرَ . وَحَاوَلَ
حِجَابَ الْخَلِيفَةِ ، أَمَكَّنَهُ ؛ فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْحَالَ وَانْظُرْ إِلَيْهَا بَعَيْنَ الْفَهْمِ تَرَاهَا فِي أَفْجِ
صُورَةٍ وَأَدْنَى مَنَزَلَةٍ .

بين أبي بشير
وبعض كتب
العسكر

١٥

وقد قلت في ذلك :

لابن عبدربه

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْظِمُ حَقَّهُ ۖ وَيَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْهَجْرُ أَوْسَعُ
وَفِي النَّاسِ أَبْدَالُ وَفِي الْمُهْجَرِ رَاحَةٌ ۖ وَفِي النَّاسِ عَنْ لَا يُؤَاتِيكَ مَقْنَعُ
وَإِنْ أَمْرًا يَرْضَى الْهَوَانُ لِنَفْسِهِ ۖ حَرِيٌّ يَجْدَعُ الْأَنْفَ وَالْأَنْفَ أَشْنَعُ

٢٠

وقال آخر :

لبعض الدماء

يَا أَبَا مُؤَمَّى وَأَنْتَ فَتَى ۖ مَا جَدُّ حُلُوِّ ضَرَائِبِهِ ^(٣)

(١) كذا في نهاية الأرب ، والبيت هناك منسوب للعباسي وفي الأصل : • محتجب ،
(٢) هو أبو بشير رازم مولى خالد بن عبد الله القسري ، وفي الأصول : أبو اليسير ، وهو مخبر .
(٣) ضرائبه : بجاياه .

كن على منهاج معرفة * إن وجه المرء حاجيه

فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معانيه

وأنشد حسين الجمل ، وبكر إلى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وأدخل
ابن سعوة^(١) وحمدويه :

٥ ولعمري لئن حُببنا عن الشيخ فلا عن وجهه هناك وجهه

لا ولا عن طعامة النافه النزه * ر الذي حوله لطام بنيه

بل حُببنا به عن الخسف والمسخر * وذاك التبريق والتمويه

تَجَزَى الله حاجباً لك فظاً * كل خير عنا إذا يجزيه

فلقد سرتي دخول أبي سعوة دوني وبعده حمدويه

١٠ إن ذبحي نذالة قد تأتت * من صاحبي يقبح تلك الوجوه

وقال أحمد بن محمد البغدادي في الحسن بن وهب الكاتب :

ومُستَنب عن الحسن بن وهب * وتما فيه من كرم وخير

أنا في كفي أخبره بعلي * فقلت له سقطت على خير

هو الرجل المذهب غير أني * أراه كثير إرخاء الستور

١٥ وأكثر ما يُعْنيه فناءه * حسين حين يخلو بالسرور

« ولولا الريح أسمع أهل حجر : صليل البيض تُقرع بالدكور »

ومن قولنا في هذا المعنى :

ما بال بابك محروساً يوراب * يجميه من طارق يأتي ومُتسَاب

لا يجتنب وجهك الممقوت عن أحد : فالقُت يُنجبه من غير حُجَاب

٢٠ فأعزل عن الباب من قد ظلَّ يحجبه * فإن وجهك طائم على البسَاب

وقف حبيب الطائي يباب مالك بن طوق فحجب عنه ؛ فكتب إليه يقول :

قل لابن طوق رَحَى سَعْدٍ إِذَا خَبَطَتْ * ثَوَائِبُ الدَّهْرِ أَغْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا

(١) في بعض الأصول « شعوة » .

أَصْبَحَتْ حَاتِمًا جُودًا ، وَاحْتَفَهَا هِجَلًا ، وَكَيْسَهَا عِلْمًا ، وَدَغَفَلَهَا^(١)
مَالِي أَرَى الْقَبَّةَ الْبَيْضَاءَ مُقْفَلَةً هِ دُونِي وَقَدْ طَالَ مَا اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا
أَطْنُهَا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً هِ وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَالِكٌ فَأَذْخُلُهَا

باب الوفاء والغدر

- قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقظ بزوال ملكه : قد احتجت
إلى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي ؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى
كتابك تدعوم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعي في حياتي ، وإلا لم
تعجز عن حفظ حُرمتي بعد مماتي . فقال عبد الحميد : إن الذي أمرت به أنفعُ
الأمشيء لك وأنبجها بي ، وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أقتل
معك . وأنشأ يقول :

بين مروان
وعبد الحميد
الكاتب

- أَبْرَأُ وَفَاءً ثُمَّ أَظْهَرَ غَسَدْرَةً هِ فَنَ لِي بِغَدْرِ يُوسَعَ النَّاسِ ظَاهِرَةٌ
أبو الحسن المدائني قال : لما قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عمرو بن سعيد بعد
ما صالحه وكتب له أماناً وأشهد شهوداً . قال عبد الملك بن مروان لرجل كان
يستشيرهُ ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر : ما رأيك في الذي كان مني ؟ قال :
أمرٌ قد فات دَرْكُهُ أ قال : لتقولن أ قال حَزْمٌ لو قَتَلْتَهُ وَحَيْثُ . قال : أولستُ^{١٥}
بجئ ؟ فقال : ليس بجئ مَنْ أَوْقَفَ نَفْسَهُ مَوْقِفًا لَا يُوثِقُ لَهُ بِمَهْدٍ وَلَا بِمَقْدٍ . قال
عبد الملك : كلامٌ لو سَبَقَ سَمَاعُهُ فَنَلَى لَأَمْسَكْتُ .

عبد الملك بعد
قتله ابن سعيد

- المدائني قال : لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة واختلف فيه الشهود
أربعين يوماً^(٢) ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور ، فقال : إن دولتكم
هذه جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوتها وجذبوهم مرارتها ، لتسرع محبتكم إلى قلوبهم^{٢٠}

أبو جعفر
وابن هبيرة

(١) يعنى : حاتماً الطاقى ، والاحتف بن قيس ، والكيس بن أبي الكيس المحدث - أوزيد
ابن الكيس القرى النسابة - ودغفل بن حنظلة الشيباني النسابة .
(٢) لما هم أبو جعفر أن يكتب الأمان لابن هبيرة ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين
يوماً حتى رضيه ابن هبيرة (الطبرى) .

وَيُعَذِّبُ ذِكْرُكُمْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَما زَلْتُ مُنْتَظِرًا لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ . فَأَمَرَ أَبُو جَعْفَرٍ بِرَفْعِ السُّتْرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، فَظَنَرَ إِلَى وَجْهِهِ وَبَاسَطَهُ بِالْقَوْلِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ قَلْبُهُ . فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِأَصْحَابِهِ : عَجِبًا مِنْ كُلِّ مَنْ يَأْمُرُنِي بِقَتْلِ مِثْلِ هَذَا ! ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ غَدْرًا .

٥ وقال أبو جعفر لَسَلِمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : مَا رَى فِي قَتْلِ أَبِي مُسْلِمٍ ؟ قَالَ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، قَالَ : حَسْبُكَ اللَّهُ أَبَا أُمِيَّةٍ .

قال أبو عمرو بن العلاء : كَانَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ تَمِيمٍ أَغْدَرَ الْعَرَبَ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ ، فَهَلْ فِيهِمُ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَخَالَكَ مِنْهُمْ . غَرِيْبًا ، فَلَا يَفِرُّكَ خَالَكَ مِنْ سَعْدٍ

١٠ إِذَا مَادَعُوا كَيْسَانَ كَانَتْ كَهَوْلُهُمْ . إِلَى الْغَدْرِ أَذْنِي مِنْ شَجَابِهِمُ الْمُرْدُ

الولاية والزل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ ثُمَّ تَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً : فَنَمَمَتِ الْمَرْضَعَةُ وَبُيِّتَتِ الْفَاطِمَةُ .

وقال المخيرة بن شعبة : أَحَبُّ الْإِمَارَةِ ثَلَاثٌ وَأَهْجَرُهَا ثَلَاثٌ : أَحَبُّهَا لِرَفْعِ الْأَوْلِيَاءِ ، وَوَضْعِ الْأَعْدَاءِ ، وَاسْتِرْخَاصِ الْأَشْيَاءِ . وَأَكْرَهَهَا لِرُوعَةِ الْبَرِيدِ ، وَمَوْتِ الْعَزْلِ^(١) ، وَشِمَاتَةِ الْعَدُوِّ .

وقال وَلَدُ ابْنِ شُبْرُمَةَ الْقَاضِي : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْقَضَاءَ . فَتَرَبَّهَ طَارِقُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ^(٢) فِي مَوْكَبِ نَبِيلٍ ، وَهُوَ وَالِي الْبَصْرَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبِي تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ وَقَالَ :

أَرَاهَا وَإِنْ كَانَتْ تَحِبُّ كَأَنِّي . تَحَابُّبُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشُّعُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَهَا « خَوْفُ الْعَزْلِ » .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « مَوْلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَهُوَ خَطَا » وَقَدْ كَانَ طَارِقُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَامِلًا عَلَى شُرْطَةِ الْكُوفَةِ لِحَالِدِ الْقَسْرِيِّ .

الذي صلى الله عليه وسلم

لابن شعبة في حب الولاية وكرامتها

بين ابن شبرمة وأبيه في موكب طاروق

ثم قال : اللهم لي ديني ولم دنياهم : فلما ابتلى بالقضاء قلت له : يا أبت ،
أذكر يوم طارق ؟ قال : باني ، إنهم يجدون خلفاً من أهلك ، وإن أباك لا يجد
خلفاً منهم : إن أباك حط في أهوائهم ، وأكل من حلوائهم !

قيل لعبد الله بن الحسن : إن فلاناً غيّرته الولاية . قال : من ولي ولاية يراها
أكبر منه تغير لها ، ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها .

لابن الحسن
في رجل غيّرته
الولاية

ولما عزل عمر بن الخطاب المنيرة بن شعبة عن كتابة أبي موسى ، قال له :
أعنّ عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكني أكره أن
أحل فضل عقلك على العامة .

بين عمر والمنيرة
حين عزله

وكتب زياد إلى معاوية : قد أخذت العراق يميني وبقيت شمالي فارغة
- يعرض له بالحجاز - فبلغ ذلك عبد الله بن عمر ، فرفع يده إلى السماء وقال :
اللهم اكفنا شمال زياد . فخرجت في شماله قرحة فقتلته .

دمعة ابن عمر
على زياد

ولقي عمر بن الخطاب أبا هريرة ، فقال له : ألا تعمل ؟ قال : لأريد العمل .
قال : قد طلب العمل من هو خير منك : يوسف عليه الصلاة والسلام ، قال :
(اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) .

بين ابن الخطاب
وأبي هريرة

المدائني قال : كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القسري ،
فكان لا يركب خاله إلا رآه في موكب ، فبرم به ، فقال لرجل من الشرط : إيت
ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له : يقول لك الأمير : مالزومك باني
وموكبي ؟ لا أولئك ولاية أبدا . فأتاه الرسول فأبلغه . فقال له بلال : هل أنت
مبلغ عن الأمير كما بلغتني عنه ؟ قال : نعم . قال : قل له : والله لن وليتني لأعزلتني .
فأبلغه ذلك . فقال خالد : ماله قاتله الله ! إنه ليعيد من نفسه بكفاية .
فدعاه فولّاه .

خالد القسري
وتوليته بلالا

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً ، فبادر الرجل فطلب منه العمل ،
فقال له عمر : والله لقد كنت أردت لك لذلك ، ولكن من طلب هذا الأمر لم يعن عليه .

بين عمر
وطالب عمل

وطلب العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية ، فقال له : يا عم ،
نفس تحبها ، خير من ولاية لا تحبها .

وطلب رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عملاً ، فقال له : إنا لانستعين
عليه وسلم
ورجل طلب عملاً
على عملنا بمن يريده .

وتقول النصارى : لا تختار للجنّة إلا زاهداً فيها غير طالب لها .

وقال زياد لأصحابه : من أعبط الناس عيشاً ؟ قالوا : الأمير وأصحابه
أعبط
الناس عيشاً
قال : كلا ، إن لأعواد المنبر لحيّة ، ولقرع لجام البريد لفزعة ؛ ولكن أعبط
الناس عيشاً رجل له دار يجرى عليه كراؤها ، وزوجة قد وافقته في كفّاف من
عيشه ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإن عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه .

وكتب المنيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف أن يستبدل به :
أما بعد ، فقد كبرت سنّي ، وورق عظمي ، وأقرب أجلي ، وسفهي سفهاء
قريش ، فرأى أمير المؤمنين في عمله موفق .

فكتب إليه معاوية : أما ما ذكرت من كبر سنك ، فأنت أكلت شبابك ؛
وأما ما ذكرت من اقتراب أجلك ، فأني لو أستطيع دفع المنية لدفعها عن
آل أبي سفيان ؛ وأما ما ذكرت من سفهاء قريش ، فلباؤها أحلوك ذلك المحل ؛
وأما ما ذكرت من العمل ، فـ ذ صَحَّ رُوِيَذا يُلْزَمُكَ الْهَيْجَا حَمَلٌ " ، وهذا مثل ،
وقد وقع تفسيره في كتاب الأمثال .

فلما انتهى الكتاب إلى المنيرة كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له
فخرج وخرجنا معه ، فلما دخل عليه قال له : يا منيرة ، كبرت سنك وورق عظمك
ولم يبق منك شيء ، ولا أراي إلا مستبدلاً بك . قال الحديث عنه : فأنصرف
إلينا ونحن نرى الكتابة في وجهه ، فأخبرنا بما كان من أمره . قلنا له : فما تريد
أن تصنع ؟ قال : ستعلمون ذلك . فأتي معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك

(١) حمل : هو حلل بن يدر من فرسان العرب ؛ والمثل في التهي عن العجلة . والاصل
فيه: التهي عن العجلة في الذبح ، ثم استعمل في التهي عن العجلة عامة .

الأنفس لِيُعَدِّي عليها ويُراح ، ولست في زمن أبي بكر ولا عمر ، فلو نصبتَ لنا
عَلَمًا من بعدك نصير إليه ! فإني قد كنت دعوتُ أهل العواق إلى بيعة يزيد .
فقال : يا أبا محمد ، أنصرف إلى عملك ورمُ هذا الأمر لابن أخيك . فأقبلنا
زكُض على النُجُب ، فالتفت فقال : والله لقد وضعتُ رجله في ركاب طويل أُلقي
عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

باب من أحكام القضاة

قال عمرُ بن عبد العزيز : إذا كان في القاضى خمسُ خصال فقد كُمل : عِلْمٌ بما
كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطمع ، وحِلْمٌ عن الخصم ، واقتداءٌ بالآئمة ، ومشاورةُ
أهل العلم والرأى .

لعمري بن
عبد العزيز

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا أتاك الخصم وقد فُتت عينه ، فلا تحكم له حتى
يأتى خصمه ؛ فله قد فُتت عيناه جميعاً .

وكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية في القضاء كتاباً يقول فيه : إذا تقدم
إليك الخصمان فعليك بالبيّنة العادلة أو اليمين الفاعلة ، وإدناء الضعيف حتى يشتد
قلبه وينسبط لسانه ؛ وتماهد الغريب ! فإنك إن لم تتعاهده سقط حقّه ورجع إلى
أهله ؛ وإنما ضيع حقّه من لم يرفقه به : وآس بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك
بالصالح بين الناس مالم يبين لك فصل القضاء .

كتاب عمر بن
الخطاب إلى
معاوية في القضاء

الثبتي قال : تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد
ابن أبي دؤاد القاضى في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ؛ فزرى عليه ابن المهدي
وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه ذلك ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت
أحدًا في مجلس الحكم فلا أعلن أنك رفضت عليه صوتًا ، ولا أشرت إليه يدي ،
وليكن قصدك أمّا ، وطريقك نهجًا ، وريحك ساكنة ؛ ووفّ مجالس الحكومة
حقوقها مع التوقير والتعظيم والتوجيه إلى الواجب ؛ فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل
لذهبك في تحذرك وعظم تحطرك ؛ ولا تعجل ؛ فربّ بحملة تهب ريتاً . والله

بصمك من الزلل ، وَحَطَلَ القول والعمل ، وَبِمِ نِعْمته عليك كما أَمَّها على أبريك
من قبل ، إِنَّ ربك حكيم عليم . قَالَ إبراهيم : أَصْلَحَكَ اللهُ ، أَمَرْتَ بِسَدَامِ ،
وَحَضَنْتَ عَلَى رِشَاد . وَلَسْتُ بِعَائِدٍ إِلَى مَا يُلِمْ مَرُوءِي عِنْدَكَ ، وَبُسْقَطِي مِنْ
عَيْنِكَ ، وَبُخْرِجَنِي عَنْ مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَالِ ؛ فَمَا أَتَذَا مَعْتَرِ إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ
الْبَادِرَةِ اعْتِدَارَ مُقَرَّرٍ بِذَنْبِهِ ، بِأَخِيعَ بِجُرْمِهِ ، فَإِنَّ الْغَضَبَ لَا يَزَالُ يَسْتَفْرِغُ بِمَوَادِّهِ فَيَرُدُّنِي
مِثْلَكَ بِجِلْبِهِ ؛ وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَنَا مِنْكَ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . وَقَدْ وَهَبْتُ
حَقِّي مِنْ هَذَا الْقَطَارِ لِبُخْتِشُوعٍ ؛ فَلَيْتَ ذَلِكَ يَقُومَ بِأَرْشٍ^(١) الْجَنَانِيَةِ ؛ وَلَنْ يَتَلَفَ
مَالٌ أَفَادَهُ رِعْظَةٌ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ^(٢)

- ١٠ وَكُتِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، رَوَاهَا ابْنُ عُيَيْنَةَ : أَمَا بَعْدُ
فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ، وَسُنَّةٌ مَتَّبَعَةٌ ؛ فَافْهَمْ إِذَا أَذَلَّ إِلَيْكَ الْخَصْمُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ
فَكَلَّمُ بِحَقِّ لَا نَفَاذَ لَهُ ، أَسِ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِكَ وَوَجْهِكَ ؛ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ
فِي حَيْفِكَ وَلَا يَخَافُ ضَعِيفٌ مِنْ جَوْرِكَ . الْبَيْتَةُ عَلَى مَنْ أَدْعَى وَالْبَيْتُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ
وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . وَلَا يَمْنَعُكَ
قَضَاءُ قَضِيَّتَ بِهِ بِالْأَمْسِ ثُمَّ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرَشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ؛
١٥ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَالرَّجُوعَ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ التَّهَادِي عَلَى الْبَاطِلِ . الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا
يَتَلَجَّجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَمْ يَلْنُفِكَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَلَا سُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَاعْرِفِ الْأَمْثَالَ وَالْأَنْشَاءَ ، وَقِسِ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ثُمَّ أَعْمِدْ إِلَى أَحَبِّهَا عِنْدَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَأَشْبِهَا بِالْحَقِّ ؛ وَاجْعَلِ لِلدَّعَى أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ أَحْضَرَ
يَنْتَهِي أَمَحْدَتُ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا وَجَّهْتَ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْلٌ لِلْعَمَى وَأَبْلَغُ فِي
الْعُدْرِ . وَالْمُسْلِمُونَ عُذُولُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ ، أَوْ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ
٢٠ شَهَادَةً زُورَ ، أَوْ ظَنِينًا فِي وِلَاةٍ أَوْ قَرَابَةٍ أَوْ نَسَبٍ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ ،
وَدَرَأَ عَنْكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ ؛ ثُمَّ إِيَّاكَ وَالتَّأَذَّى بِالنَّاسِ وَالتَّنَكُّرَ لِلْخَصُومِ فِي

(١) الْأَرِشُ : الدَّيَّةُ .

(٢) الظَّرْزَرَةُ الْآدَابُ الْحَصَرِيُّ (١ : ٢٣٢) .

كتاب عمر بن
الخطاب إلى
أبي موسى
الأشعري في
القضاء

مواطن الحقوق التي يُوجب الله بها الأجر ويُحسن بها النحر ، فإنه من تَخَلَّصُ
نيتة فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تَزَيَّنَ
للناس بما يعلم الله خلافه منه هَتَكَ الله^(١) ستره .

- وله أيضاً يوصيه وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى : أما بعد ؛
فإن للناس نُفَرَةً عن سلطانهم ؛ فاحذر أن تدركنى وإياك غمياء مجهولة ، وضغائن
محمولة ، وأهواء مُتَّبِعَةٌ ، ودُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . أقم الحدود واجلس للظالم ولو ساعة من
النهار وأخف الفساد واجعلهم يدًا يداً ورجلاً رجلاً ، وإذا كانت بين القبائل نائرة
فتادوا يا لفلان ! فإنما تلك نجوى من الشيطان ، فاضربهم بالسيف حتى يغبوا
إلى أمر الله وتكون دعواتهم إلى الله والإسلام واستديم النعمة بالشكر ، والطاعة
بالتألف ، والمقدرة بالعمو والنصرة بالتواضع والمحبة للناس . وبلغنى أن ضبة^{١٠}
تنادى : يا لَضَبَةٍ . والله ما علمت أن ضبة ساق الله بها خيراً قط ولا صرف بها
شراً . فإذا جماع كتابى هذا فأنهكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا ، وأصق
بَيْلَانَ بن خَرْشَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ . وَعُدَّ مَرْضَى المسلمين ، وأشهد جنازهم ، وياشر
أمرهم ، واقنع بابك لهم ؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً
وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فُتِسَ لك ولأهل بيتك هبة في لباسك ومطعمك^{١٥}
ومركبك ليس للمسلمين مثلاً ؛ فَإِيَّاكَ يا عبد الله أن تكون كالهيمة : هُمُها في السَّمَنِ
والسَّمَنِ حَتْفُها . وأعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من يشقى
به الناس . والسلام^(٢) .

- أراد عمر بن الخطاب أن يَغْزُو قوماً في البحر ، فكتب إليه عمرو بن العاص
وهو عامله على مصر : يا أمير المؤمنين ، إنَّ البحر خلق عظيم ، يركبه خلق صغير ،
دُودٌ على عود . فقال عمر : لا يسألنى الله عن أحد أحله فيه .^{٢٠}

للشعبي قال : كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشكى زوجها

(١) انظر نهاية الأرب ، وعيون الأخبار ، وجمع الأعشى ، والبيان والتبيين .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة والبيان والتبيين (٢ : ١٥٥) .

ابن الخطاب
وابن العاص
والغزو في البحر

وهو غائب وبكى بكاء شديداً ، فقلت : أصلحك الله ، ما أراها إلا مظلومة . قال : وما عليك ؟ قلت : لبكائها . قال : لا تفعل ! فإن إخوة يوسف جاءوا بأبائهم عشاءً يَسْكُونُ ، وهم له ظالمون .

وكان الحسن بن أبي الحسن ، لا يرى أن يرد شهادة رجل مسلم إلا أن يجزحه
 ٥ المشهود عليه : فأقبل إليه رجل فقال : يا أبا سعيد ، إن إياساً ردّ شهادتي . فقام معه الحسن إليه فقال : يا أبا واثقه ، لم ردّدت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم : له مالنا وعليه ما علينا ؟ فقال : يا أبا سعيد ، إن الله يقول : (مَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) وهذا لا يَرْضَى .

ودخل الأشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة ، فقال : مرحباً
 ١٠ وأهلاً بشيخنا وسيدنا ، وأجلسه معه . فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث . فقال له شريح : قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك . قال بل أكلّمه من مجلسي . فقال له : تتقو من أولائهم من يُقبلك . فقال له الأشعث : لشد ما لرتعت ؟ قال : فهل رأيت ذلك ضررك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .

وأقبل وكيع بن أبي سود صاحب خراسان ليشهد عند إياس بشهادة ، فقال :
 ١٥ مرحباً وأهلاً بأبي مطرف وأجلسه معه ، ثم قال له ما جاء بك ؟ قال لأشيد لفلان . فقال : مالك وللشهادة ! إنما يشهد الموالي والتجار والسوقة . قال صدقت ، وانصرف من عنده فقيل له : خذحك ، إنه لا يقبل شهادتك . قال : لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب .

دخل عدى بن أرطاة على شريح فقال : أين أنت أصلحك الله ؟ قال : بينك وبين الجدار . قال : إنى رجل من أهل الشام . قال : نأى المحل سميت الدار^(١) .

٢٠ قال : قد تزوجت عندكم . قال : بالزنا والبين . قال : ووُلِدَ لى غلام . قال : ليَهْنِكُ الفارس . قال : وأردت أن أرحلها . قال : الرجل أحق بأهله . قال : وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملاك . قال : فاحكم الآن بيننا . قال : قد فعلت . قال : على من قضيت ؟ قال : على ابن أمك . قال : بشهادة من ؟ قال : بشهادة ابن

(١) في بعض الأصول : نأى الفار سميت المزارة .

أخت خالتك : يريد إقراره على نفسه .

سفيان الثوري قال : جاء رجل يُخاصم إلى شُرعي في سينور ، قال : بينتك .
 قال : ما أجد بينة في سنور وَلَدْتُ عندنا . قال شُرعي : فاذهبوا بها إلى أمها
 فأرسلوها ، فإن استقرت واستمرت ودرت فهي سنورك ، وإن هي أقشعرت
 وازبأرت^(١) فليست بسنورك

شريح ورجل
 يخاصم في سنور

سفيان الثوري قال : جاء رجل إلى شُرعي فقال : ما نعمل في شاة تأكل
 الدِّي^(٢) ؟ فقال : لَبَنٌ طَيِّبٌ وَعَلَفٌ جَيِّدٌ .

وقيل لشريح : أيها أطيّب الجوزينق أو اللّازينق ؟ قال : لست أحكم على غائب .
 ودخل رجل على الشّعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة ، وهي من أجل النساء
 فأخصمها إليه : فأدلت المرأة بحُجَّتِها وقربت بينتها . فقال للزوج : هل عندك من
 مدّقع ؟ فألشأ يقول :

لمربع وقد
 سئل حكما
 الشّعبي في الفصل
 بين رجل
 وامرأته

فَإِنِ الشَّعْبِيُّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا
 قَتَلَتْهُ بِدَلَالٍ وَبِحُطًى حَاجِبِيهَا
 قَالَ لِلْجَوَاذِ قَرَبِهَا وَأَحْزِرْ شَاهِدِيهَا
 فَقَضَى جَوْرًا عَلَى الْخَصْمِ وَلَمْ يَقْضِ عَلَيْهَا

١٥

قال الشّعبي : فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى تبسم وقال :

فَإِنِ الشَّعْبِيُّ لَمَّا رَفَعَ الطَّرْفَ إِلَيْهَا

ثم قال : ما فعلت بقائل هذه الآيات ؟ قلت : أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين ؛
 بما آتتهك من حُرْمَتِي في مجلس الحكومة وبما افترى به عليّ ! قال : أحسنت .

٢٠

ثم الجزء الثاني من كتاب اللؤلؤة في السلطان . والله المنة
 بتأليفه إن شاء الله تعالى « كتاب القريدة في المروءة » وهو الجزء الثالث من قصة خسة وعمر بن من قسمة اللؤلؤة
 والحمد لله أولاً وآخراً . وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) ازبأرت : انتفشت وتبأت للشر .

(٢) الدِّي : الجراد ، وقيل صفاره .

كتاب الفريفة

أ. في الجروب ومدارها

فرش كتاب الحروب

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

- ٥ قد مضى قولنا في السلطان وتظيمه وما على الرعية من لزوم طاعته وإدامة نصيبته ، وما على السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها ، وقود الجيوش وتديرها ، وما على المُدبِّر لها من أعمال الخدعة ، وانتهاز الفرصة ، والتماس الفرصة ، وإذكاء العيون ، وإشياء الطلائع ، واجتناب المضايق ، والحفظ من الليات . هذا بعد معرفة أحكامها ،
- ١٠ وإحكام معرفته ، وطول تجربته لها ، ولقاساة الحروب ومعاينة الجيوش ، وعليه أن لا يدرع كالصبر ، ولا يحسن كاليقين . ثم نذكر كرم الإقدام^(١) ومحمود عاقبته ، ولثوم الفرار ومنموم معيَّته ، والله المعين .

صفة الحروب

- الحرب : رحي ، يُفأَلها^(٢) الصبر ؛ وقُطِبها المنكر ، ومدارها الاجتهاد ، ونِفأُفها الأناة^(٣) ، وزمامها الخذر . ولكل شيء من هذه ثمرة : ثمرة المنكر الظفر ، وثمره الصبر التأيد ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الأناة اليُمن ، وثمره الخذر السلامة ؛ ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال والحرب بين الناس بجمال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

قال عمر بن الخطاب لعمر بن معد يكرب : صف لنا الحرب . قال : مُرَّة

(١) في بعض الأصول ذكر الميقين . .

(٢) الثفال : ما يسط تحت الرحي ليكون عليه الدقيق .

(٣) الثفاف : ما تنسوى به الرماح .

الذِّقاق ، إذا كشفت عن ساق ؛ من صَبَر فيها عُرِف ، ومن نكل عنها تَلَف ،
ثم أنشأ يقول :

الحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً • تَسْعَى بِرِيَّتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ
حتى إذا حَيَّتْ وَشَبَّ ضَرَامُهَا • عَادَتْ بِجُورَا غَيْرِ ذَاتِ خَلِيلٍ
تَحْمِلُهَا جَزَتْ رَأْسُهَا وَتَسْكُرَتْ • مَكْرُومَةً لِلثَّمِّ وَالْتَقِيلِ

وقيل لعنته الفوارس : صف لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ، وأوسطها
نجوى ، وآخرها بلوى .

الكبت وقال الكبت :

وَالنَّاسُ فِي الْحَرْبِ شَتَّى وَهِيَ مُقْبِلَةٌ • وَيَسْتَوُونَ إِذَا مَا أَذْبَرَ الْقَبْلُ
كُلٌّ بِأَمْسِيَّتِهَا طَبٌّ مُوَلِّسَةٌ • وَالْعَالَمُونَ بِذِي غُدُوِّهَا قُلُلٌ

١٥ لصر بن سيار وقال نصر بن سيار صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ أمرها :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيعَ نَارٍ • وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضَرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى • وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ

١٥ من حكمة سليمان وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام : الشر حلٌّ أوله ، مُرٌّ آخره .
والعرب تقول : الحرب غشوم ؛ لأنها تنال غير الجاني .

الحبيب وقال حبيب :

وَالْحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فِي مَشْهَدٍ • عُدِلَ السَّيْفُ بِهِ بِالْفِ حَلِيمٍ
فِي سَبَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لِقَمَاتًا بِهَا • وَهُوَ الْحَكِيمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمٍ
وَقَالَ أَكْبَمُ بْنُ صَيْقٍ حَكِيمُ الْعَرَبِ : لَاحِلٌ لِمَنْ لَا سَفِيَهَ لَهُ .

٢٠ ونحو هذا قول الأحف بن قيس : مَا قَلَّ سَفَاهَةُ قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا ذُلُّوا .
وقال : لِأَنَّهُ يَطِيعُنِي سَفَاهَةُ قَوْمِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُطِيعُنِي حُلَاؤُهُمْ .
وقال : أَكْرَمُوا سَفَاهَتَكُمْ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ النَّارَ وَالْعَارَ .

وقال النابغة الجعدي :

لنابغة الجعدي
ودعوة النبي
سلي الله عليه
وسلم له

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له • بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهْ أَنْ يُكْدَّرَا
وأُشَدُّ هذا الشعر للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما آتته إلى هذا البيت .
قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لَا يَقْضِيَنَّ اللَّهُ فَاك . فمات ثلاثين ومائة سنة
لم تسقط له ثنيته .

لنابغة البياضي
بصف الحرب

وقال النابغة البياضي يصف الحرب :

تَبْدُو كَوَاكِبَ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ • لَا التُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ
يريد بقوله : « تبدو كواكبه والشمس طالمة » شدة الهول والكره ، كما
تقول العامة : أُرِيَتْهُ النجوم وسط النهار . قال الفرزدق :
• أُرِيَكَ نَجْمَ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ •
وقال طرفة بن العبد :

• وَتَرِيكَ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهْرِ •

وإليه ذهب جرير في قوله :

وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ • تَبْكِي عَلَيْكَ نَجْمَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
يقول : إن الشمس طالمة وليست بكاسفة نجوم الليل ، لشدة الغم والكره
الذي فيه الناس .

لابن هذيل

ومن قولنا في صفة الحرب :

وَمُغَبَّرَ السَّمَاءِ إِذَا تَجَلَّى • يُنَادِرُ أَرْضَهُ كَالْأَرْجَوَانِ
كَأَنَّ نَهَارَهُ ظُلُمَاءٌ لَيْسَ • كَوَاكِبِهِ مِنَ الشَّمْرِ اللَّدَانِ
سَمَوْتُ لَهُ سُمُومٌ تُنْفِجُ فِيهِ • بِكَلِّ مُزَلَّقِي سَلِيبِ السَّنَانِ
وَكُلُّ مُشْطَبِ الْمَتْنِ صَافٍ • كَلَوْنِ الْمَلْحِ مُتَصَلِّ يَمَانِ

وفي صفة المعترك :

وَمُغْتَرِكٌ تَهْزُ بِهِ الْمَنَابِا • ذُكُورَ الْهَنْدِ فِي أَيْدِي ذُكُورِ

لَوَامِعٌ يُبَيِّرُ الْإِنْعَمَى سَنَاها * وَيَعْمَى دُونَهَا طَرْفُ الْبَصِيرِ
وَخَافَةِ الذَّوَابِ قَدْ أَتَأَفَّتْ * عَلَى حَرَاءِ ذَاتِ شَبَابٍ طَرِيرِ^(١)
يُحَوِّمُ حَوْلَهَا عِقَابٌ مَوْتٍ * تَخَطَّفَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الصُّدُورِ
يَوْمَ رَاحَ فِي سِرْبَالِ لَيْلٍ * فَا عُرِفَ الْأَصِيلُ مِنَ الْبُكُورِ
وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو فِي قَنَامٍ * رُنُو الْبِكْرِ مِنْ بَيْنِ الشُّتُورِ
فَكَمْ قَصَرَتْ مِنْ عُمرٍ طَوِيلٍ * وَأَطْلَتْ مِنْ عُمرٍ قَصِيرِ

العمل في الحروب

- لا كنه مني قيل لآكم بن صبيّ: صف لنا العمل في الحرب . قال أقولوا الخلاف على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه . واعلموا أن كثرة الصباح من الفشل ؛ فتنبؤوا ؛ فإن أحمز الفريقين الركين . ورُبَّ عجلة تُغَيِّبُ رَيْثًا . وأدبروا الليل ١٠ فإنه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات .
- لشيب الحروري وقال شيب الحروري : الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع . وكان إذا أمسى يقول لأصحابه : أناكم المدد .
- لأمة يوم الجبل وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يوم الجبل ، وسمعت منازعة أصحابها وكثرة صياحهم : المنازعة في الحرب خور ، والصياح فيها قتل ، وما يرأى خرجت ١٥ مع هؤلاء .
- لجنة يوم بدر وقال عتبة بن ربيعة لأصحابه يوم بدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترونهم خرمًا لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الحيات .
- لابن أبي طالب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من أكثر النظر في العواقب لم يشجع .
- لابن مقرن وقال النعمان بن مقرن لأصحابه عند لقاء العدو : إني هاؤ لك الراية ؛ فليصلح ٢٠ كل رجل منكم من شأنه وليشد على نفسه وفرسه ؛ ثم إني هاؤها لكم الثانية . فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه وموضع عدوه ومكان فرصته ؛ ثم إني هاؤها
- (١) المراد بالحراء: القناة . والشبا: جمع شبة ، وهي الحد . والطير: المحدد .

لكم الثالثة وحامل ، فاحلوا على اسم الله .

وللتعمان بن مقرن هذا ؛ يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ تكاملت
[الخيل] وتطلع الصحابة إلى التقدم عليها : لَا قَلْدُنْ أَعْنَتْهَا رجلا يكون غداً
لأول أسنة يلتاقها ، فقلدها التعمان بن مقرن .

٥ وقال على رضى الله عنه : انتهزوا الفرصة فإنها تمر من السحاب ، ولا تطلبوا
أثراً بعد عين .

وقال بعض الحكماء : انتهز الفرصة فإنها خلّسه ويثب عند رأس الأمر ولا تذب
عند ذنبه ؛ وإياك والعجز فإنه أذلّ من ركب ، والشفيع المهين فإنه أضعف وسيلة .
وخرجت خارجةً بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك ، فقبل له : ما بهمك
منهم ؟ وجه إليهم وكعب بن أبي سود فإنه يكفيهم . فقال : لا ، إن وكيعاً رجل
١٠ به كبيرٌ يمتقر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاة بأعدائه فلم يحترس منهم .
فوجد عدوه غيرةً منه .

وسئل بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال : غائلة العدو عن الريف
ولإعداد العيون على الرصد ، وإعطاء المبلّغين على الصدق ، ومعاينة المتوصلين
بالكذب ، وآلا تخرج هارباً إلى قتال ؛ ولا تُضيق أماناً على مستأمن ، ولا تشدهمك
١٥ الغنيمة عن المحاذرة^(١) .

وفي بعض كتب العجم : إن حكماً سُئل عن أشدّ الأمور تدريباً للجنود وشغلاً
لها . فقال : تعودُ القتال ، وكثرةُ الظفر ، وأن يكون لها موادٌ من ورائها^(٢) .

وقال عمرو بن العاص لمعاوية : والله ما أدرى يا أمير المؤمنين أشجاع أنت
٢٠ أم جبان ؟ فقال معاوية :

مُجَاعٌ إذا ما أمكنني فُرصة . وإن لم تكن لي فُرصةً لجَبَانٌ
وقال الأحنف بن قيس : إن رأيت الشر يتركك إن تركته ، فاتركه .

للعجم في أشد
الأمور تدريباً
بين معاوية
وعمر بن الخطاب

قال هُذَيْلَةُ العُدْرِي :

لهذبة العُدْرِي

ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تاركِي . ولكن متى أتحمل على الشرِّ أركبِ
ولست بمفراح إذا الدهر سرقني . ولا جازع من صريره المتقلبِ

الصبر والإقدام في الحرب

- جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

وتقول العرب : الشجاعة وقاية والجبن مقتلة . واعتبر من ذلك أن من يُقتل مدبراً أكثر من يُقتل مُقبلاً .

للعرب
في الشجاعة

- ١٠ ولذلك قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد : احرص على الموت
توهب لك الحياة .

لأبي بكر
يوصي خالداً

والعرب تقول : الشجاع موقٍ والجبان ملقٍ .

للعرب

وقال أعرابي : الله يُخلف ما أتلف الناس . والدهرُ متلف ما جمعوا ، وكَم من مُنية عِلَّتْها طلب الحياة ، وحياةٌ سببها التعرض للموت .

لبعض الأعراب

- ١٥ وكان خالد بن الوليد يسير في الصفوف يُذمِّرُ الناس ويقول : يا أهل الإسلام : إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر النصر .

لخالد بن الصبر

وكتب أنو شروان إلى سرازته : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ؛ فإنهم أهلُ حُسْنِ الظنِّ بالله .

لأنو شروان

وقالت الحكماء : استقبال الموت خير من استدباره .

للعلماء

- ٢٠ وقال حسان بن ثابت :

لحسان

ولست نعالعِ الأعقابِ نَدَى كُؤُومُنَا . ولكن على أعقابنا نَقْفُرُ الدِّمَاءَ

(١) يذمهم : يمحضهم على القتال .

(٢) روى هذا البيت في الحاشية للحسين بن الحنبل المزي ، من شعره الجاهلية .

وقال العلوي في هذا المعنى :

مَحْرَمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي عَلَى الْقَنَاءِ وَدَامِيَّةٌ لَبَاتُهَا وَنَحَوْرُهَا
حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُذْبِرٍ . وَتَنْدَقُ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وَكَانُوا يَتَحَادَثُونَ بِالْمَوْتِ قَعَصًا^(١) وَيَتَهَاوَنُونَ بِالْمَوْتِ عَلَى الْفَرَّاشِ ، وَيَقُولُونَ
فيه : مات قَلَانٌ حَتَفَ أَنْفِهِ . وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

لعبد الله بن
الزبير في مقتل
أخيه مصعب

وخطب عبد الله بن الزبير الناس لما بلغه قتل مصعب أخيه ، فقال : إن
يُقْتَلُ فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ وَعَمُّهُ ، إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَمُوتُ حَتْفًا وَلَكِنْ قَعَصًا بِأَطْرَافِ
الرِّمَاحِ وَمَوْتًا تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ ؛ وَإِنْ يُقْتَلُ مُعْصَبٌ فَلَنْ يَكُنَ الْزَبِيرُ خَلْقًا مِنْهُ .

السموئيل

وقال سموئيل بن عادياء :

وَمَا مَاتَ مِنْهُ سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِهِ . وَلَا طُلَّ مِنْهُ حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ^{١٠}
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَابِ نَفْسُنَا . وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسِيلُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

وإِنَّا لَنَسْتَحْلِي الْمَنَاسِيَا نَفْسُنَا . وَنَتَرَكُ أُخْرَى مُرَّهَا فَتَدْوُقُهَا

الشنفرى

وقال الشنفرى :

فَلَا تَدْفِنُونِي ، إِنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ . وَلَكِنْ غَايِرِي أُمُّ غَايِرِ^{١٥}
إِذَا حُجِمْتُ رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي . وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلتَقَى ثُمَّ سَازِي
هَنَالِكَ لَا أَبْقَى حَيَاةً تَسُرُّنِي . تَجِيِسُ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَارِ^(٢)
قوله « غَايِرِي أُمُّ غَايِرِ » : هي الضعيف . يعنى : إذا قتلتموني فلا تدفنونى ولكن
ألقونى إلى التى يقال لها : غَايِرِي أُمُّ غَايِرِ ، وهى الضعيف . وهذا اللفظ بعيد

٢٠ من المعنى .

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام - وقيل له : أقتل أهل

لعل يزأري طالب

(١) يقولون : مات قعصا : أى أصابه خربة أو رمية فمات مكانه .

(٢) تجييس الليالى : أى أبدا . ومبسلا : أى مسلما .

الشام بالغداة وتظهر بالعشي في إزار ورداء ؟ فقال : أبالموت تخوفوني ؟ فوالله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقطت علي .

وقال لابنه الحسن عليهما السلام : لا تدعونا أحدا إلى المبارزة ، وإن دُعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع .

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : بقية السيف أنتمى عدداً ،
وأطيب ولداً . يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونما ولدهم .
ومما يستدل به على صدق قوله : ما عمل السيف في آل الزبير وآل أبي طالب
وما أكثر من عددهم .

وقال أبو دلف العجلي :
لأبي دلف العجلي

- سَيِّئِي بَلِيلِي قَبَسِي ۝ وَفِي نَهَارِي أَنَسِي
لَمُنِي فَتَى عَوْدَتِي ۝ مُهْرِي رُكُوبَ النَّعَسِ
يَحْمَدُنِي سَيِّفِي كَمَا ۝ يَحْمَدُ كَرِي قَرَسِي
وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان :

لابن طاهر

- لَسْتُ لِرَيْحَانٍ وَلَا رَاحٍ ۝ وَلَا عَلَى الْجَارِ بِنَاجٍ
فَإِنْ أَرَدْتَ الْآنَ لِي مَوْفِقًا ۝ فَبَيْنَ أَسْيَافٍ وَأَزْمَاجٍ
تَرَى قَتَى تَحْتَ ظِلَالِ الْقَنَا ۝ يَقْبِضُ أَرْوَاحًا بِأَرْوَاجٍ
وقال أشهب بن رميلة :

لابن رميلة

- أَسُودُ شَرِي لَاقَتْ أَسُودَ خَفِيَّةٍ ۝ تَلَا فَوَاعِلِي جُرْدِ مَاءِ الْأَسَاوِدِ
وقيل للمُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ : ما أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة ؟ قال : قَتَى كَانَ
يُخْرِجُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ فِي كُلِّ غَدَاةٍ فَيَقُولُ :

للمُهَلَّب في أعجب ما رأيت في حرب الأزارقة

- وَسَائِلَةٍ بِالْغَيْبِ عَنِي وَلَوْ دَرَّتْ ۝ مُقَارَعَتِي الْأَبْطَالَ طَالَتْ نَحِيْبَهَا
إِذَا مَا التَّقِينَا كُنْتُ أَوَّلَ فَارِسٍ ۝ يَكْوُدُ بَنَفْسٍ أَنْفَعَلَتْهَا دُؤُوبُهَا
ثم يحمل فلا يقوم له شيء . إلا أقدمه ، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك .

وقال هشام بن عبد الملك لآخيه مسلمة : يا أبا سعد ، هل دخلك ذعرُ قط لحرب
أو عدو ؟ قال : ما سلبت في ذلك من ذعر يُنبّه على حيلة ، ولم يَغشَى ذعرُ قط
سلبى رأى . قال هشام : صدقت هذه والله البسالة .

وقيل لعنرة : كم كنتم يومَ الفُروق ^(١) ؟ قال : كُنّا مائة لم نكثر فتكّل ، ولم
نقل فنذل .

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً في الحرب بقول حُصين بن الحُمام :
تَأَخَّرْتُ اسْتَبَقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ، لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَقْدَمَا
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

نَهْنِ الثُّغُوسَ وَذَلِ الذُّفُورَ ۝ مِنْ يَوْمِ الْكَرِيمَةِ أَتَقَى لَهَا
وقيل لعباد بن الحُصين ، وكان من أشدّ أهل البصر : في أيّ عُدّة كنت تُريد أن
تلقى عدوك ؟ قال : في أجلٍ مستأخِر .

وكان مما يتمثل به معاوية رضى الله تعالى عنه يوم صفين :
أَبْتَلِي شَيْئَتِي وَأَبَى بِلَايَ ۝ وَأَخَذَتِ الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرَّيِّجِ
وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي ۝ وَضَرَبَتِ هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيجِ
وَقَوْلِي كُلِّبَا جَشَاتٌ وَجَاشَتْ ۝ مَكَانَكَ تُعَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لِإِدْفَعِ عَنِّي مَا يَرِ صَالِحَاتٍ ۝ وَأَحْمَى بَعْدُ عَنْ عِرْضِ صَحِيحِ
ونظير هذا قول قطرب بن الفُجاءة :

[أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَامًا] ^(٢) ۝ مِنَ الْأَبْطَالِ وَنَجَلِكِ لَا تُرَاعِي
فَأَنَّا لَوْ سَأَلْتِ حَيَاةَ يَوْمٍ ۝ سِوَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين
الصّفين ويقول :

(١) من أمام عيسى وذيّان .

(٢) في الأصل : ۝ وَقَوْلِي كَلِمَاتِ جَشَاتٍ لِنَفْسِي ۝

أَيَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرِ • يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ أَوْ يَوْمَ قَدِرَ
يَوْمَ لَا يُقَدَّرُ لَا أَزْهَبُهُ • وَمِنْ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذَرُ

ومثله قول جرير:

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرُّجُهُ • هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِّكَ الْمَنِيَّةِ نَاحِ

وهذا البيت في شعره الذي أوله:

• هَاجَ الْفَرَاةُ لِقَلْبِكَ الْمَهْتَاجَ •

ومدح فيه الحجاج، فلما أنشده:

• قُلْ لِلْجَبَانِ إِذَا تَأَخَّرَ سَرُّجُهُ •

قال له: جَزَأْتُ عَلَى النَّاسِ يَا بَنَ الْخُتَاءِ! قال: والله ما أَلْقَيْتُ لَهَا بَالًا أَيُّهَا الْأَمِيرُ

إِلَّا وَقَى هَذَا.

وكان عاصم بن الحذئان عالماً ذكياً، وكان رأس الخوارج بالبصرة، وربما جاء الرسول منهم من الجزيرة يسأله عن الأمر يختصمون فيه، فز به الفرزدق، فقال لأبيه: أنشد أبا فراس، فأنشده:

وَهُمْ إِذَا كَسَرُوا الْجُفُونَ أَكَارِمَ • صَبْرٌ وَحِينَ تُحَلَّلُ الْأَزْرَارُ

يَنْشَوْنَ حَوَامِثَ الْمَنُونِ وَإِنَّمَا • فِي اللَّهِ عِنْدَ نُفُوسِهِمْ لَصِرَاطُ

يَمْشُونَ بِالْخَطِيِّ لَا يَنْتَبِهَ • وَالْقَوْمُ إِنْ رَكِبُوا الرِّمَاحَ تَجَارُ

فقاله الفرزدق: ويحك! اكتم هذا لا يسمعه النساجون فيخرجوا علينا بمخوفهم^(١)

فقال أبوه: هو شاعر المؤمنين وأنت شاعر الكافرين.

وقطير هذا ما يشجع الجبان قول عنترة الفوارس:

بَكَرْتُ تَخَوُّتِي الْخُفُوفَ كَأَنِّي • أَصْبَعْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُفُوفِ بِمَنْزِلِ

فَأَجِبْتُهَا: إِنَّ الْمَيِّتَةَ مَثَلُ • لَا يَدُّ أَنْ أَسْقَى بِكَاسِ الْمَنْهَلِ

فَأَقَى حَيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَأَعْلَى • أَنِّي أَمْرٌ سَامُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

(١) الحف: المنسج؛ وفي الأصل: سيوفهم.

سم بن الحذئان
والفرزدق

لدثرة وغيره

ومن أحسن ما قالوه في الصبر ، قولُ ثَمَشَلِ بْنِ حَرَى بْنِ ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيِّ :
وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمَصْطَلِينَ بِمَحْرَهُ • وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَارًا وَقُوفَ عَلَى بَحْرِ
صَبْرَتَا لَهُ حَتَّى يُيَوِّخَ ، وَإِنَّمَا • تَفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرْبَةِ بِالْصَّبْرِ
وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا عِنْدِي قَوْلُ حَبِيب :

فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَفْعِ الْمَوْتِ رَجُلَهُ • وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ إِخْتِصَاكِ الْحَشْرُ
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَسَا أُنَى • لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتُنُسٍ حُضِرَ
وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ :

يَسْتَعْذِرُونَ مِنِّي أَيْامَ كَانَهُمْ • لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
وَقَوْلُهُ فِي الْمَعْنَى :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ حَبِيتَهُمْ • لَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْمِيتَةَ تُخْلَقُ
افْطَرُيْ حَيْثُ تَرَى السُّيُوفَ لَوَائِعًا • أَبَدًا وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ تَأْتِي
وَقَالَ الْجَحَافُ بْنُ حَكِيم :

شَهِدَنَ مَعَ النَّبِيِّ مُسَرَّمَاتٍ • حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَةُ الْحَوَامِي
وَوَقْعَةً رَاهِطٍ شَهِدَتْ وَحَلَّتْ • سَنَابِكُهُنَّ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
تَعْرِضُ لِلطَّمَانِ إِذَا تَقَيْنَا^(١) • حُدُودًا لَا تَعْرِضُ لِلطَّامِ

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ : ضَرْبَةُ سَيْفٍ فِي عَزٍّ ، خَيْرٌ مِنْ لَطْمَةٍ فِي ذَلٍّ .

وَمِنْ أَحْسَنَ مَا وُصِفَتْ بِهِ رِجَالُ الْحَرْبِ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢) :

رُؤِيدًا بَنَى شِيَابَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ • تُلَاقُوا غَدًا حَبْلِي عَلَى سَفْوَانٍ
تُلَاقُوا رِجَالًا لَا تَحْمِدُ عَنِ الْوَعَى • إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي فَنَاءِ الْمِيدَانِ
إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مِنْ دَعَائِمٍ • لِأَيَّةٍ أَرْضٍ أَوْ لِأَيِّ مَكَانٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « بِكُلِّ نَفَرٍ »

(٢) هُوَ وَدَاكُ بْنُ تَمِيمٍ الْمَذَارِقِيُّ

ونظير هذا قول الآخر :

- قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِدَارِهِمْ ۝ تَكْرَهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَيَانِ
وَإِذَا دَعَوْهُمْ لِيَوْمٍ كَرِهَهُ ۝ سَدُّوا شُعَاعَ الشَّمْسِ بِالْفُرْسَانِ
لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدُ سَوَاهِلِهِمْ ۝ لَتَطْلُبَ الْعِلَاتُ بِالْعِدَانِ
• بل يُسْفِرُونَ وَجُوهَهُمْ قَرَى لَهَا ۝ عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
ومن أحسن المحذنين تشبيهاً في الحرب ، مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ فِي قَوْلِهِ
لِيزِيدَ بْنِ مَرْزُوقٍ :

تَلَقَّى النِّسَاءَ فِي أَمْثَالِ عُذَّتِهَا ۝ كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلُودًا بِجُلُودِ
تَجُودُ بِالْفَسِّ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادِهَا^(١) ۝ وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

- وقوله أيضاً :

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ ۝ كَأَنَّهُ أَجَلٌ ، يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
بِنَالٍ بِالرَّقِيٍّ مَا تَعَيَسَا الرِّجَالُ بِهِ ۝ كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
وقال أبو العتاهية :

- كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا ۝ تَفِرُّ عَنِ السَّلْمِ الَّذِي مِنْ وَوَايِكََا
كَأَنَّ الْمَنَابِي لَا يَسْ تَجْرِي لَكَى الْوَعَى ۝ إِذَا التَّقَاتِ الْإِبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِكََا
• فَمَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَعَى ۝ وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ جِبَانِكََا
وقال زيد الخليل :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَلَامَةً أَنْ سَيِّئِي ۝ كَرِهْتُ كُلَّمَا دُعِيتُ تَزَالِ
أَحَادِيثُهُ بِصَتْلٍ كُلِّ يَوْمٍ ۝ وَأَعْجَمُهُ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ

- وقال أبو محمَّد السَّعْدِيُّ^(٢) :

تَقُولُ وَصَّكَتْ وَجْهَهَا يَمِينَهَا ۝ أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتْقَاعِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : ۝ شَحِ الضَّئِينَ .

(٢) انْظُرِ الْحَامَةَ ، وَالْكَامِلُ لِلْبَرْدِ .

قلت لها لا تعجلي وتبينى • بلائى إذا التفت على القوارس
ألست أرد القرن ركب رذعه^(١) • وفيه سينان ذو غرارين نائس^(٢)
إذا هاب أقوام تجمعت غرة^(٣) • يهاب حيائه الألة المداعس
لعمرك أياك الخير إني لحادى • لصيتى وإنى إن ركبى لقارس
وقال آخر يمدح المهلب بالبر :

وإذا جددت فكل شئ نافع • وإذا جددت فكل شئ ضار
وإذا أذاك مهلبى فى الوغى • فى كفّه سيف فىم الناصر
ومن قولنا فى القائد أبى العباس فى الحرب :

نفسى فداؤك والأبطال واقفة • والموت يقسم فى أرواحها النقا
شاركت صرف المنايا فى نفوسهم • حتى تحمكت فيها مثل ما احتكما
لو تستطيع الملا جاءتك حاضعة • حتى تقبل منك الكف والقدا
ومن قولنا فى وصف الحرب :

سيوف يقبل الموت تحت ظلماتها • لها فى الكلى طعم وبين الكلى شرب
إذا اصطفت الرايات حمرًا متونها • ذوائبها تهفو فيفوق لها القلب
ولم تطيق الأبطال إلا بفعلها • فآلسنها نجم وأضالها عرب
إذا ما التقوا فى مازق وتماقوا • فلقيام طعن وتغيبهم ضرب
ومن قولنا فى رجال الحرب وأن الوغى قد أخذت منهم ومن أجسامهم فى مثل
السيوف فى رقبتها وصلابتها :

سيف تقلد مثله • عطف التعيب على القصب
هذا يجز به الرقا • ب وذا تجز به الخطوب

(١) أى يمز صريحا لوجهه .

(٢) النائس : المضطرب .

(٣) فى بعض الأصول • تجمعت كل ما • •

ومن قولنا أيضاً :

تراه في الوغى سيفاً صقيلاً • يُقَلِّبُ صَفْحَتَيْ سَيْفٍ صَقِيلِ

ومن قولنا أيضاً :

سيفٌ عليه نجاد سيفٍ مثله • في حده لِلْبُفْسِدِينَ صلاحُ

ومن قولنا أيضاً في الحرب وذكر القائد :

مَقِيلُكَ تَحْتَ أَظْلَالِ العوَالِي • وَيَتُوكُ فَوْقَ صَهَوَاتِ الجِيَادِ

تَبَعَتْكَ فِي قَيْصٍ مِنْ دِلَاصٍ • وَتَرُفُلُ فِي رِدَاةٍ مِنْ نِجَادِ

كَأَنَّكَ لِلْحُرُوبِ رَضِيعُ ثَدْيٍ • غَدَّتْكَ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ تَأْدِ

فَكَمْ • هَذَا التَّمَنَّى لِلنَّيَا • وَكَمْ هَذَا التَّجَلُّدُ لِلْجِلَادِ

لَبِنٌ عَرِفَ الْجِهَادَ بِكُلِّ عَامٍ • فَإِنَّكَ طَوَّلَ دَهْرَكَ فِي جِهَادِ

وَلَأَنَّكَ حِينَ أَبْتَ بِكُلِّ سَعْدٍ • كَيْثَلَ الرُّوجِ أَبَّ إِلَى الْفَوَادِ

رَأَيْنَا السَّيْفَ مُرْتَدِّياً بِسَيْفٍ • وَعَايْنَا الْجَوَادَ عَلَى الْجَوَادِ

وقد وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يُتَقَدَّمْ عليه " ، ومعنى بديعٍ لانظر له ،

فإن ذلك قولنا :

وجيش كظفر اليم تنفحه الصبا : يَبُبُّ عِجَاباً مِنْ فَنَاءٍ وَقَنَائِلِ

فَتَنْزِلُ أَوْلَاهُ وَلَيْسَ بِنَازِلِ : وَتَرْحَلُ أَخْرَاهُ وَلَيْسَ بِرَاحِلِ

وَمُعْتَرِكُ صَنْكٍ تَعَاظَتْ كِبَاهُهُ • كُنُوسَ دِمَازٍ مِنْ كُلِّ وَمَقَاصِلِ

يُذِيرُوتَهَا رَاحِمًا مِنَ الرُّوحِ يَنْتَهَمُ • بَيْضُ رِقَاقِي أَوْ يُسْمَرُ ذَوَائِلِ

وَتُسَمِّعُهُمْ أُمُّ الْمَيْتَةِ وَسَطَهَا • غِنَاءُ صَلِيلِ الْبَيْضِ تَحْتَ الْمُنَاصِلِ

ومن قولنا في هذا المعنى :

سيف من الحنف رزدي به • يومَ الوغى سيف من الحزم

مواصلأ أعداءه عن قلى • لاصلة القربى ولا الرحم

(١) في بعض الأصول : إليه .

وَصَلَّيْحِينَ الْإِلْفَ مِنْ بُغْضِهِ * شَوْقًا إِلَى الْمَهْجَرَانِ وَالصَّرِيمِ
 حَتَّى إِذَا نَادَمَهُمْ سَيْفُهُ * يَكَلِّ كَأْسٍ مُرَّةَ الطَّعْمِ
 تَرَى حُمَاهَا بِهَامَاتِهِمْ * تَغُورُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ
 عَلَى أَهَازِجٍ طُبًّا يَنْهَى * مَا شَدَّتْ مِنْ حَذَفٍ وَمَنْ حَرَمِ
 طَاعُوا لَهُ مِنْ بَعْدِ عِصْيَانِهِمْ * وَطَاعَةُ الْأَعْدَاءِ عَنْ رَغَمِ
 وَكَمْ أَعْدَوْا وَاسْتَعْدُّوا لَهُ * هَيْهَاتَ لَيْسَ الْخُفْمُ كَالْفَقْمِ

ومن قولنا في شبهه :

كَمْ أَلْعَمَ السَّيْفُ فِي أَبْنَاءِ مَلْحَمَةٍ * مَا مِنْهُمْ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ دَيَّارُ
 وَأُورِدَ النَّارَ مِنْ أَرْوَاحٍ مَارِقَةٍ * كَادَتْ تَمَيِّزُ مِنْ عَيْظِ لَهَا النَّارُ
 كَأَنَّمَا صَالَ فِي ثُلُثِي مُفَاضَتِهِ * مُسْتَأْسَدٌ حَتَّى الْأَحْشَاءُ هَدَّارُ
 لِمَا رَأَى الْفِتْنَةَ الْعَمِيَاءَ قَدَرَجَبَتْ * مِنْهَا عَلَى النَّاسِ آفَاقُ وَأَقْطَارُ
 وَأَطَابَقَتْ ظُلْمٌ مِنْ فَوْقِهَا ظُلْمٌ * مَا يَسْتَضَاءُ بِهَا نُورٌ وَلَا نَارُ
 قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْأَعْدَاءِ سَارِيَةً * قُبَا طَوَاهَا كَطَى الْعَصْبِ إِضْمَارُ
 مَلُومَةٌ تَبَارَى فِي مُتَبَلِّغَةٍ * كَأَنَّهَا لِأَعْتِدَالِ الْخَلْقِ أَفْهَارُ
 تَزُورُ عِنْدَ أَحْيَاسِ الطَّلْعِ أَعْيُنُهَا * وَهَنْ مِنْ فُرُجَاتِ النَّقْعِ نُظَارُ
 تَفُوتُ بِالنَّارِ أَقْوَامًا وَتُذَرُّكَ * مِنْ آخِرِينَ إِذَا لَمْ يُذَرَّكَ النَّارُ
 فَانْسَابَ نَاصِرُ دِينِ اللَّهِ يَفْدُهُمْ * وَحَوْلَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ أَنْصَارُ
 كَتَابُ تَقَارَى حَوْلَ رَايَتِهِ * وَجَهْلُ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَارُ
 قَوْمٌ لَمْ فِي مَكْرَ اللَّيْلِ غَمْمَةٌ * تَحْتَ الْعِجَاجِ وَإِقْبَالُ وَإِدْبَارُ
 يَسْتَقْبِلُونَ^(١) كِرَادِيَسًا مَكْرَدَةً * كَمَا تَدَافِعُ^(٢) بِالنَّيَّارِ تِيَارُ

(١) في بعض الأصول : « بالعلم » .

(٢) في بعض الأصول : « يتقدمون » .

(٣) في بعض الأصول : « تدفع » .

من كل أروغ لا يرعى لها حية * كأنه يُخدير في الخيل هصار
 في قسطل من تجاج الحرب مد له * بين السماء وبين الأرض أسنار
 فكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الأرض إجار
 كأنما رأسه أفلق حنظل * وساعده إلى الزندين جمار
 وك على النهر أوصالاً مفرقة^(١) * تقسمتها المنايا فهي أشطار
 قد فُلقت بصفيح الهند هاهم * فهن بين حراي الخيل أعشار
 ومن قولنا في الحروب :

وحوم غادرت فرسانها * في مبرك للعرب جمجاج
 مُستلحم بالموت مستلهم^(٢) * مُفرق للشغل جمجاج
 وبلدة صحعت منها الربا * لفيلق كالسبل دقاع
 كأنما باضت نعام القلا * منهم بهائم فوق أذراع
 تراهم عند احتباس الوغى * كأنهم جن بأجراع
 بكل مأثور على متنبه * مثل مدب النمل في القاع
 يرتد طرف العين من حبه * عن كوكب للبوت لناع
 ومن قولنا في الحروب :

ورب ملتفة العوالي * يلتمع الموت في ذراها
 إذا توطت حزون أرض * طحطحت الثم من رباها
 يفودها منه ليث غلي * إذا رأى فرصة قضاه
 تمضي بآرائه سيوف * يسبق الموت في ظباها
 ييض تحل القلوب سودا * إذا انتضى عزمه انتضاها
 تنبعه الطير في الأعادي * تجنى كلا العشب من كلاها

(١) في بعض الأصول : « مقسمة » .

(٢) في بعض الأصول : « مستلهم » .

أقدم إذ كاع كلُّ ليثٍ * عن حومة الموتِ إذ رآها
فأقم الخيلَ في غمارٍ * تفتَرُ بالموتِ لموتها
عنتَ له أوجهُ المنايا * فافها القومُ واشتأها

فرسان العرب في الجاهلية والإسلام

٥ كان فارس العرب في الجاهلية ربعة بن مُكَدَّم . من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، وكان يُعَقَّرُ على قبره في الجاهلية . ولم يُعَقَّرْ على قبر أحد غيره . وقال حسان بن ثابت وقد مرَّ على قبره :

فهرتَ قلوبى من حجارةِ حرّةٍ * بُليتَ على طَلْقِ اليدين وهوبٍ
لا تنفري يا نائِ منه فإنه * شريبٌ سحرٍ مسرٍّ لحروبٍ
لولا السَّفَارُ وطولُ قفرٍ مهمٍّ * لتركَّها تجو على عُروقٍ

١٠ وكان بنو فراس بن غنم بن كنانة أئجد العرب . كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم . وفيهم يقول علي بن أبي طالب رضى الله عنه لأهل الكوفة : من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخب ، أبدلكم الله بى من هو شرُّ لكم ، وأبدلنى بكم من هو خيرٌ منكم . ودَّدت والله أن لى بجميعكم - وأنتم مائة ألف - ثلثائة من بنى فراس بن غنم .

ومن فرسان العرب في الجاهلية عنزة الفوارس ، وعُتَيْبة بن الحارث بن شهاب ؛ وأبو براء عامر بن مالك مُلاعب الأستة ، وزيد الخيل ، وبسطام بن قيس ، والأخيمير السعدى ، وعامر بن الطفيل ، وعمر بن عبدود ، وعمر بن معديكرب . وفي الإسلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، والزيبر ، وطلحة ، ورجال الأنصار : عبد الله بن خازم السُّلَبي ، وعباد بن الحُصَيْن ، وعُمَيْرُ بن الحِجاب ، وقطري بن الفُجاءة ، والحريش بن هلال السعدى ، وشيب الحرورى .

٢٠ وقالوا : ما استعجا شجاع قط أن يفز من عبد الله بن خازم وقطري بن الفجاءة ، صاحب الأزازة .

ابن مكدم
وقول حسان بن

فراس بن غنم
وكفة لى بهم

من فرسان
العرب في الجاهلية

من فرسانهم
في الاسلام

فرس بن
فرسانهم

وقالوا : ذهب حاتم بالسقاء ، والأحف بالحلم ، وخُرِّمَ بالنعمة ، وعُمير
ابن الحباب بالثقة .

وبينا عبد الله بن خازم عند عيد الله بن زياد إذ دُخل عليه بِجُرْدٍ أبيض ،
فصحب منه عيد الله ، وقال : هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ؟ ونظر إليه ،
فإذا عبد الله قد تضاد حتى صار كأنه فرخ ، واصفرَّ كأنه جرادةٌ ذكر فقال
عيد الله : أبو صالح يعصى الرحمن ، ويتهاون بالسلطان ، ويقبض على الثعبان ،
ويمشي إلى الليث ، ويلقي الرماح بنحره ، وقد آتراه من جُرْدٍ ماترون ، أشهد
أن الله على كل شيء قدير .

ابن خازم مع ابن
زياد في جرد

وكان شبيب الحاروري : يصيح في جنابات الجيش فلا يُلوى أحد على أحد .
وفيه يقول الشاعر :

شبيب الحاروري

إِنَّ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا ۝ وَالرَّيْحَ عَاصِفَةً ۝ وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ
وَلَمَّا قُتِلَ أَمْرُ الْحِجَاكِ بِشَقِّ صَدْرِهِ ۝ فَإِذَا لَهُ قَوَادٌ مِثْلُ قَوَادِ الْجَمَلِ ۝ فَكَانُوا
إِذَا ضَرَبُوا بِهِ الْأَرْضَ يَنْزُوكًا يَنْزُوكًا مِثْلَ الثَّالِثَةِ الْمُنْفُوخَةِ ۝

ورجال الأنصار أشجع الناس : قال عبد الله بن عباس : ما استلَّت السيوف ،
ولا زحفت الزحوف ، ولا أقيمت الصفوف ، حتى أسلم ابن أقيلة : يعني الأوس
والخزرج ، وهما الأنصار ، من بني عمرو بن عامر من الأزد .

لابن عباس
في الأنصار

النبي : لما أسنَّ أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخَرَّقُوهُ . ولم يكن له
ولد يحميه ، أنشأ يقول :

أبو براء
لما أسنَّ

دَفَعْتُكُمْ عَنِّي وَمَا دَفَعُ رَاحَةٍ ۝ بِشَيْءٍ إِذَا لَمْ تَسْتَعِنْ بِالْأَنْبِالِ

يُضْمَعْنِي حِلْيَ وَكَثْرَةُ جِهْلِكُمْ ۝ عَلَيَّ وَأَنَّى لَا أَصُولُ بِجَاهِلٍ

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إذ رأى همدان وغنأها في الحرب
يوم صفين :

لحق همدان

ناديت همدانَ والأبواب مغلقة ۝ ومثلُ همدانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ

كَأَلْهِنْدُونَانِي لَمْ تُفَلِّلْ مُضَارِبُهُ ۝ وَجَهْلُ وَجْهِهِ وَقَلْبُ غَيْرِ وَجَّابِ

وقال ابن بركة الحمداني :

لاين بركة

كذبتم وبیت الله لا تأخذونها • مُرَاعَةً ما دام السيف قائم
مَن يجمع القلب الذكي وصارمًا • وأننا حيا تجنبك المظالم
وكنتم إذا قوم غزوني غزوتهم • فهل أنا في ذا بالحمدان ظالم

وقال تأبط شراً :

تأبط شرا

قليلُ التَّنَكُّي لِلمُهْمِّ يُصِيبُهُ • كثيرُ النوى شتُ الهوى والمسالِك
يَبْتَ بِمَوْمَةٍ وَيُضْعَى بِفِرْها • جَعِبْتُ وَأَيُّورِي ظُهُورَ المِهَالِك
إذا حاصُ^(١) عَيْنِهِ كَرَى النَوْمَ لَمْ يَزَلْ • لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانِ فَاتَكِ
وَيَجْمَعُلُ عَيْنَهُ رِيثَةً قَلْبِهِ • إِلَى سَلَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقِ بَاتِكِ
إذا هَزَّهَ فِي عَظَمِ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ • نَوَاجِذُ أَفْوَهِ المَنَايَا الضَّوَاحِكِ

١٠

وقال أبو سعيد الخزري - وكان شجاعا :

الخزري

وما يُرِيدُ بُنُو الأَغْبَارِ مِنْ رَجُلٍ • بِالْجَمْرِ مُكْتَحِلٍ بِالنَّبْلِ مُشْتَمِلٍ
لا يَشْرَبُ المَاءَ إِلَّا مِنْ قَلْبِ دِمٍّ • وَلَا يَبْتَ لَهُ جَاؤُ عَلَى وَجَلٍ

ونظير هذا قول بشار العجلي :

بشار

فَتَى لَا يَبْتَ عَلَى دِمَةٍ • وَلَا يَشْرَبُ المَاءَ إِلَّا بِدَمٍّ

١٥

عن ابن الزبير
والأشتر

وقال عبد الله بن الزبير : التفت بالأشتر النخعي يوم الجمل ، فما ضربته
ضربة حتى ضربني نحرًا أو ستا ، ثم أخذ رجلي فألقاني في الخندق ، وقال :
والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو
إلى آخره .

جائزة عائشة
ابن بصرها
بنجاة ابن الزبير

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة الذي بشرها بجماعة ابن الزبير
إذ التقى مع الأشتر عشرة آلاف .

٢٠

لنسم في أخيه
مالك

وذكر منتم بن نويرة أخاه مالكا وجلده ، فقال : كان يخرج في الليلة

الصَّنْبَرِ ، عليه الشملةُ الفلوت ، بينَ المَزَادَتَيْنِ على الجبلِ الثَّغَالِ ، مُعْتَقِلِ الرُّمَحِ
الخطيِّ . قالوا : وأريك إن هذا هو الجَلَدُ .

وكتب عمرو بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة : أن استعن
في حرك بك وعمرو بن معديكرب ، وطليحة الأزدي ، ولا تولها من الأمر شيئاً ؛
فإن كل صانع أعلم بصناعته .

من عمر إلى ابن
مقرن في الصائفة

وقال عمرو بن معديكرب يصف صبره وجَلَدَهُ في الحرب :

لمعرو
بن معديكرب

أَعَاذِلُ عُنْدَ بَنِي وَرْمَحِي * وَكَلَّ مُقْلِصُ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَقْبَى شَبَابِي * إِجَابَتِي الصَّرِيحُ إِلَى الْمُنَادِي
مع الأبطال حتى سلَّ جِسْمِي * وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النُّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي * وَيَبْقَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي
ومن عجب نَجَّيْتُ لَهُ حَديثَهُ * بِدَيْعٍ لَيْسَ مِنْ بَدْعِ السَّدَادِ
تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي أُبَيُّ^(١) * وَدِدْتُ وَأَيْنَا مِنِّي وَدَادِي
تَمَنَّانِي وَسَابِغَتِي قَيْصِي * كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَادِقُ الْجَرَادِ
وَسَيْفُ لَابَنِ ذِي كَعْنَانَ عِنْدِي * تُخَيِّرُ نَصْلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَوْ لَا قَبَّتِي لِلْقَيْتِ لِنَا * هَمُورًا ذَا طَبَا وَشَبَا جِدَادِ
وَلَا سَتَيْقَنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌ * وَصَرَخَ نَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَرِيدُ قَتْلِي * غَيْرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ
ومن قوله في قيس بن مكشوح المرادي :

وله في ابن
مكشوح

تَمَنَّانِي عَلَى فَرَسٍ * عَلَيْهِ جَالِسٌ أَسَدُهُ
عَلَى مُفَاضَةٍ كَالنَّهْيِ * أَخْلَصَ مَاءُهُ جَدُّهُ
فَلَوْ لَا قَبَّتِي لِلْقَيْتِ * تَلَيْتَ أَوْفَقَهُ لَيْدُهُ
سَبَبْتُ ضَيْغَمًا هَصْرًا * صَلَخْتُ نَاشِرًا كَدُّهُ

(١) في بعض الأصول : قيس . وهو تحريف .

يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قَرْنٌ • تَمِّمُهُ فَيَعْتَصِدُهُ
فَيَأْخُذُهُ فَيُرْدِيهِ • فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ
فِيَسْمُفُهُ فَيَحْطُمُهُ • فَيَحْضِمُهُ فَيَزِدُّهُ

المكيدة في الحرب

النبي صلى الله
عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحرب خدعة :

لدهلب

وقال المهلب لبنيه : عليكم بالمكيدة في الحرب فإنها أبلى من النجدة .

وكان المهلب يقول : أناة في عواقبها قوة ، خير من عجلة في عواقبها ذر .

لبنه

بن عبد الملك

وقال مسلمة بن عبد الملك : ما أخذتُ أمراً قط بحزم قلتُ نفسي فيه وإن

كانت العاقبة عليّ ، ولا أخذتُ أمراً قط وضيعتُ الحزم فيه إلا لمت نفسي عليه

١٠ وإن كانت لي العاقبة .

لبعض أهل

الفرس بالحرب

وسئل بعض أهل الفرس بالحرب : أيُّ المكاييد فيها أحزم ؟ قال : إذكاء

العيون ، وإششاء القلب ، واستطلاع الأخبار ، وإظهار السرور ، وإمانة

الفرق ، والاحتراش من البطانة^(١) من غير إقصاء لمن يُستصح ، ولا استناد لمن

يُستغش ، وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره .

للهند

١٥ وفي كتاب للهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال : يحذر الموائبة إن

قرب ، والغارة إن بُعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى .

بين المأمون

والفضل بن سهل

في رأى فات

الأمين

وقال المأمون للفضل بن سهل : قد كان لأخي رأى لو عمل به لظفر . فقال

له الفضل : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال لو كتب إلى أهل خراسان وطبرستان

والرى وذُبَاوند أنه قد وهب لهم الخراج لسنة ، لم نخل نحن من إحدى خصلتين :

٢٠ إما ردونا فعله ولم نلتفت إليه فَمَصَّانا أهل هذه البلدان وفسدت نياتهم فأتقطعوا

عن معاونتنا . وإما قبلناه وأمضيناه فلا نجد ما نعطى منه من معنا ، وتفرق جندنا

ووهى أمرنا . فقال الفضل : الحمد لله الذي ستر هذا الرأي عنه وعن أصحابه .

وكتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة ، فكتب إليه : إن من

(١) في بعض الأصول : المكاييد الباطنة .

البلية أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يُبصره .

- وكان بعض أهل الترس يقول لأصحابه : شاوروا في حربكم الشجعان من
أولى الزعم ، والجبناء من أولى الخزم ؛ فإن الجبان لا يألو برأيه ما يبقِ مُهْجَكُمْ ،
والشجاع لا يعدو ما يَشُدُّ نُصْرَتَكُمْ ؛ ثم خَلَّصُوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم
مَعْرَةَ الجبان ، وَتَهَوَّرَ الشجعان ، فَكَوْنَ أَنْفَذَ من السهم الزالَج ، والحسام الوالَج .

لبعض أهل
الترس

- وكان الإسكندر لا يدخل مدينة إلا هَدَمَهَا وقتل أهلها ، حتى مرَّ بمدينة كان
مؤدَّبَةً فيها ؛ ففرج إليه ، فَأَلْفَعَهُ الإسكندر وأعظمه . فقال له : أصلح الله الملك ،
إن أحقَّ من زَيْن لك أمرك ، وأعانك على كل ما هَوَيْتَ لَأَنَّا ، وإن أهل هذه
المدينة قد طمعوا فيكَ لمكاني منك ، فَأُحِبُّ أَنْ تُشَفِّعَنِي فيهم ، وَالآ تَخَالَفَنِي في
كل ما سألتكَ لِمِ . فَأَعْطَاه من المهود والمواثيق على ذلك ما لا يقدر على الرجوع
عنه . فلما تَوَقَّع منه قال : فإن حاجتي إليك أن تَهْدِمَهَا وتقتل أهلها . قال : ليس
إلى ذلك سبيل ، ولا بد من مخالفتك . فقال له : ارحل عنا .

بين الإسكندر
ومؤدَّبه في
مدينة فتحها

- قيل : صالح سعيْدُ بن العاص حصناً من حصون فارس على ألا يقتل منهم
رجلاً واحداً ، فقتلهم كلهم إلا رجلاً واحداً .

سعيد بن العاص
وحصن فتحه

- ابن الكلبي قال : لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزّة ،
فبعث إليه عِلْجُهَا : أن أبعث لي رجلاً من أصحابك أكلمه . ففكر عمرو وقال :
ما لهذا أخذ غيري . قال : ففرج حتى دخل على العليج فكلّمه فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله .
فقال العليج : حدثني : هل في أصحابك أحد مثلك ؟ قال لا تسأل عن هذا ، إني هيئ
عليهم إذ بعثوا بي إليك وعَرَّضُونِي لماعز ضوئي لله ، ولا يدرون ما تصنع بي . قال : فأمر
له بمجاثرة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مر بك فأضرب عنقه وخذ ما معه .
ففرج من عنده فز رجل من نصارى غَسَّان فعرَّفه ؛ فقال : يا عمرو قد أحسنت
الدخول فأحسن الخروج . فقطع عمرو لما أَرَادَهُ ، فرجع . فقال له الملك :
ماردك إلينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يَسَعُ بَنِي عَمِي ، فأردتُ أن
أتبك بعشرة منهم تعطيلهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن

عمرو بن العاص
وهلم قيسارية

يكون عند واحد . فقال : صدقت . أنجل بهم . ويعد إلى البواب أن خلّ سبيله .
فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمِنَ قال : لا عدتُ لمثلها أبداً . فلما صالحه عمرو
ودخل عليه العليج قال له : أنت هو ؟ قال : نعم ، على ما كان من غدرك .

- وقال : ولما أتى بالهزمزان أسيراً إلى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين ،
هذا زعيم العجم وصاحب رُستم^(١) فقال له عمر : أعرض عليك الإسلام نصحاً لك
في عاجلك وآجلك . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في
الإسلام . فدعا له عمر بالسيف . فلما همّ بقتله قال : يا أمير المؤمنين ، شربة من
ماء أفضل من قتلى على ظمإ . فأمر له بشربة من ماء . فلما أخذها قال : أنا آمن
حتى أشربها ؟ قال : نعم . فرمى بها وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج .
قال : صدقت ، لك التوقُّفُ عنك والنظر في أمرك : ارضعاً عنه السيف . فلما
رُفِعَ عنه . قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده
ورسوله ، وما جاء به حق من عنده . قال عمر : أسلمتَ خيرَ إسلام ، فما أخرَكَ ؟
قال كرهتُ أن تظنَّ أني أسلمتَ جزعاً من السيف وإيناراً لديته بالرهبة . فقال
عمر : إن لاهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك . ثم أمر به أن
يبرَّ ويُسكِّرم ، فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر والجيوش لاهل فارس .

وهذا نظير فعل الأسير الذي أتى به معن بن زائدة في جملة الأسرى . فأمر
بقتلهم ، فقال له : أقتل الأسرى عطاناً يا معن فأمر بهم فسُقُوا ، فلما شربوا
قال : أقتل أضيافك يا معن ؟ غلّ سليلهم .

- وذكروا : أن ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً يُبعد النور ويقظة المطنة
وحسن السياسة ، وكان إذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه إليه من يبحث عن
أخباره وأخبار رعيته قبل أن يُظهر محاربته ، فيكشف عن ثلاث خصال من
حاله : فكان يقول لعبونه : انظروا ، هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها

(١) هو رستم بن فرخزاد ، كان من أعظم رجال فارس وقائد جيوش يردجرد ملك
ساسان في وقعة القادسية ، وقد قتل رستم في هذه الوقعة .

- أَمْ يَخْذَعُ عَنْهَا الْأُنْثَىٰ ذَٰلِكَ إِلَيْهِ ؟ وَانْظُرُوا إِلَى الْغَنَىٰ فِي أَبِي صَنْفٍ هُوَ مِنْ رَعِيَّتِهِ ،
 أَفَيَمِنْ أَشْتَدَّ أَفْهَ وَقَلَّ شَرُّهُ ، أَمْ فَيَمِنْ قَلَّ أَفْهَ وَاشْتَدَّ شَرُّهُ ؟ وَانْظُرُوا فِي
 أَبِي صَنْفٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ الْقَوَّامُ بِأَمْرِهِ ؟ أَفَيَمِنْ نَظَرَ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، أَمْ مَنْ شَغَلَهُ يَوْمُهُ
 عَنْ غَدِهِ ؟ فَإِنْ قِيلَ لَهُ : لَا يُخْذَعُ عَنْ أَخْبَارِهِ ، وَالنِّسَىٰ فَيَمِنْ قَلَّ شَرُّهُ وَاشْتَدَّ أَفْهَ ،
 وَالْقَوَّامُ بِأَمْرِهِ مَنْ نَظَرَ لِيَوْمِهِ وَغَدِهِ ، قَالَ : اشْتَغَلُوا عَنْهُ بَغِيرَهُ . وَإِنْ قِيلَ لَهُ ضَدَّ ٥
 ذَٰلِكَ قَالَ : نَارُ كَامِنَةٍ تَنْتَظِرُ مَوْقِدًا ، وَأَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ تَنْتَظِرُ مَخْرَجًا ، اقْصِدُوا لَهُ ،
 فَلَا حِينَ أَحْبَبْتُ مِنْ سَلَامَةٍ مَعَ تَضْيِيعٍ ، وَلَا عَدُوًّا أَعْدَىٰ مِنْ أَمْنٍ أَدَّىٰ إِلَىٰ اغْتِرَارٍ .
 كَانَتْ مَلُوكُ الْعَجَمِ قَبْلَ مَلُوكِ الْعُلَافِ تَنْزِلُ بَلِيخَ ، ثُمَّ نَزَلَتْ بَابِلُ ، ثُمَّ نَزَلَ
 أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِلَ فَارِسَ ، فَصَارَتْ دَارَ مَمْلَكَتِهِمْ ، وَصَارَ بِخَرَّاسَانَ مَلُوكُ الْهَيَاطَلَةِ
 وَهُمْ الَّذِينَ قَتَلُوا فَيْرُوزَ بْنَ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامٍ مَلِكِ فَارِسَ ، وَكَانَ غَزَاهُمْ ؛ فَكَادَهُ ١٠٠
 مَلِكُ الْهَيَاطَلَةِ أَنْ يَحْدُثَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عَرَفِهِ بِالْمَكَائِدَةِ وَحُسْنِ الْإِدَارَةِ ، فَأَظْهَرَ السَّنْخَطَ
 عَلَيْهِ وَأَوْقَعَ بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ تَوْقِيْعًا قَبِيْحًا وَنَكَلَ بِهِ تَنْكِيلًا شَدِيدًا . ثُمَّ أَرْسَلَهُ
 وَقَدْ وَاجَاهًا عَلَى أَمْرِ أَبِيطَنْهُ مَعَهُ وَظَاهِرُهُ عَلَيْهِ نَفْرَجٌ حَتَّى أَتَى فَيْرُوزَ فِي طَارِقِهِ ،
 فَأَظْهَرَ التَّزْوِيعَ إِلَيْهِ وَالْإِسْتِنصَارَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ مَا نَالَهُ . فَلَمَّا رَأَى فَيْرُوزُ مَا بِهِ مِنْ
 التَّوْقِيعِ وَالنَّكَايَةِ فِيهِ ، وَثِقَ بِهِ وَاسْتَنَامَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَنَا أَذْكَأُ أَبَاهُ الْمَلِكُ عَلَى غِرَّةِ ١٥
 الْقَوْمِ وَعَوْرَتِهِمْ وَأَغْلَبُ مَكَانَ غَفْلَتِهِمْ . فَسَلَّكَ بِهِ سَبِيلَ مَهْلِكَةِ مُطْغِيْشَةَ ؛ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ
 مَلِكُ الْهَيَاطَلَةِ فَأَسْرَهُ وَأَكْثَرَ أَصْحَابِهِ ، فَنَسَأَلَهُمْ أَنْ يَمْنُوا عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ مَعَهُ ، وَأَعْطَاهُمْ
 مَوْثِقًا لَا يَنْزِعُوهُمْ أَبَدًا ، وَأَنْصَبَ لَهُمْ حَجَرًا جَدًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَحَلَفَ لَهُمْ أَلَّا
 يَجَاوِزُوهُ هُوَ وَلَا جَنْوَدُهُ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ قَرَابَتِهِ وَأَسَاوِرَتِهِ ؛ فَثَرَا
 عَلَيْهِ وَأَطْلَقُوهُ وَمَنْ مَعَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ أَخَذَتْهُ الْأَفْئَةُ بِمَا أَصَابَهُ ، فَصَادَ إِلَى ٢٥
 غَزْوِهِمْ نَاكِتًا لِعَهْدِهِ غَادِرًا بِذِمَّتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ تَلَطَّفَ فِي ذَٰلِكَ بِعِيْلَةٍ ظَنَّتْهَا مُجَرَّبَةً فِي أَيْمَانِهِ ،
 لِيَجْعَلَ الْحَجَرَ الَّذِي أَنْصَبَ لَهُ عَلَى قَبْلِ فِي مَقْدَمَةِ عَسْكَرِهِ ، وَتَأَوَّلَ فِي ذَٰلِكَ أَنَّهُ لَا يَجَاوِزُهُ
 فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ نَاشِدُوهُ اللَّهُ وَذَكَرُوهُ الْإِيمَانَ بِهِ ، وَمَا جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ عَهْدِهِ وَذِمَّتِهِ ،
 فَأَبَى إِلَّا الْجَاجَا وَنَكَبْنَا . فَوَاقَعُوهُ فَظَفَرُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ وَقَتَلُوا حَامَتَهُ وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُ .

وقية ملك
 الهياطلة
 يزدجرد

أسامة بن زيد اللّيثي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غزا أخذ طريقا وهو يريد أخرى ، ويقول : الحرب خدعة .

زيد عن مالك بن أنس قال : كان مالك بن عبد الله الخثعمي ، وهو على الصائفة . يقوم في الناس كلما أراد أن يرحل ؛ فيحمد الله تعالى ويثني عليه ثم يقول . إني دأوبٌ بالعداء إن شاء الله تعالى دربَ كذا . فتفرق الجواسيس عنه بذلك ؛ فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقا أخرى . فكانت تُسميه الروم : الثعلب .

وصايا أمراء الجيوش

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح : إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشا أو سرية قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، تقتلون من كفر بالله ، لا تُمثلوا ولا تُفندوا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا . فإذا بعث جيشا أو سرية فمرهم بذلك .

وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الآلية : بسم الله وبالله وعلى عون الله ؛ امضوا بتأييد الله . وما النصر إلا من عند الله ولزوم الحق والصبر . فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتلوا إن الله لا يحب المعتدين . ولا تجبئوا عند اللقاء ، ولا تُمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هَرِمًا ولا امرأة ولا وليدا ، وتَوَقَّروا قتلهم إذا التقى الزحفان . وعند شن الغارات .

ولما وجه أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان إلى الشام شيعة راجلا . فقال له يزيد : إما أن تركب وإما أن أنزل . فقال : ما أنت بنازل وما أنا براكب . إني أحسب خطأي هذه في سبيل الله . ثم قال : إنك ستجد قوماً حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له - يعني الرهبان - وستجد قوماً خصوا عن أوساط رءوسهم الشعر ، فاضرب ما خصوا عنه بالسيف . ثم قال له : إني موصيك بعشر : لا تفند ، ولا تمثل ، ولا تقتل هَرِمًا ولا امرأة ولا وليدا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا ما أكلتم ، ولا تحرقن نخلا ، ولا تحزن عامرا ، ولا تغل ، ولا تبخس .

وقال أبو بكر رضى الله عنه لحالد بن الوليد ، حين وجهه لقتال أهل الردة :
سير على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحلة ، فإنى لأمن
عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسير بالأدلاء ، ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه
ليس منه ؛ واحترس من البيات ، فإن فى العرب غرة ؛ وأقلل من الكلام ، فإنما
لك ما وعى عنك ؛ واقبل من الناس علانيتهم ، وكلهم إلى الله فى سرائرهم ،
وأستودعك الله التى لاتضيع ودائمه .

أبو بكر يوصى
حالد بن الوليد

كتب خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس مع ابن فضيلة النسانية : الحمد لله الذى
فضح حزمكم ، وفرق جمعكم ، وأوهن بأسكم ، وسلب ملككم ، وأذل عزكم ؛ فإذا
أتاكم كتابى هذا فابعثوا إلى بالرهن ، واعتقدوا منا الذمة ، وأجيبوا إلى الجزية ،
وإلا والله الذى لا إله إلا هو ، لاسيرن إليكم يقوم يحبون الموت كاتحبون الحياة ،
ويرغبون فى الآخرة كاترغبون فى الدنيا .

من خالد إلى
مرازبة فارس

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما - ومن معه
من الأجناد :

من عمر إلى
ابن أبى وقاص

أما بعد ؛ فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ؛ فإن
تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ؛ وأمرك ومن معك
أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف
عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن
لنا بهم قوة ؛ لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كمعدتهم ، فإذا استؤينا فى
المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا لم نذهبهم بقوتنا
واعلموا أن عليكم فى سيركم حَفَظَةٌ من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ،
ولا تعملوا بمعاصى الله وأتم فى سبيل الله ؛ ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن
يسلطنا علينا وإن أسأنا ؛ فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كاسلط على بنى إسرائيل
لما عملوا بمساخط الله كفتار المجوس ﴿ تَجَاسَوْا خِلَالِ آلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا
مَفْعُولًا ﴾ . واسألوا الله العون على أنفسكم كاتسألونه النصر على عدوكم .

٢٠

١٥

- أسأل الله ذلك لنا ولكم. وَتَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ، وَلَا تُجَسِّمُهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُهُمْ، وَلَا تُقَصِّرْ بِهِمْ عَنْ مَنْزِلِ يَرَفَّقُ بِهِمْ، حَتَّى يَلْجِئُوا عَدُوَّهُمُ وَالسَّفَرُ لَمْ يَنْقُصْ قُوَّتَهُمْ، فَإِنَّهُمْ سَاطِرُونَ إِلَى عَدُوِّ مَقِيمٍ حَامِي الْإِنْفُسِ وَالْكُرَاعِ^(١). وَأَيُّمُ بْنُ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةٍ، حَتَّى تَكُونَ لِمَنْ رَاحَةٌ يَجْمَعُونَ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ، وَيَرْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ. ٥
- وَنَحْ مِنْ أَنْزَلْتُمْ عَنْ قَرْيَةِ أَهْلِ الصَّلْحِ وَالزَّيْمَةِ، فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَقَى بَدِينَهُ. وَلَا يَرْزَأُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا شَيْئًا: فَإِنْ لَمْ حَرَمَةِ وَذِمَّةِ ابْتَلَيْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِهَا كَمَا ابْتَلَوْا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا، فَمَا صَبَرُوا لَكُمْ فَتَوَلَّوْهُمْ خَيْرًا، وَلَا تَسْتَبْصِرُوا عَلَى أَهْلِ الْحَرْبِ بِظُلْمِ أَهْلِ الصَّلْحِ. وَإِذَا وَطِئْتَ أَدْنَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَأَذِكِ الْعِيُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَلَا يَخْفَظْ عَلَيْكَ أَمْرُهُمْ وَلَكِنْ عِنْدَكَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ١٠
- مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصَحِهِ وَسَعْدَقَهُ، فَإِنَّ الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ، وَالنَّاشَ عَيْنُكَ عَلَيْكَ وَلَيْسَ عَيْنَاكَ لَكَ. وَلَكِنْ مَعَكَ عِنْدَ دَنُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَائِعُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ. فَتَقْطَعِ السَّرَايَا أَمْدَادَهُمْ وَمُرَاقِقَهُمْ، وَتَتَّبِعِ الطَّلَائِعَ عَوْرَاتِهِمْ. وَانْتَقِ الطَّلَائِعَ أَهْلَ الرَّأْيِ وَالْبَأْسِ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَتَخَيَّرْ لَهُمْ سَوَائِقَ الْجَيْلِ؛ فَإِنْ لَقُوا عَدُوًّا كَانَ أَوَّلَ مَا تَلْقَاهُمُ الْقُوَّةُ مِنْ رَأْيِكَ. ١٥
- وَاجْعَلْ أَمْرَ السَّرَايَا إِلَى أَهْلِ الْجِهَادِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْجِلَادِ، وَلَا تَخُصَّ بِهَا أَحَدًا يَهْوَى، فَيَضِيعَ مِنْ رَأْيِكَ وَأَمْرِكَ أَكْثَرُ مِمَّا حَاطَتْ بِهِ أَهْلَ خَاصَّتِكَ. وَلَا تَبْعُنْ طَالِبَةً وَلَا سَرِيَّةً فِي وَجْهِ تَخَوُّفٍ فِيهِ غَلَبَةٌ أَوْ ضِيعَةٌ وَنِكَابَةٌ؛ فَإِذَا عَايَنْتَ الْعَدُوَّ فَاحْشَمِ إِلَيْكَ أَقَاصِيكَ وَطَلَائِعَكَ وَسَرَايَاكَ، وَاجْمَعْ إِلَيْكَ مَكِيدَتَكَ وَقُوَّتَكَ، ثُمَّ لَا تَعَايِلْهُمْ الْمُنَاجَزَةَ، فَا لَمْ يَسْتَكْرِهَكَ قِتَالًا، حَتَّى تُبْصَرَ عَوْرَةُ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كَمَا كَعَمَرَهُ أَهْلُهَا، فَصْنَعْ بِعَدُوِّكَ كَصْنَعِهِ بِكَ، ثُمَّ أَذِكْ أَحْرَاسَكَ ٢٠
- عَلَى عَسْكَرِكَ، وَتَحْفَظْ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدَكَ. وَلَا تَوَقَّ بِأَسِيرٍ لَيْسَ لَهُ عَهْدٌ إِلَّا ضَرَبْتَ عَنْقَهُ، لَتُرْهَبَ بِذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكَ. وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ، وَوَلِيُّ النِّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

- عبد الملك يوصي أميره إلى أرض الروم
- وأوصى عبد الملك بن مروان أميراً سيده إلى أرض الروم فقال: أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحاً تجرّ وإلا تحفظ برأس المال . ولا تطلب النعمة حتى تحرّز السلامة . وكن من احتيالك على عدوك أشد حذراً من احتيال عدوك عليك .
- زياد يوصي قواده
- وكان زياد يقول لقواده : تجنبوا آتئين لا تقاتلوا فيهما العدو : الشتاء ، وبطلون الأودية .
- بين الوليد وعباد في زياد
- وأغزى الوليدُ بن عبد الملك جيشاً في الشتاء ، فغنموا وسلوا . فقال لعباد : يا أبا حرب ، أين رأى زياد من رأينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد أخطأت ، وليس كل عورة تُصاب .
- معاوية وقد أراد استعمال ابن خالد ثم التامدى
- التعبى قال : جاشت الرّوم وغزت المسلمين برا وبحراً ، فاستعمل معاوية على الصّافئة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فلما كتب له عهده قال : ما أنت صانع بهمدى ؟ قال : أتأخذني إماماً لا أعصيه . قال : ارُدُّدْ على عهدي . ثم بعث إلى سُفَيان ابن عوف الغامدى فكتب له عهده ، ثم قال له : ما أنت صانع بهمدى ؟ قال : أتأخذني إماماً أمام الحزم ، فإن خالفته خالفته . فقال معاوية : هذا الذي لا يُكفكف من عجلة ، ولا يُدفع في ظهره من خور ، ولا يُضربُ على الأمور ضَرْبُ الجمل النّفال^(١) .
- دريد وابن عوف النّصرى
- وقال دريد بن الصّمة لمالك بن عوف النّصرى ، قائد هوازن ، يوم حنين : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهيق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُمار الشاة ؟ قال : سقتُ مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجلٍ أهله وماله ليقا تل عنهم . فأقتض به^(٢) وقال : راعى ضأن والله ! وهل يرذ المنزيم شيء ؟ لأنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ،

(١) الجمل النّفال : البطيء .

(٢) أقتض به : أنكر عليه .

وإن كانت عليك ، فُضِّعَتْ في أهلك ومالك ؛ وَيَحْكُ اإنك لم تصنع بتقديم البيضة
بيضة هوازن إلى نحر الخيل شيئا ، ارضهم إلى مُتَمَنِّعٍ بِلادِهِمْ وَعُلْيَا قَوْمِهِمْ ،
ثم ألقى الصَّباء^(١) على متون الخيل ؛ فإن كانت لك لِحَقَّ بك من وراءك ، وإن
كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك . قال : لا والله لا أفضل ذلك ؛
• إنك قد كبرت وذهل عقلك . قال دريد : هذا يوم أشهده ولم يَفُتْنِي . ثم أنشأ يقول :

يا لَيْتَنِي فيها جَدَعٌ * أَحْبُبُ فيها وَأَضَعُ
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ * كَأَنَّهَا شاةٌ صَدَعُ

للتبعية ينصح
أصحابه

وكان قتيبة بن مُسلم يقول لأصحابه : إذا غزوتهم ، فأطيلوا الأظفار ، وقصروا
الشعور ، واحفظوا الناس شُررا ، وكلموهم رمزا ، واطنهم وخزا .

لأبي مسلم ينصح
قواده

وكان أبو مسلم يقول لقواده : أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها من أسباب
الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فإنها
حصن المحارب .

لعبد بن زيد

وكان سعيد بن زيد يقول لبنيه : قصروا الأعنة ، واشتدوا الاسنة ، تأكلوا
القريب ، ويرهبكم البعيد .

المنصور وعيسى
ابن موسى

١٥ وقال عيسى بن موسى : لما وجهني المنصور إلى المدينة لمحاربة عبد الله بن
الحسن ، جعل يوصيني ويكثر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إلى متى توصيني ؟
إني أنا ذاك الحسامُ الهندي * أكلتُ جَفْنِي وَفَرَيْتُ غَمْدِي
* فكلُّ ما تَطْلُبُ عِنْدِي عِنْدِي *

الحماة عن العشيعة ومنع المستجير

لجليل يصف
لعبد الملك قومه

٢٠ قال عبد الملك بن مروان الجُمَيْل بن حَلَقمة الثعلبي : ما مَبْلَغُ عزكم ؟ قال :
لم يُطَمَعُ فينا ولم يُؤْمَنَ مِنَّا . قال : فما مبلغ حِفْظكم ؟ قال : يدفع الرجل منا عن
استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه . قال عبد الملك : مثلك من يصف قومه .

(١) الصباء : يعني المسلمين ، وكذلك كان المشركون يسمونهم .

وقال عبد الملك بن مروان لابن مُطاع العنزي : أخبرني عن مالك بن مُسَمِّع لابن مطاع
قال له : لو غضب مالكُ لغضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه في أي شيء غضب .
قال عبد الملك : هذا والله السُّودد .

قال : ولم يَلِ قطُّ مالكُ بن مُسَمِّع ولا أسماءُ بن خارجة شيئاً للسلطان .

وكانت العرب تمتدح بالذَّبِّ عن الجار ، فيقولون : نلأنُ منبِعُ الجار حامى ٥
الذمار . نعم ، حتى كان فيهم من يحمى الجراد إذا نزل في جواره ، فُسِّمى
بجحر الجراد .

وقال مروان بن أبي حفصة يمدح مَعْن بن زائدة ويصف مفاخر بني شيبان
ومَنَعهم لمن استجار بهم :

١٠ هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا ٥ أَجَابُوا ، وَإِنْ أَغَطُّوا أَطَابُوا وَأَجَزُّوا
هُمُ يَمْنُونُ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا ٥ يَلْجَأُهُمُ بَيْنَ السَّمَاكِينَ مَزَلُ
وقال آخر :

هُمُ يَمْنُونُ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّهُ ٥ كَثِيبَةُ ذَوْرٍ بَيْنَ خَافِئَتَيْ نَدْرٍ

وذكر أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي مُحْرَاسان ، فاختان مالا كثيراً .

١٥ ثم هرب فاستتر عند هاني بن عروة المُرَادِي . فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هاني .
نفرج هاني إلى معاوية ، فكان في جواره . ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه . فلما
نهض الناسُ ثبت مكانه ، فسأله معاوية عن أمره ، فقال : أنا هاني بن عروة ،
فقال : إن هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك :

أَرْجَلُ بُجْتَى وَأَجْرُ ذَلِيلٍ ٥ وَتَحْمَلُ شِكَايَ أَفْقٍ تُكْنِتُ

٢٠ وأُمْسَى فِي سَبْرَةِ بَنِي غُطَيْفٍ ٥ إِذَا مَا سَادَنِي أَمْرٌ أَيْتُ

قال : أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعزُّ مني ذلك اليوم . قال : بيم ذلك ؟

قال : بالإسلام . قال : أين كثير بن شهاب ؟ قال : عندي وعندك يا أمير المؤمنين .

قال : انظر إلى ما اختأه نخذ منه بعضا ومنوعه بعضاً ، وقد آمنه ووهبناه لك .

- الشياني قال : لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصير إليه معاوية معاوية بن
 حُذَيْج الكندي . تفزق عن محمد من كان معه ، فتغيب فذل عليه ، فأخذه فضرب
 عنقه وبعث برأسه إلى معاوية . فكان أول رأس طيف به في الإسلام . وكان
 ٥ محمد بن جعفر بن أبي طالب معه ، فاستجار بأخواله من ختم فتيوه ؛ وكان
 سيد ختم يومئذ رجلا في ظهره برّخ^(١) من كسر أصابه ، فكان إذا مشى ظن
 الجاهل أنه يتبختر في مشيته ، فذكر لمعاوية أنه عنده ، فقال له : أسلم إلينا هذا
 الرجل . فقال : ابن أختنا لجأ إلينا لتحقق دمه ، فدعه عنك يا أمير المؤمنين .
 قال : والله لا أدعه حتى تأتيني به . قال : لا والله لا آتيك به . كذبت ، والله
 ١٠ لتأتيني به ، إنك ماعلت لأوره^(٢) . قال : أجل ، إني لأوره حين أقاتلك على
 ابن عمك لتحقق دمه ، وأقدم ابن عمي دونه تسفك دمه . فسكت عنه معاوية
 وخلي بينه وبينه .

- الشياني قال : قال سعيد بن سلم : أهدر المهدي دم رجل من أهل الكوفة
 كان يسمى في فساد سلطته ، وجعل لمن دله عليه أوجاه به مائة ألف درهم . قال :
 ١٥ فأقام الرجل حيناً متوارياً ، ثم إنه ظهر بمدينة السلام ، فكان ظاهراً كغائب ، خائفاً
 مترقباً . فبينما هو يمشي في بعض نواحيها إذ بصّر به رجل من أهل الكوفة فمرفه
 فأهوى إلى مجامع ثوبه وقال : هذا بُنيّة أمير المؤمنين . فأمكن الرجل من قياده
 ونظر إلى الموت أمامه . فبينما هو على تلك الحالة إذ سمع وقع الحوافر من وراء
 ظهره ، فالتفت فإذا معن بن زائدة ، فقال : يا أبا الوليد ، أجرني أجارك الله .
 ٢٠ فوقف وقال للرجل الذي تعلق به : ما شأنك ؟ قال : بُنيّة أمير المؤمنين الذي
 أهدر دمه وأعطى لمن دله عليه مائة ألف . فقال : يا غلام ، أنزل عن دابتك
 واحمل أخانا . فصاح الرجل : يا معشر الناس ، يُحال بيني وبين من طلبه

(١) البرخ : خروج الصدر ودخول الظهر .

(٢) الأوره : الآحق .

- أمير المؤمنين . قال له معن : اذهب فأخبره أنه عندي . فأنطلق إلى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب ، فدخل إلى المهدي فأخبره ، فأمر بحبس الرجل ووجه إلى معن من يحضر به ، فأته رسول أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقُربَتْ إليه دابته ، فبعث أهل بيته ومواليه فقال : لا يُخْلَصَنَّ إلى هذا الرجل وفيكم عَيْنٌ تطرف . ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي ، فلم يردّ عليه ، فقال : يا معن ، أُنَجِّبُ عَلَى ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : ونعم أيضاً ! واشتد غضبه . فقال معن : يا أمير المؤمنين ، قَتَلْتُ في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفاً ، ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن غنائى ، فما رأيتموني أهلاً أن تهبوا لى رجلا واحداً أستجار بى ؟ فأطرق المهدي طويلاً ثم رفع رأسه وقد سُرِّي عنه ، فقال : قد أجزنا من أجزت . قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله - فيكون قد أحياه وأغناه - نَعَلَ . قال : قد أمرنا له بخمسة آلاف . قال : يا أمير المؤمنين ، إن صلوات الخلفاء على قدر جنایات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم ؛ فأجزل له الصلة . قال : قد أمرنا له بمائة ألف . قال : قَتَمَجَلْهَا يا أمير المؤمنين بأفضل الداء . ثم انصرف ولحقه المسال ؛ فدعا الرجل فقال له : خذ صلتك والحق بأهلك ، وإياك ومخالفة خلفاء الله تعالى .

١٥

الجبين والفرار

- قال عمرو بن معديكرب : الفَرَاعَات ثلاث : فمن كانت فَرَوَعته في رجله فذلك الذى لا تُقِلُّه رجلاه ، ومن كانت فَرَوَعته في رأسه فذلك الذى يفرُّ عن أبويه ، ومن كانت فَرَوَعته في قلبه فذلك الذى يقاتل .
- وقال الأخنف : أسرعُ الناس إلى الفتنة ، أقلهم حياءً من الفرار .
- وقالت عائشة أم المؤمنين : إنَّ الله خلَقنا قلوبهم كقلوب الطير ، كلبنا خَفَنَت الريح خفقت معها ؛ فأفَّت للجبنة ! فأف للجبنة !
- وقال الشاعر :

لمرو
بذمه ديكرب
في الفَرَاعَات

للأخنف

لعائشة

لبعض الشعراء

يَبْرُؤُ جَبَانُ الْقَوْمِ مِنْ أَمِّ قَسِيرِهِ * وَيَحْمَى شِجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ

وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ ۖ وَيُجْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقد لقيتُ كذا وكذا رَحِمًا ، وما في جسمى موضعٌ شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ أو طعنةٌ أو رميةٌ ؛ ثم هانذا أموت حَتَفَ نَفْسِي كما يموت العَيْرُ ؛ فلا نامت أعينُ الجبناء .

٥ ومن أشعار الفرّارين الذين حَسَنُوا فِيهَا الْفِرَارَ عَلَى قَبْضِهِ حَتَّى حَسُنَ ، قول الفرّار السليبي :

وَكَيْتِيَّةٌ كَيْتِيَّتُهَا بِكَيْتِيَّةٍ ۝ حَتَّى إِذَا التَّبَتَّ أَمَلْتُ بِهَا يَدِي
وَتَرَكْتُهُمْ تَقْصُ الْأَمَاحُ ظُهُورَهُمْ ۝ مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وَآخَرٍ مُسْتَدٍ
هَلْ يَنْفَعُنِي أَنْ تَقُولَ نَسَاؤُهُمْ ۝ وَقَتِلْتُ دُونَ رَجَالِهَا : لَا تَبْعِدُ

١٠ وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ما اعتذر أحد من الفرّارين بأحسن مما اعتذره به الحارث بن هشام حيث يقول :

اللَّهُ يَعْزِلُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ ۝ حَتَّى رَمَوْا مُهْرِي بِأَشْفَرِ مُزْنِي
وَعَلَيْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتَلْتُ وَاحِدًا ۝ أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِي مَشْهَدِي
فَصَدَفْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِيَّةُ فِيهِمْ ۝ طَمَعًا لَمْ يَعْقَابِ يَوْمَ مَرَصَدِ

١٥ وهذا الذي سمعه صاحب رزيق فقال : يا معشر العرب ، حسنتم كلّ شيء لحسن حتى الفرار .

وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك .

وَأَسْلَمَ الْحَارِثُ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَخَرَجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ إِلَى الشَّامِ مِنْ مَكَّةَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَاتَّبَعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ يَبْكُونَ ، فَفَرَّقَ وَبَكَى وَقَالَ : أَمَا لَوْ كُنَّا نَسْتَبْدِلُ دَارًا بِدَارِنَا ، أَوْ جَارًا بِجَارِنَا ، مَا رَأَيْنَا بِكُمْ بَدَلًا ؛ وَلَكِنَّا نَقُولُ لِلَّهِ ١
فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ مُجَاهِدًا حَتَّى مَاتَ .

وقال آخر :

قَامَتْ تُشَجِّعُنِي هُنْدٌ وَقَدْ عَلِمْتُ ۝ أَنَّ الشُّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطْبُ

لا والذى مَنَعَ الأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ . مَا يَشْتَهَى المَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ آدَبُ
للحرب قومٌ أَضَلَّ اللهُ سَبِيلَهُمْ . إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَثَبُوا
وَأَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ ، لَا القَتْلُ يُعْجِزُنِي مِنْهَا وَلَا السَّلْبُ

وقال محمود الوراق :

الوراق

أَيُّهَا الفَارِسُ المُشِيخُ المُنِيرُ . إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الحَيِّ . بَلِ إِذَا ثَوَّرَ النُّبَارَ مُثِيرُ
وَأَسْدَارَتِ رَحَى الحُرُوبِ يَقُومُ . فَتَقْتِيلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الجَبَانُ مِنَ الذُّعَى . يَرِ وَيَغْلُو الصَّبَاحُ وَالتَّكْبِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ ذَا وَهَذَا بَلِيدٌ . وَلَكَيْبٌ فِي غَيْرِهِ نَحِيرُ

وقال أيمن بن حُرَيْمٍ :

لابن حريم

إِنَّ لِلْفِتْنَةِ مِيطًا^(١) بَيْنَا . فَرُوَيْدَ المِيطَةِ مِنْهَا يَعْتَدِلُ
فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَأَتَيْهِمْ . وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَأَعْتَزِلُ
إِنَّمَا يُوقِدُهَا جُهَاثُهَا . حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَعِلُ

ومما يحتج به الفازون : ما قاله صاحب كلية ودمنة : إن الحازم يكره القتال

لصاحب
كلية ودمنة

١٥ ما وجد بدأ منه ؛ لأن النفقة فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فنظمه في شعره حيث يقول :

لابن تمام

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ إِنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ . مَا لَوْ وَقَوْمٌ يُنْفِقُونَ نَفُوسًا

ومن الفزاريين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : فر من الأزارقة وكان في

من الفزاريين :
ابن الأشعث

عشرة آلاف ، وكان قد بعث إليه المهلب : يا بن أخي ، خذني على نفسك وعلى

أصحابك ، فإني عالم بأمر الخوارج ، ولا تفتّر . فبعث إليه : أنا أعلم بهم منك ، وهم

أهونُ عليّ من ضربة الجبل فبئته قطريّ صاحب الأزارقة فقتل من أصحابه خمسمائة ،

وفر لا يلبى على أحد . فقال فيه الشاعر :

(١) ميطا : أى هياجا وصخبا .

تَرَكْتُ وَلَقَدْ أَتَانَا تَدْعَى نَحْنُورُهُمْ . وَجِئْتُ مُنْهَرِماً بِأَحْطَرَّةِ الْجَمَلِ

ومن الفراءين أُمَيَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ؛ فز يوم مرداء هَجَرَ من أبى
فَدَيْكَ ، فسار من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام ، جلس يوماً بالبصرة فقال :
سرت على فرسي «المهرجان» من البحرين إلى البصرة في ثلاثة أيام . فقال له بعض جلسائه :
أصلح الله الأمير ، فلو ركبت «التيروز» لدرت إليها في يوم واحد . فلما دخل
عليه أهل البصرة لم يروا كيف يُكَلِّمونه ، ولا ما يُلْقُونَهُ من القول ، أيْهَنُونَهُ أَمْ
يُعِزُّونَهُ ؛ حتى دخل عليه عبدُ الله بن الأَهمم فاستشرف الناس له ، وقالوا : ما عسى
أن يُقال للنهزم ؟ فلم يُهم قال : مرحباً بالصابر المخدول ، الذي خذله قومه . الحمد
لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا فقد تعرّضت للشهادة جهديك ، ولكن
عَلِمَ اللهُ حَاجَةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ إِلَيْكَ ، فأبَاقَ لَمْ يَخْذُلَانِ مَنْ مَعَكَ لَكَ . فقال
أُمَيَّة بن عبد الله : ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك . وفيه يقول الشاعر :

إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فَرَاؤُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الشَّرَائِدِ

الحجاج
وخيل لأمية

أتى الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أنفأها : « عُدَّة » فأمر
الحجاج أن يكتب تحت ذلك : « للإفراء »

وقال أبو دُلَامَة : كنت مع مروان^(١) أيام الضحاك الحاروري ، فخرج فارس
منهم فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل ، فقتله ، ثم ثان ، ثم ثالث . فانتقبض الناس
عنه ، وجعل يدنو ويهدير كالفضل المفلتم ؛ فقال مروان : من يخرج إليه وله
عشرة آلاف ؟ قال : فلما سمعتُ عشرة آلاف هانت على الدنيا وتَخَوَّتُ بنفسى
في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه . فإذا عليه قَرُوءٌ قد بلّه المطر قَارَمَعَلٌ ، ثم
أصابته الشمس فاقفعل^(٢) ، وله عَيْنَانِ تَقْدَانِ كَأَنَّهُمَا جِرتَانِ ؛ فلما رَأَى فِيهِمُ الَّذِي

أخرجني ، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول :

وَأَخْرَجَهُ أَحَبُّ الطَّمَعِ * فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ

* مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ *

فلما رأيته قَتَعْتُ رَأْسِي ووليت هارباً ومروان يقول : مَنْ هذا الفاضح ؟
لا يفوتكم ! فدخلت في غمار الناس .

ولأعرابي في التزوؤ قيل لأعرابي : ألا تنزو العدو ؟ قال : وكيف يكونون لي عدوًّا وما أعرفهم
ولا يعرفوني ؟

ولأخر قيل للآخر : ألا تنزو العدو ؟ قال : والله إنني لأبض الموت على فرائي ،
فكيف أخبأ إليه ركضاً !

ومما قيل في الفزارين الجبناء من الشعر قولُ حسان بن ثابت يعبّر الحارث
ابن هشام بن هشام لسان بهيم الحارث بن هشام
وقد تقدم ذكر ذلك :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي * فَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَجِبَةَ لَمْ يُقَاتِلْ دُوْنَهُمْ * وَتَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ
مَلَأْتُ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَاَمْتَدْتُ بِهِ * وَتَوَى أَحْبَبْتُهُ بِشَرِّ مُقَامٍ
وقال بعض العراقيين في رجل أكل جبان :
إِذَا صَوَّتَ الْعُصْفُورُ طَارَ فَوَادُهُ * وَلَيْتَ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
لبعض العراقيين في أكل جبان

وقال فيه :

ضَعِيفُ الْقَلْبِ رَغِيدٌ * عَظِيمُ الْخَلْقِ وَالْمَنْظَرُ
رَأَى فِي النَّوْمِ عُصْفُورًا * فَوَارَى نَفْسَهُ أَشْمَرُ
لبعض الشعراء وقال آخر :

لَوْ جَرَتْ خَيْلٌ كُوصًا * لَجَرَتْ خَيْلٌ ذُفَاقَةً
هِيَ لَا خَيْلٌ رَجَاءُ * لَا وَلَا خَيْلٌ مَخَافَةً

وقال آخر :

خَرَجْنَا نُرِيدُ مُغَارًا لَنَا * وَفِينَا زَيْلٌ أَبُو صَعَصَعَةٍ
فَسَيَّتْ رَهْطٌ بِهِ خَمْسَةٌ * وَخَمْسَةٌ رَهْطٌ بِهِ أَرْبَعَةٌ

الطرماع
في بني تميم

ولم يقل أحد في وصف الجبن والفرار مثل قول الطرماع في بني تميم :
تميمٌ بطريقِ المؤمِ أهدى من القَطَا هـ ولو سَلَكَتْ سُبُلَ المكارمِ ضَلَّتْ
ولو أنْ بُرَغَوْنَا على ظَهْرِ قَلَةٍ هـ رَأَتْهُ تَمِيمٌ يَوْمَ زَحْفِ لَوْلَتْ
ولو جَمَعَتْ يوماً تَمِيمٌ جوعَهَا هـ على ذَرَّةٍ معقولةٍ لاشْتَمَلَتْ^(١)

٥ وليس يُعَابُ الشجاعُ والبُهْمَةُ البطلُ بالفَرَّةِ الواحدةِ تكون منه خاصة لاعامة :
لفر بن الحارث
كما قال زُفر بن الحارث وفز يوم مرج راطح عن أبيه وأخيه فقال :

أَيْذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إنْ أَسَأْتُهُ هـ بِصَالِحِ أَبِي وَحُسْنِ بِلَانِيَا
ولم يُرْمَى زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ هـ فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَانِيَا

لعرو
بن معديكرب

١٠ وقَرَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ مِنْ عَبَّاسِ بْنِ مَرْدَاسٍ وَأَسْرَ أَخْتَهُ رِيحَانَةَ ؛ وَفِيهَا
يقول عمرو :

أَيْنَ زَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ هـ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي مُجْجِعُ

وفز عن بني عبس وفيهم زُهير بن جَذِيمَةَ الْعَبْسِيِّ وولده شَاسُ بْنُ زُهَيْرٍ وَقَيْسُ بْنُ
زُهَيْرٍ ا فقال فيهم :

٥ أَجَاعِلَةٌ أُمُّ التَّوَيْرِ خَزَايَةَ هـ عَلَى فِرَارِي إِذْ لَقِيتُ بَنِي عَبْسٍ
لَقِيتُ أَبَا شَاسٍ وَشَاسًا وَمَالِكًا هـ وَفَيْسًا جَلَّاشَتْ مِنْ لِقَائِهِمْ نَفْسِي
لَقُونَا فَضْمُوا جَانِبِنَا بِصَادِقٍ هـ مِنَ الطَّعْنِ مِثْلَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْيَبَسِ
وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ قَبْوِ رِمَاحِهِمْ هـ خَبَطْتُ بِكَفِّي أَطْلُبُ الْأَرْضَ بِاللَّمْسِ
وليس يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جُبْنٍ يَوْمِهِ هـ إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ
وقال أيضا :

٢٠ وَلَقَدْ أَجْمَعَ رَجُلِي بِهَا هـ حَنَرَ الْمَوْتَ وَإِنِّي لَفَرُوزُ
وَلَقَدْ أَعْطَفَهَا كَارِهَةً هـ حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ الْمَوْتِ هَرِيرُ
كُلِّ مَا ذَلِكُ مِنِّي خُلُقِي هـ وَبُكْلِي أَنَا فِي الرُّوْعِ جَدِيرُ

وابن صبح سادراً يُوعِذني * ماله في الناس ما عِثْتُ بحير
وقال الحارث لأمرأته ، وذلك أنها نظرت إليه وهو يَحْدُ حربة يوم فتح مكة
فقال له : ما تصنع بهذه ؟ قال : أعددتُها لمحمد وأصحابه . فقالت : ما أرى يقوم
لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إنني لأرجو أن أُخِذَ منك بعضهم أنتم أنشأ يقول :

بين الحارث
وامرأته

• إن يُقِيلُوا اليومَ فإني علةٌ * هذا سلاحُ كاملٍ وألهُ •

• وذو غراوينَ سريعُ السَّلهُ •

فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل ، فلامته امرأته ، فقال :
إنك لو شاهدتِ يومَ الخندمةِ • إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمةُ
وأبو يزيدَ قائمَ كالموتمةِ • ولحقتنا بالسيفِ المُسله
يفلَقنَ كلَّ ساعدٍ وُجُمَةٍ • ضرباً فلا تُسمعُ إلا غَغَمَةً
لهم تَبيتُ خلفنا ومهمهم • لم تنطقي في اللومِ أدنى كلمة

١٠

وكان أسلم بن زرة وجهه عبيد الله بن زياد لحرب أبي بلال الخارجي في
ألفين ، وأبو بلال في أربعين رجلاً : فشدوا عليه شدة رجل واحد فانهزم
وأصحابه ، فلما دخل على ابن زياد عتفه في ذلك وقال : ويلك ! أتمضي في ألفين
وتنهزم عن أربعين ؟ فخرج عنه وهو يقول : لأنْ يذُمَّ ابن زيادَ حياً خيراً من
أن يمدحني وأنا ميت - وفي رواية أخرى : أن يشتمني الأميرُ وأنا حيُّ أحبُّ إليَّ
من أن يدعولي وأنا ميت . فقال شاعر الخوارج :

بين ابن زياد
وابن زرة

ألفاً مؤمِنٍ فيما زَعَمْتُمْ • وبهزمهم بآسِكٍ أربَعونا
كذَبْتُمْ ، ليس ذَلِكُمْ كذا كُتْمٌ • ولكنَّ الخوارجَ مؤمنونا
مُ الفتنَةِ القليلةِ قد عَلِمْتُمْ • على الفتنَةِ الكثيرةِ يُنصَرُونَا

٢٠

ومثل ذلك قول عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، وكان قرَّ يوم الحرَّة
من جيش مُسلم بن عُقبة ، فلما كان أيامَ حصارِ الحجاج بمكة لعبد الله بن الزبير
جعل يقاتل أهل الشام ويقول :

مبداءة بن مطيع

أنا الذي فرتُ يومَ الحرَّةِ • والشَيْخُ لا يَفِرُ إلا مرة

فاليوم أجزى فزة بكزته . لا بأس بالكثرة بعد الفزة
فلم يزل يُقاتل حتى قُتل .

وأحسن ما قيل في الفرار كله ما قاله قيس بن الخطيم :

قيس بن الخطيم

إذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا . صدود الخدود وازورار المناكب
أجلهم يوم الحديقة حاسرا . كأن يدي بالسيف يخراق لأعب

وفز عتبة بن الحارث بن هشام يوم ثبرة عن أبيه حزرة وقال :

عتبة بن الحارث

يا حسرتي لقد لقيت حسرة . يا قلمي غشيتني عبرة
نعم الفتي غادرته بثبرة . تجيت نفسي وركت حزرة
هل يترك الحر الكريم بكرة .

١٠ وفز أبو خراش الهذلي من فائد وأصحابه ، ورصدوه بعرفات فقال :

أبو خراش

وفوني وقالوا يا خويلد لا ترع . فقلت وأنكرت الوجوه هم هم
وقلت وقد جاوزت أصحاب فائد . أأنجزت أولى الخيل أم أنا أحم
فلولا أدراك الشر قامت حليتي . تخير من خطابها وهي أئيم
ولولا أدراك الشر أنلفت مهجتي . وكان خراش يوم ذلك يئيم

١٥ وفز حبيب بن عوف يوم مرداه هجر من أبي فديك ، فقال :

حبيب بن عوف

بذلت لهم يا قوم حوثي وقوتي . ونصحتي وما صحت يداي من التبر
فلما تنأى الأمر بي من عدوكم . إلى مهجتي ولت أعداكم ظهري
وطرأت ولم أحفل ملامة عاجز . يقيم لأطراف الرديئة السمر
فلو كان لي روحان عرضت واحدا . لكل رديئة وأبيض ذى أثر

٢٠ رجع بنا القول إلى الغزارين والجنباء وما قيل فيهم .

فزع خالد بن عبد الله بن أسيد عن مصعب بن الزبير يوم الجفرة بالبصرة ،

فزع خالد بن عبد الله بن أسيد

فقال فيه الفرزدق :

وكلُّ بَنَى السَّوداءِ قد فرَّ فرّةً . فلم يبق إلا فرّةٌ في أنْت خالِدٍ
فضحمتُ أميرَ المؤمنين وأتمُّ . تمرُّون سُودانًا غِلَاطَ السَّوَادِ

لبیان وقيل لرجل جبان في بعض الوقائع : تقدّم . فأنشأ يقول :

وقالوا تقدّم ، قلتُ لست بفاعِلٍ . أعافُ على فُخَّارِقي أن تُحطِّبًا
فلو كان لي رأسانُ أُلِفْتُ واحدًا . ولكنه رأسٌ إذا راح أعقابها
فلو كان مُبتاعًا لَنَتَى السوقُ مثْلُهُ . فقلتُ ولم أحِطْ بأنْ أُنْقَدَمَا
فأوتيتُ أولادًا وأزْمِلُ نسوةً . فكيف على هذا ترون التقدُّما

وقالت هند بنت النعمان بن بشير - لزوجها رَوْح بن زنباع : كيف سَوَدَكَ
قومك وأنت جبانٌ غيورٌ ؟ قال : أما الجبن ، فإن لي نفسًا واحدةً فأنا أحوطُها ،
وأما الغيرةُ فما أحقُّ بها مَنْ كانت له امرأةٌ حقاءَ مثلك ، مخافةً أن تأتيه بولدٍ من
غيره فترحمي به في حِفْزِهِ .

بين هند
وابن زنباع

وقال كعب بن زهير :

لكعب بن زهير

بُخْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا مِنْ عَدُوِّكُمْ . لَبِئْسَتِ الْخَلَتَانِ الْبَخْلُ وَالْجُبْنُ

فضائل الخيل

قال النبي صلى الله عليه وسلم في صفة الخيل : أعرافها أدقاؤها ، وأذنانها
مدّاها والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم يائناث الخيل فإن بطونها كذا : وظهورها
حرزٌ ، وأصحابها مُعانون عليها .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أريد أن أشتري فرسًا أُعِدُّهُ
في سبيل الله . فقال له : اشتره أذهبْ أو كُتِبَتْ أفرَحَ أرثم ، أو تُحْجَلْ مطلق
العين^(١) ، فإنها ميامينُ الخيل .

(١) الأدم : الأسود . والكيت : من الكتة ، وهي لون بين السواد والحمر . والأفرح :
ما كان في جبهته بياض قليل دون الغرة . والأرثم : هو ما كانت شفته العليا وأفقه أبيضين .
والحجل : ما كانت قوائمُه بيضاء . ومطلق العين : أي لا تحصيل فيها .

وقيل لبعض الحكماء : أى الاموال أشرف ؟ قال : فرس تتبعها فرس .
 فى بطنها فرس .

صفة جياذ الخيل

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر .
 وقال : لو جمعت خيل العرب فى صعيد واحد ماسبقها إلا أشقر .
 وسأله رجل : أى المال خير ؟ قال : سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة ^(١) .
 وكان عليه الصلاة والسلام يكره الشكال ^(٢) فى الخيل .

وقالوا : إنما سميت خيلا لاختيالها .

ووصف أعرابي فرساً فقال : إذا تركته نَمَسَ ، وإذا حركته طار .

وأرسل مُسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلا ، فقال له : لا علم لي
 بالخيال . فقال : أأنت صاحب قنص ؟ قال : بلى . قال : فانظر ، كل شيء
 تستحسنه فى الكلب فاطلبه فى الفرس . فأنى بخيل لم يكن فى العرب مثله .

وقال بعض الصَّيَّيِّين فى وصف فرس :

متقاذِفٌ عَيْلٌ التَّوْى شَنِجُ الدَّسَا هـ سَبَاقِ أُنْدِيَةِ الْجِيَادِ عَمْبَلٌ
 وإذا تَعَلَّلَ بالسَّيَاطِ جِيَادُهَا هـ أَعْطَاكَ نَافِلَهُ وَلَمْ يَتَعَلَّلْ

سأل المهدي مطر بن دزاج عن أى الخيل أفضل ؟ قال : الذى إذا استقبلته
 قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاخر ، وإذا استعرضته قلت زافر . قال : فأى
 هذه أفضل ؟ قال : التى طرفه إمامه ، وسوطه عنائه .

وقال آخر : التى إذا مَتَّى رَدَى ، وإذا عَدَا دَجَا ، وإذا أَسْتَقْبَلَ أَقْعَى ،
 وإذا أَسْتَدْبَرَ جَبَّى ^(٣) ، وإذا أَسْتَعْرَضَ أَسْتَوَى .

(١) السكة : الطريق المصطفة من النخل . والمأبورة : الملقحة . والمأمورة : الكثيرة التناج .

(٢) الشكال : أن تكون ثلاث قوائم محملة وواحدة مطلقه .

(٣) جبي : انكسب على وجهه .

لأنى صلى الله
 عليه وسلم

لبعضهم

لأعرابي

مسلم وابن عم له
 فى ذبراء خيل

لبعض الصيادين
 فى وصف فرس

بين الهدى
 وابن دجاج
 فى أفضل الخيل

لبعضهم

وسأل معاوية بن أبي سفيان صمصمة بن صوحان : أى الخيل أفضل ؟ قال :
الطويل الثلاث ، القصير الثلاث ، العريض الثلاث ، الصافي الثلاث . قال : فسُرُّ
لنا . قال : أما الطويل الثلاث ، فالأذن والعنق والحزام ؛ وأما القصير الثلاث ،
فالصلب والعسيب والقشيب ؛ وأما العريض الثلاث ، فالجبهة والمنخر والورك ؛
وأما الصافي الثلاث ، فالأديم والعين والخافر .

بين معاوية
وصمصمة
فى أفضل الخيل

وقال عمر بن الخطاب لعمر بن معديكرب : كيف معرفتك بعراب الخيل ؟
قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده . فأمر بأفراس فعرضت عليه ، فقال :
قدّموا ليها الماء فى التراس ، فسا شرب ولم يكتف فهور من العراب ، وما تئى
سلبك فليس منها .

بين عمر بن
الخطاب وعمر بن
ابن معديكرب
فى عراب الخيل

قلت : إنما المحفوظ أن عمر شك فى العناق والمجن ، فدعا سلمان بن ربيعة
الباهلى فأخبره ، فدعا سلمان بطست من ماء فوضع بالأرض ، ثم قدم إليه الخيل
فرساً فرساً ، فما تئى سلبك وشرب هجنه ، وما شرب ولم يئن عربه .

وقال حسان بن ثابت يصف طول عناق الفرس :

لسان بن ثابت

بكل كُتبت جِوزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ * أَقْبَ طَوَالَ مُشْرِفٍ فى الحِوَارِكِ

١٥

وقال زهير :

زهير

وَمُلْجُمُنَا مَا لَمْ يَنْأَلْ قَدَالَهُ * وَلَا قَدَمَاءَ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْأَمِلَهُ

وقال آخر :

لبعض الشعراء

لَهُ سَاقَا ظَلِيمَا * ضِبَّ فَوْجِيَّ بِالرُّعْبِ

حَدِيدُ الطَّرْفِ وَالْمَنْكَبِ وَالْعُرْقُوبِ وَالْقَلْبِ

٢٠

وقال آخر :

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ * أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ

لم يرد بقوله « قصير عذار اللجام » قصر خدّه ، وإنما أراد طويل شق الفم ؛
وأراد بطول عذار الرسن ، طول الحنّ .

وقال آخر :

بكل هريت نقي الأديم * طويل الحزام قصير اللب

وقال أبو عبيدة : يُستدل على عتاقة الفرس بركة جحافله وأرنبتيه ، وسعة
مِنْخَرِيه ، وعُرْي نواهقه ، وِدَقه حَقْوِيه وما ظهر من أعلى أذنيه ، ورقة سالفتيه
وأديمه ، ولين شعره . وأَيِّن من ذلك كله لِيْنُ شِكْرِ ناصبته وعُرفه .

وكانوا يقولون : إذا اشتد نَفْسُهُ ، وَرَحِبَ مُتَنَفِّسُهُ ، وطال عنقه ، واشتد
حِقْوُهُ ، وانْهَرَّتْ شِدْقُهُ ، وعظمت فخذاه ، وانْشَبَخَتْ " أنساؤه ، وعظمت
فصوصه ، وصلبت حوافره ووقعت : ألحق بجياد الخيل .

قيل لرجل من بني أسد : أتعرف الفرس الكريم من المُفْرِ ؟ قال نعم :
أما الكريم فالجواد الجيد ، الذي نَهَزَ نَهْزَ القَيْر ، وأُفِّفَ تَأْنِيفَ السَّيْرِ ، الذي
إذا عدا أسلَّه ، وإذا قُيِّدَ أَجْلَقَبَ ، وإذا انتصب انْطَلَبَ .
وأما المُفْرِ فإنه الذَّلُولُ الحَجَبَةُ ، الضخم الأرتبة ، العليظ الرقة ، الكثير
الجلبة ، الذي إذا أرسلته قال أمْسِكْنِي ، وإذا أمسكته قال أُرْسِلْنِي .

وكان محمد بن السائب الكلبي يحدث أن الصافات الجياد المعروضة على سليمان
ابن داود عليهما السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه ، فلما عُرِضَتْ عليه ألهته
عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب ، فَعَرَفَهَا إِلَّا أَفْرَاسًا لم تُعْرَضْ
عليه ، فوفد أقوامٌ من الأزد ، وكانوا أصهاره ، فلما فرغوا من حوائجهم ، قالوا :
يا نبي الله ، إن أرضنا شاسعة فزودنا زاداً يَلْغُنَا . فأعطاهم فرساً من تلك الخيل ،
وقال : إذا نزلتم منزلاً فاحلوا عليه غلاماً وأحطبوا : فإنكم لا تورون نازكم حتى
يأتكم بطعامكم . فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلاً إلَّا رَكِبَهُ أَحَدُهُمَ لِلتَّنَصُّصِ فلا
يُفْلِتُهُ شَيْءٌ . وقتت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار ، إلى أن قَدِمُوا إلى بلادهم فقالوا :
« ما فرسنا إلَّا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب ، فأصل لُحُولِ العرب من تاجه .
ويقال لِهِنَّ « أعوج » ، كان منها ، وكان خللاً لَهْلَالِ بن عامر أنتجته أمه يعض

بيوت الحى، فظفروا إلى طرف يضع جففته على كاذتها - على الفخذ مما إلى
الحياه - فقالوا: أدركوا ذلك الفرس لا ينزو على فرسكم، لعظم أعوج، وطول
قوائمه فقاموا إليه فوجدوا المهر، فسموه أعوج.

وأخبرنا فرج بن سلام عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: أغير على أهل
النسار^(١) وأعوج موثق بئامة، فجاء صاحبه في منته ثم زجره فاقطلع البئامة،
فخرجت تحف في منته كالخندوف وزاده، فعدا يباض يومه وأمسى يتعشى من
جهم قباء.

وقال الشاعر في وصف فرس:

لبعض الشعراء
في فرس

وأحر كالذي ياج أنا سماؤه • فرياً، وأما أرضه فعول

قوله: سماؤه: أعلاه. وأرضه: أسفله، يريد قوائمه.

وللطائي نظير هذا حيث يقول:

الطائي

مُبْتَلُ مَتْنٍ وَصَوْتَيْنِ إِلَى • حَوَافِرِ صَلْبِيَّ لَهُ مُلْسٍ
فَهُوَ كَلَى الرُّوعِ وَالْجَلَابِ ذُو • أَعْلَى مُنْدَى وَأَسْفَلَ يَبَسِ
أَوْ أَدَمَ فِيهِ كُنْتَهُ أُمُّ • كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ النَّلْسِ
صَهْلِيٌّ فِي الصَّهْلِ، تَحْسَبُهُ • أَشْرَجَ خَلْقُومُهُ عَلَى جَرَسِ

وقال حبيب أيضاً يصف فرساً أهدها إليه الحسن بن وهب الكاتب.

مَامُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ • مَلَانٍ مِنْ صَلْبٍ بِهِ وَلَهْوَقِ
بِحَوَافِرِ خَفَرٍ وَصَلْبٍ صَلْبٍ • وَأَشَاعِرِ شَعْرِ وَحَلْقِ أَحْلَقِ
وَبِشَعْلَةٍ تَبْدُو كَأَنَّ حُلُولَهَا • فِي صَوْتِيَّهِ بُدْوَ شَيْبِ الْمَفْرِقِ
ذُو أَوَّلِيٍّ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَإِنَّمَا • مِنْ صِحِّيَّ إِفْرَاطِ ذَلِكَ الْأَوَّلِيٍّ
تُنْزَرَى الْعِيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِرٍ • فِي نَعْتِهِ غَفَوًا وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ
بُصْعَدٍ مِنْ نَعْتِهِ وَمُصَوَّبٍ • وَجُمُوعٍ مِنْ حَسَنَةٍ وَمُفَرَّقِ

٢٠

قد سالت الأوصاحُ سَيْلَ قَرَارِيهِ ۝ فِيهِ فَفَقَّرْتُ عَلَيْهِ وَمَلَقْتُ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهُ ۝ مِنْ سُنْدُسٍ ثَوْبًا وَمِنْ لِسْتَبَرَقٍ
مُسَوِّدٍ شَطِيرٍ مِثْلَ مَا سَوَدَّ الدُّجَى ۝ مُبَيَّضٌ شَطْرَ كَايِيضِاضِ الْمُهْرَقِ
فَكَانَ فَارِسُهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَأَ ۝ فِي مَتْنِهِ آتِنَا لِلصَّاحِ الْأَبْلَقِ
إِلْمِيسَةَ إِمْلِيدَةَ لَوْ عُلِّقَتْ ۝ فِي صَهْوَتِهِ الْعَيْنُ لَمْ تَعْلُقْ
يُرْقَى وَمَاهُوَ بِالسَّلِيمِ وَيَنْتَدِي ۝ دُونَ السَّلَاحِ سِلَاحُ أَرْوَعٍ يُمَلِّقِ

وقال أبو سويد : شهد أبو دلف وقعة البَدَّ^(١) ونحته فرس أدم وعليه نَضَح
الدم ، فاستوقفه رجل من الشعراء وأُنشد :

كَمْ ذَا تَجَرَّعَهُ الْمَنُونُ وَيَسْلُمُ * لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ الْأَذْمُ
فِي كُلِّ مَنْبَتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ * تَمَقُّ يُنَمِّقُهُ الْحُسَامُ الْمَخْدُمُ
وَكَأَنَّمَا عَقَدَ النُّجُومَ بِطَرَفِهِ * وَكَأَنَّهُ بِهَرَمَى الْمَجَرَّةِ مُلَجِمُ
وَسَكَانِهِ بَيْنَ الْبَوَارِقِ لِقَوَّةِ * شَقَرَاهُ كَاسِرَةٌ طَوْتُ مَا تَطْلُمُ
مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحُ أَذُنُ سِيرِهِ * لَا بَلَّ يَفُوتُ الرِّيحَ فَهُوَ مُقَدَّمُ
رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَيْنَةِ أَشْقَرًا * وَاللَّوْنُ أَذْمٌ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ

١٥ قال : فأمر له بعشرة آلاف .

ومن قولنا في وصف الفرس :

وَمُقَرَّبَةٌ يَشْقُرُ فِي النَّعْجِ كَتَمَهَا * وَيَخْضَرُ حِينَ كَلِمَا بَلَّهَا الرُّشْعُ
تَطِيرُ بِلَا رِيْشٍ إِلَى كُلِّ صَيْحَةٍ * وَتَسْبَحُ فِي الْبَرِّ الَّذِي مَا بِهِ سَبْحُ

وقال عدي بن الرقاع :

يَخْرُجْنَ مِنْ فُرْجَاتِ النَّعْجِ دَائِمَةً * كَأَنَّ أَذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامِ

وطلب البحرى الشاعر من سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب فرساً

(١) البَدَّ : كورة بين أذربيجان وأران ، بها كان يخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم .
وشهدا أبو دلف .

ابن الشعراء
في أبي دلف

لابن عدي
في وصف الفرس

لابن الرقاع

ووصف له أنواعاً من الخيل في شعره فقال :

- لَأَكْلَفَنَّ الْعَيْسَ أَبْعَدَ هِمَّةٍ * يَجْرِي إِلَيْهَا خَائِفٌ أَوْ مُرْتَجِي
وَلِلَّ سَرَاةٍ بَنَى مُجِيدٍ لِنَهْمٍ * أَمْسَوْا كَوَاكِبَ أَشْرَقَتْ فِي مَنَاجِيحِ
وَالَيْتُ لَوْلَا أَنْ فِيهِ فَضِيلَةٌ * تَعْلُوَ الْيَوْتُ بِفَضْلِهَا لَمْ يُجْجِجِ
فَأَعْيَنَ عَلَى عَزْوِ الْعَدُوِّ بِمَنْطَوِي * أَحْشَاؤُهُ طَلَى الرِّدَاءِ الْمُسْدَجِ ٥
إِنَّمَا بِأَشْفَرِ سَاطِعٍ أَغْنَى الْوَغَى * مِنْهُ بِمَثَلِ الْكوكِبِ الْمُنَاجِجِ
مُتَسَرِّبِلٍ شَيْبَةً طَلَتْ أَغْطَاةُ * بِدَمٍ فَاتْلُقَاهُ غَيْرَ مُضْجِجِ
أَوْ أَذْهَمِ صَافِي الْأَدِيمِ كَانَهُ * تَحْتَ الْكَمَى مُظْهَرٌ بِيَرْتَجِجِ
ضَرِيرٍ يَبْهَجُ السُّوْطَ مِنْ سُؤْبُوِي * هَيْجَ الْجَنَابِ مِنْ حَرِيقِ الْقَرِجِ
خَفْتُ مَوَاقِعَ وَمَآئِهِ فَلَوْ أَنَّهُ * يَجْرِي بِرَمْلَةٍ عَالِجٌ لَمْ يُرْهِجِ ١٠
أَوْ أَشْبَهَ يَقْقِي بَضَى وَرَاءَهُ * مِنْ كَمَنِ اللَّجَّةِ الْمُتَرْجِجِ
تَغْنَى الْحُجُولَ وَلَوْ بَلَعْنَ لَبَاءَهُ * فِي أَيْضٍ مُتَالِيٍ كَالْمُلْجِجِ
أَوْقَى بِرُفٍّ أَسْوَدٍ مُتَفَرِّدٍ * فِيمَا يَلِيهِ وَحَافِرٌ فَيُرْوِجِي
أَوْ أَبَاقِي مَلَأَ الْعِيُونَ إِذَا بَدَأَ * مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَمُودِجِ
جَدْلَانِ تَحْدَهُ الْجِيَادُ إِذَا مَشَى * عَنَقًا بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُسْجِجِ ١٥
وَعَرِيضُ أَعْلَى الْمَنِّ لَوْ عَلِيَّتَهُ * بِالزَّبَقِ الْمُهَالِ لَمْ يَسْدَحْجِجِ
خَاضَتْ قَوَائِمُ الْوُثُقِ " بِنَاوُهَا * أَمْوَاجَ تَحْنِيْبٍ بَيْنَ مُدْرَجِ
وَلَانَتْ أَبْعَدُ فِي السَّاحَةِ هِمَّةٌ * مِنْ أَنْ تَضُنَّ بِمُلْجَمٍ أَوْ مُسْرَجِ

ولأدري القيس وأول من شبه الخيل بالظباء والسرّحان والنعامة ، وتبعه الشعراء وحدثوا

- ٢٠ حذوه وعلى مثاله - امرؤ القيس بن حجر :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَلْبِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ * وَإِرْغَاهُ سِرْحَانٍ وَتَقَرُّبُ تَنْفَلِ

كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى ۚ مَدَاكَ عُرْسٍ أَوْ صَلَاةٍ حُظُلٍ
مِكْرَ مِقْرٍ مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعًا ۚ كَجُلُودِ صَخْرٍ حَلَّةِ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ
دَرِيرٍ كَعُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ ۚ تَتَابَعُ كَفِّهِ بِخِطِّ مَوْصَلٍ
كَتَبَتْ يَرْلُ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ۚ كَمَا زَلَّ الصَّفْوَاءُ بِالْمَتَزَلِّ

٥ فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فخذوا عليه ، فقال طفيل الخليل : لطفيل الخليل

إِنْ وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَا يُفَارِقُنِي ۚ مِثْلُ النِّعَامَةِ فِي أَوْصَالِهَا طَوْلُ
تَقْرِيبِهَا الْمَرَطَى وَالْجَوْزُ مُعْتَدِلٌ ۚ كَأَنَّهُ سُبْدٌ بِالْمَاءِ مَغْسُولُ
أَوْ سَاهِمُ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطِّعْ أَبَا جِلَّةَ ۚ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْنُولُ

١٠ وقال عبد الملك بن مروان لأصحابه : أى المناديل أفضل ؟ فقال بعضهم :
مناديل مصر التى كأنها غرقي البيض . وقال بعضهم : مناديل اليمن التى كأنها أنوار
الربيع . فقال : ما صنعت شيئا ، أفضل المناديل مناديل عبدة بن الطيب حيث يقول :

لَمَّا نَزَلْنَا ضَرْبَنَا ظِلُّ أَخْبِيَّةٍ ۚ وَفَارَ بِاللَّحْمِ اللَّقُومُ الْمَرَاغِيلُ
وَرَدًّا وَأَشَقَرَّ لَمْ يُنْهَتْ طَائِفَتُهُ ۚ مَا قَارَبَ النُّضْجَ مِنْهَا فَهُوَ مَا كَوُلُ
وَقَدْ وَثَبْنَا عَلَى عُوجٍ مُسَوِّمَةٍ ۚ أَعْرَافُهُنَّ لَا يَدِينَا مَنَادِيلُ

سوابق الخيل

١٥

قال الأصمعي : ما سبق فى الرهان فرسٌ أفضمُ قط . وأنشد لأبي النجم :
مُتَنَفِّجُ الْجَوْفِ عَرِيضٌ كَلْكَلُهُ ۚ

٢٠ قال : وكان هشام بن عبد الملك رجلا مُسَبِّقًا لَا يَكَادُ يَسْبِقُ ، فَسَبَقَتْ لَهُ
فَرَسٌ أَتَى وَصَلَتْ أَخْتَهَا ، فَفَرَحَ لِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : عَلَى الشُّعْرَاءِ . قَالَ
أَبُو النِّجْمِ : فَدَعَيْنَا قَعِيلَ لَنَا : قُولُوا فِي هَذِهِ الْفَرَسِ وَأَخْتِهَا . فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّدِيدِ
النَّظْرَةَ حَتَّى يَقُولُوا . فَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ يَنْقُدُكَ إِذَا آسْتَسْنُوكَ ؟ قَالَ :
هَات . فَقُلْتُ مِنْ سَاعَتِي :

أَشَاعَ لِلْفَرَاءِ فِينَا ذِكْرَهَا ۚ قَوَائِمُ عُوجٍ أَطْعَنَ أَمْرَهَا

(١٥)

وما نسينا بالطريق مَهْرَهَا . حين تَقْبِسُ قَدْرَهُ وَقَدْرَهَا
وَصَبْرَهُ إِذَا عَدَا وَصَبْرَهَا . والماءُ يعلو نَحْرَهُ وَنَحْرَهَا
مَلُومَةٌ شَدَّ الْمَلِيكَ أَنْتَرَهَا . أَسْفَلَهَا وَبَطْنَهَا وَظَهْرَهَا
فَدَكَادَهَا بِهَا يَكُونُ شَطْرَهَا . لَا تَأْخُذُ الْحَلْبَةُ إِلَّا سُورَهَا

قال أبو النجم : فأمر لي بجائزة وانصرفت .

- أبو القاسم جعفر بن أحمد بن محمد ، وأبو الحسن علي بن جعفر البصري ، قالوا :
حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي : أن هارون الرشيد ركب في سنة
خمس وثمانين ومائة إلى الميدان لشهود الحلبة . قال الأصمعي : فدخلت الميدان
لشهودها فبين شهد من خواص أمير المؤمنين ؛ والحلبة يومئذ أفراس للرشيد
ولولديه الأمين والمأمون ، ولسليمان بن أبي جعفر المنصور ولعيسى بن أبي جعفر
١٠ لجاء فرس أدم يقال له الريذ لهرون الرشيد سابقاً : فابتجى لذلك ابتهاجا علم ذلك
في وجهه ، وقال عليّ بالأصمعي . فتوديت له من كل جانب ، فأقبلت سريعاً حتى
مثلت بين يديه ، فقال : يا أصمعي ، خذ بناصية الريذ ثم صفه من قوتيه إلى
سُلبكه ؛ فإنه يقال إن فيه عشرين آسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير
المؤمنين ؛ وأنت ذلك شعراً جامعاً لها من قول أبي حذرة . قال : فأنشدنا لله أبوك .
٥ قال : فأنشدته :

وَأَقْبَّ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ . مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ

- الآقب : اللاحق المُخْطَفُ البطن ، وذلك يكون من خِلْفَةٍ وربما حدث من
هُزَالٍ أَوْ بُعْدٍ قَوْدٍ ؛ وَالْآثَى قَبَاءٌ ، وَالْجَمْعُ قُبٌّ ، وَالْمَصْدَرُ الْقَبْبُ . وَالسَّرْحَانُ :
الذئب ، شبه في ضُورِهِ وَعُدُوهِ بِهِ ، وَجَمْعُهُ سَرَاحِينُ : وَقَدْ قَالُوا : سِرَاح .
٢٠ وَالْهَامَةُ : أَعْلَى الرَّأْسِ ، وَهِيَ أُمُّ الدِّمَاغِ ، وَهِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الطَّيْرِ . وَالنَّسْرُ : هُوَ
مَا أَرْتَفَعَ مِنْ بَطْنِ الْخَافِرِ مِنْ أَعْلَاهُ كَأَنَّهُ النَّوَى وَالْحَصَى ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الطَّيْرِ ،
وَجَمْعُهُ نُسُورٌ .

رَجَبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُفِّرَ فَرْخُهُ . وَتَمَكَّنَ الصُّرَدَانُ فِي النَّعْرِ

رَجَبٌ : اتسعت . ونعامته : جلدة رأسه التي تغطي الدماغ ، وهي من أسماء الطير . وقوله « ووُقِّرَ فرخه » الفرخ : هو الدماغ ، وهو من أسماء الطيور . ووَقِّرَ أى تَمَّ : يقال : وَقَرْتُ الشيء ووَقَرْتُهُ ، بالتخفيف ، مَوْقُورٌ . والَصَرْدَانُ : عرقان في أصل اللسان ، ويقال إنهما عرقان أخضران مكتنِفان باطن اللسان ، ٥ منهما الرِّيقُ ونَفَسُ الرِّثَةِ ؛ وهما من أسماء الطير . وفي الظهر صَرْدٌ أيضاً ، وعمرُ ياض يكون في موضع السرج من أثر الدَّبَرِ ؛ يقال : فرس صَرِدٌ إذا كان ذلك به . والنحر : موضع القلادة من الصدر ، وهو الْبَرَكُ .

وَأَنَافٌ بِالْمُصْفُورِ من سَعَفٍ . هَامٍ أَشْمٌ مَوْثِقُ الْجِنْدَرِ

أَنَافٌ : أشرف . والمصفور : أصل منبت الناصية . والمصفور أيضاً : عظم ١٠ ناتئ في كل جبين . والمصفور : من النحر أيضاً ، وهي التي سالت ودَقَّت ولم تتجاوز إلى العينين ولم تستدر كالقُرْخَةِ ؛ وهو من أسماء الطير . والسَّعَفُ ، يقال : فرس بَيْنَ السَّعَفِ ، وهو الذي سالت ناصيته . وهامٌ : أى سائل منتشر . وأشْمٌ : مرتفع . والشَّمُّ في الأنف : ارتفاع قصبته . ويروى : هَامٌ أَشْمٌ . يريد عُنُقاً مرتفعاً ، وجمعه هَوَاذٍ . وقوله : مَوْثِقٌ ، أى شديد قوى . والجِنْدَرُ : الأصل من ١٥ كل شيء . قال الأصمعي وغيره : هو بالفتح . وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

وَأَزْدَانٌ بِالذَّيْكَئِ صَلَّصَهُ . وَنَبَتٌ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ

أزدان : افعل ، من قولك زان يزين ، وكان الأصل : ازتان ، فقلبت التاء ذالا لتقرب مخرجها من مخرج الزاي ، وكذلك ازداد ، من زاد يزيد . والديكان : ٢٠ واحدهما ديك ، وهو العظم الناتئ خلف الأذن ، وهو الذي يقال له الْحُشْشَاءُ والحُشَاءُ . والصلصل : ياض في طرف الناصية : ويقال : هو أصل الناصية : والدجاجة : اللحم الذي على زَوْوهِ بين يديه ؛ والديك والصلصل والدجاجة : من أسماء الطير .

وَالنَّاهِضَانِ أَمْرٌ جَزَلُهُمَا . فَكَأَنَّمَا عُنْيَا عَلَى كَعْنَرٍ

الناهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المتكبين ؛ ويقال : هو اللحم الذي
على العَصْدَيْنِ من أعلاهما ؛ والجمع نواهض ؛ ويقال في الجمع : أَنَهَضَ ، على غير
قياس . والناهض : فرخ القطا ، وهو من أسماء الطير . وقوله : أَمِرٌ جَلُزُهُمَا :
أى قِتْلَ وَأَحْكَمَ ؛ يقال أَمَرْتُ الحبل فهو مُمَرٌّ ، أى قتلته ؛ والجَزْرُ : الشد . وقوله :

٥ . فَكَاثِمَا عَيْمًا عَلَى كَثَرِ .

أى كأنهما كُسرًا ثم جُبرًا ؛ يقال : عُثِمَتْ يَدُهُ . وَالْعَيْمُ : الجبر على عقدة
وعِوَج ؛ وعُثِمَانُ : فُعلان منه .

مُسَحْفَرُ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَمِمْ . مَا بَيْنَ شِمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ

مسحفر الجنبين : أى متفتحهما . مُلْتَمِمْ : أى معتدل . وشيمته : فخذه ^(١) .

١٠ . والشيمة أيضا : من قولك : فرس أَشِمٌ : بَيْنَ الشِّيمَةِ ، وهى يياض فيه ؛ ويقال :
أن تكون شامة أو شام فى جسده . وَالغُرُّ فى الطير الذى يسمى الرخمة ، وهى
عضلة الساق ^(٢)

وَصَفَتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ . وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّعْرِ

السَّامَى : طائر ، وهو موضع من الفرس لا أحفظه ، إلا أن يكون أراد

١٥ . السَّامَةَ ، وهى دائرة تكون فى سالفَةِ الْفَرَسِ ، وهو عُنْقُهُ . وَالسَّامَةُ من الطير
أيضا . والأديم : الجلد .

وَتَمَّا الْغَرَابُ لِمَوْقَعَيْنِ مَعًا * فَأُبَيِّنَ بَيْنَهُمَا عَلَى قَسْدٍ

سما الغراب : أى ارتفع . والغراب : رأس الورك . ويقال للصَّوْلَيْنِ :

الغرابان ، وهما مكتنفا بَحْبِ الذنب . ويقال : هما أعلى الوركين . والموقمان

(١) فى بعض الأصول : منخره . . .

(٢) كُنَّا فى بعض الأصول . وفى نهاية الأرب : « والغر فى الطير الأغلب الذى يسمى
الرخمة . وهى من الفرس عضلة الساق » . والذى فى سائر الأصول : « والغر فى الأغلب
على الذى يسمى الرخمة من الفرس وهى عضلة الساق »

منه : في أعالي الخاصرتين . فأبين : أى فُرق بينهما . على قدر ، أى على استواء واعتدال .

وَكَثَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَّافُهُ * وَنَأَتْ سَمَائُشُهُ عَنِ الصَّقْرِ

٥ اكثن ، أى استتر . والقبيح : ملحق الساقين ، ويقال إنه مُرَكَّب النواعين في المضدين . والخطاف : من أسماء الطير ، وهو حيث أدركت عقِب الفارس إذا حرك رجله ، ويقال لهذين الموضعين من الفرس : المُرْكَلان . ونأت ، أى بعدت ، والسماة : دائرة تكون في عنق الفرس ، وقد ذكرناها ، وهى من أسماء الطير . والصقر : أحسبها دائرة في الرأس ، وما وقفت عليها ، وهى من أسماء الطير .

وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ * فَنَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ

١٠ القطاة : مقعد الرِّدْف ، وهى من أسماء الطير ؛ والحُرّ : من الطير ، يقال : إنه ذكر الحمام . وهو من الفرس : سواد يكون في ظاهر أذنيه .

وَسَمَا عَلَى تَقْوِيهِ دُونَ حَدَاثِهِ * خَرَبَانٍ بَيْنَهُمَا مَدَى الشَّيْرِ

١٥ الثَّقْوَان : واحدتهما ثَقْو ، والجمع أنقاء . وهو عظم ذرئُح ، وإنما عنى هاهنا عظام الوركين ؛ لأن الخَرَب هو الذى تراه مثل المدَّهن في ورك الفرس . وهو من الطير : ذَكَرُ الجبارى . والحدأة : من الطير ؛ وأصله الهمز ولكنه خُفِفَ ، وهى سائلة الفرس ، وجمعها حداء ، على وزن فِعال ، كما تقول : عَطَاءة وعَطَاء ؛ ويقال : عَطَاية . وإذا فتحت الفاء قلت حدأة ، وهو الفأس ذات الرأسين ، وجمعها حدأ ، مثل تَوَاة وتَوَى ، وقَطَاة وقَطَا .

يَدْعُ الرِّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا * بَتَوَائِمٍ كَوَاسِمٍ مُنْشِرٍ

٢٠ الرِّضِيم : الحجارة . والفلق : المكسورة فَلَقَا . بتوائم : جمع تَوَام ، وقد قالوا : تَوَام ، على وزن فُعال ، جمع تَوَام ؛ وهى على غير قياس . يقول : هى مَنَى مَنَى ، يعنى حوافره . والمواسم : جمع مَيْسَم الحديد ، أى إنها كواسم الحديد في صلاحيتها . وقوله سمر : أى لون الحافر ، وهو أصلب الحوافر .

رُكْبَنَ فِي تَحْضِ الشَّوَى سَبِطٌ • كَفَّتِ الْوُثُوبُ مُشَدَّدَ الْأَمْرِ

الشوى هاهنا : القوائم ، والواحدة شَوَاة ؛ ويقال : فرس محض الشوى ،
إذا كانت قوائمه معصوبة . سَبِطٌ : سهل . كَفَّتِ الْوُثُوبُ . أى يجتمع ، من قولك :
كَفَّتِ الشَّيْءُ ، إذا جمعته وتممته . مشدد الأمر : أى الخلق .

قال الأصمعي : فأمر لى بألف درهم ^(١) .

وسبق يوما فرس للرشد ، يسمى المشمّر . وكان أجراه مع أفراس للفصل
ولجعفر ابني يحيى بن خالد البرمكي . فقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية
في المشمّر - فرس
الرشد

جاء المشمّر والأفراس يقدمها • هَوْنًا على سرعة منها وما انتهرها
وخلف الريح حسرت وهى تتبعه • ومَرَّ يختطف الأبصار والنظرا

وقال أبو النجم في شعر يصف الفرس ، وهو أجود شعر يصف الحلبة :

لأبي النجم
في الحلبة

ثُمَّ تَمَيَّنَا بِرَهَانٍ نَأْمُلُهُ • قَيْدَ لَهُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ جَحْفَلُهُ
فَقُلْتُ لِلْسَّائِسِ قُدَّهُ عَجَلُهُ • وَاعْدُ لَعْنًا فِي الرَّهَانِ تُرْسُهُ

نعلو به الحزن ولا نسهله • إذا علا الأخشب صاح جندله
ترنم النوح يسكي منكبه • كأن في الصوت الذي يفصله

زَمَارٌ دُقَ يَنْفَى جُلُجُلُهُ • حَتَّى وَرَدْنَا الْمَصْرَ يُطَوِّى قَبْلَهُ
طَى التَّجَارَ الْعَصَبَ إِذْ تَنَحَّلَهُ • وَقَدْ رَأَيْنَا فِعْلَهُمْ فَنَفَعَلَهُ

نطويه والطنى الرقيق يبدله • نُضْمَرُ الشَّحْمَ وَلَسْنَا نَهْزَلَهُ
حتى إذا الليل تولى أنجله • وَاتَّبَعَ الْإِيْدَى مِنْهُ أَرْجُلُهُ

فنا على هول شديد وجله • نَمُدُّ جَبَلًا فَوْقَ حَظٍّ نَعْدُهُ
نقول قَدَّمَ ذَا وَهَذَا أَدْخَلَهُ • وَقَامَ مَشْقُوقَ الْقَمِيصِ يُعْجِلُهُ

فوق الخُمَامَى قَلِيلًا يَفْضَلُهُ • أَدْرَكَ عَقْلًا وَالرَّهَانَ عَمَلُهُ

(١) في نهاية الأرب : « بعشرة آلاف درهم » .

حتى إذا أدرك خيلاً مُرسِله . ثار بجَاحٍ مُسْتَطِيرٍ قَسَدُ
تَنَفُّسٍ مِنْهُ الْخَيْلُ مَا لَا تَنْزِلُهُ . مَرَّأً يُنْطِئُهَا وَمَرَّأً تُنْعَلُهُ
مَرَّ الْقَطَا أَنْصَبَ عَلَيْهِ أَجْدَلُهُ : وَهُوَ رَخِي الْبَالِ سَامٍ وَهَلْ
قَدَمَهُ مِثْلًا لِمَنْ يَمْتَلُهُ . تُطِيرُهُ الْجِنُّ وَحِينَ تُرْجِلُهُ
تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوْلَاهُ . تَرَى الْغَلَامَ سَاجِياً مَا يَرْكَلُهُ
يُعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَيْسَ يَسْأَلُهُ . كَأَنَّهُ مِنْ زَبَدٍ يُسْرِبُهُ
فِي كُرْسِفِ النَّدَافِ لَوْلَا بَلَلُهُ تَخَالُ مِسْكَاً عَلَيْهِ مُعَالُهُ
ثُمَّ تَنَاوَلْنَا الْغُلَامَ نُزِلُهُ . عَنْ مُفْرَعِ الْكِتْفَيْنِ حُلُو عَطَلُهُ
مُنْتَفِجِ الْجَوْفِ عَرِيضِ كُلْكَلُهُ . فَوَافَتْ الْخَيْلُ وَنَحْنُ نَشْكَلُهُ
وَالْجِنُّ عَكَّافٌ بِهِ تُقْبَلُهُ .

١٠

لآخر في فرس
أبي الأعور
السلي

وقال آخر في فرس أبي الأعور السلي :

سَرَّ كَلْعِ الْبَرْقِ سَامٍ نَاطِرُهُ . تَسْبَحُ أَوْلَاهُ وَيَطْفُو آخِرُهُ
فَمَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ

قول هذا أشبه من قول أبي النجم : لأنه يقول :

تَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُو أَوْلَاهُ

١١

وقال الأصمعي : إذا كان الفرس كما قال أبو النجم لخمار الكساح أسرع منه ،
لأن اضطراب مؤخره قبيح .

وقال الأصمعي : كان أبو النجم وصافاً للخيل إلا أنه غلط في هذا البيت ،
وقد غلط رُبُوبُهُ أيضاً في الفرس فقال يصف قوائمه :

يَهْوِينَ شَقِي وَيَقْفَنَ وَقَفَا .

٢٠

ولما أنشده مُسْلِمُ بْنُ قَتِيبة ، قال له : أخطأت في هذا يا أبا الجحاف ، جعلته
مَقِيداً . قال : قرئني من ذَنْبِ الْبَعِيرِ .

من الأصمى
في فرس وأنشد الأصمى :

قد أطرق الحى على ساجر * أنطع مثل الصدع الأنجر
لما أتيت الحى في مثنه * كأن عرجونا بمنى يدي
أقبل يخال على شأوه * يضرب في الأقرب والأبعد
كأنه سكران أو عابس * أو ابن ربي حدث المولد

لبعض الشعراء وقال غيره :

أما إذا استقبلته فكأنه * جذع مما فوق النخيل مُشَدَّب
وإذا اعترضت له استوت أقطاره * وكأنه ، مُسَدَّبَرًا ، مُتَصَوَّب

لابن المعتز وقال ابن المعتز :

وقد يحضر الميجاء في شنج النسا * تكامل في أسنانه فهو قارح
له عتق ينال طول عناه * وصدر إذا أعطته الجرى ساج
إذا مال عن أعطائه قلت شارب * عناءه بتصرف المدامة طافح
وقال أيضاً :

ولقد وطئت النيث يحملى * طرقت كلون الضبيح حين وقد
يمنى ويعرض في العنان كما * صدق العشق بالدلال وصن
طارت به رجل مُرَصَّعة * رجامة لخصى الطريق ويذ
فكأنه موج يسبل إذا * أطلقت وإذا حببت جمد

الحلبة والرهان

والحلبة : جمع الخيل ، ويقال : مجتمع الخيل ، ويقال : مجتمع الناس للرهان ؛
وهو من قولك : حلب بنو فلان على بنى فلان وأحلبوا : إذا اجتمعوا . ويقال
منه : حلب الحالب اللبن في القدح : أى جمعه فيه . والمقوس : الحبل الذى يمد
في صدور الخيل عند الإرسال للسياق . والمنصب : الخيل حين تنصب للإرسال .

الحلبة والرهان
وضى عنها

- وأصل الرهان من الرهن ، لأن الرجل يراهن صاحبه في المسابقة ، يضع هذا رهنا وهذا رهنا ، فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه . والرهان ، مصدر راهنته مراهنته ورهانها ، كما تقول : قاتلته مقاتلة وقتالا . وهذا كان من أمر الجاهلية ، وهو القهار المنهى عنه . فإن كان الرهن من أحدهما بشيء مسمى على أنه إن سبق لم يكن له شيء ، وإن سبقه صاحبه أخذ الرهن ، فهذا حلال ؛ لأن الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر ؛ وكذلك إن جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محلا ، وهو فرس ثالث يكون مع الأولين ، ويسمى أيضاً النخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ، ثم يرسلون الأفراس الثلاثة ، فإن سبق أحد الأولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا ، وإن سبق النخيل أخذ الرهينين جميعا ، وإن سبق هو لم يكن عليه شيء . ولا يكون النخيل إلا رائعا جوادا ، لا يأمن أن يسبقهما ؛ وإلا فهذا قار ، لأنهما كأنهما لم يدخلتا بينهما محلا .
- قال الأجمعي : السابق من الخيل : الأول ، والمصلئ : الثاني الذي يتلوه . قال : وإنما قيل له مصلئ ، لأنه يكون عند صلوئ السابق ، وهما جانباً ذنبه عن يمينه وشماله ؛ ثم الثالث والرابع لا أسم لواحد منهما إلى العاشر ، فإنه يسمى سكتين .
- قال أبو عبيدة : لم نسمع في سوايق الخيل عن يوثق بعله آتيا لشيء منها إلا الثاني والعاشر ؛ فإن الثاني اسمه المصلئ ، والعاشر السكتيت ؛ وما سرى ذنبك يقال له الثالث والرابع ، وكذلك إلى التاسع ، ثم السكتيت ويقال السكتيت ، بالتشديد والتخفيف ، فما جاء بعد ذلك لم يعتد به . والفُسْكِيل - بالكسر - الذي يحى آخر الخيل ، والعاملة تسميه الفُسْكِيل - بالضم .
- وقال أبو عبيدة : القاشور ، الذي يحى في الحلبة آخر الخيل ، وهو الفُسْكِيل ، وإنما قيل للسكتيت ؛ سكتيت لأنه آخر العدد الذي يقف العادُ عليه . والسكت : الوقوف ، هكذا كانوا يقولون ، فأما اليوم فقد غيَّروا .

من شأنهم
مع السابق

وكان من شأنهم أن يمسحوا على وجه السابق . قال جرير :

إذا شِئْتُمْ أَنْ تَمْسَحُوا وَجْهَ سَابِقٍ هَجَوَادٍ ، فَتُدُوا فِي الرَّهَانِ عِنَانِيَا

ومن قولنا في هذا المعنى :

وإذا جباد الخيل ما طَلَمَهَا الْمَدَى . وَتَقَطَّعَتْ فِي شَأْوِهَا الْمُهْجُورِ
تَحَلَّوْا عَيْنَانِي فِي الرَّهَانِ وَمَسَّحُوا . مِنِّي بِذُرَّةٍ أَبْلَقِي مَشْهُورِ

وصف السلاح

درع على ٥ كانت درعُ عليّ صدرا لا ظهر لها ، فقبل له في ذلك ؛ فقال : إذا استمكن
عدوى من ظهري فلا يُتَّقِ .

درع الجراح درعُ الجراح بن عبد الله قد ظاهر بين درعين ، فقبل له في ذلك ؛ فقال :
لست أقي بدني وإنما أقي صبري^(١) .

لزيد بن حاتم ١٠ وأشتري زيد بن حاتم أدراعا وقال : إني لست أشتري أدراعا وإنما
أشتري أعمالا .

لابن المهلب وقال حبيب بن المهلب لبنيه : لا يقعدن أحدكم في السوق ، فإن كنتم لا بد
فاعلين ، فإلى زراد ، أو سراج ، أو وراق .

بين عمر بن الخطاب وعمر بن الخطاب وعمر بن الخطاب ١٥ العتي قال : بعث عمر بن الخطاب إلى عمرو بن معديكرب أن يبعث إليه
بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به إليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان
ليلفه عنه ، فكتب إليه في ذلك ، فزد عليه : إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ،
ولم أبعث بالساعد الذي يضرب به .

بينهما في السلاح وسأله عمر بن الخطاب يوما عن السلاح ، فقال : يسأل أمير المؤمنين
عما بدا له . قال : ما تقول في الثرس ؟ قال : هو الحِنْثُ الدائر ، وعليه تدور
الدوائر . قال : فما تقول في الرُحْم ؟ قال : أخوك وربما خانك فانتصف . قاله :
فالتَّيْل ؟ قال : منايا تخطفُ وتصيب . قال : فما تقول في الشرع ؟ قال : مُثْقَلَةٌ^(٢) .
للراجل ، مُتَعَبَةٌ^(٣) للفراس ، وإنها الحصن حصين . قال : فما تقول في السيف ؟ قال :

(١) في الأصول : صدري . . وما أثبتنا من عيون الأخبار .

(٢) في بعض الأصول : مشقة .

هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين ، فضربه عمر بالرة وقال : بلى لا أم لك . قال :
ألحى أضرعتى لك^(١) .

لابن يامين
في الصمصامة

الهيثم بن عدى قال : وُصف سيف عمرو بن معديكرب الذى يقال له
الصمصامة لموسى الهادى ، فدعا به فوضع بين يديه مجرداً ، ثم قال لحاجبه : ائذن
للشعراء . فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فبدرهم ابن يامين^(٢) فقال :

حازَ صَمصامةَ الزَّيْدِيُّ عَمْرُو ۝ من جميع الأنام موسى الأمين
سَيْفَ عمرو وكان فيما سمعنا ۝ خِزاً ما أُنْجِدْتُ عليه الجفونُ
أخضر المثلين حَدِيثُهُ نُورٌ ۝ من فِرْدٍ تَمْتَدُّ فيه العيونُ
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ۝ ثم سألت به النعافُ القُيُونُ
فإذا ما سألته بحر الشمسِ ضياءَ فلم تَكُنْ تَسْقِينُ
فَكَانَ الفِرْدُ والرَّوْقُ الجاءُ ۝ رى فى صَفْحَتِهِ ماءً مَعِينُ
وكانَ النونُ نِطَطَ إليه ۝ فهو من كل جانبِهِ مَنُونُ
نِمْحَرَقُ ذى الحَنِظَةِ فى الهِجاءِ يسطو به ونعم القرين
ما يُبالي من انتصاهُ لَرب ۝ أَشْمَالُ سَطَطَ به أم يمينُ

فأمر له بكرة وخرجوا . ١٥

الزبير بن العوام
وسيفه

وضربَ الزبيرُ بن العوام يوم الحندق عثمانَ بن عبد الله بن المغيرة فقطعه إلى
القرئوس ؛ فقالوا : ما أجود سيفك ! فنضب - يريد أن العمل لبده
لا لسيفه - وقال :

مَتى تَلْقَى يَعدو بِزَى مَقْلَص ۝ كُنَيْتُ بِهِم أو أَعْرُ مُحْجَلُ

(١) أراد أن الإسلام قيده ، ولو كنت فى الجاهلية لم تكلمنى بهذا الكلام ، وهو مثل
تضربه العرب إذا اضطرت للخضوع .

(٢) اضطرب هذا الاسم فى الأصول ، فرة ، ابن أقيس ، ومرة ، ابن أقيس ، وما أثبتنا
رواية نهاية الأرب وابن خلكان (٢ : ٣٠٤) وروج الذهب (٤ : ٢٨٦) وديوان المعاني .
(٥٢ : ٢) ورواية فتوح البلدان ، أبو الهول .

تُلَاقِ أَمْرًا إِنْ تَلَقَّاهُ فَبَسِّفِهِ • تَعْلُوكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَجْهَلُ

لأبي العيص وقال أبو الشيص :

• خَتَلَتْهُ الْمُتُونُ بَعْدَ اخْتِيَالٍ • بَيْنَ صَقَيْنِ مِنْ قَنَا وَفِصَالٍ

فِي رِداءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَفِيْلٍ • وَقَبْصٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُذَالٍ

- ولبلغ أبا الأغر التميمي أن أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر ، فوجه إليهم أبوه الأغر وقال : يا بني ، كن بدا لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف فإنه ظل الموت ، وأتق الرُحْ فإنه رِشَاءُ المِيتَةِ ، ولا تقرب السهام فإنها رُسل لا تُؤامر مُرسِلَها . قال : فماذا أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

جَلَامِيدٌ يَمْلَأُنَ الْأَكْفَ كَأَنهَا • رُءُوسُ رِجَالٍ حُلِفَتْ بِالْمَوَاسِمِ

- وذكر أعرابي قوماً تحاربوا فقال : أَقْبَلْتُ الْفُحُولَ ، تَمْشِي مَشْيَ الْوَعُولِ ، فَلَمَّا تَصَالَحُوا بِالسُّوفِ ، فَانْزَعَتِ الْمَنَايَا أَفْوَاحَهَا .

وقال آخر يذكر قوماً أسروا : اسْتَزَلُّوهُمْ عَنِ الْجِيَادِ بِلَيْتَةِ الْخُرْصَانِ ، وَنَزَعُوهُمْ نَزْعَ الدَّلَاءِ بِالْأَشْطَانِ .

- وقال أعرابي في آخرين ابغَوْا قوماً أغاروا عليهم ، فقال : احْتَسُوا كُلَّ جُمَالِيَّةٍ عَيْرَاتِيَّةٍ ، كَيْمَا يَخْصِفُونَ أَخْفَافَ الْمَطِيِّ بِجَوَافِرِ الْحَيْلِ ، حَتَّى أَدْرِكُوهُمْ بَعْدَ ثَالِثَةِ ، لَجَعَلُوا الْمَرْآنَ أَرْضِيَّةَ الْمَنَايَا فَاسْتَقَوْا بِهَا أَرْوَاحَهُمْ .

ومن أحسن ما قيل في السيف قول حبيب :

وَبَنَّهُمْ مِثْلَ السِّيفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ • يَدَانِ لَسَلْتُهُ طُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

وله في الرماح وقال في صفة الرماح :

- مُنْقَفَاتٌ سَلَبَنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا • وَالْمَرْبُ أَوَاتَهَا وَالْعَاشِقُ الْقَضَقَا

ومن الإفراط القبيح قول النابغة في وصف السيف :

يَقْدُ السُّلُوقُ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ • وَيَوِقْدُ فِي الصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ

النابغة في السيف

فذكر أنه يقدّ الدرع المضاعف نسجه ، والفارس ، والفارس ، ويقع بها في الأرض فيقدح النار من الحجارة .

لبعضهم

وأصبح منه في الإفراط قول الآخر :

تظل تحفر عنه إن ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادي

العلوي

وقد جمع العلوي وصف الخيل والسلاح كله فأحسن وجود حيث يقول :

يَحْسَبِي مِنْ مَالِي مِنَ الْخَيْلِ أَعْطَى * سَلِيمُ الشَّطْرِ عَارِي التَّوَاهِقِ أَمْعَطُ
وَأَيْضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مُهَنْدٌ * وَأَسْمَرُ عَسَالِ الْكُمُوبِ عَطَطُ

ويضاء كالضخاضح زَعَتْ مُفَاذَةٌ * يُكْفَتْهَا عَنِّي نِحَادٌ مُخَطَطُ
وَمَعْطُوقَةٌ الْأَطْرَافِ كَبْدَاءُ سَمْحَةٍ * مُتَفَجِّئَةُ الْأَعْضَادِ صَفراءُ شَوْحَطُ

فِيَالَيْتَ مَالِي غَيْرَ مَا قَدْ جَعَلْتَهُ * عَلَى لُجْبَةٍ تَيَّارُهَا يَتَخَطَطُ
وَيَا لَيْتَنِي أُمْسِي عَلَى الذَّهْرِ لَيْلَةً * وَلَيْسَ عَلَى نَفْسِي أَمِيرٌ مُسَلَّطُ

١٠

لاين عبده

ومن قولنا في وصف الرمح والسيف :

بِكَلِّ رُذَيْبِي كَأَنَّ سِنَانَهُ * شَهَابٌ بَدَأَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاعِلُ
تَقَاصَرَتِ الْأَجَالُ فِي طَوْلِ مَثْنِهِ * وَعَادَتْ بِهِ الْأَمَالُ وَهِيَ تَجَاوِعُ

وَسَاءَتْ ظُنُونُ الْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ * فَهَبْ طَبَاتِ الْقُلُوبِ قَوَارِعُ

١٥

وَذِي سُطْبٍ تَقْضِي الْمُنَابَا بِحُكْمِهِ * وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمِيَّةُ دَافِعُ

فِرْدُ إِذَا مَا عَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ * وَبَرَقَ إِذَا مَا آهَتِ بِالْكَفِّ لَامِعُ

يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ السُّكَاةِ أَنْسَالَهُ * وَيَرْفَعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعُ

إِذَا مَا التَّقَتْ أَمْنَاهُ فِي وَقِيعَةٍ * هُنَاكَ ظَنُّ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَاقِعُ

٢٠ ومن قولنا في وصف السيف :

بِكَلِّ مَأْثُورٍ عَلَى مَثْنِهِ * مِثْلُ مَدَبِ التَّمَلِّ بِالْقَاعِ

يَرْتَدُّ طَرَفُ الْعَيْنِ مِنْ حَذِّهِ * عَنْ كَوْكَبِ اللَّوْنِ لِمَاعِ

وقال إسماعيل بن خلف الهيراني في صفة السيف :

لإسماعيل
ابن خلف

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْآجِلِ الْمَتَاحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْمُبَا * عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ

ومن جيد صفات السيف قول القنوي :

للقنوي

- حُسامُ غداةِ الرُّوعِ ماضٍ كأنه * من الله في قبضِ النفوسِ رسول
كَأَنَّ عَلَى إِفْرَنْدِهِ مَوْجَ لُجَّةٍ * تَقَاصَّرُ فِي ضَمْحَاخِهِ وَتَطُولُ
كَأَنَّ جُبُوشَ الذَّرِّ كَسَرْنِ فَوْقَهُ * قُرُونُ جَرَادٍ يَنْهِنُ دُحُولُ

النزع بالقوس

- لإبراهيم الشيباني قال : كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل
السلطان أنه يعرض له ضيعة بواسط في مَفرَمٍ لزمه للخليفة ! فحمل وكيلا له على
١٠ بئس وأترع له مُخرجا بدنانير ، وقال له : اذهب إلى واسط فاشتر لي هذه الضيعة
المعروضة ، فإن كفاك ما في هذا الخرج وإلا فاكذب إلى أمدك بالمال . فخرج ،
فلما أحضر عن البيوت ، لحق به أعرابي راكب على حمار معه قوس وكنانة : فقال
له : إلى أين تتوجه ؟ فقال : إلى واسط . قال : فهل لك في الصعبة ؟ قال : نعم .
فسارا حتى قَوَّزا ، فعنت لهما ضياء ، فقال له الأعرابي : أي هذه الضياء أحب إليك :
١٥ المتقدم منها أم المتأخر فأركبته لك ؟ قال له : المتقدم . فرماه فخرمه بالسهم ،
فاشتويا وأكلا ، فاغبط الرجل بصعبة الأعرابي ، ثم عن له رُقة قطا ، فقال :
أيها تريد فأصرعها لك ؟ فأشار إلى واحدة منها فرماها فأقصدها ، ثم اشتويا
وأكلا ، فلما انقضى طعامهما فوق له الأعرابي سهما ثم قال له : أين تريد أن
أصيبك ؟ فقال له : اتق الله وأحفظ زمام الصعبة . قال : لا بد منه ! قال له :
٢٠ اتق الله ربك واستقي ، ودونك البغل والخرج فإنه مُترَعٌ مالا . قال : فاخلع
ثيابك . فالتسلخ من ثيابه ثوبا ثوبا حتى بقي مجردا . قال له : اخلع أمواقك ^(١) .

(١) الأمواق : جمع موق ، وهو خف غليظ يلبس فوق الخف .

وكان لابساً خُفَّين طائفيين ، فقال له : أتق الله في ودع لي الخفين أتبلغ بهما من الحُرِّ ، فإن الرَّمضاء تحرق قدسي . قال : لا بد منه . قال فدونك الخُف فأخلعه . فلما تناول الخُفَّ ، ذكر الرجل خنجراً كان معه في الخُفِّ ، فأستخرجه ثم ضرب به صدره فشقه إلى عاتقه ، وقال له : الاستقصاء فرقة . فذهبت مثلاً . وكان هذا الأعرابي من رُماة الحَدَق .

- وحدث العتيبي عن بعض أشيائه قال : كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة ، فأُتي بأعرابي كان مروعاً بالسرِّ فقال له : أخبرني عن بعض عجائبك . قال : عجائبي كثيرة ، ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يُسبق ، وكانت لي خيل لا تُلحق ، فكنت أخرج فلا أرجع غائباً ، فخرجت يوماً فاحترشْتُ ضيًّا ، ففلقت على قَتبي ، ثم مررت بجبناء ليس فيه إلا عجوز ليس معها غيرها ، فقلت : يجب أن يكون لهذه راحة من غم وإيل . فلما أمسيت إذا بإيل مائة ، وإذا شيخ عظيم البطن ، شئتُ الكفين ، ومعه عبد أسود ، فلما رأني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فأحلتها ، وناولني العُلْبَةَ . فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي فضرب به جبهته ، ثم احتلب تسع أبنوق فشرب ألبانين ، ثم نحر حُواراً فطبخه ، فأكلت شيئاً ، وأكل الجميع حتى أُنقي عظامه يعضاً ، وجنا على كومة من البطحاء وتوسدها ثم غَطَّ غطيط البَكْر . فقلت : هذه والله البنيةمة ، ثم قت إلى خلل إبله فخطمته : ثم قرنته ببعيري وصحت به ، فأَتبعني الفحل وأتبعته الأبل إرباباً به في قطار ، فصارت خلني كأنها جبل معدود : فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسرِّع ، ولم أزل أضرب ببعيري ، مرة يدي ، ومرة برجلي ، حتى طلع الفجر : فأبصرت الثنية ، وإذا عليها سواد ، فلما دَوَّت منه إذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره ! فقال : أضيئنا ؟ قلت : نعم ! قال : أنسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا . فأخرج سهماً كأنه لسان كلب ، ثم قال : انظروا بين أذن الضبِّ المعلق في القَتَب . ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، فقال لي : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول . قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى ، ثم رمى به فكأنما قدره يده

- ثم وضعه بأصبعه ، ثم قال : رأيك ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : أنظر هذا السهم الثالث في عُسْكَوَة ذَنْبِه ، والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العُسْكَوَة ؛ قلت : أنزلُ آمناً ؟ قال : نعم . فدفعت إليه خِطَامَ غَلِّهِ وقلت : هذه إليك لم تذهب منها وبرة . وأنا أنظر متى يرميني بسهم يُقْصِدُ به قلبي ؛ فلما تباعدت قال : أقبل ! فأقبلت والله فرقام من شره لا طمعاً في خيره . فقال : ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت إلا من حاجة ! قلت : نعم . قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين وامض لِيَطِيَّتِكَ . قال : قلت : أما والله لا أمضي حتى أخبرك عن نفسك ؛ فلا والله ما رأيت أعرابياً قط أشدَّ ضرساً ، ولا أَعْدَنِي رجلاً ، ولا أَرْمِي يدًا ، ولا أكرم عَفْواً ، ولا أُنْحَى نفساً ، منك . فصرف وجهه عني حياءً وقال : خذ الإبل برمتها مباركا لك فيها .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : اركبوا وآرموا ؛ وأن تَرْمُوا أحبُّ إلى من أن تَرْكَبُوا .

النبي صلى الله عليه وسلم في الرمي

- وقال : كلُّ نَهْوٍ المؤمن باطلٌ إلا في ثلاث : تأديبه فرسه ورميه عن كبد قوسه ، وملاعِبَتِهِ امرأته ؛ فإنه حق . إن الله لَيُدْخِلُ الجنةَ بالسهم الواحد عاملة المحتسب ، والقوى به في سبيل الله ، أي والرامي به في سبيل الله .

وروى عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ . أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ . أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ . أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ . ﴾

وكان أرمى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : اللهم سدِّدْ رَمِيَّتَهُ ، وأَجِبْ دَعْوَتَهُ . فكان لا يُرَدُّ له دعاء ، ولا ينجب له سهم .

ابن أبي وقاص

وذكر أسامة بن زيد : أن شيوعا من أسلمَ حديثه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون يَطْحَان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارمُوا يابني لإسمعيل ، فقد كان أبوك راميا ، وأنا مع ابن الأدرع . فعدى القوم فقالوا :

النبي صلى الله عليه وسلم ورماء من أسلم

يا رسول الله ، مَنْ كُنْتُ مَعَهُ فَقَدْ تَضَلَّ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ . فَاتَّضَلُّوا ذَلِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ رَجَعُوا بِالسَّوَاءِ ؛ لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى
أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ .

وقال عمر : اتَّبَرُوا وَأَوْتَدُوا ، وَأَتَعَلُّوا وَأَحْتَفُوا ، وَأَرْمُوا الْأَغْرَاضَ ، لِمَنْ بَنَى الْحَطَابِ ٥
وَأَلْقُوا الرُّكْبَ ، وَأَنْزُوا عَلَى الْخَيْلِ نَزْوًا ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعْدِيَةِ - أَوْ قَالَ : بِالْعَرِيَةِ -
وَدَعُوا التَّنَمَّ وَزَيَّ الْعَجَمِ .

وقال أيضا : لَنْ تَخُورَ قَوَائِمُ مَا نَزَوْتُمْ وَنَزَعْتُمْ . يَعْنِي نَزَوْتُمْ عَلَى ظَهْرِ
الْخَيْلِ وَنَزَعْتُمْ بِالْقَسَى .

وجنى قوم من أهل اليمامة ^(١) جناية ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِمْ جُنْدًا مِنْ مَجَابِرَةِ
ابن زياد . فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يُدْعَرُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، وَيَا بَنِي ١٠
الْحَصَنَاتِ ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ وَأَنْسَابِكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنْ ظَهَرَ هَؤُلَاءِ عَلَيْكُمْ لَا يَدْعُونَ
بِهَا لَبِنَةَ حَرَاءٍ وَلَا نَخْلَةَ خَضْرَاءٍ إِلَّا وَضَعُوهَا بِالْأَرْضِ ، وَلَا عَقْرَاكُمْ مِنْ بَشَابِ
مَعَهُمْ فِي جَنَابِ كَأَنَّهُا أَبْوَرُ الْفَيْلَةِ يَنْزَعُونَ فِي قَيْسٍ كَأَنَّهُا النُّبُطُ ، تَتَلَّ إِحْدَاهُنْ
أَطِيطَ الزُّرْنُوقِ ، يَمْنَعُ أَحَدُهُمْ فِيهَا حَتَّى يَتَفَرَّقَ شَعْرُ لِبَاطِيهِ ، ثُمَّ يَرْسِلُ نَشَابَةَ كَأَنَّهُا
رِشَاءٌ مَنْقُطِعٌ ، فَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ تَنْفَضَخَ عَنْهُ أَوْ يَنْصَدَعَ قَلْبُهُ مَنْزِلَةٌ . تَخْلَعُ ١٥
قُلُوبُهُمْ فَطَارُوا رُغْبًا .

مشاورة المهدي لأهل بيته

في حرب خراسان

هذا ما تراجع فيه المهديُّ ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب ٢٠
خراسان ، أَيَّامَ تَحَامَلَتْ عَلَيْهِمُ الْعُمَالُ وَأَعْتَفَتْ ، خَمَلَتْهُمْ الدَّالَّةُ وَمَا تَقَدَّمَ لَهُمْ مِنَ
الْمَكَاةِ عَلَى أَنْ نَكُتُوا يَبْعَتَهُمْ ، وَتَقَضُّوا مَوْثِقَهُمْ ، وَطَرَدُوا الْعُمَالُ ، وَالتَّوَوُّا بِمَا
عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَرَاكِ . وَحَمَلَ الْمَهْدِيُّ مَا يُحِبُّ مِنْ مَصْلَحَتِهِمْ وَيَكْرَهُ مِنْ عَنَتِهِمْ عَلَى

(١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصُولِ وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْلِ : « الْمَدِينَةِ » .

أن أقل عثرتهم ، واغفر زلّتهم ، واحتمل دألتهم ؛ بطوّلاً بالفضل ، وآتساعاً بالدفور ، وأخذاً بالحُجة ، ورفقاً بالسياسة ؛ ولذلك لم يزل منذ حمله الله أعباء الخلافة ، وفلّده أمور الرعية ، رفيقاً بمدار سلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للعدل في رعيته ؛ تسكّن إلى كفه ، وتأنس بعفوه ، وثقّ بحله ؛ فإذا وقعت الأفضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هواده ولا إغضائه ولا مُداهنه ؛ أثره للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم . فدعا أهل خراسان الاغترار بحله ، والثقة بعفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرّدوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ؛ ثم خلطوا احتجاجاً باعتذار ، وخصوصةً بإقرار ، وتنصلاً باعتلال . فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلّائه ، وبعث إلى نفر من لُحمتيه ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ؛ ثم أمر الموالي بالابتداء ؛ وقال للعباس بن محمد : أيّ عمّ ، تَعَقَّبْ قولنا ، وكُنْ حكماً بيننا . وأرسل إلى ولده موسى وهارون فأحضرهما الأمر ، وشاكرهما في الرأي . وأمر محمد بن الليث بحفظ مُراجعتهم وإثبات مقالاتهم في كتاب .

فقال سلام صاحب دار المظالم : أيها المهدي ، إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، أسفرغت رأيهم . واستنقرت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعُرفوا بها وعُرفت بهم ؛ ولهذه الأمور التي جعلتُنا فيها غايةً وطالبتْ معوتتنا عليها : أقوامٌ من أبناء الحرب ، وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفُرسان الهزاهز ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رَشَحْتَهُمْ بِجَاهِهَا ، وفِيَّائَهُمْ ضَلَّالُهَا ، وعَضَّتْهُمْ شِدَائِدُهَا ، وقرمتم نواجذها ؛ فلم تَحْمَتْ مَا قَبْلَهُمْ ، وكشفت ما عندهم ، لوجدتْ فظائرُ تَوَيْدِ أَمْرِكَ ، وتَجَارِبُ تَوَافُقِ نَظَرِكَ ، وأحاديثُ تَقْوَى قَلْبِكَ . فأما نحن معاشرُ عَمَّاكَ ، وأصحاب دواوينك ، كَحَسَنَ بِنَا وكَثِيرَ مَنَّا أن نقوم بِثَقْلِ مَا حَمَلْتَنَا مِنْ عَمَّاكَ ، واستودعْتَنَا مِنْ أَمَانَتِكَ ، وشكَلْتَنَا بِهِ مِنْ إِبْضَاءِ عَدْلِكَ وَإِنْفَازِ حَكْمِكَ ، وإظهارِ حَقِّكَ .

فأجابهُ المهدي : إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال

تدبير يُبطل الآخرُ الأولُ ؛ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال : نعم أيها المهدي ، أنت متسع الرأي ، وثيق العدة قوى المدة ، بليغ
الخطبة ، معصوم الية ، محصور الروية ، مؤيد البدية ، موقى العزيمة ، مُحان
بالظفر ، مُهَيَّئٌ إلى الخير ؛ إن همت في غزبك مواقع الظن ، وإن أجمعت
صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يَهْدِ الله إلى الصراب قلبك ، وَقُلْ يُنْطِقُ الله
بالحق لسانك ، فَإِنْ جُنُودُكَ جَمَّةٌ ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سحابة ، وأمرُك نافذ .
فأجابه المهدي : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة ، لا يملك عليهما
رأى ، ولا يتفيل معهما حزم ؛ فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما خُفِرْكم ؛ فإنني من
ورائكم ، وتوفيقُ الله من وراء ذلك .

قال الربيع : أيها المهدي ، إن تصاريث وجيزه الرأي كزبرة ، وإن الإشارة
ببيض معاريف القول يسيرة ؛ ولكن خراسان أرض بيّدة المسافة ، متراخية
الثقة ، متفاوتة السبل ، فإذا ارتأيت من حكم التدبير ، ومُبرّم التقدير ،
ولباب الصواب . رأيا قد أحكمه نظرك ، وقبله تدبيرك ، فليس وراءه مذهب
لحجة طامع ، ولا دونه مُتَعَلِّقٌ لخصومة عائب ، ثم خَبَّتِ البردُ به ، وانطوت
الرسُلُ عليه . كان بالخرى ألا يصل إليهم تحكُّمُهُ إلا وقد حدث منهم ما ينقضه ؛
فما أيسر أن ترجع إليك الرسل وتزد عليك الكذب بمخالف أخبارهم ، وشوارد
آثارهم ، ومصادر أمورهم ؛ فتحدث رأيا غيره ، وتبتدع تدبيرا سواه ، وقد
انفجرت الخلق ، وتحلّت العُقد ، وآسرتخي الحجاب ، وامتد الزمان . ثم لعلنا
مَوْفِعُ الآخرة كمصدر الأولى . ولكن الرأي لك أيها المهدي وفقك الله ، أن
تصرف إجمالة النظر ، وتقلب الفكر فيما جعنتا له واستشترتنا فيه من التدبير
لحرهم والخيال في أمرهم ، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل ، وعقل كامل ،
وورع واسع ، ليس موصوفا بهوى في سواك ، ولا متهما في أثره عليك ،
ولا ظنينا على دُخْلَةٍ مكروهة ، ولا منسوبا إلى بدعة مخدورة ، فيقدح في ملكك ،
ويربّض الأمور لنيرك ، ثم تُسند إليه أمورهم ، وتفوض إليه حربهم ، وتأمّره

في عهدك ووصيتك إياه بلزوم أمرك حالزमे الحزم ، وخلاف نيك إذا خالفه
الرأى ، عند استعالة الأمور واستدارة الأحوال ، التى يُنْقَصُ أمرُ الغائب عنها ،
ويُثَبِّت رأى الشاهد لها ، فإنه إذا فعل ذلك فوائب أضرهم من قريب ، وسقط
عنه ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة ، وقويت المكيدة ، وتمتد العمل ، وأخذ النظر
إن شاء الله .

- قال الفضل بن العباس : أيها المهدي ، إن ولى الأمور ، وسائس الحروب ،
ربما نجي جنوده ، وفترق أمواله ، فى غير ماضيق أمر حربه . ولا ضغطة حال
اضطرته ، فيقع عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عديماً منها ، فاقداً لها ، لا يثق
بقوة ، ولا يصول بعة ، ولا يفرع إلى ثقة . فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله ،
- ١٠ أن تمنى خزائنك من الإيفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة
الأخطار وتفرير القتال . ولا تسرع للقوم فى الإجابة إلى ما يطلبون ، والإعطاء
لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرئ من رعبك غيرهم ؛ ولكن اغرهم
بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارغهم باللين ، وخاتلمهم بالرفق ، وأبرئ لهم
بالقول ، وأرعد نفوسهم بالفعل ، وابعث البعث ، وجند الجنود . وكُتِبَ الكتائب ،
- ١٥ وأُعِدَّ الألوية ، وأنصَبَ الرايات ، وأظهر أنك موجة لهم الجيوش مع أحق
قوادك عليهم ، وأسوهم أثراً فيهم ، ثم ادس الرسل ، وأبث الكتب ، وضع
بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضاً على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك
وأشابهه نيران التحاسد فيهم ، وأغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب
من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كل من كل الحذر والهيبة ؛
- ٢٠ فإن مرآة الفخر بالنية ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب ، والمكيدة بالرسل ،
والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب ، القوى الموقع من النفوس ،
المعقبة بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، التى يستميل القلوب ،
ويستترق العقول ، ويسبى الآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعى المواتاة - أنفذ
من القتال بظلمات السيوف وأسنة الرماح : كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته

بالجبل ، ويُفترق كلمة عدوه بالمكيدة ، أحكم عملا وألطف نظراً^(١) وأحسن سياسة من الذي لا يتال ذلك إلا بالقتال ، والإتلاف للأموال ، والتزوير والخطار .
ولعلم المهدي - وفقه الله - أنه إن وجه لقتالهم رجلا ، لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة تخرج على حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأهوال متفرقة ، وقواد غشقة ، إن اتمنهم استنفدوا ماله ، وإن استنصحوهم كانوا عليه لا له .

قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نوره ، وبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للحيون ، وتجدد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذي علم عليم .

ثم نظر إلى أبنه علي فقال : ما تقول ؟

قال علي : أيها المهدي ، إن أهل خراسان لم يخلعوا من طاعتك يدا ، ولم ينصبوا من دونك أحدا يكدر في تغيير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك :
ولو فعلوا لكان الخطب أيسر ، والشأن أصغر ، والحال أدل : لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند مواعده الذي لا يخلفه : ولكنهم قوم من رعيك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً : فإن أجبت إلى دعوتهم ، ونفست عنهم قبل أن تتلاخهم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطلعت أمر الرب ، وأطلقت نائرة الحرب ، ووقرت خزائن المال ، وطرحت تزمير القتال : وتحمل الناس تحمل ذلك على طيبة جودك وبجبة حبلك ، وإجحاح خليقتك ، ومعدلة نظرك : فأمنت أن تُلْسَب إلى ضغنة ، وأن يكون ذلك لهم فيما بقي دربة . وإن منعهم ما طلبوا ، ولم تجهم إلى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب . فما أرب المهدي أن يعتمد إلى طائفة من رعيته : مُقرِّين بملكته ، مُدْعِينَ لطاعته ، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُرثونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الجدل معهم ، ثم يجازيهم السوء في جحد المفارقة ، ومضمار المخاطرة ؟ أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟

- فلعمري لا ينالها ولا يظفر بها إلا يانثاق أكبر عما يطلب منهم ، وأضمايف ما يدعى قِبلهم ؛ ولو نالها لحملت إليه ، أو وضعت بخرايطها بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسب وبه يُعرف ، من الجود الذى دأبه الله عليه ، وجعل قُرّة عينه ونهْمَةً نفسه فيه . فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد فى أهل الخراج الذين شكوا ظلمَ عُثمانيّنا وتحاملَ ولّنا ، فأما الجنود الذين نقضوا موافقَ اليهود ، وأنطقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا بابَ المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ؛ فقد يبنى لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم ؛ وعِظَةً لسواهم . فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين فى الحديد ، مُقرّنين فى الأصناد ، ثم اتسع حُسن دمايتهم عفوه ، وإلا قالة عشرتهم صفحه ، واستبقاهم لما لم فيه من حربته ، أو لمن ييازتهم من عدوه ، لما كان يدّعا من رأيه ، ولا مستكرا من نظره .
- لقد علّت العربُ أنه أعظمُ الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدّها وقعا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاطمه عفو ، ولا يتكاهذه صفح ، وإن عظمَ الذنبُ وجلّ الخطب . فالرأى للمهدي - وفقه الله تعالى - أن يحلّ عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله فى الغنى عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضّيعه عيالاتهم ، برا بهم ، وتوسعا لهم ، فإنهم إخوان دولته ، وأركانُ دعوته ، وأساسُ حقّه ، الذين يعزّتهم بضول ، وبحجّتهم يقول . وإنما مثّلهم فيما دخلوا فيه من مسأخطة ، وتعرّضوا له من معاصيه ، وانطروا فيه عن إجابته ؛ ومثّله فى قلة ما غيّر ذلك من رأيه فيهم ، أو تقلّ من حاله لهم ، أو تغيّر من نعمته بهم - كقتل رجلين أخوين متناصرين متوازرين ، أصاب أحدهما خيلٌ عارض ، وهو حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكروه ؛ فلم يردد أخوه إلا رقة له ، ولطفاً به ، وأحتيالاً لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفاً عليه ، وبراً به ، ورحمةً له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سُبْحَ اللّيان ، وفَضَّ القلوب عن أهل خراسان ، ولكل نيا مستقر وسرف تعلون . ثم قال : ماترى يا أبا محمد ؟ يعنى موسى أبته .

فقال موسى : أيها المهدي ، لا تسكن إلى حلاوة ما يجري من القول على
 ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم . والحال من القوم تنادي بمضمرية
 شر ، وخفيّة حقد ، قد جعلوا المآذير عليها سترًا ، واتخذوا العلل من دونها
 حجابًا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتويل ، فيكسروا حيل
 المهدي فيهم ، ويثبوا جنوده عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتلاحق مآذيتهم ،
 وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ؛ والمهدي من قوتهم في حال غزاة
 ولباس أمانة ، قد فتر لها ، وأنس بها ، وسكن إليها . ولولا ما اجتمعت له قلوبهم ،
 وبردت عليه جلودهم ، من المناصة بالقتال ، والإضمار للقراع ، عن داعية ضلال
 أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أحوال الولاة ، وغبّ سكوت الأمور .
 ١٠ فليشدّ المهدي - وفقه الله - أزره لهم ، ويكتب كتابه نحوهم ، ويبضغ الأمر
 على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم إلا كانت
 دربة لفسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية إلى عودتهم ، وسببًا لفساد من يحضرته
 من الجنود ، ومن يبابه من الوفود الذين إن أقروهم على تلك العادة ، وأجراهم على
 ذلك الأدب لم يرح في فتق حادث ، وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه حين ، ولا
 تستقيم به دنيا . وإن طلب تغييره بعد استحكام العادة ، واستمرار الأثرية .
 ١٥ لم يصل إلى ذلك بالعقوبة المفرطة ، والمثوبة الشديدة . والرأي للمهدي - وفقه الله -
 ألا يقبل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف .
 ويستحرّ بهم القتل ، ويحدّق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم
 الدل . فإن فعل المهديّ بهم ذلك كان قطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل
 ٢٠ بادرة شرّ منهم . واحتفال المهديّ دؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزوات كثيرة ،
 وفنقات عظيمة .

قال المهدي : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد : أيها المهدي ، أما الموالى فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا
 جنبات الصواب ، وتمدّوا أمورًا قصّر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجارتهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تُنفق ، والجنود ألا تُفرق ، وبأن لا يُعطى القوم ما طلبوا ، ولا يُبدل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر بين ذلك ، استصغارا لأمرهم وأستانة بحريهم ، وإنما يبيعُ جسياتِ الأمورِ صغارها .

- وأما على فأشار باللين وإفراط الرفق . وإذا جرد الوالى لمن عَطِ امرءه وسَفِه حَقه ، اللينَ بحتا ، والخيرَ محضا ، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب على لينة ، ولا بشرٍ يَحِبُّهم^(١) إلى خيره ؛ فقد مَلَكَهم الخلعَ لِعُدْوِهِم ووسَّع لهم الفُرجةَ لِسُنَى أعناقهم ، فإن أجابوا دعوته ، وقبلوا لينة من غير ما خوف اضطُرهم ، ولا شدة حالٍ أخرجتهم ، لم يزل ذلك يبيع عزة في نفوسهم ، وتزوة في رموسهم ، يستعدون بها البلاء إلى أنفسهم ؛ ويصرفون بها رأى المهدي فيهم . وإن لم يقبلوا دعوته ، ويُسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح ، فذلك ما عليه الظنُّ بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يُشبه أن يكون من مثَلهم ؛ لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم القيم والمُلْك الكبير ما لا يَحْطُر على قلب بشر ، ولا تُدرِك الفِكر ، ولا تملأ نفس ؛ ثم دعا الناس إليها ورغَّبهم فيها ؛ فلو لا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا .

- وأما موسى فأشار بأن يُعَصِّبوا بشدة لالين فيها ، وأن يُرَمِّمُوا بشرٍ لا خيرَ معه . وإذا أخبر الوالى أن فارق طاعته وخالف جماعته ، الخوف مفردا والشرُّ مجرداً ، ليس معهما طمع يكسرهم ، ولا لين يَنْفِثهم ، امتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين : إما أن تدخلهم الحية من الشدة ، والافتقار من الذلة . والامتناع من القهر ، فيدعوم ذلك إلى التماسى في الخلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للوت ؛ وإما أن يتقادوا بالكثرة ، ويُذعنوا بالقهر ، على يَفْضَةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، تُورث النفاق ، وتُغَيِّب الشقاق ، فإذا أمكنهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشدَّ مما كان .

(١) يحبهم : يجعلهم يفرعون .

وقال : في قول الفضل أيها المهدي ، أكنى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خير بان . قد اجتمع رأيي ، وحزم نظره على الإرشاد بيعة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم مأسألوها من الحق ، وإجابتهن إلى مأسألوها من العدل .

قال المهدي : ذلك رأي .

قال هارون : خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمراً فطاماً لما تكره ، وعاد اللين أهدى قائداً إلى ما تحب ؛ ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدي : لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت به أهل بيتك جميعاً ، والمرء متهم بما قال ، وظنين بما أدعى ، حتى يأتي بينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فأخرج عما قلت .

قال هارون : أيها المهدي ، إن الحرب تُخدعة ، والأعاجم قومٌ مكررة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، وافقت الأهواء منهم ، فكان باطن ما يُسررون على ظاهر ما يعلنون ؛ وربما افرقت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على تحجوية تُبطن ، واستترت بمدخولة لا تُعلن ؛ والطبيب الرقيق بطنه ، البصير بأمره . العالم بمقدم يده ، وموضع ميسمه ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ؛ فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يقر باطن أمرهم قر المسية ، ويمتنع من ظاهر حالهم غش السقاء ، بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وموالة العيون ، حتى تهتك حجج غيوبهم ، وتكشف أغطي أمورهم ؛ فإن انفرجت الحال له وأفضت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال ، أشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال إليه ، وامتدت الاعتناق نحوه ، بلدين يعتقدونه . وإثم يستحلونه ، عصهم بشدة . لا لين فيها ، ورمهم بعقوبة لا عفو معها ، وإن انفرجت النيوب ، واهتصرت الشئور ، ورُفعت الحجب ، والحال فيهم مريعة ، والأمر بهم معتدلة ، عن أرزاق يطلبونها ، وأعمال يُنكرونها ، وظلامات يدعونها ، وحقوق ينهأونها ،

(١) في بعض الأصول : انكشفت .

- بمآةٍ سابقتهم ، ودالةٍ مناصحتهم . فالرأى للمهدى - وقفه الله - أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ما صدعوا ، ويرتق من فتقهم ما فشقوا ؛ ويوتئ عليهم من أحيوا ، ويُدأوى بذلك مَرَضَ قلوبهم ، وفسادُ أمورهم ؛ فإنما المهدى وأُمَّته وسوادُ أهل مملكته بمنزلة الطيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعى الحذب ، الذى يخال لمراض غنمه ، وضوالَّ رعيته ، حتى يرى المريضة من داءٍ علنها ، ويرد الضالة إلى أنس جماعتها . ثم إن خراسان بخاصةٍ لهم ذالة محولة ، ومائة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ؛ لأنهم أبدى دولته ، وسيوفُ دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله . فليس من شأن المهدى الاضطغانُ عليهم ، ولا المُواخذة لهم ، ولا التوغُّر بهم ، ولا المكافأة بإسأمتهم ؛ لأن مبادرة حسم الأمور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، ١٠ أحزمُ فى الرأى وأصحُّ فى التدبير ، من التأخير لها والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى جمهورها .

- قال المهدى : ما زال هارون يقع ووقع الحيا ، حتى خرج خروج القيدح مما قال ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما قد سَبَق موسى فيه أنه هو الرأى ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لائحة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، ١٥ إن أمن بهم اللجاج ، وأفرطت بهم الدالة ؟

- قال صالح : لستأ نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِراسة رأيك ، وبعضَ لحظات نظرك ؛ وليس ينفض عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ، ذو دين فاضل ورأى كامل ، وتدبير قوى ، تُقلِّده حربك . وتستودعه جندك ، بمن يحتمل الامانة العظيمة ، ويعتطلع بالأعباء الثقيلة . وأنت بحمد الله ٢٠ ميمون النقية ، مبارك العزيمة ، مخبِر التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ؛ فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على أحد تؤليه أمرك وتُسند إليه تُفرك إلا أراك الله ما تُحب ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدى : إني لأرجو ذلك . لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معونته عليه .

ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للشاورة في الأمر المهم .

- قال محمد بن الليث : أهل خراسان - أيها المهدي - قوم ذوو عزة ومَنَّة ، وشبابٌ خَدَعَة زُرُوع الحية فيهم نابتة ، وملابسُ الأنفة عليهم ظاهرة ، فالرِوِيَّة عنهم عازية ، والمجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم ، وسيوفهم عَدَنُهم ، لأنهم بين سيفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظرَ عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجئون إلا بشدة ولا يقطعون إلا بالقهر ؛ وإن ولي المهدي عليهم وضيعا لم تنقذ له العظام ، وإن ولي أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء . وإن آخر المهدي أمرهم ودافع حرّهم حتى يُصِيبَ لنفسه من حشيه ومواليه ، أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحا ينفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له أملأؤهم ، بلا أنفة تَلْزِمُهم ، ولا حية تَدْخُلُهم ، ولا عصبية تُنْفِرُهم ، تنفست الأيام بهم ، وزاغت الحسَالُ بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير والضياغ العظيم ما لا يتلافاه صاحبُ هذه الصفة وإن جد . ولا يَسْتَصْلِحُهُ وإن جَهِد ، إلا بعد دهر طويل ، وشرك كبير . وليس المهدي - وفقه الله - فاطما عاداتهم ولا قاربا صفاتهم بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما ، ولا عدل في ذلك بهما : أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويُدِّمُثْلَةً لعينك ، وصخرة لا تُزْعَجُ ، وبُهِمَّة لا يثنى ، وبازل لا يُفْرِعُه صوتُ الجبل ، نقي العِرْضِ ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد انضمت الدنيا عن قدره ، وبما نحو الآخرة بهمته ، لجعل الفرض الأقصى لعينه نُصْبًا ، والفرض الأدنى لقلبه موطنًا ، فليس يُنْفِلَ عملا ، ولا يتعدى أملا وهو رأس مواليك ، وأنصحُ بنى أهلك رجلٌ قد غُدِّيَ بلطيف كرامتك ، ونبتَ في ظل دوائك ونشأ على قويم أدبك ؛ فإن قلته أمرهم ، وحلته ثقلهم ، وأسندت إليه ثغرهم : كان قُفْلًا قَتَحَهُ أَمْرُكَ ، وباباً أَعْلَقَهُ نَهْيُكَ ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والإنصاف بينه وبينهم حاكما . وإذا حكم النصفة وسلك المَدْلَةَ فأعظام ما لهم وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك في السويدة داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق ، بأسقة الفروع ، مُتَمَثِّلَةً في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبق فيهم ريب إلا تقوّه ، ولا يلزمهم حق إلا أدّوه ، وهذا أحدهما .

- والآخر عُود من غَيْضَتِكَ ، وَدَبَّة من أرومتك ، قَتَى السِّن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصَّرامة ، مأمون الخلاف ، يُجَرِّدُ فيهم سِبْقَهُ ، ويسطو عليهم خَيْرُهُ بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان أيها المهدي ، فسأله - أعزك الله - عليهم ، ووجهه بالجيش إلىهم ، ولا تمتنع ضراعة سنه وحدائه مولده ؛ فإن الحلم والثقة مع الحدائنة خيرٌ من الشك والجهل مع الكهولة ؛
- وإنما أحذركم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه وأخصكم به من مكارم الأخلاق ، وتحامد الفِعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراف عناق الطير المُعَرَّكة لِأخذ الصيد بلا تدرّب ، والمارقة لوجوه النفع بلا تأديب ؛ فالعلم والعزم والحزم والجود والثّوة والرفق ثابت في صدوركم ، ممدّوع في قلوبكم ، مستعكم لكم ، متكامل عندكم ، بطائع لازمة ، وغرائر ثابتة .

- قال معاوية بن عبد الله : أفتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر ، وأهل خراسان في حال عزٍّ على ما وصف . ولكن إن ولّى المهدي عليهم رجلا ليس بقديم الذكر في الجنود ، ولا بنبية الصوت في الحروب ، ولا بطويل التجربة للأمر ، ولا بمعروف السياسة للجيش والهيبة في الأعداء ، دخل من ذلك أمران عظيمان ، وخطران مهولان : أحدهما أن الأعداء ينتمزونها منه ، ويحتقرونها فيه ، ويحترون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه ، قبل الاختبار لأمره ، والتكشيف لحاله ، والعلم بطباعه . والأمر الآخر أن الجنود التي يقود ، والجيش التي يسيّر ، إذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالقصوت والهيبة ، انكسرت شجاعتهم ، وماتت نجاتهم ، واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم . وربما وقع البوار قبل الاختبار . وبياب المهدي
- وفقه الله - رجل مهيب نبيه خبيك صيّد ، له نسب زالك وصوت عال ، قد قاد الجيوش ، وساس الحروب ، وتأنف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالفتة ، ووثقوا به بكل الثقة ؛ فلو ولّاه المهدي أمرهم لكفاه الله شرهم .

قال المهدي : جانبت قصد الرِّمّة ، وأيدت إلا عصية ، إذ رأى الحَدَث

من أهل بيتنا كراى عشرة حُلباء من غيرنا، ولكن أين تركم ولى العهد ؟

قالوا : لم يمنعنا من ذكره إلا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل قد حَجَب عن خلقه ، وسَرَّ من دون عباده ، عِلْم ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تجري به ٥ المقادير ، من حوادث الأمور وريب المنون ، المحترمة لحوالى القرون ومواضى الملوك ؛ فكرهنا سُجُوعه عن محلة الملك ، ودار السلطان ، ومقر الإمامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن ، ومُسْتَقَر الجنود ، وموضع الوجوه ، وجمع الأموال التى جعلها الله قُطْباً لمدار الملك ، ومُضَيِّدَةً لقلوب الناس ، ومَنَابِة لإخوان القطع ، وثَوَارِ الفَنِّ ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال ، وأبناء المروق ؛ وقلنا : إن وجه المهدي ولىَّ عَهْدِهِ لَخَدَثَ فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من ١٠ قبله ، لم يستطع المهدي أن يُعْقِبَهُ بغيره ، إلا أن ينهض إليهم بنفسه ؛ وهذا خطر عظيم ، وهول شديد ؛ وإن تنفست الأيام بِمَقَامِهِ ، واستدامت الحال بأيامه ، حتى يقع عَرَضٌ لا يستغنى فيه ، أو يحدث أمرٌ لا بد فيه منه ، صار ما بعده مما هو أعظمُ هَوَلاً وأَجَلَ خطراً ، له تَبَعاً وبه مُتَصِلاً .

قال المهدي : الخطبُ أيسر مما تذهبون إليه ؛ وعلى غير ما تصفون الأمر ١٥ عليه ، نحن أهل البيت . نجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور على سابق من العلم ، ومعنوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ، وتنابت عليه الرسل ، وقد تنأى ذلك بأجمعه إلينا ، وتكامل بحذائره عندنا ، فيه نُذْبَرُ ، وعلى الله تتوكل ؛ إنه لا بد لولى عهدي - وولىَّ عهدي عقبى بعدي - أن يقود إلى خراسان البعوث ، ٢٠ وينتوجه نحوها بالجنود .

أما الأول فإنه يُقَدِّم إليهم رُسُلَهُ ؛ ويُعْمِلُ فيهم حِيلَهُ ، ثم يخرج نَشِيطاً إليهم ، حَقِيقاً عليهم ، يريد ألا يدع أحداً من إخوان الفتن ، ودواعى البدع ، وفرسان الضلال ، إلا توطأه بجرّ القتل ، وألبسه قناع القهر ، وطوّقه طوق الدُلِّ . ولا أحداً من الذين عملوا فى قَصِّ جناح الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ،

إلا أجرى عليهم دِيمَ فضله ، وجداول بذله ، فإذا خرج مُزْمَعاً به مُجْمَعاً عليه ؛
لم يسر إلا قلبلا حتى يأتيه أن قد عَمِلَتْ حِيلَه ؛ وكدحت كُتْبَه ؛ ونفذت مكايده ؛
فهدأت نافرة القلوب ، ووقعت طائرة الأهواء ، واجتمع عليه المختطفون بالرضا ؛
فيميل نظراً لهم وبراً بهم وتعطفاً عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع
طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال . ٥

وأما الآخر فإنه يوجه إليهم من يعتقد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون ،
وبذلك مايسألون ، فإذا سمعت الفرق بقرانها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم
نحوه ، فأصفت إليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصد
لأول ناحية بخت بطاعتها ، وألقت بأزمته ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل
كرامته ، وخصها بعظيم جاته ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ؛ وتعطف عليهم بالرحمة ، ١٥
فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فرقة قاصية ، إلا دخلت عليها بركته ، ووصلت
إليها منفعته ، فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع ضئيعها ، وزاد رفيعها ،
ما خلا ناحيتين : ناحية يغلب عليهم الشقاء وتسميهم الأهواء فتستخف بدعوتها ،
وتبطل عن إيجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث ، وأبطأ من يوجه ،
فيضطمر عليها موجدة ، ويتنفي لها علة ، لا يلبث أن يجدها بحق يلزمهم ؛ ١٥
وأمر يجب عليهم ، فتسلحهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرفهم القتل ،
ويحيط بهم الأسر ، ويقتسمهم التفتع ، حتى يُخرب البلاد ، ويُؤتم الأولاد . وناحية
لا يسطر لهم أماناً ، ولا يقبل لهم عهداً ، ولا يحمل لهم ذمة ؛ لأنهم أول من فتح
باب الفرقة ، وتدفع جلباب الفتنة ، وربض في شق العصا . ولكنه يقتل أعلامهم ،
ويأمر قوادهم ، ويطلب هُراهم في لُجج البحار ، وقُلل الجبال ، وتخمر الأودية ، ٢٥
ويطون الأرض ، تقتيلاً وتغليلاً وتنكيلاً ؛ حتى يدع الديار خراباً ، والنساء
أيامى . وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتاً ، ولا نصصح منه غير ماقلنا تفسيراً .

وأما موسى ولي عهدي ، فهذا أوان توجهه إلى خراسان ، وحلولة بخرجان ؛
وما قضى الله له من الشخصوص إليها والمقام فيها ، خيرٌ للمسلمين مَقَبَةً ، وله ياذن

الله عاقبة ، من المقام بحيث يُعْمَر في الحُججُ بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا ،
فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذأب مشرق نُوره ، ويُقتل كثير ما هو كائن منه .
فمن يصحبه من الوزراء ومن يُختار له من الناس ؟

قال محمد بن الليث : أيها المهدي ، إن وليّ عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك
٥ علماً قد تنوّعت نحوه أعناقها ، ومُدّت سَمْتُهُ أَبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ،
ومحلّ جواره لك ، حُطْلُ الحال ، غُفْلُ الأمر ، واسع العذر ، فأما إذا انفرد
بنفسه ، وخلا بنظره ، وصار إلى تديره ، فإن من شأن العامة وأمراء الأمة أن
تتفقد مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، في
برّه وسرّحتّه ، وإقساطه ومعدّته ، وتديره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون
١٠ ماسيق إليهم أغلب الأشياء عليهم ، وأملك الأمور بهم ، وألذّها لقلوبهم ، وأشدّها
استئالة لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم . فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظراً له فيما
يُقرّى عند ملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أُمته ، بأمر هو أزين
لحالّه ، وأظهر لجسالة ، وأفضلُ مَنبَيةً لأمره ، وأجلُّ موقفاً في قلوب رعيته ،
وأخذُ حالاً في نفوس أهل ملّته . ولا أوقع مع ذلك بأسّجاع الأهواء له ؛
١٥ وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من مرّحةٍ تَظْهَر من فعله ، ومعدّلة تنتشر عن
أثره ، ومحبة للخير وأدله ؛ وأن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل
بلدة ، وفقهاء أهل كلّ مصر . أقواماً تسكن العامة إليهم إذا ذُكروا ، وتأنس
الرعيّة بهم إذا وُصفوا ، ثم تُسأل لهم عمارة سُبُل الإحسان ؛ وتُفتح باب المعروف
كما قد كان فُتح له وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت . ثم بعث في ابنه موسى ؛ فقال : أيُّ بُنيّ ،
٢٠ إنك قد أصبحتَ لِسَمْتِ عيون العامة نُصباً ، وَلَشَيْءِ أعطافِ الرعية غاية ، لحسنّتكَ
شاملة ، وإساءةٍ تامةٍ ، وأمرُك ظاهر . فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل
سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ؛ فإن الله عزّ وجلّ كافيك من
أخطئه عليك إيتارك رضاه ؛ وليس بكافيك من يُسخطه عليك إيتارك رضاه من سواه .

- ثم أعلم أن الله تعالى في كل زمان عِشْرَةٌ من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ،
 وخبايا نُصْرَةٍ حقه ، يَجِدُّ حبلَ الإسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بِنُصْرَتِهِمْ ،
 ويتخذهم لآلِوَاءِ دينه أنصاراً ، وعلى إقامة عدله أعواناً ، يَسْتَدِينُ الحَلال ،
 وَيُقِيمُونَ المَيْل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ؛ وإن أهل خراسان أصبحوا
 أيدى دولتنا ، وسيوفَ دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونصرف نزول
 العظام بمناحتهم ، وندافع ريبَ الزمان بعزائمهم ، ونزاحم ركنَ الدهر ببصائرهم .
 فهم عماد الأرض إذا أُرْجِفَتْ كُنُفُهَا ، وحُتِفَ الأعداء إذا أُبْرِزَتْ صَفْحَتُهَا ،
 وحِصُونُ الرعية إذا تضايقت الحال بها ؛ قد مضت لهم وقائع صادقات ؛ ومواطن
 صالحات ، أخذت نيرانَ الفتن ، وقصمت دواعي البدع ، وأذكت رقاب الجبابرين ؛
 ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ربح دولتنا ، وأقاموا في ظلّ دعوتنا ، واعتصموا
 بجبل طاعتنا التي أعز الله بها ذلتهم ، ورفع بها ضَعْفَهُمْ ، وجعلهم بها أرباباً في
 أقطار الأرضين ، وملوكاً على رقاب العالمين ، بعد لباس الذل ، وقِلاع الخوف ،
 وأطباق البلاء ، ومخالفة الآسى ، وجهد البأس والضر . فظاهروا عليهم لبأس
 كرامتك ، وأنزلهم في حدائق نعمتك . ثم أعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دلتهم ،
 ومائة سابقتهم ، وحرمة مناحتهم ، بالإحسان إليهم ، والتوسعة عليهم ، والإثابة
 لأحسنهم ، والإقالة لأسيئهم .

- أَيُّ بُنَى ؛ ثم عليك العامة . فاستدع رضاها بالعدل عليها . واستحلب مودتها
 بالإيناف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتزين به في عين رعيتك ، واجعل عمال
 القدر ، وولاء الحجج ، مقدمة بين يدي عملك ، ونصفة منك لرعيتك ؛ وذلك أن
 تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأقربهم رجلاً تُؤَلِّيهِ
 أمرهم ، وتجعل العدل حاكماً بينه وبينهم ، فإن أحسن تحدث ، وإن أساء عُذرت .
 هؤلاء عمال القدر ؛ وولاء الحجج . فلا يضيعن عليك مافي ذلك . إذا انتشر في
 الأفاق وسبق إلى الأسماع - من انعقاد السنة المريفيين ، وكثت قلوب الحاسدين ،
 وإطفاء نيران الخروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولا ينفك في ظل كرامتك

- نازلاً ، وبِعْرَاجِكَ مَتَعْلَقًا ، رجُلان : أحدهما كَرِيْمَةٌ من كرائم رجالات العرب ،
وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر
له دينٌ غير مغموز ، وموضعٌ غير مدخول ، بصيرٌ بتقلب الكلام ، وتصريف
الرأى ، وأنحاء الأدب ، ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب ، وتصاريف
الخطوب ، يضع آداباً نافعة ، وآثاراً باقية ، من تجميل محاسنك ، وتحسين أمرك ،
وتحلية ذكرك . فتستشيرهُ في حريك ، وتُدخلهُ في أمرك . فرجُلٌ أصبته كذلك فهو
يأوى إلى محلتى ، ويرعى في خُضرة جناتى ؛ ولا تدعُ أن تختار لك من فقهاء
البلدان ، وخيار الأمصار . أقواماً يكونون جيرانك وسمازك ، وأهل مشارقتك
فيما تُورد ، وأصحاب مُناظرتك فيما تُصدِر . فيسر على بركة الله ، أحميك الله من
عونه وتوفيقه دليلاً يهْدِي إلى الصواب قلبك ، وهادياً يُنطق بالخير لسانك .
- ١٠ - كُتِبَ في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ينفاد ^(١) .

باب في مذاكرة العدو

- في كتاب للهند : أن العدو الشديد الذى لا تقوى له لا ترد بأسه عنك بمثل
الخنسوع والخضوع له ، كما أن الجشيش إنما يسلم من الريح العاصفة بليته
وآتئثائه معها .
- ١٥ - وقالوا : اذْفِنْ ^(٢) للفرْد في دَوْلته .
أخذه الشاعر فقال :
لا تبعْدنْ حَمَماً في فَاقة نزلتْ * وأزْفِنْ بلا حَرْج للفرْد في زمنه
وقال أحمد بن يوسف الكاتب : إذا لم تقدر أن تَعَضَّ يدَ عدوك فقبْلِها .
وقال سابق البَلَوَى :
وداهنْ إذا ما خِمْتْ يوماً مُسَلِّطاً * ولَنْ يَحْتَالَ مَنْ لا يُدَاهِنُ
- ٢٠ - (١) كذا في الأصل . والذي يذكره المؤرخون أن خروج موسى الهادى إلى جرجان كان
في سنة ١٦٦ ، وكانت وفاة المهدي في شهر المحرم سنة ١٦٩ بعد الهجرة .
(٢) اذفن : اوقص .

الحكاه . وقالت الحكماء : رأس العقل منافسة ^(١) الفرصة عند إمكانها . والانصراف عما لا سبيل إليه .

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

بلاءٌ ليس بِشِبْهِهٖ بلاءٌ • عداوةٌ غيرُ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُيْلِكُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَهْنُ • وَبَرَّعَ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مُصُونِ

التحفظ من العدو وإن أبدى لك المودة

الحكاه . قالت الحكماء : احذر الموتر ولا تطمئن إليه ، وكُنْ أَشَدَّ مَا تَكُونُ حَذِرًا مِنْهُ أَلَطَفَ مَا يَكُونُ مُدَاخَلَةً لَكَ ؛ فَإِنَّمَا السَّلَامَةُ مِنَ الْعَدُوِّ بِنَبَاطِكَ مِنْهُ ، وَانْقِبَاضِكَ عَنْهُ . وعند الأُنس إليه والثقة [به] تَمَكَّنَهُ مِنْ مَقَاتِلِكَ .

١٠ قالوا : لا تطمئن إلى العدو وإن أبدى لك المقاربة ، وإن بسط لك وجهه وخفض لك جناحه ؛ فإنه يتربص بك الدوائر . ويضمرك لك النوازل ولا يترجى صلاحاً إلا في فسادك ، ولا رفعة إلا بسقوط جاهك .

كما قال الأخطل : للأخطل بمحذر بن أبي أمية

١٥ بِنِي أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ • فَلَا يَبِينَنَّ فِيمَكَ آمِنًا زُفْرُ
وَأَخِذْهُ عَدُوًّا إِن شَهِدَهُ • وَمَا تَنَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرُ
إِنَّ الضَّيْفَانَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدِمَتْ • كَالْعُرِّ يَكْمُنُ جَيْتًا ثُمَّ يَنْتَشِرُ

وفي كتاب الهند : الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر المؤانبة إن قرُبَ والمعاهدة إن بُعِدَ ، والكين إن انكشف ، والاستطراد إن وقى ، والكرّة إن فرّ .

وأوصى بعض الحكماء ملكاً فقال : لا يكونَنَّ العدوُّ الذي كشف لك عن عداوته بأخوفَ عندك من الظنين الذي يستتر لك بمخاتلته ، فإنه ربما تخوفَ الرجلُ الشُّمَّ الذي هو أفتل الأشياء ، وقَتَلَه الماء الذي هو مُحْيِي الأشياء ؛ وربما تخوفَ أن تقتله الملوك التي تملكه ، ثم تقتله العبيد التي يملكها .

(١) المنافسة : المواجهة والاختلا على غزوة .

للأخطل

ولم يقل أحد في العدو المتسل على العداوة مثل قول الأخطل :
 إِنَّ الضَّيْفَةَ تَلْقَاهَا وَإِنْ قَدَّمْتُ * كَالْعَرِّ يَكُونُ حِينًا ثُمَّ يَنْشُرُ

للحسن بن هاني

وقد أشار الحسن بن هاني إلى هذا المعنى فأجاده حيث يقول :
 وَابْنُ عَمٍّ لَا يَكْشِفُنَا * قَدْ كَسَبْنَاهُ عَلَى غَمْرَةٍ
 كَمَنْ الشَّنَّانُ فِيهِ لَنَا * كَتُكُونِ النَّارِ فِي حَجَرَةٍ
 وشبهوا العدو إذا كان هذا فعلة بالحية المطرفة . قال ابن أخت تَابِلُ شَرًّا :

بين معاوية
وابن الزبير

مُطَرِّقُ يَرْشَحُ مَوْتًا * كَمَا * أَطْرَقَ أَمْعَى يَنْفُتُ السَّمَّ صِلُ
 وقال عبد الله بن الزبير لمعاوية - ويقال معاوية قَالَهَا لعبد الله بن الزبير - :
 مَالِي أَرَاكَ تُطْرَقُ لِطَرِاقِ الْأَفْعَرَانِ فِي أَصُولِ الشَّجَرِ .

لهند

وفي كتاب الهند : إذا أحدث لك العدو صداقة لعله ألجأته إليك ، فع ذهاب
 العلة رجوع العداوة ، كالماء تُسَخِّنُهُ فإذا أَمْسَكَتْ عنه عاد إلى أصله باردًا
 والشجرة الخُزْءُ لو طَلَبْتَهَا بِالْعَسَلِ لَمْ تُثْمِرْ إِلَّا مَرًّا .

لهريد

وقال دريد :

وَمَا تَخْفَى الضَّيْفِيْنَةَ حَيْثُ كَانَتْ * وَلَا النَّظَرُ الْمَرِيضَ مِنَ الصَّحْبِ

لهزير

وقال هزير :

وَمَا يَكُ فِي صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ * تُخَبِّرُكَ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

لهزاد

وقيل لهزاد : ما السرور ؟ قال : من طال عمره حتى يرى في عدوه ما يسره .

باب من أخبار الأزارقة

كان أول من خرج من الخوارج بعد قتل علي رضي الله عنه ، حوثة
 الأقطع ؛ فإنه خرج إلى النخيلة واجتمع إليه جماعة من الخوارج ، ومعاوية
 بالكوفة ، وقد بايعه الحسن والحسين وقيس بن سعد بن عبادة ؛ ثم خرج الحسن
 يريد المدينة ؛ فوجه إليه معاوية وقد تجاوز في طريقه ، يسأله أن يكون المتوَلَّى
 لمحاربتهم . فقال الحسن عليه السلام : والله لقد كففتُ عنك لحق دماء المسلمين ،

وما أحسب ذلك يسعني ؛ فكيف أن أقاتل قوماً أنت أولى بالقتال منهم ؟ فلما رجع الجواب إليه وجه إليهم جيشاً أكثره من أهل الكوفة ، ثم قال لأبي حوثره . تقدم فاكفني أمر آبنك . فسار إليه أبوه ، فدعاه إلى الرجوع ، فأبى ، فدأوره فصمم . فقال له : أي بني ، أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن إليه ؛ فقال له : يا أبت ، أنا والله إلى طمئة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق مني إلى آبنى .
 ٥ فرجع إلى معاوية فأخبره ، فقال : يا أبا حوثره ، جار هذا جدا فلما نظر حوثره إلى أهل الكوفة قال : يا أعداء الله ؛ أتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه . واليوم تقاتلون معه لتشتدوا سلطانه ؟ ثم جعل يشدد عليهم ويقول :

احمل على هذى الجموع حوثره . فعن قريب ستنال المنفرة

١٠ لحمل عليه رجل من طلي قتلته ، فرأى أثر السجود قد لوح بجهته ، فندم على قتله .

مرداس ومقتله وكان مرداس أبو بلال قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأنكر التحكيم ، وشهد النهروان ونجا فيمن نجا . فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى شدة الطلب للشرأة ، عزم على الخروج ، فقال لأصحابه : إنه والله ما يسمننا المقام مع هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم ، فجانين للعدل مغارقين للفضل .
 ١٥ والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة السيل لشديد ؛ ولكننا نتبذ عنهم ولا نتجرد سيقنا ولا نقاتل إلا من قاتلنا . فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا ، منهم : حريث بن حجل وكههمس بن طلق الصرمي ، فأرادوا أن يوتوا أمرهم حريثاً فأبى ، فولوا أمرهم مرداساً ، فلما مضى بأصحابه ليقم عبد الله بن رباع الأنصاري ، وكان له صديق ؛ فقال له : يا بن أخي ، أين تريد ؟ فقال : أريد
 ٢٠ أهرب بدني ودين أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة . قال له : أعلم أحد بك ؟ قال : لا . قال : فارجم . قال : أو تخاف على مكروها ؟ قال : نعم ، وأن يؤتي بك . قال : فلا تخف . فإني لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل إلا من قاتلني

ثم مضى حتى نزل آسك ؛ فز به مال يُحمّل إلى ابن زياد وقد بلغ أصحابه

الأربعين ، خَطَّ ذلك المَالَ فأخذ منه عطاءه وأعطيت أصحابه وترك ما بقي ، وقال : قُولُوا لصاحبكم إِنَّمَا أَخَذْنَا أُعْطِيَاتِنَا . فقال له أصحابه : لماذا ترك الباقي ؟ قال : إنيهم يقسمون لهذا النِّية كما يقسمون الصلاة ، فلا تُقاتلهم ماداموا على الصلاة .

٥ فوجه إليهم ابنُ زياد أسلمَ بنُ زُرْعَةَ الِيكَلاتِي في ألفين ، فلما وصل إليهم ، قال له مرداس : اتق الله يا أسلم ، فإننا لا نُريد قتالاً ولا نُروِّع أحداً ؛ وإنما هربنا من الظلم ، ولا نأخذ من النِّية إلا أعطيتنا ، ولا نُقاتل إلا مَنْ قاتلنا . قال : لا بد من ردِّكم إلى ابن زياد . قال : وإن أراد قتلنا ؟ قال : وإن أراد قتلكم . قال : قَتَشَرَكُ في دماننا ؟ قال : نعم . فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه . ١٠

ثم وجه إليهم ابنُ زياد عبداً ، فقاتلهم يوم الجمعة حتى كان وقت الصلاة ، فناداهم أبو بلال : يا قوم ، هذا وقت الصلاة فوادِعُونَا حتى نصلِّي [وَتُصَلُّوا^(١)] . فوادِعُوهم ؛ فلما دخلوا في الصلاة شدُّوا عليهم فقتلهم ، وهم بين رакع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد . فقال عمران بن حِطَّان يرثي أبا بلال :

١٥ يا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْدَاسٍ وَمَصْرَعَه • ياربُّ مرداسٍ أَجْعَلْنِي كَمِرْدَاسٍ
أَبْقِيَنِي هَانِئاً أَبْسَكِي لِمِرْزَتِي • في مَنْزِلٍ مُوحِشٍ مِنْ بَعْدِ إِيْناسٍ
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَا قَدِ كُنْتُ أَعْرِفُه • ما النَّاسُ بِعَدِكَ يا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِذَا شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْهَلْها • على القُرُونِ فَذاقُوا جَرْعَةَ الْكاسِ
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذُقْها شاربُّ عَجَلًا • مِنْها بِأَنْفاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفاسٍ

٢٠ وليس في الفرقِ كلها وأهل البدع أشدُّ بصائر من الخوارج ، ولا أكثر اجتهداداً ، ولا أوطان أنفسا على الموت ؛ منهم الذي طعن فأنتفذه الرمح فجعل يسعى إلى قاتله ويقول : تَجَلَّتْ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضَى .

ولما مالت الخوارج إلى أصهبان حاصرت بها عَتَاب بن وَرْقَاء سبعة أشهر
يقاتلهم في كل يوم وكان مع عَتَاب بن ورقاء رجل يقال له : شريح . ويكنى
أبا هريرة ، فكان يخرج إليهم في يوم فيناديهم :

يَا بَنِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ • كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ

- شَدَّ أَبِي هَرِيرَةَ الْمَزَارِ • يَمْرُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
• وَهُوَ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي جَوَارِ •

فعاظلمهم ذلك . فكنن له عبيدة بن هلال فضربه ، واحتمله أصحابه ، فظننت
الخوارج أنه قد قُتِل ، فكانوا إذا تواقفوا ينادونهم : ما فعل المَزار ؟ فيقولون :
مابه من بأس . حتى أبلَّ من عِلته ، فخرج إليهم فقال : يا أعداء الله ! أَتَرَوْنَ بِي
بِأَسَا ؟ فصاحوا : قد كنا نرى أنك لحقت بأهلك الهاوية في النار الحامية .

١٠

فلما طال الحصار على عَتَاب ، قال لأصحابه : ما تنتظرون ؟ إنكم والله مأثورون
من قلة ؛ وإنكم فرسان عشاركم ؛ ولقد حاربتموم مراراً فانتصفتهم منهم ؛ وما بقي
من هذا الحصار إلا أن تَقْنِي ذَعَائِرُكُمْ فَيَمُوتَ أَحَدُكُمْ فَيَدْفَنُهُ صَاحِبُهُ ، ثُمَّ يَمُوتَ
هُوَ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَدْفَنُهُ ! فقاتلوا القوم وبكم قوة ، من قبل أن يضعف أحدكم
عن أن يمشي إلى قرنه .

١٥

فلما أصبح صلى بهم الصبح ، ثم خرج إلى الخوارج وهم غارئون ، وقد نصب
لواءً لجارية يقال لها يَاسْمِين ، فقال : من أراد البقاء فليلق بلاءه يَاسْمِين ! ومن
أراد الجهاد فَلْيَلْحَقْ بِلَوَائِي . قال : فخرج في ألفين وسبعائة فارس ، فلم تشعُر بهم
الخوارج حتى غشوم . فقاتلهم يَجْدٌ لم تر الخوارج مثله ، فقتلوا أميرهم الزبير بن
علي ، وأتتهمت الخوارج ، فلم يبقَ لهم عَتَاب بن ورقاء .

٢٠

وخرج قُرَيْبُ بْنُ سُرَّةِ الْأَزْدِيِّ وَزَحَافُ الطَّائِي ، وكانا مجتهدين بالبصرة في
أيام زياد فاعترضا الناس ، فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار
فقتلاه ، وتنادى الناس ، فخرج رجل من بني قُطَيْبَةَ من الأزْد بالسيف ، فناداه
الناس من بعض البيوت : الحُرورية الحُرورية ! انج بنفسك . فنادوه : لُسْنَا

حرورية نحن الشرط . فوقفت قتلوه .

وبلغ أبا بلال خبرهما ، وكان على دين الخوارج إلا أنه كان لا يرى اعتراض الناس ، فقال : قريب ، لا قربه الله من الخير ، وزخاف ، لا عفا الله عنه ، فلقد ركبها عشواء مظلة .

٥ ثم جملا لايمتران بقبيلة إلا قتلا من وجدا فيها ، حتى مرأيتني على بن سود ، من الأزد ، وكانوا رماة ، وكان فيهم مائة يجيدون الرمي ، فرموهم رمياً شديداً ، فصاحوا : يابني على ، البقيتا ، لارماه بينا . فقال رجل منهم :

لا شيء للقوم سوى السهام * مشعوذة في غلس الظلام

فهربت عنهم الخوارج ؛ فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى خرجوا إلى مزينة ، واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرهم . ١٠

ثم عاد الناس إلى زياد ، فقال : ألا ينهي كل قوم سفهاتهم ؟ فكانت القبائل زياد والخوارج إذا أحست بخارجي فيهم أو ثقوه وأتوا به زيادا ، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله . ولزياد أخرى في الخوارج : أنه أتى بأمرأة منهم ، فقتلها ثم عزاها ، فلم تخرج النساء إلا بعد زياد ، وكان إذا أرغمن على الخروج قلن : لولا التحرية لسارعنا .

١٥ ومن مشاهير فرسان الخوارج : عمرو القنأ ، من بني سعد بن زيد مناة ؛ وعبيدة بن هلال ، من بني يشكر بن بكر بن وائل ، وهو الذي طعن صاحب المهلب في غزاه ؛ فشكها مع السرج ؛ وهما اللذان يقول فيهما ابن المنجب السدوسي من فرسان المهلب ، وكان قال له مولاه خلاج : وددت أنا قضضنا عسكرهم حتى أصير إلى مستقرهم فاستلب منه جلوبتين ، إحداهما لك والأخرى لي :

٢٠ أخلاج إنك لن تعاقب طافلة * شرقا بها الجادى كالتثال

حتى تعاقب في الكتيبة معلما * عمرو القنأ وعبيدة بن هلال

وترى المقطر في الكتيبة مقدما * في عصبة قسطوا مع الضلال

والمقطر : من مشاهير فرسانهم ، وقطري ، أنجدهم قاطبة ، وصالح بن مخزاق ، من بهمهم ، وكذلك سعد الطلائع .

ولما اختلف أمرُ الخوارج وانحاز قَطْرِيٌّ فِيمَنْ مَعَهُ وَبَقِيَ عَبْدُ رَبِّهِ ، قَالَ
المُهَلَّبُ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَرَاكُمْ مِنْ أَقْرَانِ أَرْبَعَةٍ : قَطْرِيٌّ بْنُ الْفُجَاءَةِ ،
وَصَالِحُ بْنُ خِرَاقٍ ، وَعَبِيدَةُ بْنُ هِلَالٍ ، وَسَعْدُ الطَّلَاحِ : وَإِنَّمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ عَبْدُ رَبِّهِ
فِي خُشَارٍ مِنْ خُشَارِ الشَّيْطَانِ .

لهذه في نفر
من الخوارج

- وكانت الخوارج تُقاتل على السوط يؤخذ منها والعِلقُ الحُشْبِيسُ أَشَدُّ قِتَالٍ ،
وسقط في بعض أيامهم رُوحٌ لرجلٍ من مُرَادٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَاتَلُوا عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ
الجراحُ والقتلُ ، وَذَلِكَ مَعَ الْمَغْرِبِ ، وَالْمُرَادِيُّ يَرْجُزُ :
- اللَّيْلُ لَيْلٌ فِيهِ وَتَيْلٌ وَتَيْلٌ • وَسَلَّ بِالْقَوْمِ الشَّرَاءُ السَّيْلُ
• إِنَّ جَاذَ لِلْأَعْدَاءِ فِينَا قَوْلُهُ •

تطعن الخوارج
إلى الأبطال

- وتفرقت مقالة الخوارج على أربعة أضرب : فقال نافعُ بن الأذرق :
بِأَسْتِعْرَاضِ النَّاسِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزَّيْرَ ، وَاسْتِعْلَالِ الْأَمَانَةِ
وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ .

تفرق كلمة
الخوارج

- وقال أَبُو يَزِيدَ هَيْصَمُ بْنُ جَابِرِ الضَّبْعِيُّ : إِنَّ أَعْدَاءَنَا كَأَعْدَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَحِلُّ لَنَا الْمَقَامُ فِيهِمْ كَمَا أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقَامَ
المسلمون بين المشركين . وَأَقُولُ : إِنَّ مَنَاحِكَهُمْ وَمَوَارِيئَهُمْ تَجُوزُ ، لِأَنَّهُمْ مَنَاقِفُونَ
يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَإِنْ حَكَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ حُكْمَ الْمُشْرِكِينَ .

- وقال عبد الله بن إِبَاضٍ : لَا تَقُولُ فِيمَنْ خَالَفَنَا لِأَنَّهُ مُشْرِكٌ ، لِأَنَّهُمْ مَعَهُمُ التَّوْحِيدُ
وَالْإِقْرَارُ بِالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ ، وَإِنَّمَا هُمْ كُفَّارٌ لِلْعَمِّ ، وَمَوَارِيئُهُمْ وَمَنَاحِكُهُمْ
وَالْإِقَامَةُ مَعَهُمْ : حِلٌّ ، وَدَعْوَةُ الْإِسْلَامِ تَجْمَعُهُمْ .

- وَقَالَتِ الشُّفَرِيَّةُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبَاضٍ ، وَرَأَتْ الْقَعْدَ ، حَتَّى صَارَ عَامَتُهُمْ
قَعْدًا : وَإِنَّمَا شَتُّوا صُفْرِيَّةً لِأَصْفَرَارِ وَجُوهِهِمْ ، وَقِيلَ : لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ الصَّفَّارِ .

كِتَابُ الزَّبْرِجْدَةِ

فِي الْأَجْوَادِ وَالْأَصْفَادِ

فرش كتاب الزبرجدة

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، تنعمده الله برحمته : قد مضى
• قولنا في الحروب وما يدخلها من النقص والكمال ، وتقدم الرجال ، على منازلهم
من الصبر والجلد ، والعفة والعدل .

ونحن قائلون بمون الله وتوفيقه في الأجواد والأصفاد ، إذ كان أشرف
ملابس الدنيا وأزين حللها وأجلُّها لحد ، وأدفعها لذم ، وأسترها لريب : كرم
طبيعة يتحلَّى بها السمعُ السرى ، والجواد السخى . ولو لم يكن في الكرم إلا أنه
صفة من صفات الله تعالى ، تسمى بها ، فهو الكريم عز وجل . ومن كان كريماً
• من خلقه ، فقد تسمى باسمه ، واحتذى على صفته .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أناكم كريم قوم فأكرموا .
وفي الحديث المأثور : الخلق عيال الله ، فأحبُّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله .

وقال الحسن والحسين عليهما السلام لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفت في
• بذل المال . قال : بأبي وأمي أتبا ، إن الله قد عودنى أن يفضل على ، وعودته
أن أفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع المادة فيقطع عني .

وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبى : أنت مثلاف ! قال : متع الجود سوء
ظنِّ بالمعبود . يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنفق بلالا ولا تحش من ذى العرش إقلالا .

مدح الكرم وذم البخل

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أصطناع المعروف بئى مصارع السوء .
وقال عليه الصلاة والسلام : إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق
ويُبْذِرُ سَفْسَافَهَا .

لأنى صلى الله
عليه وسلم

- ٥ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب : من سيذكركم ؟ قالوا الجد بن
قيس على بخل فيه . فقال صلى الله عليه وسلم : وأى داء أذوأ من البخل .
وقال الله تعالى : (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

لأكرم بن صبيح

- وقال أكرم بن صبيح حكيم العرب : ذلأوا أخلاقكم للبطلان ، وقودوها إلى
الحامد ، وعلأوها المكارم ، ولا تُقيموا على حُلُقٍ تَذُمُونَهُ من غيركم ، وصلأوا من
رَغِبَ إليكم ، وتعلأوا بالجود يَنَكْسِبُكم المحبة ، ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر .
أخذته الشاعر فقال :

لبعض الذمرا .

أَيُّ خَوْفٍ فَقِيرٌ تَعَجَّلَنِي . وَأَخَّرْتُ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعُ
فَصِيرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ . وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوفه
الفقر . فرد عليه : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَإِمْرُكُمُ بِالْغَشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمُ
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا) وإني أكره أن أترك أمرأ قد وقع ، لأمرٍ لعله لا يقع .

بين سخي وبخيل

- ١٥ . وكان خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر : أيها الناس ، عليكم
بالمعروف ؛ فإن الله لا يُعْزِمُ فاعله جوازيه ؛ وما ضعفت الناس عن أدائه قوَى
الله على جزائه .

من خطبة
لمالك القسري

- ٢٠ . أخذه من قول الحطيطية :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْزِمُ جَوَازِيَهُ . لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وأخذه الحطيطية من بعض الكتب القديمة : يقول الله تعالى فيما أنزله على داود
عليه السلام : مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ يَجِدْهُ عِنْدِي ، لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي .

من خطبة
لسعيد بن العاص

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : مَنْ رَزَقَهُ اللهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَنْفِقْ مِنْهُ
سِرًّا وَجَهْرًا ، حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ؛ فَإِنَّمَا يَتْرَكَ مَا يَتْرَكَ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ :
إِمَّا لِمُصْلِحٍ فَلَا يَقِيلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا لِمُنْعَدٍ فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ .

أخذه الشاعر فقال :

٥ أَسْعِدْ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا هُوَ يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ
فَإِذَا جَمَعْتَ لِمُنْعَدٍ لَمْ يُغْنِهِ هُوَ وَأَخُو الصَّلَاحِ قَلِيلُهُ يَتَزَيَّدُ

قال أبو ذر : إِنْ لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَيْنِ : الْحَدَثَانِ وَالْوَارِثُ ؛ فَإِنْ آسَظَعْتَ
أَلَّا تَكُونَ أَبْخَسَ الشُّرَكَاءِ حِطًّا فَاغْمَلْ .

وقال بُزْرَجُوهَ الْفَارِسِيُّ : إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّمَا لَا تَقْبَى ؛
وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا فَإِنَّمَا لَا تَبْقَى . ١٠

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

لَا تَبْخُلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ هُوَ فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّجْدِيرُ وَالسَّرْفُ
وإِنْ تَوَلَّيْتُ فَأُخْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا هُوَ فَاحْمَدُ مِنْهَا إِذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلْفَ

لكسرى
في الأسفباء

١٥ وكان كسرى يقول : عَلَيْكَ بِأَهْلِ السُّخَاءِ وَالشُّجَاعَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ حَسَنِ الظَّنِّ
بِاللهِ تَعَالَى ، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْبُخْلِ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَرَرٍ يُجْلِيهِمْ وَمَدَمَةٍ النَّاسِ لَهُمْ
وَلِطَبَاقِ الْقُلُوبِ عَلَى بُنْمَضِهِمْ ، إِلَّا سَوْءَ ظَنِّهِمْ بِهِمْ فِي الْخَلْفِ ، لَكَانَ عَظِيمًا .

الوراث

وأخذ هذا المعنى محمود الرزاق فقال :

مَنْ ظَنَّ بِاللهِ خَيْرًا جَانِبًا مُبْتَدَأًا هُوَ وَالْبُخْلُ مِنْ سَوْءِ ظَنِّ الْمَرْءِ بِاللهِ

بين موسى الهادي
وابن يزيد

٢٠ محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال : خَرَجْتُ مَعَ مُوسَى الْهَادِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ مُجَرَّجَانَ ، فَقَالَ لِي : لِمَا أَنْ تَحْمِلَنِي وَإِنَّمَا أَنْ أَحْمَلَكَ . فَفَهِمْتُ مَا أَرَادَ ، فَأَنْشَدْتُهُ
أَيَّاتِ ابْنِ صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ .

أَوْصِيكُمْ بِاللهِ أَوَّلَ وَهَلَةٍ هُوَ وَأَحْسَابِكُمْ ، وَالْبِرِّ بِاللهِ أَوَّلُ
وَإِنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلَا تَحْسُدُوهُمْ هُوَ وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلَ السِّيَادَةِ فَاعْدِلُوا

وإن أتم أعوزتم فتعففوا . وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا

فأمر لي بعشرين ألفا .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الأسياء ، وفي الآخرة الأتقياء .

لأبي مسلم الخولاني قال أبو مسلم الخولاني : ما شيء أحسن من المعروف إلا ثوابه ، وما كل من قدر على المعروف كانت له نية ؛ فإذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة . وأنشد :

إن المكارم كلها حسن * والبذل أحسن ذلك الحسن

كم عارف بي لست أعرفه * ومخبر عني ولم يرني

بأنهم خبري وإن بعدت * داري وبوعد عنهم وطني

١٥ إلى لحر المال ممتن * ولحر عرضي غير ممتن

لخاله القسري وقال خالد بن عبد الله القسري : من أصابه غبار مرگبي فقد وجب على شكره .

لابن العاص وقال عمرو بن العاص : والله لرجل ذكرني ، ينام على شقة ممره وعلى شقة أخرى ، يراني موضعاً لحاجته ، لا وجب عليّ حقاً إذا سألتها مني إذا قضيتها له .

لعبد العزيز ابن مروان وقال عبد العزيز بن مروان : إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفه عنده ، قيده عندي أعظم من يدي عنده . وأنشد لابن عباس رضي الله تعالى عنهم :

إذا طارقات الهم ضاجت النقي * وأعمل فكر الليل والليل عاكِر

وباكرتني في حاجة لم يكن لها * سواي ولا من نكبة الدهر ناصر

فرجت بمالي همه عن خناقه * وزاوله الهم الطروق المساور

وكان له فضل عليّ يظنه * بي الخير إني للذي ظن شاكر

لأبي عفيف في مروان وقيل لأبي عفيف البلع الرقاعي : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر ، وحاجته إليّ قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة .

وقال زياد : كفى بالبخل عاراً أن اسمه لم يقع في حدّ قطّ ، وكفى بالجود مجداً أن اسمه لم يقع في ذم قطّ .

وقال آخر :

ألا ترائي وقد قطعني عدلاً • ماذا من الفضل بين البخل والجود
إلا يكن ورق يوماً أراح به • للخاطين فإني كئيب العود
لا يعدم السائلون الخير أهله • إما نوالاً وإما حُسن مرّدود

قوله « إلا يكن ورق » يريد المال ، و« مرّدود » مثلاً . ويقال : أتى فلان فلاناً بمختبط ما عنده . والاختبط : ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائمة ، فجعل طالب الرزق مثل الخابط .

قال أسماء بن غارجة : ما أحب أن أرّد أحداً في حاجة طلبها ، لأنه لا يخلو
أن يكون كريماً فأصون له عرضه ، أو ثيباً فأصون عرضي منه .

وقال أرسطاطاليس : من آتجك من بلاده فقد آتدك بحسن الظن بك . لأرسطاطاليس
والثقة بما عندك .

الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أردتم أن تملوا ما للعبد عند ربه فأنظروا
ما يبعه من حسن الثناء .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : اعتبر بمنزلتك
من الله بمنزلتك من الناس ، وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك .

وقيل لبعض الحكماء : ما أفادك الدهر ؟ قال : العلم به . قيل : فما أحمّد الأشياء ؟
قال : أن تبقى للإنسان أهدوء حسنة .

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ إنه أراد حسن الثناء من بعده .

وقال أكرم بن صفي : إنما أتم أخبار فضيلوا أخباركم .

لأكرم بن صفي

الحبيب الطائي

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال :

وما ابن آدم إلا ذكْرُ صَالِحَةٍ • أو ذِكرُ سَيِّئَةٍ يَسْرِى بها الكَلِمُ
أما سَمِعْتَ بِذَهْرِ بَادٍ ، أُمُّهُ • جاءت بأخبارها من بَعْدِهَا أُمُّ

لابن دريد

وقال أبو بكر محمد بن دريد :

وإنما المرء حديث بعده • فكان حديثاً حسناً لمن وعى
وقالوا : الأيام مزارع ، فما زرعتَ فيها حصده •
ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق :

لبعضهم

لابن عديده

يَا مَنْ تَجَلَّدَ لِلزُّمَا • نِ أَمَا زَمَانُكَ مِنْكَ أَجَلَدُ
سَلَّطَ نُهَاكَ عَلَى هَوَا • لَكَ وَعْدَ يَوْمِكَ لَيْسَ مِنْ غَدُ
إِن الْحَيَاةَ مَزَارِغُ • فَازْرِغْ بِهَا مَا شِئْتَ تُحْصَدُ
وَالنَّاسُ لَا يَبْقَى سِوَى • آثَارِهِمُ وَالْعَيْنُ تُفْقَدُ
أَوْ مَا سَمِعْتَ بَيْنَ مَضَى • هَذَا يُدْمُ وَذَاكَ يُحْمَدُ
الْمَالُ إِن أَصْلَحْتَهُ • يَصْلُحْ وَإِنْ أَفْسَدْتَ يَفْسُدُ

١٠

وقال الأحنف بن قيس : ما أَدَخَرْتَ الآبَاءَ لِلْأَبْنَاءِ ، وَلَا أَبَقْتَ المَوْتَ

للأحنف

١٥

لِلْأَحْيَاءِ ، شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ أَصْطِنَاعِ المَعْرُوفِ عِنْدَ ذَوِي الْأَحْسَابِ .

وقالوا : تَرْيِبُ المَعْرُوفِ أَوَّلَى مِنْ أَصْطِنَاعِهِ ؛ لِأَنَّ أَصْطِنَاعَهُ نَافِلَةٌ ،
وَتَرْيِيبُهُ فَرِيضَةٌ .

لبعضهم

وقالوا : أَخِي مَعْرُوفُكَ بِإِمَانَةٍ ذِكْرِهِ ، وَعَظْمُهُ بِالتَّصْنِيفِ لَهُ .

وقالت الحكماء : مِنْ تَمَامِ كَرَمِ المُنْعِمِ التَّنَافُلُ عَنْ حُجَّتِهِ ، وَالْأَقْرَارُ بِالْفَضِيلَةِ
لِشَاكِرٍ نَعْمَتِهِ .

لحكماء

٢٠

وقالوا : لِلْمَعْرُوفِ خِصَالُ ثَلَاثَ : تَعْجِيلُهُ وَتَيْسِيرُهُ وَسِرُّهُ ، فَمَنْ أَخْلَ بِوَاحِدَةٍ

مِنْهَا فَقَدْ تَجَسَّسَ الْمَعْرُوفَ حَقِّهِ وَسَقَطَ عَنْهُ الشُّكْرُ .

وقيل لماوية : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ صَالِحَةٌ .

لماوية

قيل : فإن لم تكن له ؟ قال : فن كانت لي عنده يد صالحة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه ، فإن لم يقم بترك المؤونة عرّض النعمة للزوال .

أبو اليقظان قال : أخذ عبيد الله بن زياد عروة بن أدية أخا أبي بلال ، وقطع يده ورجله ، وصلبه على باب داره ؛ فقال لأهله وهو مصلوب : انظروا إلى هؤلاء الموكلين بي فأحسنوا إليهم ، فإنهم أضيافكم .
ابن المبارك عن حميد عن الحسن قال : لأن أفضى حاجة لأخ لي ، أحب إلى من عبادة سنة .

وقال إبراهيم بن السدي : قلت لرجل من أهل الكوفة ، من وجوه أهلها ، كان لا يحيف لبيده ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال وإدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلاً مفوهاً ؛ فقلت له : أخبرني عن الحالة التي خففت غنك النصب وهونت عليك التعب في القيام بحوائج الناس ، ماهي ؟ قال قد والله سمعتُ تغريد الطير بالأبحار ، في فروع الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العيdan ، وترجيع أصوات القيان ، فإطربت من صوت قط ، طأرت من نساء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ، ومن شكر حزن لمنعم حزن ، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر . قال إبراهيم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حشيت كراما .

إسماعيل بن مسرور عن جعفر بن محمد قال : إن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته ، وهم الذين يقضون الحوائج للناس ، فن استطاع منك أن يكون منهم فليكن .

الجود مع الإقلال

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الأنصار : (وَيُؤَيِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

من الكتاب
والسنة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أفضل العتبة ما كان من مُعْصِرٍ إلى مُعْصِر .

وقال عليه الصلاة والسلام : أفضل العتبة جُهدُ الْمُقِلِّ .

وقالت الحكماء : القليل من القليل أحمدُ من الكثير إلى الكثير .

أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه في أبيات كتب بها إلى الحسن بن وهب الكاتب

وأهدى إليه قلما :

قد بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ الله بَشِيءَ فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولٍ

لَا تَقِسْهُ إِلَى نَدَى كَفَّكَ الْغَمَ • رَوَا نَبِيْلِكَ الْكَثِيْرَ الْجَزِيْلَ

وَاسْتَجِزْ قِلَّةَ الْهَدِيَّةِ مِثْلِي * إِنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ غَيْرُ قَلِيْلٍ

وَقَالُوا : جُهْدُ الْمُقِلِّ أَفْضَلُ مِنْ غِيِيِ الْمُكْثِرِ .

لبعضهم

وقال صريع الغواني :

لصريع الغواني

لَيْسَ السَّاحُحُ لِكُثْرٍ فِي قَوْمِهِ • لَكِنْ لِمُقْتَرٍ قَوْمِهِ الْمُتَحَمِّدِ

وقال أبو هريرة : ما وددت أن أحداً ولدني أمه إلا أم جعفر بن أبي طالب ؛

تبعته ذات يوم وأنا جائع ، فلما بلغ الباب التفت فرأني ، فقال لي : ادخل ،

فدخلت ؛ ففكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً إلا نخباً كان فيه سمن مرة ،

فأنزله من رَفِّ لهم ، فشقه بين أيدينا . فجعلنا نلحق ما كان فيه من السمن والزيت ،

وهو يقول :

مَا كَلَّفَ اللهُ نَفْساً فَوْقَ طَاقَتِهَا • وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ

وقيل لبعض الحكماء : مَنْ أُجُودَ النَّاسُ ؟ قَالَ : مَنْ جَادَ مِنْ قَلَّةٍ ، وَصَانَ وَجْهَ

السَّائِلِ عَنِ الْمَدَّةِ .

وقال حماد مجرد :

لحماد مجرد

أَوْزُقْ بِخَيْرٍ تَوْمَلُ لِلْجَزِيلِ فَمَا • تَرَجَّى الشَّارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْنِي عَنْكَ عِصْرَتَهُ • حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ بِمَجْهُودِ

بُتِّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعَكَ قُلَّتُهُ • فَكُلْ مَا سَدَّ قَرَأَ فَهُوَ عَمُودُ

والبخيل على أمواله عِلَلٌ * زُرُقُ العيونِ عليها أوجهُ سودُ

لحلم

وقال حاتم :

أُطاحُكُ ضَيْقُ قَبْلِ إِزْأَالِ رَحْلِهِ * وَيُنْصَبُ عِنْدِي وَالْحَمْلُ جَدِيْبُ
وما الخصبُ للأضياف أن يكثرَ القِرَى * ولكننا ونجّه الكريم خَصِيْبُ

لعبد الملك
في غزوة

وقال عبد الملك بن مروان : ما كنت أحب أن أحداً ولدني من العرب
إلا عروة بن الورد لقوله :

أتهزأ مني أن سَمِيتَ وأن بَرَى * بِحَسْمَى مِّنَ الجُوعِ والجُوعُ جَاهِدُ
لأنّ أَمْرُو عافى إِنانِي شِرْكُهُ * وأنتَ أَمْرُو عافى إِنانِيكَ واحدُ
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُؤْمٍ كَثِيرَةٍ * وَأَحْسُو قَرَّاحَ الماءِ والماءِ باردُ

لصريع

ومن أحسن ما قيل في الجود مع الإقلال قول صريع :

فلو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ * لجسادَ بها فليَتَّقِ اللهَ سائِلُهُ

لابن النطاح

ومن أفرط ما قيل في الجود قول بكر بن النطاح :

أقولُ لِمُرْتَادِ التَّدَى عِنْدَ مالِكٍ * تَمَسَّكُ بِجَدْوَى مالِكٍ وَصَلاتِهِ
فَتَيَّ جَعَلَ الدُّنْيَا وَقَاءَ لِمَرْضِهِ * فَأَمَدَى بها المعروفَ قَبْلَ عُدَاتِهِ
فلو خَذَلَتْ أموالُهُ جُودَ كَفِّهِ * لَقاسَمَ مَنْ يَرُجُّهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وإن لم يَجْزِ في العُمُرِ قَسَمُ مالِكٍ * وَجازَ لَهُ أَعْطَاهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
وجادَ بها مِنْ غيرِ كُفْرِ بَرٍّ * وَأشْرَكَهُ فِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

لبعض الشعراء

وقال آخر في هذا المعنى وأحسن :

مَلَأْتُ يَدِي مِنَ الدُّنْيَا مَراراً * وما طَمِعَ العواذِلُ في اقْتِصَادِي
ولا وَجِبْتُ عَلَى زَكَاةِ مالٍ * وهل تَجِبُ الزَّكَاةُ على الجوادِ

العطية قيل السؤال

قال سعيد بن العاص : قَبِجَ الله المعروف إن لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،

فالمعروف عوض من مسألة الرجل إذا بذل وجهه ، فقلبه عائف ، وفرائصه تُرْعَد ، وجينه يرشح ؛ لا يدرى أرجع بُنْجُحُ الطلب ، أم بسوء المُتَقَلِّب ، قد انشَقَّ لونه ، وذهب دُمُ وجهه . اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظٌ فلا تجعل لي حظاً في الآخرة .

- ٥ . وقال أكرم بن صبيح : بكل سؤالٍ وإن قلَّ أَكْثَرُ من كل قولٍ وإن جَلَّ .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه : مَنْ كانت له إلى مَنْك حاجة فليرضها في كتاب ، لاصون وجوهكم عن المسألة .
 حبيب قال :

هَذَاؤُكَ لَا يَفُتُّ وَيَسْتَفْرِقُ لِي * وَتَبْقَى مَوْجُوهُ الرَّاغِبِينَ بِهَا

- ٦ . وقال حبيب أيضاً :

ذُلُّ السُّؤَالِ يَجْعَلُ فِي الْخَلْقِ مُعْرِضُ * مِنْ هَوْنِهِ شَرَقٌ مِنْ خَلْفِهِ جَرَحُ
 مَا مَاءٌ كَفَكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ غَلَّتْ * مِنْ مَاءٍ وَجَبِي إِذَا أَفْنَيْتَهُ عَوْضُ
 إِنْ بَأْسِي مَا أَذْنَيْتَ مُنْبَسِطُ * كَمَا بَأْسِي مَا أَفْصَيْتَ مُنْقَضُ
 وقالوا : مَنْ بذل إليك وجهه فقد وفَّك عن نعمتك .

- ٧ . وقالوا : أكمل الخصال ثلاث : وقار بلا مهابة ، وسماح بلا طلب مكافأة ، وحلم بغير ذل .

وقالوا : السخى من كان مسروراً ينفله ، متبرعاً بعطائه ، لا يلتبس عرض دنيا فيحبط عمله ، ولا غائب مكافأة فيسقط شكره ، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يليق الحب للطنز : لا يريد نعمها ولكن تفع نفسه .

- ٨ . نظر المنذر بن أبي سبرة إلى أبي الأسود الدؤلي وعليه قميص مرقوع ، فقال له : ما أصبرك على هذا القميص ؟ فقال له : رَبُّ عَمَلِي لَا يُسْتَطَاعُ فِرَاقُهُ .
 فبعث إليه بخت من ثياب . فقال أبو الأسود :

كَسَانِي وَلَمْ أَسْتَكْسِيهِ خَدِشْتُهُ * أَخْ لَكَ يُعْطِيكَ الْجَزِيلَ وَتَاهِرُ

لاكنم

لعل

لبيب

لضمهم

بين ابن أبي سبرة
 وابن الأسود

وإن أحق الناس إن كنت شاكرًا * بشكرِكَ مَنْ أعطاك والعرضُ وإقرُّ

بن معاوية
وابن سوحان
في الجود

وسأل معاوية صمصمة بن سوحان : ما الجود ؟ فقال : التبرع بالمال ، والعطية قبل السؤال .

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

كريمٌ على العِلَالِ جَوْلُ عَطَاؤِهِ * يُبْدِلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ
وما الجودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * وَلَكِنْ مَنْ يُعْطَى بِذِي سُؤَالِ

ليشتر

وقال بشر الغنيلي :

مالكٌ يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهِ الْجَدُ * بَكَاءُ تَشَقُّقِ الدُّجَى عَنْ ضِيَاءِ
فُتُوحِ السَّمَاءِ فَيُضِي بِذِيهِ * لِقَرِيبِهِ وَنَارِجِ الدَّانِ نَاءِ
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَاللَّخْوِ * فِي وَلَكِنْ بَلَدُ طَعْمِ الْعَطَاءِ
لَا وَلَا أَنْ يُقَالَ شَيْئُهُ الْجَوْ * دُ وَلَكِنْ طَابِئُ الْآبَاءِ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

إِنْ بَيْنَ السُّؤَالِ وَالْإِعْذَارِ * حُطَّةٌ صَغْبَةٌ عَلَى الْآحْرَارِ

لجيب

وقال حبيب :

لَنْ جَعَلْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نَعْمٍ * إِنْ لِي الْيَوْمَ أَمَقَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
أَنْسَى ابْتِسَامَكَ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسُّمَ السُّبْحِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
رَدَدْتُ رَوْقَ وَجْهِ فِي حَوِيفَتِهِ * رَدَّ السَّقَالِ بِهَاءِ الصَّارِمِ الْحَدِيمِ
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ * حَقَّنْتُ لِي مَاءَ وَجْهِ أَمْ حَقَّنْتَ دَمِي

استنجاح الحوائج

٢٠ كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين يقولون فيهما : اللهم بك أستنجح ،
وبأسمك أستفتح ، وبمحمد نبيك إليك أتوجه ، اللهم ذلّل لي صعوبته ،
وسهّل لي حوائجه ، وأرزقني من الخير أكثر مما أرجو ، وأصرّف عني من الشر
أكثر مما أعاف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : آستعينوا على حوائجكم بالكتمان لها ، فإن كل ذي نعمة محسود .
لنبي صلى الله عليه وسلم

وقال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج في غير حينها ، ولا تطلبوها من غير أهلها ، فإن الحوائج تطلب بالرجاء ، وتندرك بالقضاء .
خالد بن صفوان

وقال : مفتاح نُجَحِ الحاجة الصبرُ على طول المدة ، ومغلاقُها اعتراض الكسل دونها .

قال الشاعر : لبعض الشعراء

إني زأيت وفي الأيام تجرئة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمرٍ يُحاوله * واستصعب الصبر إلا فاز بالظفر
ومن أمثال العرب في هذا : من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .
أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :
من أدامه

إن الأمور إذا أنسدت مسالكها * فالصبر يفتق منها كل ما ارتجأ
لا تياسن وإن طالت مطالبة * إذا تضائق أمرٌ أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومؤمن القرع للأبواب أن يلجا
وقال خالد بن صفوان : قوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ، وأشد من المصيبة سوء الخلف منها .
خالد بن صفوان

وقالوا : صاحب الحاجة مبهوت ، وطلب الحوائج كلها تعزير .
وقالت الحكماء : لا تطلب حاجتك من كذاب ؛ فإنه يقرها بالقول ويُعدها بالفعل ؛ ولا من أحمق ، يريد ففعلك فيضرك ؛ ولا من رجل له أكلة من جهة رجل ، فإنه لا يؤثر حاجتك على أكلته .
لهم الحكماء

وقال دعلج بن علي الخزاعي : فاعمل

حجبتك مسترفداً بلا سبب * إليك إلا بمجرمة الآدب
فاقتضِ ذمائي فإني رجل * غير ملح عليك في الطلب

وقال شبيب بن شيبه : إني لأعرف أمراً لا يتلاقى به آثنان إلا وجب النجح بينهما . قيل له : وما ذاك ؟ قال : العقل . فإن العاقل لا يسأل ما لا يمكن ، ولا يرد عما يمكن .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

أَتَيْتَكَ لَا أَذِلُّ بِفُتْرِي وَلَا يَدِي * إِلَيْكَ سَوَى أَنِّي بِجُودِكَ وَاتَّقِ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ عُرْفًا أَكُنْ لَكَ شَاكِرًا * وَإِنْ قُلْتُ لِي عُذْرًا أَقُلْ أَنْتَ صَادِقُ

الحسن بن هاني

وقال الحسن بن هاني :

فَإِنْ تَوَلَّيْتُ مِنْكَ الْجَبِيلَ فَأَهْلُهُ * وَإِلَّا فَأَنْتَ عَاذِرٌ وَشَكُورُ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

لَتَعْمُرَكَ مَا أَخْلَقْتُ وَجْهًا بِذَنْتُهُ * إِلَيْكَ وَلَا عَرَضَتُهُ لِلْمَعَارِ
فَتَنِي وَفَرَّتْ أَيْدِي الْمَكَارِمِ عِرْضَهُ * عَلَيْهِ وَخَلَّتْ مَالَهُ غَيْرُ وَافِرِ

بين ابن واسع
وأبى

ودخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال : أتيتك في حاجة فإن شئت قضيتها وكنتا كريمين ، وإن شئت لم تقضها وكنتا لئيمين . أراد : إن قضيتها كنت أنت كريماً بقضائها وكنت أنا كريماً بسؤالك إياها ؛ لأنني وضعت الطلب في موضعها ؛ فإن لم تقضها كنت أنت لئيماً بمنعك وكنت أنا لئيماً بسوء اختياري لك .

الحبيب

وسرق حبيب هذا المعنى فقال :

عِيَاشُ إِنَّكَ لِللَّيْمِ وَإِنِّي * مُذْصِرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلنِّيمِ

مبداهة بن طاهر
وسوار القاضي

ودخل سوار القاضي على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فقال : أصلح الله الأمير :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُدْرُ فِيهَا مَقْدَمٌ * خَفِيفٌ مُعْنَاهَا مُضَاعَفَةُ الْأَجْرِ
فَإِنْ تَقَضَّيْنَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ * وَإِنْ عَاقَ مَقْدُورُنِي أَوْسَعُ الْعُدْرِ

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله ؟ قال : كتاب لي : إن رأى الأمير أكرمه الله - أن يُنفذه في خاصته ، كتب إلى موسى بن عبد الملك في تعجيل

أرزاق . قال : أو غير ذلك أبا عبد الله ؟ نَجَّلْهَا لَكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِذَا وَدِدْتَ كُنْتَ غَيْرَ آيِنَ أَنْ تَأْخُذَ أَوْ تَرُدَّ . فَأَنْشَدَ سَوَّارَ يَقُولُ :

فَبِأَبْكَ أَيْمَنُ أَوْ أَبْوَاهِمُ ۝ وَدَارُكَ مَا هَوَلَتْ عَاسِرَهُ
وَكُفُّكَ حِينَ تَرَى الْمُجْتَدِي ۝ مِنْ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ
وَكَلْبِكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ ۝ مِنَ الْأَمِّ بِابْنَيْهَا الزَّائِرَةِ

ودخل أبو حازم الأعرج على بعض أهل السلطان فقال : آتيتك في حاجة
وسلطان في حاجة
وقضيتها لم تقضيها وعفرتك .

من الحديث وفي بعض الحديث : أطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه .

أخذه الطائي فظلمه في شعره فقال : ١٠

قَدَاوَلْتُ فَيْسَكَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ قَالَ مُفْصِحًا إِنْصَاحًا
إِنْ طَلَبْتُمْ حَوَائِجًا عِنْدَ قَوْمٍ ۝ فَتَسْتَقَوُوا لَهَا الْوُجُوهَ الصَّاحَا
فَلَعَنِمْنِي لَقَدْ تَنَقَّيْتُ وَجْهًا ۝ مَا بِهِ غَابَ مِنْ أَرَادَ النَّجَاحَا

قال المنصور لرجل دخل عليه : سأل حاجتك فإنك لست تقدر على هذا المقام
في كل حين . قال : يبيك الله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر عمرَكَ ولا أعاف
بجلك ، وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزَيْن ، وما بأمرئ يذل إليك وجهه
نقص ولا شين . فوصله وأحسن إليه .

استنجاز المواعد

من أمثالهم في هذا : أَتَجَزَّ حُرًّا مَا وَعَدَ .

وقالوا : وَعَدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعَدُ الْثَمِيمِ تَسْوِيفٌ . ٢٠

وقال الزُّهْرِيُّ : حَقِيقٌ عَلَى مَنْ أَوْقَى بَوْعُهُ أَنْ يُشْمَرَ بِفَعْلٍ .

وقال الخنيزي : مَنْ أَخَّرَ حَاجَةً قَدَّ حَتْمُهَا .

وقال الموبذان الفارسي : الْوَعْدُ السَّحَابَةُ ، وَالْإِنْجَازُ الْمَطَرُ .

كانت في معنى
هذا التواتر

للزهرى

للخنيزي

للموبذان

- وَقَالَ خَيْرُهُ : الْمَوَاعِيدُ رُيُوسُ الْحَوَائِجِ وَالْإِنْجَازُ أَبْدَانُهَا .
 وقال عبد الله بن عمر : خُلفُ الوعدِ ثلثُ النفاقِ ، وصِدْقُ الوعدِ ثلثُ الإيمانِ ، وما ظَنُّكَ بشيءٍ جعله الله مِدْحَةً في كتابه ، ونِفْراً لآبِئِيَّاهُ ، فقال تعالى (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِيْتِمَاعِيْلَ إِيْنُهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) .
- ٥ وذكر جبار بن سُلَيمٍ عامر بن الطفيل فقال : كان والله إذا وعد الخير وفي ، وإذا وعد الشر أخلف . وهو للقاتل :
- وَلَا يَرْهَبُ ابْنُ الْعَمِّ مَا عَشْتُ صَوْلَتِي * وَيَأْمَنُ مِنِّي سَطْوَةُ الْمُتَهَدِّدِ
 وَإِنْ حَرَانِ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِيَكْذِبُ إِيْعَادِي وَيَصْدُقُ مَوْعِدِي
- وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :
- ١٠ إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ : نَعَمْ ، فَأَيْمُهُ * فَإِنَّ : نَعَمْ ، دَيْنٌ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
 وَإِلَّا فَقُلْ : لَا ، تَسْتَرِخْ وَتُزَيِّحْ بِهَا * ثَلَاثًا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي خُلْفِ الْوَعْدِ إِلَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) لَكُنْ .
- وَقَالَ جَمْرُ بْنُ الْحَارِثِ : كَانُوا يَفْعَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ ، ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ
 وَيَفْعَلُونَ ، ثُمَّ صَارُوا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ، ثُمَّ صَارُوا لَا يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ ،
 ١٥ فَرَعِمَ أَنَّهُمْ خَسُوا بِالْكَذِبِ فَضْلًا عَنِ الصِّدْقِ .
- وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ هَانٍ :
- قَالَ لِي ثَرَدَةُ بْنُ وَعْدٍ كَاذِبٌ ؟ * قُلْتُ إِنَّ لِيكَ تَعَمُّ فَنَفْسُ
- وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ ، وَيُقَالُ إِنَّهَا لُمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ صَرِيحُ الْغَوَايِ :
- ٢٠ مَا ضَرَّ مَنْ شَقَلَ الْفَوَازَ بِخَيْلِهِ * لَوْ كَانَ عَلَيَّ بِوَعْدٍ كَاذِبٌ
 صَبْرًا عَلَيْكَ فَا أَرَى لِي حِيلَةً * إِلَّا التَّمَسُّكُ بِالرَّجَاءِ الْخَامِ
 سَامُوتٌ مِنْ كَيْدٍ وَتَبَقَّى حَاجَتِي * فِيمَا لَدَيْكَ وَمَا لِي مِنْ طَالِبٍ

بين عبد الملك وابن أم الحسك قال عبد الرحمن بن أم الحكم لعبد الملك بن مروان في ، راعيد وعدها إياه فطله بها : نحن إلى الفعل أخرج منا إلى القول ، وأنت بالإيجاز أولى منك من المثل ، وأعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإيجازك الوعد وأستمالك المعروف .

بين عيسى بن موسى وابن ميمون القاسم بن معن المسعودي قال : قلت لعيسى بن موسى : أيها الأمير ، ما انتفعت بك منذ عرفتك ، ولا أوصلت لي خيراً منذ صحبتك . قال : ألم أكلّم لك أمير المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا ؟ قال : قلت : بلى ، فهل استنجزت ما وعدت ، وأستمتعت ما بدأت ؟ قال : حال من دون ذلك أمور قاطعة ، وأحوال عاذرة . قلت : أيها الأمير ، فما زدت على أن زهت العجز من رقدته ، وأثرت الحزن من ربضته ، إن الوعد إذا لم يشفعه إيجاز يحققه ، كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه .

عبد الصمد وابن ديسم وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي لخالد بن ديسم عامل الرى : ١٠
أخالك إن الرى قد أجمعت بنا * وضاق علينا رجبها ومعاشها
وقد أطمعنا منك يوماً صحابة * أضاعت لنا برقاً وأبطأ رشاشها
فلا غيبتها يصحو فيئس طامعاً * ولا ماؤها يأتي قروى عطاشها

بين بشار وسلم وقال سعيد بن سلم : وعد أبي بشارا العقبلي حين مدحه بالقصيدة التي يقول فيها : ١٥

صَدْتُ بِخَدِّ وَجَلْتُ عَنْ خَدٍّ * ثُمَّ أَنْتُنْتُ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ
فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِشَارٌ بِالْعَدِّ :

ما زالَ مامِنِيَّيَ مِنْ هَمِّي * الوَعْدُ غَمٌّ فَأَرِخْ مِنْ عَمِّي
. إن لم تُرِدْ مَدْحِي فَرَأَيْبُ دَمِّي .

٢٠ فقال له أبى : يا أبا معاذ ، هلا استنجزت الحاجة بدون الوعد ! فإذا لم تفعل فريض ثلاثا وثلاثا ؛ فإني والله مارضيتُ بالوعد حتى سمعتُ الأبرش الكلابي يقول لهشام : يا أمير المؤمنين ؛ لا تصنع إلى معروف حتى تعبدني ؛ فإنه لم يأتي منك سيب على غير وعد إلا هان على قدره وقلّ مني شكره . فقال له هشام : لن قلت

ذلك لقد قاله سيدُ أهليك أبو مسلم الحولاني : « إن أوقع المعروف في القلوب ، وأبرده على الأكباد معروف منتظر ، بوعده لا يكثره المَطْل » .

وكان يحيى بن خالد بن برمك لا يقضى حاجة إلا بوعده ، ويقول : من لم يَبْتَ على سرور الوعد لم يجد للصنعة طعما .

يحيى بن خالد
وفضاء الخواج

• وقالوا : الخُلفُ أَلَامٌ من البخل لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذمُّ اللؤم وحده ، ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مَدَمَات : ذمُّ اللؤم ، وذمُّ الخلف ، وذمُّ الكذب .

وقال زياد الأحم : زياد الأحم

قَدْ دَرَكْتُ مِنْ فِتْنَةٍ * لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ
لَا خَيْرَ فِي كَلْبِ الْجَوَا * دِحْبًا سَدَّقَ الْبَخِيلُ ١٠

استبطاً حبيبُ الطائي الحسن بن وهب في عِنْدَةِ وعدها إياه ، فكتب إليه أياتاً يستعجله بها : فبعث إليه بألف درهم وكتب إليه :

يحيى بن الحسن بن
وهب وحبيب

أَفْعَلْتَنَا فَاثَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا * فَلَا وَلَوْ أَخَّرْتَهُ لَمْ يَفْعَلِ
غَدِ الْقَلِيلَ وَكَنْ كُنْ لَمْ يَسْأَلِ * وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّا لَمْ نَفْعَلِ

١٥ وقال عبد الملك بن مالك الخزاعي : دخلت على أمير المؤمنين المهدي وعنده ابن دأب وهو ينشد قول الشيخ :

وَأَشْعَثُ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَبِيضَهُ * يَجْرُ شَوَاءٌ بِالْعَصَا غَيْرَ مُنْصَجِجٍ
دَعَوْتُ إِلَى مَا نَابَنِي فَأَجَابَنِي * كَرِيمٌ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرُ مُرْجِجٍ
فَتَى يُجِيرُ الْفَيْزَ وَيُرْوِي سِنَانَهُ * وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَيْمِ الْمُدْجِجِ
فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيَّةٍ * وَلَا فِي يُبُوتِ الْحَيِّ بِالْمُتَوَلِّجِ ٢٠

فرفع المهدي رأسه إلى وقال : هذه صفتك أبا العباس . فقلت : بك نلتها يا أمير المؤمنين . قال : فَأَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدَنِي قول السموأل :

إِذَا الْمَرْدُ لَمْ يَذْنَنْ مِنَ الْلُؤْمِ عِرْضُهُ * فَكُلُّ رَدَاوٍ يَرْتَكِيهِ جَبِيلُ

- وإن هولم يفتل على النفس حينها • فليس إلى حصن النساء سبل
إذا المرء أعينته المروءة يافعا • فطلبها كهللا عليه فقل
فصيرنا آثا قليل عداونا • فقلت لها إن الكرام قليل
وما حزننا أنا قليل وجارنا • عزيز وجار الأكرين ذليل
ونحن أناس لا نرى القتل سبة • إذا ما رأته عامر وسلول •
يُقرَّبُ حُبُّ الموتِ آجالنا لنا • وتكرمه آجالهم فتسلول
وما مات منا سيد حنفت أفيه • ولا طل منا حيث كان قبل
تسبل على حد السيوف نفوسنا • وليست على غير السيوف تسبل
وتنكر إن شئنا على الناس قولهم • ولا ينكرون القول حين نقول
فنحن كآء المرن ما في نصايها • كهائم ولا فينا يعد بخيل
وأسيافا في كل شرق ومغرب • بها من قراع الدارين قول
- ١٠ فقال : أحسنت ، اجلس ، بهذا بأنتم ، سل حاجتك . قلت : يا أمير المؤمنين ،
تكتب لي العطاء ثلاثين رجلا من أهلي . قال : نعم ، على إذا وعدت ، فقلت :
يا أمير المؤمنين ، إنك متمكن من القدرة وليس دونك حاجز عن الفعل ؛ فامعني
العدة ؟ فنظر إلى ابن دأب كأنه يريد منه كلاما في فضل الموعد ، فقال ابن دأب :
١٥ حلاوة الفعل بوعد ينجز • لاخير في العرف كنهب ينجز
فضحك المهدي وقال :

الفعل أحسن ما يكو • ن إذا تقدمه ضبان

للدهلب يومى بيه وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه : يا بني ، إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما
فكني بذلك تقاضيا .

٢٠

وقال الشاعر :

لبعض الدماء

أروح بسلامي عليك وأعتدى • وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

وقال آخر :

كذلك تحببنا ونجى بشاى * وحسبك أن أراك وأن ترائى

وما ظنى بمن يعنيه أمرى * ويعلم حاجتى ويرى مكانى

كتب العنابى إلى بعض أهل السلطان : أما بعد : فإن سحاب وعدك قد أبرقت ،
فليكن ويلها سالما من علل المظلم . والسلام .

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده : أما بعد : فإن شجرة وعدك قد أورقت فليكن
ثمرها سالما من جوائح المظلم . والسلام .

وعدّ عبد الله بن طاهر دعبلا بسلام ، فلما طال عليه آمدى له يوما وقد ركب
إلى باب الخاتمة ، فلما رآه قال : أسأت الاختلاء ، وجهلت المأخذ ، ولم تحسن
النظر ، ونحن أولى بالفضل : فلك الغلام والدابة متى نزل إن شاء الله تعالى .
فأخذ بمنائه دعبلا وأنشده :

يا جولد اللسان من غير فعل * ليت فى راحتك جود اللسان

عين مهرا قد لطمت مرارا * فأتق ذا الجلال فى مهرا

عرت عينا فدع لمهرا عينا * لا تدعه يطوف فى العيان

قال : فتدول له من دابته ، وأمر له بالغلام .

وسأل خلف بن خليفة أبان بن الوليد جارية ، فوعده بها وأبأأت عليه ،
فكتب إليه :

أرى حاجتى عند الأمير كأنها * بهم زمانا عندك بمقام

وأحصر من إذكاره إن لقيته * وصدق الحياء ملجأ يلجأ

أراها إذا كانت النهار نسيبة * وبالليل تقضى عند كل مقام

فبارب أخرجهما فإنك تخرج * من الميت حيا مفضحا بكلام

فتعلم ما شكرى إذا ما قضيتها * وكيف صلاتى عندهما وصباى

أبان وخلف
ابن خليفة

١٢٠

لأبي التمامية

وكتب أبو التمامية إلى رجل وعده بعبدة ومطله بها .

لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا * عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا
مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ أَمْرُهَا * إِلَّا تَنَاقَلْتُ ثُمَّ قُلْتُ غَدًا

لعمل

وكتب دعبل إلى رجل وعده وعداً وأخلفه :

- ٥ أَحْبَبْتُ أَرْضَ اللَّهِ ضَيْقَةً * عَنِّي فَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَصْنِقْ
وَجَعَلْتَنِي فَقْعًا بِقَرْقَرَةٍ * فَوَيْلٌ لِي وَطَلًّا عَلَى حَنْقِ
فَإِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً أَبَدًا * فَاضْرِبْ بِهَا قُفْلًا عَلَى عَاقِقِ
وَأَعِدْ لِي غُلًّا وَجَامِعَةً * فَاتَّجِعْ يَدَيَّ بِهَا إِلَى عُنُقِي
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَوْسَمَهَا * وَأَدْنَى بِمَسَالِكِ الطَّرِيقِ

لأبي مبره

- ١٠ ومن قولنا في رجل كتب إلى بعبدة في صحيفة ومطلني بها :

- صِحْفَةٌ طَابَتْهَا أَلُومٌ * عَنْوَانُهَا بِالْجَهْلِ عَنُومٌ
يُهْدَى لَهَا وَالْخُلْفُ فِي طَيْهَا * وَالْمَطْلُ وَالتَّسْوِيفُ وَاللُّومُ
مَنْ وَجْهَهُ نَحْسٌ وَمَنْ قُرْبُهُ * رِجْسٌ وَمَنْ عِرْفَانُهُ سُومٌ
لَا يَهْتَضِعُ إِلَّا بِتَّ صَيْفًا لَهُ * فَخَبْرُهُ فِي الْجَوْرِ هَاضُومٌ
تَكْلِمُهُ الْأَلْحَافُ مِنْ رِقَّةٍ * فَهُوَ يَلْحِظُ الْعَيْنَ مَكْلُومٌ
لَا تَأْتِيهِمْ شَيْئًا عَلَى أَكْلِهِ * فَإِنَّهُ بِالْجُوعِ مَادُومٌ

وقلت فيه :

- صِحْفَةٌ كُتِبَتْ لَيْتَ بِهَا وَعَسَى * عَنْوَانُهَا رَاحَةُ الرَّاجِي إِذَا يَسَا
وَعَدَّ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدَرَمَتْ * أَحْشَاءُ صَدْرِي بِهِ مِنْ طَوْلِ مَا جَسَا
بَرَاةٌ غَرَّقَنِي مِنْهَا وَبِضْ سَنَى * حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبَسَا
فَصَادَقَتْ حَجَرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ * مِنْ لُؤْمِهِ بِصَافِي لَمَّا انْبَجَسَا
كَأَنَّمَا صَيَّغَ مِنْ بُخْلِ وَمِنْ كَذِبٍ * فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسَا

٢٠

وقلت فيه :

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل مائع السراب
وتسويف يكل الصبر عنه * ومطل ما يقوم له حساب
وأيام خلّت من كل خير * وذينا قد توزّعها الكلاب

لطيف الاستمناح

٥

قالت الحكماء : لطيف الاستمناح سبب النجاح ، والأفنى ربما انطلقت
وانشرح بلطيف السؤال ، واقبضت وامتنعت بجفاء السائل ؛ كما قال الشاعر :

وجفوتني ففطمتُ عنك فوائدي * كالدّر يقطعُه جفَاء الحالب

وقال العتابي : إن طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجل في الطلب إليه ، وإياك
والإلحاح عليه ؛ فإن إلحاحك يَكْثُرُ عِرْضَكَ وَيُرِيْقُ ماء وجهك ، فلا تأخذ منه
عَوْضًا لما يأخذ منك ؛ ولعلّ الإلحاح يجمع عليك إخلال ماء الوجه ، وحرمان
النجاح ؛ فإنه ربما ملّ المطلوبُ إليه حتى يستخف بالطالب .

وقال الحسن بن هانئ :

تأنّ مواعيد الكرام فرُبّما * حملت من الإلحاح تنمعا على بُخل

وقال آخر :

إن كنت طالب حاجة فجعّل * فيها بأحسن ما طلبت وأجمل
إن الكريم أغا المروءة والنهي * من ليس في حاجاته يُشْغِل

وقال مروان بن أبي حفصة : لقيت يزيد بن مزيد وهو خارج من عند المهدي
فأخذت بمنان دابته وقلت له : إني قلت فيك ثلاثة أبيات أريد بكل بيت منها
مائة ألف . قال : هاتِ هـ أبوك . فأنشأت أقول :

يا أكرم الناس من عُجْم ومن عرب * بعد الخليفة يا ضرغامه العرب
أنيت مالك تعطيه وتنهيه * يا آه الفضة البيضاء والذهب
إن السنان وحدّ السيف لو فطما * لأخبرا عنك في الهيجاء بالعجب

بين مروان
ابن أبي حفصة
وابن يزيد

لبعض الشعراء

عبد الملك وغيره من بني أمية المدائني قال : قدم قوم من بني أمية على عبد الملك بن مروان ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن عن تعرف ، وحقنا ما لا ينكر ، وجنتك من بعيد ، وتمت بقریب ، ومهما تطعنا فنعن أهله .

الرعيد وعبد الملك ابن صالح دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال : أسألك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة ؟ قال : بل بالقرابة والخاصة . قال : يداك يا أمير المؤمنين أطلق من لسانك بالمسألة ، فأعطاه وأجر له .

عبد الملك وأبو الريان ودخل أبو الريان على عبد الملك بن مروان ، وكان عنده أنثرا ، فرآه خائرا ، فقال : يا أبا الريان ، مالك خائرا ؟ قال : أشكو إليك الشرف يا أمير المؤمنين ! قال : كيف ذلك ؟ قال : نُسأل ما لا نقدر عليه ونعتذر فلا نُعذر . قال عبد الملك : ما أحسن ما استمتحت واعتزرت ^(١) يا أبا الريان . أعطوه كذا وكذا .

الحجاج والشمس العتابي قال : كتب الشعبي إلى الحجاج يسأله حاجة ، فاعتل عليه ، فكتب إليه الشعبي : والله لا عذرُك وأنت والى المراقين وابنُ عظيم القرين . فقضى حاجته . وكان جد الحجاج لأمه عروة بن مسعود الثقفي .

معاوية وابن ذرارة العتي قال : قدم عبد العزيز بنُ زرارة الكلابي على أمير المؤمنين معاوية فقال : إني لم أزل أمرُ ذوائب الرجال إليك ، فلم أجد مَعْرَلا إلا عليك ، أمتطي الليل بعد النهار ، وأسمُ المجاهل بالآثار ، يقودني إليك أملٌ ، وتسوقني بلوى ، والمجتهد يُعذر ، وإذا بِلنتك قَطَطِي . فقال : احطط عن راحلتك .

يزيد بن المهلب وكرز ودخل كُرَيز بن زُفر بن الحارث على يزيد بن المهلب فقال : أصلح الله الأمير ، أنت أعظم من أن يُستعان بك ويُستعان عليك ، ولست تفعل من الخير شيئا إلا وهو يصغرُ عنك وأنت أكبرُ منه ، ولا العجب أن تفعل ، ولكن العجب ألا تفعل . قال : سل حاجتك . قال : حملت عن عشيرتي عَشْرَ ديات . قال : قد أمرتُ لك بها وشفعتها بمنزلها .

(١) اعتر: أتاه طالبا مروه .

حاتم الطائي
وسائل حاجة

العتي عن أبيه قال : أتى رجل إلى حاتم الطائي فقال : إنها وقعت بيني وبين قوم ديات ، فاحتلتها في مالي وأملئ ، فصدقتُ مالي وكنتُ أملئ ، فإن تحملها عني فربُّهم قد فرجت ، وعمَّ كفيته ، ودين قضيته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أدم يومك ، ولم أياس من غديك . فحملها عنه .

خالد القسري
وسائل

المدائني قال : سألت رجلاً خالداً القسري حاجة ، فاعتل عليه ، فقال له : لقد سألتُ الأمير من غير حاجة . قال : وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : رأيته يُحب من لك عنده حُسْنُ بلاء ، فأردتُ أن أتعلق منك بجبل مودة . فوصله وجباه وأدنى مكانه .

المنصور
والهجري

الأصمعي قال : دخل أبو بكر الهجريّ على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين نَفَضَ في ، وأتم أهل البيت بركة ، فلو أذنت لي فقبلتُ رأسك لعل الله يُشدّد لي منته . قال : اختر منها أو من الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين . أهونُ عليّ من ذهب درهم من الجائزة الآتية حادثة في في . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

أبو دلف وجار له

وذكروا أن جاراً لأبي دلف يَخْدُودُ لزمه كبير دين فادح ، حتى احتاج إلى بيع داره ، فساوموه بها ، فسألهم أئني دينار ؛ فقالوا له : إن دارك تساوي خمسمائة . قال : وجواري من أبي دلف بألف وخمسمائة ؛ فبلغ أبا دلف ؛ فأمر بقضاء دينه وقال له : لا تبسّ دارك ولا تنقل من جوارنا .

قيس بن سعد
واسمائه

ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادَةَ فقالت : أشكو إليك قلة الجِرْدَانِ . قال : ما أحسن هذه الكناية ؛ املأوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً .

المنصور
وأزهر السنان

لإبراهيم بن أحمد عن الشيباني قال : كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مستترا ، فكان يجلس في حلقة أزهر السنان الحديث ، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر ، فرحب به وقربه ، وقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : دارى متهنمة ، وعلى أربعة آلاف درهم ، وأريد لو أن ابني محمداً بنى بيما له . فوصله باثني عشر ألفاً ، وقال : قد قضيتا حاجتك يا أزهر ؛ فلا تأتانا طلباً . فأخذها وارتحل . فلما كان بعد سنة أتاه ، فلما رآه أبو جعفر قال :

- ما جاء بك يا أظھر ؟ قال : جئتك مسلماً . قال : إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً . قال : ما جئت إلا مسلماً . قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، واذهب فلا تأتانا طالباً ولا مسلماً . فأخذها ومضى ؛ فلما كان بعد سنة أتاه ، فقال : ما جاء بك يا أظھر ؟ قال : أتيت عائدك ، قال : إنه يقع في خلدك أنك جئت طالباً . قال : ما جئت إلا عائدك . قال : قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً ، وأذهب فلا تأتانا طالباً ولا مسلماً ولا عائدك . فأخذها وانصرف ؛ فلما مضت السنة أقبل ، فقال له : ما جاء بك يا أظھر ؟ قال : دعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين ، جئت لأكتبه . فضحك أبو جعفر وقال : إنه دعاء غير مستجاب ، وذلك أني قد دعوت الله به ألا أراك فلم يستجب لي ، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً وتمال متى شئت ، فقد أعيتني فيك الحيلة .
- ١٠

أقبل أعرابي إلى داود بن المهلب فقال له . إني مدحتك فاستمع . قال : على رسلك ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج ، فقال : قل ، فإن أحسنت حكمتك ، وإن أسأت قتلتك ! فأنشأ يقول :

ابن الهلب
وأعرابي

- أمنتُ بدَّاورٍ وجودٍ يمينيه • من الحديث الخشبي والبؤس والفقر
فأصبحتُ لا أخشى بدَّاورَ نبوة • من الحديثان إذ شدتْ به أزرِي
له حكمٌ لقمانٍ وصورةُ يوسف • وحكمٌ سليمانٍ وعدلُ أبي بكرٍ
فتى تفرقُ الأموالُ من جودِ كفه • كما يفرقُ الشيطانُ من ليله القدرِ
- ١٥
- فقال : قد حكمتك ؛ فإن شئت على قدرك ؛ وإن شئت على قدري . قال : بل على قدري . فأعطاه خمسين ألفاً ، فقال له جلساؤه : هلا احتكت على قدر الأمير ؟ قال : لم يك في ماله ما يفي بقدره ! قال له داود : أنت في هذه أشمرُ منك في شعرك . وأمر له بمثل ما أعطاه .
- ٢٠

الأصمعي قال : كنت عند الرشيد إذ دخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأنشده :

الرشيد
وإسحاق
الموصلي

وأميرةٌ بالبخلِ قلتُ لها أنصري • فليس لي ما تأمرين سبيلاً

فَقَالِي فَعَالُ الْمُكْتَرِينَ تَجْمَلًا . ومالي كما قد تَعَلَّيْنِ قَلِيلُ
فَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمَ الْعَيْ . ورأى أمير المؤمنين جميل
فقال له الرشيد : لله دَرُ آيات تأتينا بها ! ما أحسن أصولها وأَيِّنَ فصولها ،
وأقل فضولها ! يا غلام أعطه عشرين ألفا . قال : والله لا أخذت منها درهما
واحدا ! قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعري !
قال : أعطوه أربعين ألفا . قال الأصمعي : فعلت والله أنه أُصِيدَ لدرام
الملوك مني .

العنبي عن أبيه قال : قدم زيد بن منية من البصرة على معاوية ، وهو أخو
يعلى بن منية صاحب الجبل ، جل عاتشة رضى الله عنها ، ومتولى تلك الحروب ،
ورأس أهل البصرة ؛ وكانت ابنة يعلى عند عتبة بن أبي سفيان ؛ فلما دخل على
معاوية شكا دينه ، فقال : يا كعب ، أعطه ثلاثين ألفا . فلما ولى قال : وليوم
الجبل ثلاثين ألفا أخرى ، ثم قال له : الحق بصهرك - يعنى عتبة - فقدم عليه مصر .
فقال : إني سرت إليك شهرين ، أخوض فيهما المتالف ، ألبس أردية الليل مرة ،
وأخوض في لُجج السراب أخرى ، مُوقراً من حُسن الظن بك ، وهارباً من
دهر قَعلِم ، ومن دين لَزِم ، بعد غنى جَدَعْنَا به أنوفَ الحاسدين . فقال عتبة : إن
الدهر أعاركم غنى ، وخططكم بنا . ثم استرد ما أمكنه أخذه ، وقد أبقى لكم منا
ما لا ضيعة معه ، وأنا رافع يدي ويدك بيد الله ، فأعطاه مئين ألفاً كما أعطاه معاوية .

إبراهيم الشيباني قال : قال عبد الله بن علي بن سويد بن منجوف : أعطَمَ
أبي لإدامة بالبصرة وأنقص ، فخرج إلى خراسان فلم يصب بها طائلا . فبينا هو
يشكو تمرُّر الأشياء عليه ، إذ عدا غلامه على كسوته وبغلة فذهب بهما . فأتى
أبا ساسان حُصين بن المنذر الرقاشي فشكا إليه حاله ، فقال له : والله يا بن أخي ،
ما عَمَّك ممن يحمل محاملك ، ولعلني أن أحتال لك . فدعا بكسوة حسنة فألبسني
إياها ، ثم قال : امض بنا . فأتى باب والي خراسان ، فدخل وتركى بالباب ، فلم ألبث
أن خرج الحاجب فقال : أين علي بن سويد ؟ فدخلت إلى والي ، فإذا حُصين

- على فراش إلى جانبه ، فسلبت على الوالى فرده على ، ثم أقبل عليه حُضَيْن فقال :
 أصلح الله الأمير ، هذا على بن سُويد بن مَنجوف . سيد فتيان بكر بن وائل وابن
 سيد كهولها ، وأكثر الناس مالا حاضراً بالبصرة . وفي كل موضع ملكت به بكرُ
 ابن وائل مالا ، وقد تجمل بي إلى الأمير في حاجة . قال : هي مقضية . قال :
 فإنه يسألك أن تُمَدِّ يدك في ماله ومراكبه وسلاحه إلى ما أحيت . قال : لا والله
 لا أفعل ذلك به ، نحن أولى بزيادته . قال : فقد أغضبك من هذه إذ كرهتها ،
 فهو يسألك أن تَحْمِلَه حوائجك بالبصرة . قال : إن كانت حاجة فهو فيها ثقة ،
 ولكن أسألك أن تتكلم في قبول معونة منا ؛ فإننا نحب أى يرى على مثله من
 أقرنا . فأقبل على فقال : يا أبا الحسن ، عزمتُ عليك ألا ترد على عمك شيئاً
 أكرمك به . فسكت . قال : فدعا لى بمال ودواب وكساء ورقيق ، فلما خرجت
 قلت : أبا ساسان ، لقد أوقفتني على خطبة ما وقفتُ على مثلها قط . قال : اذهب
 إليك يابن أخى ، فعمك أعلم بالناس منك ؛ إن الناس إن علموا لك غرارةً من
 مال حشواً لك أخرى وإن يملوك فقيراً تعتوا عليك مع قهرك .

- إبراهيم الشيباني قال : ولد لأبى دلامة ابنة ليلا ، فأوقد السراج وجعل يخط
 خريطة من شقق ، فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها إلى المهدي فاستأذن
 عليه ، وكان لا يحب عليه ، فأنشده :

المهدي
وأبو دلامة

- لو كان يقعدُ فوق الشمس من كَرَمٍ * قومٌ لقيالَ أقعدوا يا آل عباس
 ثم أرتقوا من شعاع الشمس في دَرَجٍ * إلى السماء فأتهمُ أكرمُ الناس
 قال له المهدي : أحسنت والله أبا دلامة ، فما الذى غدا بك إلينا ؟ قال :
 ولدت لى جارية يا أمير المؤمنين . قال : فهل قلت فيها شعرا ؟ قال : نعم قلت :
 فَا وَلَدَتْكَ مَرْبِمْ أُمُّ عَيْسَى * وَلَمْ يَكْفُكْ لِقَابُ الْحَكِيمِ
 وَلَكِنْ قَدْ قَضَيْتُكَ أُمُّ سَوْءٍ * إِلَى لَبَائِسِهَا وَأَبْ لَثِيمِ
 قال فضحك المهدي وقال : فما تريد أن أعينك به في تربيتها أبا دلامة ؟
 قال : تملأ هذه يا أمير المؤمنين . وأشار إليه بالخريطة بين أصبعيه . فقال المهدي :

وما عسى أن تحمل هذه ؟ قال : من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير . فأمر أن
تملا مالا ، فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار ، فدخل فيها أربعة آلاف درهم .
وكان المهدي قد كسا أبا دلامة ساجا ، فأخذ به وهو سكران ، فأتى به إلى
المهدي ؛ فأمر بتزيق الساج عليه وأن يحبس في بيت الدجاج ؛ فلما كان في بعض
الليل وصحا أبو دلامة من سُكره ورأى نفسه بين الدجاج ، صاح : يا صاحب
البيت ! فاستجاب له السجان ، قال : مالك يا عدو الله ؟ قال : وذاك ! من أدخلني
مع الدجاج ؟ قال : أعمالك الخبيثة ! أتى بك أمير المؤمنين وأنت سكران ، فأمر
بتزيق ساجك وحبسك مع الدجاج . قال له : وذاك ! أو تقدر على أن تُوقد لي
سراجا وتجيئني بدواة وورق ولك سَلْي هذا . فأناؤه بدواة وورق ؛ فكتب
أبو دلامة إلى المهدي :

١٠

أين صباه صافية المزاج . كأن شعاعها لب السراج
تَهشُّ لها النفوس وتشتتها . إذا برزت ترقق في الزجاج
وقد طبخت بنار الله حتى . لقد صارت من التطف التضاج
أمير المؤمنين فدثك نفسى . علام جسنى وخرقت ساجى
أفاذ إلى السجون بغير ذنب . كأنى بعضُ عمال الخراج
ولومهم حُبستُ لهُن وجدى ^(١) . ولكنى حُبستُ مع الدجاج
دجاجات طيفُهن ديك . يُنادى بالصياح إذا بُناجى
وقد كانت تُحَبِّرنى ذنوبى . بأنى من عذابك غير ناجى
على أنى وإن لاقيتُ شرًّا . لخيرك بعد ذاك الشرِّ راجى

١٥

ثم قال أوصلها إلى أمير المؤمنين .. فأوصلها إليه السجان ، فلما قرأها أمر بإطلاقه
وأدخله عليه ، فقال له : أين بت اللبلة أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج يا أمير المؤمنين .
قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أُنَاقى مهن حتى أصبحت . فضحك المهدي

٢٠

وأمر له بصلة جزية ، وخلق عليه كسوة شريفة .

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى وهو والى الكوفة رُقعة فيها هذه الآيات :

بن أبي دلامة
وعيسى بن موسى

إذا جئت الأميرَ فقل سلاماً . عليك ورحمةُ الله الرَّحيمِ .
فأما بعدَ ذاكِ فلي غريمٌ . من الأنصارِ قُبَّحَ مَنْ غريمِ .
لُزُومٌ ما عليكَ لِسابِ دارى . لُزُومَ الكلبِ أصحابِ الرِّقيمِ .
له مائةٌ على وَنصفٍ أخرى . ونصفُ النصفِ في صكِّ قديمِ .
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن . وصلتُ بها شيوخَ نبيِّ تميمِ .
أتوني بالعشيرةِ يسألوني . ولم أكن في العشيرةِ باللَّيمِ .

قال : فبعت إليه بمائة ألف درهم .

ولقي أبو دلامة أبا دُلف في مَصادٍ له وهو والى العراق ، فأخذ يعنان فرسه وأنشده :

أبو دلف
وأبو دلامة

إني حلفتُ لئن رأيتكَ سالماً . بِقُرَى العراقِ وأنتَ ذو وَفرٍ
لتُصَلِّينَ على النبيِّ مُحَمَّدٍ . وتَمْلَأَنَّ دراهماً حِجْرِي

فقال : أما الصلاة على النبي فنعيم ، صلى الله عليه وسلم . وأما الدراهم ، فلما ترجع إن شاء الله تعالى . قال له : جُملتُ فذاك . لا تفرِّقَ بينهما . فابتلَّها له وُصِّبت في حِجره حتى أثقلتُ .

ودخل أبو دلامة على المهدي ، فأنشده أياتاً أعجب بها ، فقال له : سَلِّني أبا دلامة وأتحكم وأفرط ما شئت . فقال : كَلْبٌ يا أميرَ المؤمنين أصداد به . قال :

أبو دلامة
والمهدي

قد أمرنا لك بِكَلْبٍ ، وهاهنا بلغت همتك ، وإلى هاهنا انتهت أُمْنيتك ؟ قال : لا تَعْجَلْ على يا أميرَ المؤمنين ، فإنه بقيَ عليَّ . قال : وما بقيَ عليك ؟ قال : غلامٌ يقود الكلب . قال : وغلامٌ يقود الكلب . قال : وغادمٌ يطبخ الصِّيد . قال : وغادمٌ يطبخ الصِّيد . قال : ودارٌ تَسْكُنُها . قال : ودارٌ تَسْكُنُها . قال : وجاريةٌ نأوى إليها .

قال : وجارية تأوى إليها . قال : قد بقي الآن الماش . قال : قد أقطعناك أنى جريب عامرة وأنى جريب غامرة . قال : وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ قال : التى لا تعمّر . قال : أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيانى بنى أسد . قال : قد جعلتها كلها لك عامرة . قال : فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده ؟ قال : أما هذه فدعها . قال : ما منعنى شيئا أيسر على أم ولدى فقدما منه .

ودخل أبو دُلّامة على أبى جعفر المنصور يوما وعليه قلنسوة طويلة ، وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلبس دراريع ، عليها مكتوب بين كفى الرجل : ﴿ فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم . فدخل عليه أبو دُلّامة فى ذلك الزمان ، فقال له : كيف أصبحت أبا دُلّامة ؟ قال : يشتر حال يا أمير المؤمنين . قال : كيف ذلك ؟ وإليك . قال : وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه فى وسطه ، وسيفه على أسيته ، وقد تبدى كتاب الله وراء ظهره ؟ قال : فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك ، وأمر لأبى دُلّامة بصلة .

وأوصل أبو دُلّامة إلى العباس بن منصور رقعة فيها هذه الآيات :
 ١٥ قِفْ بِالْدارِ وَأَيُّ الدَّهرِ لَمْ تَقِفِ • على منازلَ بَيْنَ السَّهْلِ والتَّجَفِ
 وما وَوَقَفَكَ فى أَطْلالِ مَنْزِلَةٍ • لولا الذى استحدثتْ فى قلبِكَ الكَلَفِ
 إن كنتَ أَصْبَحْتَ مَشْهُوقًا بِجاريةٍ • فلا وَرَبِّكَ لا يَشْفِيكَ من شَغَفِ
 ولا يَزِيدُكَ إلا عِلًّا مِنْ أَسَفِ • فهل لِقَلْبِكَ مِنْ صَبْرٍ على الأَسَفِ
 هَبْ مِقالَةَ شَيْخٍ مِنْ بَنى أَسَدٍ • يُهْدِي السَّلامَ إلى العَباسِ فى الصُّحُفِ
 ٢٠ تَخْطُها مِنْ جِوارى المَصْرِ كاتِبَةٌ • قد طالما ضُربتْ فى اللام والأَلَفِ
 وطالما اِخْتَلَفَتْ صَيْفًا وشاتِيَةً • إلى مُعَلِّها بِاللَّوْجِ والكَيْفِ
 حتى إذا ما اسْتَوَى الثُّدَيانِ وامْتَلأتْ • منها وَخِيفَتْ على الإِسرائِفِ والقَرْفِ
 صِيفَتْ ثلاثَ سِنينَ ما تَرى أَحَدًا • كما تُصانُ بِحِجرٍ دُرَّةُ الصَّيْفِ

أبو دُلّامة
والمنصور

هو والمنصور
أبنا

بينا التقى يَمْنَى نَحْوَ مَسْجِدِهِ . مُبَادِرًا لِصَلَاةِ الصُّبْحِ بِالسُّدْرِ
 حَانَتْ لَهُ نَفْثَةٌ مِنْهَا فَأَبْصَرَهَا . مُطْلَعَةً بَيْنَ سَجَفَيْهَا مِنَ الْغُرْبِ
 فَخَرَّ فِي التُّرْبِ مَا يَذَرِي غَدَاتِنْدَ . آخَرَ مُنْكَشِفًا أَوْ غَيْرَ مُنْكَشِفِ
 وَجَاهِهِ الْقَوْمُ أَفْوَاجًا بِمَا يَهُمُّ * لِيَنْصَحُوا الرَّجُلَ الْمَغْنَى بِالنَّطْفِ
 فَوَسَّوْا بِقِرَاطٍ فِي مَسَامِعِهِ * خَوْفًا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسَانِ لَمْ يَخَفْ ...
 ... شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُ مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ * أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ مَوْتٍ عَلَى شَرَفِ
 قَالُوا لَكَ الْخَيْرُ مَا أَبْصَرْتَ قُلْتُ لَهُمْ * جَنَّةٌ أَقْصَدْتَنِي مِنْ بَنِي خَلْفِ
 أَبْصَرْتُ جَارِيَةً مَحْجُوبَةً لَمْ أَسْمَعْ * تَطَلَّعْتُ مِنْ أَعَالَى الْقَصْرِ ذِي الشَّرَفِ
 قُلْتُ : أَيُّكُمْ وَاللَّهُ بِأَجْرِهِ * يُعِيرُ قُوَّتَهُ مِنِّي إِلَى صَعْنِي
 قَامَ شَيْخٌ بَهِيٌّ مِنْ تَجَارِيهِمْ * قَدْ طَالَمَا خَدَعَ الْأَقْوَامَ بِالْخَلْفِ
 فَابْتَاغَهَا لِي بِأَلْفِي أَتَحْسِرُ فَقَدْ آتَى * بِهَا إِلَيَّ فَالْقَاهَا عَلَى كَعْبِي
 فَبِتُّ أَلَيْسَ طَوْرًا وَتَلَشُّمِي * طَوْرًا وَنَفْعًا لِبَعْضِ الشَّيْءِ فِي اللَّحْمِ
 بِنَا كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ صَاحِبُهَا * يَبْنِي الدَّانِيَرَ بِالْمِيزَانِ ذِي الْكِفِ
 وَذَلِكَ حَقٌّ عَلَى « زَنْدٍ » وَكَيْفَ يَوْمُ * وَالْحَقُّ فِي طَرَفٍ وَالْعَيْنُ فِي طَرَفِ
 وَبَيْنَ ذَلِكَ شُهُودٌ لَمْ أَبَالِ بِهِمْ * أَكُنْتُ مُعْتَرِفًا أَمْ غَيْرَ مُعْتَرِفِ
 فَإِنْ تَصَلَّيْتُ قَضَيْتُ الْقَوْمَ حَقَّهُمْ * وَإِنْ تَقَلُّ لَافَقَهُ الْقَوْمُ فِي تَلَفِ
 فَلَا قَرَأَ الْعِبَاسَ الْآيَاتِ أَعْجَبَ بِهَا وَاسْتَظَرَفَهَا وَقَضَى عَنْهُ ثَمَنَ الْجَارِيَةِ .
 وَاسْمُ أَبِي دِلَامَةَ زَنْدٌ .

إبراهيم بن المهدي قال : قال لي جعفر بن يحيى يوماً : إني أسأذنت أمير المؤمنين
 في الحِجَامَةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَخْلُوَ وَأَفِرَّ مِنْ أَشْغَالِ النَّاسِ وَأَتَرَوَّحَ ، فَهَلْ أَنْتَ مُسَاعِدِي
 قُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، أَنَا أَسْعِدُ النَّاسَ بِمُسَاعَدَتِكَ وَأَنْتَ بِمُخَالَاتِكَ . قَالَ : بَكَرْتُ
 إِلَى بُكُورِ الْغُرَابِ . قَالَ فَأَتَيْتُ عِنْدَ الْفَجْرِ الثَّانِي ، فَوَجَدْتُ الشَّمْعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
 وَهُوَ قَاعِدٌ يَنْتَظِرُنِي لِلْعِمَادِ . قَالَ فَصَلَّيْنَا ثُمَّ أَفْضَنَا فِي الْحَدِيثِ حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْحِجَامَةِ

جعفر بن يحيى
 وعبد الملك
 بن صالح

فَأَتَى بِحَجَّامٍ فَحَجَّمَنَا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قُدِّمَ إِلَيْنَا طَعَامٌ فَطَعِمْنَا ، فَلَمَّا غَدَلْنَا
 أَيْدِينَا خُلِعَ عَلَيْنَا ثِيَابُ الْمُنَادِمَةِ ، وَصُتِّخْنَا بِالْخُلُوقِ ، وَظَلَّلْنَا بِأَسْرِ يَوْمٍ مَرَّ بِنَا ، ثُمَّ
 لَإِنَّهُ ذَكَرَ حَاجَةً فَعَدَا الْحَاجِبَ . فَقَالَ : إِذَا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْقَهْرْمَانِي فَأَذِّنْ لَهُ . فَتَنَسَّى
 الْحَاجِبَ . وَجَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ الْمَسَاشِي عَلَى جِلَالَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَقَدْرِهِ وَأَدَبِهِ ،
 ٥ فَأَذِنَ لَهُ الْحَاجِبَ . فَأَرَاعَنَا إِلَّا طَالِعَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَتَنِيرُ لَذَلِكَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَتَتَخَفُّصُ
 عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ . فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، دَعَا غُلَامَهُ فَدَفَعَ إِلَيْهِ سَيْفَهُ
 وَسَوَادَهُ وَعِمَامَتَهُ ، ثُمَّ جَاءَ وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ ، وَقَالَ : آصْنَعُوا لِي مَا صَنَعْتُمْ
 بِأَنْفُسِكُمْ . قَالَ : لَجَاءَ النَّلَامُ فَطَرَحَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْمُنَادِمَةِ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَطَعِمَ ، ثُمَّ جَاءَ
 بِالْشَّرَابِ فَشَرِبَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : لِيُخَفِّفْ عَنِّي فَإِنَّهُ شَيْءٌ مَا شَرِبْتُهُ قَطُّ . فَتَقَبَّلَ
 ١٠ وَجْهَ جَعْفَرٍ وَفَرَحَ . وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ عَتَبَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ وَوَجَدَ عَلَيْهِ ،
 فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، قَدْ تَغَضَّيْتَ وَتَطَوَّلْتَ وَأَسْعَدْتَ ، فَوَلَّيْتَ
 حَاجَةً تَلْذُّهَا مَقْدُوقٌ ، أَوْ تَحِيطُ بِهَا نَعْمَى ، فَأَقْضِيهَا لَكَ مِكَافَأَةً لِمَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ :
 بَلَى ، إِنَّ قَلْبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَاتَبَ عَلَى فَسَلُهُ الرِّضَا عَنِّي . قَالَ : قَدْ رَضِيَ عَنْكَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ : عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ . قَالَ : حَاضِرَةٌ ، وَلَكِنْ مِنْ مَالِ
 ١٥ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ إِلَيْكَ . قَالَ : وَإِنِّي إِبْرَاهِيمُ أَحَبُّ أَنْ أَشُدَّ ظَهْرَهُ بِصَهْرٍ مِنْ أَوْلَادِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : قَدْ زَوَّجَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ . قَالَ : وَأَحَبُّ أَنْ تَخْفُقَ الْإِلَاحَةُ
 عَلَى رَأْسِهِ . قَالَ : قَدْ وَلَّاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِصْرَ . قَالَ : وَأَنْصَرَفَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَنَحْنُ
 نَعْتَجِبُ مِنْ إِقْدَامِهِ عَلَى قِضَاءِ الْحَوَائِجِ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ
 الْغَدِ وَتَقَبَّلْنَا عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ وَدَخَلَ جَعْفَرُ ، فَلَمْ نَلِمْ أَنْ دُعِيَ بِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي
 ٢٠ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفُتِدَ النِّكَاحُ وَحُلِمَتِ الْبَدْرُ إِلَى مَنْزِلِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ؛ وَكَتَبَ بِحَمْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى مِصْرَ . وَخَرَجَ جَعْفَرُ فَأَشَارَ إِلَيْنَا ، فَلَمَّا صَارَ
 إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَحْنُ خَلْفُهُ ، نَزَلَ وَنَزَلْنَا بِزَوْلِهِ ؛ فَاتَّفَقَ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : تَعَلَّقَتْ قُلُوبُكُمْ
 بِأَوَّلِ أَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَحْبَبْتُمْ مَعْرِفَةَ آخِرِهِ ، وَإِنِّي لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَابْتَدَأْتُ الْقِصَّةَ مِنْ أَوَّلِهَا ؛ لِجَعْلِ يَقُولُ : أَحْسَنَ وَاقِعٍ ، فَمَا صَنَعْتَ ؟

فأخبرته بما سأل وبما أجبته به ، فجعل يقول في ذلك : أحسنت : أحسنت !
وخرج إبراهيم والياً على مصر .

وقدم رجل على ملك من ملوك الأكاسرة ، فكث يباه حيناً لا يصل إليه ،
فقلطت في رقعة أوصلها إليه ، وفيها أربعة أسطر :

ذو حاجة على
باب ملك من
الأكاسرة

في السطر الأول : العُسر والأمل أقدماني عليك .

والسطر الثاني : الفقر لا يكون معه صبر على المطالبة .

والسطر الثالث : الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتة للعدو .

والسطر الرابع : فيما نعم ثمرة ، وإما لا مُريجة .

فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها بألف مثقال وأمر له بها .

وقد دخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده :

يحيى بن خالد
وشاعر

سألت الندى هل أنت حر ؟ فقال لا . ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالدٍ
فقلتُ شِراء قال لا بل ورائته * توارثني عن والدٍ بعدد والدٍ
فأمر له بمئة ألف .

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري فأنشده :

خالد القسري
وأعرابي

أخالدُ إنى لم أذُرَكَ لخَلَّةٍ * سوى أنى عافٍ وأنت جوادُ
أخالدُ بينَ الحمدِ والاجرِ حاجتي * فأَيُّهما تأتي فأنت عِمادُ
فأمر له بخمسة آلاف درهم .

ومن قولنا في هذا المعنى - ودخلتُ على أبي العباس القائد فأنشدته :

العباس القائد
وأبن هبدره

اللهُ جَرَّدَ للندى والبأسِ * سيفاً قسَلَدَهُ أبا العباسِ
ملكٌ إذا استَقْبَلَتْ غُرَّةَ وجهه * قبَضَ الرِّجاءَ إليك روحَ الياسِ
وجهٌ عليه منَ الحياءِ سَكِينَةٌ * وَحَبَّةٌ تَجَرى منَ الأنفاسِ
وإذا أحبَّ اللهُ يوماً عبده * ألقى عليه حَبَّةً للناسِ

ثم سأله حاجة فيها بعضُ النِظَر ، فلكأ على . فأخذت سحابةً من بين يديه

فَوَقَعْتُ فِيهَا عَلَى الْبَدِيَّةِ :

ما ضُرَّ عندكَ حاجتي ما ضُرَّها . جُدْرًا إِذَا أُعْطِيَتْ نَفْسُكَ قَدْرَهَا
انْظُرْ إِلَى عَرَضِ الْبَلَادِ وَطَوْلِهَا . أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
حاشي لجودِكَ أَنْ يُوعَرَ حاجتي . فَتَقَى بِجُودِكَ سَهْلَتِي لِي وَعَرَهَا
لَا يَجْنِي حُلُوَ الْحَمَامِدِ مَا جُدُّهُ . حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا ٥
فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا .

وَأَبْطَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَيْحِي عَنِ الدِّيَّانِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ التَّوَكُّلَ يَتَعَرَّفُ خَبْرَهُ ،
فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

عَلِمْتُ مِنْ مَكَانَيْنِ . مِنْ الْإِفْلَاسِ وَالَّذَيْنِ
فَنِي هَذَيْنِ لِي سُئِلُ . وَحَسْبِي سُئِلَ هَذَيْنِ ١٠
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ الْفَضْلِ بْنِ بَيْحِي ، فَأَتَاهُ الْحَاجِبُ
فَقَالَ : إِنْ بِالْبَابِ رَجُلًا قَدْ أَكْثَرَ فِي طَلَبِ الْإِذْنِ وَزَعَمَ أَنْ لَهُ يَدًا يَمُتُّ بِهَا
فَقَالَ : أَدْخِلْهُ . فَدَخَلَ رَجُلٌ جَمِيلُ الْوَجْهِ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، فَسَلَّمَ فَأَحْسَنَ . فَأَوَّمَا إِلَيْهِ
بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ انْطَلَقَ وَأَمَكَّنَهُ الْكَلَامَ ، قَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟ ١٥
قَالَ لَهُ : قَدْ أَعْرَبْتُ بِهَا رِثَاةً هَيْئَتِي ، وَضَعْتُ طَائِقِي . قَالَ : أَجَلْ ، فَمَا الَّذِي
تَمْتُّ بِهِ ؟ قَالَ : وَلَادَةٌ تَقْرُبُ مِنْ وَلَادَتِكَ ، وَجِوَارٍ يَدْنُو مِنْ جِوَارِكَ ، وَاسْمٌ
مُشْتَقٌّ مِنْ اسْمِكَ . قَالَ : أَمَّا الْجِوَارُ فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَمَا قُلْتَ ، وَقَدْ يُوَافِقُ
الْاسْمُ الْاسْمَ ، وَلَكِنْ مَا عَلَيْكَ بِالْوِلَادَةِ ؟ قَالَ : أَعْلَيْتُنِي أَيْ أَنَهَا لَمْ تَضَعْنِي
قَبْلَ لَهْ وَلَدِ اللَّيْلَةِ لِبَيْحِي بْنِ خَالِدِ غَلَامٍ وَتَمَنَّى الْفَضْلُ ؛ فَسَمَّيْتُ فَضِيلًا ، إِعْظَامًا لِاسْمِكَ ٢٠
أَنْ تُلْحِقَنِي بِكَ . فَدَبَّسَ الْفَضْلُ وَقَالَ : كَمْ أَتَى عَلَيْكَ مِنَ السِّنِّينِ ؟ قَالَ :
خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ . قَالَ : صَدَقْتَ ، هَذَا الْمَقْدَارُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ ؛ فَمَا ضَلْتَ أَمْلُكَ ؟
قَالَ : تَوَفَّيْتُ رَحِمَهَا اللَّهُ ، قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ عَنِ الْعُلُوقِ بِنَا فِيهَا مَضَى ؟ قَالَ : لَمْ أَرْضَ
نَفْسِي لِلْفَانِكِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي عَاتِيَةِ وَحْدَانَةٍ تُقْعِدُنِي عَنْ لِقَاءِ الْمُلُوكِ . قَالَ : يَا غَلَامَ

أعطه لكل عام مضي من سنيه ألفاً ، وأعطه من كسوتنا ومراكبتنا ما يصلح له .
فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به لإخوانه وخاصة أهله .

وكتب حبيب بن أوس الطائي إلى أحمد بن أبي دؤاد :

من حبيب إلى
ابن أبي دؤاد

اعلم وأنت المرء غير معلم . وانهم جعلت فداك غير منهم .

أَنْ اصطناع العرف مالم توله . مُستَكِيلًا كالثوب مالم يُسَلَّم .

والشكر مالم يُستَرَّ بصنيعه . كالحط تقروؤه وليس بمحتم .

وتفتى في القول لكثرة وقد . أخرجت في كرم الفعالي فالجهم .

وقال دعلج بن علي الخزاعي في طاهر بن الحسين صاحب خراسان :

أيذا اليمنين والدغوثين . ومن عنده العرف والنساءل

أترضى لشيء أني مقيم . يبابك مطرُح غامِل

ورضيت من الودود العايدات . ومن كل ما أتل الآيل

بتسليمه بين خمي وسيت . إذا ضمتك المجلس المفايل

وما كنت أرحى بذامن سواك . أيرضى هذا رجل عاقل

وإن ناب شغل فني دون ما . تدبره شغل شاغل

عليك السلام فاني امرؤ . إذا ضاق بي بلد راحِل

الاصمعي قال : نظر زياد إلى رجل من حبة يأكل أكلًا قبيحاً ، وهو أقبح

من زياد وضي

الناس وجهاً ، فقال : يا أبا حبة ، كم عيالكَ ؟ قال : سبع بنات أنا أجل منهن

وجهاً ، ومن آكلُني . فضحك زياد وقال : لله درك ! ما ألفت سؤالك !

افرضوا له ولكل واحدة منهن مائة وغادماً ، وبجّلوا له ولهن بأرزاقهن . فخرج

الضبي وهو يقول :

إذا كنت مُرْتَادَ السَّامَةِ والنَّدَى . فساد زياداً أو أبا زياد

مُجِبَّكَ امرؤ يُعطى على الخدمالهِ . إذا ضن بالمخزوف كل حواد

ومالي لا أثنى عليك وإنما . طريقي من معروفكم وتلاوي

ووقف دجبل يحض أمراء الرقة ، فلما مثل بين يديه قال : أصلح الله الأمير ،
إني لا أقول كما قال صاحب ههنا :

بأي الخلتين عليك أختي * فإني عند منصرفي مَسْئُولُ
أبالحسنى ولبس لها ضياء * على فن يصدق ما أقول
أم الأخرى ولست لها بأهل * وأنت لكل مكرمة فعول

ولكنني أقول :

ماذا أقول إذا أتيت معاشرى * صِفراً يَدَايَ مِنَ الجِوَادِ المُنْجِلِ
إن قلت أعطاني كَذِبْتُ وإن أقل * حَنَنُ الأميرُ بِمَا لِهْ لم يَحْمِلِ
ولأنت أعلمُ بالمكايِدِ والعَلَا * مِن أن أقولَ قُلْتَ مَا لم تَفْعَلِ
فأختر لنفسك ما أقول ، فإني * لا بُدَّ مُخْرِجُهُم وإِن لم أَسْأَلِ
قال له : قاتلك الله ! وأمر له بشرة آلاف درهم .

العقبى قال : دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر بن مروان لما ولى
الكوفة ، فقدم بين السباطين ثم قال : أيها الأمير ، إني رأيت رؤيا فأذن لي في
قصصها . فقال : قل . فقال :

أَغْفَيْتُ قَبْلَ الصُّبْحِ نَوْمَ مُسْبَدٍ * فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَامُهَا
فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلَدِيَةِ * مَفْلُوجَةٍ حَسَنِ عَلَى قِيَامُهَا
وَيَذَرَةُ حُمَلَتْ إِلَيَّ وَبُسْلَةٍ * شَبَابٍ نَاجِيَةٍ بَصِيرُ لِحَامُهَا
قال له عبد الملك بن بشر بن مروان : كل شيء رأيت فهو عندي إلا البغلة ،
فإنها دهما . فأرته . قال : أمرائي طالق ثلاثا إن كنت رأيتها إلا دهما ،
إلا أني غلطت .

الشيباني عن البطّين الشاعر قال : قدمت على علي بن يحيى الأرميني فكنتبت إليه :
رأيت في النّوم أني راكب فرساً * ولي وصف وفي كني دنائيرُ
فقال لم قوم حلق ومعرفة * رأيت خيراً وللأحلام تعبيرة

دجبل ويمن
أمراء الرقة

على الأرميني
والبطّين

رُؤْيَاكَ فَسَّرَ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجْدُّ * تَعْبِيرَ ذَاكَ وَفِي الْفَالِ التَّبَاشِيرُ
فَجُتْ مُسْتَبْشِرًا مُسْتَشِيرًا فَرَحًا * وَعِنْدَ مِثْلِكَ لِي بِالْفَعْلِ تَيْسِيرُ
قال : فوقع لي في أسفل كتابي : « أضناك أحلام وما نحن بتأويل الأحلام
بعلالين » ثم أمر لي بكل شيء ذكرته في أبياتي ورأيت في منامي .

وقال بشار العقيلي :

لبشار

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يَا بْنَ يَفْطِينَ * أَنِّي عَلَيْكَ بِمَا لَأَمْنِكَ تُولِينِي
أَمَّا عَلَتَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً * عَنَى وَزَادَكَ خَيْرًا يَا بْنَ يَفْطِينَ
أَنِّي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا * وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الَّذِينَ لِلَّذِينَ
وقال آخر في مثل هذا المعنى :

لبعض الشعراء

يَا بْنَ الْعَلَاءِ وَيَا بْنَ الْقَرْمِ مِرْدَاسٍ ، إِنِّي لَأَطْرِيكَ فِي أَهْلِ وَجُلَاسِي
أَتَمِّي عَلَيْكَ وَلِي حَالٌ تُكَذِّبُنِي * فِيمَا أَقُولُ فَأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ : مَا أَعْطَاكَ مِنْ صَفِيدٍ * طَاطَأْتُ مِنْ سُوءِ حَالٍ عِنْدَهَا رَأْسِي

الأخذ من الأمراء

حدثنا جعفر بن محمد ، عن يزيد بن سيمعان ، عن عبد الله بن ثور ، عن
عبد الحميد بن وهب ، عن أبي الحلال ، قال : سألت عثمان بن عفان عن جائزة
السلطان ، فقال : لحُمُّ طَرِيٍّ ذِكِّي .

لثمان وجائزة
السلطان

جعفر بن محمد ، عن يحيى بن محمد العامري ، عن المعتمر ، عن عمران بن حدير ،
قال : انطلقت أنا ورجل إلى عكرمة ، فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة ، فقال
الرجل : عندنا عمام ، ألا نبعث إليك بعمامة منها ؟ قال عكرمة : إنما لا نقبل من
الناس شيئاً ، إنما نقبل من الأمراء .

عكرمة والجائزة

وقال هشام بن حسان : رأيتُ على الحسن البصري تحيصة لها أعلام يصلى
فيها ، أهداها إليه مسلة بن عبد الملك .

الحسن البصري
وتحيته

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس خُفَّين أسودين أهداهما إليه التجاشي
صاحب الحبشة .
الرسول صلى الله عليه وسلم
وختان أهداهما
التجاشي

وقال نافع : كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفِثنة ، مثل المختار وغيره .

ودخل مالك بن أنس على هارون الرشيد فشكا إليه دَيْنًا لزمه فأمر له
بألف دينار عَيْن . فلما وضع يديه للقيام ، قال : يا أمير المؤمنين ، وزوجتُ ابني
محمدًا صَار عليّ فيه ألفُ دينار . قال : ولابنه محمد ألف دينار .
قال : فلقد مات مالك وتركها لوارثه في مِرْزود .

وقال الأصمعي : حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال : كان الربيع بن خُثَيم
في ألف ومائة من العطاء فكلم فيه أبي معاوية فألحظه بألفين ؛ فلما حضر العطاء
نودي الربيع بن خُثَيم ، فقيل له : في ألفين . فقدم ، فنظروا فوجدوا على اسمه
مكتوبًا : كَلِمَ فيه يحيى بنُ طلحة أمير المؤمنين فألحقه بألفين .

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ، كنتُ أريد أن تقبل مني هذه
الجبة كُسوّة . قال : إن كنت غنيا قبلتها منك ، وإن كنت فقيرًا لم أقبلها منك .
قال : فإني غني . قال : وكَم مالك ؟ قال : ألفا دينار . قال : فأنت تودُّ أنها
أربعة آلاف ؟ قال : نعم . قال : فأنت فقير ، لا أقبلها منك .

وأمر إبراهيم بن الأغلب المعروف بزيادة الله ، بمال يقسم على الفقهاء ، فكان
منهم من قبل ومنهم من لم يقبل ، فكان أسدُ بنُ الفرات فيمن قبل ، فجعل زيادة الله
يُعِمِّص على كل من قبل منهم ، فبلغ ذلك أسدَ بنَ الفرات ، فقال : لا عليه ،
إنما أخذنا بعضَ حقوقنا والله سائلُه عما بقى !

وقد غفرت العربُ بأخذ جوائز الملوك وكان من أشرف ما يتمولونه ،
فقال ذو الرمة :

وما كان مالي من تُراثٍ ورثته . ولا ديةٍ كانت ولا كسبٌ مآثم
ولكن عطاء الله من كلِّ رحمة . إلى كلِّ محجوبٍ السراقِ خضيرم

إبراهيم بن أدهم
ورجل أراد
أن يهب له

ابن الأغلب
وابن الفرات
في مال قسم
عليهم

قضى الرمة

وقال آخر يهجو مروان بن أبي حفصة ويحبه بأخذه من العامة ويضجر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك ، فقال : لبعض الدماء
يهجو مروان بن
أبي حفصة

عطاء أمير المؤمنين ، ولم تكن . مُسَمَّاةً من هؤلاء وأولئك
وما نلت حتى شبت إلا عطية . تقوم بها مضرورة في ردائك

٥ تفضيل بعض الناس على بعض في العطاء

ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفقراء فقال : إن سعيد بن خديم منهم . ابن الخطاب
وابن خديم
فأعطاه ألف دينار ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا
أعطيت فأعز

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فأعطاهم وفضل
رجلا منهم ؛ فقبل له في ذلك ، فقال : كل القوم عيال عليه .

وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين المؤلفة قلوبهم ، فأعطى الأقرع الرسول صلى الله
عليه وسلم
والعباس بن
مرداس
ابن حابس القمي . وعيينة بن حصن الفزاري ، مائة من الإبل ، وأعطى
العباس بن مرداس الثلثي خمسين ؛ فشق ذلك عليه ، فقال أياتا . فأثاه بها
وأثشده إياها وهي :

١٥ أَيْذَهْبُ نَبِيٍّ وَنَهْبُ الْعِيْدِ بَيْنَ عَيْنَتَيْهِ وَالْأَفْرَعِ
وَلَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَائِصٌ . يَقُوقَانِ مِرْدَاسٍ فِي تَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ غَيْرَ أَمْرِي مِنْهُمْ . وَمَنْ تَقَطَّعَ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعْ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال : أقطع عني لسان العباس . فأعطاه
حتى أرضاه .

٢٠ وقال صفوان بن أمية : لقد غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما خلق الله خلقاً أبغضَ إلى منه فما زال يُعطيني حتى ما خلق الله خلقاً أحبَّ إلى
منه . وكان صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبهم . الرسول صلى الله
عليه وسلم
وصفوان بن أمية

شكر النعمة

سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِقُدْرَتِهِ ، وَكَفَّهِمْ مِنَ الشُّكْرِ لِسُلَيْمَانَ النَّبِيِّ بِقَدْرِ طَلَقَتِهِمْ .

وَقَالُوا : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : أَشْكُرْ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْعَمْ عَلَى مَنْ شَكَرَكَ .
بعضهم
وَقَالُوا : كَفَرَ النِّعْمَةُ يُوجِبُ زَوَالَهَا ، وَشُكْرُهَا يُوجِبُ الْمَزِيدَ فِيهَا .
وَقَالُوا : مَنْ حَمَدَكَ فَقَدْ وَقَّكَ حَقًّا نِعْمَتِكَ .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : مَنْ نَشَرَ مَعْرُوفًا فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ سَتَرَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ أَنَّ فِرْعَوْنَ مَصَرَ أَسَدَى إِلَى يَدَا صَالِحَةٍ لَشَكَرَتْهُ عَلَيْهَا .

وَقَالُوا : إِذَا قَصَرَتْ يَدَاكَ عَنِ الْمَكَافَأَةِ فَلْيَطْلُ لِسَانُكَ بِالشُّكْرِ .

وَقَالُوا : مَا تَحِلُّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادَتُهُ شَيْئًا أَقَلَّ مِنَ الشُّكْرِ ، وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ .

مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْوَاقِدِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَاهُنَا قَوْمًا جَاءُوا بِشُكْرِهِمْ لَكَ مَعْرُوفًا . فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، هَؤُلَاءِ يَشْكُرُونَ مَعْرُوفًا ، فَكَيْفَ لَنَا بِشُكْرِ شُكْرِهِمْ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فَرَأَى عَلَيْهِ أَثَرَهَا إِلَّا كَتَبَ : حَيْبُ اللَّهِ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ . وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً فَلَمْ يَرِ أَثَرَهَا عَلَيْهِ إِلَّا كَتَبَ : بَغِيضُ اللَّهِ كَاثِرًا لِأَنْعَمِهِ .

وَكَتَبَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنِّي بَارِضٌ كَثُرَتْ فِيهَا النِّعَمُ ، وَقَدْ خِفْتُ عَلَى مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَلَّةَ الشُّكْرِ وَالضَّعْفَ عَنْهُ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْعِمْ عَلَى قَوْمٍ نِعْمَةً يَحْمَدُوهُ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ مَا أَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذُوا . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ . فَأَيُّ نِعْمَةٍ أَفْضَلَ عَمَّا أُوتِيَ دَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ .

بين عدى بن
أرطاة وعمر بن
عبد العزيز

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضی الله عنها تنشد أبيات زهير
ابن جَنَاب :

عن النبي صلى الله
عليه وسلم
وعائشة في أبيات
لابن جَنَاب

ارْفَعْ صَعِيكَ لَا يَجُزُّكَ صَفْعُهُ * يَوْمًا قُتِرَ كُهُ عَوَاقِبُ مَا جَعَى
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنَى عَلَيْكَ فَإِنَّ مَنْ * أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كُنْ جَزَى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : صدق يا عائشة ، لا شكرك الله من
لا يشكر الناس .

الحُثْنَى قَالَ : أنشدني الرياشي :

لبعض الشعراء
في شكر النعمة

إِذَا أَنَا لَمْ أَشْكُرْ عَلَى الْخَيْرِ أَهْلَهُ * وَلَمْ أَذْمَرْ الْجَبَسَ النَّثِمَ الْمَذْمُومَا
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالْثَرَّ بِأَنِيهِ * وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامَحَ وَالْقَمَا

وأنشدني في الشكر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَاخَتْ مَنِينِي * أَبَايَ لَمْ تُنَنِّ وَإِنِّ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرَ مُحْجُوبِ الْبَنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرِ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلَّتْ مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَائِهَا * فَكَانَتْ قَدْ نَزَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

قِطْعَةُ الْكَرَامِ فِي كَثْرَةِ اللَّتَامِ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كإبل مائة لا تكاد تجرد فيها راحلة .
وقالت الحكماء : الكرام في اللتام كالفرس في الفرس .

النبي صلى الله
عليه وسلم
الحكماء

وبعض الشعراء وقال الشاعر :

تُفَاخِرُنِي بِكَثْرَتِهَا قَرِيطُ * وَقَلَّ وَالِدَ الْحَجَلِ الصَّقُورُ
فَإِنَّ أَكْ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا * فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ
بُنَاتُ الطَّبْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاعًا * وَأَمَّ الصَّقْرِ مِثْلَاتُ نَزُورُ

سؤال وقال السموأل :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَيْدُنَا * قُلْتَ لِمَا إِنْ الْكَرَامَ قَلِيلُ

وما ضرنا أنّا قليلٌ وجارنا * عزيزٌ وجارُ الأكبرين ذليلٌ

وقال حبيب :

ولقد نكونُ ولا كريمَ نائلُهُ * حتى نخوضَ إليه ألفَ كئيمٍ

وقال ابن أبي حازم :

وقالوا : لو مَدَحْتَ قتي كريماً * فقلتُ وكيف لي بفتى كريمٍ
بَلَوْتُ وَمَرَّ بِي عَمْسُونَ حَوْلًا * وحسبك بالمجربِ من عليمٍ
فلا أحدٌ يُعَسِّدُ ليومَ خيرٍ * ولا أحدٌ يَعُودُ على عديمٍ

وقال دُحبل :

ما أَكْثَرَ النَّاسَ لَابِلًا ما أَقْلَهُمُ * واللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لم أَقُلْ فَتَدَا
إِنِّي لأَغْلُقُ عَيْنِي ثُمَّ أَفْتَحُهَا * على كثيرٍ ولكن ما أرى أحداً

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول حبيب الطائي :

إِن الْجِيَادَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ * قُلُوا ، كَا عَيْرُهُمْ قُلٌ وَإِنْ كَثُرُوا
لَا يَذْهَبُكَ مِنْ دُمَاهِمُ عَجَبٌ * فَإِنْ جُلُّهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ بَقَرٌ
وَكَلِمَا أَضْحَتِ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمْ * هَذَا بَيْنَ مَنْ أَخْضَى لَهُ خَطَرُ
لَوْلَمْ تُصَادَفْ شِيَاتِ النَّهْمِ أَكْثَرُ مَا * فِي الْحَبْلِ لَمْ تُعَمِدِ الْأَوْصَاحُ وَالنُّرْدُ

الأصمعي قال : قال كسرى : أى شيء أضر ؟ فأجبعوا على الفقر . فقال
كسرى : الشح أضر منه ، لأن الفقير يجد الفرجة فيتسع .

من جاد أولا ووضن آخرأ

نزل أعرابي برجل من أهل البصرة ، فأكرمه وأحسن إليه ثم أمسك ،
فقال الأعرابي :

كَسَرْتُ فَلِمَا جَاذَبَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ * رَأَى أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ السَّرْوُ
وَكَانَ يَزِيدُ بِنِ مَنُصُورٍ يُجْرَى لِبَشَارِ الْمُقْبِلِ وَظِيفَةٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، ثُمَّ قَطَعَهَا
(٢٥)

عنه ؛ فقال :

أبا خالدٍ مازلتَ سابعَ خَمْرَةٍ • صغيراً فلما شَبِتَ خَيَّمْتَ بِالشَّطَا
جَرَيْتَ زَمَانًا سَابِقًا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ • تَأَخَّرْ حَتَّى جِئْتَ تَقْطُوعَ الْقَاطِلِ
كَيْتُورٍ عِيدِ اللَّهِ يَبِيعُ بِدِرْهَمٍ • صغيراً، فلما شَبَّ يَبِيعُ بِقِيرَاطٍ
وقال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ صَرِيعُ الْغَوَانِي لِمُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ بْنِ زِيَادٍ :

لِمْ فِي مُحَمَّدِ
ابْنِ مَنْصُورٍ

أَبَا حَسَنِ قَدْ كُنْتَ قَلَمْتَ نِعْمَةً • وَالْحَقُّ شُكْرًا ثُمَّ أَمْسَكَتَ وَإِنِّي
فَلَا ضَيْرَ لَمْ تُلْغِفْكَ مِنِّي مَلَامَةً • أَسَاتَ بِنَا عَوْدًا وَأَحْسَلْتَ بِإِدْيَا
فَأَقْسِمُ لَا أَجْزِيكَ بِالْأُوءِ مِثْلُهُ • كَفَى بِالذِّي جَازَيْتَنِي لَكَ جَازِيَا
وقال سُلَيْمَانُ الْأَعْمَى ، وَهُوَ أَخُو صَرِيعِ الْغَوَانِي ، فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ :

لِسُلَيْمَانَ الْأَعْمَى
فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ

بِاسْمَةِ يُكْبِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرْتَ • مِنْهَا الْعَجَابُ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
لَا تَعْمِجَنَّ بِخَيْرٍ زَلَّ عَنْ يَدِهِ • فَالْكُوكِبُ النَّعْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَانًا

من صنَّ أَوْلَا ثُمَّ جَادَ آخِرًا

قَدِيمُ الْحَارِثِ بْنُ خَالِدٍ الْخَزْرَوِيُّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمْ يَصْلُهُ ، فَرَجَعَ وَقَالَ فِيهِ :
مَحَبَّتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ • فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلْوَمَهَا
حَبَسْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا • يَكْفِيكَ يَجْرِي بُؤْسُهَا وَنَعِيمُهَا

فَهَارِثُ
الْخَزْرَوِيُّ فِي
عَبْدِ الْمَلِكِ

فَبَلَغَ قَوْلُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَرَدَّهُ وَقَالَ : أَرَأَيْتَ عَلَيْكَ غَضَاضَةً مِنْ
مُقَامِكَ يَابِي ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَوَطَنِي ، وَوَجَدْتُ فَضْلًا مِنْ
الْقَوْلِ قُلْتُ ، وَعَلَى دَيْنِ لَزَمَنِي . قَالَ : وَمَكَ دَيْنُكَ ؟ قَالَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا . قَالَ : فَغَضَا
دَيْنَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وَلَايَةُ مَكَّةَ ؟ قَالَ : بَلْ وَلَايَةُ مَكَّةَ . فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا .

وَقَدِمَ الْخَطِيبَةُ الْمَدِينَةَ فَوَقَفَ إِلَى عُنْبِيَّةِ بْنِ زَهَّاسٍ الْعَجَلِيِّ ، فَقَالَ : أَعْطَنِي . فَقَالَ :
مَالِكٌ عِنْدِي حَتَّى فَأَعْطِيكَ ، وَمَا فِي مَالِي فَضْلٌ عَنْ عِيَالِي فَأَعُوذُ بِهِ عَلَيْكَ . فَخَرَجَ عَنْهُ
مُنْهَبًا ، وَعَزَفَ بِهِ فَبَجَسَاؤُهُ ، فَأَمْرُ بَرَدٍّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، إِنَّكَ وَقَفْتَ إِلَيْنَا فَلَمْ تَسْتَأْذِنْ
وَلَمْ تُسَلِّمْ ، وَكَمْ مَتَنَا نَعْمَكَ ، كَأَنَّكَ الْخَطِيبَةُ ؟ قَالَ : هُوَ ذَلِكَ . قَالَ : اجْلِسْ فَكَلِّ

عُنْبِيَّةُ وَالْخَطِيبَةُ

عندنا كلُّ ما تحب ، فجلس فقال له : مَنْ أشعُرُ الناس ؟ قال الذي يقول :
ومن يجعلُ العُروفَ من دونِ عِرْضِهِ • يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الثَّمَمَ يَشْتَمُ
يعني زهراً . قال : ثم من ؟ قال : الذي يقول :
من يسألُ الناسَ يحرموه • وسائلُ الله لا يَحِبُّ
يعني عبيداً . قال : ثم من ؟ قال : أنا . . .

فقال لوكيله : خذ يد هذا فأمض به إلى السوق ، فلا يُشِيرَنَّ إلى شيء
إلا اشتريته له . فمضى معه إلى السوق ، ففرض عليه الخبزَ والقُرَّ ، فلم يلتفت إلى
شيء منه . وأشار إلى الأكسية والكرائيس الغلاظ والآقية ، فاشتري له منها
حاجته ؛ ثم قال : أمسيك . قال : فإنه قد أمرني أن أبسط يدي بالفقعة . قال :
لا حاجة لي أن يكون له على قومي يد أعظم من هذه . ثم أنشأ يقول :
سُئِلْتُ فلم تَبْخُلْ ولم تُعْطِ طائِلاً • فَيَسَّابَ لَأَذَمَّ عَلَيْكَ وَلَا حُدُّ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا الْجُودُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ • فَتُعْطَى وَقَدْ يُعْذَى عَلَى النَّائِلِ الْوُجْدُ

من مدح أمير أخيه

قال سعيد بن سلم : مدحني أعرابي فأبلغ ، فقال :
أَلَا قُلْ لِسَارَى اللَّيْلِ لَا تَخْشُ ضَلَّةً • سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ نُورُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ • جَوَادٌ حَثَا فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ
قال : فأتأخرت عنه قليلاً ، فهجاني فأبلغ ، فقال :

لِكُلِّ أَخِي مَذْحٍ ثَوَابٌ عَلَيْهِ • وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِ ثَوَابٌ
مَدَحْتُ سَعِيداً وَالْمَدِيحُ مَهْزُةٌ • فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ

ومدح الحسن بن رجاء أبا دلف فلم يعطه شيئاً : فقال :

أَبَا دَلْفٍ مَا أَكْذَبُ النَّاسَ كُلَّهُم • سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَتَيْتَنِي • لَمَّا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

سعيد بن سلم
وأعرابي

أبودلف والحسن
ابن رجاء

لبعض الشعراء

وقال آخر في مثل هذا المعنى :

لَنْ أَخْطَأُ فِي مَذْجِيكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي

لقد أخطأتُ حاجاتي * يوكِّدُ غيرِ ذي ذَرعٍ

ومدح حبيب الطائي عيَّاش بن هزيمة ، وقدم عليه مصر واستسلمه مائتي منقال ،

حبيب الطائي
وعبيَّاش

فشاور فيها زوجته ، فقالت له : هو شاعر ، يمدحك اليوم ويهجوك غدا : فاعتلَّ

عليه واعتذر إليه ولم يقض حاجته ، فقال فيه :

عَيَّاشُ ، إِنَّكَ لِلَّيْمِ وَلَائِي * مُذْصِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلَّيْمِ

ثم هجاه حتى مات ، وهجاه بعد موته فقال فيه :

لَا سُقَيْتَ أَطْلَالَكَ الدَّائِرَةُ * وَلَا انْقَضَتْ عَنْزَتُكَ الْعَائِرَةُ

١٠

يَا أَسَدَ الْمَوْتِ تَحْلُصْنَهُ * مِنْ بَيْنِ فَكِّيْ أَسَدِ الْفَاصِرَةِ

ما حفرةً وراك ملحودها * يَرَّةُ الرُّمَسِ وَلَا طَاهِرِهِ

ومن قولنا في هذا المعنى - وسألتُ بعض موالى السلطان إطلاق محبوس فتلصَّ

لاين مبدربه

فيه ، فقلت :

حَاشَا لِمِثْلِكَ أَنْ يَمُكَ أَسِيرًا * أَوْ أَنْ يَكُونَ مِنَ الزَّمَانِ مُجِيرًا

١٥

لَبَسْتَ قَوَافِي الشَّعْرِ فَيَكُ مَدَارِعًا * سُودًا وَصَلَتْ أَوْجُهًا وَصُدُورًا

هَلَّا عَطَفْتَ بِرَحْمَةٍ لِمَا دَعَتْ * وَيَلَّا عَلَيْكَ مَدَائِحِي وَوُجُورًا

لَوْ أَنَّ لَوْمَكَ عَادَ جُودًا عُسْرُهُ * مَا كَانَ عِنْدَكَ حَاتِمٌ مَذْكُورًا

قال : ومدح ربيعة الرقي يزيد بن حاتم الأزدي ، وهو والى مصر ، فاستبطلاه

ربيعه الرقي
وزيد بن حاتم

وربيعة ، فشخص عنه من مصر وقال :

٢٠

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لَهْ رَاجِعًا * يَخْفَى حُنَيْنٍ مِنْ تَوَالِي ابْنِ حَاتِمٍ

فبلغ قوله يزيد بن حاتم ، فأرسل في طلبه فردَّ إليه . فلما دخل عليه قال له :

(١) القاتمة : مكان في الطريق إلى مصر ، يروون أن أسدًا فيه أكل عجة بن أبي لب

أنت القاتل :

* أراني ولا كفران لله واجما *

قال : نعم . قال : فهل قلت غير هذا ؟ قال : لا والله . قال : اترجعن بخفي
حين مملوءة مالا فأمر بخلع نعليه ومُلئت له مالا ؛ فقال فيه لما عول عن مصر
وولى يزيد بن أسيد السلي مكانه :

بكي أهل مصر بالأمور السواجر . غداة عدا منها الأغر ابن حاتم
وفيها يقول :

لشتان ما بين يزيد في الندي . يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي إضاق ماله . وهم الفتى القيسي جمع الدرام
فلا يحسب التمتام ألى هجوته . ولكنى فضلت أهل المكارم

أجواد أهل الجاهلية

الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر : حاتم بن عبد الله بن سعد
الطائي ، وهريم بن سنان المرسي ، وكعب بن مامة الإيادي .

ولكن المضروب به المثل حاتم وحده ، وهو القاتل لغلامه يسار ، وكان إذا
أشتد البرد وكتب الشتاء أمر غلامه فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر إليها
من أضل الطريق ليلاً فيصيده نحوه ، فقال في ذلك :

أوقد فإن الليل ليل قر . والريح يا موقد ريح صر
عل برى نارك من يمر . إن جلبت ضيفاً فأنت حر
وقالوا : لم يكن حاتم ممسكاً شيئاً ما عدا فرسه وسلاحه ، فإنه كان
لا يوجد بهما .

ومر حاتم في سفره على عزة وفيهم أسير ، فاستفك بجاتم ولم يحضره
فكأك ، فاشتراه من العزيين وأطلقه وأقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه ..
وقالت نوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة اقتصرت لها الأرض واغبر أفق

السماء ، وراحت الإبلُ حُذْبًا حَدَابِيرَ ، وضنت المراضِعُ على أولادها فما تبصّر
بقطرة ، وحلقت السنّةُ المالَ وأيقنّا بالهلاك . فوالله إنائي ليله صَنِيرٌ بعيدةٌ
ما بين الطرفين ، إذ تضاعى صِينَتُنَا جوعاً : عبدُ الله وعدى وسفانة : فقام حاتم
إلى الصَّيْبَيْنِ وقتُ أَنَا إلى الصَّيْبَةِ ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هذاة من الليل ، وأقبل
يعطيني بالحديث . فصرفت ما يريد فتناومتُ ، فلما تهوَّرت النجوم إذا شيء قد
رفع كسر البيت ثم عاد ، فقال : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيتك من
عند صبية يتماوَّرت عواءُ الذئاب ، فما وجدتُ مُعوَّلاً إلا عليك يا أبا عدى ،
فقال : أعجلهم فقد أشبعك الله وإياهم : فأقبلت المرأة تحمل اثنتين ويمشى بجانبها
أربعة ، كأنها نعامه حولها رثاءها : فقام إلى فرسه فوجأ لبته بمذبة فخر ، ثم كسّطه
عن جلده ، ودفع المذبة إلى المرأة فقال لها : شأنك : فاجتمعنا على اللحم نشوى
ونأكل ، ثم جعل يمشى فى الخنى يأتهم بيتاً بيتاً فيقول : هُبُوا أيها القوم ، عليكم
النار . فاجتمعوا والتفتع فى ثوبه ناحية ينظر إلينا ، فلا والله إن ذاق منه مُزعة
وزنه لأخْرَجَ إليه منا : فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر .
فأنشأ حاتم يقول :

١٥ مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِ الْقَوْمِ وَالسَّدَا . وَلَا تَقُولِ لَشَيْءٍ فَاتٍ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِ لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلَكَةً . مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِيَ الْإِنْسَ وَالْحَبْلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً . إِنْ الْجَوَادُ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا
وَرَى حَاتِمٌ يَوْمًا يَضْرِبُ وَلَدَهُ لَمَّا رَأَاهُ يَضْرِبُ كَلْبَةً كَانَتْ تَدَلُّ عَلَيْهِ أَضْيَافَهُ
وهو يقول :

٢٠ أَقُولُ لِابْنِي وَقَدْ سَطَّتْ يَدِي * بِكَلْبَةٍ لَا يَزَالُ يَحْلِلُهَا
أَوْصِيكَ خَيْرًا بِهَا فَإِنْ لَهَا * عِنْدِي يَدًا لَا أَزَالُ أَحْمَدُهَا
تدل ضننى على فى غلس الليل إذا النار نام موقدها
ذكرت طيحي عند عدى بن حاتم أن رجلاً يعرف بأبى الخيرى مر بقبر حاتم
فزل به وجعل ينادى : أبا عدى : أقر أضيافك . قال : فيقال له : مهلاً ما نكلم

من رِمة بالية ؟ فقال : إن طينا يزعمون أنه لم ينزل به أحد إلا قراه ، كالمستزئ
فلما كانت في السحر وثب أبو خيري يصيح : واراقلته : فقال له أصحابه :
ما شأنك ؟ قال : خرج والله حاتم بالسيف حتى عقر ناقى وأنا أنظر إليها .
فتألموا راحلته فإذا هي لا تلبث . فقالوا : قد والله أفرأ . فنحروها وظلوا
يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا ، فبينما هم في مسيرهم إذ طالع عليهم عدى
ابن حاتم ومعه جمل قد قرنه بعبيره ، فقال إن حاتما جاء في النوم فذكر لى قولك
وأنه أفرأ وأصحابك راحلتك ، وقال لى آياتا ردها على حتى حفظتها ، وهى :

أبا الحَـيْرَى وَأنت امرؤ . حسود العشرة شتامها

فإذا أردت لى رِمة * يدأوية صَـحْبِ هَامْها

أَتَبْنى أذاها وإعسارها . وحولك غوث وأنعامها

وإنا لنطعم أضفاننا . من الكُوم بالسيف نعامها

وأمرنى بدفع راحلة عوض راحلتك ، فخذها : فأخذها .

ولحاتم بن عبد الله أيضا :

أماوى قد مالَ التجنبُ والهجرُ . وقد عَدَرَتَا فى طَلَايِكُمُ الْمُدْرُ

أماوى إنَّ المَالَ غَايَ ورائحُ . وَيَقِى مِنَ المَالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

أماوى إِمَّا مَانِعٌ فَبَيْنَ . وإِما عَطَاءٌ لَا يُنْهِيهِ الزَّجَرُ

أماوى إِنْى لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ . إِذَا جَاءَ يَوْمًا حَلَّ فى مَالِ النَّذْرِ

أماوى مَا يُبْنَى الثَّرَاءُ عَنِ الْقَتْلِ . إِذَا حَشَرَجْتَ يَوْمًا وَضاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أماوى إِنْ يُصْنَعُ صدائى بِقَفْرَةٍ . مِنَ الأَرْضِ لَا ماءَ لَدَى ولا نَهْرُ

تَرَى أَنَّ مَا أَهَقْتُ لَمْ يَكْ ضَرْنى . وَأَنْ يَدَى مِمَّا يَخْلُتْ بِهِ صَفْرُ

إِذَا أَنَا دَلَّانِى الذِّينَ يَلُونِى * بِمُظْلِلَةٍ يَلِجَ جَوَانِبُهَا غَبْرُ

وراحوا سراعًا يَنْفُضُونَ أَكْفَهُمْ . يَقُولُونَ قَدْ أَدْنَى أَظْفَارَنَا الحَفْرُ

أماوى إِنْ المَالَ مَالٌ بَذَلْتُهُ * فَأَوَّلُهُ سُكْرٌ وَآخِرُهُ ذِكْرُ .

وقد يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ لو أَنَّ حَاتِمًا * أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفُرُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ رَبَّ وَاحِدَ أُمِّهِ * أَجَرْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَسْرُ
وَلَا أَظْلَمَ ابْنُ الْعَمِّ إِنَّ كَانَ إِخْوَتِي * شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى إِخْوَتِي الدَّهْرُ
غَيْبِنَا زَمَانًا بِالتَّصَدُّكِ وَالنِّبْيِ * وَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَاسِهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَأْوًا^(١) عَلَى ذِي قَرَابَةٍ * غِنَانًا، وَلَا أَزْرَى بِأَحْلَانِ الْفَقْرِ

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

شئ من هرم

مَنْ تُلَاقِي عَلَى عِلَّالِهِ هَرِمًا * تَأْتِي السَّيَّاحَةَ فِي خَنَاقِي وَفِي خُلُقِي
وَكَانَ سَنَانُ أَبُو هَرَمٍ سَيِّدَ غَطَفَانَ، وَمَاتَتْ أُمُّهُ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ، وَقَالَتْ : إِذَا
أَنَا مِتُّ فَتُحْسِنُوا بَطْنِي فَإِنَّ سَيِّدَ غَطَفَانَ فِيهِ . فَلَمَّا مَاتَتْ شَقُوا بَطْنَهَا فَاسْتَخْرَجُوا
مِنْهَا سَنَانًا . وَفِي بَنِي سَنَانَ يَقُولُ زُهَيْرُ :

١٠

قَوْمَ أَبُو هَرَمٍ سَنَانٌ حِينَ تَنْسُبُهُمْ * طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرِيمٍ * قَوْمٌ بِأَوْلِهِمْ أَوْ بِمَجْدِهِمْ ، قَعَدُوا
جَنًّا إِذَا فَرَّعُوا لِنَسْ إِذَا أَمِنُوا * مُرَزَّهَوْنَ بِهَالِيلٍ إِذَا قُصِدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ * لَا يَزِرْعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

١٥

وقال زهير في هرم بن سنان :

وَأَبْيَضُ فَيَاضٍ يَدَاهُ عَمَامَةٌ * عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُقَبُّ نَوَاسِلُهُ
رَأَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا * كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أَخْرَجْتَهُ لَا تُتْلِفُ الْخَيْرُ مَالَهُ * وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلِفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

أخذ الحسن بن هانئ هذا المعنى فقال :

٢٠

فَتَى لَا تَعُولُ الْخَيْرُ شَحْمَةً مَالِهِ * وَلَكِنْ أَيْدِي عُوْدٍ وَبَوَادِي

وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته :

إليك أَعْلَمْتُهَا قُضْلًا مَرَاتُهَا • شهرين يجهض من أرحامها الطَّقُ
حتى دَفَنَ إِلَى حُلِيِّ شِمَائِلِهِ • كالنَّيْتِ يَنْبُثُ فِي آثَارِهِ الْوَرَقُ
من أَهْلِ بَيْتٍ يَرَى ذَوَالْعَرْشِ ضَعْفَهُمْ • يُبْقِي لَهِمْ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مُرْتَقُ
المُطْغَمُونَ إِنَّمَا أَرْزَمَةُ أَرَمْتُ • وَالطَّيِّبُونَ ثَابَا كُلِّ عَرَقُوا
كَأَنَّ آخِرَهُمْ فِي الْجُودِ أَوْ لُحْمُ • إِنَّ الشَّمَائِلَ وَالْإِعْلَاقَ تَتَقُّ
إِنْ قَامَرُوا قَرَرُوا وَأَوْفَاغَرُوا غَرَرُوا • أَوْ نَاضَلُوا فَضَلُوا أَوْ سَاقَرُوا سَقَرُوا
تَنَافَسَ الْأَرْضُ مَوْتَهُمْ إِذَا دُفِنُوا • كَمَا تَنُوفِسُ عِنْدَ الْبَاغَةِ الْوَرَقُ

وقال فيهم أيضاً :

وفهم مقامات حسان وجوههم • وأندية ينهاها القول والفعل ١٠
على مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَتَفَهَّمُ • وَعِنْدَ الْمُقَلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذَلُ
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرِ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا • تَوَارَتْهُ أَبَاهُ أَبَاهُمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْحَطْلُ إِلَّا وَشِجْهَ • وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِهَا النُّخْلُ

وأما كعب بن مامة الإيادي فلم يأت عنه إلا ما ذكر من إثاره رفيقه ١٥
التَّمَرَى بِالسَّاءِ حَتَّى مَاتَ عَطْشًا وَنَجَا التَّمَرَى ، وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ مَا أَتَى لغيره .
وله يقول حبيب :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا • وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَكْثَرُ غَايَةِ الْجُودِ
وله ولحاتم الطائي يقول :

كُتِبَ وَحَاتِمُ اللِّذَانِ تَقَسُّمًا • خَطَطَ الْمَلَأَ مِنْ طَارِفٍ وَتَلِيدِ ٢٠
هَذَا الَّذِي خَلَفَ السَّحَابَ وَمَاتَ ذَا • فِي الْبَدْمَةِ خَضِرٌ صَنِيدِ
إِلَّا يَكُنْ فِيهَا الشَّيْءُ فَقَوْمُهُ • لَا يَسْمَعُونَ بِهِ بِالْفِ شَيْءِ

أجواد أهل الإسلام

عندهم وأما أجواد أهل الإسلام فأحد عشر رجلاً في عصر واحد ، لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم .

أجواد الحجاز جعفر ، وسعيد بن العاص .

أجواد البصرة وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد وهم : عبد الله بن عامر بن كرز ، وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم بن زياد ، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي . وطلحة الطلحات ، وهو طلحة بن عبد الله ابن خلف الخزاعي ، وله يقول الشاعر يرثيه ، ومات بسجستان وهو وال عليها .

نَضَرَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ

أجواد الكوفة وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد ، وهم : عتاب بن ورقاء الرياحي وأسماء بن خارجة الفزارى . وعكرمة بن ربعي الفياض .

فمن جود عبيد الله بن عباس

شئ عن عبيد الله ابن عباس أنه أول من فطر جيرانه . وأول من وضع الموائد على الطرق ، وأول من سبأ على طاعمه ، وأول من أنبه ، وفيه يقول شاعر المدينة :

وَفِي السَّنَةِ الشَّهَاءُ أَدْنَعَتِ حَايَصًا ۝ وَحُلُوا وَلَحْمًا تَامِكًا وَمُصَرَّعًا
وَأَنْتَ رَيْسُ اللَّيْسَاءِ وَغِصْمَةٌ ۝ إِذَا الْمَعْلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ تَطْلَعَا
أَبُوكَ أَبُو الْفَضْلِ الَّذِي كَانَ رَحْمَةً ۝ وَغَوْنًا وَنُورًا لِلْخَلَائِقِ أَتَجَمَّعَا

ومن جوده أنه أتاها رجل وهو بغناه داره فقام بين يديه فقال : يا ابن عباس إن لي عندك يدأ وقد احتجت إليها . فصعد فيه بصره وصوبه ، فلم يعرفه ، ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بزمزم وغلارك يمنح لك من مائتها والشمس قد صهرتك ، فظللتك بطرف كسائي حتى شربت . قال : إني لأذكر

ذلك وإنه يتردد بين خاطري وفكري . ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال : ماتنا دينار وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أراها تنى بحق يده عندنا . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكانت فيه ما كفاه ، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم شفع بك وبأيك .

ومن جوده أيضاً : أن معاوية حبس عن الحسين بن عليّ صلاته حتى ضاقت عليه حاله ، فقيل [له] : لو وجّهت إلى ابن عمك عبيد الله ، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم . فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فوالله لمؤ أجد من الريح إذا عصفت ، وأخفى من البحر إذا زخر . ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم . فلما قرأ عبيد الله كتابه ، وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفاً ، انهملت عيناه ثم قال : وبلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت لئى المهادر وبيع العباد ، والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال . ثم قال لقهرمانه : احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة ، وأخبره أنى شاطرته مالى ، فإن أقمه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر . فقال له القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يُقيم حالك ! فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله ! حلت والله على آبن عمى وما حسبتُه يتسع لنا بهذا كله . فأخذ الشطر من ماله . وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام .

ومن جوده أن معاوية بن أبى سفيان أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا البروز حللاً كثيرة ومسكا وآتية من ذهب وفضة ، ووجهها مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل فى نفسك منها شئ ؟ قال : نعم والله ، إن فى نفسى منها ما كانت فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام . فضحك عبيد الله وقال : فثأرك بها فهى لك . قال : جعلت

فذاك ، أخاف أن يبلغ ذلك معاويةَ فيجده على . قال : فاختتمها بخاتمك وادفنها إلى الخزان ، فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلا . فقال الحاجب : والله هذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية - فلئن عيّد الله أنها مكيدة منه ، قال : دع عنك هذا الكلام ، فإننا قوم نقي بمعا وعدنا ولا نقض ما أكدنا .

٥

ومن جرده أيضاً أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدّق ، فإنّي بُنيتُ أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم وأعتذر إليه ؛ فقال له : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال : فيهما . قال : أما الحسب في الرجل فروه ثم وفله ، وإذا شئت فعلت ، وإذا فعلت كنت حسيباً . فأعطاه ألفي درهم وأعتذر له من ضيق الحال ؛ فقال له السائل : إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه ، وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس . فأعطاه ألفاً أخرى . فقال السائل : هذه هزّة كريم حبيب ، والله لقد نفرتُ حبة قلبي فأفرغتها في قلبك ، فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوارحي .

١٠

ومن جرده أيضاً : أنه جاءه رجل من الأنصار فقال : يابن عم رسول الله ، إنه ولّدت في هذه الليلة مولود ، وإنّي سمّيته باسمك تبركا مني به ، وإن أمه ماتت . فقال عبيد الله : بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة . ثم دعا بوكيله فقال : أنطلق الساعة فاشتر للولود هباريةً تحمضه ، وأدفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته . ثم قال للأنصاري . عدّ إلينا بعد أيام ، فإنك جئتنا وفي العيش يُبس وفي المال قِلّة . قال الأنصاري : لو سبقتُ حاتمًا يوم واحد ما ذكرته العرب أبداً ، ولكنه سبقك فصرّت له تالياً ، وأنا أشهد أنّ عفوك أكثر من مجهوده ، وظلّ كرمك أكثر من وابله .

٢٠

جود عبد الله بن جعفر

ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عامر دخل على نقّاس يمرض قياناً له ؛ فعلق واحدةً منهن ، فشهر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطلّابوس

شئ عن عبيد الله
ابن جعفر

وَجَاهِدَ يَعْلُونَهُ ، فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ :

يَلُومُنِي فِيكَ أَقْوَامٌ أَجْمَلُ سُهُمٍ ، فَمَا بَالِي أَطَارَ اللَّوْمُ أَمْ وَقَمَا

- فَاتَّبَعِي خَبْرَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُمْ غَيْرُهُ ، فَخَجَّ فَبَعَثَ إِلَى
مَوْلَى الْجَارِيَةِ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَمَرَ قِيَمَةَ جَوَارِيهِ أَنْ تَزَيِّنَهَا
وَتَحْلِيهَا ، فَفَعَلَتْ ؛ وَبَلَغَ النَّاسَ قُدُومَهُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا لِيَ لَا أَرَى ابْنَ
أَبِي عِمَارٍ زَارَنَا ؟ فَأَخْبَرَ الشَّيْخُ ، فَأَتَاهُ مُسَلِّبًا . فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ اسْتَجْلَسَهُ ،
ثُمَّ قَالَ : مَا فَكَّلَ حُبُّ فُلَانَةٍ ؟ قَالَ : فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ وَالْمُنْعِ وَالْعَصَبِ . قَالَ :
أَتَعْرِفُهَا لَوْ رَأَيْتَهَا ؟ قَالَ : لَوْ أَذْخَلْتُ الْجَنَّةَ لَمْ أَنْكَرْهَا . فَأَمَرَهَا عَبْدُ اللَّهِ أَنْ تَخْرُجَ
إِلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا اشْتَرَيْتَهَا لَكَ ، وَوَاللَّهِ مَا ذَنُوبُتُ مِنْهَا بِرَفْعِ أَثَمِكَ بِهَا مَبَارَكًا لَكَ
فِيهَا . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ : يَا غُلَامَ ، احْمِلْ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ يَنْعَمُ بِهَا مَعَهَا . قَالَ :
فَبَكَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَحًا وَقَالَ : يَا هَلْ الْبَيْتَ ، لَقَدْ خَصَّكَ اللَّهُ بِشَرَفٍ مَا خَصَّ بِهِ
أَحَدًا قَبْلَكَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ، فَتَهَنَّكَ هَذِهِ النِّعْمَةُ ، وَبُورِكَ لَكُمْ فِيهَا .
وَمِنْ جُودِهِ أَيْضًا أَنَّهُ أَعْطَى امْرَأَةً سَأَلَتْهُ مَا لَا عَظِيمًا ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّمَا لَا تَعْرِفُكَ
وَكَانَ يُرْضِيهَا الْبَسِيرَ . قَالَ : إِنْ كَانَ يَرْضَاهَا الْبَسِيرُ فَإِنِّي لَا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ ،
وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي .

جود سعيد بن العاص

- وَمِنْ جُودِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ مَرَضَ وَهُوَ بِالشَّامِ ، فَعَادَهُ مَعَاوِيَةُ وَنَعِمَهُ
شُرَحْبِيلُ بْنُ السَّمُطِ ، وَمُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرِّي ، وَيَزِيدُ بْنُ شَيْخَةِ الرَّهَاطِيِّ . فَلَمَّا
نَظَرَ سَعِيدُ مَعَاوِيَةَ وَثَبَ عَنْ صَدْرِ مَجْلِسِهِ إِعْظَامًا لِمَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ يَا عُثْمَانُ أَلَّا تَتَحَرَّكَ ، فَقَدْ ضَعُفْتَ بِالْعِلَّةِ . فَسَقَطَ ؛ فَتَبَادَرُ مَعَاوِيَةُ نَحْوَهُ
حَتَّى حَنَا عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ يَدَهُ فَأَقْعَدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَقَدَمَهُ مَعَهُ ، وَجَعَلَ يُسَائِلُهُ عَنْ عِلَّتِهِ
وَمَنَامِهِ وَغَذَائِهِ ، وَيَصِفُ لَهُ مَا يَذْنِي أَنْ يَتَوَقَّاهُ ، وَأَطَالَ الْقُعُودَ مَعَهُ ؛ فَلَمَّا خَرَجَ
التَفْتُ إِلَى شُرَحْبِيلِ بْنِ السَّمُطِ ، وَيَزِيدِ بْنِ شَيْخَةِ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَا خَلَلًا
فِي مَالِ أَبِي عُثْمَانَ ؟ فَقَالَا : مَا رَأَيْنَا شَيْئًا نَنْكَرُهُ . فَقَالَ لِمُسْلِمِ بْنِ عُقْبَةَ : مَا تَقُولُ ؟

شئ من سعيد
ابن العاص

قال : رأيت . قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت على حشمه ومواليه ثياباً ورسحة ، ورأيتُ محض داره غير مكنوس ، ورأيتُ التجار يُخاصمون قهرمانه . قال : صدقت ، كل ذلك قد رأيته . فوجه إليه مع مُسلم بثلاثمائة ألف ، فسبق رسولُ يشره بها ويُبخره بما كان . فنضب سعيد وقال للرسول : إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء ، وتأول فأخطأ ؛ فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته آتسخ ثوبه ، وأما كُدس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مِرآته ، وتَرَبَّته لُبَّسه ، ومعرفة عطره ، ثم لا يسأل بمن مات هُزلاً من ذي لُحمة أو حُرمة . وأما مُنازعة التجار قهرماناً فمن كثرة خوائجه وبيعته وشرائه ؛ لم يجد بُدّاً من أن يكون ظالماً أو مظلوماً . وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فوصلته كل ذي رحم قاطعة وهناته كرامته النعم بها عليه ، وقد قبلناه وأمرنا لصاحبك منه ١٠ بمائة ألف ، ولشُرَّحيل بن السَّمط بمئله ، وليزيد بن شَجرة بمئله ، وفي سعة الله وتَبَسُّط يد أمير المؤمنين ما عليه مُعولنا .

فركب مُسلم بن عُبَبة إلى معاوية فأعلمه ، فقال : صدق ابن عمي فيما قال ، وأخطأت فيما انتهيت إليه ، فأجعل نصيبك من المال لروح بن زُبَيع عُقوبة لك ، فإنه من جنى جناية عوقب بمئله ، كما أنه من فعل خير اكوفى عليه . ١٥

ومن جوده أيضاً أن معاوية كان يُداول بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة ، فكان مروان يُقارضه ، فلما دخل على معاوية قال له : كيف تركت أبا عبد الملك ؟ يعني مروان . قال : تركته منفذاً لأمرك ، مُصلحاً لمملك . قال معاوية : إنه كصاحب الخُبْزة : كُنْني إنضاجها فأكلها ؛ قال : كلا يا أمير المؤمنين ؛ إنه من قوم لا يأكلون إلا ما حصدوا ، ولا يحصدون إلا ما زرعوا . قال : فما الذي ٢٠ باعد بينك وبينه ؟ قال خِفْتُه على شرفي وعاقبي على مثله . قال : فأى شيء كان له عندك ؟ قال : أسوؤُهُ حاضراً وأسرُّهُ غائباً . قال : يا أبا عثمان ، تركتنا في هذه الحروب . قال : حملت الثقل وكُفِّيت الحزم . قال : فما أبطأ بك ؟ قال غَنَاؤك غنى أبطأني عنك ، وكنتُ قريباً لو دعوتُ لأجبتك ، ولو أمرتُ لأطعنك . قال :

ذلك ظننا بك . فأقبل معاوية على أهل الشام فقال لأهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم . ثم قال : أخبرني عن مالك ، فقد بُنيت أنك تَحَرَّى فيه . قال : يا أمير المؤمنين ، لنا مالٌ يُخْرَجُ لنا منه قَصَلٌ ، فإذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قَلته ، وإن كان كثيرا فكذلك ، غير أننا لا نتدخر منه شيئا عن مُعِير ولا طالب ولا مستعمل ، ولا نستأثر منه بفِلْذة لحم ولا مُرْعة شحم . قال : فكَمْ يدوم لك هذا ؟ قال من السَّنة نِصْفَهَا . قال : فما تصنع في باقيها ؟ قال : نجد من يُسلفنا ويُسارع إلى معاملتنا . قال : ما أجدُ أَخْرَجَ إلى أن يصلح من شأنه منك . قال : إن شأنا لصالح يا أمير المؤمنين ، ولو زدت في مالي مثله ما كنتُ إلا بمثل هذه الحال . فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم ، وقال : اشتر بها ضيعة تُعينك على مروءتك . فقال سعيد : بل أشتري بها حمداً وذكرًا باقيا . أطعم بها الجائع ، وأزوج بها الأتيم ، وأفك بها العاني ، وأواسي بها الصديق ، وأصلح بها حال الجار فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية : ماضية بعد الإيمان بالله هي أرفعُ في الذكر ولا أنبه في الشرف من الجود ، وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود أخذ صفاته .

ومن جوده أيضا ما حكاه الأصمعي ، قال : كان سعيد بن العاص يسمر معه سباه إلى أن ينقضي حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلةً ورجلٌ قاعد لم يقم ، فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجبتك يا قتي ؟ فذكر أن عليه ديناً أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ، وكان إطفاءه للشمعة أكثر من عطائه .

جود عبيد الله بن أبي بكر

ومن جود عبيد الله بن أبي بكر أنه أدلى إليه رجل بحمرة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فقال : أصلحك الله ، ما وصلني أحدٌ بمثلها قط ، ولقد قطعت لسانِي عن شكر غيرك ، وما رأيتُ الدنيا في يد أحدٍ أحسنَ منها في يدك ، ولو لا أنت لم تبق لها بهجةٌ إلا أظلمت ، ولا نورٌ إلا انطمس .

عن عبيد الله
ابن أبي بكر

جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي

شراء عن عبيد الله
ابن معمر

- ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي ، أن رجلاً أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد أدبها بأنواع الأدب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك ، ثم إن الدهر قَعَدَ بِسَيِّدِهَا ومال عليه . وَقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ مَعْمَرِ البَصْرَةَ من بعض وجوهه ، فقالت لسيدها : إني أريد أن أذكر لك شيئاً أستحي منه ، إذ فيه جفاء مني ، غير أنه يُسَهِّلُ ذلك عليّ ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك ، وما أخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال ، وهذا عُيْدُ اللَّهِ بنِ مَعْمَرِ قَدِمَ البَصْرَةَ ، وقد علت شرفه وفضله وسمة كَفَّهُ وجود نفسه ، فلما أذنت لي فأصلحت من شأنى ثم تقدمتُ إلى إليه وعرضتُ عليه هدية ، رجوتُ أن يأتنيك من مكافأته ما يُقْبِلُكَ اللَّهُ به وَيُنْهَضُكَ إن شاء الله . قال : فبكي وجدّاً عليها ١٠ وجزعا لفراقها منه ، ثم قال لها : لولا أنك نطقت بهذا ما آتدأتك به أبداً . ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله فقال : أعزك الله ، هذه جارية ربيتها ورضيتُ بها لك ، فأقبلها مني هدية . فقال : مثلي لا يستهني من مثلك ! فهل لك في بيعها فأجزيل لك الثمن عليها حتى ترضى ؟ قال : الذي تراه . قال : يُقْبِعُكَ مني عَشْرُ بَدْرٍ في كل بدرة عشرة آلاف درهم ؟ قال : والله ياسيدي ما امتد أُملى إلى ١٥ عشرٍ ما ذكرت ، ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور . فأمر عبيد الله بإخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه ، وقال للجارية : ادخلي الحجاب . فقال لسيدها : أعزك الله ! لو أذنت لي في وداعها ! قال : نعم . فوفقت وقام ، وقال لها وعيناه تدمعان :
- أَبْجُحُ بِجُزْنٍ من فِرَاقِكَ مُوجِعٍ * أَقَامِي به لَيْلًا يُطِيلُ تَفَكُّرِي
ولولا قُودُ الدَّهْرِ بي عنك لم يكن * يُفَرِّقُنَا شَيْءٌ سوى الموتِ فَأَعْزُرِي
عليك سَلامٌ لا زيارَةَ بَيْنَنَا * ولا وَصَلَ إلا أن يشاءَ ابنُ مَعْمَرٍ
- قال عبيد الله بن معمر : قد شئتُ ذلك ، فخذ جاريك وبارك الله لك في المال . فذهب بجاريته وماله فماد غنياً .

فهؤلاء أجواد الإسلام المشهورون في الجود المنسوبون إليه ، وهم أحد عشر رجلا كما ذكرنا وتسمينا ه وبدم طبقة أخرى من الأجواد ، قد شُهِرُوا بالجود وعُرفوا بالكرم ، وسُحِّدَتْ أفعالهم ، وسندكر ما أمكننا ذكره منها إن شاء الله تعالى :

الطبقة الثانية من الأجواد

فهم الحكم بن حنطب

٥

قبل لنصيب بن رباح : خَرِفَ شِعْرُكَ أَبَاحِجِن اقال لا ، ولكن خَرِفَ الكرم ؛
لقد رأيتني ومدحتُ الحكم بن حنطب ، فأعطاني ألف دينار ومائة ناقه وأربع مائة شاة .
وسأل أعرابي الحكم بن حنطب ، فأعطاه خمسمائة دينار ، فبكى الأعرابي ،
فقال : ما يُكَيِّك يا أعرابي ؟ لعلك استقلت ما أعطيتك ! قال : لا والله ، ولكني
أبكى لِمَا تَأْكُلُ الأَرْضُ مِنْكَ ، ثم أنشأ يقول :

١٠

وَكُنَّ أَدَمَ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ ه أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوَاءِ
يَبْنِيهِ أَنْ تَرْعَاهُمُ فَرَعَيْتَهُمْ ه فَكَفَيْتَ أَدَمَ عَيْلَةَ الْآبَاءِ

العنبي قال : أخبرني رجل من أهل منبج ، قال : قدم علينا الحكم بن حنطب
وهو مُتَمَلِّقٌ فَأَغْنَانَا ا قال له : كيف أغناكم وهو مُتَمَلِّق ؟ قال : علينا المكارم ، فعاد
غنيانا على فقيرنا .

١٥

ومنهم معن بن زائدة

وكان يقال فيه : حَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ، وَحَدَّثَ عَنْ مَعْنٍ وَلَا حَرَجَ ؛
وَأَتَاهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ ، قَالَ : يَا غُلَامَ ، أَعْطِيهِ فَرَسًا وَبِرْدَتُونًا وَبَغْلًا
وَعَبِيرًا وَيَعِيرًا وَجَارِيَةً . وقال : لو عرفتُ مركوبًا غير هؤلاء لأعطيتك .

العنبي قال : لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع إليه الناس ، أتاه مروان
ابن أبي حفصة فأخذ بضادتي الباب ، فأنشده شعره الذي قاله فيه :

٢٠

فَا أَحْسِمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةً ه وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فَيْكَ مَطْلَعًا
لَهُ رَاحَتَانِ الْخَفْتُ وَالْجُودُ فِيهِمَا ه أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَصْرُ وَيَنْفَعَا

ومنهم يزيد بن المهلب

وكان هشام بن حسان إذا ذكره قال : والله إن كانت السفن لتجري
فيه منه في جوده .

وقيل ليزيد بن المهلب : مالك لا تبني دارا ؟ قال : منزلي دار الإمارة
أو الحبس .

ولما أتى يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب ، نال منه بعض جلسائه
فقال له : مَهْ ! إن يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما .
ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده :

صَحَّ في قَيْدِكَ السَّاحَةُ وَالْجَزْءُ دُ . وَقَلَّ الْعُنَاةُ وَالْإِفْضَالُ

قال : أتمدحني وأنا في هذه الحال ؟ قال : أصبتك رخيصة فأشتريتك . فأمر
له بمشرة آلاف .

وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير : أغرم دينك خمسين مرة .
قال : ليس عندي ما أغرم . قال : والله لتغرمَ دينك مائة مرة . قال يزيد بن
المهلب : أنا أغرمها عنه يا أمير المؤمنين . قال : أغرم . فغرمها عنه مائة ألف .

العتبي قال : أخبرني دَوَّانَةُ قال : استعمل الوليد بن عبد الملك عثان بن حيان
المُرِّي على المدينة وأمره بالنظفة على أهل الظنة ؛ فلما استخلف سليمان أخذه
بألفي ألف درهم ؛ فاجتمعت القيسية في ذلك فتحملوا اضطرها وضاقوا ذرعا بالسطر
الثاني . ووافق ذلك استعالم سليمان يزيد بن المهلب على العراق . فقال عمر بن
هيرة : عليكم يزيد بن المهلب ، فلما أخذ غيرة ! فتعملوا إلى يزيد وفيهم هُجر بن
هُبيرة ، والقَعْقَاع بن حبيب ، والهذيل بن زُفر بن الحارث ، وانهوا إلى رُواق
يزيد . قال يحيى بن أنثُل - وكان حاجبا ليزيد بن المهلب وكان رجلا من الأزد -
فاستأذنت لهم فخرج يزيد إلى الرواق فقرب ورتب ، ثم دعا بالعداء ، فأثروا بطعام
ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا ، فلما تقدوا تكلم عثان بن حيان وكان لسانا

مفوها ، وقال : زادك الله في توفيقك أيها الأمير ، إن الوليد بن عبد الملك وجهني إلى المدينة عاملا عليها ، وأمرني بالنظرة على أهل القلعة والأخذ عليهم ؛ وإن سليمان أغرمني غُرماً ، والله ما يَسَعُهُ مَالِي وَلَا تَحْمِلُهُ طَائِفِي ؛ فَأَتَيْتُكَ لِحَمَلِ مِنْ هَذَا الْمَالِ مَا خَفْتُ عَلَيْكَ ، وَمَا بَقِيَ وَالله ثَقِيلٌ عَلَيَّ . ثُمَّ تَكَلَّمَ كُلُّ مِنْهُمْ بِمَا حَضَرَهُ ، وَقَدْ اخْتَصَرْنَا كَلَامَهُمْ .

٥ فقال يزيد بن المهلب : مرحباً بكم وأهلاً ، إن خير المال ما قُضِيَ فِيهِ الْحَقُوقُ وَوُحِلَتْ بِهِ الْمَنَافِعُ ، وَإِنَّمَا لِي مِنَ الْمَالِ مَا قَضَلَّ عَنْ إِخْوَانِي ، وَأَيْمُّ الله لو عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَمَلًا بِحَاجَتِكُمْ مَنِي لَهَدَيْتُكُمْ إِلَيْهِ فَاحْتَكِرُوا وَأَكْرَبُوا . فقال عثمان بن حيان : النصف أصلح الله الأمير . قال : نعم وكرامة ، اغْدُوا عَلَى مَالِكٍ تَغْلُوهُ .

١٠ فاشكروا له وقاموا فخرجوا . فلما صاروا على باب السراشق قال عمر بن هُبَيْرَةَ : قَبِّحَ اللهُ رَأْيَكُمْ ، والله ما يبالي يزيد أن يَصْنَعَهَا تَحْمَلُ أَمْ كُلُّهَا . فَمِنْ لَكُمْ بِالنِّصْفِ الْبَاقِي ؟ قَالَ الْقَوْمُ : هَذَا والله الرَّأْيُ ! وَسَمِعَ يَزِيدُ مُنَاجَاتِهِمْ ، فَقَالَ لِحَاجَتِهِ : انظُرْ يَا بَيْحِي إِنْ كَانَ بَقِيَ عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ فَلْيَرْجِعُوا ، فَرَجِعُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا : أَقْلُنَا قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . قَالُوا : فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَحْمِلَهَا كُلُّهَا فَأَنْتَ أَهْلُهَا ، وَإِنْ أَيْبَسَتْ فَمَا لَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

٢٠ وغداً يزيد بن المهلب إلى سليمان فقال : يا أمير المؤمنين ، أتاني عثمان بن حيان وأصحابه . قال : أَمْسِكُ فِي الْمَالِ ؟ قال : نعم . قال سليمان : والله لا أَخَذْتُهُ مِنْهُمْ . قال يزيد : إِنِّي قَدْ حَمَلْتُهُ . قال : فَأَدِّهِ : قَالَ يَزِيدُ والله ما حملته إلا لأَوْقِيهِ ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذِهِ السَّعَالَةَ وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا ، لَحَمْدُهَا وَالله أَعْظَمُ مِنْهَا ، وَيَدِي مَبْسُوطَةٌ بِيَدِكَ ، فَابْسُطْهَا لِسُرَّالِهَا . ثُمَّ غَدَا يَزِيدُ بِالْمَالِ عَلَى الْخُرَّانِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ . فَدَخَلُوا عَلَى سُلَيْمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ ، فَقَالَ : وَفَتْ يَمِينُ سُلَيْمَانَ ، أَحَلُّوا لِي أَبِي عَالِدَ مَالِهِ .

فقال عدى بن الرقاع العجلي :

وَلَقَدْ عَيْنَا مَنْ رَأَى كَعَمَالَةٍ . تَحْمِلُهَا كُثْبُ الرِّقَاقِ يَزِيدُ
الاصمعي قال : قدم على يزيد بن المهلب قومٌ من قُضاعة من بني ضَبَّة ، فقال
رجل منهم :

- واقتر ما ندرى إذا ما فاتنا . طَلَبَ إِلَيْكَ مَنْ الْغَى نَتَطَلَّبُ ؟
ولقد صَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ . أَحْدَاثُكَ إِلَى الْمَكَارِمِ يُنْسَبُ
فَاصْبِرْ لِمَا دَنَّا الْيَاقِ عَوْدَتَنَا . أَوْ لَا فَارِشِدُنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ ؟
فأمر له بألف دينار : فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال :
مَالِي أَرَى أَبَوَاهُمْ مَهْجُورَةٌ . وَكَأَنَّ بِإِيكَ تَجْمَعُ الْإِنْسَاقِ
أَرْجُوكَ أَمْ عَافُوكَ شَامُوا النَّدَى . يَدِيكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ
• ١٠ إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقًا . وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلُهُ الْعُشَاقِ
فأمر له بمئنة آلاف درهم .

- ومر يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية ، فأهدت إليه عزا ، فقبلها
وقال لابنه معاوية : ما عندك من نفقة ؟ قال : ثمانمائة درهم . قال : ادفعها إليها
• ١٥ قال إنها لا تعرفك ويُرَضِيها اليسير قال : إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي ،
وإن كان يُرَضِيها اليسير فأنا لا أَرْضَى إِلَّا بِالْكَثِيرِ .

ومنها يزيد بن حاتم

- وكتب إليه رجل من العلماء يستوصله ، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم ، وكتب
إليه : « أما بعد ، فقد بعثت إليك بثلاثين ألفاً ، لا أكثرها آمناً ، ولا أقلها
تجبراً ، ولا أستتيك عليها ثناء ، ولا أقطع لك بها رجاء ، والسلام » .
• ٢٠ وكان ربيعة الرقي قد قدم مصر فأقى يزيد بن حاتم الوردى فلم يعطه شيئاً ،
فشغل عنه يعض الأمر ، فخرج وهو يقول :
أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ اللَّهِ رَاجِعًا . بِخُفَى حُنَيْنٍ مِنْ تَوَالِي ابْنِ حَاتِمٍ

فسأل عنه يزيد ، فأخبر أنه قد خرج وقال كذا ، وأُنفذ البيت ؛ فأرسل في طلبه فأتى به ، فقال : كيف قلت ؟ فأنفذه البيت ؛ فقال شُرُفُنَا عَنْكَ ! ثم أمر بِخُفْيِهِ غُلْفَتَنَا مِنْ رَجُلِيهِ وَمُلْتَنَا مَالًا ، وقال : ارجع بهما بدلًا من خُفْيِ حُنَيْنٍ ! فقال فيه لما عُولَ عَنْ مِصْرَ وَوَلَّى مَكَانَهُ يَزِيدُ بْنُ حَاتِمٍ :

• بَكَى أَهْلُ مِصْرَ بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ • غَدَاةً غَدَا مِنْهَا الْاَغْرُ ابْنُ حَاتِمِ
وفيه يقول :

لِشَتَانٍ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى • يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْاَغْرُ ابْنُ حَاتِمِ
فَهُمُ الْفَتَى الْاَزْدَى لِتَلَاُفِ مَالِهِ • وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِيُّ بَجْعِ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسَبُ التَّمَتُّامُ اَنْ يَهْجُوهُ • وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ اَهْلَ الْكَلَامِ (١)
١٠ وخرج إليه رجل من الشعراء يمدحه ، فلما بلغ مصر وجده قد مات ؛ فقال فيه :

لَنْ مِصْرُ فَاتَنِي بِمَا كُنْتُ اَرْجُو • وَأَخْلَقَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ اَتْلُو
فَا كُلُّ مَا يَخْشَى الْفَتَى بِمُصِيهِ • وَلَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نَائِلُو
وَمَا كَانَ بَيْنِي لَوْ لِقَيْتَكَ سَالِمًا • وَبَيْنَ الْفَتَى اِلَّا لِبَالٍ قَلِيلُو

ومنهم أبو دُلْفٍ

١٠

واسمه القاسم بن إسماعيل ، وفيه يقول علي بن جبلة :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ • بَيْنَ مَبْدَأِهِ وَخُتْمِهَا
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ • وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة :

• اللَّهُ أَجْرَى مِنَ الْأَرْزَاقِ أَكْثَرُهَا • عَلَى الْعَبَادِ ، عَلَى كَفَى أَبِي دُلْفٍ
• بَارَى الرِّيَاحَ فَأَعْطَى وَهِيَ جَارِيَةٌ • حَتَّى إِذَا وَقَفَتْ أَعْطَى وَلَمْ يَقِفْ

٢٠

ما خَطَّ « لا ، كَاتِبَاهُ فِي صِحْفَتِهِ » يَوْمًا كَا خُطَّ « لا ، فِي سَائِرِ الصُّحُفِ
فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا .

ومدحه آخر فقال فيه :

يُشَبِّهُهُ الرَّعْدُ إِذَا الرُّعْدُ رَجَفَ * كَأَنَّهُ الْبَرْقُ إِذَا الْبَرْقُ خَطَفَ
كَأَنَّهُ الْمَوْتُ إِذَا الْمَوْتُ أَزِفَ * تَحْمِلُهُ إِلَى الْوَعَى الْخَيْلُ الْقُطْفُ
إِنْ سَارَ سَارَ الْمَجْدُ أَوْ حَلَّ وَقَفَ * انْظُرْ بِعَيْدِكَ إِلَى أَسَى الشَّرَفِ
مَلَّ نَالَهُ بَقْدَرَةٍ أَوْ بِكُفٍّ * خَلَقَ مِنَ النَّاسِ سِوَى أَبِي دُلْفٍ
فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا .

ومن أخبار معن بن زائدة

١٠ قال شراحيل بن معن بن زائدة : حج هارون الرشيد وزميله أبو يوسف
القاضي ، وكنت كثيرا ما أسيره ، إذ عرض له أعرابي من بني أسد فأثنى به شعرا
مدحه فيه وأفرط ، فقال له هارون : أَلَمْ أَتُهَكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا فِي مَدْحِكَ يَا أَمَا
بَنِي أَسَدٍ ؟ إِذَا قُلْتَ فِينَا قُلْ كَقَوْلِ الْقَائِلِ فِي أَبِي هَذَا :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْاَلْقَاءِ كَانَهُمْ * أَسْوَدَ لَهَا فِي غَيْلِ خِثْمَانِ أَشْبَلُ
هَمْ يَتَمَنُّونَ الْجَارَ حَتَّى كَانَمَا * لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّامَكَيْنِ مَنَزَلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ * كَاوَلَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَهْلَهُمْ * وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْمَلُوا
هَمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعَا * أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

ومعهم خالد بن عبد الله القسري

٢٠ وهو الذي يقول فيه الشاعر : شىء عنه

... إِلَى خَالِدٍ حَتَّى أُنِخْنَ بِخَالِدٍ * فَنِعْمَ النَّقَى يُرْجَى وَنِعْمَ الْمُؤْتَلُ

بيننا خالد بن عبد الله القسري جالس في مظلة له ، إذ نظر إلى أعرابي يجتبه به بعيره مُقبلاً نحوه ؛ فقال لحاجبه . إذا قدم فلا تجبّه . فلما قدم أدخله عليه ، فسلم وقال :

أصلحك الله قلّ ما يدي . فما أطيق العيال إذ كثروا

أناخ دهمراً ألقي بكنزك . فأرسلوني إليك وانتظروا

فقال خالد : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم . وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة .

ومنهم عدى بن حاتم

دخل عليه ابن دارة فقال : إني مدحتك . قال : أمسك حتى آتيك بمال ثم
 ١٠ امدحنى على حسب ، فإني أكره ألا أعطيك ثمن ما تقول ، لى ألف شاة ، وألف
 درهم ، وثلاثة أعبد ، وثلاث إماء ، وقرسى هذا حبس في سيل الله ، فامدحنى
 على حسب ما أخبرتك . فقال :

تحنّ قلوبى في مَعَدٍ ، وإنما . تلاقى الرّيع في ديارِ بنى نَعْلٍ
 وأبقى الليال من عدى بن حاتم . حساماً كنصل السيف سُلّ من الحِلَلِ
 أبوك جَوَادٌ لا يُشَقُّ غُبَارُهُ * وأنت جَوَادٌ لست تُفَقَّرُ بِالِطَّلِ
 ١٥ فَإِنْ تَفْعَلُوا شَرّاً فَمَنْ لَكُمْ أَتَقِي * وإن تَفْعَلُوا خيراً فَمَنْ لَكُمْ قَتَلُ
 قال له عدى : أمسك ؛ لا يبلغ مال أكثر من هذا .

أصفاد الملوك على المدح

سعيد بن مُسلم الباهلى قال : قدم على الرشيد أعرابي من باهلة وعليه حُجّة
 ٢٠ حَبْرَةٍ ، ورداء يَمَانٍ قد شدّه على وسطه ثم ثناه على عاتقه ، وعلامة قد عصها على
 قَوْدِيهِ وأرغى لها عَذْبَةً من خَلْفِهِ ، فَتَلَّ بين يدي الرشيد ، فقال سعيد :
 يا أعرابي ، خذ في شرف أمير المؤمنين . فاندفع في شعره . فقال الرشيد :

- يا أعرابي ، أسلمك مُستعسِنا وأنكركَ مَتَّهما : قتل لنا يَتَيْنِ في هَذينِ - يعني عَمَدًا
الأمِينِ وعَدَّ الله المَأْمُونِ ابنِهِ ، وهما عن خافِهِ ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
حَمَلْنِي على الوَغْرِ القَرَدَدِ وجَفَنِي عن السَّهْلِ الجَدَدِ ، روعَةُ الخِلاَةِ ، وبُهِرُ
الرجَّةِ ، ونَفُودُ القَوَاتِي على البَيْسَةِ : فَأَرَوِدُنِي تَأْفِلِي نَوَافِرُها ويسكن روعِي .
قال : قد فُعلتُ ، وجعلتُ اعتذارَكَ بدلًا من امتحانِكَ . قال : يا أمير المؤمنين ،
نَقَسْتَ الخِثاقَ ، وسهلتَ ميدانَ السِّبَاقِ : فَأَنْشَأْ يقول :

- بَلَّيْتُ لِعَبْدِ اللهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ . ذُوَ قَبَّةِ الإِسْلامِ فَأَخْضَرَ عودُها
هما طُنبُها ، بَارَكَ اللهُ فِيهما . وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمودُها
فقال الرشيد : وَأَنْتَ يا أعرابي ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ ! فَسَلِّ وَلَا تَكُنْ مَسْأَلُكَ
دون إحسانِكَ . قال المُنْبِيَّةُ يا أمير المؤمنين . فَأَمَّرَ لَهُ بِمَاتَةِ نَاقَةٍ وَسَمِعَ خَلَجٌ .

- وقال مروان بن أبي حفصة : دخلت على المهدي فاستعذني ، فأشدته الشعر
الذي أقول فيه :

المهدي ومروان
ابن أبي حفصة

- طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ غَيَّيَتْ خَيَالَهَا . يَصْنَاءُ تَنْشُرُ بِالْجَبَاءِ دَلَالَهَا
قَادَتْ قَوَادِكَ فَاسْتَعَاذَ وَمِثْلُهَا . قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمْلَاهَا
حتى انتهيت إلى قول :

- شَهِدْتُ مِنَ الْأَفْئَالِ آخِرُ آيَةٍ ^(١) * يَتَرَاهِمُ فَرَجُوْنُهُمْ إِبْطَالَهَا
هَلْ تَقْلِمُسُونَ مِنَ السَّيِّئِ نَجْوَمَهَا . بَأْكُفُّكُمْ أَوْ تَنْشُرُونَ هِلَالَهَا
أَوْ تَجْمِدُونَ مَقَالَةَ عَنْ رَبِّكُمْ * جِسْبِرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا
قال : وَأَنْشَدْتُهُ أَيْضًا شِعْرِي الَّذِي أَقُولُ فِيهِ :

- يَا بْنَ الذِّئْبِ وَرِثَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا . دون الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ
الْوَحْيُ بَيْنَ نَبِيِّ الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ * قُطِعَ الْحِصَامُ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ

(١) يريد قوله تعالى (والذين آمنوا من بعد وما جروا وما جدوا منكم فأولئك منهم)
وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم .

ما للنساء مع الرجال فريضة ۝ تَزَكَّتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْإِنْعَامِ
أَنِّي يَكُونُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنْ ۝ لَيْتَنِي الْبَنَاتُ وَرِثَةُ الْأَعْمَامِ
أَنِّي سَيَاهَهُمُ الْكِتَابُ خَاوَلُوا ۝ أَن يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامِ
ظَفِيرَتِ بَنُو سَاقِ الْحَجَّاجِ بِحَقِّهِمْ : وَغَرَزْتُمْ بِتَوَهُمِ الْأَحْلَامِ

٥ قال مروان بن أبي حفصة : فلما أُنشِدت المهدى الشعرين قال : وجب حَقُّكَ
على هؤلاء - وعنده جماعة من أهل بيته - قد أمرتُ لك بثلاثين ألفاً ، وقَرَضْتُ
على موسى خمسة آلاف ، وعلى هارون مثلاًها ، وعلى علي أربعة آلاف ، وعلى
العبَّاس كذا ، وعلى فلان كذا غَسَبْتُ سَبْعِينَ ألفاً . قال : فأمر بالثلاثين ألفاً
فَأَتَى بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : اغْدُ عَلَى هَؤُلَاءِ وَخُذْ مَا قَرَضْتُكَ . فَأَتَيْتُ مُوسَى فَأَمَرَنِي
بِخَمْسَةِ آلاف ، وَأَتَيْتُ هَارُونَ فَأَمَرَنِي بِمِثْلِهَا . وَأَتَيْتُ عَلِيّاً ، قَالَ : قَصِّرْ بِي دُونَ
١٠ إِخْوَتِي فَلَنْ أَقْصِرَ بِنَفْسِي . فَأَمَرَنِي بِخَمْسَةِ آلاف فَأَخَذْتُ مِنَ الْبَاقِينَ سَبْعِينَ ألفاً .

عبد الملك
وأعشى ربيعة

ودخل أعشى ربيعة على عبد الملك بن مروان ، وعن يمينه الوليد وعن يساره
سليمان : فقال له عبد الملك : ماذا بقي يا أبا المنيرة ؟ قال : مضى ما مضى وبقي
ما بقي . وأنشأ يقول :

١٥ وما أنا في حَقِّي وَلَا في حُصُونِي ۝ بِمُهْتَظَمٍ حَقِّي وَلَا قَارِعٍ سَيِّئِي
وَلَا مُسْلِمٍ مَوْلَايَ مِنْ سَوْءٍ مَا جِئِي ۝ وَلَا خَائِفٍ مَوْلَايَ مِنْ سَوْءٍ مَا أَجْنِي
وَنَفْضِي فِي الْأَقْوَامِ وَالشَّعْرِ أَنِّي ۝ أَقُولُ الَّتِي أَغْنِي وَأَعْرِفُ مَا أَغْنِي
وَأَنْ فَوَادِي بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالَمٌ ۝ بِمَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي
وَأِنِّي وَإِنْ فَصَلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ ۝ عَلَى النَّاسِ ، قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبِي وَابْنِ

٢٠ نَضْحَكُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَقَالَ لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ : أَنْتُمَا عَلَى هَذَا ؟ وَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلاف .

عبد الرحمن
ابن الحكم
الفرزدق

العتيبي قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن الثقفي بن أم الحكم ، فقال له
عبد الرحمن : أبا فراس ، دعني من شعرك الذي لا يأتي آخره حتى يُلْتَمَسَ أَوَّلُهُ ،
وَقُلْ فِي يَدَيْهِ يَتَقَلَّانِ أَنْوَاهُ الرِّوَاةِ ، وَأَعْطِيكُمَا عَطِيَّةً لَمْ يُعْطِكُمَا أَحَدٌ قَبْلِي .

فقدنا عليه وهو يقول :

وَأَنْتَ ابْنُ بَطْنِهَاوَيِّ قُرَيْشٍ فَإِنْ تَقَنَّأَ ۝ فَكُنْ مِنْ نَقِيفِ سَيْلِ ذِي حَدَبٍ عَمْرٍ
وَأَنْتَ ابْنُ قَرْعٍ مَاجِدٍ لَقَيْلَةٍ ۝ تَلَقَّتْ لَهُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ بِالْبَدْرِ
قَالَ : أَحْسَنْتَ ، وَأَمْرٌ لَهُ بَعْشَرَةُ آلَافٍ .

الفضل بن يحيى
وافى من التجار

٥ أبو سويد قال : أَخْبَرَنِي الْكُوفِيُّ قَالَ : اعْتَرَضَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فِي
وَقْتُ خُرُوجِهِ إِلَى خِرَاسَانَ فَقِي مِنَ التَّجَارِكِ كَانَ تَخْتَصُّ إِلَى الْكُوفَةِ فَقُطِعَ بِهِ وَأُخِذَ
جَمِيعُ مَا كَانَ مَعَهُ ، فَأُخِذَ بِعِزَانِ دَابَّةِ الْفَضْلِ وَقَالَ :

سَأَرْسِلُ بَيْتًا لَيْسَ فِي الشَّعْرِ مِثْلُهُ ۝ يُقَطِّعُ أَغْنَاكَ الْبَيْوتِ الشَّوَارِدِ
أَقَامَ النَّدَى وَالْبَأْسُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ۝ أَقَامَ بِهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
قَالَ فَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

١٠

العبي : قَالَ أَبُو الْجَنُوبِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ أَيْتَانًا وَرَفَعَهَا إِلَى زَيْدَةَ ابْنَةِ
جَعْفَرٍ يَمْتَدِّحُ ابْنَهَا مُحَمَّدًا ، وَفِيهَا يَقُولُ :

زبيدة وابن
أبي حفصة
قرايات مدح
بها الأئمة

لَهُ دَرَكٌ يَا عَقِيلَةَ جَعْفَرٍ ۝ مَاذَا وَلَدَتْ مِنَ الْعُلَاوِ السُّودِ
إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نَوْرُهَا ۝ لِلنَّظَائِرِ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ

١٥

فَأَمَرْتُ أَنْ يُمْلَأَ فَهُ دُرًّا .

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءِ الْكَاتِبِ : قَدِمَ عَلَيْنَا عَلَى بْنِ جَبَلَةَ إِلَى عَسْكَرِ الْحَسَنِ
ابْنِ سَهْلٍ ، وَالْمَأْمُونُ هُنَاكَ بَانِيًا عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ، الْمَرْوُوقَةُ بَيُورَانَ ،
وَنَحْنُ إِذَا ذَاكَ نُجْجَرَى عَلَى نَيْفٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ فَلَاحٍ . وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ مَعَ
الْمَأْمُونِ يَتَصَبَّحُ ، فَكَانَ الْحَسَنُ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ إِلَى وَقْتِ انْتِبَاهِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى بْنِ
جَبَلَةَ نَزَلَ بِي ، فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قَوِيَ شُغْلُ الْأَمِيرِ . قَالَ : إِذَا لَا أَضِيعُ مَعَكَ ۝ قُلْتُ :

الحسن بن سهل
وعلى بن جبلة

٢٠

أَجَلٌ . فَدَخَلْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي وَقْتِ ظُهُورِهِ فَأَعْلَنَتْ مَكَانَهُ ؛ فَقَالَ :
أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَسْتُ بِمُشْغُولٍ عَنِ الْأَمْرِ لَهُ . فَقَالَ : يُعْطَى
عَشْرَةُ آلَافٍ إِلَى أَنْ تَفْرُغَ لَهُ . فَأَعْلَنْتُ عَلَى بْنِ جَبَلَةَ ؛ فَقَالَ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :
أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَقِّ مُبْتَدَأًا ۝ عَطِيَّةٌ كَأَفْأَتْ خُدَى وَلَمْ تَرَى

مَا شِئْتُ بِرَقَّكَ حَتَّى نِلْتُ رِقَّةَهُ . كَأَمَّا كُنْتُ بِالْجَدْوَى تَبَادِرُ

عرض رجل لابن طروق وقد خرج منزهها في الرحبة فناوله رقعة فيها جميع حاجته ، فأخذها فإذا فيها :

جَعَلْتُكَ دُنْيَايَ فَإِنْ أَنْتَ جُدْتَ لِي * بِخَيْرٍ وَإِلَّا فَالْإِسْلَامُ عَلَى الدُّنْيَا
قال : والله لأصدقنَّ نَفْسَكَ . فأعطاه حتى أغناه .

عرض دعبل بن علي الشاعر لعبد الله بن طاهر الخراساني وهو راجب في حراقة له في دجلة ، فأشار إليه برقعة ، فأمر بأخذها ، فإذا فيها :

عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ بْنِ الْحُسَيْنِ كَيْفَ تَسِيرُ وَلَا تَفْرُقُ
وَبِخِرَانٍ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ . وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجِبُ مِنْ ذَلِكَ عِيدَانِهَا . إِذَا مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فأمر له بخمسة آلاف درهم وجرية وفرس .

وخرج عبد الله بن طاهر فتلقاته دعبل برقعة فيها :

طَلَمْتُ قَنَاتَكَ بِالسَّعَادَةِ فَوْقَهَا . مَعْقُودَةٌ بِلَوَاءِ مُلْكٍ مُقْبِلِ
تَهْتَرُ فَوْقَ طَرِيدَتَيْنِ كَأَمَّا . تَهْتَلُو بِقَصِّ لَهَا جَنَاحًا أَجْدَلِ
رَبِيعَ الْبَخِيلِ عَلَى احْتِيَالِ عِرْضِهِ . يَنْدَى بِدَيْكَ وَوَجْهِكَ الْمَتَهَلِّلِ
لَوْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ نَيْلَكَ عَاجِلٌ . مَا فَاضَ مِنْهُ جَدْوَلٌ فِي جَدْوَلِ
فأمر له بخمسة آلاف .

ووقف رجل من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر فأنشده :

إِذَا قِيلَ : أَيْ فَتَى تَعْلَوْنَ . أَحْسَنُ إِلَى الْبَاسِ وَالنَّائِلِ
وَأَضْرَبَ لِلْهَامِ يَوْمَ الْوَعَى . وَأَطَمَ فِي الزَّمَنِ الْمَسَاحِلِ ؟
أَشَارَ إِلَيْكَ بِجِبْجُ الْأَنَامِ . لِإِشَارَةِ غَرَقٍ إِلَى سَاحِلِ
فأمر له بخمسة آلاف درهم .

أحمد بن مطير قال : أنشدت عبد الله بن طاهر أبيتاً كنت تسمعت بها بعض

مبداه بن طاهر
وشاعر

الولاء ، وهي :

- له يوم بُؤس فيه الناس أبؤس • ويوم نعيم فيه الناس أنعم
 فيقطر يوم الجود من كفه الندى • ويقطر يوم البؤس من كفه الندم
 فلو أن يوم البؤس لم يئن كفه • على الناس لم يصبح على الأرض بحريم
 • ولو أن يوم الجود فرغ كفه • لبذل الندى ما كان بالأرض معدم

فقال لى عبد الله : كم أعطاك ؟ قلت : خمسة آلاف . قال : فقبلتها ؟ قلت

نعم . قال لى : أخطأت ؛ ما من هذه إلا مائة ألف .

ودخل حماد مجرد على أبى جعفر بعد موت أبى العباس أخيه فأنشده :

أبو جعفر
 وحامد مجرد

أبوك بعد أبى العباس إذ بانا • يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا

- لو رج عود على قوم عصارتهم • لمج عودك فينا المسك والبان

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

القحذلى قال : جاء موسى شهوات إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ،

سعيد بن خالد
 وموسى شهوات

فقال : إن هنا جارية تمسكتها ، وأبوا أن ينقصوني عن مائتي دينار . فقال :

بورك فيه فذهب إلى سعيد بن خالد بن أسيد ، وأمه عائشة بنت طلحة الطلحات

- فدعا بمطرف خبز فبسطه وعقد في كل ركن من أركانه مائة دينار ، وقال لموسى

خذ المطرف بما فيه . فأخذه ، ثم غدا عليه فأنشده :

أبا خالد أعني سعيد بن خالد • أبا العرف . لا أعني ابن بنت سعيد

ولكننى أعني ابن عائشة الذى • أبو أبويه خالد بن أسيد

عبيد الندى ما عاش يرضى به الندى • فإن مات لم يرض الندى بعبيد

- دعوه دعوه إنكم قد رقدتم • وما هو عن أحسابكم برقود

العبي قال : سمعت عيسى بن شد لآبى العباس الزيرى :

الزيرى
 فى آل مروان

وكل خليفة وولي عهد • لكم يا آل مروان الفداء

إمارتكم شفاء حيث كانت • وبفض أمولة الاقوام ذاء

فَأَنْتُمْ تُخَسِّنُونَ إِذَا مَلَكَتُمْ * وَبَعْضُ الْقَوْمِ إِنْ مَلَكَوا أَسَاءُوا
أَأَجْمَلَكُمْ وَغَيْرَكُمْ سَوَاءٌ * وَيَنْتَكُمُ وَيَنْتَهُمُ الْمَوَاءُ
لَمْ أَرْضَ لَارْجُلَكُمْ وَأَنْتُمْ * لَا يَنْدِينُمْ وَأَرْجُلِهِمْ سَمَاءُ
فَقُلْتُ لَهُ : كَيْمَ أَعْطَى عَلَيْهَا ؟ قَالَ : عَشْرِينَ أَلْفًا .

• الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي رُوَيْبَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سُلَيْمٍ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ ، فَلَمَّا أَبَوْسَلِمَ وَرَوَّيَةَ
أَبْصَرَنِي نَادَى : يَا رُوَيْبَةُ . فَأَجَبْتُهُ :

لَيْتَكَ إِذْ دَعَوْتَنِي لَيْسَكَ * أَحَدٌ رَبًّا سَاقِي إِلَيْكَ
الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ فِي يَدَيْكَ

قَالَ : بَلْ فِي يَدَيِّ أَقْبَرُ تَعَالَى . قُلْتُ لَهُ : وَأَنْتَ إِذَا أَنْعَمْتَ أَجَدْتَ . ثُمَّ قُلْتُ :
١٠ يَأْذُنُ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِنْشَادِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدْتُهُ :

مَازَالَ يَأْتِي الْمُلُوكَ فِي أَقْطَارِهِ * وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ
مُشْتَبِرًا لَا يَصْطَلِي بِنَارِهِ * حَتَّى أَقْرَأَ الْمُلُوكَ فِي قَرَارِهِ

فَقَالَ : يَا رُوَيْبَةُ ، إِنَّكَ أَتَيْتَنَا وَقَدْ شَفَّ الْمَالُ وَاسْتَفْهَدَ الْإِنْفَاقُ ، وَقَدْ أَمَرْنَا
لَكَ بِجَاهِزَةٍ ، وَهِيَ تَافَهَةٌ بِسِيرَةٍ ، وَمِنْكَ الْعَوْدُ وَعَلَيْنَا الْمُعْوَلُ ، وَالنَّهْرُ أَطْرَقَ
١٥ مُسْتَتَبٌ ^(١) ، فَلَا تَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْأَمِيدَةَ . قَالَ رُوَيْبَةُ : فَقُلْتُ : الَّذِي أَفَادَنِي
الْأَمِيرُ مِنْ كَلَامِهِ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي أَفَادَنِي مِنْ مَالِهِ .

هشام ونصيب

وَدَخَلَ نَصِيبُ بْنُ رَبِيعٍ عَلَى هِشَامٍ فَأَنْشَدَهُ :

إِذَا اسْتَبَقَى النَّاسُ الْعُلَا سَبَقْتَهُمْ * يَمِينُكَ عَضُوا ثُمَّ صَلَّتْ شِمَالُكَ
فَقَالَ هِشَامُ : بَاضَتْ نَافَاةُ الْمَدْحِ فَسَلَّتِي . قَالَ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، يَدَاكَ بِالْعَطِيَّةِ
٢٠ أَطْلُقَ مِنْ لِسَانِي بِالسَّأَلَةِ . قَالَ : لَا بُدَّ أَنْ تَفْعَلَ . قَالَ : لِي ابْنَةُ نَفْعَتُ عَلَيْهَا مِنْ
سَوَادِي فَكَسَبْتُهَا ، فَلَوْ أَنْفَقْتُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَشَى . يَجْعَلُهَا لَهَا . قَالَ : فَأَقْطَعُهَا
أَرْضًا ، وَأَمْرُهَا بِحُلَى وَكُسُوةٍ . فَتَفَقَّتِ السَّوْدَاءُ .

(١) الْأَطْرَقُ وَالْمُسْتَتَبُ : مِنْ أَوْصَافِ الْبَعِيرِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الذَّلِيلُ .

الرياشي عن الأصمعي قال : مدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فأمر له بآمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة برأ وتمرأ ؛ فقيل له : أتفضل هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أما إن كان عبداً إن شعره في لحر ؛ ولئن كان أسود إن ثناه لا يبيض ، وإنما أخذت مالا يعني وثياباً تبلى ورواحل تنضى ، وأعطى مديحاً يروى وثناه يبقى .

هشام وأبو النجم وذكروا عن أبي النجم العجلي أنه أنشد هشاماً شعره الذي يقول فيه :

الحد لله الوهوب الجزل

وهو من أجود شعره ، حتى انتهى إلى قوله :

* والشمس في الجو كعين الأحول *

- ١٠ . وكان هشام أحول ، فأغضبه ذلك ، فأمر به فطرد . فأمل أبو النجم رجعه ، فكان يأوى إلى المسجد ، فأرق هشام ذات ليلة فقال لحاجبه : أيقظ رجلاً عربياً فصيحاً يحدثنى وينشدنى . فطلب له ماسأل ، فوجد أبا النجم ، فأتى به ، فلما دخل عليه قال : أين تكون منذ أقصيناك ؟ قال : حيث ألقاني رسولك . قال : فمن كان أبا النجم مثواك ؟ قال : رجلين ، أتندى عند أحدهما وأنعش عند الآخر . قال : فما لك من الولد ؟ قال : ابنتان ، قال أزواجهما ؟ قال : زوّجتُ إحداهما . قال : فبم أوصيتها ليلة أهديتها ؟ قال : قلت لها :

سبي الحياة واجبي عليها . وأن أبت فازدلي إليها

ثم أقرعى بالعود من قتيها * وجددى الخلف به عليها

• لا تغيرى الدهر بذاك ابنتها •

- ٢٠ . قال : فهل أوصيتها بعد هذا ؟ قال : نعم :

أوصيت من برة قلباً برأ . بالكلب خيراً والحمة شرأ

لا تسمى خنقاً لها وجرأ . والحقى همهم بشر طراً

وإن كسوك ذهباً ودراً • حتى يروا حلق الحياة مراً

قال هشام : ما هكذا أوصى يعقوبُ ولده . قال أبو النجم : ولا أنا كييعقوب ،
ولا ولدي كولده . قال : فما حال الأخرى ؟ قال هي ظَلَامَةٌ التي أقول فيها :

كَأَنَّ ظَلَامَةً أَنْتَ شَيْئَانُ . يَتِيمَةٌ وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّأْسُ قَمَلٌ كُلُّهُ وَصَبَّانُ . وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خِيَطَانُ
فَهِيَ التي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ .

قال هشام لحاجبه : ما فعلت بالذنانير التي أمرتك بقبضها ؟ قال : هي عندي ،
وهي خمسمائة دينار . قال له : اذهبها لأبي النجم ليضعها في رجلي ظَلَامَةَ
مكان الخيطين .

أبو عبيدة قال : حدثني يونس بن حبيب قال : لما استخلف مروان بن محمد
دخل عليه الشعراء يهتفون بالخلافة ، فتقدم إليه طرُح بن إسماعيل الثقفي ، قال
الوليد بن يزيد ، فقال : الحمد لله الذي أنعم بك على الإسلام إماماً ، وجملك
لأحكام دينه قواماً ، ولأمة محمد المصطفى جنةً ونظاماً . ثم أنشده شعره الذي
يقول فيه :

تُسَوِّءُ عِدَاكَ فِي مَدَادٍ وَنَعْمَةٍ . خِلَافَتُنَا تَسْمِعِينَ عَامَاً وَأَشْهَرَاً
فقال مروان : كم الأشهر ؟ قال : وفاء المائة بأمر المؤمنين ، تبلغ فيها أعلى
درجة وأسعد عاقبة في النصر والتكين . فأمر له بمائة ألف درهم .

ثم تقدم إليه ذو الرمة متحانياً كبره ، قد انحلت عمامته مُنْعَدرة عن وجهه ،
فوقف يُسْقِئُهَا ، فقيل له : تقدم . قال : إني أجل أمير المؤمنين أن أخطب
بشره مادحاً بلوثة عمامتي . فقال مروان : ما أملتُ أنه أَبَقْتُ لَنَا مِنْكَ حَيٌّ وَلَا
صَدْحٌ^(١) في كلامك إمتناعاً . قال : بلى والله يا أمير المؤمنين : أريدُ منه قَرَاخاً ،
والأحسن امتداحاً ، ثم تقدم فأنشد شعرًا يقول فيه :

فَلَقْتُ لَهَا سِيرَى ، أَمَامَكَ سَيِّدُ . تَفَرَّعَ مِنْ مَرْوَانَ أَوْ مِنْ مُحَمَّدٍ

(١) حى : صاحبه . وصيدح : ناقته .

مروان بن محمد
وطرُح
وذو الرمة

١٠

١٥

٢٠

فقال له : ما فعلت حتى ؟ فقال :

طَوَيْتُ غَدَائِرَهَا بِبُرْدٍ بَلْبٍ ۝ وَحَا الثَّرَابُ حَاسِنَ الْحَدِّ

فالتفت مروان إلى العباس بن الوليد ، فقال : أما ترى القوافي تتنال انثيالاً ؟
يُعْطَى بِكُلِّ مَنْ سَمِيَ مِنْ آبَائِي أَلْفَ دِينَارٍ . قال ذو الرمة : لو علتُ لبلغتُ به
عبدَ شمس .

الربيع حاجب المنصور قال : قلت يوماً للمنصور : إن الشعراء يبالبك وهم
كثيرون ، طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم . فقال : اخرج إليهم فاقرا عليهم السلام ،
وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد ، فإنما هو كلب من الكلاب ؛
ولا بالحية ، فإنما هي دُوَيَّةٌ مُنْتَنَةٌ تأكل التراب ؛ ولا بالجبل ، فإنما هو حجر
أصم ؛ ولا بالبحر ، فإنما هو غُطَّامٌ لَجِبٌ ؛ ومن ليس في شعره هذا فليدخل ؛
ومن كان في شعره فليصرف . فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة ، فإنه قال له .
أنا له ياربيع ؛ فأدخلني . فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال المنصور : ياربيع ،
قد علتُ أنه لا يُجِيبُكَ أَحَدٌ غَيْرُهُ ؛ هات يابن هرمة . فأنشده قصيدته التي
يقول فيها :

لَهُ لِحَظَاتٌ عَنْ حَفَافٍ سَرِيرِهِ ۝ إِذَا حَسَرَهَا فِيهَا عَذَابٌ وَنَائِلٌ
لَهُ طِينَةٌ بِيضَاءٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ۝ إِذَا اسْوَدَّ مِنْ كُومِ التَّرَابِ الْقَبَائِلُ
إِذَا مَا أَبِي شَيْئاً مَضَى كَالَّذِي أَبِي ۝ وَإِنْ قَالَ إِنِّي فَاعِلٌ فَهَوَّ فَاعِلٌ

فقال : حسبك ! ها هنا بلغت ، هذا عين الشعر ، قد أمرت لك بخمسة آلاف
درهم . فقامت إليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت ، فلما كادت أن أخفي على
عينيه سمعته يقول : يا إبراهيم ! فأقبلت إليه فرمته ، فقلت : ليك فذاك أبي وأمي .
قال : أحفظ بها فليس لك عندنا غيرها ! فقلت : يا أبي وأمي أنت ، أحفظها حتى
أوافيك بها على الصراط بخاتم الجهمد .

على بن الحسين قال : أنشد على بن الجهم جعفرًا المتوكل شعره

جسر وابن الجهم

للمنصور
وابن هرمة

التي أوله :

• هي النفسُ ما حَمَلَتْهَا تَعْمَلُ •

وكان في يد المتوكل جوهرتان ، فأعطاه التي في يمينه ؛ فأطرق متفكراً في شيء يقول له يأخذ التي في يساره ، فقال : مالك مفكراً ؟ إنما تفكر فيما تأخذ به .
• الأخرى ! تحذها لا بُورك لك فيها ! فأثماً يقول :

يُسْرَمَنْ رَا إِمَامُ عَدْلٍ • تَعْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبَحَارُ
يُرْجَى وَيُخْشَى لِكُلِّ أَمْرٍ • كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
الْمَلِكِ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ • مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
يَدَاهُ فِي الْجُودِ صَرَّتَانِ • عَلَيْهِ كِتَابُهُمَا تَقَارُ
لَمْ تَأْتِ مِنْهُ الْيَمِينُ شَيْئاً • إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ

١٠

وقال آخر في الهول :

إِذَا سَأَلْتَ النَّبِيَّ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ • لَمْ تَلْفِ نِسْبَتَهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
لَوْ زَاخَمَ الشَّمْسُ أَلْفَى الشَّمْسِ مُظْلِمَةً • لَوْ زَاخَمَ الْعَصَمُ أَلْجَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَمْضَى مِنَ الدَّهْرِ إِنَّ نَابِتَهُ نَابَةٌ • وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَمْضَى مِنَ السَّيْلِ

لبعض الشعراء
في الهول

١٥ ودخل شاعر من أهل الرى . يقال له أبو يزيد ، على عبد الله بن طاهر
صاحب خراسان ، فأثدده :

أَتَرَبْ هِنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِيقاً • مِنْ شَادِمَهْرٍ وَدَخَّ مُحَمَّدَانِ لِلْيَمَنِ^(١)
فَأَنْتَ أَوَّلَى بِنَائِجِ الْمَلِكِ تَلْبَسُهُ • مِنْ هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ ذِي يَزِينَ
فَأَمْرٌ لَهُ بَعْشَرَةُ آلَافِ دَرَمٍ .

٢٠ ودخلت ليلى الأختيلية على الحجاج فأثدته :

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً • تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِمَا نَفْسُهَا

(١) مرتفعاً : نابتاً دائماً . وشادمهر : موضع بفيسابور . وفي بعض الأصول : شاذياخ .
وهى نيسابور .

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا * غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ سَقَاهَا

فَقَالَ لَهَا : لَا تَقُولِي غُلَامٌ ، وَلَكِنْ قُولِي : هَمَامٌ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ
إِلَيْكَ أَنْ تَزِلِّي عَنْهَا ؟ قَالَتْ : وَمَنْ نَسَاؤُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : أُمُّ الْجُلَّاسِ بِنْتُ
سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَهَنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّةِ ، وَهَنْدُ بِنْتُ
الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ الْعَتَكِيَّةِ . قَالَتْ : الْقَيْسِيَّةُ أَحَبُّ إِلَيَّ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ
دَخَلَتْ عَلَيْهِ . قَالَ : يَا غُلَامُ ، أَعْطَيْهَا نَحْمَسَاتِي . قَالَتْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، أَحْسِبُهَا أَذْمًا .
قَالَ قَائِلٌ : إِنَّمَا أَمْرُكَ بِشَاءٍ . قَالَتْ : الْأَمِيرُ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ . لَجَعَلَهَا لِإِبْلَاءٍ عَلَى
أَسْتَحْيَاءٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ أَمْرُهَا بِشَاءٍ أَوْ لَا .

كِتَابُ الْجَمَانَةِ

فِي الْوَسْوَ

فرش كتاب الوفود

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

٥ قد مضى قولنا في الأجواد والأصفاد على مراتبهم ومنزلهم ، وما جروا عليه ، وما تدبروا إليه من الأخلاق الجميلة ، والأفعال الجزيلة . ونحن قائلون بمون الله وتوفيقه في الوفود الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى الخلفاء والملوك ؛ فإنها مقامات فضل ، ومجاهد حافل ؛ يُتَخَيَّرُ لها الكلام ، وتُسْتَهْذَبُ الألفاظ ، وتُسْتَجْزَلُ المعاني . ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عيدهم وزعيمهم الذي عن قوته ينزعون ، وعن رأيه يُصدرون ؛ فهو واحد ١٠ يعدل قبيلة ، ولسان يُعرب عن ألسنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو خليفته ، أو بين يدي ملك جبار في رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مزة ويتحفظ من أمامه أخرى . أترأه متخيراً نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مُستقبِلاً غريبة من غرائب الفطنة ؛ أم تظن القوم قدموه لفصل هذه الحطة إلا وهو عندهم في غاية الحذقة واللحن ، وبجمع الشعر والخطابة . ١٥ ألا نرى أن قيس بن عاصم المنفري لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال : هذا سيد الوبر . ولما توفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر (١) :

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ما شاء أن يترحمها

نتيجة من البستة منك نعمة * إذا زار عن تحيط بلادك سلما

وما كان قيس هلكاً هلك واحد * ولكنه بُنيان قوم تهتما ٢٠

وفود العرب على كسرى

كسرى والنعمان

ابن الفطامي عن الكلبي قال : قَدِمَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذَرِ عَلَى كَسْرَى وَعِنْدَهُ وَفُودُ
 الرُّومِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ ، فَذَكَّرُوا مِنْ مُلُوكِهِمْ وَبِلَادِهِمْ . فَافْتَخَرَ النُّعْمَانُ بِالْعَرَبِ
 وَفَضَّلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، لَا يَسْتَتْنِي فَارِسٌ وَلَا غَيْرُهَا ، فَقَالَ كَسْرَى وَأَخَذَتْهُ عِزَّةُ
 الْمَلِكِ : يَا نُّعْمَانُ ، لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي أَمْرِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ ، وَنَظَرْتُ فِي
 حَالٍ مِنْ يَقْدَمُ عَلَيَّ مِنْ وَفُودِ الْأُمَمِ ، فَوَجَدْتُ الرُّومَ لَهَا حِظٌّ فِي أَجْتِمَاعِ أَلْفَتِهَا ،
 وَعِظَمُ سُلْطَانَتِهَا ، وَكَثْرَةُ مَدَائِنِهَا ، وَوُثْقُ بُلَيَانِهَا : وَأَنَّ لَهَا دِينًا بَيْنَ حِلَالِهَا وَحُرَامِهَا
 وَبِرْذَ سَفِيهَا وَيُقِيمُ جَاهِلَهَا . وَرَأَيْتُ الْهِنْدَ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ فِي حِكْمَتِهَا وَطِبَّتِهَا ، مَعَ
 كَثْرَةِ أَنْهَارِ بِلَادِهَا وَثِمَارِهَا ، وَعَجِيبِ صَنَاعَاتِهَا ، وَطِيبِ أَشْجَارِهَا ، وَدَقِيقِ حِسَابِهَا ،
 وَكَثْرَةِ عِدَدِهَا . وَكَذَلِكَ الصِّينُ فِي أَجْتِمَاعِهَا ، وَكَثْرَةِ صَنَاعَاتِ أَيْدِيهَا فِي آلَةِ الْحَرْبِ
 وَصَنَاعَةِ الْحَدِيدِ ، وَفُرُوسِيَّتِهَا وَهَيْئَتِهَا ، وَأَنَّ لَهَا مُلْكًا يَجْمَعُهَا . وَالْتَرَكُ وَالْخَزَرُّ عَلَى
 مَا بِهِمْ مِنْ سُوءِ الْحَالِ فِي الْمَعَاشِ ، وَقَلَّةِ الرِّيفِ وَالثَّمَارِ وَالْحَصُونِ ، وَمَا هُوَ رَأْسُ
 عِمَارَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَائِسِ ، لَمْ يُلُوكْ تَضَمُّنَ قَوَاصِمِهِمْ وَتُدْبِيرِ أَمْرِهِمْ .
 وَلَمْ أَرِ الْعَرَبَ شَيْئًا مِنْ نَحْصَالِ الْخَيْرِ فِي أَمْرِ دِينٍ وَلَا دُنْيَا ، وَلَا حِزْمٍ وَلَا قُوَّةٍ ،
 ١٥ مَعَ أَنَّ مَا يَدُلُّ عَلَى مَهَاتِبِهَا وَذُلِّهَا وَصِغَرِ هَيْئَتِهَا ، عَجَلَتْهُمْ أَلْفَتُهُمْ بِهَا مَعَ الْوَحْشِ
 الْتَافَرَةِ ، وَالطَّيْرِ الْخَائِرَةِ ، يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، وَيَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ
 الْحَاجَةِ . قَدْ خَرَجُوا مِنْ مَطَاعِمِ الدُّنْيَا وَمَلَابِسِهَا ، وَمَشَارِبِهَا وَلِهَوَاهَا وَلَذَائِهَا ،
 فَأَفْضَلُ طَعَامٍ ظَفِرَ بِهِ نَاعِمُهُمْ لِحُومِ الْإِبِلِ الَّتِي يَعَافُهَا كَثِيرٌ مِنَ السَّبَاعِ لِثِقَلِهَا وَسُوءِ
 طَعْمِهَا وَخَوْفِ دَائِهَا ، وَإِنْ قَرَى أَحَدُهُمْ ضَيْفًا عَدَهَا مَكْرُمَةً ، وَإِنْ أَطْعَمَ أَكَلَةً
 ٢٠ عَدَهَا غَنِيمَةً : تَنْطَقُ بِذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ ، وَتَفْتَخِرُ بِذَلِكَ رِجَالُهُمْ ، مَا خِلَا هَذِهِ التَّنَوُّخِيَّةِ
 الَّتِي أَسَّسَ جَدِّي أَجْتِمَاعَهَا ، وَشَدَّ مَلِكُوتَهَا ، وَمَنَعَهَا مِنْ عَدُوِّهَا : فَجَرَى لَهَا ذَلِكَ إِلَى
 يَوْمِنَا هَذَا ، وَإِنَّ لَهَا مَعَ ذَلِكَ آثَارًا وَلَبُوسًا ، وَقُرَى وَحُصُونًا ، وَأُمُورًا تُشَبِّهُ
 بَعْضُ أُمُورِ النَّاسِ - بِعَنَى الْيَمِينِ - ثُمَّ لَا أَرَاكُمْ تَسْتَكِينُونَ عَلَى مَا بَكُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْقَلَّةِ
 وَالْفَاقَةِ وَالْبُؤْسِ ، حَتَّى تَفْتَخِرُوا وَتَرِيدُوا أَنْ تَنْزِلُوا فَوْقَ مَرَاتِبِ النَّاسِ .

قال النعمان : أصلح الله الملك ، حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ،
ويعظم خطبها ، وتعلو درجتها . إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك ،
في غير ردِّ عليه ، ولا تكذيب له ، فإن أمتي من غضبه نطقْتُ به .
قال كسرى : قل فأنت آمن .

قال النعمان : أما أمتك أيها الملك فليست مُتَنَازِع في الفضل ، لموضعها الذي
هي به من عقولها وأحلامها ، وبسطه محلها ، وُجُوبَةِ عِزِّها ، وما أكرمها الله به
من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت ، فأى أمة تُفَرِّقُهَا بالعرب
إلا فَضْلَتُهَا .

قال كسرى : بماذا ؟

قال النعمان : بعزها ومَنَعِهَا وحسن وجوها وبأسها ومخاطها وحكمة ألسنتها
وشدة عقولها وأتقنها ووفائها :

فأما عِزُّها ومَنَعُهَا : فإنها لم تزل مجاورة لأبائك الذين دَخَرُوا البلاد ، ووطدوا
الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصوئهم ظهورُ
خيَلهم ، ومهادم الأرض ، وسُفوفهم السماء ، وجُنتهم السيوف ، وعُنتهم الصبر .
إذ غيَّرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور .

وأما حُسْنُ وجوها وألوانها فقد يُعرَف فضلُهم في ذلك على غيرهم من
الهند ، والصين المنخفة ، والترك المشوَّعة ، والروم المقشَّرة .

وأما أنسابها وأحسابها ، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها
وكثيراً من أولها ، حتى إن أحدهم لِيُسألُ عن وراء أبيه دُنْيَا فلا ينسبُه ولا يعرفه
وليس أحد من العرب إلا يسمي آباه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا
به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ؛ ولا ينسب إلى غير نَسبه ، ولا يُدعى
إلى غير أبيه .

وأما سخاؤها ، فإن أدنانم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها
بلاغه في حمله وشيعه ورثه ، فيطره الطارق الذي يكتنق بالفُلْدَة ويجترى بالشربة

فَيَعْرِفُهَا لَهُ وَيَرْضَى أَنْ يَخْرُجَ عَنْ دِينِهِ كُلِّهَا فِيمَا يُكْسِبُهُ حُسْنُ الْإِحْدَوْتَةِ وَطِبِّ الذِّكْرِ .

- وأما حكمة ألسنتهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم وروثق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه ، مع معرفةهم بالآشياء ، وضررهم للأمثال ، وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجَزَع ، ومطايهم التي لا يبلغ على مثلها سَفَر ، ولا يُقَطَع بمثلها بلدٌ قفر .
- وأما دينها وشريعتها ، فإنهم متمسكون به ، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً ، وبلداً محرماً ، وينتأ محجوجاً يفسكون فيه مناسكهم ، ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه ، وهو قادر على أخذ ثأره ٥ وإدراك رغبته منه ، فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى .

- وأما وفاؤها ، فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويؤمن بالإيماء فهي ولك عَقْدَةٌ لا يَحُلُّهَا إِلَّا خُرُوجُ نَفْسِهِ ، وإن أحدهم ليرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يَنْقُلُ رَهْنَهُ وَلَا تُخْرِزُ ذِمَّتُهُ ، وإن أحدهم ليلبُخُهُ أَنْ رَجُلًا اسْتَجَارَ بِهِ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ نَائِيًا عَنْ دَارِهِ ، فَيَصَابُ ، فَلَا يَرْضَى حَتَّى يُهْنَى تِلْكَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي أَصَابَتْهُ أَوْ تَقْنَى قَبِيلَتُهُ لِمَا تُخْفِرُ مِنْ جَوَارِهِ ؛ وَإِنَّهُ لَيَلْبِغُ إِلَيْهِمُ الْمَجْرُمُ الْمُحْدَثُ مِنْ غَيْرِ مَعْرِقَةٍ وَلَا قَرَابَةٍ ، فَتَكُونُ أَنْفُسُهُمْ دُونَ نَفْسِهِ ، وَأَمْوَالُهُمْ دُونَ مَالِهِ .

- وأما قولك أيها الملك : يتدون أولادهم ، فإنما يفعل من يفعله منهم بالإناث أنْفَقَ مِنَ الْعَارِ وَغَيْرَةِ مِنَ الْأَزْوَاجِ .

- أما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها ، فما تركوا ٧٠ ما دونها إلا احتقاراً له ، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلةً ، وأحلاها مَضَغَةً ، وإنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحنها إلا استبان فضلها عليه .
- وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضاً ، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم ؛

فإنما يفعل ذلك مَنْ يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً وتخوفتْ هُوض
عدوها إليها بالزحف ، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بيت واحد
يعرَف فضلهم على سائر غيرهم ، فيلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمتهم :
وأما العرب فإن ذلك كثيرٌ فيهم ، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين ،
مع أنفتهم من أداء الخراج والوطف بالصف . ٥

وأما اليمن التي وصفها الملك فإنما أتى جدُّ الملك ولُّها الذي أتاه عند غلبة
الحبش له على ملك متسق ؛ وأمر مجتمع ؛ فأناه مسلوباً طريداً مستصرخاً ، وقد
تقاصر عن إيوائه ، وصغر في عينه ما شيد من بناءه . ولولا ما وتر به من يليه
من العرب لمال إلى مجال ، ولوجد من يُجيد الطعان وينضب للأحرار من غلبة
العبيد الأشرار . ١٠

قال : فعجب كسرى لما أجابه النعمانُ به ؛ وقال : إنك لاهلٌ لموضعك من
الرياسة في أهل إقليدك ولما هو أفضل . ثم كساه من كسوته ، وسرحه إلى
موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمانُ الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب
وتهمجين أمرهم ، بعث إلى أكرم بن صينيٍّ وحاجب بن زُرارة التميميين ، وإلى
الحارث بن عبَّاد وقيس بن مسعود البكرتين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعَلَقْمَةَ بن
عَلَانَةَ ، وعامر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السُلَبي ، وعمرو بن
معديكرب الزبدي ، والحارث بن ظالم المزني ؛ فلما قدموا عليه في الحَوَرَق ،
قال لهم : قد عرقت هذه الأعاجمَ وقُرب جوار العرب منها ، وقد سمعتُ من
كسرى مقالاتٍ تخوفتُ أن يكونَ لها غور ، وأن يكونَ إنما أظهرها لأمرٍ أراد
أن يتخذ به العرب حَوَلاً كبعض ما كُماطته في تأديتهم الخراج إليه ، كما يفعل
بملوك الأمم الذين حوله . ٢٠

فأقصر عليهم مقالات كسرى ومارة عليه ؛ فقالوا : أيها الملك ، وثقتك الله ،
ما أحسن ما ردَدت ، وأبلغ ما سَجَّجْتَه به ؛ فمرنا بأمرِكَ ، واذعُبا إلى ماشئت .

- قال : إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكك وعزّزتُ بمكانكم وما يُتخوَّف من ناحيتكم ، وليس لىء أحبُّ لىء مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم ، وأدام به عزكم ؛ والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتطلقوا لى كسرى ، فإذا دخلتم تطلق كل رجل منكم بما حضره ، لىعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدّثته نفسه ؛ ولا يَنتطق رجل منكم بما يُفضيه ، فإنه ملك عظيم السلطان ، كثيرُ الاعوان مُتَرَفٌ مُعْجَبٌ بنفسه ، ولا تنخلولوا له انخزال الخاضع الدليل ، وليكن أمر بين ذلك ، تظهر به وثائقُ حلومكم ، وفضلُ منزلتكم ، وعظمة أخطاركم ؛ وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكرمُ بن صيفى ، لىسنى حاله ، ثم تابخوا على الأمر من منازلكم التى وضعتمكم بها ؛ فإنما دعائى لى التقدمة بىنكم على بىمىل كل رجل منكم على التقدّم قبل صاحبه ؛ فلا يكون ذلك منكم فيجد ١٠ فى آدابكم مطلقنا ؛ فإنه ملك مُتَرَفٌ ، وقادرٌ مسلط .

ثم دعا لهم بما فى خزانته من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلة ، وعمه عمامة ، وختمه ياقوتة ؛ وأمر لكل رجل منهم بنجىة مَهْرِيّة وفرس نجىة ، وكتب معهم كتاباً :

- أما بعد ، فإن الملك الذى لى من أمر العرب ماقد عىلم ، وأجبتّه بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على عىلم ، ولا يَتلجلج فى نفسه أن أمة من الأمم التى آحتجزت دونه بملكها ، وحتت ما يلها بفضل قوتها ، تبلذها فى شىء من الأمور التى يتعزّز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدتُ أيها الملك رهطاً من العرب ، لهم فضلٌ فى أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم ؛ فلىسمع الملك ، وليُغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم ، وليُكرمنى يا كرامهم وتعجل ٢٠ سراحهم ، وقد نسبتم فى أسفل كتابى هذا لى عشائهم .

فخرج القوم فى أهبتهم حتى وقفوا بىاب كسرى بالمدائن ، فدفعوا لىه كتاب النعمان ، فقرأه وأمر بأنزالهم لى أن يجلس لهم مجلساً لىسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بأيام ، أمر مرابطه ووجوه أهل ملكته ، فحضرُوا وجلسوا على كراسى

عن يمينه وشماله ؛ ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وضعهم النعمان بها في كتابه ؛ وأقام الترحمان ليؤدى إليه كلامهم ، ثم أذن لهم في الكلام .

فقام أكرم بن صيق فقال : إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعظمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها .

٥ الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والخزم مركب صعب ، والعجز مركب ولى . آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور

الصبر . حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عسمة . لإصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى . من فسدت بطائنته كان كالغاص بالماء . شر البلاد بلاد

لا أمير بها . شر الملوك من خافه البرى . المرء يعجز لا المحالة . أفضل الأولاد البررة . وخير الأعوان من لم يراء بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسنت

١٠ سريره . يكفيك من الزاد ما بطنك المحل . حسبك من شر سمائه . الصمت حكم وقيل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شدد نفر ، ومن تراخى تألف .

فصحب كسرى من أكرم ، ثم قال : ويحك يا أكرم ! ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعتك كلامك في غير موضعه .

١٥ قال أكرم : الصدق ينبئ عنك لا الوعيد .

قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكنى .

قال أكرم : رب قول أنفذ من صول .

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي ، فقال وَرَى زَنْدُكَ ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانُكَ . إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، وأستحصدت مرثتها ، ومنعت

٢٠ ديتها ؛ وهى لك وامة ما تألفها ، مُسْتَرِيلة مالا يَنْتَها ، سامعة ما ساحتها ، وهى العلقم مرارة ، والصاب غضاضة ، والعدل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة . نحن

وفودها إليك ، وألستها لديك ؛ ذقتنا عضوطة ، وأحسابنا منوعة ، وعشارتنا فينا سامعة مطيعة ؛ إن تَوَبَّ لك حامدين خيرا فلك بذلك عمومُ مُحَمَّدَتنا ، وإن نَذِم

لم نَحْصَ بالنم دونها .

قال كسرى : يا حاجب ، ما أشبه حجرَ التلال بألوان صخرها .

قال حاجب : بل زهير الأسدِ بصولتها .

قال كسرى : وذلك .

- ثم قام الحارث بن عُبَاد البكرى فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل
 حفظها ، وعلو ثنائها . من طال رشاؤه كثر منته ، ومن ذهب ماله قل منته . تناقل
 ٥ الأقاويل يعرف اللب ؛ وهذا مقام سيوجف بما ينطق فيه الركب ، وتعرف به
 كنه حالنا العجم والعرب ؛ ونحن جيرانك الأذتوت ، وأعوانك المعبون ،
 خيولنا جمة ، وجيوشنا نخمة ، إن استجدتنا فقير رُبض ، وإن استطرقتنا فقير
 جُحش ، وإن طَلَبتنا فقير عُحش ، لا تَنْتَهِ لَذَر ، ولا تَنْتَكر لَدهر ، رِماحنا
 طوال ، وأعمارنا قصار .

١٠

قال كسرى : أنفُسُ عزيزة ، وأمة واقعة ضعيفة .

قال الحارث : أيها الملك ، وأنى يكون لضعيفِ عِزَّة ، أو لضعيفِ مِرَّة ؟

قال كسرى : لو قَصُر عُمرُك لم تستولِ على لسانِكَ نفسك .

- قال الحارث : أيها الملك ، إن الفارس إذا حَمَلَ نفسه على السَكينة مغرِّرا
 بنفسه على الموت ، فهي مَنيَّةٌ استقبلها ، وحياةٌ استدبرها ؛ والعرب تعلم أنى
 ١٥ أبعث الحرب قُدُما ، وأحبها وهى تصرف بهم ، حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت
 لظلامها ، وكشفت عن ساقها ، جعلتُ مَقَادِمَ رُحى ، وبرقها سيفى ، ورعدها
 زهيمى ، ولم أقصر عن خوض خُصاخصها ، حتى أنفسم فى عِمَرات لجيجها ،
 وأكون فُلُكا لفرسانى إلى مجبوحة كَبِشها ، فأستمطرها دما ، وأترك حُماتها جَرَر
 السباع وكلَّ نَسَر قَدَمهم .

٢٠

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكنذلك هو ؟

قالوا : فَماله أطلق من لسانه .

قال كسرى : ما رأيتُ كالِيومَ ونَدَأُ أَحَشَد ، ولا شهودًا أوفد .

ثم قام عمرو بن الشريد السلي فقال : أيها الملك نِعِمَّ بِأَلِك ، ودام في السرور حالك ؛ إِنَّ عاقبة الكلام متدبرة ، وأشكال الأمور مُعْتَبَرَةٌ ، وفي كثير قُتْلَةٌ ، وفي قليل بُذْنَةٌ ، وفي الملوكة سُورَةُ الْعِزِّ ، وهذا منطق له ما بعده ، شَرُفَ فِيهِ مَنْ شَرُفَ ، وَخَلَّ فِيهِ مَنْ خَلَّ ، لَمْ نَأْتِ لَصْنِيْعَكَ ، وَلَمْ نَعِدْ لَسُخْطِكَ ، وَلَمْ نَتَعَرَّضْ لِرَفْدِكَ . إِنَّ فِي أَمْوَالِنَا مُرْتَقِدًا ، وَعَلَى عِزِّنا مُتَمَدِّدًا ؛ إِنْ أَوْرَيْنَا نَارًا أَثْقَيْنَا ، وَإِنْ أَوَدَّ دَهْرُنَا اعْتَدَلْنَا ، إِلَّا أَنَا مَعَ هَذَا لِجَوَارِكِ حَافِظُونَ ، وَلِمَنْ رَامَكَ مَكَالِحُونَ ، حَتَّى يُجْعِدَ الصَّدْرَ ، وَيُسْتَطْلَبَ الْحَبْرُ .

قال كسرى : مَا يَقُومُ قَصْدُ مَنْطِقِكَ بِإِفْرَاطِكَ ، وَلَا مَدْحُكَ بِذَمِّكَ .

قال عمرو : كُنْ بِقَلِيلِ قَصْدِي هَادِيًا ، وَبِأَيْسَرِ إِفْرَاطِي مُخْبِرًا ، وَلَمْ يُلَمْ بِمَنْ عَرَفَتْ نَفْسُهُ عَمَّا يَعْلَمُ ، وَرَضَى مِنَ الْقَصْدِ بِمَا بَلَغَ .

قال كسرى : مَا كُلُّ مَا يَعْرِفُ الْمَرْءُ يَنْطَلِقُ بِهِ . اجْلِس .

ثم قام خالد بن جعفر الـيَـكَلَابِيّ فقال : أَحْضَرَهُ اللَّهُ الْمَلِكُ إِسْعَادًا ، وَأَرْشَدَهُ إِرْشَادًا ؛ إِنَّ لِكُلِّ مَنْطِقٍ فُرْصَةً ، وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غُصَّةٌ ، وَعِىُّ الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْ عِىِّ السَّكُوتِ ، وَعِثَارُ الْقَوْلِ أَثْنَى مِنْ عِثَارِ الْوَعْدِ ، وَمَا فُرْصَةُ الْمَنْطِقِ عِنْدَنَا إِلَّا بِمَا نَهْوَى ، وَغُصَّةُ الْمَنْطِقِ بِمَا لَا نَهْوَى غَيْرَ مُسْتَسَاغَةٍ ، وَتَرَكْنِي مَا أَعْلَمُ مِنْ نَفْسِي وَبِعِلْمِ مَنْ سَمِعَنِي أُنْقَى لَهُ مُطَبِّقُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ تَكْلُفِي مَا أُنْخَوِّفُ وَبُتَخَوِّفُ مِنِّي . وَقَدْ أَوْفَقْنَا إِلَيْكَ مِلْكَنَا النِّعْمَانُ ، وَهُوَ لَكَ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ ، وَنِعْمَ حَامِلُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ . أَنْفُسُنَا بِالطَّاعَةِ لَكَ بَاسِخَةٌ ، وَرِقَابُنَا بِالنَّصِيحَةِ خَاضِعَةٌ ، وَأَيْدِينَا لَكَ بِالْوَفَاءِ رَهِيْنَةٌ .

قال له كسرى : نَفَقْتَ بِعَقْلِ ، وَسَمَّوْتَ بِفَضْلِ ، وَعَلَوْتَ بِبُلْبُلٍ .

ثم قام علقمة بن عُلَائَةَ الْعَامِرِيّ فقال : أَنْجَحْتَ لَكَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَخَضَعْتَ لَكَ رِقَابَ الْعِبَادِ ؛ إِنْ لِلْأَقْوَابِلِ مَنَاجِيحُ ، وَلِلْأَرْوَاحِ مَوَاجِحُ ، وَلِلْعَوِيصِ تَخَارِجُ ؛ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَوْفَدُهُ ، وَأَفْضَلُ الْطَلَبِ أَتَمُّهُ . إِنَّا وَإِنْ كَانَتْ الْحُبَّةُ أَحْضَرْتَنَا ، وَالْوَرِثَةُ قَرَّبَتَنَا ، فَلَيْسَ مِنْ حَضْرِكَ مِنَّا بِأَفْضَلَ مِنْ عَزْبِ عَنْكَ ، بَلْ لَوْ قَسَمْتَ كُلَّ رَجُلٍ

منهم وعلت منهم ما علنا ، لوجدت له في آياته دُنْيَا أندادا وأكفاه ، كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسودد موصوف ، وبالرأى الفاضل والآدب النافذ معروف ، يحمي حياه ، ويروى تداماه ، ويذود أعداءه : لا تحمد ناره ، ولا يحترق منه جاره . أيها الملك ، من يبيلُ العرب يعرف فضلهم ؛ فاصطنع العرب ، فإنها الجبال الرواسي عزاً ، والبحور الزواجر طُمِيًّا ، والنجوم الزواهر شرفاً ، والحصى عدداً ؛ فإن تعرف لم فضلهم يُعزوك ، وإن تستصرخهم لا ينفذوك . قال كسرى - وخشى أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه - : حسبك ، أبلغت وأحسنت ..

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المرشد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الثصائب^(١) ؛ ما أحقنا إذ أنيناك يا سماعك ما لا يُحقيق صدرك ، ولا يزرع لنا حقدا في قلبك ؛ لم تقدم أيها الملك لُساماة ، ولم تنسب لمُعادة ، ولكن لتعلم أنت ورعيك ومن حَضَرَكَ مِن وفود الأمم آتيا في المنطق غير مُجحين ، وفي اليأس غيرُ مقصرين ؛ إن جُورينا فغير مسبوقين ، وإن سُومينا فغير مغلوبين .

قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم غيرُ وافين . وهو يُعرض به في تركه الوفاء بضمائه السواد^(٢) .

قال قيس : أيها الملك ، ما كنتُ في ذلك إلا كوافٍ غيرُ به ، أو ككافر أخضر بدمته .

قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ، ولا لدليل خِفارة .

قال قيس : أيها الملك ، ما أنا فيما تُخبر من ذمتي ، أحقُّ بالزأى العار منك ٢. فيما قُتل من رعيك ، وأنتهك من حُرمتك .

قال كسرى : ذلك ، لأن من اتّمن الخائنة ، وآستنجد الأئمة ، ناله من الخطأ

(١) المصائب : الشدائد .

(٢) يريد سواد العراق .

ما نالني ، وليس كل الناس سوله ؛ كيف رأيت حاجب بن زُدارة لم يُجِمْ قُواء
فُيُبرم ، ويمهد فُيُوف ، ولُيعد فُيُجِز ؟

قال : وما أحقّه بذلك وما رأيت إلا لي

قال كسرى : القوم بُزُلُ فأفضلها أشدها .

٥ ثم قام عامر بن الطفيل العامريّ فقال : كثر فنون المنطق ، وليس القول
أعمى من حِنْدِسِ الظُّلَاء ، وإنما الفخر في الفَعَال ، واليزّ في النجدة ؛ والسوددُ
مطاوعةُ القنطرة . وما أعلك بقنطرة ، وأبصرك بفضلنا ؛ وبالحري إن أدالت
الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تُحدث لنا أموراً لها أعلام .

قال كسرى : وما تلك الأعلام ؟

١٠ قال : مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يُذكر .

قال كسرى : وما الأمر الذي يُذكر ؟

قال : مالي علم بأكثر مما خبرني به مُخبر .

قال كسرى : متى تكلمت يا ابن الطفيل ؟

قال : لست بكاهن ، ولكني بالرح طاعن .

١٥ قال كسرى : فإن أذاك آتٍ من جهة عينك العوراء ما أنت صانع ؟

قال : ما هيتي في قَهْلي بدون هيتي في وجهي ، وما أذهب عيني غيثٌ ^(١)
ولكن مطاوعة الميت .

٢٠ ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال : إنما المرء بأصغره ؛ قلبه ولناسه
فبلاغ المنطق الصواب ، ومِلَاكُ التَّجَمُّعِ الارتداد ، وعَقْوُ الرأى خيرٌ من استكراه
الفكرة ، وتوقّف الحبرة خيرٌ من اعتساف الحيرة ، فاجتهد طاعتنا بلغظك ،
واكتظّم بادرتنا بملحك ، وإِنْ لنا كَعْنُكَ يسألُك قيادنا ، فإنا أناس لم

يُوقَسُ صِفَاتَنَا قِرَاعُ مَنَاقِيرٍ مِنْ أَرَادَ لَنَا قَضِيًّا ، وَلَكِنْ مَنَعْنَا حِمَانًا مِنْ كُلِّ مَنْ رَامَ لَنَا هَضْبًا .

- ثم قام الحارث بن ظالم المرّي فقال : إِنَّ مِنْ آفَةِ المنطقِ الكذب ، ومن لُؤْمِ الأخلاقِ المَلَقُ ، ومن خَطَلِ الرأى خُفَةُ المَلِكِ المُسَلِّطِ ، فَإِنْ أَعْلَنَّاكَ أَنْ مَوَاجَهَتَنَا لَكَ عَنْ اتِّتِلَافٍ ، وَانْقِيَادَنَا لَكَ عَنْ تَصَافٍ ، مَا أَنْتَ لِقَبُولِ ذَلِكَ مِنْنا بِخَلِيقٍ ، وَلَا لِلِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ بِحَقِيقٍ ، وَلَكِنْ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَإِحْكَامُ وَلِيِّ الْعُقُودِ ، وَالْأَمْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مُعْتَدَلٌ ، مَا لَمْ يَأْتِ مِنْ قِبَلِكَ مِيلٌ أَوْ زَلٌّ .

قال كسرى : من أنت ؟

قال : الحارث بن ظالم .

- قال : إِنْ فِي أَسْمَاءِ آبَائِكَ لِدَلِيلًا عَلَى قَلَّةِ وَفَائِكَ ، وَأَنْ تَكُونَ أَوَّلَى بِالْعَنْدَرِ ، وَأَقْرَبَ مِنَ الْوِزْرِ .

قال الحارث : إِنْ فِي الْحَقِّ مَفْضِيَّةٌ ، وَالسَّرُورُ التَّغَاوُلُ ، وَلَنْ يَسْتَوْجِبَ أَحَدٌ الْحِلْمَ إِلَّا مَعَ الْقُدْرَةِ ، فَلْتُشَبَّهِ أَعْمَالُكَ بِمَجْلَسِكَ .

قال كسرى : هَذَا قَبْلِي الْقَوْمُ .

- ثم قال كسرى : قَدْ فَهِمْتَ مَا نَطَقْتُ بِهِ خُطْبَاؤُكُمْ ، وَتَفَنَّنَ فِيهِ مَتَكَلِّمُكُمْ وَلَوْ لَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْأَدَبَ لَمْ يُتَّفَقْ أَوْذَكُمْ ، وَلَمْ يُحَيَّكُمْ أَمْرَكُمْ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ مَلَكٌ يَجْمَعُكُمْ فَيَنْتَفِقُونَ عِنْدَهُ مِنْطَقَ الرِّعْيَةِ الْخَاضِعَةِ الْبَاخِعَةِ ، فَتَطْلُقُ بِمَا اسْتَوْلَى عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَغَلَبَ عَلَى طِبَاعِكُمْ ، لَمْ أَجِزْ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا تَكَلَّمْتُمْ بِهِ . وَإِنِّي لَا كَرِهَ أَنْ أَجِبَهُ وَفَرَدَى أَوْ أَحْزِقَ صُدُورَهُ ، وَالَّذِي أَحَبُّهُ هُوَ إِصْلَاحُ مُذْبِكُمْ ، وَتَأْلُفُ شَوَائِكُمْ ، وَالْإِعْذَارُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ؛ وَقَدْ قَبِلْتُ مَا كَانَ فِي مَنْطَقِكُمْ مِنْ صَوَابٍ . وَصَفَحْتُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ خَلَلٍ ؛ فَانصرفوا إِلَى مَلِكِكُمْ فَأَحْسِنُوا مُوَازَرَتَهُ وَاتَّبِعُوا طَاعَتَهُ ، وَارْتَدَّعُوا سُفْهَاءَكُمْ وَأَقِيمُوا أَوْدَهُمْ ، وَأَحْسِنُوا أَدْبَهُمْ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَ الْعَامَّةِ .

وفود حاجب بن زُرارة على كسرى

٥٠

العبي عن أبيه : أن حاجب بن زُرارة وفد على كسرى لما منع تهما من ريف العراق ، فاستأذن عليه ، فأوصل إليه فقال : أسيّد العرب أنت ؟ قال : لا . قال : فسيّد مضر ؟ قال : لا . قال : فسيّد بني أريك أنت ؟ قال : لا . ثم أذن له فدخل عليه . قال : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلتُ إليك : أسيّد العرب أنت ؟ فقلت : لا ، حتى اقتصررتُ بك على بني أريك ، فقلت : لا ؟ قال له : أيها الملك ، لم أكن كذلك حتى دخلتُ عليك ، فلما دخلتُ عليك صرتُ سيّد العرب . قال كسرى : زه ! املئوا فاه دُرًا . ثم قال : إنكم معشر العرب عُذُر ، فإن أذنتُ لكم أفدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وأذيتُموني . قال حاجب : فإني ضامن لذلك ألا يفعلوا . قال : فمن لي بأن تقي أنت ؟ قال : أرزئوك قوسى . فلما جاء بها تحمك من حوله وقالوا : لهذه المصايفي ! قال كسرى : ما كان ليُسَلِّها لشيء أبدا . فقبضها منه ، وأذن لهم أن يدخلوا الريف .

ومات حاجب بن زُرارة ، فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوساً أبيه ؛ فقال له : ما أنت الذي رهنتها قال : أجل . قال : فما فعل ؟ قال . هلك ، وهو أبى ، وقد وثى له قومه ووثى هو لذلك . فرزها عليه وكساه بَحْلَة .

فلما وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم بِعُطَارْدُ بن حاجب ، وهو رئيس تميم ، وأسلم على يديه ، أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ؛ فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم .

ثم إن مضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، هلك قومك وأكلتهم الضَّبَع . يريدون الجوع - والعرب يسمون السنة الضَّبَع والذئب . قال جرير :

« من ساقه السنة الحصاء والذئب »^(١)

(١) صدره : يا وى إليك بلا من ولا جحد .

فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم فَأُحْيُوا ، وقد كان دعا عليهم فقال : اللهم
أشدّدْ وطأتك على مُضَر ، وابعثْ عليهم سنين كسني يوسف .

وفود أبي سفيان إلى كسرى

الأصمعي قال : حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المزني ، قال :
قال أبو سفيان : أهديتُ لكسرى خيلاً وأدماً ، فقبل الخيل وردّ الأدم ، وأُدْخِلْتُ
عليه فكان وجهه وجهان من عظمه ، فألقي إلى حنّدة كانت عنده ، فقلت : وأجوعاءه !
أهنه حظي من كسرى بن هرمز ؟ قال : فخرجتُ من عنده ، فلما أمرُ على أحد
من حشمه إلا أعطاهما ، حتى دُفعتُ إلى خازن له : فأخذها وأعطاني ثمانمائة إناء
من فضة وذهب .

قال الأصمعي : لحدثتُ بهذا الحديث التّوشيحان ^(١) الفارسي ، فقال : كانت
وظيفة الحنّدة ألفاً ، إلا أن الخازن اقتطع منها مائتين .

وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر

قال : وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر ، قال : فلقيت رجلاً ببعض
الطريق ، فقال لي : أين تريد ؟ قلت : هذا الملك . قال : فإنك إذا جئتته متروك
شهرًا ، ثم تُترك شهرًا آخر ، ثم عسى أن يأذن لك ؛ فإن أنت خلوت به وأجبتته
فأنت مُصيبٌ منه خيرًا ، وإن رأيت أبا أمامة النابغة فاطعن ؛ فإنه لا شيء لك !
قال : فقدمتُ عليه ، ففعل بي ما قال ، ثم خلوت به وأصبتُ مالا كثيرا ونادمتُه
فبينما أنا معه إذا رجل يرتجز حول القبة ويقول :

أَنَامَ أَمْ يَسْمَعُ ^(٢) رَبُّ الْقُبَّةِ ؟ يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِمَ لَيْسَ صُلْبُهُ

ضَرْبَةً بِالْمُشْفَرِ الْأَذْبَنَةِ . ذَاتِ هَيَاتٍ فِي يَدَيْهَا جَنْبُهُ

(١) في بعض الأصول : « أبا البورستان » .

(٢) في بعض الأصول : « تمام أم تسمع » .

فقال النعمان : أبو أمامة ، أتدّونا له فدخل لحياه وشرب معه ، ووردت
النعمُ السود . ولم يكن لأحد من العرب بغير أسود غيره ولا يتحل أحدُ خلّا
أسود . فاستأذنه التابنة في الإنشاد ، فأذن له ، فأثدده قصيدته التي يقول فيها :
فإنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ ه إذا طلعت لم يبدُمنهُنَّ كوكبُ
فأمر له بمائة ناقة من الإبل السود برعاتها ؛ فما حسدتُ أحدا قط حسدي
له في شعره وجريل عطائه .

وفود قريش على سيف بن ذي يزن

بعد قتله الجيشة

نعم بن حماد قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، عن سُفيان الثوري ، قال :
قال ابن عباس : لما ظفر سيفُ بن ذي يزن بالجيشة ، وذلك بعد مولد النبي
صلى الله عليه وسلم ، أتته وفودُ العرب وأشرافها وشعراؤها تُهنئه وتمدحه وتذكر
ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأناه وفدُ قريش ، فهم : عبد المطلب بن
هاشم ، وأميةُ بن عبد شمس ، وأسد بن عبد العزى ، وعبد الله بن جُعدان ،
فقدّموا عليه وهو في قصر له يقال له عُمدان ، وله يقول أبو الصلت ، والد أمية
ابن أبي الصلت :

لم يُدركِ الثأرُ أمثالُ ابنِ ذي يزنٍ ه ليجَّ في البحرِ للأعداءِ أحوالاً
أتى هرقلُ وقد شالتُ نعامته ه فلم يَمِخْ عندهُ القولُ الذي قالَا
ثم ائتنى نحوَ كسرى بعد ناسيةٍ ه من السنين لقد أبعدتُ إيفالاً
حتى أتى يبنى الأحرارِ يقدهُهم ه إنك عَمِرَى لقد أَسْرَعْتَ إزفالاً
من مثلِ كسرى وهِرامِ الجنودِله ه ومثلُ وهَرَزَ يومَ الجيشِ إذ جالا
للهِ درُّهمُ من عَصَبَةٍ خرجوا ه ما إن رأينا لهمُ في الناسِ أمثالاً
صيداً حجاجته ، ييضاً خضابته ه أسداً تَرَبَّبُ في الغاباتِ أشبالاً
أرسلتُ أسداً على سودِ الكلابِ قد ه غادرتُ أوجهِهم في الأرضِ أفلالاً
(٢١)

- اشربَ هنيئاً عليكِ التاجَ مُرتَفِقاً ٥ في رأسِ عُثْدَانٍ داراً مِنْكَ مَحَلًّا
ثم آتَمَلِ بِالمسكِ إِذْ شالتْ نَعَمَتُهُمْ ٥ وَأَسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدِكَ إِسْبَالًا
تلك المكارمُ لا قَبانٍ مِنْ لَبَنِ ٥ شَيْباً يَمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا
- فطلبوا الإذن عليه ، فأذن لهم ، فدخلوا ، فوجدوه منضمّخا بالنعير ، يلعب
ويص المسك في مفرق رأسه ، وعليه بُردان أخضران قد انزرو بأحدهما وارتدى ٥
بالآخر ، وسيفه بين يديه ، والملوك عن يمينه وشماله ، وأبناء الملوك والمقاول .
فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام ، فقال له : قل . فقال : إن الله تعالى
أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا متيعا ، باذخا شامخا ؛ وأنتك متبنا طابت
أرومته ، وعزت جرشومته ، ونبل أصله ، وبتق فرعه ، في أكرم معدن ،
وأطيب موطن ؛ فأنت أبيت اللعن رأس العرب ، وربيعها الذي به تخبب ، ١٥
وملكها الذي به تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي رآله يلجأ
العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا بعدهم خير خلف ، ولن يهلك من أنت
خلفه ، ولن يخمل من أنت سلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة
بيته ، أشخصنا إليك الذي أنهجك لكشف الكرب الذي فدحنا ، فذجن وقد
التهنئة لا وفود المرزئة .
- ١٥ قال : من أنت أيها المتكلم .
قال : أنا عبد المطلب بن هاشم .
قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأذناه وقربه ؛ ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال :
مرحبا وأهلا ، وناقة ورَحْلا ، ومُستناخا سهلا ، ومَلِكا رَحْلا ، يُعطى عطاء
جزْلا . فذهبت مثلا .
- ٢٠ وكان أول ما تكلم به قد سمع الملك مقالته ، وعرف قراتكم ، وقيل وسيلتكم
فأهل الشرف والقباهة ^(١) أتم ، ولكم القرى ما أقمتم ، والجبا إذا ظلمتم .
قال : ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجريت عليهم الانزال .
(١) في بعض الأصول : الليل والنهار .

فأقاموا ببابه شهرا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم في الانصراف . ثم اتقبه
إلهم اتقابه ، فدعا ببد المطلب من بينهم ، فخلاه وأذن مجلسه ، وقال :
باعبد المطلب ، إني مفوض إليك من سِرِّ علي أمرًا لو غَيَّرَكَ كَانَ لَمْ أَسْجُحْ له به ،
ولكنني رأيتك موضعه ^(١) فأطعته عليك ؛ فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه ؛
فإن الله بالغ أمره : إني أجد في العلم المخزون ؛ والكتاب المكتون الذي أدرناه
لأنفسنا ، واحتجبتاه دون غيرنا ، خبرك عظيمًا ، وخطرًا جسيمًا ، فيه شرف الحياة ،
وفضيلة الوفاة ، للناس كافة ، ولرهلك عامة ، ولنفسك خاصة .

قال عبد المطلب : مثلك أيها الملك من برٍّ وسرٍّ وبشٍّ ، مأهول ؟ فذاك أهل
الوَرِّ ، زُمَرًا بعد زُمَرٍ .

١٠ قال ابن ذي زن : إذا ولد مولود بهيمة ، بين كنفه شامة ، كانت له الإمامة ،
إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أبيت اللعن ، لقد أبت بخبر ما آت به أحد ؛ فلولاً لإجلال
الملك لسانته أن يزيدني في البشارة ما أزداد به سرورا .

١٥ قال ابن ذي زن : هذا جِنُّه الذي يُؤلَّد فيه أو قد وُلِدَ ، يموت أبوه وأُمُّه ،
ويكفله جدُّه وعمه ؛ قد وجدناه مراراً ، واقفه باعنه جهاراً ، وجاعلٌ له مِنَّا أنصاراً ،
يُعِزُّ بهم أوليائه ، ويُذِلُّ بهم أعداءه ، ويفتح كرائم الأرض ، ويضرب بهم
الناس عن عُرْض ؛ يُخمد الثَّيْران ، ويكسر الأوْثان ، ويعبد الرحمن ، قوله حَكَمٌ
وفصل ؛ وأمره حَزَمٌ وعدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويُطِله .

فقال عبدُ المطلب : طال عُمرُكَ ، ودَامَ مُلْكُكَ ، وعلا جَدُّكَ ، وعَزَّ خُفْرُكَ ؛
فهل الملكُ يَسُرُّني بأن يُوضَّح فيه بَمَضٍ الإيضاح ؟

٢٠ فقال ابنُ ذي زَنْ : والبيتُ ذِي الطُّبِّ ، والعلاماتُ والنُصب ، إنك
باعبد المطلب ، لَجِدُّه من غير كَذِبٍ . فَخَرَّ عبدُ المطلب ساجداً .

قال ابن ذى رزن : أرفع رأسك ؛ تَلَجْ صدرك ، وعلا أمرك ؛ فهل أحسست شيئاً مما ذكرت لك ؟

- قال عبدُ المطلب : أيها الملك ، كان لى ابنُ كنتُ له مُحِبّاً ، وعليه حديباً مُثْفِيقاً ، فزوجته كريمة من كرائم قومه ، يقال لها أمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فجاءت بسلام بين كفيه شامة ، فيه كلُّ ما ذكرت من علامة ؛ مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعُمّه .
- قال ابن ذى رزن : إن الذى قلتُ لك كما قلت ، فاحفظ ابنك وأحذر عليه اليهود ؛ فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، أما ما ذكرت لك ، دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإنى لست آمنُ أن تُدْخِلَهُمُ النَّفَاسَةَ ، من أن تكون لكم الرِّبَاسَةُ ، فيبغون له النِّوَائِلَ ، وينصبون له الجبائل ، وهم فاعلون وأبناؤهم .
- ولولا أنى أعلمُ أن الموت مُجْتَنَاحِي قَبْلَ مَبْعَثِهِ ، لَسَرْتُ بِخَيْلى وَرَجُلِي حَتَّى أَصِيرَ يَثْرِبَ دَارِ مُهَاجِرِهِ ؛ فإنى أجد فى الكتابِ الناطق ، والدم السابق ، أن يثرب دارُ هجرته ، ويثربُ نُصْرَتِهِ ؛ ولولا أنى أَتَوَقَّعُ عليه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأَعْلَنْتُ على حدائثِ سنّهِ أمره ، وأوطأتُ أقدامَ العربِ عَقِبَهُ ؛ ولكنى صارفُ إليك ذلك عن غير تقصير منى بمن معك .

- ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد ، وعشر إماء سود ، وخمسة أرطال فضة ، وحلّتين من حُللِ اليمين ، وكُرْشٍ مملوءة عنبرا ، وأمر لبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك ، وقال : إذا حال الحول فأبنتى بما يكون من أمره .
- فما حال الحولُ حتى مات ابنُ ذى رزن ، فكان عبد المطلب بن هاشم يقول : يامعشر قريش ، لا يَبْغِطْنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ بِحَزِيلِ عَطَاءِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ إِلَى نَفَادٍ ، ولكن يَبْغِطْنِي بِمَا يَبْقَى ذِكْرُهُ وَغَيْرِهِ لِمَقْعَى . فإذا قالوا له : وما ذاك ؟ قال : سيظهر بعد حين .

وفرد عبد المسيح على سطّيح

جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما كان ليلةُ ولَدِ النِّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أرتجَ إِيوانُ كِسْرَى ، فسقطت منه أربع عشرة شُرْقة ؛ فَنُظِرَ

- ذلك على أهل مملكته ، فإكان أوشك أن كتب إليه صاحبُ اليمن يُخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحبُ السماوة يُخبره أن وادى السماوة انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ؛ وكتب إليه صاحب فارس يُخبره أن يوت النيران أخذت تلك الليلة ، ولم تتمد قبل ذلك بألف سنة . فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته ، فأخبرهم الخبر : فقال الموبدان : أيها الملك ، إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتي . قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعبا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة ، وانتشرت في بلادنا . قال : رأيت عظيما ، فاعندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، أرسل إلى عاملك بالحيرة ، يوجه إليك رجلا من علمائهم ، فإنهم أصحاب علم الجيدان . فبعث إليه عبد المسيح بن نفيلة القسائي : فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر . فقال له : أيها الملك . والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء . ولكن جهزي إلى غالى بالشام ، يقال له سطيح ، قال : جهزه . فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر ؛ فناداه فلم يجبه ، وكلمه فلم يرده عليه ، فقال عبد المسيح :
- أَصْمُ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمْنِ . يَا فَاصِلَ الْخَطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ . أَيْتَضَّ فَضْفَاضَ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ ١٥
- رسول قبل العظم ينهى للوثن . لا يرهب الوعد ولا رب الزمن
- فرجع إليه رأسه ، وقال : عبد المسيح ، على جمل مُشيع ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الصنيع ؛ بعثك ملك بني ساسان ، لأرتجاج الإيوان ، وحمود النيران ، ورؤيا الموبدان ؛ رأى إبلا صعبا ، تقود خيلا عرابا . قد اقتحمت في الواد ، وابتشرت في البلاد يا عبد المسيح ، إذا ظهرت التلاوة ، وفاض وادى السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة وظهر صاحبُ الحرارة ، وخذت نار فارس ، فليست بابل للفرس مقاما ، ولا الشام لسطيح شاما . يملك منهم ملوك وملكات ، عدد سقوط الثرافات ، وكل ما هو آت آت . ثم قال :
- إن كان ملك بني ساسان أفرطهم . فإن ذا الدهر أطوار دهارير

- منهم بنو الصرّج يهرثم وإخوته • وأهله من أنسابهم وسابور
 فرمّا أصبّحوا منهم بمنزلة • يهاب صرّكهم الأسد المهاصير
 حثوا البطي وجدوا في رحالهم • فما يقوم لهم سرّج ولا كور
 والناس أولاد علات فنعلوا • أن قد أقلّ قفقور ومهجور
 والخير والشرّ مقرونان في قرن • فالخير متبع والشرّ محذور •
 ثم أتى كسرى فأخبره ، فنهى ذلك . ثم تعزى فقال : إلى أن يملك منا أربعة
 عشر ملكاً يدور للزمان . فهلكوا كلهم في أربعين سنة .

وفود همدان على النبي

صلى الله عليه وسلم

- ١٠ قدم مالك بن نمط في وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقوه
 مُقبِلًا من تبوك ، فقال مالك بن نمط : يا رسول الله نصية من همدان ، من كل
 حاضر وباد ، أتوك على قُلص نواج ، متصلة بجبال الإسلام ، لا تأخذهم في الله
 لومة لائم ، من خلاف خارف ، ويام وشاكر عهدهم لا يُنقض ، عن سنة
 ماحل^(١) ولا سوداء عنقفير^(٢) ، ما أقامت كطلع ، وما جرى اليعفور^(٣) بصلع^(٤)
 ١٥ فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى
 خلاف خارف ، وأهل جناب الهضب ، وجفاف الرمل ، مع وفدها ذى المشمار
 مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ، أن لهم فرأعها ووهاطها وعزأرها ، ما أقاموا
 الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون علفها ، ويرعون عفاها ، لنا من دفيئهم وصرامهم
 ما سلوا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
 الداجن والكبش الحورّي ؛ وعليهم الصّالغ والقارح .

(١) الماحل : الساحل بالهيممة والإفساد .

(٢) السنفير : الهامية .

(٣) اليعفور : ولد الظبية . وطلع : جبل . وصلح : الأرض لا نبات لها .

وفود النخع على النبي

صلى الله عليه وسلم

- قدم أبو عمرو النخعي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني رأيت في طريق هذه رؤيا، رأيت أنا أنأ تركتها في الحى ولدت جديا أسفع أحوى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من أمة تركتها مُصِرَّةً^(١) حلا؟ قال: نعم، تركت أمة لي أظنها قد حملت؟ قال: فقد ولدت غلاما وهو ابنك. قال: فما بالله أسفع أحوى؟ قال: أذن منى. فدنا منه؛ فقال: هل بك برصٌ تكتمه؟ قال نعم، والذي بعثك بالحق ما رأيته مخلوق ولا علم به. قال: فهو ذلك. قال: ورأيت الثعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان. قال: ذلك ملك العرب عاد إلى أفضل زيه وبهجه. قال: ورأيت عجوزا شبطاء تخرج من الأرض قال: تلك بقية الدنيا. قال: ورأيت نارا خرجت من الأرض لحالت بينى وبين ابن لي يقال له عمرو، ورأيتها تقول: لظي لظي! بصير وأعمى! أطعموني! آكلكم آكلكم! أهلككم ومالكم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تلك فتنة في آخر الزمان. قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يقتل الناس إمامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس - وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه - بحسب المسمى أنه محسن، ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء.

وفود كلب على النبي

صلى الله عليه وسلم

- قدم قطن بن حارثة العلبي في وفد كلب على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر كلاما، فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا نسخته:
- هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب وأحلافها، ومن ظأره الإسلام من غيرها، مع قطن بن حارثة العلبي، بإقامة الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لحقها،
- (١) مصرة حلا، أى ذات حمل محقق.

- في شدة عَقْدِهَا ، ووفاء عهدِهَا ، بِمَحْضَرِ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ : سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ،
وعبد الله بن أنيس ، ودَحِيَّةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ ، عَلَيْهِمْ فِي الْمُهْمُولَةِ الرَّابِعَةِ الْبَسَاطِ
الطُّوَارِ ، فِي كُلِّ خَمْسِينَ نَافَةً غَيْرُ ذَاتِ عَوَارٍ ، وَالْمُهْمُولَةُ الْمَائِرَةُ لَهُمْ لَا غَيْبَةَ ، وَفِي
الشَّوْبِيِّ الْوَرِيِّ مُسِنَّةً حَامِلٌ أَوْ حَامِلٌ ، وَفِي سَقِي الْجَدُولِ مِنَ الْعَيْنِ الْمَعِينِ
الْعَذْرُ مِنْ ثَمَرِهَا مَا أُخْرِجَتْ أَرْضُهَا ، وَفِي الْعَذَى شَطْرُهُ بِقِيَمَةِ الْأَمِينِ ، فَلَا تُزَادُ ٥
عليهم وظيفة ولا يُفَرَّقُ . يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله .
وكتب ثابت بن قيس بن شماس .

وفود ثقيف على النبي

صلى الله عليه وسلم

- وفدت ثَقِيفٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا حِينَ اسْلَبُوا : ١٥
نَ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، وَأَنْ وَادِيَهُمْ حَرَامٌ ، عِضَاهُ وَصَيْدُهُ وَظَلْمٌ فِيهِ ، وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ
نَ دِينَ إِلَى أَجَلٍ فَلْيُغْلَبْ أَجَلُهُ فَإِنَّهُ لِيَاظُ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دِينٍ
، رَهْنٌ وَرَاءَ عُكَاظٍ ، فَإِنَّهُ يُقْضَى إِلَى رَأْسِهِ وَيُلَاطُ بِعُكَاظٍ وَلَا يُؤْخَرُ .

وفود مذحج على النبي

صلى الله عليه وسلم

- وَقَدْ ظَهَرَ بَنُو حَذَادٍ فِي سِرَاتِ مَذْحِجٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ بَعْدَ
السلام عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّاءُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ .
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَعَ الْأَرْضَ بِالنباتِ ، وَفَتَحَ السَّمَاءَ بِالرَّيْجِ . ثُمَّ قَالَ : نَحْنُ
قَوْمٌ مِنْ سِرَاتِ مَذْحِجٍ مِنْ يُحَايِرِ بْنِ مَالِكٍ . ثُمَّ قَالَ : فَتَوَقَّلتُ بَنِي الْقَلَاصِ ، مِنْ
أَعَالَى الْخَوْفِ وَرَمُوسِ الْمُضَابِ ، تَرَفُّعُهَا عُرَّرَ الرِّبَا وَتَحْفِضُهَا بَطْنَانُ الرِّقَاقِ : ٢٥
وَتَلْعَفُهَا دِيَابِجُ الشُّجَى . ثُمَّ قَالَ : وَسِرَاتُ الطَّائِفِ كَانَتْ لِبَنِي مَهْلَائِيلَ بْنِ قَيْثَانَ :
عَرَسُوا وَدِيَانَهُ وَذَلُّوا اخِشَانَهُ ، وَرَعَوْا أَقْرَبَانَهُ . ثُمَّ ذَكَرُوا نَوَاحِيْنَ خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ .

- بن معه ، قال فكان أكثر بنيه نباتا . وأسرعهم نباتا ، عاذ وثمود ، فرماهم الله بالدمالقي ، وأهلكهم بالصواعق . ثم قال : وكانت بنو هاني من ثمود تسكن الطائف ، وهم الذين خطوا مشاربها ، وأثروا جداولها ، وأحيوا غراسها ، ورفعوا عريشها . ثم قال : وإن خير ملكوا معاقل الأرض وقرارها ، وكهول الناس وأعمارها ، ورؤوس الملوك وغرارها ، فكان لحم البضاء والسوداء ، وفارس الحرما ، والجارية الصفراء ؛ فطروا النعم ، واستحقوا النعم ، فضرب الله بعضهم ببعض . ثم قال : وإن قبائل من الأزدي نزلوا على عهد عمرو بن عامر ، ففتحوها فيها الشرائع ، وبنا فيها المصانع ، وآخذوا الدسائع ؛ ثم ترامت مذبح بأسنتها ، وتذرت بأعنتها ؛ فغلب العزيز أذلها ، وقتل الكثير أقلها . ثم قال : وكان بنو عمرو بن جذيمة يخيطون عبيدها ، ويأكلون حصيدها ، ويرشعون خبيدها .
- ٥ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إن نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من حره بغيضة ، ولو عدت عند الله جناح ذباب لم يكن لكافر منها خلاق ، ولا مسلم منها لحاق .

وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي

صلى الله عليه وسلم

١٥

- وقد لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له تميم بن عاصم بن مالك بن المنتفق .
- قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قيعنا المدينة لأتسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوافيناه حين أنصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيبا ، فقال : أيها الناس ، ألا إنني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ، لتسمعوا الآن ^(١) ، ألا فهل من امرئ قد بعثه قومه ؟ - فقالوا : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - ألا ، ثم لعله أن يُلْهِيه حديث نفسه
- ٢٠ .

(١) في بعض الأصول : ألا لا سمعنكم اليوم .

- أو حديث صاحبه أو يليه ضالٌّ، ألا وإنِّي مسئول هل بلغت، ألا اسمعوا ألا اجلسوا .
 جلس الناس وقت أنا وصاحبي ، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره ، قلت :
 يا رسول الله ، ما عندك من عِلْمِ الْغَيْبِ ؟ فضحك لَعَمْرُ اللَّهِ وهز رأسه ، وعلم أني
 أبتغى سَقَطَهُ ؛ فقال : صَنَّ رَبُّكَ بِمَفَاتِيحِ خَيْرٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ
 - وأشار يده - قلت : وما هي ؟ قال : عِلْمُ الْمَيِّتِ ، قد علم متى مَيِّتُهُ أَحَدِكُمْ وَلَا
 تعلمونه ؛ وعِلْمُ مَافِي غَدٍ وَمَا أَنْتَ طَاعِمٌ غَدًا ، وَلَا تَعْلَمُهُ ، وعلم المَيِّتِ حين يكون
 فِي الرَّحْمِ ، قد علمه ولا تعلمونه ؛ وعِلْمُ الْغَيْثِ ، يُشْرَفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُسْتَسْتَنِينَ ^(١)
 فَيُظَلُّ بِضَحْكَكَ ، قد عِلِمَ أَنْ عَوْنَكُمْ قَرِيبٌ .

قال لقيط : قالت : لن نَقدم من رب يَضْحَكُ خيرا .

- وعلم يوم الساعة . قلت : يا رسول الله ، إنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَاجَتِي فَلَا تَعِجَلْنِي .
 قال : سَلْ عَمَّا شِئْتَ .

قال : قلت : يا رسول الله ، عَلَيْنَا عَمَّا لَا يَعْلَمُ النَّاسُ وَمَا نَعْلَمُ ؛ فَإِنَّا مِنْ قَبِيلٍ
 لَا يَصْذَقُونَ تَصْدِيقَنَا أَحَدًا ؛ مِنْ مَذْحَجِ اللَّيْلِ تَدْنُو إِلَيْنَا ، وَخَشَمِ اللَّيْلِ تَوَالِينَا ،
 وَعَشِيرَتَنَا الَّتِي نَحْنُ مِنْهَا .

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَأْتِبُونَ مَا لِبَنَتُمْ ، ثُمَّ يُتَوَقَّى نَبِيَّكُمْ ،
 ثُمَّ تَلْبَثُونَ حَتَّى تُبْعَثَ الصَّيْحَةُ ، فَلْتَعْمُرُوا لِهَلِكِ مَا تَدْعُ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
 مَاتَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ؛ فَيُصْبِحُ رَبُّكَ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ وَقَدْ خَلَّتْ
 عَلَيْهِ الْبِلَادُ ، فَيُرْسِلُ رَبُّكَ السَّيَّءَ بِهَضْبٍ مِنْ عِنْدِ الْعَرْشِ ، فَلْتَعْمُرُوا لِهَلِكِ مَا تَدْعُ
 عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ مَضْرَعٍ قَتِيلٍ ، وَلَا مَدْفَنٍ مَيِّتٍ ، إِلَّا شَقَّتْ الْقَبْرَ عَنْهُ حَتَّى تَخْلُقَهُ
 مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَيَسْتَوِي جَالِسًا ، ثُمَّ يَقُولُ رَبُّكَ : مَهْمٌ - لِمَا كَانَ فِيهِ - فَيَقُولُ :
 يَارَبِّ ، أَمْسَ ! الْيَوْمَ ! وَلَهْجُهُ بِالْحَيَاةِ يَحْسِبُهُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِأَهْلِهِ .

فقلت : يا رسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا بالرياح والبلل والسباع ؟

(١) آزِلِينَ : قد صرتم في جذب وقحط . ومستنين : قد أصابكم الشدة . وفي بعض
 الأصول : « آذِلِينَ مشفقين » .

قال : أنبتك بمثل ذلك في إلّ الله ، أشرفتُ على الأرض وهي مدّرة يابسة فقلت : لا تحيا هذه أبدا ، ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث إلا أياما حتى أشرفتُ عليها وهي شربة واحدة ، ولعمر إلهك لهُر أقدرُ على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فتخرجون من الأصواء - قال ابن إسحاق : الأصواء أعلام القبور - ومن مصارعكم ، فتظنون إليه وينظر إليكم . ٥

قال : قلت : يا رسول الله ، وكيف نحن ملء الأرض وهو شخص واحد تنظر إليه وينظر إلينا ؟

قال : أنبتك بمثل ذلك في إلّ الله : الشمس والتمر آية منه صغيرة ترونها ويرياكم ساعة واحدة ، ولعمر إلهك لهُر أقدر على أن يراكم وتروه من أن تروهما ويرياكم ، لا تضارون في رؤيتهما . ١٠

قال : قلت : يا رسول الله ، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟

قال : تُعرضون عليه بادية له صفائحكم لا يخفى عليه منكم غافية ، يأخذ ربك يده غرة من الماء ، فيتضح بها قبلكم ، فلعمر إلهك ما تُخطئ وجه أحدكم منها قطرة . فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرقطة البيضاء ، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الأسود . ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون . قال : ١٥ قتلكون جسراً من النار ، فبطأ أحدكم البحر يقول : حس ! يقول ربك : أو إياه ؟ فطلمعون على حوض الرسول لا نظماً والله ناهله ، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وضع عليها قدح يُطهره من الطوف والبول والأذى ، وتُحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما واحدا .

قال : قلت : يا رسول الله ، فبم يُبصر يومئذ ؟ ٢٠

قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ؛ وذلك قبل طلوع الشمس في يوم أشرقه الأرض وواجهته الجبال .

قال : قلت : يا رسول الله ، فبم تُجزي من سيئاتنا وحسناتنا ؟

قال : الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، إلا أن يعضو .

قال : قلت يا رسول الله ، فما الجنة وما النار ؟

قال : لعمر إلهك إنّ للنار لسبعة أبواب ، مامنٌ بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً . وإنّ للجنة ثمانية أبواب ، مامنٌ بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً .

قال : قلت : يا رسول الله ، فعلام تطلع من الجنة ؟

قال : على أنهار من عسل مُصَفّى ، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وفاكهة لعمر إلهك ما تعملون ، وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة .

قال : قلت : يا رسول الله ، أو لنا فيها أزواج ؟ أو منهن صالحات ؟

قال : الصالحات للصالحين ، تَلَذُّونَ بهن مثل لذاتكم في الدنيا ، ويلذّذنّ بكم ، غير أنّ لا توالد .

١٠

قال لقبط : قلت : أقصى ما نحن بالنون ومنهون إليه ، فلم يحبه النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : قلت : يا رسول الله ، علام أبايعك ؟ قال : فبسط إلى يده وقال : على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزيال الشُّرك ، وألا تشرك بالله إلها غيره .

١٥

قال : فقلت : وإنّ لنا ما بين المشرق والمغرب ؟

فقبض صلى الله عليه وسلم يده وظن أنّي مُشَرِّطٌ شيئاً لا يُعطينيهِ .

قال : قلت : تحلّ منها حيث شئنا ، ولا يجزى عن امرئٍ إلا نفسه ؟ فبسط إلى يده وقال : ذلك لك : حلّ حيث شئت ، ولا يجزى عنك إلا نفسك . قال : فأنصرفنا عنه .

٢٠

وقود قيلّة على النبي

صلى الله عليه وسلم

خرجت قيلة بنت مخزومة التميمية تبني الصُّحبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمُّ بناتها ، وهو أثوب بن أزهري ، قد انتزع منها بناتها ، فبكت

جُورِيَّةٌ مِنْهُنَّ حُدياءٌ قد أخذتها القَرْصَةُ ، عليها سُبَيْجٌ من صُوفٍ ، فَرَجَمَتْها
فذهبَتْ بها . فبينما هما تَرْتَبِكُانِ الجبلَ إذ انتفضت منه الأَرنبُ ؛ فقالت الحُدياءُ :
القَصِيَّةُ . والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب . ثم سَنَحَ الثعلبُ ، فسَمَتَهُ
اسماً غير الثعلب نِسْبَةً ناقِلُ الحديث . ثم قالت فيه مثل ما قالت في الأَرنبِ ،
فبينما هما تَرْتَبِكُانِ الجبلَ إذ بَرَكَ الجبلُ وأخذته رعدة . فقالت الحُدياءُ : أخذتك
والأمانة إخذةً أثوب . قالت قَيْلةٌ : قلتُ لها : فإِصْنَعِ ، ويحك ! قالت :
قُلْني ثِيابك ظهروها لبطونها ، وأدْخِرْجِي ظهرك لبطنك ، وقُلْني أحلاسَ جَمَلِكِ .
ثم خلعت سُبَيْجَها فقلَّبه ، ثم ادخرجت ظهرها لبطنها ، فلما فعلتُ ما أمرتني به
انتفض الجبلُ ، ثم قام فَنَاجَ وبال ، فقالت : أعيدى عليه أدانك . ففعلتُ ، ثم
خرجنا نُرْتَكُ ، فإذا أثوبُ يَسْعَى وراءنا بالسيفِ صَلَنا ، فوَأَلَّنا إلى حِوَاءِ ضَخَمٍ
فداراه ، حتى أُلْقِيَ الجبلُ إلى رُواقِهِ الأَوْسَطِ ، وكان جَمَلًا ذَلُولًا ، واقطعتُ داخله
وأدركني بالسيف ، فأصابَتْ طَبْعَهُ طائفةٌ من قرونِ رَأْسِيهِ ؛ ثم قال : أُلْقِيَ إلى
ابنةِ أَخِي يادَغارٍ . فألقيتها إليه . فجعلها على مَنكِبِهِ وذهب بها . وكنتُ أعلمُ به من
أهل البيت ، وخرجتُ إلى أخت لي ناكِحَةٍ في بني شَيْبَانَ أبتنى الصُّبَّةَ إلى
رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فبينما أنا عندها تحسبُ أني نائمةٌ ، إذ جاء زوجها
من السامر ، فقال لها : وأييك لقد وجدتُ لقَيْلةٍ صاحبَ صدقٍ . قالت أختي :
مَنْ هو ؟ قال : حُرَيْثُ بنُ حَسَّانِ الشَّيْبَانِي ، وأحدُ بكرِ بنِ وائلٍ طَوايا ذَا صَباحٍ .
فقالَتْ أختي : الويل لي ، لا تخبرها فتنبِئَ أخا بكرِ بنِ وائلٍ بينَ سَمْعِ الأرضِ
وبصرها ، ليس معها أحدٌ من قومها . قال : لا ذِكرَتهُ .

٢٠ قالت : وسمعتُ ما قالَا ؛ فندوت إلى جملٍ فشددت عليه ، ثم تشددتُ عنه
فوجدته غيرَ بعيدٍ . فسألته الصُّبَّةَ بِمَقَالٍ : نَعَمْ وكرامةٌ ، وركابه مُناخَةٌ عنده .

قالت : فسرتُ معه صاحبَ صدقٍ ؛ حتى قَدِمْنَا على رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي بالناس صلاةَ الغداةِ ؛ قد أُقِيمَتْ حينَ شَقِّ الفجرِ ، والنجومُ شابكةٌ
في السماء ، والرجالُ لا تكادُ تعارفُ من ظُلمةِ الليلِ ؛ فصففتُ مع الرجالِ ؛ وأنا

امرأة قرية عهد بجاهلية ؛ فقال الرجل التى يلينى من الصف : امرأة أنت أم رجلى ؟ فقلت : لا بل امرأة . فقال : إنك كدت تقتلنى ، فصلّى فى النساء وراءك . فإذا صفّ من نساء قد حدثت عند الحُجرات لم أكن رأيته إذ دخلت ؛ فكنت فيهن ؛ حتى إذا طلعت الشمس دنوت ؛ فجعلت إذا رأيت رجلا ذا رِواءٍ وذا قِشرٍ " طَمَحَ إليه بصرى لأرى رسولَ الله فوق الناس ، حتى جاء زجل ؛ فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال : وعليك السلام ورحمة الله . وعليه تعنى النبي صلى الله عليه وسلم - أسماؤُا مُلَتَيْنِ ، كانتا مُزْعِفَتَيْنِ وقد نَفَضتا ؛ ومعه عُسَيْبٌ نَحْلَةٌ مَقْشُورَةٌ غيرُ خُوصَتَيْنِ من أعلاه ؛ وهو قاعد القُرْفاء . فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخسّعا فى الجلسة أرعدت من الفرق ، فقال جليسه : يا رسول الله ، أرعدت المسكينة . فقال رسول الله ، ولم ينظر إلى وأنا عند ظهره : يا مسكينة ، عليكِ المسكينة .

قالت : فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان دخل فى قلبي من الرعب . وتقدّم صاحبى أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه ، ثم قال : يا رسول الله ، اكتب بيننا وبين تميم كتاباً بالدهناء لا يُجاوزها إلينا منهم إلا مسافراً أو مجاوزاً .

قال : يا غلام ، اكتب له بالدهناء . قالت : فلما رأيته أمر بأن يكتب له : غِيصٌ بى ، وهى وطنى ودارى ؛ فقلت : يا رسول الله ؛ إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك ؛ إنما هذه الدهناء مَقْيَدُ الجمل وسرعى النعم ؛ ونساء بنى تميم وأبناؤها وراء ذلك . فقال : أمسك يا غلام ، صدقت المسكينة المسلم أخو المسلم ، يسعهما الماء والشجر . ويتماونان على الغنّان .

فلما رأى حُرَيْث أن قد حبل دون كتابه ، قال كنت أنا وأنت كما قال فى المثل : حَفْها تَحْمِيلُ ضَانٍّ بأُظْلانها ؛ فقلت : أما والله ما علمت إن كنتَ لدليلاً

في الظلباء، جوادا لى الرجل، غيفاً عن الرفقة حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا تلتني أن أسأل حظي إذ سألت حظك . قال : وأى حظ لك في الدهناء لا أبالك .

قلت مُقَيَّدٌ جلى تُرَيْدِه لجل أمراك ! فقال : لا جرم إني أشهد رسول الله ٥
أنى لك أخٌ ما حييت ؛ إذ أثبت على عنده . قلت : أما إذ بدأتها فلن أضيعها .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيلام ابنُ هذه أن يفصل الحُفَّة ،
وينتصر من وراء الحِجْرة . فبكيتُ ثم قلت : فقد والله ولدته يا رسول الله حراما ،
فقاتل مملوك يوم الرِّبْدة ، ثم ذهب يمتري من خيبر ، فأصابته حُمَاهَا فأت فقال :
لو لم تكوني مسكينة لجرناك على وجهك . أئتلب أحدكم على أن يصاحب ١٠
صُويجه في الدنيا معروفا ، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع ثم قال :
ربُّ آسنى لما أمضيت ، وأعنى على ما أبقيت . فوالذى نفسُ محمد بيده إن أحدكم ١١
ليكني فيستعبر له صُويجه ؛ فإعباد الله لا تعذبوا إخوانكم ثم كتب لها في قطعة
أدم أحمر : لِقَبْلة والنسوة من بنات قَبْلة يُظْلَن حَقًّا ، ولا يُكرهن على منكح ،
وكل مؤمن مسلم لطيف نصير أخين ولا تسيئ .

كتاب

١٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأكبر دومة

من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكبر دومة ، حين أجاب إلى ٢٠
الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة
الجنادل وأكافها :

إن لنا الضاحية من الضل والبور والمأوى وأغفال الأرض والحلقة والسلاح
والخافر والحصن ، ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور ^(١) ، لا تعدل

سارحتكم ولا تتمدّد فاردتكم ، ولا يُحظر عليكم النبات . تُقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة لحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء . شهد الله ومن حضر من المسلمين .

كتابه صلى الله عليه وسلم

لوائل بن حجر الحضرمي

٥

من محمد رسول الله إلى الأقبال العباة والأرواح المشايب من أهل حضرموت بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة : في التبعة شاة ، لا مُقوّرة الألباط ولا ضنك ، وأنطور الشبجة والتمعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس : لا خلط ، ولا وراط ، ولا شناق ، ولا شنار ، ومن أجبي فقد أربي ، وكل مُسكّر حرام .

١٠

حديث جرير بن عبد الله البجلي

قدم جرير بن عبد الله البجلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن منزله ببشة ، فقال سهل ودكداك ، وسلم وأراك ، وحمض وعلاك ، إلى نخلة ونخلة ، ماؤها ينبوع ، وجنابها مريع ، وشتاؤها ربيع .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن خير الماء الشيم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراك ، والسلم إذا أخلف كان ليجينا ، وإذا أسقط كان درينا ، وإذا أكل كان لينا .

١٥

وفي كلامه عليه السلام : إن الله خلق الأرض السفلى من الزبد الجفاء والماء والكبا .

حديث عياش بن أبي ربيعة

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عياش بن أبي ربيعة إلى بني عبد كلال وقال له : خذ كتابي يمينك وأدفعه يمينك في أيماهم ، فهم قاتلون لك اقرأ . فقرأ : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ ﴾ . فإذا

٢٠

فرغت منها قل : آمن محمد وأنا أول المؤمنين . فلن تأتيك حجة إلا وقد دُحِضت
ولا كتاب زخرف إلا وذهب نُورُه وَحَّ لونه ، وهم قارئون ، فإذا رطنوا فقد
ترجموا . قل : حَسَن ، آمنت بالله وما أنزل من كتاب الله . فإذا أسدلوا فسلهم
فُضِبَهُم الثلاثة التي إذا تَخَصَّرُوا بها يُجِدُ لِم ، وهي الأثل قضيب ملع بيباض ،
وقضيب ذو نُجْر كَأَنَّهُ من خيزران ، والأسود البهم ، كَأَنَّهُ من سَاسَم . ثم اخرج
بها خرقَها في سُوقِهِمْ .

حديث راشد بن عبد ربه السلمي

عبد الله بن الحكم الواسطي عن بعض أشياخ أهل الشام ، قال : قال استعمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على تَجْران ، فولاه الصلاة
والحرب ، ووجه راشد بن عبد ربه أميراً على القضاء والمظالم . قال راشد بن عبد ربه :
نَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَى وَأَقْصَرَ شَاوُهُ . وَرَدَّتْ عَلَيْهِ مَا نَفَتْهُ تُمَاضِرُ
وَحَكَّمَهُ شَيْبُ الْقَذَالِ عَنِ الصَّبَا . وَلِلشَّيْبِ عَنْ بَعْضِ النَّوَايَةِ زَاجِرُ
فَأَقْصَرَ جَهْلِي الْيَوْمَ وَارْتَدَّ بَاطِلِي . عَنِ الْجَهْلِ لَمَّا ابْيَضَّ مِثِّي الْغَدَائِرُ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ هَاجَهُ بِمَدِّ مَخْصُوفَةٍ . بِمَعْرِضِ ذِي الْأَجَامِ عَيْسَ بَوَاكِرُ
وَلَمَّا دَنَتْ مِنْ جَانِبِ النُّوْطِ أَخْصَبْتُ . وَحَلَّتْ وَلَاقَاهَا سَلِيمٌ وَعَايِرُ
وَخَبَّرَهَا الرُّكْبَانُ أَنَّ لَيْسَ بَيْنَهَا . وَبَيْنَ قُرَى بُصْرَى وَتَجْرَانَ كَافِرُ
فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى . كَأَنَّ عَيْنَنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وفود نايعة بنى جعدة

على النبي صلى الله عليه وسلم

وَدَّ أَبُو لَيْلَى نَابِئَةَ بَنِي جَعْدَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْشَدَهُ شِعْرَهُ
الذي يقول فيه :

بَلَّغْنَا السَّيَاءَ نَجْدُنَا وَسَنَّاؤُنَا * وَإِنَّا لَنَبْنِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إلى أين أبالي ؟ قال : إلى الجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله . فلما انتهى إلى قوله :

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكن له . بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم : لا يَفْضِضُ اللهُ فَاك ! فعاش مائة وثلاثين

- سنة لم تَنْقُصْ له سِنٌ ، وبقي حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه ، فقال له : يا أبا لَيْسَى ، إنَّ أدنى وسائلك عندما الشعر ، لك في مال الله حَقَّان : حق برويتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقُّ بشركك أهل الإسلام في فيئهم . ثم أحسن صلته وأجازه .

وفود طهفة بن أبي زهير النهدي

- ١٠ على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما قدمت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، قام طهفة ^(١) ابن أبي زهير ، فقال : يا رسول الله ، أتيناك من عَوْرَى تهامة يا كَوَارِ الْمَيْس ، ترمي بنا العيس ، تَسْتَحْلِبُ الصَّبِير ، وَتَسْتَخْلِبُ الْخَبِير ؛ وَتَسْتَعِضُ الْبَرِير ، وَتَسْتَحِلُّ الرِّهَام ، وَتَسْتَعِيلُ الْجَهَام ، من أرض غائلة النَّطَاء ، غليظة الْوِطَاء ، قد نَشِيفَ الْمُدْهُنَ وَيَبِسَ الْجُعَيْنَ ، وَسَقَطَ الْأَمْلُوج ، ومات الْعُسْلُوج ؛ وهلاك الْهَدْيِ ، ١٥ ومات الْوَيْدِي ، برثنا يا رسول الله من الْوَتْنِ وَالْعَيْن ، وما يُحدث الزمن ؛ لنا دعوة السلام ، وشريعة الإسلام ، ما طامى البحر ، وقام تَعَار ؛ ولنا نَعْمُ هُمْلُ أَغْفَال ، مَا تَبِضُّ بِلَال ؛ ووَقِيرٌ كَثِيرُ الرُّسُل ، قليل الرُّسُل ، أصابها سُليَّةٌ حمرَاءُ مَوْزِلَة ، ليس بها علل ولا نمل .

- ٢٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لهم في مَحْضِهَا وَمَحْضِهَا وَمَذْقِهَا ، وَأَبْتِ رَاعِيهَا فِي النَّتْرِ ، يَبْنَعُ النَّثْر ، وافْجُرْ لَهُ الشُّمْد ، وبارك له في المال والولد . من أقام الصلاة كان مُسْلِمًا ، ومن آتَى الزَّكَاةَ كَانَتْ مُحْصَنًا ، ومن شهد

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا . لَكُمْ يَا بَنِي نَهْد ، وَدَائِعَ الثَّرَكِ ، وَوَضَائِعَ الْمَلِكِ .
لَا تُلْطِطُ فِي الزَّكَاةِ ، وَلَا تُلْجِدُ فِي الْحَيَاةِ ، وَلَا تُتَاقِلُ عَنِ الصَّلَاةِ .

وكتب معه كتاباً إلى بني نهد : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من محمد رسول الله
إلى بني نهد بن زيد ، السلامُ على من آمن بالله ورسوله ، لكم يا بني نهد في الوظيفة
الفريضة ، ولكم الفارض والفريش ، وذو العنان الركوب والفيل الضبيد ، لا يمنع
سرحكم ، ولا يُعْصِدُ طَلْحَكُمْ ، ولا يُجْبِسُ دَرْكَكُمْ ، مالم تُضمروا الإِمَاقَ ، وتأكوا
الرِّبَاقَ . من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفا .
بالمهد والذمة ، ومن أبى عليه فعليه الزَّهْوَةُ .

وفرد جبلة بن الأيهم

على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

١٠

العجلي قال : حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفي
سبيت ، قال : حدثني إبراهيم بن علي مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثقات شيوينا
أَنْ جَبَلَةَ بْنَ الْأَيْهِمِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ النَّسَائِيَّ لما أراد أَنْ يُسَلِّمَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
مِنَ الْهَيْمِ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ . فَمُرَّ بِذَلِكَ عُمَرُ وَالْمَسْلُوبُونَ ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَقْبَضَ وَلَكَ مَا لَنَا وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْنَا ، ففُرجَ جَبَلَةَ فِي حِمَاةِ فَارِسَ مِنْ
عَكَ وَجَفَنَةَ ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَلْبَسَهُمْ ثِيَابَ الْوَشْيِ الْمَسْجُوجِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،
وَلَبَسَ يَوْمَئِذٍ جَبَلَةُ تَاجَهُ فِيهِ قُرْطُ مَارِيَّةَ ، وَهِيَ جَدَّتُهُ فَلَمَّا بَقِيَ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ أَحَدُ
إِلَّا أَخْرَجَ يُنْظَرُ إِلَيْهِ ، حَتَّى النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ ، وَفَرِحَ الْمَسْلُوبُونَ بِقُدُومِهِ وَإِسْلَامِهِ ،
حَتَّى حَضَرَ الْمَوْسِمَ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ
وَطِعَ عَلَى إِزَارِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُرَازَةَ قَتَلَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ جَبَلَةُ مُنْغَضًا . فَلَطَمَهُ
فَهَشَمَ أَنْفَهُ ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الْقَرَارِيُّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا دَعَاكَ
يَا جَبَلَةَ إِلَى أَنْ لَطَمْتَ أَخَاكَ هَذَا الْقَرَارِي فَهَشَمْتَ أَنْفَهُ ؟

٢٠

فقال : إِنَّهُ وَطِعَ إِزَارِي لِحَلَّةٍ ، وَلَوْلَا حُرْمَةُ هَذَا الْبَيْتِ لَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ

عنا . فقال له عمر : أما أنت فقد أقررت . إنا أن نرضيه وإلا أفدته منك قال :
أُتقيده مني وأنا ملك وهو سُوقَة ؟ قال : يا جيلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ،
فما فضله بشئ إلا [بالتق] بالساقية . قال : والله لقد رجوت أن أكون في
الإسلام أعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع عنك ذلك . قال : إذن أتنصر .
قال : إن تنصرت ضربتُ عنقك . قال : واجتمع قومُ جيلة وبنو قُرارة فكادت
تكون فِتنة ، فقال جيلة : أخرني إلى غدا يا أمير المؤمنين . قال : ذلك لك .
فلما كان جنح الليل خرج جيلة وأصحابه ، فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على
هرقل ، فنصّر وأقام عنده ، وأعظم هرقلُ قدومَ جيلة ، وسر بذلك وأقطعهم
الأموال والأرضين والرّباع .

ثم بعث عمر بن الخطاب رسولا إلى هرقل يدعوهُ إلى الإسلام ، فأجابه إلى
المصالحة على غير الإسلام ، فلما أراد أن يكتب جواب عمر قال للرسول :
أَلَيْتَ ابنَ عمك هذا الذي يلدنا - يعني جيلة - الذي أئانا راعباً في ديننا ؟
قال : مألقيته .

قال : الله ، ثم آتني أعطيك جواب كتابك .

وذهب الرسول إلى باب جيلة ، فإذا عليه من القهارة والحجاب والبهجة
وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل .

قال الرسول : فلم أزل أتلفظ في الإذن حتى أذن لي ، فدخلت عليه ، فرأيت
رجلاً أصهب اللحية ذيبال ؛ وكان عهدي به أسمر أسود اللحية والرأس . فنظرتُ
إليه فأنكرته ، فإذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها في لحيته حتى عاد أصهب ، وهو
قاعدٌ على سرير من قوارير ، قوائمه أربعة أسود من ذهب ، فلما عرفتُ ردفني معه
في السرير ، فجعل يُسائلني عن المسلمين ، فذكرتُ خيراً ، وقلت : قد أضعفوا
أضعافاً على ما تعرف . فقال : كيف تركت عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير . فرأيت النعم
قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر . قال : فأنحدرت عن السرير . فقال : لم تأتني
الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم همى عن هذا .

قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن تق قلبك من اللئس ولا تبال عَلام
 قدمت . فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه ، قُلت له : ويحك
 يا جلة ! ألا تُسلم وقد عرفت الإسلام وفضله ؟ قال : أبعد ما كان مني ؟

قلت : نعم ، قد فعل وجلُّ من بنى قِزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن
 الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام وقُبِل ذلك منه
 وخلفته بالمدينة مُسلماً .

قال : ذرني من هذا ؛ إن كنت تضمن لي أن يزوجني عمر ابنته ويولياني الأمر
 بعده رجعتُ إلى الإسلام . قلت : ضمن لك التزوج ولم أخمن لك الإمرة .

قال : فأومأ إلى خادم بين يديه ، فذهب مُسرعا ، فإذا خدم قد جاءوا يحملون
 الصناديق فيها الطعام ، فوضعت ، ونصبت موائد الذهب وحجاف الفضة ،

وقال لي : كُلْ ، فقبضت يدي . وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
 عن الأكل في آنية الذهب والفضة . فقال نعم صلى الله عليه وسلم ، ولكن تق
 قلبك وكل فيما أحببت . قال : فأكل في الذهب والفضة وأكلت في الخليج (١) ؛

فلما رُفِع الطعام جىء ببطاس الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ إلى خادم بين يديه ،
 فزُمرسرا ، فسمعت حسا ، فالتفت ، فإذا خدم معهن الكراسى مُرصعة بالجواهر ،

فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ، ثم سمعت حسا ، فإذا عشر جوار
 قد أقبلن مطمومات الشعر متكسرات في الحلى عليهن ثياب الديباج ، فلم أر

وجوها قط أحسنَ منهن ، فأقعدهن على الكراسى عن يمينه ؛ ثم سمعت حسا ،
 فإذا عشر جوارٍ أخرى ، فأجلسن على الكراسى عن يساره ؛ ثم سمعت حسا ،

فإذا جارية كأنها الشمس حسنا ؛ وعلى رأسها تاج ، على ذلك التاج طائر لم أر
 أحسنَ منه ، وفي يدها البني جامٌ فيها مسكٌ وعنبر ، وفي يدها اليسرى جامعة فيها

ماء ورد ، فأومأت إلى الطائر أو قال : فصَفَرَت بالطائر ، فوقع في جام ماء الورد
 فاضطرب فيه ، ثم أومأت إليه أو قال : فصَفَرَت به ، فطار حتى نزل على صليب

في تاج جَبَلَة ؛ فلم يزل يرفرف حتى نفض مائى ريشه عليه . وضحك جبلة من شدة
السُرور حتى بدت أنيابها ؛ ثم التفت إلى الجوارى اللواتى عن يمينه ، فقال : بالله
أطربننى ؛ فاندفعن يتننن يخفخن بعبدانهم ويقُلن :

دُرُ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ • يَوْمًا يَجْلِقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ • بَرَدَى يُصَقِّقُ بِالرَّحْبِيِّ السَّلْسَلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ • قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُشَوِّنَ حَتَّى مَاءَهُمْ كَلَاهُمُ • لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
يُبْضُ الْوَجْهَ أَعْفَى أَحْسَابُهُمْ • ثُمَّ الْأُنُوفُ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

قال : فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا ؟ قلت :

لا . قال : قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم التفت إلى الجوارى اللاتي عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا . فاندفعن
يتننن يخفخن بعبدانهم ويقُلن :

لِمَنْ الدَّارُ أَقْصَرَتْ بِمَعَانٍ • بَيْنَ أَعْلَى الْبَرْمُوكِ فَالْحُمَانِ ^(١)
ذَاكَ مَعْنَى لَالِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ مَحَلًّا لِحَادِثِ الْأَزْمَانِ
قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ دَهْرًا مَكِينًا • عِنْدَ ذِي النَّجَاجِ مَقْعَدَى وَمَكَانِ
وَدَنَا الْفِضْحُ فَالْوَلَادُ يُنْظِمْنَ سِرَاعًا أَكَلَةَ الْمَرْجَانِ
لَمْ يُعْلَنَ بِالْمَنَافِرِ وَالصَّمْنَجِ وَلَا تَقْفِ حَنْظَلِ الشَّرِيَانِ

قال : فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيتي ؛ ثم قال : أتدرى من قائل

هذا ؟ قلت : لا أدري . قال : حسان بن ثابت . ثم أنشأ يقول :

تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ • وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا صَرَرُ
تَكَنَّفَنِي مِنْهَا لَجَاجٌ وَنَحْوَةٌ • وَبِئْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوَرِ
فِيَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي • رَجَعْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي قَالَ لِي عُمَرُ

(١) رواية الأغانى ومعجم البلدان : الصمان . وهو موضع لظاهر البلقاء .

وباليتى أذتخى المَحَاضُ بَقْفَرَه * وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رِيْعَةٍ أَوْ مُتَرَّ
وباليت لى بالشامِ أَدْنَى مَعِيْشَةٍ * أَجَالِلُ قَوْمِي ذَاهِبَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ حَسَانٍ : أَحْيَى هُوَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، تَرَكْتَهُ حَيًّا . فَأَمَرَنِي بِكُسْوَةٍ
وَمَالٍ وَنُوقَ مُوَقَرَةٌ بَرًّا . ثُمَّ قَالَ لِي : إِنْ وَجَدْتَهُ حَيًّا فَادْفَعْ إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ وَأَقْرَبْهُ
سَلَامِي ، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتًا فَادْفَعْهَا إِلَى أَهْلِهِ وَأَتَحِرَّ الْجَمَالَ عَلَى قَبْرِهِ .

فَلَمَّا خَدِمْتُ عَلَى عَمْرِ أَخْبَرْتُهُ خَبْرَ جَلَّةٍ وَمَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالشَّرِطِ
الَّذِي شَرَطَهُ وَأَنِّي ضَعَنْتُ لَهُ التَّزْوِيجَ وَلَمْ أَضْمِنْ لَهُ الْإِمْرَةَ ، فَقَالَ : هَلَا ضَمَنْتَ لَهُ
الْإِمْرَةَ ؛ فَإِذَا أَفَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ قَضَى عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ .
ثُمَّ ذَكَرْتُ لَهُ الْهَدِيَّةَ الَّتِي أَهْدَاهَا لِي حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ كُفَّتْ

بَصْرُهُ ، فَأَتَى بِهِ وَقَائِدُ يَقُودُهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لِأَجِدُ رِيَّاحَ
آلِ جَنَّةٍ عِنْدَكَ ! قَالَ : نَعَمْ . هَذَا رَجُلٌ أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ : هَاتِ يَا بْنَ أَخِي
إِنَّهُ كَرِيمٌ مِنْ كِرَامِ مَدْحَتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَلْفَ آلَا يَلْقَى أَحَدًا يَعْرِفُنِي إِلَّا أَهْدَى
إِلَى مَعِي شَيْئًا . فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ . الْمَالَ وَالثِّيَابَ ، وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ
أَمْرُهُ فِي الْإِبِلِ إِنْ وَجِدَ مَيِّتًا . فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَيِّتًا فَتُحِرَّتْ عَلَى قَبْرِي .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَانصَرَفَ حَسَانٌ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ ابْنَ جَنَّةٍ مِنْ بَقِيَّةِ مَعَشَرٍ * لَمْ تَفْزُدْهُمْ آبَاؤُهُمْ بِاللَّوْمِ

لَمْ يَنْسَى بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَبُّهَا * مَلِكًا وَلَا مُتَصَرًّا بِالرُّومِ

بُعِطِيَ الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ * إِلَّا كَبُضِ عَطِيَّةٍ الْمَذْمُومِ

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ فِي مَجْلِسِ عَمْرِ : أَتَذْكُرُ مُلُوكًا كَفَرُوا بِأَدَامَ اللَّهِ وَأَفْهَامَ ؟
قَالَ : بِنَ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مُزَنَّى . قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا سَوَابِقُ قَوْمِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَطَوَتْكَ طُوقَ الْحَمَامَةِ .

قَالَ : ثُمَّ جَهَّزَنِي عَمْرٌ إِلَى قَيْصَرٍ وَأَمَرَنِي أَنْ أَضْمِنْ لَجَلَّةٍ مَا اشْتَرَطَ بِهِ .

فَلَمَّا قَدِمْتُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَجَدْتُ النَّاسَ مُنْصَرِفِينَ مِنْ جَنَازَتِهِ ، فَغَلِبَتْ أُنْ
الشَّغَاءُ غَلَبَ عَلَيْهِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ .

وفود الأحنف على عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

الدائي قال : قدم الأحنف بن قيس التيمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في أهل البصرة وأهل الكوفة ، فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم ، وتكلم الأحنف فقال :

- يا أمير المؤمنين ، إن مفاتيح الخير بيد الله ، وقد أتتك وفود أهل العراق ، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر تزلوا منازل الأمم الخالية ، والملوك الجبابرة ، ومنازل كسرى وقيصر وبنى الأصفر ، فهم من المياه العذبة والجنان المُنخبة في مثل حِولاء السلي وحديقة البعير ^(١) ، تأتهم ثمارهم غضة لم تتغير ؛ وإنّا نزلنا أرضاً ناشئة مَرَفٌ في فلاة وطرف في ملح أجاج ، جانب منها منابت القصب ، وجانب سبخة ناشئة لا يحف ترابها ، ولا ينبت مرعاها ، تأتينا منافعها في مثل مرى النعامة ، يخرج الرجل الضعيف منّا يستعذب الماء من فرسخين ، وتخرج المرأة بمثل ذلك تُرَقِّ ولدها ترقيق العنز ، تخاف عليه العدو والسبع ، فلا ترفع خبيستنا . وتُتَعَشَّر ركبستنا ، وتجبر فاقتنا ، وتزيد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وتُصَفَّر دوهنا ، وتكبر قفيزنا ، وتأمر لنا بحفر نهر تستعذب به الماء هَلَكْنَا .

قال عمر : هذا والله السيد ! هذا والله السيد !

قال الأحنف : فما زلت أسممها بعدها .

فأراد زيد بن جلة أن يضع منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس هناك ، وأتمه باهليّة .

٣٠

قال عمر : هو خير منك إن كان صادقاً . يريد : إن كانت له نيّة

(١) الحولاء : غلاف أخضر ملوّح مام . والسلي : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد . ويكنى بحولاء السلي وحديقة البعير عن الحصب والخير .

فقال الأحنف :

أَنَا ابْنُ الْبَاهِلِيَّةِ أَرْضَعْتَنِي • يَتَذَنِّي لَا أَجِدُّ وَلَا وَخِيمِ
أَغْضَضَ عَلَى الْقَدَى أَجْفَانِ عَيْتِي • إِذَا شَرَّ السَّفِيهُ إِلَى الْخَلِيمِ

قال فرجع الرفد واحتبس الأحنف عنده حولا وأشهرأ ، ثم قال : إن
• رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا كل منافق صنع اللسان ، وإن خيفتك
فاتحبتك ، فلم يبلغني عنك إلا خير ؛ رأيت لك جولا " ومعقولا ؛ فارجع إلى
منزلك واتق الله ربك . وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن يحضر لهم نهرا .

وفود الأحنف وعمر بن الأهتم

على عمر بن الخطاب رضى الله عنه

١٠ العتيبي عن أبيه قال : وقد الأحنف وعمر بن الأهتم على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، فأراد أن يُقرع بينهما في الرياسة ، فلما اجتمعت بنو تميم ،
قال الأحنف :

نَوَى قَدْحٌ عَنْ قَوْمِهِ طَالَمَا نَوَى • فَلَمَّا أَنَاخُمْ قَالَ قَوْمُوا تَنَاجَرُوا

فقال عمرو بن الأهتم : إنا كنا وأتم في دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن
١٥ جهل ، فسفكنا دماءكم ، وسبينا نساءكم ، وإنا اليوم في دار الإسلام والفضل فيها
للمن حليم ؛ ففخر الله لنا ولك .

قال : فقلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف ووقعت الفرقة لآل الأهتم

فقال عمرو بن الأهتم :

لَمَّا دَعَنْتُ لِلرِّيَاسَةِ مُنْقَرَّمَهُ • لَدَى مَجْلِسِ أَخِي بِهِ التَّجْمُ بَادِيَا
شَدَّدْتُ لَهَا أَزْرِي وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَهَا • لِأَمْتَالِهَا مِمَّا أَشَدُّ إِزَارِيَا

٢٠

وعمر بن الأهتم : هو الذي تكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) الجول : الرأى .

وسأله عن الزرقان ، فقال عمرو : مُطاع في أذنيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره .

فقال الزرقان : والله يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكن حسدني .

- قال : أما والله يا رسول الله ، إنه لَزِمِرُ المروءة ، ضَيِّقُ العَطَن : أحق الوالد
 لثيم الحال ؛ والله ما كذبتُ في الأولى ولقد صدقتُ في الأخرى ؛ رَضِيتُ عن بن
 عَمَى فقلتُ أحسن ما علمتُ ولم أكذب ، وَصَحِطْتُ عليه فقلتُ أقبح ما علمتُ
 ولم أكذب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ من البيان لسحرا .

١٠ وفود عمرو بن معد يكرب

على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إذ أوفده سعد

- لما فتحت القادسية على يدى سعد بن أبي وقاص ، أبلى فيها عمرو بن
 معد يكرب بلاءً حسناً ، فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكتب
 إليه معه بالفتح وأتى في الكتاب على عمرو ، فلما قَدِمَ على عمر بن الخطاب سأله
 ١٥ عن سعد ، فقال : أعرابي في ثمرته ، أسد في ثأمورته ، نبطي في جبايته ، يقسم
 بالسوية ، ويعدل في القضاة وينقل " في السرية ؛ وينقل إلينا حصناً نقل الذرة .
 فقال عمر : لشد ما تنارضتُا الثناء . وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسية
 أن يُعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن ؛ فقال سعد لعمر بن معد يكرب
 ما معك من القرآن ؟ قال : ما معي شيء . قال : إن أمير المؤمنين كتب إلى أن
 ٢٠ أعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن . فقال عمرو :

إذا قُتِلْنَا ولا يسكى لنا أحدٌ . قالت قريشُ ألا تلك المقادير

تُعْطَى السَّوِيَّةُ مَنْ طَعَنَ لَهُ نَفْذُهُ . وَلَا سَوِيَّةَ إِذْ تَغْطَى الدَّنَانِيرُ
قال : فكتب سعد بأياته إلى عمر ، فكتب إليه أن يُعْطَى على مقاماته في الحرب .

وفود أهل الإمامة على أبي بكر الصديق

رضى الله عنه

وفد أهل الإمامة على أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، بعد إيقاع خاله وقتله
مُسَيْلَةَ الكَذَابِ ، فقال لم أبو بكر : ما كان يقول صاحبكم ؟ قالوا : أعفنا
يا خليفة رسول الله . قال : لا بد أن تقولوا . قالوا : كان يقول : يا ضِعْدَعُ
كَمْ تَنْقَيْنَ . لا الشرابَ تَمْنَعِينَ ، ولا الماءَ تُكَلِّدِينَ ، لنا نصفَ الأرض ولقريش
نصفها ، ولكن قريش قوم لا يعدلون . فقال لم أبو بكر : ويحكم ما خرج هذا
من إلٍّ ولا برٍّ ، فأين ذهب بكم ؟ قال أبو عبيد : الإل : الله تعالى . والبر
الرجل الصالح . ١٠

وفود عمرو بن معد يكرب

على مجاشع بن مسعود

وفد عمرو بن معد يكرب الزُّيْدِيُّ على مجاشع بن مسعود السُّلَمِيُّ . وكانت بين
عمرو وبين سُليم حروب في الجاهلية . قدم عليه البصرة يسأله الصلة ، فقال له :
١٥ اذْكُرْ حاجتك . فقال له : حاجتي صلةٌ مثلي . فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وفرساً
من بنات الغبراء ، وسيفاً جُرازاً ، ودُرَّةً حَصِينَةً ، وغلاماً خَبَازاً ؛ فلما خرج
من عنده . قال له أهل المجلس : كيف وجدتَ صاحبك ؟ قال له بنو سُليم : ما أشدَّ
في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في الألواء عطاها ، وأثبت في المكرمات بناءها . والله
٢٠ يابني سُليم ، لقد قاتلناكم في الجاهلية فاجْتَنَاكُمْ ، ولقد هاجمناكم فأَحْمَنَاكُمْ ،
ولقد سألناكم فأَبْغَلْنَاكُمْ :

فَقَدْ مَسْئُولًا نَوَالًا وَنَائِلًا * وَصَاحِبَ مَيْمَنٍ يَوْمَ مَيْمَنٍ مُجَاشِعُ

وفود الحسن بن علي رضي الله عنهما

على معاوية رضي الله عنه

أبو بكر بن أبي شيبة قال : وفد الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية بعد عام الجماعة ، فقال له معاوية : والله لأجْبُوَنَّكَ بِجائزة ما أجزتُ بها أحداً قبلك ولا أُجيزُ بها أحداً بعدك . فأمر له بمائة ألف .

وفي بعض الحديث إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أخته فاطمة ، فوجد الحسن طفلاً يلعب بين يديها ، فقال لها : إن الله تعالى سيُصلح على يدي ابنك هذا بين قَتَين عظيمتين من المسلمين .

وفود زيد بن منية على معاوية رحمه الله

- ١٠ العتيبي قال : قدم زيد بن منية على معاوية من البصرة - وهو أخو يعلى ابن منية صاحب جبل عاتقة ، ومتولى تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة . وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج أخته يعلى بن منية - فلما دخل على معاوية شكاً إليه ديناً لزمه . فقال : يا كعب ، أعطه ثلاثين ألفاً . فلما ولى قال : وليوم الثلثين ألفاً أخرى . ثم قال له الحق بصرك - يعني عتبة - فقدم عليه مصر ، فقال : إني سرتُ إليك شهرين ، أخوض فيهما المتالف ، ألبس أردية الليل مرة ، وأخوض في لجج السراب أخرى ، موقراً من حسن الظن بك ، وهارباً من دهر قَلم ، وذئب لَزم ، بعد غنى جَدَعْنَا به أنوف الحاسدين ، فلم أجد إلا إليك مهرباً وعليك مَعُولاً . فقال عتبة : مرحباً بك وأهلاً ؛ إن الدهر أغاركم غنى ، وخططكم بنا ، ثم استرد ما أمكنه أخذه ، وقد أتني لكم منا ما لا ضيعة معه ، وأنا واضعٌ يدي وبذك بيد الله فأعطاه ستين ألفاً ، كما أعطاه معاوية رحمه الله .

وفود عبد العزيز بن زُرارة

على معاوية رحمه الله

العتيبي عن أبيه قال : وفد عبد العزيز بن زُرارة على معاوية وهو سيد أهل

الكوفة . فلما أذن له وقف بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أهر ذواب
الرجال إليك ؛ إذ لم أجد معولاً إلا عليك ، امتطى الليل بعد النهار ، وأسم
المجاهل بالآثار ، يقودني إليك أمل ، وتسوقني بلوى ، والمجاهد يُدثر ، وإذ باتتكَ
فقطني . فقال معاوية : احطط عن راحتك رحلتها .

٥ وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة ، فهلك هناك ؛
فكتب به يزيد بن معاوية إلى معاوية ، فقال لزُرارة : أتاني اليوم قمي سيد شباب
العرب . قال زُرارة : يا أمير المؤمنين ، هو ابني أو ابنك . قال : بل ابنك . قال :
للموت ماتلد الوالدة .

أخذه سابق البربري فقال :

١٠ وللموت تغدو الوالدات يَتَفَالَمَا ٥ كالحراب الدهر بُنِيَ المساكين
وقال آخر :

للموت يولد منا كل مولود ٥ لا شيء يبقى ولا يبقى بموجود

وفود عبد الله بن جعفر

على يزيد بن معاوية

١٥ المدائني قال : قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال له : كم كان
عطاؤك ؟ فقال له : ألف ألف . قال : قد أضعفناها لك . قال : فذاك أبي وأمي ،
وما قلنتها لأحد قبلك ! قال : أضعفناها لك ثانية . فقيل ليزيد : أتعطي رجلاً
واحداً أربعة آلاف ألف ؟ فقال : ويحكم ، إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين ،
فايده فيها إلا عارية .

٢٠ فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر ، وقدم مولد له يقال له
نافع ، كانت له منزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قلعتنا عليه أمر
لبعد الله بن جعفر بألف ألف ، وقضى عنه ألف ألف ، ثم نظر إلى قنبر ،
فقلت : هذه لتلك الليلة . وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعتني فيها ،

فذكرته بها . وقَدِمْتُ عليه هدايا من مصر كثيرة ، فأمر بها لعبد الله بن جعفر ؛ وكانت له مائة ناقة ، فقلت لابن جعفر : لو سألتها منها شيئا تحبُّه في طريقنا ؟ ففعل ، فأمر بصرفها كلها إليه . فلما أراد الوداع أرسل إلى فدخلت عليه ، فقال : ويالك ! إنما أخرجتك لاتفزع إليك ، هات قول جميل :

- خَلَيْتَ فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا • قَبِيلًا بَغَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبِيلِي
قال : فأسمعتُه ، فقال : أحسنت والله ؛ هات حاجتك ! فما سألتُه شيئا إلا أعطانيه ، فقال : إن يُصلح الله هذا الأمرَ من قِبَلِ ابنِ الزبيرِ تَلَقَّنا بالمدينة ؛ فإن هذا لا يَحْسُنُ إلا هناك . فنع والله من ذلك سُؤْمُ ابنِ الزبير .

وفود عبد الله بن جعفر

- ١٠ على عبد الملك بن مروان
قال بُدَيْحٌ : وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، وكان زوج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية ، وحملها إليه إلى العراق ، فسكت عنده ثمانية أشهر . قال بُدَيْحٌ : فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بن مروان ، خرجنا معه حتى دخلنا دمشق ، فإذا لنُحِطَ رحالنا إذ جاءنا الوليد بن عبد الملك على يَفْلةٍ وَرْدَةٍ ومعه الناس ، فقلنا : جاء إلى ابن جعفر ليُحييه ويدعوه إلى منزله . فاستقبله ابنُ جعفر بالترحيب ، فقال له : لكن أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً ! فقال : مهلاً يا بن أخي ، فليستُ أهلاً لهذه المقالة منك . قال : بلى ، وإشيراً منها ، قال : وفيهم ذلك ؟ قال : لأنك عمدتَ إلى عقيلة نساء العرب ، وسيدة بنى عبد مناف ، ففرشتها عبدُ ثَقِيفٍ يَفْتَحُذَها . قال : وفي هذا عتبٌ على يابن أخي ؟ قال : وما أكثرُ من هذا ؟ قال : والله إن أحق الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك ؛ إن كان من قبلكم من الولاة ليصلون رَسْمِي ، ويعرفون حقِّي ، وإنك وأباك منعاني ما عندكما حتى ركبني من السنين ما والله لو أن عبداً مُجَبَّحاً حبشياً أعطاني بها ما أعطاني عبدُ ثَقِيفٍ لزوجتها ؛ فإنما فديتُ
- ٢٠

بها رقيتي من النار . قال : فما راجعه كَلَّةٌ حتى عطف عِنانَه ، ومضى حتى دخل على عبد الملك - وكان الوليدُ إذا غضب عُرف ذلك في وجهه - فلما رآه عبد الملك قال : مالك أبا العباس ؟ قال : إنك سلَّطت عبدَ ثقيف ومَلَكتَه ورفعتَه حتى تفخِّذُ نساءَ عبد مناف ، وأدركتَه الغيرة . فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج يعزم عليه ألا يصنع كتابه من يده حتى يطلقها فإقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يُجرِّبها عليها حتى خرجت من الدنيا . قال : وما زال واصلًا لعبد الله بن جعفر حتى هلك . قال بُديح : فإكان يأتي علينا هلالٌ إلا وعدنا غير مُقبلٍ من الحجاج ، عليها لُطْفٌ وكُسوة وميرة ، حتى لحق عبدُ الله بن جعفر بالله .

ثم استأذن ابنُ جعفر على عبد الملك ، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ، ثم أخذ يديه فأجلسه معه على سريره ، ثم سأله فألطف المسألة ، حتى سأله عن مطعمه ومشربه . فلما انقضت مسأله ، قال له يحيى بن الحكم : أين خِبتُه كان وَجْهك أبا جعفر ؟ قال : وما خِبتُه ؟ قال : أرضك التي جئت منها . قال : سبحان الله ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها طيبة وتسميها خِبتُه ؟ لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفَيْن .

فلما خرج من عنده هيأ له ابنُ جعفر هدايا وألطافا . فقلت لبُديح : ما قيمة ذلك ؟ قال : قيمته مائة ألف . من وُصِّفَ ووصاف وكُسو وكسوة وحرير ولُطِّف من لُطِّف الحجاز . قال : فبعثني بها ، فدخلتُ عليه وليس عنده أحد . فجئت أعرض عليه شيئا شينا . قال : فما رأيت مثل إعظامه لكل ماعرضتُ عليه من ذلك ، وجعل يقول كلما أريته شيئا : عافَى الله أبا جعفر ! ما رأيت كالיום ، وما نريد أن يتكلف لنا شيئا من هذا ، وإن كُنَّا لمتذمِّين محتشمين . قال : فخرجت من عنده وأذن لأصحابه .

فوافقه ليلى أنا عند بن جعفر أحدثُه عن تعجب عبد الملك وإعظامه لما أهدى إليه ، إذا بفارس قد أقبل علينا ، فقال أبا جعفر ، إن أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك ، ويقول لك : جمعت له ونَحش رقيق الحجاز وأُباتهم وَجِستَ عنا فلانة ،

- فابت بها إلينا - وذلك أنه حين دخل عليه أصحابه جعل يتحدثهم عن هدايا ابن جعفر
ويعظمها عندهم ، فقال له يحيى بن الحكم : وماذا أهدى إليك ابنُ جعفر ؟ جمع لك
وخش رقيق الحجاز وأبائهم وحبس عنك فلانة . قال : ويلك ، وما فلانة هذه ؟
قال : ما لم يسمع والله أحدٌ بمنزلها قطً جلالاً وكالاً وخلقاً وأدباً ، لو أراد كرامتك
بعث بها إليك . قال : وأين تُراها . وأين تكون ؟ قال : هي والله معي ، وهي
نفسه التي بين جنبيه - فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابنُ جعفر في أذنه بعض
الوقر ، إذا سمع ما يكره تصام ، فأقبل عليه فقال : ما يقول بأبديح ؟ قال : قلت :
فإن أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول : إنه جامفٌ يريد من ثفر كذا يقول :
إن الله نصر المسلمين وأعزهم . قال : اقرأ أمير المؤمنين السلام ، وقل له :
أعز اللهُ نصرَك ، وكَبتُ عدوك . فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إنى لست أقول
هذا ، وأعاد مقلته الأولى . فسألني فصرفته إلى وجه آخر . فأقبل على الرسول ،
فقال : يا ماضٍ ... أُرسل أمير المؤمنين تهكمٌ ، وعن أمير المؤمنين تُجيب هذا
الجواب ؟ أما والله لأطُنَّ دمك . فانصرف ، وأقبل على ابنُ جعفر فقال : مَنْ
تُرى صاحبنا ؟ قال : صاحبك بالأمس . قال : أظنه ! فما رأى عندك ؟ قلت :
يا أبا جعفر ، قد تكلفتُ له ما تكلفت ، فإن منعها إياه جعلتها سبباً لمنعك ،
ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنتُ أرى أن تمنعها إياه . قال : أدعها لي .
فلما أقبلتُ . رَحِبَ بها ثم أجلسها إلى جنبه ، ثم قال : أما والله ما كنتُ أظن أن
يفرق بيني وبينك إلا الموت . قالت : وما ذاك ؟ قال : إنه حدث أمر ، وليس
والله كائنًا فيه إلا ما أحببت ، جاء الدهر فيه بما جاء . قالت : وما هو ؟ قال :
إن أمير المؤمنين بعث يطلبك . فإن تهوى فذاك ، وإلا والله لم يكن أبداً .
قالت : ما شئ لك فيه هوى ولا أظن فيه فرجاً عنك إلا فديته بنفسى ، وأرسلتُ
عيني باليكاء . فقال لها : أما إذا فعلت فلا تَرَيْنِ مكرها : فسَحَتُ عينيها ، وأشار إلى
فقال : ويمك يا بُدِيع استجها قبل أن تتقدم إلى من القوم بادرة . قال : ودعا
بأربع وصائف ودعا من صاحب نفقته بمخمصة دینار ، ودعا مولاة له كانت تلى

طايبة، فدَحَسَتْ لها ربة عظيمة مملوءة طيبا، ثم قال: عَجَّلْها ويك. ففُجِرَتْ
 أسوقها حتى انتهت إلى الباب؛ وإذا الفارس قد بلغ عني، فارتكني الحجاب
 أن تَمَسَّ رجلاي الأرض حتى أدخلت على عبد الملك وهو ينظني، فقال لي
 ياماض، وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتمم برسله؟ قلت: يا أمير المؤمنين،
 ٥ ليذن لي أتكلم. قال: وما تقول يا كذا وكذا؟ قلت: ليذن لي جعلني الله فداك
 أتكلم. قال: تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأنا، وأقل خطراً من
 أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين،
 نعم، قد قلبت ما بلفك، وقد يعلم أمير المؤمنين أننا إنما نعيش في كنف هذا الشيخ،
 وأن الله لم يزل إليه محسنا، لجاهه من قبلك شيء ما أتاه قط مثله، إنما طلبت
 ١٠ نفسه التي بين جنبيه، فأجبت بما بلفك لاسهل الأمر عليه؛ ثم سألتني فأخبرته
 واستشارني فأشرت عليه، وهامى ذه قد جئتكم بها. قال: أدخلها ويك! قال:
 فأدخلتها عليه وعنده مسألة ابنه، غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين أخضر
 شاربه. فلما جلست وكلمها أعجب بكلامها، فقال: لله أبوك، أمسكك لنفسى
 أحب إليك أم أهبك لهذا الغلام، فإنه ابن أمير المؤمنين، قالت: يا أمير المؤمنين،
 ١٥ لست لك بحقيقة، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها. قال: فقام من مكانه
 ما راجعها، فدخل، وأقبل عليها مسألة فقال: يا لكاع، أعلى أمير المؤمنين
 تختارين؟ قالت: ياعدق نفسه إنما تلومني أن اخترتلك! لعمر الله لقد قال رأيي
 من آخترتك. قال: فضيقت والله مجلته. وأطلع علينا عبد الملك قد أذهن
 بذهن وأرى الشيب، وعليه حلة تلالا كأنها الذهب، يده مخضرة يحيط بها،
 ٢٠ مجلس مجاسه على سريره، ثم قال: إيها، لله أبوك، أمسكك لنفسى أحب لك
 أم أهبك لهذا الغلام؟ قالت: ومن أنت أصلحك الله؟ قال لها الخصي: هذا
 أمير المؤمنين! قالت: لست بخنارة على أمير المؤمنين أحدا. قال: فأين قولك
 أنفا؟ قالت: رأيت شيخاً كبيراً، وأرى أمير المؤمنين أشب الناس وأجلهم،
 ولست بخنارة عليه أحداً. قال: دونكها يا مسألة. قال بدبح: ففشرت عليه

- الكُسوة والدنانير التي معي ، وأريته الجوارى والطيب . قال : عافى الله ابن جعفر ! أخشى ألا يكون لها غدتنا ففقه وطيب وكُسوة ؟ قلت : بلى ، ولكنه أحب أن يكون معها ما تكتفي به حتى تستأنس . قال : قبضها مسلبة ، فلم تلبث عنده إلا يسيراً حتى هلكت . قال بُدِيع : فواقه الذي ذهب بنفس مسلبة ، ماجلست معه مجلساً ولا وقفت موقفاً أنازعه فيه الحديث ، إلا قال : أبغني مثل فلانة . فأقول : أبغني مثل ابن جعفر .

قال : قلت لبُدِيع : وبلك ! فما أجازه به ؟ قال : قال حين دفع إليه حاجته وديته : لا جبرتك جائزة لو نُشر لي مروان من قبره ما زدتُه عليها . فأمر له بمائة ألف . وأيم الله إنى لا أحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائة ألف .

وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحاجب بن يوسف : أن أبعث لى رجلاً يصلح للدين والدنيا ، أتخذه سميراً وجليلاً . فقال الحاجب : ما له إلا حامراً الشعبي . وبعث به إليه ، فلما دخل عليه وجده قد كبا همتها ، فقال : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال ذكرت قول زهير ^(١) :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة ۝ خلعت بها عنى عذار لجساي
رمتى بنات الدهر من حيث لا أرى ۝ فكيف بمن يرى وليس برأى
فلو أنى أرمى بنبيل رأيتها ۝ ولكنى أرمى بنفسي سهام
على الراستين نارة وعلى النصارى ۝ أتود ثلاثاً بدمع قياسي

- قال له الشعبي : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال ليث بن ربيعة ،
- وقد بلغ سبعين حجة :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة ۝ خلعت بها عن بشكي ودانيا

(١) ينسب هذا الشعر لمرو بن عتبة .

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

بانت تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُوَهَّةٌ • وَقَدْ حَلَّتْكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ
فَإِنْ تُرَادَى ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا • وَفِي الثَّلَاثِ وَقَاءٌ لِلثَّانِيَا
ولما بلغ تسعين سنة قال :

• وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا • وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لِيَدُ ؟
ولما بلغ عشرين ومائة قال :

أَلَيْسَ وَرَأَى إِنْ تَرَأَخْتَ مَيِّتِي • لُزُومُ الْعَصَا تُنْحَى عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ • أَنْوَاءُ كَأَنِّي كُلَّمَا قَتُّ رَاكِعُ
ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

• تَمَّتْ أَبْتَلَى أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا • وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِيَّةٍ أَوْ مُضَرٍّ
فَقُومَا فَقُولَا بِاللَّيْلِ تَمَلَّيْنِي • وَلَا تُخَيِّشَا وَجْهًا وَلَا تُخَلِّقَا شَعْرًا
وَقُولَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لِاصْدِيقِهِ • أَضَاعَ وَلَا خَانَ الْخَلِيلَ وَلَا عَدُوَّ
إِلَى سَنَةٍ ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكَ • وَمَنْ يَنِيكَ حَوْلًا كَامِلًا قَدِ اعْتَدَرُ
قال الشعبي : فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها .

وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة

على عبد الملك بن مروان

• عمران بن عبد العزيز قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرميين بعد قتله
ابن الزبير ، استخلص إبراهيم بن محمد بن طلحة فقتله وعظم منزله . فلم تزل تلك
حالُه عنده حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان ، ففرج معه مُعَادِلًا ، لَا يَقْصُرُ لَهُ
• فِي بَرٍّ وَلَا إِعْظَامٍ ، حَتَّى حَضَرَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَسِدْ أَبْتَى . بَعْدَ
السَّلَامِ إِلَّا أَنْ قَالَ لَهُ : قَدِمْتَ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلٍ الْحِجَازِ ، لَمْ أَدْعَ لَهُ بِهَا فُطْرًا
فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَحُسْنِ الْمَذْهَبِ ، مَعَ قَرَابَةِ الرَّحِمِ ، وَوُجُوبِ الْحَقِّ ،
وَعِظَمِ قَدْرِ الْأَبَوَّةِ ، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَحُسْنِ الْمُوَازَنَةِ ، وَهُوَ

- إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وقد أحضرته بآبك ليسهل عليه إذئك ، وتعرف له ما عرفتُك . فقال : أذكرتنا رحماً قريبة وحققاً واجبا ، يا غلام ، لينذ لإبراهيم ابن محمد بن طلحة . فلما دخل عليه أدناه عبد الملك حتى أجلسه على فراشه ، ثم قال له : يا بن طلحة ، إن أبا محمد ذكرنا عالم نزل نعرُكُك به في الفضل والآداب والمروءة وحسن المذهب ، مع قرابة الرحم وجوب الحق وعظم قدر الأبوة ، وما بلاء منك في الطاعة والنصيحة وحسن الموازنة ، فلا تدع حاجت في خاصة نفسك وعافتك إلا ذكرتها . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أول الحوائج ، وأحق ما قدم بين يدي الأمور ، ما كان لله فيه رضا ، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ، ولك فيه ولجاعة المسلمين نصيحة ، وعندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا غال ، فأخطئ يا أمير المؤمنين ترُد عليك نصيحتي .
- ١٠ قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، دون أبي محمد ؟ قال عبد الملك للحجاج : قم . فلما خطرَفَ السَّترُ أَقبل على فقال : يا بن طلحة ، قل نصيحتك . فقال : تالله يا أمير المؤمنين ، لقد عدت إلى الحجاج في تنطريسه وتمجيره وبُمدِه من الحق وقُريه من الباطل ، فوليته الحرمين ، وهما ما هما ، وبهما ما بهما من المهاجرين والأنصار ، والموالي الأخيار ، يطوهم بطنام أهل الشام ، ورعاع لاروية لهم في إقامة حق ولا في إزاحة باطل ، ويسومهم الخسف ، ويحكم فيهم بنير السنة بمد الذي كان من سفك دماثهم ، وما أنتهك من حرهم ؛ ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله زاهق ، وفيما بينك وبين نبيك غداً إذا جائك للخصومة بين يدي الله في أمته . أما والله لا تنجو هنالك إلا بحجة . فارتج على نفسك أودع . فقال له عبد الملك : كذبت ومينت وظن بك الحجاج ما لم يجدك فيك ؛ وقد يُظن الخير بنير أهله ؛ قم فأنت الكاذب المسائن . قال : تقمت وما أعرف طريقاً . فلما خطرَفَ السَّترَ لحقني لاحق فقال : اجلسوا هذا ، وقال للحجاج : ادخل . فدخل ، فكك ملياً من النهار لا أشك أنهما في أمرى ، ثم خرج الآذِنُ فقال : ادخل يا بن طلحة . فلما كشف لي السَّترَ لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل ؛ فأعنتني
- ٢٠

وقبل ما بين عيني، وقال: أما إذا جرى الله المتواخين خيراً بفضل تواصلهما،
 لجراك الله عني أفضل الجزاء؛ فوالله لأن سلّمت لك لأرضن ناظرَك، ولا غلّين
 كمبك، ولأتبعن الرجال غبارَ قدميك. قال: قلت: يهزأ بي وحقّ الكعبة!
 فلما وصلت إلى عبد الملك، أدنانى حتى أدنانى عن مجلسي الأول؛ ثم قال:
 يا بن طالعة، لعل أحدا شاركك في نصيحتك هذه! قلت: والله يا أمير المؤمنين،
 ما أعلم أحدا أنصع عندي بدا ولا أعظم معروفاً من الحجاج. ولو كنت
 نحايًا أحدا لأرض دنيا لحايته. ولكني آثرتُ الله ورسوله، وآثرتُك والمؤمنين
 عليه. قال: قد علمتُ أنك لم تُرد الدنيا، ولو أردتها لكانت لك في الحجاج،
 ولكن أردت الله والدار الآخرة. وقد عزلته عن الحرمين لما كرهته من ولايته
 عليهما، وأعلمته أنك استزلتني له عنهما استقلالا لهما؛ ووليته العراقين وما هنالك
 من الأمور التي لا يدحضها إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتني إلى ولايته عليهما
 استزادة له، لألزمه بذلك من حقك ما يؤدّي إليك عني أجر نصيحتك. فاخرج
 منه فإنك غير ذائم لصحبته فخرجت مع الحجاج وأكرمني أضعاف إكرامه.

وفود رسول المهلب

على الحجاج بقتل الأزارقة

أبو الحسن المدائني قال: لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاعة
 صاحب الأزارقة، بعث إلى مالك بن بشير فقال له: إني مؤفدك إلى الحجاج
 فيسر، فإنما هو رجل مثلك. وبعث إليه بجائزة، فردّها وقال: إنما الجائزة
 بعد الاستحقاق. وتوجّه. فلما دخل على الحجاج، قال له: ما آسبك؟ قال:
 مالك بن بشير. قال: ملك وبشارة. كيف تركت المهلب؟ قال: أدرك ما أقل
 وأمن من خاف. قال: كيف هو بمجندة؟ قال: والد رموف. قال: فكيف
 مجندة؟ قال: أولاد بررة. قال: كيف رضام عنه؟ قال: وسعهم بالفضل
 وأقتهم بالعدل. قال: فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم؟ قال: نلقاهم بمحنا
 فنطعم فيهم، ويلقونا بمحهم فيطمعون قينا. قال: كذلك الحد إذا لقي الحد. قال:

فما حال قطري؟ قال : كاذبا يبعث ما كذناه . قال : فما منعكم من أتباعه ؟
قال : رأينا المُقامَ من ورائه خيراً من أتباعه . قال : فأخبرني عن ولد الهلب .
قال : أعباء القتال بالليل ، حُماء السرح بالنهار . قال : أيهم أفضل ؟ قال : ذلك
إلى أيهم . قال : لنقول . قال : هم كلّفة مضروبة لا يُعرف طرفاها . قال :
أقسمت عليك هل رَوّأت في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيره أحداً .
■ فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع .

وفود جرير

على عبد الملك بن مروان

لما مدح جرير بن الحطفي الحجاج بن يوسف يشعره الذي يقول فيه :
١٠ من سَدَّ مُطْلَعِ النِّعَاقِ عَلَيْكُمْ • أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
ويشعره الذي يقول فيه :
أَمْ مَنْ يَنَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَيْضَةً • إِذْ لَا يَتَّقْنَ بَسِيرَةَ الْأَزْوَاجِ
وقوله :

دعا الحجاجُ مِثْلَ دُعَاءِ نُوحٍ • فَأَسْمَعَ ذَا الْمَسَارِجِ فَاسْتَجَابَا
١٥ قال له الحجاج : إن الطاعة تعجز عن المكافأة ، ولكني مُوفدك على أمير
المؤمنين عبد الملك بن مروان ، فيرسل إليه بكتابي هذا فصار إليه : ثم استأذنه في
الإشهاد فأذن له ، فقال :

• أَتَضَحُّوْا أَمْ قُرَادُكُ غَيْرُ صَاحِي •

قال له عبد الملك : بل قُرَادك . فلما انتهى إلى قوله :
٢٠ تَمَزَّتْ أُمُّ حَزْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ : • رَأَيْتَ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِنَاجِ
يُثْقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ • وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاجِ
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ إِلَى رَيْثِي • وَأَثْبِتَ الْقَوَائِمَ فِي جَنَاحِي
النَّشْمُ خَيْرٌ مِنْ رَكَبِ الْمَطَايَا • وَأَتَدْنِي الْعَالِيَيْنَ بَطُونِ رَاجِ

ارتاح عبد الملك ، وكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ! ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حذرة تُرويهامائة ناقة من نعم كلب ؟ قال : إذالم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أروها الله . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب . كلها سود الحذقة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها أباقي ونحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته ، فلو أمرت بالرعاء . فأمر له بمائة من الرعاء ، وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقصيب في يده ، فقال له جرير : والمحبب يا أمير المؤمنين ، وأشار إلى صحيفة منها : فنبدتها إليه بالقصيب ، قال : خذها لا تفعتك ! ففي ذلك يقول جرير .

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثمانية ٥ ما في عَطائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفُ

وفود جرير عن أهل الحجاز

١٠

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قدم جرير بن الخطابي على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، عن أهل الحجاز ، فأسأذه في الشعر ، فقال : مالي وللشعر يا جرير ؟ إني لفي شغل عنه ! قال يا أمير المؤمنين ، إنها رسالة عن أهل الحجاز . قال : فهاتها إذاً . فقال : كم من ضرب أير المؤمنين لدى ٥ أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر أصابت السنة الشها : ماملكت ٥ يمينه فعناه الجهد والكبر ومن قطيع النشا عاشت حُجْبَاءُ ٥ ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر لما اجتلتها صروف الدهر كارهة ٥ قامت تُنادى بأعلى الصوت : يا عمر !

١٥

وفود دكين الراجز

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

٢٠

قال دكين بن رجاء الفقيمي الراجز : مدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعبا ، فكرهت أن أرى بها الفجاج فتشتر على ، ولم تَلِبْ نفى بيعها ، فقدمت علينا رُقعة من مصر ، فسألهم

- الصُّبْحَة ، فقالوا : إن خرجت الليلة . قلت : إني لم أودّع الأمير ولا بدّ من وداعه . قالوا : فإن الأمير لا يُحِبُّ عن طارق ليل . فاستأذنت عليه ، فأذن لي وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا ذكّين ، إن لي نفساً تَوَاقّة ، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فَيَعِينِ ما أَرَيْتَكَ . قلت له : أشهد لي بذلك أيها الأمير .
- قال : إني أشهد الله . قلت : ومن خَلَفَهُ ؟ قال : هذين الشيخين . قلت لأحدهما : ٥
من أنت يرحمك الله أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله . قلت : لقد استسمنتُ الشاهد . وقلت للآخر : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير . وكان مُزاحم يُكنى أبا يحيى . قال ذكّين : غفرت بهن إلى بلدى ، فرمى الله في أذنانهن بالبركة ، حتى اتخذتُ منهن الضياع والرباع والغلمان . فإني بصحراء فلج ، إذا برّيد يركض إلى الشام ، فقلت له : هل من مُعَرَّية خَبر ؟ قال : مات سليمان بن ١٥
عبد الملك . قلت : فمن القائم بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . قال : فأخبرت قَلوصى فألقيتُ عليها أداتي وتوجهت عنده ؛ فلقيت جريراً في الطريق جانياً من عنده ، فقلت : من أين أبا حَزْرة ؟ قال : من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء . قلت : فأتري فإني خرجت إليه ؟ قال : عَوَّل عليه في مال ابن السبيل كما فعلت . فانطلقتُ فوجدته قاعداً على كرسى في عَرَصَة داره ، وقد أحاط ١٥
الناس به . فلم أجد إليه سبيلاً للوصول ، فناديتُ بأعلى صوتي :

ياعَمَرَ الخيراتِ والمكارِمِ * وعمرَ الدَّسائِعِ العظامِ

إني امرؤُ من قَطَنِ بنِ دارِمِ * أطلبُ حاجي من أخى مَكَارِمِ

إذ تَنَتَّجَى والليلُ غيرُ نائمٍ * في ظِلَّةِ الليلِ ولبلى عامِ

- ٢٠ . عند أبي يحيى وعند سالم *

فقام أبو يحيى ففرّج لي ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن لهذا البدويّ عندي شهادة عليك . قال : أعرفها ، آذَنُ مني يا ذكّين ، أنا كما ذكرتُ لك أن لي نفساً تَوَاقّة ، وأن نفسي ناقت إلى أشرف منازل الدنيا ، فلما أدركتها وجدتها تتوق إلى الآخرة ؛ والله مارزأتُ من أمور الناس شيئاً فأعطيك منه ، وما عندي

إلا ألفا درهم ، أعطيك أحدهما . فأمر لي بألف درهم . فوالله ما رأيت ألفاً كانت أعظم بركة منها .

وفود كثير والأحوص ونصيب

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

٥ حماد الراوية قال : قال لي كثير عزة : ألا أخبرك عما دغاني إلى ترك الشعر ؟ قلت : نعم . قال : شخصت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكل واحد منا يدلُّ عليه بسابقة وإخاء قديم ، ونحن لا نملك أن نسيتركنا في خلافته ، فلما رفعت لنا أعلامُ خناصرة ، ألقينا مسلمة بن عبد الملك ، وهو يومئذ قى العرب ، فسلنا فرد ، ثم قال : أما بلفكم أن إمامكم لا يقبل الشعر ؟ قلنا : ما توضَّح إلينا خبر حتى انتهينا إليك . ووجهنا ووجهه عُرف ذلك فينا . فقال : ١٥ إن بك ذو دين بنى مروان قد ولي وخشيتم حرمانه ، فإن ذا دُنيا قد بقى ، ولكم عندي ما تُحبون ، وما ألبت حتى أرجع إليكم وأمنحكم ما أنتم أهلُه .

فلما قدم كانت رحلتنا عنده باكرم منزول عليه : فأقنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره ، فلا يؤذن لنا : إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع ١٥ لو أنى دنوت من عمر فسمعتُ كلامه لحفظته ، كان ذلك رأياً . ففعلت ، فكان بما حفظتُ من كلامه : لكل سفر زاد لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه ، فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتفسد قلوبكم وتنفادوا لهدوكم ، في كلام كثير لا أحفظه ، ثم قال : أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى ، فتخسر صفقتى ، وتظاهر عيائى ، وتبدو مسكتى ، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصديق ، ثم بكى حتى ظننتُ أنه قاض نحبّه ، وارتجى المسجد ومأحوه بالبكاء ، وانصرفتُ إلى صاحبي فقامتُ لما : أخذنا في شرح من الشعر غير ما كنّا نقول ٢٠ لعمركم وآبائه : فإن الرجل آخرى وليس بدنيوى .

إلى أن استأذن لنا مسئلة في يوم الجمعة بعد ما أذن للامة . فلما دخلتُ سَلْتُ
ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، طال التَّوَّاء وقلَّت الفائدة ، وتحدَّث بجفائك إيانا
ونوُدُ العرب . قال : يا كَثِير ، (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْمِلِينَ
عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِصِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)
أفنى واحدٍ من هؤلاء أنت ؟ قلت : بلى ، ابن سبيلٍ منقطع به ، وأنا صاحبك .
قال : ألسنتُ صاحبَ أبي سعيد ؟ قلت : بلى ، قال : ما أرى ضيفَ أبي سعيد منقطعاً به .
قلت : يا أمير المؤمنين ، أأأذن لي في الإتشاد ؟ قال : نعم ، ولا تقل إلا حقا .
قلت :

وَلَيْتَ ظَمَّ قَفْظَمٌ عَلِيًّا وَلَمْ يُخَفِّفْ . تَرِيًّا وَلَمْ يَقْبَلْ إِشَارَةَ مُجْرِمٍ
وَصَدَقَتْ بِالْفِعْلِ الْمَقَالُ مَعَ الَّذِي * أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِيًّا كُلُّ مُسْلِمٍ
أَلَا إِنَّمَا يَكُنَى الْفَتَى بَعْدَ زَيْنِهِ * مِنْ الْأَوْدِ الْبَاقِ قِفَافُ الْقَوْمِ
وَقَدْ لَيْسَتْ لُبْسُ الْمَلُوكِ ^(١) يَا بَاهَا * تَرَاهِي لَكَ الدُّنْيَا يَكْفِي وَمِعْصَمٍ
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ * وَتَبْسَمُ عَنْ مِثْلِ الْجَنَانِ الْمُنْظَمِ
فَأَعْرَضَتْ عَنْهَا مُشْمَعًا كَأَنَّمَا * سَقَنَكَ مَدُونًا مِنْ سَيَّامٍ وَعَلَقَمِ
وَقَدْ كُنْتُ مِنْ أَجْبَاهَا فِي مُنْعٍ * وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُفْعَمِ
وَمَارِلْتُ تَوَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ * بَلَّغْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقْوَمِ
فَلِمَا أَنَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ * لَطَالِبٍ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَقْدُمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُوْتَقَا * وَأَثَرْتُ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مُصْطَمِ
وَأَحْضَرْتُ بِالْفَنَاءِ وَتَشَمَّرْتُ لِلذِّي * أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الشَّرِّ مُظْلَمِ
وَمَالِكٍ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ * سِوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَوَلَادِمِ
تَمَّا لَكَ نَمٌّ فِي الْفَوَادِ مُوَرِّقٌ * بَلَّغْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِ بِسُلْمِ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَلَّهَا * مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

يقول أمير المؤمنين ظَلَمْتَنِي * بأخذ دينارٍ ولا أخذ درهم
ولا بسَطَ كَتِفٍ لأميرٍ غير مجرم * ولا التَفَكَّ منه ظالمًا ملءَ حَنَجَمِ
ولو يَسْتَطِيعُ المسلمونَ لَقَسَمُوا * لك الشُّطْرَ من أعمالهم غيرَ نَدَمِ
فأربحَ بها من صَفَقَةِ إِمْبَاعٍ * وأعظمَ بها أعظمَ بها ثم أعظمَ
٥ قال : فأقبل على وقال : إنك مسئول عما قلت . ثم تقدم الأحرص فاستأذنه
في الإنشاد ، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقًا . فقال :

وما الشعرُ إلا حكمةٌ من مؤلفٍ * بمنطقٍ حقٍّ أو بمنطقٍ باطلٍ
فلا تقبلنَّ إلا الذي وافقَ الرِّضا * ولا ترجعنَّ كالنساءِ الأرامِلِ
رأيتُك لم تعدلِ عن الحقِّ يَمَنَةً * ولا شأمةَ فعلِ الظُّلومِ المخاتِلِ
١٠ ولكن أخذتَ الحقَّ جُهدَكَ كُلَّهُ * تقدُّ مثالِ الصالحينِ الأوائلِ
فقلنا ولم نُكَلِّبْ بما قد بدا لنا * ومن ذا يردُّ الحقَّ من قول قاتلِ
ومن ذا يردُّ السَّهمَ بعدَ مضايهِ * على فوقهِ إذ عارَ من تزجِ نابِلِ
ولولا الذي قد عودتنا خلائِفُ * غَطاريِفُ كانوا كالأليوثِ البواسِلِ
لما وَخَدَتْ شَهْرًا برحلى شِمْلَةً * تقدُّ مَنابِ البِيدِ بين الرواحِلِ
١٥ ولكن رَجَوْنَا منك مثل الذي به * حُبِينَا زَمَانًا من ذَوِيكَ الأوائلِ
فإن لم يكنِ للشعرِ عندك موضعٌ * وإن كان مثلِ اللِّثِّ في نَظْمِ قاتِلِ
وكان مُصَيِّبًا صادقًا لا يعبُهُ * سوى أنه يُنْبِئُ بِناءِ المنازلِ
فإن لنا قُرْبَى ومَحَضَ مَوَدَّةٍ * وميراثَ آباءِ مشرِّا بالأنصائلِ
فذاذُوا عِدْوَ السِّلْمِ عن عُقْرِ دارِهِم * وأرْسُوا عَمودَ الدينِ بعدَ التَّمائِلِ
٢٠ وقبلَكَ ما أعطى الهِنْدَةَ جِلَّةً * على الشعرِ كَغَيا من سَدِيسِ وبازِلِ
رسولُ الإلهِ المُستضاءِ بنورِهِ * عليه سَلامٌ بالضحى والأصائلِ
فقال : إنك مسئول عما قلت . ثم تقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد ؛ فلم

يأذن له ، وأمره بالنزو إلى دابق . فخرج إليها وهو محرم . وأمر لى بثلاثمائة ، وللأحوص بمئتا ، ولنصيب مائة وخمسين .

وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز

رضى الله عنه

- ٥ ابن الكلبي : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وفدت إليه الشعراء كما كانت تفتد إلى الخلفاء قبله ؛ فأقاموا يبابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود^(١) على عمر بن عبد العزيز ، وعليه عمامة قد أرخى طرفها ، وكانت له منه مكانة ، فقال جرير :

يا أيها الرجلُ المُرْخِي عمامته^(٢) * هذا زمانك إني قد مضى زَمَنِي

- ١٠ أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه * أنى لى الباب كالمصفود في قرن
وخش المكانة من أهلى ومن ولئى * نائى المحلة عن دارى وعن وطنى

- قال : نعم أبا حذرة ونعمى عين . فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء يبابك ؛ وأقوالهم باقية ؛ وسنانهم مسنونة . قال : يا عون ، مالى وللشعراء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن النبى صلى الله عليه قد مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم . قال : ومن مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلة
١٥ قطع بها لسانه . قال : وتروى قوله ؟ قلت : نعم :

رايتك يا خير البرية كلها * نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً

وتورت بالبرهان أمراً مدتساً * وأطفأت بالبرهان ناراً مضراً

فإن مبلغ عنى النبى محمداً * كل امرئ يجرى بما قد تكلم

- ٢٠ تعالى علواً فوق عرش إلهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظماً

قال : صدقت ؛ فمن بالباب منهم ؟ قال : ابن عكك عمر بن أبى ربيعة . قال :

(١) فى بعض الأصول : « عدى بن أوطاة » .

(٢) فى بعض الأصول : « المزجى مطيته » .

لا قَرَبَ اللهَ قَرَابَتُهُ ، وَلَا حَيَا وَجْهَهُ ! أَلَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ ؟

أَلَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ حَانَتْ مَنِيَّتِي * نَحِمْتُ الَّذِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَالْقَهْمِ
وَلَيْتَ طَهَوْرِي كَانَ رِيْقَكَ كُلَّهُ * وَلَيْتَ خَنْوَطِي مِنْ مُشَاشِكَ وَالْدَمِ
وَلَا لَيْتَ سَلَمِي فِي الْقُبُورِ ضَجِيعِي * هَذَا لَكَ أَوْ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ
فَلَيْتَهُ وَاقَهُ تَمَنَّى لِقَامَاهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا . وَاللهُ لَا دَخَلَ عَلَى
أَبَدًا . فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرِ مَنْ ذَكَرْتَ ؟ قُلْتُ : جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ الْعَنْدَرِيِّ . قَالَ :
هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا نَحْبِسَا جَمِيعًا وَإِنْ تَمَتَّ * يُوفِّي لَدَى الْمَوْتِ ضَرْبِي ضَرْبُهَا
فَمَا أَنَا فِي طَوْلِ الْحَيَاةِ رَاغِبٌ * إِذَا قِيلَ قَدْ سَوَى عَلَيْهَا صَنِيعُهَا
أَعْلَلْتُ نَهَارِي لَا أَرَاهَا وَيَلْتَقَى * مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا
أَعْرَبُ بِهِ : فَوَاقَهُ لَا دَخَلَ عَلَى أَبَدًا . فَمَنْ غَيْرِ مَنْ ذَكَرْتَ ؟ قُلْتُ : كَثِيرُ
عِزَّةٍ . قَالَ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَهُبَانُ مَدِينٍ وَالَّذِينَ عَهْدُهُمْ * يَكُونُ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قُعُودًا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ حَدِيثَهَا * خَرُّوا لِمَعْرَةِ رَاكِعِينَ يُجُودًا
أَعْرَبُ بِهِ . فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرِ مَنْ ذَكَرْتَ ؟ قُلْتُ : الْأَخْوَصُ الْأَنْصَارِيُّ .
قَالَ : أَتَبَعَهُ اللهُ وَحَقَّهُ ، أَلَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ وَقَدْ أَفْسَدَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
جَلَدِيَّةً هَرَبَ بِهَا مِنْهُ :

اللهُ يُنْفِ وَيُزِيلُ سَيِّئَهَا * يَغْفِرُ عَنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ
أَعْرَبُ بِهِ . فَمَنْ بِالْبَابِ غَيْرِ مَنْ ذَكَرْتَ ؟ قُلْتُ : هَمَامُ بْنُ غَالِبِ الْفَرَزْدَقِ .
قَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الْقَاتِلُ يَفْخَرُ بِالزَّانَا :

هُمَا دَلَّانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً * كَمَا انْقَضَ بَارِزُ أَقَمِ الرِّيشِ كَاسِرُهُ
فَلَبَّاسُ تَوْتِ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَنَا * أَحْسَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ مُعَاذَرُهُ
وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الْجُلُوسِ وَأَصْبَحْتُ * مُتَلَقَّةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهُ

قلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا * ووليت في أعقاب ليل أبادة
اعزب به . فوالله لا دخل على أبدا ، فن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت :
الأخطئ التغلبي . قال : أليس هو القاتل :

فلست بصائم رمضان عُمري . ولست بأكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر علساً بكوراً . إلى بطحاء مكة النجاج
ولست بقائم كالقير يدعو . قبيل الصبح حتى على الفلاج
ولكني سأشرها شمولاً . وأجد عند منبج الصباح
اعزب به . فوالله لا وطن لي بساطاً أبداً وهو كافر ؛ فن بالباب غير من
ذكرت ؟ قلت : جرير بن الحظفي . قال : أليس هو القاتل :

لولا مراقبة العيون أزلنا . مقل المها وسوائ الآرام
هل ينهيك أن تقتل مرقفاً . أو ما فعلت بعروة بن حزام
دم المنازل بعد منزلة اللوى * والميش بعد أولئك الأقوام
طرقك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجمي بسلام
فإن كان ولا بد فهنا . فأذن له ؛ فخرجت إليه قلت : ادخل أبا حذرة .
فدخل وهو يقول :

إن الذي بعث النبي محمداً . جعل الخلافة في إمام عادل
وسع الخلائق عدله ووقاؤه * حتى أزعوى وأقام ميل المائل
واقه أزل في القران فريضة * لأبن السيل وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً . والنفس مولعة بحب العاجل
فلما مثل بين يديه قال : أتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا . فأنشأ يقول :

كم بالبيعة من شعناء أزملة * ومن يتيم ضيف الصوت والنظر
من يعدك تكفي قد والله . كالقرخ في العش لم ينهض ولم يعطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به . خبلاً من الجن أو مساً من النسر

خليفة الله ماذا تأمرن بنا . لئلا إليكم ولا في دارٍ مُنْتَظِرٍ
 ما زِلْتُ بِعَدَاكَ فِي هَمٍّْ يُورِّقُنِي ۝ قَدْ طَالَ فِي الْحَيِّ إِصْعَادِي وَمُنْتَحَدِي
 لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرُ الْمَجْهُودُ بِأَدِينَا ۝ وَلَا يَعُودُ لَنَا بِإِدٍ عَلَى حَضِرٍ
 إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا النِّبْتُ أَخْلَفْنَا ۝ مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا تَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
 نَالٌ (١) الْخِلَافَةُ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا ۝ كَمَا أَنَّى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدْرِ
 هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتْ حَاجَتَهَا ۝ فَنِ الْحَاجَةِ هَذَا الْأَرَمِلِ الذَّكَرِ

فقال : يا جرير ، والله لقد ولّيت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة ، فسانة
 أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام أعطه المائة الباقية .

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنها لأحب مال إلى كسبته . ثم خرج ، فقالوا
 له : ما وراك ؟ قال ما يسوءكم ! خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمسح
 الشعراء ، وإني عنه لراض . ثم أنشأ يقول :

رَأَيْتُ رَقِي الشَّيْطَانِ لَا تَسْتَفِزُّهُ ۝ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِبَا

وفود نابغة بني جعدة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

الزبير بن بكار قاضي الحرمين ، قال : أقصمت السنة نابغة بني جعدة ، فوفد
 إلى ابن الزبير ، فدخل عليه في المسجد الحرام ، ثم أنشده :

جَبِيتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلَيْتْنَا ۝ وَغُثْمَانُ وَالْفَارُوقُ فَارْتَاخَ مُعْذِمُ
 وَسَوِّتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوَوْا ۝ ضَمَادٌ صَالِحًا حَالِكُ اللَّوْنِ مُظْلِمُ
 أَنَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ النُّجُومُ ۝ دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَاحِ عَثَمُ (٢)
 لَتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا زَعَزَعَتْ بِهِ ۝ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمُصَمَّمُ

(١) في بعض الأصول : ۝ أَنَّى الْخِلَافَةُ لَو ...

(٢) الشَّمَمُ : الْجِلْدُ الشَّدِيدُ .

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فالشمر أدنى وسائلك عندنا ؛
 أما صفوة أموالنا فلاك الزبير ، وأما عفوّته فإن بنى أسد وتيمّا تشغلها عنك ،
 ولكنّ لك فى مال الله سهمان : سهم برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وسهم بشركك المسلمين فى فيهم . ثم أخذ يده ودخل به دار النعم ، فأعطاه
 قلائص سبعا ، وجعلا رحىلا ، وأوقر له الركاب بُرا وتَمرا وثيابا . لجعل النابتة ٥
 يستعمل فيها كل الحب صِرَفا . فقال ابن الزبير : ومع أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهد . قال
 النابتة : أشهدُ سمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما وُلِّيتُ قريشَ فدخلتُ ،
 واستُرحتُ فرحت ، وحدثتُ فصدقت ، ووعدتُ خيرا فأُنجزت ، فأنا والنبليون
 قُرَاطُ القاصفين .

قال الزبير بن بكار : الفارط : الذى يتقدم لى الماء يصلح الرشاء والذلاء ١٠
 والقاصف : الذى يتقدم لشراء الطعام .

وفود أهل الكوفة

على ابن الزبير رحمه الله تعالى

قال : لما قَتَلَ مصعبُ بن الزبير المختارَ بن أبى عُبَيْد ، خرج حاجا فقدم على
 أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق ، فقال له : يا أمير المؤمنين ١٥
 جنتك بوجوه أهل العراق ، لم أدع لهم بها نظيرا ، لتُعطيهم من هذا المال . قال :
 جنتى بعيد أهل العراق لأعطيهم مال الله . والله لا فعلت . فلما دخلوا عليه
 وأخذوا مجالسهم ، قال لهم : يا أهل الكوفة ، ودّدت والله أنى لى بكم من أهل
 الشام صرفَ الدينار والدرهم ، بل لكل عشرة رجلا . قال عُبَيْد الله بن ظبيان :
 أتندى يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : فإن ٢٠
 مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال أعشى بكر بن وائل :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعَلَّقْتَ رَجُلًا * غَيْرِى وَعُاقَى أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

أحببتك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام ، وأحبّ أهل الشام عبدَ الملك .

ثم انصرف القوم من عنده غائبين . فكتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا
بمُصعب بن الزبير .

وفود رؤبة على أبي مسلم

الاصمعي قال ^(١) : حدثنا رؤبة قال : قدمت على أبي مسلم صاحب الدعوة ،
فأنشدته ، فناداني : يارؤبة ، فنوديت له من كل مكان : يارؤبة ! فأجبت :
لبيك إذ دعوتني لبيكا . أحمد رباً ساقى إليك
الحمد والتَّعَمُّ في يدَيْكَ

قال : بل في يدَي الله عز وجل . قلت : وأنت لما أنعمتَ حُمدت . ثم
استأذنت في الإنشاد فأذن لي ، فأنشدته :

ما زال يأتي المُلْكَ من أَقطارِهِ * وعن يَمِينِهِ وعن يساره
مُشَمَّراً لا يصطلي بِنارِهِ * حتى أَقرَّ المُلْكُ في قرارِهِ

فقال : إنك أتيتنا وقد شفت المال وأستغفنه الإنفاق ، وقد أمرنا لك بجائزة
ومى ناهية يسيرة ، ومنك التَّوَدُّ وعلينا المَعُولُ ، والدمر أطارقُ مُسْتَتَبٌ ، فلا
تُلقي بحبيبك الأسدة .

قال : فقلت : الذي أفادني الأمير من كلامه أحبُّ إليَّ من الذي أفادني
من ماله .

وفود العتابي على المأمون

الشَّيباني قال : كان كُلُّهُمْ العتابي أيام هارون الرشيد في ناحية المأمون ،
فلما خرج إلى خراسان شيعه إلى قُوميس حتى وقف على سِنداد كسرى ، فلما
حاول وداعه قال له المأمون : لا تَدَعُ زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء .
فلما أنضتُ الخلافة إلى المأمون وفد إليه العتابي زائراً ، فحُجِبَ عنه ، فتمرَّض

(١) انظر ص ٢٤٦ من هذا الجزء . وفي بعض النسخ اختلاف .

ليحيي بن أكرم فقال : أيها القاضي ، إن رأيت أن تذكرني أمير المؤمنين . فقال له يحيى : ما أنا بالحاجب . قال له : قد علمت ، ولكنك ذو فضل وذو الفضل يعفوان . فدخل على المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، أجزتني من العتابي ولسانه فلم يأذن له وشغل عنه ، فلما رأى العتابي جفاه قد تمادى . كتب إليه :

٥ ماعلى ذا كُنا افترقنا بسندا • دَ ولا هكذا رأينا الإخاء
لم أكن أحسبُ الخلافة يَزِدنا • دُ بها ذو الصفاء إلا صفاء
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُتَقَفَةِ السُّم • ر على غَدْرِهم وتندى الوفاء

فلما قرأ آياته دعا به ، فلما دنا منه سلم بالخلافة ووقف بين يديه ، فقال : يا عتابي ، بلدتنا وفانك فتمتتنا ، ثم انتهت إلينا وفادتكَ فسررتنا . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو قسم هذا البر على أهل متى وعرفت لوسعهم ؛ فإنه لا دين إلا بك ، ولا دُنيا إلا معك ! قال : سل حاجتك . قال : يدك بالعطية أدلتني من لسانك بالمسألة . فأحسن جائزته . وانصرف .

وفود أبي عثمان المازني على الواثق

أبو عثمان بكر بن محمد قال : وفدت على الواثق ، فلما دخلت وسلمت قال : هل خلّيت وراءك أحداً يهيك أمره ؟ قلت أختي لي ريبتها فكانها بنى . ١٥ قال : ليت شعري . ما قالت حين فارقتها ؟ قال : أنشدتني قول الأعشى :

تقول ابقي يومَ جدِّ الرجلِ • أرانا سواءَ ومن قد يَمِ
أبانا ، فلا رمت من عندنا • فإننا نخافُ بأن تُخْتَرَمَ
أرانا إذا أضمرتك البسلا • دُججى وتقطعُ مِنّا الرِّحَمَ

٢٠ قال : ليت شعري ، ما قلت لها ؟ قال : أنشدتها يا أمير المؤمنين قول جرير :

رثي بالله ليس له شريك • ومن عند الخليفة بالتجاج

قال : أتاك التجاج . وأمر له بمشرة الآف درهم . ثم قال : حدثني حديثاً روي عن أبي هديّة مُستظرفاً . قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثني الأصمعي قال :

قال لي أبو مهدي : يا بني أن الأعراب والأعراب سواء في الهجاء . قلت : نعم .
قال : فاقرا : (الأعراب أشد كُفراً ونفاقاً) ولا تقرأ : الأعراب ، ولا يفرّك
العرب وإن صام وصلى ! فضحك الواثق حتى شرب برجه ، وقال : لقد لقي أبو مهدي
من العزّة شراً . وأمر لي بخمسة دينار .

الوافدات على معاوية

وفود سودة ابنة عمارة على معاوية

عامر الشعبي قال : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر المهدانية على معاوية
ابن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلّيت عليه ، فقال
لها : كيف أنت يا بنت الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها : أنت
القائلة لأخيك :

شَمَّرُ كَفْعِلِ أَيْكَ يَا بِنَ عِمَارَةٍ • يَوْمَ الطَّلَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَانْصُرْ عَلَيَّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ • وَاقْصِدْ لِهَنْدٍ وَابْنِهَا بَهْوَانَ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ • عَلِمُ الْهَدَى وَمَنَارَةُ الْإِيمَانِ
قُدِّرَ الْجِيوشَ وَسِرُّ أَمَامَ لَوَانِهِ • قَدْ مَأَى بِأَيْضَ صَارِمٍ وَسِنَانِ

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبُير الذنب ؛ فدع عنك تذكّار ما قد
نُسي . قال : هيأت ، إني مثل مقام أخيك يُدعى . قالت : صدقت والله
يا أمير المؤمنين ، ما كان أخى خفى المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :
وإن صخرًا لتأتمُّ الهداة به • وكأنه علم في رأسه نار

وبالله أسألُ يا أمير المؤمنين إعفائي عما استغفيتهُ . قال : قد فعلتُ ، فقولي
حاجتك . قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك للناس سيد ، ولأمورهم مقدّد ، والله
سائلُك عما اقترض عليك من حقنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزك ،
ويُيسط سلطانك ، فيحصدنا حصّاد السبيل ، ويدوسنا دِباس البقر ، ويسومنا
الخنيسة ، ويسألنا الجلييلة ؛ هذا ابنُ أوطاة قدم بلادى ، وقتل رجالي ،

وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكأن فينا عز ومعة ، فإما عزته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك !

فقال معاوية : إياي تهتدين بقومك ؟ والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك . فسكت ، ثم قالت :

- صلى الإله على روح تَصَمَّنُهُ . قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَذْفُونًا
قد حَاقَتْ الْحَقُّ لَا يَنْبَغِي بِهِ ثَمًا . فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

- قال : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قالت : عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قال : مَا أَرَى عَلَيْكَ مِنْ أَثَرٍ ! قالت : بلى ، أَتَيْتُهُ يَوْمًا فِي رَجُلٍ وَلَاهُ صَدَقَاتُنَا فَكَانَ يَفْنَا وَيَبْنِي مَابَيْنَ الْعَقِّ وَالسَّيْنِ ، فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا يَصِلُ ، فَانْقَلَبَ مِنَ الصَّلَاةِ ثُمَّ قَالَ بَرَأةً وَتَعَطَّفَ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلِ . فَبَكَى ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ،
١٠ فقال : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَزِمْهُ بِظُلْمِ خَلْقِكَ ، وَلَا تَزَكَّ حَقِّكَ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جِيْبِهِ قِطْعَةً مِنْ جِرَابٍ فَكَتَبَ فِيهِ :

- (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَدْ جَاءَتْكَ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكَ ، فَأَوْفُوا السَّكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ . إِذَا أَتَاكَ كِتَابُنَا فَحَافِظْ بِمَا فِي يَدَيْكَ حَتَّى يَأْتِيَ مِنْ يَمِينِهِ مِنْكَ . وَالسَّلَامُ)
- ١٥

فَقَوْلُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . مَا خَوَّزَهُ بِخَزَامٍ ، وَلَا خَتَمَهُ بِخَتَامٍ .

- فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اكْتُبُوا لَهَا بِالْإِنصَافِ لَهَا وَالْعَدْلِ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : أَلَيْ غَايَةً أَمْ لِقَوْمٍ عَامَةٍ ؟ قَالَ : وَمَا أَنْتِ وَغَيْرُكَ ؟ قَالَتْ : هِيَ وَاللَّهُ إِذَا الْفَحْشَاءُ وَاللُّؤْمُ ،
٢٠ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا شَامِلًا ، وَإِلَّا يَسْتَعْنِ مَا يَسْتَعْنِ قَوْمِي . قَالَ : هِيَ أَلَمْ تَعْظُمُ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ الْجُرَّاءَ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَبَطْنًا مَا تُقْطَعُونَ ، وَغَرَمَ قَوْلُهُ :
- فَلَوْ كُنْتُ بِرَأْبٍ عَلَى بَابِ جَنَّةٍ . لَقُلْتُ لَهْمَدَانِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ
- وقوله :

نَادَيْتُ هَمْدَانَ وَالْأَبْوَابَ مُنْفَلِقَةً . وَمِثْلُ هَمْدَانَ سَيِّ فِتْحَةِ الْبَابِ

كالهتدوات لم تُفَلِّ مَضَارِبُهُ . وَجْهٌ جَبِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَابٍ
اكتبوا لها بمحاجتها .

وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخُزَاعِي عن الشَّعْبِيِّ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ بَكَارَةَ الْهِلَالِيَّةِ عَلَى
معاوية بن أبي سفيان ، فَأَذِنَ لَهَا ، وَهُوَ يَوْمُنَا بِالْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ
آرَاءَهُ قَدْ أَسْنَتْ وَعَشَى بَصَرُهَا وَضَعُفَتْ قُوَّتُهَا ، تَرَعَّشَ بَيْنَ خَادِمِينَ لَهَا ؛ فَسَلَّمَتْ
وَجَلَسَتْ . فَرَدَّ عَلَيْهَا مَعَاوِيَةَ السَّلَامَ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَنْتِ يَا خَالَةَ ؟ قَالَتْ : بِخَيْرٍ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : غَيْرِكَ الدَّهْرُ ؟ قَالَتْ : كَذَلِكَ هُوَ ذُو غَيْرٍ ، مِنْ عَاشٍ كَثِيرٍ
وَمِنْ مَاتٍ قَلِيلٍ . قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

١٠ يَازَيْدُ دُونَكَ فَاسْتَسِرْ " مِنْ دِرَانَا . سَيْفًا حُسَامًا فِي الثَّرَابِ دَفِينَا
قَدْ كُنْتُ أَذْخِرُهُ لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ . فَالْيَوْمَ أَبْرَزَهُ الزَّمَانُ مَصُونَا
قَالَ مَرْوَانَ : وَهِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

أُتِرَى ابْنُ هِنْدٍ لِلْخَلَاءِ مَالِكًا . هِيَهَاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ
مَنْتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالَةً . أَغْرَاكَ عَمْرُو لَأَشْفَا وَسَعِيدُ

١٥ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي : هِيَ وَاللَّهِ الْقَائِلَةُ :

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى . فَوْقَ الْمَنَاسِيرِ مِنْ أُمِّيَّةٍ خَاطِبَا
فَاللَّهُ أَخَّرَ مُدَّتِي فَتَطَاوَلْتُ . حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَابَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ " بَيْنَ الْجَمْعِ لَأَلِ أَحَدٍ عَابَا
ثُمَّ سَكُوا . فَقَالَتْ : يَا مَعَاوِيَةَ ، كَلَامُكَ أَعْنَى بَصَرِي وَقَصْرُ حُجَّتِي ، أَنَا وَاللَّهِ
٢٠ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، وَمَا خَفَى عَلَيْكَ مِنْي أَكْثَرُ . فَضَحَكَ وَقَالَ : لَيْسَ يَنْعِنَا ذَلِكَ مِنْ
رِيٍّ . إِذْ كَرَى حَاجَتَكَ قَالَتْ : أَمَّا الْآنَ فَلَا .

وفود الزرقاء على معاوية

عبيد الله بن عمرو النخعي قال : حدثني جماعة من بني أمية عن
 كان يُسمُّر مع معاوية قالوا : بينا معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعُتْبة والوليد ،
 إذ ذكروا الزرقاء أبنة عدي بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت شهدت مع قومها
 صِفِّين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ قال بعضهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين .
 قال : فأشيروا على في أمرها . فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال : بئس
 الرأيُ أشرُّنكم به على ؛ أيحسُنُ بمنلى أن يُتحدَّثَ عنه أنه قُتل امرأة بعد
 ما ظفِر بها .

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوى محاريبها وعدة
 من فرسان قومها ، وأن يُهد لها وطاء لنا ، ويسترها بستر خفيف ، ويُوسِّع
 لها في النفقة ؛ فأرسل إليها عامله فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين
 جعل الخيارَ لي فأني لا آتية ، وإن كان حَظَّ فالطاعة أولى . فحلَّ لها وأحسن
 جهازها على ما أَسْر به .

فلما دخلت على معاوية قال : مرحباً وأهلاً ، قدمت خيرَ مُقَدِّمٍ قَدِمه وافد !
 كيف حالك ؟

قالت بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .
 قال : كيف كنتِ في مسيرِك ؟ قالت : ربيبة بيت أو طفلاً عهداً .

قال : بذلك أمرناهم ؛ أتدريين قيمَ بدئتُ إليك ؟ قالت : أنى لي بعَمِّ ما لم أعلم .
 قال : ألسنِ الراكبةَ الجملَ الأحمر ، والواقفة بين الصفين يوم صفين تُحْصَيْن على
 القتال وتُحْتَمَى الحرب ؟ فما حَمَلَك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وُبترَ الذنب ، ولم يَعُدْ ما ذَهَبَ ؛
 والدمر ذو غير ، ومن تَفَكَّرَ أبصر ، والامرُ يَحْدُثُ بعده الامر .

قال لها معاوية : صدقت ، أتحفظين كلامك يومئذ ؟

قالت : لا والله لا أحفظه ، ولقد أنسيته .

قال : لكني أحفظه ، لله أبوك حين تقولين : أيها الناس ، اذعوا
وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنه غَشَّكُمْ جلايبَ الظُّلم ، وجارت بكم عن
قصد المَحَبَّة ، فإلها فتنه عمياء ، صماء بكاء ، لا تسمع لناغيها ، ولا تنساق
لقائدها ، إن المصباح لا يُضيء في الشمس ، ولا تُنير الكواكب مع القمر ،
ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألا مَنْ استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .
أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبأ يا معشر المهاجرين
والأنصار على النقص ، فكأن قد اندمل شَعْبُ الثنات ، والتأمت كلُّ العدل ،
ودمَّع الحقُّ بأمله : فلا يجهلنَّ أحدٌ فيقول : كيف العدل وأنى ؟ ليَقْضِ الله أمراً
كان مفعولاً . ألا وإنَّ خضابَ النساءِ الحِثَاءِ ، وخضابَ الرجالِ السَّماءِ ، ولهذا
اليوم ما بعده :

• والصبرُ خيرٌ في الأمورِ عواقباً •

إيها في الحرب قُدماً غير ناكسين ولا متشاكسين .

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شَرَّكت علياً في كل دمٍ سَفَكَهُ .

قالت : أحسنَ اللهُ بِشارتك ، وأدام سلامتك ، فثلك بِشَرِّ بخيرٍ
وسرٍّ جليسه .

قال أو يُدْرِك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سُررت بالخبر فأُفِي لي
بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لوِ قَاوَمَكم له بعد موته أعجبُ من حُجَمِكم له في حياته .
اذكري حاجتك .

قالت يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألا أسألَ أميراً أعزَّتْ عليه أبداً ،
ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طلبة .

قال : صدقت ! وأمر لها وللذين جادلوا معها بجوائز وكسب .

وفود أم سنان بنت خزيمة

على معاوية رحمه الله

سعيد بن خُذافة قال : حبس مروانُ بن الحكم وهو والى المدينة غلاماً من
بنى لُبث في جناية جناها ، فأتمته جدة الغلام أم أبيه ، وهى أم سنان بنت خزيمة
ابن خشرته المدججية ، فكلّمته فى الغلام فأغلظ لها مروان . فخرجت إلى معاوية ،
فدخلت عليه فانتسبت فعرفها ، فقال لها : مَرَّجاً يا بنت خزيمة ، ما أقدمك أرضنا
وقد عهدتُك تشمتيننا وتُحسِنين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبنى عبد مناف أخلاقاً
طاهرة وأعلاماً ظاهرة وأحلاماً وافية ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفّهون بعد
حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن أبأوه لأنت . قال :
صدقت ! نحن كذلك ، فكيف قولك :

١٠

عزب الزقاذ فقلتي لا ترقد • والليل يصير بالهجوم ويورد
يا آل مدحج لا مقام تشمروا • إن المدو لآل أحمد يقصد
هذا على كالحلال تحفه • وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلاقي وابن عم محمد • إن يديكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مدحيد الحروب مظفرا • والنصر فوق لوائه ما يفقد

١٥

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده فقال
رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهى القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل • بالحق تعرف هادياً مهديا
فاذهب عليك صلاحك بك مادعت • فوق الفصون حمامة قرياً
قد كنت بعد محمد خلفاً كما • أوصى إليك بنا فيكنت وفياً
فاليوم لا خلف يؤمل بعده • هيهات تأمل بعده إنسياً

٢٠

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق ، وقول صدق ، ولئن تحقق فيك ماظننا
لخطاك الأوفر . والله ما ورثك الشتان فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء . فأدجن

مقاتلهم ، وأبعد منازلهم ، فإنك إن فعلت ذلك ترددت من الله قريبا ، ومن المؤمنين جبا . قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت سبعان الله ! والله ما مثلك مدح يباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضير قلوبنا . كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلك وكريم عفوك . قال : فإنهما يطمعان في ذلك . قالت : هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله . قال : والله لقد قاربتي ، فما حاجتك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن مروان تبكك بالمدينة تبك من لا يريد منها البراح ؛ لا يحكم بعدل ، ولا يقضى بسنة ، يتبع عورات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن أبي ، فأتيته ، فقال كيت وكيت فألقته أخشن من الحجر ، وألقته امرأ من الصاب ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعمو منه ؟ فأيتك يا أمير المؤمنين ، لتكون في أمرى ناظرا ، وعليه مُعديا .

قال : صدقت ! لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته . اكتبوا لها بإطلاقة . قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأنت لي بالرجمة وقد نفذ زادي ، وكلت راحتي ؟ فأمر لها براحة وخمسة آلاف درهم .

وفود عكرشة بنت الأطرش

على معاوية رحمه الله تعالى

أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال : دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلقة ثم جلست ؛ فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إذ لا عليّ حتى قال : ألسن المقلدة حامل السيف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين :

- أيها الناس ، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يرحل عنها من أوطئها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم مستظهيرين بالصبر على طلب حقتهم ؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلب القلوب ، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ؛ دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستندعاهم إلى الباطل فلبّوه ، فآله الله عباد الله في دين الله ؛ إياكم والتواكل ، فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطفئ نور الحق هذه بذرة الصغرى ، والعقبة الأخرى . يامعشر المهاجرين والأنصار ، امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأن بكم غدا ولقد لقيتم أهل الشام كالعمر الناهقة تصقع صقع البقر ، وترثون وترث العتاق .

- فكأن أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك المسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأحرار بن رواحة . فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قادراً مقدوراً ، فاحملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وإن الليب إذا كره أمراً لا يجب إعادته ، قال : صدقت ، فذكرى حاجتك . قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ؛ وإننا قد فقدنا ذلك ، فاجبر لنا كسبر ؛ ولا يُنعش لنا فقير ؛ فإن كان ذلك عن رأيك فثلك تبّه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن رأيك فامثلك استعان بالحنونة ولا استعمل الظلّة .

- قال معاوية : يا هذه ، إنه يؤنبنا من أمور رعيّتنا أمور تلبق ، وبحور تنفق . قالت : ياسبعان الله . والله ما فرض الله لنا حقاً لجل فيه ضرراً على غيرنا ، وهو علام الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، تبهمكم على بن أبي طالب فلم تطلقوا ثم أمر ردّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

قصة دارمية الحجونية

مع معاوية رحمه الله تعالى

سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال : حج معاوية ، فسأله عن امرأة من
بنى كنانة كانت تنزل بالحجون ، يقال لها دارمية الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة
اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها بغيء بها ؛ فقال : ما حالك يا بنة ؟ فقالت :
لست ليحارم إن عبتني ؛ أنا امرأة من بنى كنانة . قال : صدقت . أتدريين لم بعث
إليك ؟ قالت : لا أعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحبيت
عليًا وأبغضتني ؛ وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني . قال : لا أعفبك . قالت :
أما إذا أبيت ، فإني أحبيت عليًا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ؛ وأبغضتك
على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبت منك ما ليس لك بحق . وواليت عليًا
على ما عاهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء ، وحبه المساكين .
ولعظامه لأهل الدين . وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ،
وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفع بطنك ، وعظم ثدياك ، ورَبَّتْ عجرتك ، قالت : يا هذا ،
بهند والله كان يضرب المشل في ذلك لاني . قال معاوية : يا هذه اربعي ، فإننا
لم نقل إلا خيرا ؛ إنه إذا انتفع بطن المرأة تَمَّ خَلْقُ ولدها ، وإذا عظم ثدياها
تَرَوَّى رضيعها . وإذا عظمت عجرتها رَزَنَ مجلسها . فرجعت وسكنت . قال لها :
يا هذه ، هل رأيت عليا ؟ قالت : إني والله . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته
والله لم يفته الملك الذي فتتك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت
كلامه ؟ قالت : نعم والله ، فكان يحملو القلوب من العمى كما يحملو الزيت صدأ
الطست . قال : صدقت ؛ فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟
قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حراء فنها خلها وراعيا . قال : تصنعين بها ماذا ؟
قالت : أغزو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكتسب بها المحارم ،
وأصلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلّ عندك محل علي بن أبي طالب ؟
 قالت : ماء ولا كهداء ، وتمرعى ولا كالتعداد ، وفقى ولا كالك ،
 يا سبعان الله ، أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم متى عليكم ه فنى ذا الذى بعدى يؤمل للحلم

- ٥ تخذيهامنيّتا واذكري فعل ما جدي ه جزاك على حرب العداوة بالسلم
 ثم قال : أما والله لو كان عليّ حيا ما أعطاك منها شيئا .
 قالت : لا والله ، ولا وبرّة واحدة من مال المسلمين .

وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

- عُيِدَ الله بن عمر القسائي عن الشعبي ، قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة
 أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقه البارق برحله ، وأعله أنه مجازيه
 بالخير خيرا وبالشر شرّا بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه ؛
 فقالت : أما أنا فقير زائفة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء
 أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري .

- فلما شيعها وأراد مفارقة قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى
 أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرّا ؛ فأنّى عندك ؟ قالت : يا هذا لا يُطِيعُكَ
 ١٥ برك في أن أمرّك ياطل . ولا تؤيِّسك مرقى بك أن أقول فيك غير الحق .
 فسارت خيرة مسير حتى قدمت على معاوية . فأنزلها مع الحرّم ؛ ثم أدخلها
 في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين
 ورحمة الله وبركاته . فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا
 الاسم . قالت : يا أمير المؤمنين ، مه ، فإن بديهة السلطان مدحّصة لما يُحبّ عليه ،
 ٢٠ ولكلّ أجل كتاب . قال : صدقت ؛ فكيف حالّك يا خالة ؟ وكيف كنت في
 مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرّْتُ إليك ؛ فأنا
 في مجلس أتيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : يُحسِّنُ نيتي ظفرتُ بكم . قالت :

يا أمير المؤمنين ، يُعِيذُكَ اللَّهُ مِنْ دَخَسِ الْمَقَالِ وَمَا تُرَدِّي عَاقِبَتُهُ . قَالَ : لَيْسَ هَذَا أَرَدْنَا . أَخْبَرَنَا كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ إِذْ قُتِلَ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ؟ قَالَتْ : لَمْ أَكُنْ زَوْرَتُهُ قَبْلَ ، وَلَا رَوِيَّتُهُ بَعْدَ ؛ وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتٌ تَقَعُّهَا لِسَانِي عِنْدَ الصَّدْمَةِ ؛ فَإِنْ أُحْيِيتَ أَنْ أُحَدِّثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَعَلْتُ . فَالْتَفَتَ مُعَاوِيَةُ إِلَى جُلَسَاءِهِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : أَنَا أَحْفَظُ بَعْضَ كَلَامِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : هَاتِ . قَالَ : كَأَنِّي بِهَا وَعَلَيْهَا بُرْدُ زَيْدِيٍّ كَتَبْتُ بَيْنَ النَّسِجِ ، وَهِيَ عَلَى جَهْلِ أَرْمَكَ وَقَدْ أَحْبَطَ حَوْلَهَا ، وَبِيدَهَا سَوَاطِئُ مَنَشَرِ الضَّفِيرَةِ ، وَهِيَ كَالْفُحْلِ يَهْدِي فِي شَيْفَقَتِهِ ، تَقُولُ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۖ إِنْ أَنْتُمْ قَدْ أَوْضَحْتُمْ لَكُمْ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَبَيَّنَّ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عَمَاءٍ مُدْهَمَّةٍ ؛ فَأَيُّكُمْ تَرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ؟ أَوْفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فِرَارًا مِنَ الزَّحْفِ ، أَمْ رَغْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ؟ أَمَا سَمِعْتُمْ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاهُ يَقُولُ : ﴿ وَتَبْلُغُونَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُغُوا أَنْجَارَكُمْ ﴾ .

ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ قَدْ عَيَّلَ الصَّبْرَ ، وَضَمَفَ الْيَقِينَ ، وَانْتَشَرَتِ الرَّغْبَةُ ، وَبِيَدِكَ يَارَبُّ أَرْزَمَةِ الْقُلُوبِ ، فَاجْمَعْ اللَّهُمَّ بِهَا الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفِ الْقُلُوبَ عَلَى الْهَدْيِ ، وَارْجِعْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ . هَلُّوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَالرَّضِيِّ النَّقِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ ؛ إِنَّمَا أَحْسَنَ بَذْيَةً ، وَأَحْقَادًا جَاهِلِيَّةً ، وَضَغَانًا أُحْدِيَّةً وَثَبَّ بِهَا وَائِبَ حِينَ الْغَفْلَةِ ، لِيَدْرِكَ ثَوَارِتُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ .

ثُمَّ قَالَتْ : ﴿ قَاتِلُوا أَلِيَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَكُمْ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَلَسُّوْنَ ﴾ . صَبْرًا يَامَعِشَرَ الْمُجَاهِدِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ؛ فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا وَلَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَعُمُرٍ مُسْتَفِيرَةٍ ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ، لَا تَعْدِي أَيْنَ يُسَلِّكُ بِهَا مِنْ فُلُجِ الْأَرْضِ ، وَبَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأُولَى ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى وَعَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حَتَّى تَحُلَّ بِهِمُ النَّدَامَةُ فَيُطْلَبُونَ الْإِقَالَةَ ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . إِنَّهُ مِنْ ضَلَالٍ وَاقِعَةٍ عَنِ الْحَقِّ وَقَعَتْ فِي الْبَاطِلِ .

إلا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرَضَوْها، واستعابوا الآخرة فسَعَوْها،
 فأنه الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتمطّل الحدود، ويظهر الظالمون،
 وتقوى كلمة الشيطان؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصهره وأبى سبغية، خلق من طينته، وتخرج من نبعته،
 وخَصَّهُ بِسِرِّه، وجعله باب مدينته، وأعلم بحجج المسلمين، وأبان بينضه المناققين؛
 هاهو ذا مُتْلَقُ الهام، ومكسّر الأصنام؛ صلى والناس مشركون، وأطاع والناس
 كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مُبارِزِي بدر، وأقى أهل أحد، وهزم
 الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفزق به جمع هوازن؛ فبالها من وقائع
 زرعت في قلوب نفقا، وريّة وشقا، وزادت المؤمنين إيماناً، وقد اجتهدت
 في القول؛ وبأنت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله .
 فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلْتُكِ
 ما حرجت في ذلك .

قالت: والله ما يسوءني أن يجرى قتل على يدي من يُسعدني الله بشقائه .
 قال: هيأت يا كثيرة الفضول، ماتقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟
 قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون،
 وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية: يا أم الخير؛ هذا أصالك الذي تبنين^(١) .
 قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا؛ ما أردتُ بعثمان قصصا، ولكن
 كان سابقاً إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا .
 قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟ قالت: وما عسى أن أقول في
 طلحة؟ أغلِلَ من مأمِنه، وأنى من حيث لم يحتسب، وقد وعده رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الجنة .

(١) في بعض الأصول: «تناوكت الذي تبنين» يريد أن سوء رأيها في عثمان هو الأصل
 الذي بنت عليه .

قال : فإِ تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، فإنّ قريشاً تحدّثت أنك أحلّها : أن تسعى بفضل حليك ، وأن تُعفي من هذه المسائل ، وتُسألني عما شئت من غيرها . ٥

قال نعم ونعمة عين ، قد أعفيتك منها . ثم أمر لها بمائة ربيعة وردها مكرمة .

وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

١٠ العباس بن بكار قال : حدّثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي ، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ؛ فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً ياعمة ، فكيف كنت بعدنا ؟

فقالت : يا بن أخي ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصعبة ، وتسميت بنير آسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير دين ^(١) كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقسم الله منكم الجذود ، وأضرع منكم الخنود ، وردّ الحق إلى أهله ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فولّيتم علينا من بعده ، تمنجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ؛ فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايقتنا الجنة وغايقتكم النار . ٢٠

فقال لها عمرو بن العاص : كُنّي أيتها العجوز الضالة ، وأصيري غن قولك

(١) في بلاغات النساء : « من غير بلاء... »

مع ذهب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك .

فقال له : وأنت وابن النابغة تتكلم ! وأنتك كانت أشهر امرأة تُغنى بمكة ،
وأخذهن لاجرة ! اربّع على ظمئك ، واعن بشأن نفسك ! فوالله ما أنت من
قريش في الباب من حسبا ولا كريم منيها ؛ ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش ،
[كلهم يزعم أنه أبوك] فسللت أملك عنهم ، فقالت : كلهم أنا ، فانظروا
أشبههم به فألقوه به ، فقلب عليك شبه العاص بن وائل فليحقت به .
فقال مروان : كنّي أيتها المعجوز ، وأقصدي لما جئت له . فقالت : وأنت
أيضا وابن الزرقاء تتكلم !

ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ماجزأ دلي هؤلاء غيرك ، وإن أملك الفائلة
في قتل حمزة :

١٠

نحن سجزيناكم يوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سحر
ما كان لي عن عني من صبر * فسكر وحيي على دهر
حتى ترم أعظمي في قبري *

فأجابها بنت عبي وهى تقول :

١١

خزيت في بدر وبعد بدر * يابنة جبار عظيم الكفر
فقال : معاوية عفا الله عما سلف ياعة ! هات حاجتك .
قالت : مالى إليك حاجة ، وخرجت عنه .

تم الجزء الأول بعون الله وتوفيقه

ويله - إن شاء الله تعالى - الجزء الثاني

وأوله : كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك ،

١٢

فهرس

موضوعات الجزء الاول

من العقد الفريد

صفحة	مذكرة
١٦	ب التعريف بالكتاب ومؤلفه للأستاذ محمد سعيد الريان
١٨	١ مقدمة المؤلف
١٩	٢ كتاب التلوثة : في السلطان فرش الكتاب . للحكام . النبي ﷺ نصيحة السلطان ولزوم طاعته .
٢٠	٨ النبي صلى الله عليه وسلم . معاوية به العباس ابن عتبة ينصح الوليد . لابن صفوان في خالصة السلطان . لابن المقفع في خاتم السلطان وصاة أبي سفيان وزوجه لانهما معاوية حين عمل لعمر . لأبرور ينصح صاحب بيت ماله . لزيد بن معاوية ينصح مسلحين ولأه خراسان لعمري الخطاب ومعاوية حين قدم عليه الشام . الربيع الحارثي في حاضرة عمر بن الخطاب .
٢١	١١ ابن عبد ربه يفسر غريب الخبر . ١٢ زيد أول من استن ترك السلام على قائم عند السلطان . ترك أبي مسلم السلام على المنصور بحضرة السفاح . معاوية وابن العاص بين يدى عمر حين مقدمهما من الشام ومصر .
٢٢	١٣ لبعضهم في تفسر الخيلة لنصيحة السلطان لشبيب في مسامرة السلطان . وزير الهند بين الملك والمسلح . لابن هبة يوصي مسلم بن سعيد حين وجه إلى خراسان .
٢٣	١٤ اختيار ابن أوطاة بين إياس والقاسم . بين عدي وإياس في القراء أبو قلاب في القضاء . تولية عبد الملك الشعبي على قضاء البصرة .
٢٤	١٥ عمر بن عبد العزيز يسأل أبا جاز عن يولي خراسان عمر ورجل طلب عملا . تولية ابن هبة لإياس تولية ابن الخطاب للخيرة مكان ابن أبي وقاص على الكوفة . الحجاج يعف سمته الوليد
٢٥	١٦
٢٦	١٧
٢٧	١٨
٢٨	١٩
٢٩	٢٠
٣٠	٢١
٣١	٢٢
٣٢	٢٣
٣٣	٢٤
٣٤	٢٥
٣٥	٢٦
٣٦	٢٧
٣٧	٢٨
٣٨	٢٩
٣٩	٣٠
٤٠	٣١
٤١	٣٢
٤٢	٣٣
٤٣	٣٤
٤٤	٣٥
٤٥	٣٦
٤٦	٣٧
٤٧	٣٨
٤٨	٣٩
٤٩	٤٠
٥٠	٤١
٥١	٤٢
٥٢	٤٣
٥٣	٤٤
٥٤	٤٥
٥٥	٤٦
٥٦	٤٧
٥٧	٤٨
٥٨	٤٩
٥٩	٥٠
٦٠	٥١
٦١	٥٢
٦٢	٥٣
٦٣	٥٤
٦٤	٥٥
٦٥	٥٦
٦٦	٥٧
٦٧	٥٨
٦٨	٥٩
٦٩	٦٠
٧٠	٦١
٧١	٦٢
٧٢	٦٣
٧٣	٦٤
٧٤	٦٥
٧٥	٦٦
٧٦	٦٧
٧٧	٦٨
٧٨	٦٩
٧٩	٧٠
٨٠	٧١
٨١	٧٢
٨٢	٧٣
٨٣	٧٤
٨٤	٧٥
٨٥	٧٦
٨٦	٧٧
٨٧	٧٨
٨٨	٧٩
٨٩	٨٠
٩٠	٨١
٩١	٨٢
٩٢	٨٣
٩٣	٨٤
٩٤	٨٥
٩٥	٨٦
٩٦	٨٧
٩٧	٨٨
٩٨	٨٩
٩٩	٩٠
١٠٠	٩١

صفحة	صفحة
٢٩	شعر اللؤف في الهبة . للأخطل في معاوية
٣٠	حسن السيرة والرفق بالرعية
٣١	عما جاء في الكتاب والسنة في معنى هذا العنوان
٣٢	مشودة سالم بن كعب على عمر بن عبد العزيز
٣٣	حين ولي الخدفة . بين عمر بن عبد العزيز وابنه
٣٤	في الرفق . من عمر إلى ابن أوطاة في الرفق .
٣٥	عما وصي المنصور به ابنه وصية خالد القسري بلال
٣٦	وصية مروان بن الحكم لعبد العزيز ابنه حين
٣٧	ولاه مصر
٣٨	من معاوية إلى زياد في رجل فز إليه
٣٩	ما يأخذ به السلطان من الحرم والعزم
٤٠	وصية عبد الملك لولي عهده الوليد . لبعضهم
٤١	في السير من الزلل . في الام يكون من الرعية
٤٢	من كلام الهند في الملوك . للملك سلب ملكه
٤٣	لابن أبي طالب في القصر . ش. عن عمرو . لعائشة
٤٤	فيه . له في نفسه . هو عامل البحرين . هو
٤٥	وابن أبي وقاص . ابن أبي وقاص وشاعر مجاهد
٤٦	عمرو أبو موسى الأشعري وأبو هريرة والحارث
٤٧	بين عمر بن الخطاب وابن العاص
٤٨	عمرو وأبو سفيان في مال وأدم
٤٩	عمرو أبو سفيان في مال حاول إخفاءه . عمرو عتبة
٥٠	في مال وجدده . عمرو أبو سفيان في رجل دعا
٥١	بدعاء الجمالية
٥٢	كتاب يزيد إلى مروان يأمره بالبيعة . أبو سنان وأهل
٥٣	مروحين من مواليه . كتاب ابن طاهر إلى الحسن
٥٤	التنلي . كتاب الحاج إلى قتيبة في أسرو كعب .
٥٥	كتاب الحاج إلى قوم يفسدون في الأرض للحكاه
٥٦	لحييب . لبعض الشعراء . بين معاوية وأبي
٥٧	الجم . معاوية وحشية الأسد
٥٨	الرشيد ومعتز عليه في خطبه . الوليد
٥٩	ومعتز عليه في خطبته . غاظر بين معاوية وزيد
٦٠	ابن العاص وغاظر سأل عن أمه
٦١	بين معاوية وخريم . أبو جعفر مع مالك وابن
٦٢	طالوس
٦٣	أبو هريرة ومروان حين أبطل بالجمعة
٦٤	بين أبي جعفر وأبي ذئب
٦٥	المأمون والحارث بن مسكين . المنصور
٦٦	وسفيان الثوري . أبو النظر وعامل للخليفة
٦٧	ابن هبيرة والحسن البصري والشعي . معاوية
٦٨	والأخف في استغلال يزيد . كتاب أبي
٦٩	الفرهاد إلى معاوية . كتاب عائشة إلى معاوية
٧٠	هشام وناصح نصحه بأربع . عبد الملك
٧١	والحارث في ابن الزبير . الوليد بن عبد الملك
٧٢	من كلام الله تعالى عيان وثيف لما هم بالارتداد
٧٣	لبعض الحكماء . فيما ينفع ويضر . بين حكم وحكم
٧٤	للرأسي في الرأي القطير . لعل في رأي الشيخ
٧٥	لان هبيرة يوصي ابنه . لما سر بن الطرب . من
٧٦	أشالم . للهب في الرأي . لبس في الحرم .
٧٧	لبعض الشعراء . عبد الله بن عبد الأعلى بعد
٧٨	مخط الخليفة عليه . لسبيع في أهل النجاة
٧٩	لقطامي . شعر للؤلؤف . لحييب
٨٠	حفظ الأسرار
٨١	الحكاه . من عبد الملك للحجاج . للحكاه .
٨٢	لمعمر بن العاص . لبعض الشعراء . لبعض
٨٣	الاعراب . للمأمون . ملك من ملوك السم
٨٤	استشاذ وزيره
٨٥	لبعض الشعراء
٨٦	لبعض الشعراء . بين معاوية وابن الأشعث
٨٧	في الدخول على الملوك . لمعاوية في آذنه .
٨٨	الحكاه في الوصول إلى المراد .
٨٩	بين رجل وروح . بين رجل والحسن بن
٩٠	عبد الحميد . من كلام الهند . بين النبي صلى
٩١	الله عليه وسلم وستاذن . لعل كرم الله وجهه

صفحة	صفحة
٦٤	٥٣ الحجاب
وله أيضا يوحى - عمر بن الخطاب وابن العاص والغزو في البحر .	زياد وحاجبه - أبو سفيان يباب عثمان -
٦٥ الحسن ورجل رد إلياس شهادته - من عدل شرع للقاضي - لإياد ورده لشهادة ابن أبي سود - عدى بن أرطاة وشرع .	٥٤ بين أبي مسهر وابن عبد كان - ابن منصور ورجل من خاصته حجب عنه - اللثاني -
٦٦ شرح ورجل يخاضع في سنو - لشرع وقد سئل حكما . الشعبي في الفصل بين رجل وامرأته	أبو دلف ورجل حجب عنه
كتاب الفريدة	٥٥ الحبيب - لابن بكر العطار - لبعض الشعراء - للحسن بن هاني - لعمود البغدادي
في الحروب ومدار أمرها	٥٦ اللثاني - بين أبي بشير وبعض كتاب العسكر - لابن عبد ربه - لبعض الشعراء
فرش كتاب الحروب - صفة الحروب -	٥٧ الحسين الجبل - البغدادي في ابن وهب - لابن عبد ربه - الحبيب
٦٨ لعنزة القوارس - السكيت - لنصر بن سيار - من حكمة سليمان - للعرب	٥٨ باب الوفاء والغدر
٦٩ للناطقة الجعدى ودعوة النبي ﷺ له - للناطقة الذياني يصف الحرب - لابن عبد ربه	بين مروان وعبد الحميد الكاتب - عبد الملك بعد قتله ابن سعيد - أبو جعفر وابن هبيرة
٧٠ العمل في الحروب	٥٩ أبو جعفر وسلم في قتل أبي مسلم - للنبي صلى الله عليه وسلم - لابن شعبة في حب الولاية وحكاهما - بين ابن شبرمة وأبيه في موكب طارق .
لاكنم بن صبيح - لشبيب الحاروري في الليل لما نشأ يوم الجبل - لعنبة يوم بدر - لابن أبي طالب في المواقف - لابن مقرن عند اللقاء	٦٠ لابن الحسن في رجل غيرته الولاية - بين عمر والمغيرة حين عزله - دعوة ابن عمر على زياد - بين ابن الخطاب وأبي هريرة - خالد القسري وتوليته بلالا - بين عمر وطالب عن
٧١ لعمر بن الخطاب في ابن مقرن - لعل في الرمحة - لبعض الحكماء - لابن مسلم في ابن أبي سود - لبعض الملوك في الحزم - للعمم في أشد الأمور تدرييا - بين معاوية وعمرو ابن العاص .	٦١ بين النبي ﷺ والعباس - بين النبي صلى الله عليه وسلم ورجل طلب عملا - لزياد في أغبط الناس عيشا - بين معاوية والمغيرة حين كبر
٧٢ لهدية العذري .	باب من أحكام القضاة
الصبر والإقدام في الحرب	٦٢ لعمر بن عبد العزيز - كتاب عمر بن الخطاب إلى معاوية في القضاء .
العرب في الشجاعة - لاثروشروان - للحكام -	٦٣ كتاب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء .
٧٣ لعبد الله بن الزبير في مقتل أخيه مصعب - للسموال - للشغري - لعل بن أبي طالب .	
٧٤ لابي دلف المعجل - لابن طاهر - لابن ربيعة . للهملب في أعجب ما رأى في حرب الأزارقة	

صفحة	صفحة
وحايات أمراء الجيوش	٧٥ بين هشام وأخيه مسلمة في الذعر - لفترة
٩٦ عمر بن عبد العزيز يوصي الجراح - لعمر	يوم الفروق - ما كان يتمثل به ابن المهلب -
ابن الخطاب - أبو بكر يوصي يزيد بن	للعلاء - لمباد بن الحصن - ما كان يتمثل
أبي سفيان .	به معاوية يوم صفين - لابن أبي طالب
٩٧ أبو بكر يوصي عاتكة بن الوليد - من خالد	في صفين
إلى صرازة فارس - من عمر بن الخطاب	٧٦ لجرير - حاصم بن الحذعان والفزدي -
إلى سعد بن أبي وقاص .	لفترة وغيره .
٩٨ عبد الملك يوصي أميرة إلى أرض الروم -	٨٣ فرسان العرب في الجاهلية والإسلام
زياد يوصي قواده - بين الوليد بن عبد الملك	ابن مكرم وقول حسان فيه - فراس بن
وعباد في زياد - معاوية وقد أراد استمال	عظم وكلمة لعل فيه - من فرسان العرب في
ابن خالد ثم القنادي - دويد وابن عوف	الجاهلية - من فرسانهم في الإسلام .
٩٩ لقتيبة ينصح أصحابه - لابي مسلم ينصح قواده -	٨٤ ابن عاصم مع ابن زياد في جرد - شيب
لسعيد بن زيد ينصح بليه - المنصور وعيسى	الحاروري - لابن عباس في الانصار - لعل
ابن موسى	في حدان .
الحمامة عن العشيبة ومنع المستجير	٨٥ لابن بركة - لتأبط شرا - للخزومي - بين
لجبل يصف لعبد الملك قومه	ابن الزبير والاشتر - جائزة عائشة لئن بشرها
٩٦ لابن مطاع - العرب في الدفاع عن الجار -	بنجاة ابن الزبير .
لمروان في معن - معاوية وعائنه في مال	٨٦ من عمر إلى ابن مقرن في الصائفة - لعمر
اختائه ابن شهاب	ابن معد يكره .
٩٧ مقتل محمد بن أبي بكر - المهدي ومعن في	٨٧ المسكينة في الحرب
رجل أهداه	لنبي صلى الله عليه وسلم - للمهلب - مسلمة
٩٨ الجبل والفرار	ابن عبد الملك - بين المأمون والفضل بن
لعمر بن مصديكرب في النزعات - للأخنف	سهل في رأى فات الامين .
٩٩ لخالد بن الوليد - لقرار السلي في الفرار -	٨٨ بين الاسكندر ومؤذبه في مدينة فتحها - سعيد
لغارث بن هشام في الفرار - لبعض الثغراء	ابن العاص وحسن فتحه - حمرو بن العاص
١٠٠ لمحمود الوراق - لآمين بن غريم - لصاحب	وعلم قيسارية
كليلة ودمنة - ذكر بعض الفرارين	٨٩ عمر والحرمران - معبد ونفر من الاسرى -
١٠٢ لعمر بن معد يكره	ملك من ملوك السمر
١٠٤ بين الحارث وأمراته - بين ابن زياد وابن	٩٠ وقيمة ملك الحياطة يزيد جرد
زرعة - عبد الله بن مطيع	٩١ للنبي صلى الله عليه وسلم - مالك الحشمي
	وتسميته بالخطيب .

صفحة	صفحة
١٢١ من شأنهم مع القوس السابق	١٠٥ لقيس بن الحطيم في الفرار - لقتيبة بن الحارث
١٢٢ وصف السلاح	لابي خراش - لحبيب بن عرف - لفرزدق
درع على - درع الجراح - لزيد بن حاتم في	في خالد بن أسيد
الأدراع - بين عمر بن الخطاب وعمر بن	١٠٦ ومن قوله لأحد الجناء - بين هند وابن
معد يكرب في الصمصامة .	زنياع - لكعب بن زهير
١٢٣ الزبير بن العوام وسيفه	١٠٦ فضائل الخيل
١٢٤ لابن الأغر يوصي ابنه - لأعرابي في متحاربين	لنبي صلى الله عليه وسلم في صفة الخيل
لحبيب في الديف .	١٠٧ صفة جياد الخيل
١٢٥ لابن عبد ربه	لنبي صلى الله عليه وسلم - لبعض الضبيين
١٢٦ النزاع بالقوس	في وصف فرس - بين المهدي وابن دراج في
١٢٧ بين لص ورواح	أفضل الخيل
١٢٨ لنبي صلى الله عليه وسلم في الرمي - لنبي صلى	١٠٨ بين معاوية وصمصمة في أفضل الخيل - بين
الله عليه وسلم ورواة من أسلم	عمر بن الخطاب وعمر بن معد يكرب في
١٢٩ لعمر بن الخطاب - لرجل من البادية يذمر	عراب الخيل - لحسان بن ثابت - لوهير -
قومه - مشاورة المهدي لأهل في حرب خراسان	لبعض الثمراء .
١٤٥ باب في مداراة العدو	١٠٩ لابي عبيدة في عتاقة القوس - لرجل من أسد
لهند - لأحمد بن يوسف - لسابق البلوى	لابن السكافي في جياد سليمان عليه السلام
١٤٦ التحفظ من العدو وإن أبدى لك المودة	١١٠ لبعض الثمراء في فرس - للطائي
للأختل يحذو بني أمية - لحكيم يوصي ملكا	١١١ لبعض الثمراء في أبي دلف - لابن عبد ربه
١٤٧ للحسن بن هاني - بين معاوية وابن الزبير	في وصف القوس - لابن الرقاع
باب من أخبار الأزارقة	١١٢ لامرئ القيس في وصف الخيل
١٤٨ مرداس ومقتله	١١٣ لطيفيل الخيل - بين عبد الملك بن مروان
زياد والحوارج - من فرسان الحوارج	وأصحابه .
١٥١ للهلب في قعر من الحوارج - تمطش الحوارج	سوابق الخيل
للى القتال	لابي النجم في فرس هشام .
١٥٢ تفرق كلة الحوارج	١١٤ بين الرشيد والأصمى في فرس سابق .
كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد	١١٨ لابي السامية في أم شر فرس الرشيد - لابي
فرش كتاب الزبرجدة	النجم في الخلبة .
١٥٣ لابن عبد ربه - لنبي صلى الله عليه وسلم	١١٩ لبعض الثمراء في فرس أبي الأعور البجلي
الحسن والحسين - للمأمون .	١٢٠ الخلبة والرهان

صفحة	صفحة
١٦٣ استنجاح الحوائج	١٥٤ مدح الكرم وذم البخل
١٦٤ النبي صلى الله عليه وسلم - لخالد بن صفوان -	النبي صلى الله عليه وسلم - لاكم بن صفي -
من أمثال العرب - لدعلج الخزاعي	بين يحيى وبخيل - من خطبة لخالد القسري -
١٦٥ لشبيب بن شيبه - للحسن بن هاني - بين	١٥٥ من خطبة - لعبد بن العاص - لابي ذر -
ابن واسع وأمير - عبد الله بن طاهر	لكسري في الاستيلاء - محمود الوراق -
وسوار القاضي	بين موسى الهادي وابن يزيد
١٦٦ أبو حازم الأعرج وطلطان في حاجة - لحبيب	١٥٦ لابن عباس - لابي مسلم الخولاني - لخالد
الطائي - بين المنصور وطالب حاجة	القسري - لمرو بن العاصي - لعبد العزيز
استنجاز المواعد	ابن مروان - لابي عقيل العراقي في مروان
١٦٧ لعبد الله بن عمر - لجبار بن سفي في طامر	١٥٧ لزياد - لبعض الشعراء - لابن خازنة -
ابن الطفيل - لابن أبي حازم - لعمر بن	الترغيب في حسن الشأن واصطناع المعروف
الحارث - للحسن بن هاني - لقيس بن	النبي صلى الله عليه وسلم - من عمر إلى أبي
الأحنف -	موسى - لبعض الحكماء - لبعض أهل التفهيم
١٦٨ بين عبد الملك بن مروان وابن أم الحكم -	لاكم بن صفي -
بين عيسى بن موسى والقاسم بن معن - عبد الصمد	١٥٨ لحبيب الطائي - لابن دريد - لابن عبد ربه -
الرقائي وعلاء بن ديسم - بين بشار وسلم	الأحنف -
١٦٩ يحيى بن خالد وقضاء الحوائج - لزياد الأعجم -	١٥٩ عروة بن أدية في صلبه - بين السندي وكوفي
بين الحسن بن وهب وحبيب - ابن دأب	ذى مروة -
عند المهدي -	الجود مع الإفلال
١٧٠ للهلل يوحى بنيه	من الكتاب والسنة
١٧١ العتاني - للجاحظ - عبد الله بن طاهر ودعبل	١٦٠ الحكماء - لاصريح الغزالي - لابي هريرة في
أبان وخلف بن خليفة	جعفر بن أبي طالب - لخالد عجرد -
١٧٢ لابي العتاهية - لدعبل - لابن عبد ربه	١٦١ لخاتم العتاني - لعبد الملك بن مروان في
١٧٣ لطيف الاستنجاح	غزوة - لبكر بن الطلاح
لحكماء - العتاني - للحسن بن هاني - بين	العتية قبل السؤال
مروان بن أبي خزيمة وابن يزيد	اسميد بن العاص
١٧٤ عبد الملك ونقر من بني أمية - الرشيد	١٦٢ لاكم بن في - لابي بن أبي طالب - بين
وعبد الملك بن صالح - عبد الملك وأبو الريان	ابن أبي سبرة وأبي الأسود
الحجاج والشمسي - معاوية وابن ذرارة -	١٦٣ بين معاوية وابن ضوحان في الجود - لابن
يزيد بن المهلب وكريد	عبد ربه - لبشار - لحبيب -

العَقْدُ الْقَرِيدُ

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر الإندلسي

المتوفى سنة ٥٣٢٨

بتحقيق

محمد سعيد العربيان

الجزء الثاني

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى:

جميع حقوق الطبع محفوظة

كِتَابُ الْمَرْجَانَةِ

فِي مَخَاطِبَةِ الْمُلُوكِ

فرش كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك

قال أبو يعر أحمد بن محمد بن عبد ربه :

- قد مضى قولنا في الوفود والوافدات ، ومقاماتهم بين يدي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبين يدي الخلفاء والملوك . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأيده وتسديده في مخاطبة الملوك ، والتزلف إليهم بسحر البيان ، الذي يمازج الروح لطافة ، ويمجى مع النفس رقة . والكلام الرقيق مصادف القلوب ، وإن منه لما يستعطف المستشبه غظاً ، والمندمل حقدًا ، حتى يطفى جمرة غظه ، ويسل دقان حقه . وإن منه لما يستميل قلب التميم ، ويأخذ بسمع الكريم وبصره . وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة . وشافعاً مقبولاً : قال تبارك وتعالى : ﴿ قَتَلْتُ نَفْسًا مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

- وسنذكر في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى من تخلص من أنشوطه الهلاك ، وتفلت من حبال المنية ، بحسن الاتصال ، ولطيف التوصل ، ولين الجواب ، ورقيق الاستعاب ؛ حتى عادت سيئاته حسنات ، وعيى بالثواب بدلًا من العقاب وحفظ هذا الباب أوجب على لإنسان من حفظ عرضه ، والزم له من قوام بدنه .

بيان

- كل شيء كتف لك قناع الحق حتى يتأذى إلى الفهم ويتقبله العقل ، ٢٠
فذلك البيان الذي ذكره الله في كتابه ، ومن به على عباده ؛ فقال تعالى :

كنه البيان

(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ الْبَيَانُ) .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : فيم الجلال ؟ فقال : في اللسان . يريد البيان .
وقال صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً .
وقالت العرب : أنقذ من الرئية كلمة فصيحة (١) .
وقال الراجز :

لقد خشيت أن تكون سائحاً راويةً مرّاً ومرّاً شاعراً
وقال سهل بن هارون : العقل رائد الروح ؛ والعلم رائد العقل ، والبيان
ترجمان العلم .

وقالوا : البيان بصرٌ والعيى عَمَى ، كما أن العلم بصرٌ والجهل عَمَى ؛ والبيان
من نتائج العلم . والعيى من نتائج الجهل .

وقالوا : ليس لمنقوص البيان بهاء . ولو حكَّ يافوخه عنان السماء .
وقال صاحب المنطق : حدُّ الإنسان : الحى الناطقُ المبين .
وقال : الروح عماد البدن ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .

تبجيل الملوك وتعظيمهم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريمٌ قوم فأكرموا .
وقالت العلباء : لا يؤمُّ ذو سلطان في سلطانه ، ولا يجلس على تكرمته
إلا بإذنه .

وقال زياد ابن أبيه : لا يُسَلَّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين .
وقال يحيى بن خالد بن برمك : مُسألة الملوك عن حالها من سيجية النَّوَسَى ؛
فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ قل : صَبَحَ اللهُ الأمير بالنعمة
والكرامة . وإذا كان غليلاً فأردت أن تسأله عن حاله ، قل : أنزل اللهُ على

(١) في بعض الأصول : خفية .

الأمير الشفاء والرحمة ؛ فإن الملك لا تُسأل ولا تُدعى ولا تُكَيَّف . وأنشد :

إن الملك لا يُخاطَبُونَا * ولا إذا ملُّوا يعاتبُونَا

وفي المقال لا يُنازَعُونَا . وفي العُطاس لا يُشَمَتُونَا

وفي الخِطاب لا يُكَيَّفُونَا * يُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيُجَلِّلُونَا

فأنهم وصاتي لا تُكُنْ مجنوناً

اعتلَّ الفضلُ بن يحيى ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا أتاه عائداً لم يَزِدْ على السلام عليه والدعاء له ، ويخفَّف في الجلوس ، ثم يُلْقِي حاجبَه فيسأله عن حاله وما كُله ومشربه ونومه . وكان غيره يُطيل الجلوس . فلما أفاق من علته قال : ما عاذني في علتي هذه إلا إسماعيل بن صبيح .

ابن صبيح
والفضل بن يحيى
في علته

وقال أصحاب معاوية له : إنا ربما جَلَسْنَا عندك فوق مقدارِ شهرتك ، فنريد أن نجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال : علامةُ ذلك أن أقول : إذا شتمت .
وقيل ذلك ليزيد ، فقال : إذا قلت : على بركة الله .

بين معاوية
وأصحابه

وقبل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعتُ الخِزْرَانَةَ من يدي .
ومن تمام خدمة الملك أن يُقَرَّبَ الخادمُ إليه نَعْلُهُ ولا يدعه يمشي إليهما ، ويجعل النعلَ اليمنى مُقَابِلَةَ الرجلِ اليمنى ، واليسرى مُقَابِلَةَ اليسرى ، وإذا رأى مُتَكَبِّراً يحتاج إلى إصلاح أصلحه قبل أن يُؤْمَرَ ؛ فلا ينتظر في ذلك أمره ؛ ويتفقد الدواة قبل أن يأمره ، وينقُض عنها الثُّبَار إذا قَرَّبها إليه . وإن رأى بين يديه قِرطاساً قد تباعد عنه قَرَّبَه ووضعهُ بين يديه على كسره .

في خدمة
الملك

ودخل الشعبي على الحجاج ، فقال له : كم عطاءك ؟ قال : ألفين . قال : ويحك ! كم عطاؤك ؟ قال : ألفان . قال : فلم لحتَ فيما لا يُلْعَن فيه مثلك ؟ قال : لَحَنَ الأميرُ فلحنت ، وأعربَ الأميرُ فأعربت ؛ ولم أكن ليلحنَ الأميرُ فأعربَ أنا عليه ، فأكون كالمُقرَّع له بلحنه ، والمستطيل عليه بفضل القول قبله ! فأعجبه ذلك منه ووجهه مالا .

الحجاج
والشعبي

قُبلة اليد

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر ، قال : **كُنَّا نَقْبِلُ يَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .**

ومن حديث وكيع عن سفيان ، قال : قال : **قَبِلَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ .**

ومن حديث الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَقِيَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَاتَّزَمَهُ وَقَبِلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

قال إِبْرَاهِيمُ بْنُ دَعْبُولٍ : رَأَيْتُ أَبَا نَضْرَةَ يَقْبِلُ خَدَّ الْحُسَيْنِ .

الثَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ مُصْعَبٍ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَبِلَ يَدَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى عَيْنَيْهِ ؛ فَلَمْ يَنْتَهَ .

الْحَنَفِيُّ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَبِلَ يَدَهُ ، وَقَالَ : **يُذِكُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ يَدٍ بِالتَّقْبِيلِ ، لِمَلُوكِهَا فِي الْمَكَارِمِ ، وَطُغْرُهَا مِنَ الْمَأْتَمِّ ؛ وَأَنَّكَ تُقِيلُ التَّوْبَةَ ، وَتَضْفَحُ عَنْ التَّنُوبِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ بِكَ سُوءًا جَعَلَهُ اللَّهُ حَصِيدَ سَيْفِكَ ، وَطَرِيدَ خَوْفِكَ .**

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الْهَجْرِيُّ عَلَى الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَقَضَ فِي ، وَأَتَمَّ أَهْلَ الْبَيْتِ بَرَكَةً ، فَلَوْ أَذْنَتْ قَبْلَكَ وَأَسْكُ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُجَسِّدَكَ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ أَسْنَانِي .** قَالَ : **اخْتَرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَائِزَةِ .** فَقَالَ : **يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْسَرُ عَلَيَّ مِنْ ذَهَابِ الْجَائِزَةِ أَلَّا تَبْقَى فِي فَمِي سَاحِكَةٌ .** فَضَحَكَ الْمَنْصُورُ وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ .

ودخل جعفر بن يحيى في زِيَّ الْعَامَةِ وَكَيْانِ النَّبَاهَةِ عَلَى سُلَيْمَانَ صَاحِبِ يَدِ الْحَيْكَةِ ، وَمَعَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ ، فَقَالَ ثَمَامَةُ : **هَذَا أَبُو الْفَضْلِ .** فَهَضَّ إِلَيْهِ سُلَيْمَانٌ فَقَبِلَ يَدَهُ وَقَالَ لَهُ : **بِأَبِي أَنْتَ ، مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَحْمَلَ عَبْدَكَ هَذِهِ الْمِئَةَ الَّتِي لَا أَقْرَمُ بِشُكْرِهَا ، وَلَا أَقْدَرُ أَنْ أَكْفِيَ عَلَيْهَا .**

الرسول صل
الله عليه وسلم
وتقبيل يده

تقبيل يده عمر
ابن الخطاب

مصعب ورجل
قبل يده

عبد الملك
ورجل قبل يده

بين المنصور
وأبي بكر
الهجري

بين سليمان
وجعفر بن يحيى

عبد الله بن عباس
وزيد بن ثابت

الشَّعْبِيُّ قَالَ : وَكَبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بِرُكَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَفْعَلْ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعُلَمَائِنَا . قَالَ لَهُ زَيْدٌ : أَرِنِي يَدَكَ . فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ يَدَهُ ، فَأَخَذَهَا وَقَبَّلَهَا ، وَقَالَ : هَكَذَا أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا .

أنواع القبيل

- وقالوا قُبَّةَ الإمام في اليد ، وَقُبَّةَ الآبِ في الرأس ، وَقُبَّةَ الْإِخِ في الخد ، وَقُبَّةَ الْأَخْتِ في الصدر ، وَقُبَّةَ الزَّوْجَةِ في الفم .

من كره من الملوك تقبيل اليد

همام ورجل
قبل يده

الْعُتْبِيُّ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَبَّلَ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَقْبِ لَهُ ، إِنْ الْعَرَبُ قَبَّلَتْ الْأَيْدَى إِلَّا هُلُوعًا ، وَلَا فَعَلَتْهُ الْعِجْمُ إِلَّا خُضُوعًا .

- واستأذن رجلُ المأمونَ في تقبيل يده ، فقال له : إِنْ قُبِّلَ الْيَدُ مِنَ الْمُسْلِمِ ذِلَّةٌ ، وَمِنَ الذَّمِّ حَذِيمَةٌ ؛ وَلَا حَاجَةَ بِكَ أَنْ تَذِلَّ ، وَلَا بَنَّا أَنْ نُتَخَذَعَ .
• واستأذن أبو دلالة الشاعرُ المهديَّ في تقبيل يده ، فقال : أَنَا هَذِهِ فَدَعَهَا .
قال : مَا مَنَعَتْ عِيَالِي شَيْئًا أَيْسَرَ قَدًّا عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ .

بين المهدي وأبي
دلالة في مثله

حسن التوقيع في مخاطبة الملوك

- قال هارون الرشيد لَمَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ : كَيْفَ زَمَانُكَ يَا مَعْنُ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنْتَ الزَّمَانُ ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلُحَ الزَّمَانُ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الزَّمَانُ .
وهذا نظير قول سعيد بن سَلَمٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدُ : مَنْ يَبْتَ قَيْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، بَنُو قُرَازَةَ . قَالَ : فَقَنْ يَبْتَهِمُ فِي الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، الشَّرِيفُ مِنْ شَرَفَتِهِمْ . قَالَ : صَدَقْتَ ؛ أَنْتَ وَقَوْمُكَ .

بين الرشيد
وابن زائدة

بين الرشيد
وابن سلم في
مثله

٢٠

ودخل معن بن زائدة على أبي جعفر ، فقال له كَبَّرْتَ يَا مَعْنُ . قَالَ : فِي طَاعَتِكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّكَ لَجَلَدٌ ؛ قَالَ : عَلَى أَعْدَائِكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَإِنَّ فِيكَ لِبَقِيَّةً . قَالَ هِيَ لَكَ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أَيْ الدُّوَلَيْنِ أَحَبُّ

أبو جعفر
وابن زائدة

إليك أو أنقض ، أدولتُنا أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إليّ ، وإن زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب إليّ . قال : صدقت .

قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهذا منزلك ؟ قال : هو
الملك ابن صالح الرشيد وعبد
٥ لأمير المؤمنين ولي به . قال : كيف مأواه ؟ قال : أطيب ماء . قال : فكيف هو مأواه ؟
قال : أصحّ هوا .

قال أبو جعفر المنصور لخير بن يزيد : إنى أردتُك لأمر . قال : يا أمير المؤمنين
١٠ قد أعد الله لك منى قلباً معقوداً بطاعتك ، ورأياً موصولاً بنصيحتك ، وسيفاً
مشهوراً على عدوك : فإذا شئتَ قتل .

وقال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لي أبنك عبد الله . قال : يا أمير المؤمنين
١٥ إن مدحهُ بحبّه ، وإن ذمته أغتبتّه ، ولكنه قد نَحَّ في كف مُتَقِف ليوم نِضال في
خدمة أمير المؤمنين .

وأمر بعضُ الخلفاء رجلاً بأمر : فقال : أنا أطوعُ لك من الرِّداء ، وأذلُّ
لك من الحِذاء .

وقال آخر : أنا أطوعُ لك من يدك ، وأذلُّ لك من نعلك .

وهذا قاله الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك الزيات .

وقال المنصور لمسلم^(١) بن قتيبة : ما ترى في قتل أبي مسلم ؟ قال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا
٢٠ إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ . قال : حَسْبُكَ أبا أمية .

وقال المأمون ليزيد بن مريد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ! قال : بلى ، ولكن
٢٥ منابرهم الجنوع .

وقال المنصور لإسحاق بن مسلم : أفرطتَ في وفائك لبنى أمية . قال :
يا أمير المؤمنين ، إنه من وَفَى لمن لا يُرجى كان لمن يُرجى أوفى .

(١) في بعض الأصول : مسلم ، وفي بعض آخر : مسلم .

الرشيد
وابن صالح

وقال هارون لعبد الملك بن صالح : صِفْ لِي مَتَبِيج . قال : رقيقةُ الهواء ،
لينة الروطاء . قال : فصِفْ لِي مَنْزِلَكَ بها . قال : دون منازلِ أهلي ، وفوق منازل
أهلها . قال : ولمْ وقْدْرَكَ فوق أقدارهم ؟ قال : ذلك حُلُقُ أميرِ المؤمنين أَناسِي به ،
وأقْفُو أثرَه ، وأحْذُو مثالَه .

الأمون وغلان
في الديوان

- ودخل المأمون يوماً بيت الديوان ، فرأى غلاماً جليلاً على أذنه قلم ، فقال :
من أنت يا غلام ؟ قال : أنا الناسيُّ في دولتك ، والمتقلَّبُ في نعمتك ، والمؤمِّلُ
لخِمتِكَ ، الحسنُ بنُ رجاء . قال المأمون : بالإحسان في البديهة فَنَاصَلْتَ العقول ؛
ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

المتوكل وابن
الجهم في رأس
إسماعيل بن
إسماعيل

- علي بن يحيى قال : إني عند المتوكل حين دخل عليه الرسول برأس إسماعيل بن
إسماعيل ، فقام علي بن الجهم يحظر بين يدي المتوكل ويقول :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ • جِئْتُ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
• بِرَأْسِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ •
فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لثلاثي تضع .

عقال وأبو
عبيد الله

- ودخل عقال بن شَبَّة على أبي عُبيد الله كاتب المهدي ، فقال : يا بن عقال ،
لم أرك منذ اليوم ! قال : والله إني لَأَلْقَاكَ بِشَوْقٍ ، وَأَغْيَبَ عَنْكَ بِشَوْقٍ .

عبد العزيز بن
سروان ونصيب

- وقال عبدُ العزیز بن مروان لَنُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ - وكان أسود - : يا نصيب هل
لكَ فيها يُسْمَرُ المَحادِثَةُ ؟ يريدُ المُنادِمَةَ . فقال : أصلح الله الأمير ، اللون مُرْمَدٌ ،
والشعر مُفَلْقَلٌ ، ولم أقصد إليك بكَرِيمٍ عُنْصَرٍ ، ولا بِحُسْنِ مَنْظَرٍ ، وإنما هو عَقْلِي
ولساني ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ آلَا تَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا فَاقْفَل .

الأمون ووداعة
الحسن بن سهل

- ولما وَدَعَ المأمونُ الحَسَنَ بنَ سَهْلٍ عند مَخْرَجِهِ مِنْ مَدِينَةِ السَّلامِ ، قال له :
يا أبا عَمْد ، أَلَاكَ حَاجَةٌ تَعْهَدُ إِلَيَّ فِيهَا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أَن تَحْفَظَ عَلَيَّ
مِنْ قَلْبِكَ مَا لَا أَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِهِ إِلَّا بِكَ .

الأمون وسعيد
ابن مسلم

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة للأُمون : لو لم أَشْكُرِ الله إِلَّا على حُسْنِ
ما أَبْلَغَنِي فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَصْدِهِ إِلَيَّ بِحَدِيثِهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَيَّ بِطَرَفِهِ ، لَكَانَ

ذلك من أعظم ما توجه النعمة، وتفرضه الصنعة. قال المأمون: ذلك والله لأن الأمير يجد عندك من حسن الإنعام إذا حدثت، وحسن الفهم إذا حدثت، ما لا يجده عند غيرك.

مدح الملوك والتزلف إليهم

أردشير
حين ولي

٥ في سير العجم أن أردشير بن يزجرد لما استوثق له أمره، جمع الناس فخطبهم خطبة حطهم فيها على الآفة والطاعة، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة، وصنف لهم الناس أربعة أصناف، فحروا له سجدا، وتكلم متكلمهم، فقال: لازلت أيها الملك تحبوا من الله بمن النصر، ودرك الأمل، ودوام العافية، وتمام النعمة، وحسن المزيد؛ ولا زلت تابيع لديك المكرمات، وتشفع إليك الذمامات، حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زواؤها، ولا تنقطع زهرتها، في دار القرار التي أعدها الله لخطائك من أهل الزلني عنده، والخطوة لديه، ولا زال ملكك وسُلطانك باقين بقاء الشمس والقمر، زائدين زيادة البحور والأنهار، حتى تستوي أقطار الأرض كلها في علوك عليها، ونفاذ أمرك فيها؛ فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما نمتنا نعمم ضياء الصبح، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيادي بعد أقرانها، وألف بين القلوب بعد تباعضها، وأذهب عنا الإحن والحسائلك^(١) بعد توقد زيرانها، بفضلك الذي لا يدرك بوصف، ولا يحمد بنعت.

فقال أردشير: طوبى للممدوح إذا كان المدح مستحقا، وللداعي إذا كان للإجابة أهلا.

حسان بن ثابت
والجفر

٢٠ دخل حسان بن ثابت على الحارث الجفني فقال: أنعم صباحا أيها الملك، السجاء غطاؤك، والأرض وطاؤك، والندى ووالدك فداؤك. أنى بناؤك المنذر^(٢)؟ فوالله لقد ألك أحسن من وجهه، ولأملك أحسن من أبيه، ولطلك خير من شخصه،

(١) في بعض الأصول: الحسائف، وفي بعضها الحسائد.

(٢) هو المنذر بن المنذر بن ماء السماء.

ولصمتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خيرٌ من يمينه . ثم أنشأ يقول :

وَبُنْتُ أَنْ أَبَا مُنْدَرٍ * يُسَامِكُ لِلْحَدَثِ الْآكِبِ
قَدْ ذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ * وَأَمَّا خَيْرٌ مِنَ الْمُنْدَرِ
وَيُسْرِى يَدَيْكَ إِذَا أَعْسَرَتْ * كَيْفَى يَدِيهِ فَلَا تَمْسُرِ

ودخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ، وَمَنْ
تكون شرفته فأنت قد شرفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وَإِذَا الذُّرَّ زَانَ حُسْنَ وَجْوهٍ . كَانَ لِلذُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنًا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أُعْطِيَ صَاحِبُكُمْ مَوْلاً وَلَمْ يُعْطَ مَعْقُولًا .

ذكر ابن أبي طاهر قال : دخل المأمون بغداد ، فلقاه وجوه أهلها ، فقال له
رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ ، وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ ، وَشَكَرَكَ
عَنْ رَعِيَّتِكَ ، تَقَدَّمَتْ مَنْ قَبْلَكَ ، وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ ، وَأَيَسَتْ أَنْ يُبَاعِيَ مِثْلُكَ
أَمَّا فِيمَا مَضَى فَلَا نَعْرِفُهُ ، وَأَمَّا فِيمَا بَقِيَ فَلَا نَرْجُوهُ ، فَنَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ ، وَنُثْنِي
عَلَيْكَ . فَحَصَبَ لَنَا جَانِبَكَ ، وَعَذَبَ شَرَابُكَ . وَحَسَنَ نَظَرُكَ ، وَكَرُمَتْ مَقْدَرُكَ .
جَبَرْتَ الْفَقِيرَ ، وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ ، فَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

مَا زِلْتَ فِي الْبَذْلِ النَّوَالِ وَإِطْلَاقِ لِحَافٍ بِجُرْمِهِ عَلَقِي

حَتَّى تَمْنَى السِّرَاءَ أَنَّهُمْ . عِنْدَكَ أَسْرَى فِي الْقَيْدِ وَالْخَلْقِ

ودخل رجل على خالد بن عبد الله القسري فقال : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ لَتَبْذُلُ
مَاجِلًا ، وَتَجْبُرُ مَا أَعْتَلَّ ، وَتُكْثِرُ مَا قَلَّ ، فَهَضْلُكَ بِدِيعٍ ، وَرَأْيُكَ جَمِيعٌ .

وقال رجل للحسن بن سهل : لَقَدْ صَرْتُ لَا أَسْتَكْثِرُ كَثِيرَكَ وَلَا أَسْتَقِلُّ قَلِيلَكَ
قال : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قال : لِأَنَّكَ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرِكَ ، وَأَنْ قَلِيلَكَ أَكْثَرُ مِنْ قَلِيلِ غَيْرِكَ .

وقال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه : قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلَّ بَقِشْطَةٍ مِنْ نَظَرِكَ
وَمَجْلِسِكَ ، وَصِلَاتِكَ وَعِدَاتِكَ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، أَوْ كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَحَدٍ

الحال القسري
يخبر عمر بن
عبد العزيز

المأمون
ومادح له عند
دخوله بغداد

بن خالد
القسري ويضهم
في مثله

ابن الحسن
ابن سهل وآخر

ابن صفوان
ووال دخل
عليه

وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
المدحُ كله دونَ قدرِكَ ، والشعرُ فبك فوق قدرِي ، ولكنني أَسْتَحْسِن قول العتّابي :

ماذا عسى ما دَحُّ يُلَيِّ عليك وقد . ناداك في الرّحى تقديسٌ وتطهيرُ
فَتُ المَعَادِحَ إلا أَنَّ أَلْسِنَا . مُسْتَطَقَاتٌ بما تُغْنِي الصَّامِرُ

مدح خالد بن صفوان رجلا فقال : قريع المنطق ، جَزَلُ الألفاظ ، عَرَفَ
اللسان ، قليل الحركات ، حَسَنَ الإشارات ، حُلُوَ الشبائل ، كثيرُ الطَّلَاوة ، صَوْنًا
قَتُولًا ، يَهْنَأُ الجَرْب ، ويداوى الدَّيْر ، وَيُقِلُّ الحَزْ ، وَيُطَبِّقُ المِفْصَل . لم يكن
بالزَّيْم في مُرُومته ، ولا بالهَزِير في مَنَاطِقِهِ ، متبوعا غيرَ تابع .
كأنه علم في رأسه نار ^(١) *

دخِل سهل بن هارون على الرشيد ، فوجده يُضاحك ابنه المأمون ، فقال :
اللهم زِدْهُ من الخيرات ، واسْطَلْهُ في البركات ، حتى يكون كلُّ يوم من أيامه
مَوْفِقًا على أمسه ، مُقَصِّرًا عن غده . فقال له الرشيد : يا سهل ، مَنْ روى من الشعر
أحسنه وأجوده ، ومن الحديث أصحّه وأبلغه ، ومن البيان أفصحّه وأوضحّه ، إذا
وام أن يقول لم يُعجزه ؟ قال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننتُ أحدًا تقدّمني
سبقي إلى هذا المعنى . فقال : بل أعشى همدان حينئذ يقول :

وجدتكَ أُميسَ خيرَ بني لُؤَيٍّ . وأنتَ اليومَ خيرُ منكَ أُميسَ
وأنتَ غداً تَزِيدُ الخيرَ ضِعْفًا . كذلك تَزِيدُ سادةَ عيدِ شمسٍ

وكان المأمون قد استقل سهل بن هارون ، فدخِل عليه يوماً والناس عنده
على منازلهم ، فتكلم المأمون بكلامٍ ذَهَبَ فيه كلُّ مذهب ، فلما فرغ أقبل سهل
ابن هارون على ذلك الجمل فقال : ما لَكُم تَسْمعون ولا تَعُون ، وتَقْهَمون ولا
تَعْجَبون ، وتَعْجَبون ولا تَصِفون ؟ أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير
مثل ما قالت وفعلتُ بنو مروان في الدهر الطويل ، عَرَبَكُمْ كَعَجْمِهِمْ ، وعَجْمَهُمْ

(١) صدره : وإن حُجراً لتَأْتِمَ الهداة به ؛ والبيت للخنساء .

كعرب بني تميم ؛ ولكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الدواء ؟ قال : فرجع له المؤمنون إلى رأيهِ الأول .

وكان الحجاج بن يوسف يستنقل زياد بن عمرو العنكي ، فلما أثنى الوفدُ على الحجاج عند عبد الملك بن مروان ، قال زياد : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج سيفك ^{الحجاج وزيد العنكي} الذي لا يَنْبُو ، وسهمك الذي لا يَطْيش ، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج أحدٌ أخف ولا أحب إليه منه .

حدث الثيباني قال : أقام المنصور صالحاً أبته فتكلم في أمرٍ فأحسن ؛ فقال شيب بن شبة : تافه مارأيت كالיום أبينَ بيانا ، ولا أعرب لسانا ، ولا أرتبط جأشاً ، ولا أبل ريقاً ، ولا أحسن طريقاً . وحق لمن كان المنصورُ أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير : ^{لابن شبة في صالح بن المنصور}

١٠ هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا ، على تكاليفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقَا

أو يَسْقِاهُ على ما كان من مَهْلٍ ، فَمِثْلُ ما قَدَّما من صالح سَبَقَا

وخرج شيب بن شبة من دار الخلافة يوماً ، فقيل له : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً . ^{لابن شبة في الخلافة}

١٥ وقيل لبعض الخلفاء : إن شيب بن شبة يستعمل الكلام ويستعد له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر لجأه لآفتضح . قال : فأمر رسولاً فأخذه ففصده المنبر : ^{لبعض الخلفاء في ابن شبة}

لحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ألا إن لأمر المؤمنين أشباهاً أربعة : فهنا الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر فأشبهه منه صولته ومضاهه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه منه جوده وعظاهه ، وأما القمر الباهر فأشبهه منه نوره وضياهه ، وأما الربيع الناضر فأشبهه منه حسنه وبهائه . ثم نزل .

قال عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه : تكلم بحاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، بُهِرُ الدَّرَجَةِ وَهِيَةُ الْخِلَافَةِ يَمْنَعَانِي مِنْ ذَلِكَ . قال : فَكَلِّ رَسْلِكَ ، فَإِنَّا لَا نَحْبُ مَدْحَ الْمَشَاهِدَةِ ، وَلَا تَرْكِيَةَ اللَّقَاءِ . قال : يا أمير المؤمنين ، لست أمدحك ، ولكن ^{بين عبد الملك وذي حجة}

أحمد الله على النعمة فيك . قال : حَسْبُكَ فقد أُلْفَت .

بين المنصور
وذي حاجة

ودخل رجل على المنصور ، فقال له : تكلم بحاجتك . فقال : يُقْبِلُ الله
يا أمير المؤمنين . قال : تكلم بحاجتك ، فإنك لا تقدر على هذا المقام كل حين .
قال والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بُحْلَكَ ، ولا أغتم
مالك ؛ وإن عطامك لَشَرَف ، وإن سُؤْلك لَزَيْن ، وما لَأَمْرِي بِذَل وجهه إليك
نقص ولا شين . قال : فأحسن جائزته وأكرمه .

بين المأمون
والنعمان

حدث إبراهيم بن السندی قال : دخل النعمان على المأمون ، وعليه قَلَسُوة
طويلة وَخُب ساذج ، فقال له : إِيَّاكَ أَنْ تُنْشِدَنِي إِلَّا وَعَلَيْكَ عِمَامَةُ عَظِيمَةِ الْكُورِ
وُخْفَانِ رَافِقَانِ ^(١) . قال : فندنا عليه في زِي الأعراب فأثدده ، ثُمَّ دَنَا فَقَبِلَ يَدَهُ
وقال : قد والله يا أمير المؤمنين أنشدتُ يزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ،
ورأيتُ وجوههما ، وقبَلتُ أيديهما ، وأخذتُ جوارزهما ؛ وأنشدتُ مروان
وقبَلتُ يده وأخذتُ جائزته ، وأنشدتُ المنصورَ ورأيتُ وجهه وقبَلتُ يده وأخذتُ
جائزته ، وأنشدتُ المهديَ ورأيتُ وجهه وقبَلتُ يده وأخذتُ جائزته ، إلى كثير
من أشباه الخلفاء ، وكبراء الأمراء والسادة الرؤساء ، فلا والله يا أمير المؤمنين
ما رأيتُ فيهم أبهى منظرًا ، ولا أحسن وجهًا ، ولا أنعمَ كَفًّا ، ولا أُنْدَى رَاحَةً
منك يا أمير المؤمنين . قال : فأعظم له الجائزة على شعره ، وأضَعَفَ له على كلامه
وأقبل عليه بوجهه وبشِره ، فبسطه حتى غَمَى جَمِيعٌ مَن حضره أنهم قاموا مقامه .

عمر بن عبد
العزيز ووفد
العراق وعبد
الغرضي

حدث العتي عن سُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ : قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَاسٌ مِنْ
أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَنَظَرَ إِلَى شَابٍ مِنْهُمْ يَتَحَوَّشُ لِلْكَلامِ ، فَقَالَ : أَكْبَرُوا أَكْبَرُوا .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ لَيْسَ بِالسِّنِّ ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كُلُّهُ بِالسِّنِّ لَكَانَ فِي
الْمُسْلِمِينَ مَنْ هُوَ أَسْنُّ مِنْكَ . فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ ، تَكَلَّمَ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ؛ أَمَّا الرَغْبَةُ فَقَدْ دَخَلَتْ عَلَيْنَا مَنَازِلَنَا
وَقَدِمَتْ عَلَيْنَا بِلَادَنَا ؛ وَأَمَّا الرَهْبَةُ فَقَدْ آمَنَّا اللَّهُ بِمَدْلِكَ مِنْ جَوْرِكَ . قَالَ : فَا

أتم؟ قال: وفدُ الشكر. قال: فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ لا يُنْذِرُ جَهْلُ القوم بك معرفتك بنفسك: فإن ناساً خدعهم الثناء، وغرهم شكرُ الناس، فهلكوا، وأنا أعينك بالله أن تكون منهم. فألقى عمر رأسه على صدره.

التنصل والاعتذار

٥

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من لم يقبل من مُتَنَصِّلٍ عذراً، صادقاً كان أو كاذباً، لم يردَّ عليَّ الخوض.

الحسين عليه
عليه وسلم

وقال: المُعْتَرِفُ بالذنب كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ. وقال: الاعتراف يهدم الاعتراف. وقال الشاعر:

لبعض الشعراء

١٠

إذا ما أَمْرٌ مِنْ ذَنْبِهِ جَاءَ تَائِباً «إِلَيْكَ فَلَمْ تَغْفِرْ لَهُ فَلَكَ الذَّنْبُ» واعتذر رجل إلى إبراهيم بن المهدي. فقال: قد عذرتك غير مُعْتَذِرٍ، إن المعاذير يشوبها الكذب.

واعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى، فقال: قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار، وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن.

جعفر بن
يحيى ومعتذر

١٥

وقال إبراهيم الموصلي: سمعتُ جعفر بن يحيى يعتذر إلى رجلٍ من تأخر حاجةٍ ضَمِنَهَا لَهُ، وهو يقول: أحتجُّ إليك بفالْبِ القضاء، وأعتذرُ إليك بصادقِ النية.

وقال رجل لبعض الملوك: أنا من لا يُحَاجُّكَ عن نفسه، ولا يُغَالِطُكَ في جُرمه، ولا يُلتمِسُ رضاك إلا من جهة عَفْوِكَ، ولا يستطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يَسْتَمِيلُكَ إلا بالاعتراف بالزَّلة.

رجل يعتذر
إلى ملك

٢٠

وقال الحسن بن وهب:

الحسن بن وهب

ما أَحْسَنَ العَفْوَ مِنَ القَادِرِ «لا سِيَّما عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي» فما لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرٍ

أَعُوذُ بِالْوُدِّ الَّذِي يَبْنِيهِ أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وله إلى بن
الزيات

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات .

أَبَا جَعْفَرُ ، مَا أَحْسَنَ الْعَفْوُ كُلَّهُ . وَلَا سِيَّما عَنْ قَائِلٍ لَيْسَ لِي عُدُوٌّ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

أَقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُتَعَذِّراً . إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرَا ٥

فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ . وَقَدْ أَجْلَكَ مَنْ يَخْفِيكَ مُسْتَرَا

خَيْرُ الْخَلِيطِينَ مَنْ أَغْضَى لَصَاحِبِهِ . وَلَوْ أَرَادَ انْتِصَارَا مِنْهُ لَانْتَصَرَا

للحكاه .

وقالت الحكماء : ليس من العدل سرعة العدل .

للاحتم

وقال الاحتمل بن قيس : رَبُّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

١٠ وقال آخر :

لَعَلَّ لَهُ عُدُوًّا وَأَنْتَ تَلُومُ .

لحبيب

وقال حبيب :

الرُّبُّ بِي مِنْكَ وَطَى الْعُدْرَةَ عِنْدَكَ . فِيمَا أَتَاكَ ظَمٌّ تَقَبَّلْ وَلَمْ تَلُمْ

وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي . مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ

١٥ وقال آخر :

إِذَا اعْتَذَرَ الْجَانِي عَنِ الْعُدْرَةِ ذَنْبُهُ . وَكُلُّ امْرِئٍ لَا يَقْبَلُ الْعُدْرَةَ مُذْنِبٌ

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

عَذِيرِي مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ لَوْعَةُ الْآثَمِ . وَلَيْسَ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ الْعُدْرَةَ مِنْ عُدْرِي

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسَيِّئًا كَالَّذِي قُلْتَ ظَالِمًا . ضَعُفْتُ جَمِيلٌ كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ ٢٠

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ عِنْدَكَ لِلَّذِي . أَتَيْتُ بِهِ أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

لبعضهم في
تهذيب الاعتذار

ومن الناس من لا يرى الاعتذار ، ويقول : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ .

وقالوا : ما اعتذر مذنبٌ إلا ازداد ذنباً .

وقال الشاعر محمود الوراق :

الوراق

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعَذْرِ لَيْسَ بَيِّنًا * فَإِنَّ أَطْرَاحَ الْعَذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعَذْرِ

قال ابن شهاب الزهري : دخلتُ على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل

بين عبد الملك
وابن شهاب
الزهري

- المدينة ، فرأيتُ أحدَهم سناً ؛ فقال لي : من أنت ؟ فانتسبتُ له . فقال : لقد كان
أبوك وعمك تَمَاقِينَ في فِتْنَةٍ ابن الأشعث . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ مثلك
إذا عفا لم يمدد ، وإذا صَفَحَ لم يُتَرَبَّبْ . فأعجبه ذلك ، وقال : أين نشأت ؟ قلت :
بالمدينة . قال : عند مَنْ طَلَبْتُ ؟ قلت : سعيد بن المسيَّب ، وسليمان بن يسار ،
وقيصة بن ذؤيب . قال : فأين أنت من عُروَةَ بن الزبير ؟ فإنه بحر لا تكدره
الغلاء . فلما انصرفتُ من عنده لم أبارح عُروَةَ بن الزبير حتى مات .

١٠

ودخل ابن السكاك على محمد بن سليمان بن علي ، فرآه مُعْرَضاً عنه ، فقال :

بين محمد بن سليمان
وابن السكاك

مال أرى الأمير كالعقاب عليّ ؟ قال : ذلك لشيء يلقي عنك كَرِهَتَهُ . قال : إذا
لا أبالي . قال : ولم ؟ قال : لأنه إذا كان ذنباً غَفَرْتَهُ ، وإن كان باطلا لم تُقْبَلْهُ .

دخل جرير بن عبد الله على أبي جعفر المنصور ، وكان واجداً عليه ، فقال له :

بين المنصور
وجرير بن
عبد الله

- ١٥ تكلم بحُجَّتِكَ . فقال : لو كان لي ذنب تكلمتُ بعذري ، ولكن عفو أمير المؤمنين
أحبُّ إليّ من براءتي .

وأتى موسى الهادي برجل ، فجعل يُقَرِّعُه بذنوبه . فقال : يا أمير المؤمنين ،

الهادي ومذنب

إنَّ اعتذارى مما تُقَرِّعُنِي به ردُّ عليك ، وإقرارى به يُزِمُّني ذنباً لم أجنِّه ،
ولكن أقول :

- ٢٠ فإن كنتَ تَرَجُو في العقوبة راحةً * فلا تَزْهَدُنْ عند المُلَاقاةِ في الأجرِ

سُمِّيَ بعبد الملك بن الفارسي إلى المأمون ، فقال له المأمون : إنَّ العدلَ

بين المأمون
وابن الفارسي

مَنْ عَدَلَهُ أَبُو العباس ، وقد كان وَصَفَكَ بما وَصَفَ به ، ثم أَتَقَى الأخبارُ بخلاف
ذلك . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الذي بلغك عني تحميلي عليّ ، ولو كان كذلك
لقلتُ : نعم ، كما بلغك . فأخذتُ بحظِّي من الله في الصدق ، وأتكلتُ على فضل

أمير المؤمنين في سعة عَفْوِهِ . قال : صدقت .

الأمون
وإن يوسف
فوسكاته بئده

محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيناء ، قال : كان أحمد بن يوسف الكاتب قد
تولى صدقات البصرة ، فجار فيها وظلم ، فكثُر الشاكي له والداعي عليه ، ووافي
باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلاً من جِلَّة البصريين : فعزله المأمون ،
وجلس لهم مجلساً عاجباً وأقام أحمد بن يوسف لناظرتهم ، فكان مما حفظ
من كلامه أن قال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن أجداً من ولى الصدقات سَلِمَ من الناس لَسَلِمَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْعَنُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَإِنْ أَغْطَوْا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُغْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ)
فأعجب المأمون جوابه . واستجزل مقالته ، وخلق سيده ،

١٠

محمد بن القاسم الهاشمي أبو العيناء قال : قال لي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد :
دخلت على الواثق ، فقال لي : ما زال قومٌ في ثَنَائِكَ وَنَقْصِكَ ! فقلت :
يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كثرة منهم
له عذابٌ عظيم ، والله ولي جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذل من
كنت ناصره ، ولا ضاع من كنت حافظه ؛ فإذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال :

١٥

قلت أبا عبد الله .

وَسَعَى إِلَى بَيْتِ عَزَّةَ مَقْشَرٌ « جَعَلَ إِلَهُهُ حُدُودَهُنَّ نِمَالَةً »

قال أبو العيناء : قلت لأحمد بن أبي دواد : إن قوماً تظاهروا على ! قال :
(يدُ الله فوق أيديهم) قلت : إنهم عدُّوا وأنا واحد ! قال : (كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة) قلت : إن للقوم مكرزاً ! قال : (ولا يحقُّ المكر السيِّئ إلا بأهله) .
قال أبو العيناء : فحدثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى
ابن أبي دواد إلا أن القرآن أنزل عليه .

٢٠

قال : وهما نهار بن تومعة قتيبة بن مسلم ، وكان ولي خراسان بعد يزيد

ابن المهلب ، فقال :

بين قتيبة بن
مسلم وبن هارون
توسعة

كانت حُرَّاسَانُ أَرْضاً إِذْ يَزِيدُهَا • وَكُلُّ بَابٍ مِّنَ الْحِيرَاتِ مَفْتُوحٌ

فَبُدِّلَتْ بَعْدَهُ قِرْدًا قَطُوفٌ بِهِ • كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخُلِّ مَنضُوحٌ

فطلبه فهرب منه ، ثم دخل عليه يكتب أمه ؛ فقال : ويحك ! بأى وجه تلقانى ؟

قال : بالوجه الذى ألقى به ربى ، وذُنُوبى إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ ذُنُوبِى إِلَيْكَ . فقربه •
ووصله وأحسن إليه .

وأقبل المنصور يوما راكباً والفرجُ بن فضالة جالس عند باب الذهب ،

المنصور
وابن فضالة

فقام الناس إليه ولم يتم . فاستشاط المنصور غيظاً وغضباً ، ودعا به فقال :

ما منعك من القيام مع الناس حين رأيته ؟ قال : خفتُ أن يسألنى الله تعالى :

لِمَ فَعَلْتَ ؟ ويسألك عنه : لِمَ رَضَيْتَ ؟ وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكفرت غضبه وقربه وقضى حوائجه .

يحيى بن أكرم ، قال : إني عند المأمون يوماً ، حتى أتى برجل تُرْعِدُ فرائضه ،

الأودون
وابن أكرم

فلما مثل بين يديه قال له المأمون : كفرتَ نعمتى ولم تشكر معروفي ! قال :

يا أمير المؤمنين ، وأين يقع سُكْرَى فى جَنَبِ ما أنعم الله بك على ؟ فنظر إلى

وقال ممثلاً :

فلو كان يَسْتَعْنِي مِنَ الشُّكْرِ مَا جُدَّ • لَكَثْرَةِ مَالٍ أَوْ عُلُوِّ مَكَانٍ

لَمَّا نَدَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ • فقال اشكروا لى أيها الثقلان

ثم التفت إلى الرجل فقال له : هَلَّا قُلْتَ كما قال أصرم بن حميد :

رَشَحْتُ حِدِيىَ حَتَّى لَمِنَى رَجُلٌ • كَلَى بِكُلِّ ثَنَاءٍ فِيكَ مُشْتَبِلٌ

خَوَّلْتُ سُكْرَى مَا خَوَّلْتُ مِنْ نِعَمٍ • فَحُرُّ شُكْرَى لَمَّا خَوَّلْتَنِي خَوَّلُ

الاستعطاف والاعتراف

لما سخط المهدي على يعقوب بن داود ، قال له : يا يعقوب ، قال : ليك

بين المهدي
وابن داود

يا أمير المؤمنين تلبيةً مكروبٍ لِمَوْجِدَتِكَ . قال : ألم أرفع من قدرك إذ كنت

وضيعا ، وأُبعد من ذِكرك إذ كنت خاملا ، وألَيْسَ لك من نعمتي مالم أجد لك بها
 يَدَيْنِ من الشكر ؛ فكيف رأيت الله أظهر عليك وردَّ إليك منك ؟ قال : إن كان
 ذلك بملك يا أمير المؤمنين فصديقٌ مُعْرِفٌ مُنِيبٌ ، وإن كان مما استخرجته
 دغائن الباغين فعائدٌ بفضالك . فقال : والله لولا الحِثُّ في دَمَكِ بما تقدَّم لك ،
 لألبستُكَ منه قيصا لا تُشَدُّ عليه زُرًّا . ثم أمر به إلى الحبس ، فتولَّى وهو يقول :
 ٥ الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودة رَحِم ، وأنتَ بهما جدير .

أخذت الشعراء معنى قوله « ألبستُكَ منه قيصا لا يشدُّ عليه زُرًّا » فقال
 مُعَلَّى الطائي :

طَوَّقْتَهُ بِحُسامٍ طَوَّقَ دَاهِيَةَ ، مَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ شَدُّ أَزْرَارِ

وقال حبيب :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسامِ طَوَّقَ رَدَى ، أَغْنَاهُ عَنْ مَنْ طَوَّقَهُ يَدُهُ

وقال :

طَوَّقْتَهُ بِالْحُسامِ مُنْصَلِكًا ، آخَرَ طَوَّقِي يَكُونُ فِي عِنَقِهِ

ليزيد بن يزيد
 أمام الرشيد

ولما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد أذن له بالدخول عليه فلما مثل بين
 يديه قال : الحمد لله الذى سَهَّلَ لى سبيلَ الكرامة بقاءك ، وردَّ عَلى النعمة بوجه
 الرضا منك ؛ وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطِكَ جزاءَ المحسنين المرغبين^(١)
 وفى حال رضاك جزاءَ المنعمين المُتَطَوِّلِينَ ؛ فقد جعلك الله وله الحمد تُثَبِّتُ
 تَحَرُّجًا عند الغضب ، وَتَمَتُّنٌ تَطَوُّلاً بالنعم ، وتَسْتَبْقِ المعروف عند الصنائع
 تَفَضُّلاً بالعفو .

المأمون
 وإبراهيم بن
 المهدي

٢٠ لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي ، وهو الذى يقال له ابن شَيْكَلَة ، أمر
 بإدخاله عليه . فلما مثل بين يديه قال : وَلِىُّ الثَّأْرِ مُحْكَمٌ فى القصاص ، والعفو أقرب
 : تَوَى ، [والقدرة تُذهب الحفيظة ، وَمَنْ مَدَّ له الاعتذار فى الأمل هجمت به

الآثمة على التلف] ^(١)؛ وقد جعل الله كلَّ ذنبٍ دُونَ عَفْوِكَ ، فَإِنَّ صَفْحَتِ
فِكْرِيكَ ، وَإِنْ أَخَذْتَ فَبِحَقِّكَ .

قال المأمون : إني شاورْتُ أبا إسحاق والعبَّاسَ في قَتْلِكَ ، فَأشارَا عَلَيَّ بِهِ .

قال : أَمَا أَنْ يَكُونَا قَدْ نَصَحَاكَ فِي عِظَمِ قُدْرِ الْمَلِكِ وَلَمَّا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَةُ
السياسة ، قَدْ فَعَلَا ؛ وَلَكِنَّكَ أَبَيْتَ أَنْ تَسْتَجِلِبَ النُّصْرَةَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدَكَ اللَّهُ .
ثُمَّ اسْتَعْبَرَ بِأَكْبَا .

قال له المأمون : مَا يُبْكِيكَ .

قال : جَدَلًا ، إِذْ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مَنْ هَذِهِ صَفْتُهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّهُ وَإِنْ كَانَ جُرْمِي يُبْلَغُ سَفَلَةً دَنَى ، غُلُمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَهَفُّلُهُ يُفْلِقَانِي عَفْوَهُ ،
وَلِي بَعْدَهُمَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ بَعْدَ الْأَبِ .

١٠

قال المأمون : لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ مَا يُبْلَغُ الصَّفْحُ عَنْ زَنْتِكَ ، لَبُلَغْتُ
إِلَيْهِ حَسَنُ تَوَصُّلِكَ وَلَطْفُ تَزَمُّكَ .

فَكَانَ تَصَوُّيبُ إِبْرَاهِيمَ لِرَأْيِ أَبِي إِسْحَاقَ وَالْعَبَّاسِ الْلطْفَ فِي طَلَبِ الرِّضَا وَدَفْعِ
الْمَكْرُوهِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ تَخَطُّتِهِمَا .

وقال المأمون لإسحاق بن العباس : لَا تَحْسِنِي أَغْفَلْتُ إِجْلَابَكَ مَعَ ابْنِ الْمُهَلَّبِ
وَتَأْيِيدَكَ لِرَأْيِهِ وَإِقَادَكَ لِنَارِهِ .

١٥

المأمون
وإسحاق بن
العباس

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاقِعَ لِأَجْرَامِ قُرَيْشٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَكْظَمُ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ ، وَكَرَّجِي أَمْسٍ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ كَمَا قَالَ
يُوسُفُ لِأَخَوْتِهِ : ﴿ لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَأَرْثَرُ لِهَذِهِ الْمِنَّةِ وَمُمَثِّلٌ بِهَا .

٢٠

قال : هِيَمَات . تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ ، وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي
إِسْلَامِكَ وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ .

قال : يا أمير المؤمنين ، فوالله للسلِّمِ أحقُّ بإقالة العثرة وغُفران الزَّلةِ مِنَ الكافر ، هذا كتاب الله بيني وبينك . يقول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْفَرَاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . فهي للناس يا أمير المؤمنين سُنَّةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ ، وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ .

قال : صدقت . اجلس . وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي ، فَلَا قَدَحَ نَارِي مِنَ الْغَابِرِينَ مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالِكَ .

العتبي عن أبيه قال : قبض مروانُ بن محمد بن معاوية بن عمر بن عتبة ماله بِالْفَرَسَانِ^(١) فقال : إني قد وجدت قطعةَ عمك لأبيك « إني أَقْطَعُكَ بِسَاقِي . وَالْبَسْتَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَامراً ، وَأَنَا مُسْلِمٌ إِلَيْكَ الْفَارِ » وَفَاضَ مِنْكَ الْعَامِرُ . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن سلفك الصالح لو شهدوا مجلسنا هذا كانوا شهوداً على ما ادعيتُهُ ، وَشُغْعَاءُ فِيما طلبته ، يَسْأَلُونَكَ بِإِحْسَانِكَ إِلَى مَكَاافَةِ إِحْسَانِ سَلَفِي إِلَيْهِمْ فَتُفْعَعُ فِينَا الْأَمْوَاتُ ، وَاحْفَظْ مِنَّا الْقَرَابَاتِ ، وَاجْعَلْ مَجْلَسَكَ هَذَا مَجْلَساً يُلْزَمُ مَنْ بَعَدَنَا شُكْرُهُ . قال : لا والله ، إِلَّا أَنْ أَجْعَلَهَا طَعْمَةً مِنْ لِي ، لَا قِطْعَةً مِنْ عَمِكَ لِأَبِيكَ .

قال : قد قبلْتُ ذلك . فَعَمَلُ .

عبد الملك
وابن عتبة
وخالد بن يزيد

العتبي قال : أمر عبدُ الملك بن مروان بقطع أرزاق آل أبي سفيان وجوانزم لِوَلُجْدَةٍ وَجَدَهَا عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ . فدخل عليه عمرو بن عتبة . فقال : يا أمير المؤمنين . إن أدنى حقك مُتَعَبٌ . وبعضه فادحٌ لنا ، ولنا مع حقك علينا حقٌّ عليك ، يا كرام سلفنا لسلفك . فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليهم ، وَضَعْنَا بِحَيْثُ وَضَعْتَنَا الرَّحْمُ مِنْكَ .

قال عبد الملك : إنما يستحق عطيتي من استعطاها ، فأما من ظن أنه يكتفي بنفسه فَسَبَّكَهُ إِلَى نَفْسِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطِيَّتِهِ .

(١) الفرسان : قرية من قرى أصهان .

وبلغ ذلك خالداً فقال : أيا لحرمانٍ يهددني ؟ يدُ الله فوق يدي . باسطة ، وعطاء .
الله دونه مبذول . فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ لها .

التعبي قال : حدثنا طارق بن المبارك ، عن عمرو بن عُتبة ، قال : جاءت دولة
المُسودة وأنا حديث السن كثير اليمال متفرق المال ، فجعلت لا أنزل قبيلة من
قبائل العرب إلا شهرت فيها . فلما رأيت أمري لا يُكتم ، أتيت سليمان بن
٥ على فاستأذنت عليه قُرب المغرب ، فأذن لي وهو لا يعرفني ؛ فلما صرتُ إليه
قلت : أصلحك الله ! لفتنتي البلادُ إليك ، ودلني فضلك عليك ؛ فلما قبلتني غاماً ،
ولما رددتني سالماً .

قال : ومن أنت ؟ فالتصبت له ؛ ففرقتني . وقال : مرحباً ، أقعد فتكلم غاماً .
سالماً . قلت : أصلحك الله ! إن الحُرَمَ التي أنت أقربُ الناسَ إلَهيْن معنا ،
وأولى الناسَ بهن بعدنا ، قد خِفْنَ بخَوْفنا ، ومن عاف خيفَ عليه . قال : فاعتمد
١٠ سليمان على يديه وسالت دموعه على خديه ، ثم قال : يا ابن أخي ، يَحْقِنُ اللهُ
دمك ، ويسترُ حُرْمك ، ويُسَلِّمُ مالك إن شاء الله ؛ ولو أمكنتني ذلك في جميع
قومك لفعلت . فلم أزل في جوار سليمان آمناً .

وكتب سليمان إلى أبي العباس أمير المؤمنين : أما بعد . يا أمير المؤمنين ، فإنما
إنما حاربنا بني أمية على عقوقهم ولم نحاربهم على أرحامهم ، وقد دَفَعْتُ إلىّ منهم
١٥ دأقه لم يُشهرُوا سلاحاً ، ولم يَكْثُرُوا جمعاً ، وقد أحسنَ اللهُ إليك فأَحْسِنْ .
فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب لهم أماناً ويأمرَ بإفناذه إلىّ فليفعل .
فكتب لهم كتاباً منشوراً وأنفذه إلى سليمان بن علي ، في كل من لجأ إليه
من بني أمية ، فكان يسميه أبو مُسلم : كَهْفُ الْأَبَاقِ .

دخل عبد الملك بن صالح يوما على الرشيد ، فلم يلبث في مجلسه أن التفت
٢٠ الرشيد فقال متمثلاً :

سليمان بن علي
وابن عتبة إمام
السودة

الرشيد
وعبد الملك بن
صالح

أريدُ حياتهُ ويريدُ قَتلي . عذيرك مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَاد
ثم قال : أما والله لكأنني أنظر إلى شؤبويها قد همع ، وعارضها قد لمع ، وكأني

بالوعيد قد وقع ، فأقطع عن براجم بلا معاصم ، وجماجم بلا غلاصم ، فهلا مهلا ؛
فني والله يسهل لكم الوعر ، ويصفو لكم الكدر . وألقت إليكم الأمور مغاليد
أزمها ، فالتدارك التدارك قبل حلول داهية ، خبوط باليد يوط بالرجل .

قال عبد الملك : أفذاً ماتكلمت أم تؤمماً يا أمير المؤمنين ؟ قال : بل قدأ .

قال : اتق الله في ذى رحمك وفي رعيتك التي استرعاك الله ، ولا تجعل الكفر
مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد محضت لك النصيحة وأديت لك
الطاعة ، وشدت أواخي مُلكك بأثقل من رُكئي يلسم ، وتركت عدوك سبيلا
تعاوره الأقدام ؛ فآله الله في ذى رحمك أن تقطعه بعد أن وصلته ؛ إن الكتاب
لنيمة واش وبنى باغ ؛ ينش اللحم ، ويلغ في الدم ؛ فكم ليل تمام فيك كبدته ،
ومقام ضيق فرجته ، وكنت كما قال الشاعر أخو بني كلاب :

ومقام ضيق فرجته • بلساني ومقامي وجذل

لو يقوم الفيل أو فياله • زلّ عن مثل مقامي وزحل

فرضي عنه ورحب به ، وقال وريث بك زنادي .

والنفت الرشيد يوماً إلى عند الملك بن صالح فقال : أكره بالنعمة ،
وغدراً بالإمام ؟

الرشيد وعبد
الملك بن صالح

قال : لقد بُؤت إذاً بأعباء الندم ، وسعيت في استجلاب النقم ؛ وما ذلك
يا أمير المؤمنين ، إلا بئى باغ نافسى فيك بقديم الولاية ، وحق القراية ،
يا أمير المؤمنين ، إنك خليفة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في أمته ، وأمينه
على رعيته ، لك عليها فرض الطاعة وأداء النصيحة ؛ ولها عليك التثبت في حادتها ،
والعدل في حكمها .

فقال له هارون : تَضَع لى من لسانك ، وترفع على من جنانك بحيث
يحفظ الله لى عليك ؛ هذا قامة كاتبك يُخبرنى بفعلك .

فقال عبد الملك : أحقا يا قامة ؟

قال : نعم لقد أردت ختل أمير المؤمنين والندرب به .

فقال عبد الملك : كيف لا يكتنب على من خلق من بهتني في وجهي ؟

قال الرشيد : هذا ابنك شاهد عليك .

قال : يا أمير المؤمنين ، هو بين مأمور أو عاق : فإن كان مأموراً فعذور ، وإن كان عاقاً فما أعاف من عقوبته أكثر .

وقال له الرشيد يوماً وكان مُعْتَلّاً عليه : أُتَبَقُونَ بِالرَّقَّةِ ؟ قال : نعم ، وتَبَرَّغْتَ !

قال : يابن الفاعلة ! ما حاكك على أن سألتك عن مسألة فرددت على في مسألتين ؟

وأمر به إلى الحبس : فلم يزل في حبسه حتى أطلقه الأمين .

بينه وبينه
أيضا

إبراهيم بن السندی قال : سمعت عبد الملك بن صالح يقول بعد إخراج

لعبد الملك بن
صالح بعد خروجه
من السجن

المخلوع له من الحبس ، وذكر الرشيد فعله به ، قال : والله إن الملك لشيء

مانويته ولا تمتيته ، ولا نصبت له ولا أردته ، ولو أردته لكان إلى أسرع من

الماء إلى الحدور ، ومن النار إلى ييس العرفج ؛ وإني لما أخذ بما لم أجن ،

ومستول عما لم أعرف ، ولكن حين رأي للملك قينا ، وللخلاقه خطيرا ،

ورأى لي يداً تنالها إذا مددت ، وتبلغها إذا بسطت ، ونفساً تكلل لخصالها ،

وتستحقها بفعلها - وإن كنت لم أجن تلك الخصال ، ولم أصطنع تلك الفعال ،

ولم أترشح لها في السر ، ولا أشرت إليها في الجهر - ورأها تحن إلى حنين الوالدة

والهة ، وتميل مَيْلَ المَلُوكِ ؛ وخاف أن ترغب إلى خير مرغب ، وتنزع إلى

أخصب منزع ، عاقبت عقاب من سهر في طلبها ، وجهد في التماسها ، فإن كان إنما

حسبني أني أصالح لها وتصلح لي ، وأليق بها وتليق بي ، فليس ذلك بذنب جنيته

فأتوب منه ، ولا تطاولك له فأحط نفسي عنه ؛ وإن زعم أنه لا صرف لعقابه ،

ولا نجاة من عذابه ، إلا أن أخرج له من حد العلم والحلم والحرم ؛ فكما لا يستطيع

المضياع أن يكون مصلحاً ، كذلك لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً . وسواء

عليه أعاقبني على علمي وحلي ، أم عاقبني على نسي وسني ، وسواء عليه عاقبني على جمالي

أو عاقبني على محبة الناس لي . ولو أردتها لأجهلته عن التفكير ، وشغلته عن

التدبير ، ولما كان فيها من الخطب إلا اليسير .

ابن مسلم حين
بلغه غضب
الحليفة على رجاء

إبراهيم بن السدي قال : كنت أسير سعد بن سلم ، حتى قيل له : إن أمير المؤمنين قد غضب على رجاء بن أبي الضحاك وأمر بأخذ ماله ، فارتاع بذلك وجزع ، فقيل له : ما يروعك منه ؟ فوالله ماجل الله بينكما نسباً ولا سبياً . فقال : بلى ، النعمة نسب بين أهلها ، والطاعة سبب مؤكد بين الأولياء .

لبعضهم في
الاعتذار للملك

وبعث بعض الملوك إلى رجل وجد عليه : فقال لما مثل بين يديه : أيها الأمير ، إن الغضب شيطان فاستعذ بالله منه ؛ وإنما خلق العفو للذنوب ، والتجاوز للنسيء ، فلا تضق عما وسع الرعية من حلك وعفوك . فعفا عنه وأطلق سبيله .

فتبة وأبو جيز

ولما اتهم فتية بن مسلم^(١) أباجلز على بعض الأمر ، قال : أصلح الله الأمير ، تثبت ؛ فإن التثبت نصف العفو .

احجاج ومذنب

قال الحجاج لرجل دخل عليه : أنت صاحب الكلمة ؟ قال : أبو ؛ بالذنب ، وأستغفر الرب ، وأسأل العافية ؛ قال : قد عفونا عنك .

بعض الملوك
ومذنب

وأرسل بعض الملوك في رجل أراد عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال : أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك ؛ وهو على عقابك أقدر منك أعلى عقابي ، إلا نظرت في أمري نظر من برئ أحب إليه من سقمي ، وبرائي أحب إليه من جرمي .

سليمان بن
عبد الملك وخالد
ابن عبد الله

وقال خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه : يا أمير المؤمنين ، إن القدرة تذهب الحفيظة ؛ وأنت تجل عن العقوبة ونحن مقررون بالذنب ؛ فإن تعف عني فأهل ذلك أنت ، وإن تعاقبني فأهل ذلك أنا .

معاوية وابن
زباج

وأمر معاوية بن أبي سفيان بعقوبة روفح بن زباج ، فقال له : أنفدك الله يا أمير المؤمنين ألا تضع مني خسيمة أنت رفعتها ، أو تنقص مني مريرة أنت أبرمتها ، أو تشميت في عدوا أنت وقتته ، إلا أتى حيلك وصفحك على خطي وجبلي . فقال معاوية : تخليا عنه ، إذا أراد الله أمرا يصره .

(١) في بعض الأصول : « سلم بن فتية »

وجد عبد الملك بن مروان على رجل نجفاه وأطرحه ، ثم دعا به ليسأله عن شيء ، فرآه شجاعاً ناحلاً : فقال له : مُدُّ مَنِيَّ أَتَعْلَتُ ؟ فقال :

عبد الملك
ورجل نجفاه

ما مَنَى سُمْمٌ وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الْأَمِيرُ
وَأَلَيْتُ إِلَّا أَرْضِي عَنْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنِّي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعَادَهُ إِلَى نَفْسِهِ .

وقعد الحسن بن سهل لثعيم بن حازم ، فأقبل إليه حافياً حاسراً وهو يقول :
ذَنبِي أَعْظَمُ مِنَ السَّمَاءِ ، ذَنبِي أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ . فقال له الحسن : على رِثْلِكَ
أيها الرجل ، لا بأس عليك ، قد تقدمت لك طاعة ، وحدثت لك توبة ، وليس
للذنوب بينهما موضع ، ولئن وجد موضعاً فما ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَفْوِ .

الحسن بن سهل
ولثعيم بن حازم

سأذنبَ رجلٌ من بني هاشم ذنباً إلى المأمون ، فعاتبه فيه . فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
من سَحَلَ مِثْلَ دَأْتِي ، وَلَيْسَ ثَوْبٌ حُرْمَتِي ، وَمَتَّ بِمِثْلِ قِرَابَتِي ، اغْتَفِرْ لَهُ فَوْقَ
رَأْسِي . قَالَ : صَدَقْتَ يَا بَنِي عَمِي . وَصَفَحَ عَنْهُ .

المأمون وهاشمي
أذنب

واعتذر رجل إلى المأمون من ذنب فقال له : إني وإن كانت زلتى قد أحاطت
بمِرْمَقِي فَإِنْ فَضْلُكَ مُحِيطٌ بِهَا ، وَكَرَمُكَ مَوْقُوفٌ عَلَيْهَا .

المأمون ورجل
اعتذر

أَخَذَهُ صَرِيحُ الْغَوَابِي فَقَالَ :

إِنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ أَحَاطَ بِمِرْمَقِي ، فَأَحِطْ بِذَنْبِي عَفْوُكَ الْمَأْمُولُ

دخل يزيد بن عمر بن هبيرة على أبي جعفر المنصور بعد ما كتب أمانه ، فقال :
يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ إِمَارَتَكُمْ بِكَرٍ وَدَوْلَتَكُمْ جَدِيدَةٌ ، فَأَذْبِقُوا النَّاسَ حِلَاوَتَهَا ،
وَجَنِّبُوهُمْ مِرَارَتَهَا ، تَخَفُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ طَاعَتُكُمْ ، وَتُسْرِعُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ مَحَبَّتُكُمْ ،
وَمَا زِلْتُ مُسْتَبْطِئاً لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ . فَلَمَّا قَامَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : عَجَبًا مِنْ كُلِّ مَنْ يَأْمُرُ
بِقَتْلِ هَذَا ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ غَدْرًا .

المنصور ويزيد
ابن هبيرة

الهيثم بن عدي قال : لما انهزم عبد الله بن علي من الشام ، قِيمَ عَلَى الْمَنْصُورِ
وَفَدَّ مِنْهُمْ ، فَتَكَامَوْا عَنْدهُ ، ثُمَّ قَامَ الْحَارِثُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا لَنَسَا وَفَدَّ

المنصور بعد
هزيمة عبادة
ابن علي

بُهاة ، وإنما نحن وقد تَوَبَّه ، أثبتنا بفتنة استخفَّت كريمنا ، واستغرقت حليمنا ، ونحن بما قدمنا معترفون ، وبما سَلَفَ منا مُعْتَرِدُونَ . فإن تعاقبنا فقد أجرمنا وإن تعف عنا فطالما أحسنْتَ إلى من أساء منا .

فقال المنصور للحريص : هذا خطيبهم ! وأمر برد ضياعه عليه بالفرطة .

٥ قال أحمد بن أبي دُوداد : ما رأينا رجلاً نزل به الموتُ فاشتهله ذلك ولا أذهله عما كان يحب أن يفعله ، إلا تميم بن جليل : فإنه كان تغلب على شاطئ الفرات ، وأوفى به الرسولُ بابَ أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للامة ، ودخل عليه ، فلما مثل بين يديه ، دعا بالنطع والسيف ، فأحضرا ، فجعل تميم بن جليل ينظر إليها ولا يقول شيئاً ، وجعل المعتصم يُصدِّ النظر فيه ويُصَوِّبه ، وكان جسيماً وسيماً ، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جَنَانُهُ ولسانُهُ من منظره . فقال : يا تميم ، إن كان لك عذرٌ فأت به ، أو حجةٌ فأدُل بها .

فقال : أما إذ قد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول : الحمد لله الذي أحسن كلَّ شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سُلالة من ماء مهين . يا أمير المؤمنين ، إن الذنوب تُخْرِسُ الألسنة ، وتَصَدِّعُ الأقدسة ، ولقد عَظُمَتِ الجريرة وكَبُرَ الذنب ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوُك أو انتقامُك ، وأرجو أن يكون أقربُهما منك وأمرُعهما إليك . أولا هما بآمتناك ، وأشبههما بخلاتك . ثم أنشأ يقول :

٢٠ أرى الموت بين السيف والنطع كالنار . يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثَا أَتَانْتُ
وأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي * وَأَيُّ امْرِئٍ مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُغْلِبُكَ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُنْذِلُ بِعِذْرِ وَحْيِهِ . وَسَيْفُ الْمَنَازِلِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَصْلُوكُ
يَعِزُّ عَلَى الْإِوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفُهُ . يُسَلُّ عَلَى السَيْفِ فِيهِ وَأَسْكُتُ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي . لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ
وَلَكِنْ خَلَقَنِي صَنِيعُهُ قَدْ تَرَكَهُمْ . وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ جَسَدِهِ تَمَقَّتُ

تيمم بن جليل
بين يدي النعم

كَأَنِّي أَرَامُ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ . وَقَدْ تَحَمَّشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ وَصَوَّرُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا غَافِضِينَ بِنَجْطَةٍ . أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِثُّ مَوْتُوا
فَكَمْ قَاتِلٍ لَا يُعِيدُ اللَّهُ رُوحَهُ . وَآخِرَ جَذَلَانِ يُسْرُ وَيَسْتَبُ
قال : فَنَسِمَ الْمُعْتَمِمْ وَقَالَ : كَادَ وَاقَهُ يَأْتِمِمْ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفَ الْعَدْلُ ، أَهْذَبَ ،
فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ الصُّبُورَ ، وَتَرَكْتُكَ لِلصَّيَةِ .

•

وَحُكِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهَدِيَّ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا قُتِلَ ابْنُهُ : إِنَّهُ لَوْ كَانَ
فِي صَالِحِ خِدْمَتِكَ وَمَا تَعَرَّفَنَاهُ مِنْ طَاعَتِكَ ، وَقَالَهُ يَجِبُ بِهِ الصَّفْحُ عَنْ وَلَدِكَ ،
مَاتَ لَوْزُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ نَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ وَكَفَّرَ بِرَبِّهِ .
قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : رَضَانَا عَنْ أَنْفُسِنَا وَنُحْنُطُنَا عَلَيْهَا مَوْصُولُ بَرِّكَ وَنُحْنُطُكَ ،
وَنَحْنُ نَحْدُمُ نَعْمَتِكَ ، تَكْتَبِنَا عَلَى الْإِحْسَانِ فَتَشْكُرُ ، وَتُعَامِقُنَا عَلَى الْإِسَاءَةِ فَتَنْصَبُ .

١٠

المهدي وأبو
عبيد الله بهد
قتل ابنه

أَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : لَمَّا حُجَّ الْمَنْصُورُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لِلرَّيْعِ الْحَاجِبِ :
عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْهُ . فَمُطِلٌّ بِهِ ، ثُمَّ أُلْحَ عَلَيْهِ لِحْظُهُ ، فَلَمَّا
كُشِفَ السِّتْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، هَمَسَ جَعْفَرُ بِشَفَتَيْهِ ، ثُمَّ تَقَرَّبَ وَسَلَّمُ ،
فَقَالَ : لَا سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، تُعْمَلُ عَلَى الْغَوَائِلِ فِي مُلْكِي ؟ قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ
لَمْ أَقْتُلْكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ سُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ ، أُعْطِيَ
فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفَ ظَلِمَ فَفَقَّرَ ؛ وَأَنْتَ عَلَى إِرْثِ
مِنْهُمْ ، وَأَحَقُّ مَنْ تَأْتِي بِهِمْ . فَتَكَسَّ أَبُو جَعْفَرٍ رَأْسَهُ مَلْبِياً . وَجَعْفَرُ وَاقِفٌ ،
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : إِلَيَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَأَنْتَ الْقَرِيبُ الْقَرَابَةِ ، وَذُو الرَّحْمِ الْوَاضِحَةِ
السَّالِمِ النَّاحِيَةِ ، الْقَلِيلُ النَّائِلَةِ . ثُمَّ صَاحَهُ يَمِينَهُ ، وَعَانَقَهُ بَشَالَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ
عَلَى فَرَاشِهِ وَانْحَرَفَ لَهُ عَنْ بَعْضِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ يُحَادِّثُهُ وَيَسْأَلُهُ . ثُمَّ قَالَ :
يَارَيْعُ ، عَجَّلْ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ كُسُوتَهُ وَجَارِزَتَهُ وَإِذْنَهُ .

٢٠

المنصور وجعفر
ابن محمد

قَالَ الرَّيْعُ : فَلَمَّا حَالَ السِّتْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَمْسَكْتُ بِثُوبِهِ ، فَقَالَ : مَا أَرَانَا يَارَيْعُ
إِلَّا وَقَدْ حُبِسْنَا . فَقُلْتُ : لَا عَلَيْكَ هَذِهِ مَنِيَّ لَا مَنِيَّ . فَقَالَ : هَذِهِ أَيْسَرُ ، سَلِّ
حَاجَتَكَ . فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ مَنَنْتَ ثَلَاثَ أَدْفَعٍ عَنْكَ وَأَدَارَى عَلَيْكَ ، وَرَأَيْتَكَ إِذْ دَخَلْتَ قَهْمَسْتَ

بشفتيك ، ثم رأيت الأمر انجلي عنك ، وأنا خادم سلطان ولا يخفى لي عنه ، فأحبُّ منك أن تعلّمني . قال : نعم ، قلت : « اللهم احسنى بعينك التي لا تنام ، واكفني بحفظك الذي لا يرام ، ولا أهالك وأنت رجائي ، فكم من نعمة أنعمتها عليّ قلّ لك عندها شكرى فلم تحرفني ، وكم من بليّة ابتليت بها قلّ عندها صبرى فلم تحذلني ، بك أدرا في تحرّره ، وأستعبد بخيرك من شرّه ، فإنك على كلّ شيء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم .

المدايني قال : لما قام يزيد بن راشد خطيباً ، وكان فيمن دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد . فنذر سليمان قطع لسانه . فلما أفضت الخلافة إليه ، دخل عليه يزيد بن راشد ، جلس على طرف البساط مُفكراً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كُن كُتبي الله صلى الله عليه وسلم : آتَيْتُ قَصَبَ ، وَأُعْطِيتُ نَشْكَرَ ، وَقَدَّرَ فَفَرَّ ، قال : ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد . فغفاه عنه .

حبس الرشيد رجلاً ، فلما طال حبسه كتب إليه : إن كل يوم يمضي من نيمتك يمضي من يؤمسي مثله ، والأمد قريب والحكم لله ، فأطلقه .

ومر أسد بن عبد الله القسري وهو والي خراسان ، بدار من دور الاستخراج ، ودهقان يعذب في حبسه ، وحول أسد مساكين يستجدونه . فأمر لهم بدرهم تُقسم فيهم . فقال الدهقان : يا أسد ، إن كنت تُعطي من يُرحم فارح من يُظلم فإن السموات تنفجر لسعة المظلوم . يا أسد ، احذر من ليس له ناصر إلا الله ، واتق من لا جنة له إلا الابتال إلى الله . إن الظلم مَصْرَعه وخيم ، فلا يفتّر بإبطاء الغيئات من ناصر متى شاء أن يُجيب أجاب ، وقد أملى لقوم ليزدادوا إثمًا فأمر أسد بالكف عنه .

عَبَّ المأمون على رجل من خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قديم الحرمة ، وحديث التوبة يَمَحُوَان ما بينهما من الإساءة . فقال : صدقت . ورضى عنه .

سليمان بن
عبد الملك
وزيد بن راشد

الرشيد ورجل
حبسه

أسد القسري
ودهقان يعذب

المأمون ورجل
من خاصته

• وكان ملك من ملوك فارس عظيمَ المملكة شديدَ النِّقمة ، وكان له صاحبُ مطبخ ، فلما قَرَّبَ إليه طعامه صاحب المطبخ سقطتُ نقطةٌ من الطعام على يديه ، فزوى لها الملك وجهه ؛ وعلم صاحب المطبخ أنه قاتله ، فكفأ الصحنَةَ على يديه . فقال الملك : علىَّ به ، فلما أتاها قال له : قد علمتُ أن سقطتُ النقطة أخطأتُ بها يدُك ، فإِذا عُذرك في الثانية ؟ قال : استحييتُ لذلك أن يَقْتلَ مني في سني وقديم حُرْمَتِي في نقطة ، فأردتُ أن أُعْظِمَ ذنبي لِيَحْسَنَ به قَتْلِي ، فقال له الملك : لئن كان لطفُ الاعتذار يُنجيك من القتل ما هو بِمُنْجِيكَ من العقوبة ، اجدلوه مائة جلدة وخطوه .

ملك من ملوك
فارس وصاحب
مطبخه

• الشياني قال : دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، رَيب دولتك ، وسلب نعمتك ؛ وعصن من أغصان دوحك : أناذن في الكلام ؟ قال : نعم قال : نستمح الله حياةَ ديننا ودنيا ، ورعايةَ أدياننا وأقصادنا يقامك ؛ ونسأله أن يزيد في عمرِكَ من أعمارنا ، وفي أثرِكَ من آثارنا ، ويقبِكَ الأذى بأماننا وأبصارنا . هذا مقامُ العائد بفضلِكَ ، الهاربُ إلى كنفِكَ وظلِّكَ ، الفقيرُ إلى رحمتِكَ وعدْلِكَ . ثم تكلم في حاجته ، فقضاه .

المأمون ومحمد
ابن عبد الملك

• وقال عُبيد بن أبوب ، وكان يطلبه الحجاج لجنابة جناها ، فهرب منه وكتب إليه :

عبيد بن أبوب
والحجاج

أَذِنَ طعمَ النومِ أو سَلَّ حَقِيقَةً * عَلَى فَإِنْ قَامَتْ فَفَضَّلْ بَسَانِيَا
خَلَعْتَ قَوَادِي فَاسْتَطَارَ فَأَصْبَحَتْ * تَرَانِي بِهِ الْيَدُ الْقِفَارُ تَرَانِيَا

• ولم يقل أحدٌ في هذا المعنى أحسنَ من قول النابغة الذبياني للثَّمان بن المنذر :

أَتَانِي آيَتِ اللَّعْنِ أَنْكَ لُمْتَنِي * وَتَلَكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِيحُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي حَنِيْلُهُ * مِنَ الرَّقْرِ فِي أُنْيَاهَا السَّمُّ نَارِقُ
أَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ * كَذِي الْعُرْيُكُوِي غَيْرُهُ وَفُورَاتِعُ
فَإِنَّكَ كَالْبِلِّ الَّذِي هُوَ مُنْذَرِي * وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

وقال فيه أيضاً :

ولست بمستبي أخا لا تلُسه * على شعث أي الرجال المَهْدَب ؟
فإنك مكظوماً فعد ظلمته . وإن تك ذا عتب فيك فُتِبْ
خلفت فلم أترك لنفسك رية . وليس وراء الله للبر منهُب
لئن كنت قد بلغت عني جاية . كُفِّلُكَ الواشي أغش وأكذب
ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذنب
فإنك شمس والملك كواكب * إذا طلعت لم يبد منها كوكب

لابن العائرية

وقال ابن الطُّغْرية :

فهني امرءاً إما بريئاً عِلَّتُهُ . وإما مُسِيئاً تاب منه وأعتبا
وكتت كذبي داء تبغى لدائه . طيباً فلما لم يحده تطبياً

لدمشق العبدى

وقال الممرق العبدى لعمر بن هند :

تروح وتندو ما يحل وضيئها . إليك ابن ماء المزن وابن محرق
أحقاً أبيت اللعن إن ابن مُزنا . على غير إجماع يريق مُشْرِق
فإن كنت ما كولا فكن خير آكل * وإلا فأذركني ولما أُمزق
فأنت عميد الناس مهما تقلُّ تقلُّ * ومهما تفع من باطل لا يلحق
ومثل هذه الآيات عثمان بن عفان في كتابه إلى علي بن أبي طالب يوم الدار .

لابن الزيات
يستغفركم

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات ، لما أحسن بالموت وهو في حبس المتوكل ،
برقة إلى المتوكل ، فيها :

هي السبلُ فمن يوم إلى يوم . كأنه ما تريك العين في النوم
لا تفعلن رويداً إنما دُولُ . دنيا تنقل من قوم إلى قوم
إن لنايما وإن أصبحت ذا فرح . تحوم حولك حوماً أيما حوم
فلما وصلت إلى المتوكل وقرأها أمر بإطلاقه ، فوجده ميتاً .

لعمر بن عتبة
ينصح للنصور

وقال عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة للنصور ، وقد أراد عقوبة رجل :

يا أمير المؤمنين ، إن الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمنصفُ قد جاوز حدَّ المنصف ، ونحن نُعَيِّدُ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أو كَسَّ النصيبين دون أن يبلغ أرفعَ الدرجات .

- جرى بين أبي مسلم صاحبِ الدعوة وقائِدٍ من قواده يقال له شَهْرَام ، كلام ، فقال له قائدهُ كلمةٌ فيها بعضُ الغِلْظِ ، ثم ندم على ما كان منه ، فجعل يتضرع ويتصل إليه . فقال له أبو مُسلم : لا عليك ، لسانٌ سبق ، ووهمٌ أخطأ ، إنما الغضبُ شيطان ، وإنما جَرَأْتُكَ عَلَى لَطُولِ احتِمَالِ عنك ، فإن كنتَ للذنبِ متعمداً فقد شاركْتُكَ فيه ، وإن كنتَ مغلوباً فإن العذر يسعك ، وقد عفونا على كل حال . فقال : أصلح الله الأمير ، إن عفوَ مثلك لا يكون غروراً . قال : أجل . قال : فإن عَظِمَ الذنبُ لا يَدْعُ قلبي يَسْكُن . وألح في الاعتذار . فقال له أبو مسلم :
- عجبا لك ! إنك أسأت فأحسنْتُ ، فلما أحسنْتُ أسيء .

أبو مسلم
وبنوه قواده

دخل أبو دلف على المأمون ، وقد كان عَتَبَ عليه ثم أقالَه ، فقال له وقد خلا مجلسه : قل أبا دلف ، وما عَسَيْتَ أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغفَرَ لك ما فعلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،

المأمون وأبو
دلف وقد رضى
منه

- ليألى تُدْخِلَ منك بالبَشرِ مجلسى * ووجهك من ماء البَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَنَ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً * لِيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ
- قال المأمون : لك بها رجوعك إلى المناجحة ، وإقبالك على الطاعة . ثم عاد له إلى ما كان عليه .

بين المأمون
وأبي دلف

وقال له المأمون يوماً : أنت الذى تقول :

- لِئِى ائْرُوْكَسِرُوْى الْقَعَالِ * أَصِيفُ الْجِبَالِ وَأَنْشُو الْعِرَاقَا
- ما أراك قَمَمْتَ لِحَقِّ طاعة ، ولا قَضَيْتَ واجبَ حُرمة ! قال له يا أمير المؤمنين إنما هى نعمتك ونصرتك فيها خدمتك ، وما هِرَاقَةُ دُمى فى طاعتك إلا بعض ما يجب لك

ودخل أبو دلف على المأمون . فقال : أنت الذى يقول فيك ابن جبلة :

إنما الدنيا أبو دلفٍ • بين يديه ومُختَصِرُه

فإذا ولَّى أبو دلفٍ • ولت الدنيا على أثره

فقال : يا أمير المؤمنين ، شهادة زور ، وكذب شاعر ، وملق مُستَجِدٍ ؛ ولكنى
الذى يقول فيه ابن أخيه :

ذَرَيْنى أَجوبُ الأرضِ فى طلبِ النِّفى • فما الكَرْخُ بالدنيا ولا الناسُ قائِمُ

الكرخ : منزل أبي دلف . وكان اسمه قاسم بن عبد الله .

وقال المنصور لمن بن زائدة : ما أظن ما قيل عنك من ظُلمك أهلَ اليمن
واعتسافك عليهم إلا حقاً ؟ قال : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغنى عنك
أنك أعطيت شاعراً بيت قاله ألف دينار . وأثبته البيت ، وهو :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الذى زِيدَتْ به • غُفْراً إلى غُفْرِ بنو شَيْبَانِ

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قد أعطيتُه ألف دينار ، ولكن على قوله :

مازلت يومَ الهاشِمِيَّةِ مُعَلِّباً • بالسيفِ دونَ خليفةِ الرَّحْمَنِ

فَسَنَعَتْ حَوْزَتَهُ وَكَتَبَتْ وَاقَاهُ • مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

قال : فاستجبا المنصور وجعل ينكت بالخنصرة ، ثم رفع رأسه وقال :
اجلس أبا الوليد .

أتى عبد الملك بن مروان بأعرافى سرق ، فأمر بقطع يده ، فأنشأ يقول :

يَدِى يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْيَدُهَا • بِمَقْفُوكِ أَنْ تَلْقَى مَكَاناً يَشْبِيهَا

ولاخيرَ فى الدنيا وكانت حَيَّةً • إذا ما شِمالى فارقَها يَمِينُهَا

فأبى إلا قَطَعَهُ ؛ فقالت أمه : يا أمير المؤمنين ، واحدى وكاسى . قال : بنس

الكاسب كان لك ، وهذا حد من حدود الله . قالت : يا أمير المؤمنين ، اجعله من

بعض ذنوبك التى تستغفر الله منها ؛ فعفا عنه .

تذكير الملوك بدمام متقدم

قال ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ لِلْبَأْمُونِ لَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ : كَانَ لِي أَمْلَانِ :
أَمْلٌ لَكَ وَأَمْلٌ بِكَ ، فَأَمَّا أَمْلِي لَكَ فَقَدْ بَلَغْتُهُ ، وَأَمَّا أَمْلِي بِكَ فَلَا أَدْرِي مَا يَكُونُ
مِنْكَ فِيهِ .

الباؤون
وابن أشرس

قال : يَكُونُ أَفْضَلَ مَارَجَوْتُ وَأَمَلْتُ . لَجَلْعُهُ مِنْ ثُمَامِهِ وَخَاصَّتِهِ .
الاصمعي قال : لَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَصَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، خَرَّ أَصْحَابُهُ سَجُودًا ، إِلَّا الْأَبْرَشَ الْكَلْبِيَّ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَبْرَشُ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ
تَسْجُدَ كَمَا سَجَدُوا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَأَنْكَ ذَهَبْتَ عَنَّا وَتَرَكْتَنَا : قَالَ : فَإِنْ ذَهَبْتَ بِكَ
مَعِيَ ؟ قَالَ : أَوْ تَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَالآنَ طَابَ السَّجُودُ ، ثُمَّ سَجَدَ .

يزيد بن عبد الملك
والأبرش

ولَمَّا صَارَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ كَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ إِخْوَانِهِ :
إِنَّا بِطَانَتُكَ الْأَتْلَى * كُنَّا نُكَايِدُ مَا تُكَايِدُ
وَنُرَى فَنُعرفُ بِالْعَدَا * وَهُوَ وَالْبِعَادُ لَمْ يُتَبَاعِدْ
وَنَبَيْتٌ مِنْ شَفَقِي عَلَيْكَ رَيْبَةٌ وَاللَّيْلُ هَاجِدٌ
هَذَا أَوَانٌ وَفَاءٌ مَا * سَبَقَتْ بِهِ مِنْكَ الْمَوَاعِدُ

أبو جعفر ورجل
من إخوانه يمينه
بالأدلة

فَوَقَعَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى كُلِّ بَيْتٍ مِنْهَا : صَدَقْتَ صَدَقْتَ . ثُمَّ دَعَا بِهِ وَأَلْحَقَهُ فِي خَاصَّتِهِ .
وقال حبيب الشاعر في هذا المعنى :

الحبيب

وإِنَّ أَوَّلَى الْمَوَالِي أَنْ تُوَامِسِيَهُ * عِنْدَ السُّرُورِ لِمَنْ وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا اسْتَهْلَوْا ذَكَرُوا * مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَوْطِنِ الْحَشِينِ

حسن التخاص من السلطان

أبو الحسن المدائني قال : كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ وَالْيَاسَنِيُّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ،
فَلَمَّا بَايَعَ النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ ، وَلَّى عُثْمَانُ بْنُ حَيَّانَ الْمُرِّيَّ وَأَمْرَهُ بِالنَّفْلَةِ عَلَى
أَهْلِ الْفِلَسْطِينَ . فَعَرَضَ يَوْمًا بِذِكْرِ الْفِتْنَةِ وَأَهْلِهَا ، فَقَالَ لَهُ قَاتِلُ : هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ سَهْلٍ

العباس بن سهل
وعثمان بن حيان

على ما فيه ، كان مع الزبير وعمل له . فقال عثمان بن حيان : ويلي ! والله لا قتلته . قال العباس : فبلغني ذلك ، فتغيبتُ حتى أضربني التغيب ، فأثبتُ ناساً من جلسائه فقلت لهم : مالي أخاف وقد أمني عبد الملك بن مروان ؟ فقالوا : والله ما يدركك إلا تنييط عليك ، وقد أكل كل على طعامه في ذنبٍ إلا أبسط ، فلو تنكرت وحضرت عشاءه وكلته .

قال : ففعلتُ ، وقلتُ على طعامه ، وقد أتى بحفنة ضخمة ذات ثريد ولحم : « والله لكأنني أنظر إلى حفنة حيان بن معبد ، والناس يتكاسرون عليها ، وهو يطوف في حاشيته يتفقد مصالحها ، يسحب أردية الحز ، حتى إن الحسك ليلتلق به فما يميطة ، ثم يؤتى بحفنة تهادي بين أربعة ما يستقلون بها إلا بمشقة وعناء ، وهذا بعد ما يفرغ الناس من الطعام ويتنعمون عنه ، فيأتي الحاضر من أهله ، والطائر من أشراف قومه ، وما بأكثرهم من حاجة إلى الطعام ، وما هو إلا الفخر بالدين من مائدته والمشاركة ليد .

قال : هيه ! أنت رأيت ذلك ؟ قلت : أجل والله . قال لي : ومن أنت ؟ قلت : وأنا أمين ؟ قال : نعم . قلت : العباس بن سهل بن سعد الأنصاري . قال : مرحباً وأهلاً ، أهل الشرف والحق . قال : فلقد رأيته بعد ذلك وما بالمدينة رجل أوجه مني عنده . فقيل له بعد ذلك : أنت رأيت حيان بن معبد يسحب أردية الحز ويتكاسو الناس على مائدته ؟ فقال : والله لقد رأيته ونزلنا ذلك الماء وغشينا وعليه عباءة ذكوانية ، فلقد جعلنا نذوده عن رحلنا مخافة أن يسرقه .

بين المختار
وسراقة

أبو حاتم قال : حدثنا أبو عبيدة قال : أخذ سراقة بن مرداس البارق أسيراً يوم جباله السبيع ، فقدم في الأسرى إلى المختار : فقال سراقة :
أمن على اليوم ياخير معذ . وخير من كبي وصلي ويحذ
فصفا عنه المختار وخلي سبيله .

ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث فأق به المختار أسيراً . فقال له : ألم أخفُ عنك وأمن عليك ؟ أما والله لا تقتلك . قال : لا والله لا تفعل إن شاء الله . قال :

ولم ؟ قال : لأن أبي أخبرني أنك تفتح الشام حتى تهديم مدينة دمشق حجراً حجراً وأنا معك ، ثم أنشده :

ألا أبلغ أبا إسحاق أننا حملنا حلة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء منا * وكان خروجنا بطراً وحيناً
ترأهم في مصفهم قليلاً * وهم مثل الدبى لما التقينا
فأنجح إذ قدرت فلوقدرونا * لجرنا في الحكومة واعتدنا
تقبل توبة متى فاني * سأشكر إن جعلت النقد دينا
قال : غفل سبيله .

ثم خرج إسحاق بن الأشعث ومعه سراقه ، فأخذ أسيراً وأتى به المختار ، فقال :
الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدو الله . هذه ثالثة . فقال سراقه : أما والله
ما هؤلاء الذين أخذوني ؟ فأين هم ... لا أراهم ؟ إنما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب
بيض ، وتحتهم خيل بلق طير بين السماء والأرض .
فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس .

ثم دعا لقتاله فقال :

ألا من مبلغ المختار عني * بأن البلق دُم مُصنات
أرى عيني ما لم تراه * كلانا عالم بالثرهات
كفرت بوجهكم وجعلت نذراً * على قتالكم حتى المات

كان معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الأسرى ، فقام إليه أصغر القوم
فقال له : يا معن ، أقتل الأسرى عطاشاً ؟ فأمر لهم بالماء ؛ فلبسوا فقال :
يا معن ، أقتل ضيفانك ؟ فأمر معن بإطلاقهم .

لما أتى عمر بن الخطاب بالهزمران أسيراً ، دعاه إلى الإسلام ، فأبى عليه .
فأمر بقتله ، فلما عرض عليه السيف قال : لو أمرت لي يا أمير المؤمنين بشربة

من ماء ، فهو خير من قتل على الظلم . فأمر له بها ؛ فلما صار الإناة يده قال :
 أنا آمين حتى أشرب ؟ قال : نعم . فألقى الإناة من يده وقال : الوفاء يا أمير المؤمنين
 نور أبلغ . قال : لك التوقف حتى أنظر في أمرك ، أرفعا عنه السيف . فلما رفع
 عنه قال : الآن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده
 ورسوله . فقال له عمر : ويحك ! أسلّيت خير إسلام ، فما آخرك ؟ قال : خشيتُ
 يا أمير المؤمنين أن يقال إن إسلامي إنما كان جزعاً من الموت . فقال عمر : إن
 لفارس حُلوماً بها استحققت ما كانت فيه من الملك . ثم كان عمر يشاوره بعد
 ذلك في إخراج الجيوش إلى أرض فارس ويعملُ برأيه .

الحجاج ومن
 من أسرى ابن
 الأشعث

لما أتى الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث ، أمرَ بقتلهم ؛
 فقال رجل أصلح الله الأمير ، إن لي حُرمة . قال : وما هي ؟ قال : ذكرتُ في
 عسكر ابن الأشعث فتشيمت في أبويك ، فرضتُ دونهما ؛ فقلت : لا والله ما في
 نسبه مطمئن ، فقولوا فيه ودعوا نسبه . قال ومن يعلم ما ذكرت ؟ [قال] فالتفتُ إلى
 أقرب الأسرى إلىَّ فقلت : هذا يعلمه . قال له الحجاج : ما تقول فيما يقول ؟ قال :
 صدق - أصلح الله الأمير - وبرّ . قال : خليا عن هذا نُصرتَه ، وعن هذا لُحفظَ شهادته .

روح بن حاتم
 وبن
 التميمي

عمر بن بحر الجاحظ قال : أتى روحُ بن حاتم برجل كان متلصصاً في طريق
 الزقاق ، فأمر بقتله ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، لي عندك يد بيضاء . قال : وما هي ؟
 قال : إنك جئت يوماً إلى مجمع موالينا بني تمهل والمجلسُ مُحتفل ، فلم يتحفّز لك أحد
 فقممتُ من مكاني حتى جلستُ فيه ، ولولا تحضُّنُ كرمك ، وشرفُ قدرك ، وبهاة
 أوليتك ، ما ذكرتُك هذه عند مثل هذا . قال ابن حاتم : صدق ، وأمر بإطلاقه
 وولّاه تلك الناحية وحنّته إياها .

الأمون
 وأبو دلف
 بن ظفر

ولما ظفر الأمون بأبي دلف ، وكان يقطع في الجبال ، أمر بضرب عنقه ؛
 فقال : يا أمير المؤمنين دعني أركع ركعتين . قال : أقبل . فركع وحبر أياتاً ،
 ثم وقف بين يديه فقال :

يَعْنِي النَّاسَ فَإِنِّي * خَلَفْتُ يَمِينِ تَبِيعُ

وَاتَّخِذْنِي لَكَ دِرْعًا ۖ قَلَصَتْ عَنْهُ الْأُكُومُ
وَأَزِمُّ بِكُلِّ عَدُوٍّ ۖ فَأَنَا السُّمُّ السَّرِيعُ
فأطلقه وولاه تلك الناحية ، فأصلحها .

معاوية وأسير
من أهل العراق

- أتى معاوية يومَ صِفِّينَ بأسيرٍ من أهل العراق ، فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك ! قال : لا تَقُلْ ذلك يا معاوية ، فإنها مُصيبة ! قال : وأى نعمة أعظم من أن .
أمكننى الله من رجل قتل جماعة من أصحابى فى ساعة واحدة ؟ أَضْرَبَ عَنْقَهُ يا غلام !
فقال الأسير : اللهم أشهد أن معاوية لم يقتلنى فىك ، ولا لأنك ترضى بقتلى ^(١) :
ولمّا يقتلنى فى القلبة على حُطّام هذه الدنيا ؛ فإن فعل فافعل به ما هو أهله ،
ولم لم يفعل فافعل به ما أنت أهله .

- قال له : ويحك ! لقد سببت فأبلغت ، ودعوت فأحسنت ؛ خَلِّيا عنه .
أمر مصعبُ بن الزبير رجل من أصحاب المختار أن تُعْرَبَ عَنْقُهُ ، فقال :
أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك
هذا الذى يُستضاء به ، فأتعلق بأطرافك وأقول : أى ربّ ، سَلْ هذا فمَ قتلنى ؟
قال : أطلقوه . قال : أجعل ما وهبت لى من حياقى فى خَفْضٍ . قال : أعطوه
مائة ألف . قال الأسير : بأبى أنت وأمى ، أشهد أن لقيس الرُّقبات منها خمسين
ألفاً . قال : ولم ؟ قال : لقوله فىك :

مصعب بن الزبير
ورجل من
أصحاب المختار

- إنما مُصْعَبُ شَهابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ ۖ جَرَّوَتْ يُخْشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَذَى لَحَجَّ مَنْ كَانَ هُمُّهُ الْإِتْقَاءُ
فضحك مصعب وقال : أرى فىك موضعاً للصنعة . وأمر بلزومه وأحسن
إليه ؛ فلم يزل معه حتى قُتِلَ .

- أمر عبد الملك بقتل رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أعز ما تكون
أحوج ما تكون إلى الله . فعفا عنه .
(١) فى الأصل : وأنك لا ترضى بقتلى .

عبد الملك
ورجل أمر
بقتله .

الحجاج وأسرى
من الخوارج

أتى الحجاج بأسرى من الخوارج ، فأمر بضرب أعناقهم قُدُماً فهم شاكُّ فقال : والله يا حجاج لئن كنا أساناً في الذنب فما أحسنت في العفو . فقال : أفٍ لهذه الجيف . ما كان فيهم من يقول مثل هذا ؟ وأمسك عن القتل .

الحجاج ويأسر
الأسرى

وأتى الحجاج بأسرى ، فأمر بقتلهم ، فقال له رجل منهم : لا جزاك الله يا حجاج عن السنة خيراً ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَفْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الرِّبَاقَ فَأَمَّا مَنْ بَدَأَ فِدَاءً ﴾ . فهذا قول الله في كتابه . وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق : وما نُقِلُّ الأَسْرَى ولكنَّ تُفَكِّهَهُمْ * إِذَا أَنْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْقَلَائِدِ فقال الحجاج : ويحكم ! اعجزتم أن تُخبروني بما أخبرتني هذا المنافق ؟ وأمسك عن يق . ١٠

الحجاج
وحروية

الهيثم بن عدي قال : أتى الحجاج بحروية ، فقال لأصحابه : ماتقولون في هذه ؟ قالوا : لقتلها . أصلح الله الأمير ، ونكّل بها غيرها ؛ فبَسَمَت الحروية . فقال لها : لم تَبَسَمِي ؟ فقالت : لقد كان وزراء أخيك فرعون خير من وزراءك يا حجاج : استشارهم في قتل موسى فقالوا : أَرْجِه وأخاه ، وهؤلاء يأمرؤك بتعجيل قتل ، فضحك الحجاج وأمر بإطلاقها . ١٥

معاوية بن وهب
الثقي

قال معاوية لبونس الثقي : أتق الله ؛ لأطيرتك طيرة بطيئاً وقوعها ، قال : أليس بي وبك المرجع إلى الله ؟ قال : نعم . قال : فأستغفر الله .

عبد الملك
ومخزوم

ودخل رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان ، وكان زُبَيْراً ، فقال له عبد الملك : أليس الله قد ردك على عقبيك ؟ قال : ومن ردَّ إليك يا أمير المؤمنين فقد ردَّ على عقبيه ، فسكت عبد الملك وعلم أنه أخطأ . ٢٠

سليمان بن
عبد الملك وزيد
ابن أبي سلم

دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك ؛ فقال له سليمان : على أمرئ أترك وجزأك وسلطك على الأمة لعنة الله ؛ أظن الحجاج استقر في قصر جهنم أم هو يهوى فيها ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك ، فضمعه من النار حيث شئت .

قال عبيد الله بن زياد لقيس بن عباد : ما تقول في وفي الحسين ؟ قال : أغني عافاك الله . قال : لابد أن تقول . قال : يحيى أبوه يوم القيامة فيشفع له ، ويحيى أبوك فيشفع لك .

قيس بن عباد
وابن زياد

قال : قد علتُ غشك وخشك ، لن فارقني يوماً لأضعن أكرتك شعراً بالأرض .

٥

الأصمعي قال : بعث الحجاج إلى يحيى بن يعمر ، فقال له : أنت الذي تقول إن الحسين بن علي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن رسول الله ؟ لتأنيئ بالخروج عما قلت أو لأضربن عنقك ؟ فقال له ابن يعمر : وإن جئت بالخروج فأنا آمن ؟ قال : نعم . قال : اقرأ : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۝ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَذَكَرْنَا وَيْحِي وَعَيْسَى ﴿ فَنُؤْمِنُ بِأَعْدٍ ۝ ۱۰ عيسى من إبراهيم ، أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وإنما هو ابن بنته ، فقال له الحجاج : والله لكأني ما قرأت هذه الآية قط ، وولاه قضاء بلده ، فلم يزل بها قاضياً حتى مات .

١٥

أبو بكر ابن أبي شيبة بإسناده قال : دخل عبد الرحمن بن أبي ليلى على الحجاج ، فقال لجلسائه : إن أردتم أن تنظروا إلى رجل يسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم ، يعني عبد الرحمن ، فقال عبد الرحمن : معاذ الله أيها الأمير أن أكون أسب أمير المؤمنين ، إنه ليخجزي عن ذلك ثلاث آيات في كتاب الله : قال الله تعالى : ﴿ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيُصَرِّفُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فكان عثمان منهم . ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مَّا أَوْتَوْا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ

٢٠

الحجاج وابن
أبي ليلى

ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿١﴾ فكان أبي منهم . ثم قال : ﴿ والذين جلدوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ فكنت أنا منهم . فقال : صدقت .

الحجاج
وماسم بن
أبي وائل

- ٥ أبو عوانة عن عاصم بن أبي وائل قال : بعث إلى الحجاج فقال لى : ملاسلك ؟ قلت : ما أرسل إلى الأمير حتى عرف آسمى ! قال : متى هبطت هذا البلد ؟ قلت : حين هبط أهله . قال : ما تقرأ من القرآن ؟ قلت : أفرا منه ما إذا تبعته كغفاني . قال : إني أريد أن أستعين بك في عملي . قلت : إن تستعين بي تستعين بكبير آخرق ، ضعيف يخاف أعوان السوء ؛ وإن تدعني فهو أحب إلي ، وإن تقهمني أنقهم . قال : إن لم أجد غيرك أقمعتك ، وإن وجدت غيرك لم أفحصك .
- ١٠ قلت : وأخرى أكرم الله الأمير : إني ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيئتهم لك وانه إني لا تتأثر من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح ؛ هذا ولست لك على عمل . قال : هيه اكيف قلت ؟ فأعدت عليه ؛ فقال : إني واه لا أعلم على وجه الأرض خلقاً هو أجراً على دم مني ، انصرف . قال : فممت فعدلت عن الطريق كأني لا أبصر . فقال : أرشدوا الشيخ .
- ١٥

الحجاج
واسمى الحجاج

- لما أتى الحجاج بأسرى الجاهل ، أتى فيهم بعامر الشعبي ، ومطرف بن عبد الله الشخير وسعيد بن جبير ، وكان الشعبي ومطرف يريان التقيّة ، وكان سعيد بن جبير لا يراها ، وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أسرى الجاهل ، أن يعرضهم على السيف . فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه . فقال الحجاج للشعبي : وأنت من ألب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على نفسك بالكفر . فقال : أصلى الله الأمير ، نبأ بنا المنزل ، وأخبرنا بنا الجناب ، واستحلستنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وخبطننا فتنة لم نكن فيها بررة أنقياء ، ولا فجرة أقوياء . قال : لله أبوك ! لقد صدقت : ما برزتم بخروجكم علينا ولا قويمتم ، خلوا سبيل الشيخ .
- ٢٠

ثم قال لمطرف : أتقر على نفسك بالكفر ؟ قال : أصلح الله الأمير ، إن من شق العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر . فخلّ سبيله .

ثم قال لسعيد بن جبير : أتقر على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرت منذ آمنْتُ بالله . فضرب عنقه .

ثم استعرض الأسرى ، فن أقر بالكفر خلّ سبيله ، ومن أبى قتله ، حتى أتى بشيخ وشاب ، فقال للشاب : أكفر أنت ؟ قال : نعم ، قال : لكن الشيخ لا يرضى بالكفر . فقال له الشيخ : أعن نفسي تخادعني يا حجاج ؟ والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته . فضحك الحجاج وخلّ سبيله .

فلما مات الحجاج وقام ساجان ، قال الفرزدق :

إِنَّ نَفَرَ الْحَجَّاجِ آلَ مُتَّعٍ ، لَقُوا دَوْلَةً كَانَ الْعَدُوُّ يُدَاهِمُهَا
لَقَدْ أَصْبَحَ الْأَحْيَاءُ مِنْهُمْ أَذَلَّةً ، وَمَوْتَاهُمْ فِي النَّارِ كُلُّهَا سِيَاهُهَا
وَكَانُوا يَرَوْنَ الدَّائِرَاتِ بِنِيرِهِمْ ، فَصَارَ عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ انْفِتَاهُهَا
أَلَيْكُنِي إِلَى مَنْ كَانَ بِالْهَيْمَنِ أَوْسَى ، بِهِ الْهِنْدُ أَلْوَحُ عَلَيْهَا جِلَاهُهَا
هَلُمُّ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَدْلِ عِنْدَنَا ، فَقَدْ مَاتَ عَنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ خِبَاهُهَا

الفرزدق
في حجاج بن أبي
يبدوته

لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالأردن : اجمع يدي عدي بن الرقاع إلى عنقه ، وابعث به إلى علي قتب بلا وطاء ، ووكل به من ينخس به ففعل ذلك . فلما انتهى إلى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يده إلقاء لا روح فيه ، فتركه حتى ارتد إلى روحه ، ثم قال له : أنت أهل لما نزل بك . أأنت القاتل في الوليد :

٢٠

مَعَاذَ رَبِّي أَنْ نَبْقَى وَنَقِيدَهُ * وَأَنْ نَكُونَ رِاعٍ بَعْدَهُ تَبَعًا
قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما هكذا قلت ، وإنما قلت :
مَعَاذَ رَبِّي أَنْ نَبْقَى وَنَقِيدَهُم * وَأَنْ نَكُونَ رِاعٍ بَعْدَهُمْ تَبَعًا

سليمان بن
عبد الملك
وابن الرقاع

(١) في بعض الأصول : : والدين .

فنظر إليه سليمان وأستضحك ، فأمر له بصلة وخلّى سبيله .

- الفتي قال : كان بين شريك القاضي والريبع حاجب المهدي ، معارضة ؛
بين يدى المهدي شريك والريبع ؛ فكان الريبع يحمل عليه المهديّ فلا يلتفت إليه ، حتى رأى المهديّ في منامه
شريكا القاضي مصروفا وجهه عنه ، فلما استيقظ من نومه دعا الريبع وقصّ عليه
رؤياه . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن شريكا مخالفت لك وإنه فاطمى محض . قال
المهدي : على به ؛ فلما دخل عليه قال له : يا شريك ، بلغني أنك فاطمى . قال له
شريك : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تكون غير فاطمى ، إلا أن تغنى فاطمة
بنت كسرى . قال : ولكنى أغنى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم . قال :
أفعلنها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معاذ الله ! قال : فإذا تقول فيمن يلعنها ؟ قال :
عليه لعنة الله . قال : فالعنّ هذا - يعنى الريبع - فإنه يلعنها ، فعليه لعنة الله . قال
الريبع : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما ألعنها . قال له شريك : يا ماجن ، فما ذكرك
لسيدة نساء العالمين وابنة سيّد المرسلين في مجالس الرجال ؟ قال المهدي : دغى
من هذا ، فإنى رأيتك في منامى كأن وجهك مصروف عني وفتاك إلى ، وما ذلك
إلا بخلافك على ، ورأيت في منامى كأنى أقتل زنديقا . قال شريك : إن رؤياك
يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه ، وإن
الدماء لا تستحل بالأحلام ، وإن علامة الزندقة بيّنة . قال : وما هي ؟ قال :
شرب الخمر ، والرّشا في الحكم ، ومهر البغي . قال : صدقت والله أبا عبد الله !
أنت والله خير من التى سحلتى عليك .

- ودخل شريك القاضي على المهديّ ، فقال له الريبع : خُنت ماله الله وماله
أمر المؤمنين . قال : لو كان ذلك لأتاك سهمك .

العتبي قال : دخل جامع المحاربى على الحجاج - وكان جامع شيعا صالحا خطيبا
ليدا جريئا على السلطان وهو الذى قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط بنيتها في
غير بلدك ، وتورثها غير ولدك - فجعل الحجاج يشكو سؤا طاعة أهل العراق
وقُبَح منهجهم . فقال له جامع : أما إنه لو أجبتك لأطاعوك ، على أنهم ماشيتوك

الحجاج وجامع
المحاربى

لنَسَبِكَ ، ولا لبلدِكَ ، ولا لذاتِ نفسِكَ ؛ فدفع عنكَ ما يُعِدُّهُمْ مِنْكَ إلى ما يُقَرُّ بِهِمْ
إِلَيْكَ ، والقرى العافية مِنْ دَوْلِكَ ، تُحَلِّهَا مِنْ فَوْقِكَ ، وليكن إيقاعُكَ بَعْدَ وَعِيدِكَ ،
ووعِيدُكَ بَعْدَ وَفْدِكَ . قال الحجاج : ما أرى أُنْبَ أَرْدَ بَنِي اللَّكِيَّةِ إلى طاعتي
إِلَّا بالسيف . قال : أيها الأمير ، إِنَّ السيفَ إِذَا لاقى السيفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ . قال
الحجاج : الْخِيَارُ يَوْمُنْذَ اللَّهِ . قال : أَجَلٌ ، ولكنكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ . فغضب ٥
وقال : يَا هَاهُ ، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فقال جامع :

وَالْحَرْبِ مُتَيْنَا وَكَمَا مُحَارِبًا . إِذَا مَا لَقْنَا أَمْسَى مِنَ الطَّلَعِ أَحْمَرَا

فقال الحجاج : والله لقد هممتُ بِأَنْ أُلْجِعَ لِسَانَكَ فَأُضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ . قال
جامع : إِنْ صَدَقْتُكَ أَغْضَبْتُكَ ، وَإِنْ غَشَشْتُكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ فَغَضِبُ الْإِمِيرِ أَهْوَنُ
عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قال : أَجَلٌ ، وَسَكَنٌ . وشغل الحجاج بعض الأمر ، فانسل ١٠
جامع ، فَرَبَّيْنِ الصَّفُوفِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى جَاوَزَهَا إِلَى صَفُوفِ الْعِرَاقِ ،
فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةً فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ ، وَقَيْسِ الْعِرَاقِ . وَتَمِيمِ الْعِرَاقِ ، وَأَزْدِ
الْعِرَاقِ ؛ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأُوهَا إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ ؟ قَالَ : وَبِحُكْمِ
عُثْمَانَ بِالْخُلُقِ كَمَا يَعْصِيكُمْ بِالْعَدَاوَةِ ، وَدَعَا التَّعَادِي مَا عَادَاكُمْ ؛ فَإِذَا ظَنَرْتُمْ تَرَاجَعْتُمْ
وَتَعَادَيْتُمْ . أَيُّهَا التَّيْمِيُّ ، هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الْأَزْدِيِّ ، وَأَيُّهَا الْقَيْسِيُّ هُوَ أَعْدَى ١٥
لَكَ مِنَ التَّغْلَبِيِّ . وَهَلْ ظَنَرِ بْنِ نَاوَاهُ مِنْكُمْ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَكُمْ .

وهرب جامع من فورِهِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، وَاسْتَجَارَ بَرْقَرِ بْنِ الْحَارِثِ فَأُجَارَهُ .

العقبى قال كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم . وكان مسلم بن
الوليد ، صريع الغواني ، قد رُمِيَ عِنْدَهُ بِالتَّشْيِيعِ ، فَأَمَرَ بِطَلْبِهِ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِطَلْبِ
أَنَسِ بْنِ شَيْخٍ كَاتِبِ الْبَرَامِكَةِ فَهَرَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَ هُوَ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ عِنْدَ قَيْنَةَ بِنْدَادِ ٢٠
فَلَمَّا أَتَى بِنَا قِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ أَتَى بِالرَّجُلَيْنِ . قَالَ : أَيُّ الرَّجُلَيْنِ ؟
قِيلَ : أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ ، وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ . فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنِي بِهَذَا
يَا غُلَامَ ، أَحْضِرْهُمَا . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ؛ فَرَفَّقَ لَهُ وَقَالَ :

الرشيد ومسلم
بن الوليد
وابن أبي شيخ

إيه يا مسلم ، أنت الضال :

أَنَسَ الهوى بِنِي عَلِيٍّ فِي الْحِشَاءِ • وَأَرَاهُ يَطْمَحُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
قال : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

أَنَسَ الهوى بِنِي الْعُمُومَةِ فِي الْحِشَاءِ • مُسْتَوَحِشًا مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
وإذا تكاملت الفضائل كُتِمَ ، أَوْنَى بِذَلِكَ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ

قال : فعجب هارون من سرعة بديته ، وقال له بعض جلسائه : استيقه
يا أمير المؤمنين فإنه من أشعر الناس ، وامتنع فسترى منه عجباً . فقال له : قل شيئاً
في أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ، أَفْرِخْ رُوعِي ، أَفْرِخْ إله رُوعِكَ يَوْمَ الْحَاجَةِ
إلى ذلك ؛ فَإِنِّي لَمْ أَدْخُلْ عَلَى خَلِيفَةٍ قط . ثم أنشأ يقول :

تَلَطَّ السَّيْفُ مِنْ شَوْقِي إِلَى أَنَسٍ • فَالْمَوْتُ يَلْحَظُ وَالْإِقْدَارُ تَنْتَظِرُ
فليس يبلغ منه ما يؤمُّله • حتى يُؤَامِرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَعْدَرُ
أَمْضَى مِنَ الْمَوْتِ يَعْرِفُ عِنْدَ قُدْرَتِهِ • وَلَيْسَ لِلنَّوْتِ عَفْوٌ حِينَ يَنْقَدِرُ

قال : فأجلسه هارون وراء ظهره ، لتلا برى ما هم به ، حتى إذا فرغ من
قُلْ أَنَسَ قَالَ لَهُ : أَنَشِدْنِي أَشْعَرَ شِعْرِكَ . فكلمها فرغ من قصيدة قال له زد ؛
حتى قال له أَنَشِدْنِي الَّتِي تَقُولُ فِيهَا « الْوَحْلُ » فَإِنِّي رَوَيْتُهَا وَأَنَا صَغِيرٌ . فَأَنَشَدَهُ
شعره الذي أوله :

أَدِيرَا عَلَى الرَّاحِ لَا كَثْرًا قَبْلِي • وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلِي ذَخْلِي
حتى انتهى إلى قوله :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنْهُ ذُؤَابَةٌ شَارِبٌ • تَمَشَّتْ بِنَامِثِي الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ
فضحك هارون وقال : ويحك " يا مسلم ! أمارضيت أن قبضته حتى يمشي في
الوَحْلِ ! ثم أمر له بجائزة وخلق سييله .

قال كسرى ليؤثت المغني - وقد قتل الفلهيد تليذه - : كنت أستريح منك

بين كسرى
وروعت بعد
مقتل الفلهيد

إليه ومنه إليك ، فأذهب حسدك وقل صدرك شطرَ تمتع ، وأمر أن يُطرح تحت أرجل الفيلة : فقال : أيها الملك ، إذا كنت أنا قد أذهبت شطرَ تمتعك وأذهبت أنت الشطر الآخر ، أليس جنايتُك على نفسك مثل جنايتي عليك ؟ قال كسرى : دعه ، فأذله على هذا الكلام إلا ما جعل له من طول المدة .

- ٥ يعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، قال : دخلت يوماً على الرشيد أمير المؤمنين وهو متغيط مُتَرَبِّد ، فندمت على دخولي عليه ، وقد كنت أفهم غَضَبَهُ في وجهه ، فسلبت فلم يرد ؛ فقلت : داهيةٌ ناد . ثم أومأ إلى جفلس . فالتفت إلي وقال : لله عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فلقد نطق بالحكمة حيث يقول :

الرشيد
ويعقوب
ابن صالح

- ١٠ يا أيها الزاجري عن شيمتي سَفَهًا . عندك عصيتُ مقامَ الزاجر الناهي أقصِرْ فإنك من قومٍ أرومُتهم . في اللوم فاغرُ بهم ما شئت أو باهي يُزِنُ الشَّعْرُ أفواهاً إذا قَطَقَتْ . بالشَّعرِ يوماً وقد يُزِرِّي بأفواهٍ قد يُرْزَقُ المرءُ لا من فضلِ حيلته . ويُعرَفُ الرِّزْقُ عن ذى الحيلة الداهي لقد عَجِبْتُ لقومٍ لا أصولَ لهم . أثروا وليسوا وإن أثروا بأشباه ما نالني من غنى يوماً ولا عدم . إلا وقولي عليه « الحمد لله »

- ١٥ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ومن ذا الذي بلغت عليه المقدرة أن يُيسأى مثلك أولياديه ؟ قال : لعله من بني أيبك وأملك .

- ٢٠ كان الكميث بن زيد يمدح بني هاشم ويعرضُ ببني أمية ، فضليه هشام فهرب منه عشرين سنة ، لا يستقر به القرار من خوف هشام ، وكان مسلبةً بن عبد الملك له على هشام حاجةً في كل يوم يقضها له ولا يرده فيها . فلما خرج مسلبةً بن عبد الملك يوماً إلى بعض صُوبه ، أتى الناس يسألون عليه ، وأنه الكميث بن زيد فيمن أتى ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

توسط مسلبة
بن هشام
والكميث

قف بالديار وقوف زائر . وتأن إنك غير صاغر

حتى انتهى إلى قوله :

يَا مُسْلِمَ بْنَ أَبِي الْوَلِيدِ لِمَ بَشَّرْتَ إِنْ شَفَعْتَ نَاسِرَ
عَلَقْتَ جِبَالِي مِنْ جِبَاهِ لِكَ ذِمَّةَ الْجَارِ الْمَجَاوِرِ
فَالآنَ صَرْتُ إِلَى أُمَيَّةَ وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَائِرِ
وَالآنَ كُنْتُ بِهَ الْمَصِيبِ كُفَّهْتُ بِالْأَمْسِ حَازِرَ

٥

فقال مسلمة : سبحان الله ! من هذا الهندي الجليل ، الذي أقبل من
آخرات الناس فبدأ بالسلام ، ثم أما بعد ، ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكُتَيْبُ
ابن زيد . فأعجب به لفصاحته وبلاغته . فسأله مسلمة عن خبره وما كان فيه طول
غيته . فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه : فضمن له مسلمة أمانه ، وتوجه به حتى
أدخله على هشام ، وهشام لا يعرفه . فقال الكُتَيْبُ : السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته ، الحمد لله - قال هشام : نعم ، الحمد لله ، يا هذا - قال الكُتَيْبُ :
مبتدئ الحيد ومُبتدع ، الذي خص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، وجعله فاتحة
كتابه ، ومتمى شكره ، وكلام أهل جنته : أحمد حمد من علم يقينا ، وأبصر
مستينا ؛ وأشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط ، وحده لاشريك له ، وأشهد
أن محمدا عبده والرسول ، ورسوله الآتى ، أرسله والناس في هبوات حيرة ،
ومُدَّهَمَاتٍ ظُلُمَةٍ ، عند استمرار أبهة الضلال ، فبلغ عن الله ما أمر به ، ونصح
لامته ، وجاهد في سبيله ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

١٠

٦

١٥

ثم إنى يا أمير المؤمنين تهت في حيرة ، وحرّت في سكرة ، اذلّام بي
خطرُها ، وأهاب بي داعيها ، وأجانبى غاويها : فاقطو طأيت^(١) إلى الضلالة ،
وتسكت في الظلمة والجهالة ، حائرا عن الحق ، قائلا بنير صدق . فهذا مقام
العائد ، ومنطق النائب ، ومُبَصَّر الهدى بعد طول العمى ، ثم يا أمير المؤمنين ،
كم من عائر أقلمت عثرته ، ومُجْتَرِم عفوتم عن جُرمه .

٢٠

(١) اقطوطى : قارب في مشيه مع سرعة .

فقال له هشام وأيقن أنه الكميث : وبمك ! مَنْ سَنَّ لك القَوَايِةَ وأهاب بك في العَمَايَةِ ؟

قال : « الذي أخرج أبي آدم من الجنة فَنَبَى ولم يجد له عزماً . وأمير المؤمنين كرج رحمةً أثارت سحاباً متفرقا ، فَلَفَقَتْ بَعْضَهُ إلى بعض حتى التهم فاستحکم ، ومهد رعدُهُ ، وتلألأ بَرْقُهُ : فنزل الأرض فرويتَ وأَخْضَلَتْ وأخضرت وأُشْقِيَتْ ، فروى ظمأُها ، وامتلأ عطشاًها . فكذلك نَعُدُّكَ أنت يا أمير المؤمنين . أضاع الله بك الظَّالِمَةَ الدَّاجِيَةَ بعد المُمُوسِ ^(١) فيها ، وَكَفَى بك دماء قويمٍ أَشْعَرَ خَوْفَكَ قلوبَهُمْ ، فهم يسكون لِمَا يعلون من حزمك وبصيرتك ، وقد عَلِمُوا أَنَّكَ الحرب وابن الحرب ، إذا احزمت الحَدَقَ ، وعَضَّتْ المنافرُ بالهام . عزُّ بأُنتَ ، واستربط جأشُكَ ، سِعْمَارُ هَتَافٍ ، وكافٍ بصيرُ بالأعداء ، مُغْرَى الخيل بالثَّكْرَاءِ ، مُسْتَعْنٍ برأيه عن رأى ذوى الألباب ، برأى أريب ، وحِلْمٌ مُصِيب . فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، وتَمَّ عليه النعما . ودفع به الأعداء . فرضى عنه هشام وأمر له بجائزَةٍ .

المتنى قال : لما أتى بابن هُبَيْرَةَ إلى خالد بن عبد الله القَسْرَى وهو والى العراق ، أتى به مغلولاً مقيداً في مِدرعة . فلما صار بين يدي خالد أَلْفَقَهُ الرجالُ إلى الأرض ، فقال : أيها الأمير ، إن القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على مَنْ قبلك ، فَأَنْشُدُكَ الله أن تَسْتَنِّ في بُسْنَةِ يَسْتَنُّ بها فيك مَنْ بعدك ، فأمر به إلى الحبس . فأمر ابنُ هُبَيْرَةَ غلبانه لُخْفَرُوا له تحت الأرض سرداباً حتى خرج الحُفْرُ تحت سريه ، ثم خرج منه ليلاً وقد أُعِدَّتْ له أفراس يُدَاوِلُهَا ، حتى أتى مسلَّةً بن عبد الملك ، فاستجل به فأجاره ، واستوجه مسلَّةً من هشام بن عبد الملك ، فوجه إياه .

فلما قدم خالد بن عبد الله القَسْرَى على هشام ، وجد عنده ابن هُبَيْرَةَ ، فقال له : إياكَ العبد أَيْقَنَ . قال له : حين نمتَ نومةَ الأَمَةِ . قتل

خلاص ابن هُبَيْرَةَ من خالد القَسْرَى

الفرزدق في ذلك :

لَمَّا رَأَيْتِ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرُهَا ۝ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِطْنُهَا لَكَ غَرْجًا
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا ۝ تَوَى فِي ثَلَاثِ مُطْلِمَاتٍ فَغَرْجًا
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدِ مَرَّتْ لَيْلَةٌ ۝ وَمَا سَارَ بِمِثْلِهَا حِينَ أَدْلَجَا
خَرَجْتَ وَلَمْ تَمْنَنَّ عَلَيْكَ شِفَاعَةٌ ۝ سِوَى حَتِّكَ التَّقَرُّبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا ۝

ابن هبيرة
والناس بعد
تأمين هشام له

ودخل الناس على ابن هبيرة بعد ما أمته هشام بن عبد الملك يشتهونه ويحتمدون
له رأيه ، فقال متمثلاً :

مَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ۝ وَمَنْ يَفْوَى لَا يَتَمَّ عَلَى النَّفْسِ لَا يَمَّا
ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : مَا كَانَ قَوْلُكُمْ لَوْ عَرِضَ لِي أَوْ أَدْرَكْتُ فِي طَرِيقِي ؟

القطامي

١٠ ومثل هذا قول القطامي :

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ ۝ مَا يَشْهَى وَلَا يَمُّ الْمُخْطِئِ الْهَبْلُ

لخصي مسلة
عن خلاص
ابن هبيرة

عبد الله بن سوار قال : قال لي الربيع الحاجب : أحب أن أسمع حديث ابن
هبيرة مع مسلة ؟ قلت : نعم . قال : فأرسل لخصي كان لمسلة يقوم على وضوئه
بجاءه . فقال : حدثنا حديث ابن هبيرة مع مسلة . قال : كان مسلة بن عبد الملك

١٥ يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفل حتى يصبح ، فمدخل على أمير المؤمنين : فإني

لأصب الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضأ ؛ إذ صاح صائح من وراء الزواقي :
أنا بالله وبالأمر . فقال مسلة : صوت ابن هبيرة أخرج إليه . فخرجت إليه ورجعت
فأخبرته . فقال : أدخله . فدخل فإذا رجل يميد نعاساً ، فقال : أنا بالله وبالأمر . قال :

أنا بالله وأنت بالله . ثم قال : أنا بالله وبالأمر . قال : أنا بالله وأنت بالله . حتى قالها ثلاثاً

٢٠ ثم قال : أنا بالله . فسكت عنه ثم قال لي : انطلق به فوضئه وليصل ، ثم اغرض عليه

أحب الطعام إليه فأثبه به ، وأفرش له في تلك الصفة - لصفة بين يدي يوت النساء -
ولا توفقه حتى يقوم متى قام . فانطلقت به فتوضأ وصلى ، وعرضت عليه الطعام

(١) في بعض الأصول : ۝ طلاقة ۝ .

قال : شربة سويق ، فشرب . وفرشتُ له فنام . وجئتُ إلى مسلة فأغلبتُ .
فندا إلى هشام جلس عنده ، حتى إذا حان قيامه قال : يا أمير المؤمنين ، لي حاجة .
قال : قُصِّيتُ ، إلا أن تكون في ابن هُبيرة . قال : رَضِيتُ يا أمير المؤمنين .
ثم قام منصرفاً ؛ حتى إذا كاد أن يخرج من الإيوان . رَجَعَ فقال : يا أمير المؤمنين
ما عودتُني أن تستقني في حاجة من حوائجي ؛ ولاني أكره أن يتحدث الناس أنك
أحدثت عليّ الاستثناء . قال : لا أستقني عليك . قال : فهو ابن هُبيرة
فغفاه عنه .

فضيلة العفو والترغيب

كان للأمون خادم ، وهو صاحب وُضوءه . فبينما هو يصب الماء على يديه
إذ سقط الإناء من يده ، فاغتاظ الأمون عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله
يقول : ﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَيْظُ ﴾ . قال : قد كظمت غيظي عنك . قال : ﴿ وَالْعَافِينَ
عَنِ النَّاسِ ﴾ . قال : قد عفوتُ عنك . قال : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ . قال :
أذهب فأنت حر .

أمر عمر بن عبد العزيز بمقوبة رجل ، فقال له وجاء بن حيوة يا أمير
المؤمنين ، إن الله قد فعل ما يُحِبُّ من الظفر ؛ فافعل ما يُحِبُّه من العفو .
الاصمعي قال : عزم عبد الله بن عليّ على قتل بني أمية بالحجاز . فقال له
عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهم : إذا أسرع
بالقتل في أكفانك فَن تَبَاهِي بِسَاطِئِكَ ؟ فَأَعَفَّ يَعْفُ الله عنك .

دخل ابن خُرَيْم على المهدي ، وقد تَنَبَّ على بعض أهل الشام وأراد أن
يُنزِهم جيشاً ، فقال يا أمير المؤمنين ، عليك بالعفو عن الذنب ، والتجاوز
عن المصيبة ، فلأن تطيعك العرب طاعةً مَحَبَّةً ، خيرٌ لك من أن تُطيعك
طاعةً خوف .

أمر المهدي بضرب عُنُق رجل ، فقام إليه ابن السكك فقال : إن هذا الرجل

المهدي وابن
الساك في رجل
أمر بضرب
عقه

لا يجب عليه ضربُ العنق . قال : فما يجب عليه ؟ قال : تَغْفِرْ عَه ، فإن كان من أجر كان لك دُونُ ، وإن كان من وَزْر كان على دُونِكَ . غُفِّلَ سَبِيلُهُ .

الشمي وابن
هيرة في
محوسين

كَلَّمَ الشَّعْبُ ابنَ هِيرَةَ في قوم حبسهم فقال : إن كنت حبستهم يياطِلُ فالحقُّ يُطْلَقَهُمْ ، وإن كنت حبستهم بحقٍّ فالعفو يَسْعُهُمْ .

أبو سفيان
وحسان بن قريض
بينهما دماء

العني قال : وقعت دماء بين حَيٍّ من قريش ، فأقبل أبو سفيان ؛ فما بقي أحدٌ واضعُ رأسه إلا رفعه . فقال : يامعشر قريش ، هل لكم في الحقِّ أو فيما هو أفضلُ من الحقِّ ؟ قالوا : وهل شيءٌ أفضلُ من الحقِّ ؟ قال : نعم ، العفو . فَبَادَنَ القَوْمُ واصطلحوا .

بين ابن أبي
ملحة وابن
عاتكة حين
ظفر بابن الهلب

وقال هُزَيْمُ بنُ أَبِي طَعْمَةَ ^(١) ليزيد بن عاتكة بعد ظفره يزيد بن المهلب : ما ظلم أحدٌ ظْلَمَكَ ، ولا نصر نصرَكَ ؛ فهل لك في الثالثة نَقْلُهَا ؟ قال : وما هي ؟ قال : ولا عفا عَفْوَكَ .

أبو جعفر وابن
فضالة في رجل
ساقب

وقال المُبَارَكُ بنُ فضالة : كَتَبْتُ عند أبي جعفر جالسا في السَّماط ، إذ أمر برجل أن يُقْتَلَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يومُ الْقِيَامَةِ نادى مُنَادٍ بين يَدَيِ الله : أَلَا مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ الله يَدٌ فَلْيَتَقَدَّمْ فلا يتقدمُ إلا من عفا عن مُذْنِبٍ . فأمر بإطلاقه .

وقال الأحنف بن قيس : أحقُّ الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أقربُ ما يكون العبد من غضبِ الله إذا غَضِبَ .

من أشال
العرب

وتقول العربُ في أمثالها : مَلَكَتْ فَأَنْجِجِ . وَأَرْحَمْ تُرْحَمْ . وَكَاتَدَنَّ تُدَنَّ . ومن بَرٍّ يومًا بَرٌّ بِهِ .

بعد الهمة وشرف النفس

الوليد وثان
ابن جبير

دخل نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ على الوليد ، وعليه كساء غليظ ، وَخُفَّان

(١) في الاصول : دعى بن أبي طلحة ، والتصوب من البيان والتبيين .

جاسيان ، فسلم وجلس ، فلم يعرفه الوليد ؛ فقال لخادم بين يديه : سل هذا الشيخ من هو . فسأله ، فقال له : أعزُب . فعاد إلى الوليد فأخبره . فقال : عد إليه وأسأله ، فعاد إليه ، فقال له مثل ذلك . فضحك الوليد وقال له : من أنت ؟ قال : نافع بن جبير بن مطعم .

- وقال زياد بن ظليان لابنه عبيد الله : ألا أوصي بك الأمير زياداً ؟ قال : يا أبت ، إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحى هو الميت .

زياد بن ظليان
وابنه في الوصية
به

وقال معاوية لمعرو بن سعيد : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلى ولم يوص في أقال ويوم أوصى إليك ؟ قال : ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه .

معاوية ومعرو
ابن سعيد

- وقال مالك بن يسلم لعبيد الله بن زياد بن ظليان : ما في كنانتي سهم أنا به أولئق متى بك . قال : وإني لفي كنانتك : أما والله إن كنت فيها قائماً لأطولئها ١٠ ولئن كنت فيها قاعدا لأخزئها . قال : كثر الله مثلك في العشرة . قال : لقد سألت الله شططا .

ابن يسلم
وعبيد الله بن
ظليان

وقال يزيد بن المهلب : ما رأيت أشرف نفساً من الفرزدق ، هجاني مليكا ومدحني سوقة .

لابن المهلب
في الفرزدق

- وقدم عبيد الله بن زياد بن ظليان على عتاب بن ورقاء الرياحي وهو والي خراسان ، فأعطاه عشرين ألفاً ؛ فقال له : والله ما أحسنت فأحمدك ، ولا أسأت فألومك ؛ وإنك لأقرب البعداء ، وأحب البغضاء .

ابن ظليان
وعتاب الرياحي

- وعبيد الله بن زياد بن ظليان هذا هو القائل : والله ما ندمت على شيء قط ندي على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيت برأس مصعب بن الزبير فخرقه ساجداً . ألا أكون قد ضربت عنقه فأكون قد قتل ملكين من ملوك العرب في ٢٠ يوم واحد .

ومن أشرف الناس همّة عقيل بن علفة المرّي ؛ وكان أعرابياً يسكن البادية وكان يُصهر إليه الخلفاء ، وخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنه لأحد أولاده فقال له جئتني هنيئاً ولديك .

من همّة ابن علفة

عمر بن عبد العزيز
وعقيل بن علفة

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من بني أمية كان له أخوال في بني مُرّة . قُبِحَ
الله شَبَاباً غَلَبَ عليك من بني مُرّة . فبلغ ذلك عقيل بن علفة ، فأقبل إليه فقال له
قبل أن يبتدئه بالسلام : بلغني يا أمير المؤمنين أنك غضبت على رجل من بني عمك
له أخوال في بني مُرّة ، فقلت : قُبِحَ الله شَبَاباً غَلَبَ عليك من بني مُرّة ! وأنا أقول :
قُبِحَ الله أَلَامَ الطَّرْفَيْنِ ، ثم انصرف .

فقال عمر بن عبد العزيز : من رأى أعجب من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية
ليست له حاجة إلا شَتَمْنَا ثم أنصرف ؟ فقال له رجل من بني مُرّة : والله
يا أمير المؤمنين ما شَتَمَكَ ، وما شَتَمَ إلا نفسه ، نحن والله أَلَامُ الطَّرْفَيْنِ .

من غيرة
عقيل

أبو حاتم السجستاني عن محمد بن العنبي بن عبد الله ، قال : سمعتُ أبي يحدث
عن أبي عمرو المزني ، قال : كان بنو عقيل بن علفة بن مُرّة بن عَطَفَانِ يَنْتَقِلُونَ
وَيَنْتَعِمُونَ الْفَيْتَ فسمع عقيل بن علفة بنتاً له ضحككت فَشَهَقَتْ في آخر ضحكها
فَأَخْطَرَتِ السَّيْفَ وحل عليها وهو يقول :

فَرِقْتُ لِي رَجُلٌ قَرَوُوقُ . لِيَضَعَكِي أَخْرَاهَا شَيْهَقُ
وقال عقيل :

إِنِّي وَإِنْ سَبَقَ إِلَيَّ الْمَهْرُ . أَلْفُ وَعُجْدَانُ وَذَوْدُ عَشْرُ
• أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَى الْقَبْرِ •

وقال الأصمعي : كان عقيل بن علفة المُرِّي رجلاً غيورا ؛ وكان يُصْهَرُ إِلَيْهِ
الْخُلَفَاءُ ، وإذا خرج يمتار خرج بآبنته الجرباء معه ، قال : فَنَزَلُوا دَيْرًا مِنْ دِيرَةِ
الشَّامِ ، يقال له دَيْرُ سَعْدٍ ، فلما أَرْتَحَلُوا قال عقيل :

فَقَضْتُ وَطَرَكَ مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطَالَمَا . عَلَى عُرْضِ نَاطِلَعَتِنَا بِالْجَمَاهِمِ^(١)

ثم قال لابنه : يَا عَمَلَسُ أَجْزُ . فقال :

فَأَصْبَحَنَ بِالْمَوَامَةِ يَحْمِلُنَ فِتْنَةً . نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَامِمِ

(١) في بعض الأصول : • وربما • على عرض منها بدير الجماهيم .

ثم قال لأبنته : يا جَرَبَاءُ اجِيزِي . فقالت :

كَانَ السَّكْرَى اسْقَامُ صَرَحْدِيَّةَ . عَقَارًا تَمْشِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ

قال : وما يُدْرِيكَ أَنْتِ مَا نَعْتُ الْحَزْرَ ؟ فَأَخَذَ السَّيْفَ وَهَوَى نَحْوَهَا ؛ فَاسْتَعَانَتْ

بِأَخِيهَا عَمَّاسَ ، فَخَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ، قَالَ : فَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ ، قَالَ : فَرَمَاهُ [عَمَّاسَ]

بِسَهْمٍ فَاخْتَلَتْ تَخْفِيزُهُ فَبَرَكَ ، وَمَضَوْا وَتَرَكَوهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا أَذْنَى مَاءٍ لِلْأَعْرَابِ ،

قَالُوا لَهُمْ : إِنَّا أَنْشَقَطْنَا جَزُورًا فَأَدْرِكُوهَا وَخَلُّوا مَعَكُمْ الْمَاءَ . فَعْمَلُوا ، فَإِذَا عَقِيلٌ

بَارَكٌ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنَّ بَنِي زَمَلُونِ بِاللَّيْلِ . شِدْشِنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخَزَمِ

* مِنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ *

والشَّنْشَنَةُ الطَّيْصَةُ . وَأَخَزَمٌ لُحْلٌ مَعْرُوفٌ . وَهَذَا مِثْلُ الْعَرَبِ .

وَمِنْ أَعَزَّ النَّاسِ نَفْسًا وَأَشْرَفَهُمْ مِمَّا : الْأَنْصَارُ ، وَهِيَ الْأَوْسُ وَالْحَزْرَجُ ابْنَا قَيْلَةَ ،

لَمْ يُوَدِّدُوا إِنَاوَةَ قَطٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِمْ تَبِعْ يَدْعُوكُمْ

إِلَى طَاعَتِهِ وَتَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ؛ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ :

الْعَبْدُ تَبِعَ كَمْ يَوْمُ قِتَالِنَا . وَمَكَانُهُ بِالْمَنْزِلِ الْمُنْذَلِّ

إِنَّا أَنَا نَسْأَلُ لَا نَسْأَلُ بِأَرْضِنَا * عَصَى الرَّسُولَ يَنْظُرُ أَمَّ الْمُرْسَلِ

فَنَزَاهُمْ تَبِعَ أَبُو كَرَبٍ ، فَكَانُوا يُقَاتِلُونَهُ نَهَارًا وَيَخْرُجُونَ إِلَيْهِ الْفَرَى يَلَا ،

فَتَلَسَّمُ مِنْ قِتَالِهِمْ وَرَحَلَ عَنْهُمْ .

وَدَخَلَ الْفَرَزْدَقُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتِ ؟ وَتَجِبْ لَهُ

كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ . فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : وَمَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :

أَنَا مِنْ قَوْمِ مَتَمِّ أَوْفَى الْعَرَبِ ، وَأَسْوَدُ الْعَرَبِ ، وَأَجُودُ الْعَرَبِ ، وَأَحْلَمُ الْعَرَبِ ،

وَأَفْرَسُ الْعَرَبِ ، وَأَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَتُبَيِّنَنَّ مَا قُلْتَ أَوْ لِأَوْجِعَنَّ ظَهْرَكَ

وَلَا هَدِمَكَ دَارَكَ .

قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَمَا أَوْفَى الْعَرَبِ لِحَاجِبِ بْنِ زُرَّارَةَ الَّذِي رَهَنَ

الأوس
والحزرج

قوسه عن جميع العرب فوقى بها ، وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذي وقد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبسط له رداه وقال : هذا سيد الوبر . وأما
أحلم العرب فنتاب بن ورقاء الرياحي . وأما أفرس العرب فالحرث بن هلال^(١)
السعدي ، وأما أشعر العرب فهانذا بين يديك يا أمير المؤمنين .

٥ فانغم سليمان بما سمع من غره ولم ينكره ، وقال أرجع على عقيبك ، فما لك
عندنا شيء من خير . فرجع الفرزدق وقال :

أَتَيْنَاكَ لَا مِنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا ۖ إِلَيْكَ ، وَلَا مِنْ قَلَّةٍ فِي مُجَاشِعِ

وقال الفرزدق في الفخر :

بَنُو دَارِمٍ قَوْمِي تَرَى حُجْرَاتِهِمْ ۖ عِتَاقًا حَوَاشِيهَا رِقَاقًا نِمَالُهَا

١٠ يَجْزُونَ هُدَابَ الْيَمَانِ كَأَنَّهُمْ ۖ سُيُوفٌ جَلَا الْأَطْبَاعَ عَنْهَا صِقَالُهَا

وقال الأحوص في الفخر : وهو أغفر بيت قاله العرب :

مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تَكْبِي أَرْمَى بِهَا ۖ إِلَّا تُشْرِفُنِي وَتَرْفَعُ شَأَنِي

ولذا سألت عن الكرام وجدتي ۖ كالشمس لا تخفى بكل مكان

للفرزدق في
الفخر

للأحوص
في مثله

بردا محرق
وعاصم بن
أحيس

١٥ وقال أبو عبيدة : اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر ، فأخرج
إليهم بُردى محرق ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما . فقام عاصم بن
أحيس السعدي فأترز بأحدهما وارتنى بالآخر ؛ فقال له النعمان : بم أنت أعز
العرب ؟ فقال : العز والعدد من العرب في معد ، ثم في نزار ، ثم في نعيم ، ثم في
سعد ، ثم في كعب ، ثم في عوف ، ثم في بهلة ؛ فن أنكر هذا من العرب
فلينافرن . فسكت الناس .

٢٠ ثم قال النعمان : هذه حالك في قومك ، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك ؟
قال : أنا أبو عشرة ، وعال عشرة ، وعم عشرة ؛ وأما أنا في نفسي فهذا شاهدي .
ثم وضع قدمه في الأرض ثم قال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل .

(١) في بعض الأصول : الحرث بن هلال ، وهو تحريف .

فلم يبق إليه أحد . فذهب بالبُرْدَيْن . فقيه يقول الفرزدق :

فما نَمَّ في سَعْد ولا آلِ مالِك * غُلامٌ إذا ما سِيلَ لم يَتَهَدَّلْ
لَمْ وَهَبِ الثُّعْلَانُ بُرْدَيَّ مُحَرَّق * يَمْجِدُ مَعْدَ وَالْعَدِيدُ الْحَصْلُ

وفي أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة ، كانت الإفاضة في الجاهلية . ومنهم
بنو صفوان الذين يقول فيهم أوس بن مَعْرَاء السَّعْدِي :

يتسعد مناة
وشعر أوس
فيهم

ولا يَرِمُونَ في التَّعْرِيفِ مَوْفَقَهُمْ * حتَّى يَقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا
مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا * ولا تَقَيَّبُ إِلَّا عِنْدَ أَخْرَانَا
وقال الفرزدق في مثل هذا المعنى :

للفرزدق

رَأَى النَّاسَ مَا سِرْنَا سِيرُونَ خَلَقْنَا * وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَتَقَوْنَا

وكانت هُنَيْدَةُ بنت صَعْصَعَةَ عمّة الفرزدق تقول : مَنْ جَاءَتْ مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ
بِأَرْبَعَةٍ كَأَرْبَعِي يَمِيلُ لَهَا أَنْ تَضَعَ يَخَاوُهَا عِنْدَهُمْ ، فَيُرْمِي لَهَا : أَيْ صَعْصَعَةَ ،
وَأَخِي غَالِبَ ، وَغَالِي الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسَ ، وَزَوْجِي الزُّبْرَقَانَ بْنِ بَدْرِ الْفُسَيْمِيِّ
ذَاتِ الْخَلَدِ .

لهُنَيْدَةُ فِي
النَّفَرِ

وَمِنْ شَرَفَتْ نَفْسَهُ وَبَعْدَتْ هِمَّتُهُ ، طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْخُرَاسَانِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ

لَمَّا قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدَةَ ، وَخَافَ الْمَأْمُونُ أَنْ يَنْدِرَ بِهِ ، أَمْتَنَعَ عَلَيْهِ بِخُرَاسَانَ وَلَمْ
يُظْهِرْ خُطْمَهُ .

وقال دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَمِّهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ
مَوْلَى خَزَاعَةَ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ خَزَاعِيٌّ :

أَيْسُوْمُنِي الْمَأْمُونُ خُطْمَةَ عَاجِزٍ * أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ
يُوفِي عَلَى رَأْسٍ " الْخِلَاقُ مِثْلَ مَا * تُوْفِيَ الْجِبَالُ عَلَى رُءُوسِ الْقَدَفِ
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ * قَتَلُوا أَخَاكَ وَشَرَفُوكَ بِقَعْدِ
رَغْوَا عَمَلَكُ بَعْدَ طَوْلِ نَحْوِهِ * وَاسْتَفْدُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ

٢٠

وقال طاهر بن الحسين ^(١) :

لطاهر بن
الحسين

عَصَيْتُ عَلَى الدُّنْيَا فَأَنْهَيْتُ مَحَوْتَ . وَأَعْتَبْتُهَا مَتَى يَأْخُذُ الْبَنَاتِيفِ
قُلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّمَا . بَقِيتُ عَنْاءَ بَعْدَهُ لِلْخَلَائِفِ
وَأَصْبَحْتُ فِي دَارٍ مَقِيمًا كَمَا تَرَى . كَأَنِّي فِيهَا مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ
وَقَدْ بَقِيتُ فِي أُمِّ رَأْسِي فَتَكَ . فَإِنَّمَا لِرُشْدٍ أَوْ لِرَأْيٍ خُلَافِ

فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة :

لابن مسلمة في
الرد على طاهر

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا كُنْتُ رَاضِيًا . فَلَا أَتَعَبْتُ إِلَّا يَأْخُذُ الْبَنَاتِيفِ
فَإِنِ أَنْتَ أَوْ مَا أَنْتَ يَا فَفَعَّ قَرَّرَ . إِذَا أَنْتَ مِتْنَا لَمْ تَعْلُقْ بِكَافِيفِ
فَنَحْنُ بِأَيْدِينَا هَرَقْنَا دِمَاءَنَا . كَثُورَ تَهَادَى الْمَوْتِ عِنْدَ التَّزَاحِفِ
سَتَعْلَمُ مَا نَحْنِي عَلَيْكَ وَمَا جَنَّتْ . يَدَاكَ فَلَا تَفْغَرُ بِقَتْلِ الْخَلَائِفِ
وَقَدْ بَقِيتُ فِي أُمِّ رَأْسِكَ فَتَكَ . سَخَّرَ جَاهُ مِنْهُ بِأَسْمَرٍ رَافِيفِ

وقال عبد الله بن طاهر :

لابن طاهر في
الفر

مُدْمِنُ الْإِفْضَاءِ مُوَصُولُ . وَمُدْمِنُ الْعَتَبِ مَمْلُوكُ
وَمُدْمِنُ الْبَيْضِ فِي ثَعْبٍ . وَغَرِمُ الْبَيْضِ مَمْلُوكُ
وَأَخُو الْوَجْهِينِ حَيْثُ دَمَى . يَهْوَاهُ فَهُوَ مَدْخُولُ
أَقْصَرَى عَمَّا طَمَعَتْ لَهُ ^(٢) . فَفَرَاغِي عَنْكَ مَشْغُولُ
سَأَلَنِي عَنْ تَسَائُلِي . قَدْ يَرُدُّ الْخَيْرُ مَسْئُولُ
أَنَا مَنْ تُعْرِفُ نِسْبَتَهُ . سَلَفِي الْفُرُّ الْبَهَائِلُ
سَلِّ يَوْمَ تَنْبِيكِ تَحْدِثُهُمْ . مَشْرِقِيَّاتِ مَصَاقِلِ
كُلُّ عَضْبٍ مُشْرَبٌ عَلَقًا . وَغِرَاؤُ الْحَدِّ مَفْزُولُ
مُصْعَبٌ جَدَى قَيْبُ بَنِي . هَاشِمٍ وَالْأَمْرُ مَجْزُولُ

(١) في بعض الأصول : وهو القاتل .

(٢) في بعض الأصول : لهجت به .

- وَحِينَ رَأَى دَعْوَتَهُمْ . بَعْدَهُ ، وَالْغَيْثُ مُقْبِلٌ
وَأَيُّ مَنْ لَا كِفَاةَ لَهُ . عَنِ يُسَامَى جَسَدَهُ قَوْلُوا
صَاحِبُ الرَّأْيِ الَّذِي حَلَّتْ * رَأْيُهُ الْقِسْمُ لِلْمَحَاسِلِ
حَسَلٌ مِنْهُمْ بِالْفَرَا شَرَفًا * دَوْنَهُ عَزٌّ وَتَجَمُّلٌ
تُفْصِحُ الْأَنْبَاءَ عَنْهُ إِذَا . أَسْكَتَ الْأَنْبَاءَ بِجَهْلٍ
سَلَّ بِهِ الْجَبَارُ يَوْمَ غَدَا * حَوْلَهُ الْجُرُودُ الْأَبَايِلُ
إِذْ عَلَتْ مَقَرَّتُهُ ^(١) يَدُهُ * نَوَاطِلُهَا أَيْضُ مَصْغُولُ
أَبْطَنَ الْخُضُوعُ كُلَّكَ . وَحَوَالِيهِ الْقَاوِيلُ
فَلَوَى وَالتَّرَبُّ مَصْرَعُهُ * غَالَ عَنْهُ مُلْكُهُ غُولُ
قَادَ جَيْشًا نَحْسَوْا بِأَبْلِهِ * ضَاقَ عَنْهُ الْقَرَضُ وَالْعُطُولُ
وَهَيُّوا لَهُ أَهْنَتَهُمْ * لَا مَعَاذِلُ وَلَا مِيسِلُ
مَلِكٌ تَجَنَّحَ صَوْلَتِهِ . وَنَدَاهُ الدَّهْرُ مَبْذُولُ
تُرِعَتْ مِنْهُ تَمَائِمُهُ * وَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ
وَتَرُّهُ يُسَمَّى إِلَيْهِ بِهِ . وَدَمٌ يَحْنِيهِ مَطْلُولُ

- فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة ، وكان من أصحابه وآثرهم عنده ، ثم اعتذر إليه
وزعم أنه لم يقدِّعه إلى إجابته إلا قوله :

لأن مسلمة
في الرد عليه

• من يسامى مجده قولوا •

فأمر له بمائة ألف وزاده أثره ومنزلة :

- لَا يَرْعُكَ الْقَالُ وَالْقَيْلُ . كُلُّ مَا بُلِّغْتَ تَضْلِيلُ
مَا هَوَى لِي كُنْتُ أَهْرَهُ * يَهْوَى غَيْرِيكَ مَرْسُولُ
أَيُّخُونَ الْعَهْدَ ذَوْقُهُ * لَا يَخُونُ الْعَهْدَ مَتْبُولُ
حَلَّتْنِي كُلُّ لَائِمَةٍ . كُلُّ مَا حَلَّتْ بِمَحْوُلُ

(١) في بعض الأصول : • من فوته • .

وأحكي ما شفيت وأحكى . فخرأى لك تحليل
 أين لي عنك إلى بدل . لا بديل منك مقبول
 ما لدارى منك مقبرة . وضيرو منك مأمول
 وبدأت يوم الوداع لنا . غادة كالأشمس عطلول
 تتعاطى شد مزرها . ونطاق الحصر حول
 شملنا إذ ذلك جميع . وجناح البين مشكول
 ثم ولت كى تودعنا . كحلها بالسمع منسول
 أيها البادى بطيته . ما لأغلاطك تحصيل
 قد تأولت على جهة . ولنا ونجك تأويل
 إن دليلاك يوم غدا . بك فى الحين ليضليل
 قاتل المخلوع مقتول . ودم القاتل مطلول
 قد يحون الرشح عامله . وسنان الرشح مصقول
 وينال الوتر طالبه . بعد ما تسول المتاكل
 يا أعا المخلوع طلت يدا . لم يكن فى باعها طول
 ويتعمأه الذى كحرت . جالت الخيل الأبايل
 وبراع غير ذى شفي . طلت تلك الأفاعيل
 يابن بنت النار موقعا . ما لعاذه سراويل
 من حسن من أبوه ومن . مصعب غالتهم غول
 إن خير القول أصدقه . حين تصطك الأقاويل

مراسلات المملوك

٢٠

جزائر ملك
العين إلى مكة

العتي عن أبيه ، قال : أهدى ملك العين عشر جزائر إلى مكة ، وأمر أن
 ينحرها أعز قرشي ؛ فقتلت وأبو سفيان عروس يهد بنت حنينة ، فقالت له :

أيها الرجل ، لَا يَشْفَعُكَ النَّسَاءُ عَنْ هَذِهِ الْمَكْرَحَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا أَنْ تَفْرُتَكَ . قَالَ لَهَا :
بَاهِنَهُ ، دَعَى زَوْجَكَ وَمَا يَخْتَارُهُ لِنَفْسِهِ ! وَاقِهِ مَا نَحَرَهَا غَيْرِي إِلَّا تَحَرُّتُهُ ! فَكَانَتْ
فِي حُلَّيْهَا حَتَّى خَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَتَحَرَّهَا .

زهير عن أبي الجُوزية الجَرْمِيّ ، قَالَ : كَتَبَ قَيْصَرٌ إِلَى مَعَاوِيَةَ : أَخْبِرْنِي عَنْ
لَا قِيْلَةَ لَهُ ، وَعَنْ لَا أَبَ لَهُ ، وَعَنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ ، وَعَنْ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ ، وَعَنْ
ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ فِي رَحِمٍ ، وَعَنْ شَيْءٍ ، وَنُصْفِ شَيْءٍ ، وَلَا شَيْءٍ : وَأَبْعَثْ
إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْقَارُورَةِ بِزُرِّ كُلِّ شَيْءٍ .

بين قيصر
ومعاوية

فَبَعَثَ مَعَاوِيَةُ بِالْكِتَابِ وَالْقَارُورَةِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : أَمَّا مَنْ لَا قِيْلَةَ لَهُ
فَالْكَبَّةُ . وَأَمَّا مَنْ لَا أَبَ لَهُ فَنَيْسَى . وَأَمَّا مَنْ لَا عَشِيرَةَ لَهُ فَآدَمُ . وَأَمَّا مَنْ
سَارَ بِهِ قَبْرُهُ فَيُونُسُ . وَأَمَّا ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَمْ تُخْلَقْ فِي رَحِمٍ ، فَكَبَشُ إِبْرَاهِيمَ ، وَنَاقَةُ
ثَمُودَ ، وَحِيَّةُ مُوسَى . وَأَمَّا شَيْءٌ ، فَالرَّجُلُ لَهُ عَقْلٌ يَعْمَلُ بِعَقْلِهِ : وَأَمَّا نُصْفُ شَيْءٍ ،
فَالرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَيَعْمَلُ بِرَأْيِ ذَوِي الْعُقُولِ ، وَأَمَّا لَا شَيْءٍ ، فَالَّذِي لَيْسَ لَهُ
عَقْلٌ يَعْمَلُ بِهِ وَلَا يَسْتَعِينُ بِعَقْلِ غَيْرِهِ . وَمَلَأَ الْقَارُورَةَ مَاءً وَقَالَ : هَذَا
بِزُرِّ كُلِّ شَيْءٍ .

فَبَعَثَ بِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ ، فَبَعَثَ بِهِ مَعَاوِيَةُ إِلَى قَيْصَرٍ : فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ
وَالْقَارُورَةُ ، قَالَ : مَا خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ .

نُعَيْمُ بْنُ حَمَادٍ قَالَ : بَعَثَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ كِتَابًا فِيهِ :
مِنْ مَلِكِ الْأَمْلَاقِ الَّذِي هُوَ ابْنُ أَلْفِ مَلِكٍ ، وَالَّذِي تَحْتَهُ ابْنَةُ أَلْفِ مَلِكٍ ،
وَالَّذِي فِي مَرْبِطِهِ أَلْفُ فِيلٍ ، وَالَّذِي لَهُ نَهْرَانِ يُنْبِتَانِ الْعُودَ وَالْأَلْوَةَ وَالْجُوزَ
وَالْكَافُورَ ، وَالَّذِي يَرْجِدُ رِيحُهُ عَلَى مَسِيرَةِ آتْنِي عَشْرَ مِيلًا ، إِلَى مَلِكِ الْعَرَبِ الَّذِي
لَا يُشْرِكُ بِإِلَهِاتِهِ شَيْئًا .

من ملك الهند
إلى عمر بن
عبد العزيز

أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَهْدِيَّةً ، وَمَا هِيَ بِبَهْدِيَّةٍ وَلَكِنهَا تَحْتُهُ : قَدْ أُجِيبْتُ
أَنْ تَبْعَثَ إِلَيَّ رَجُلًا يَعْلَمُنِي وَيُبَهِّمُنِي الْإِسْلَامَ . وَالسَّلَامُ .
بَعْنَى بِالْهَدِيَّةِ : الْكِتَابُ .

الرياشي قال : لما هدم الوليدُ كنيسةَ دمشق ، كتب إليه ملك الروم :
 إنك هدمتَ الكنيسةَ التي رأى أبوك تركها ، فإن كان صواباً فقد أخطأ
 أبوك ، وإن كان خطأ فما عُدرك .

بين ملك الروم
والوليد في هدم
كنيسة دمشق

فكتب إليه : ﴿ وداوودَ وسليمانَ إذ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمٌّ
 الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۝ ﴾ .

بين ملك
الروم وعبد
الملك بن مروان

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان : أكلت لحم الجبل الذي هرب
 عليه أبوك من المدينة . لأُعزِّبَكَ جنوداً مائة ألف ومائة ألف .

فكتب عبدُ الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى عبد الله بن الحسن ^(١) ويتوَعَّده
 ويكتبَ إليه بما يقول . ففعل ، فقال عبد الله بن الحسن : « إن لله عزَّ وجل
 لوحاً محفوظاً يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ، ليس منها لحظة إلا يُحيي فيها ويميت
 ويُعزِّز ويُذلِّ ويضع ما يشاء ، وإنِّي لأرجو أن يكفينيك منها بلحظة واحدة » .

فكتب به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وكتب به عبد الملك إلى ملك
 الروم . فلما قرأه قال : ما تخرَجَ هذا إلا من كلام النبوة .

بين ملك
الهند والرشيد

بعث ملك الهند إلى هارون الرشيد بسيف قلعية ، وكلاب سُورية ، وثياب
 من ثياب الهند .

فلما أتته الرسلُ بالهدية أمر الأتراك فصَفُّوا صفين ولبسوا الحديد حتى لا يرى
 منهم إلا الحديد ، وأذن للرسل فدخلوا عليه ، فقال لهم : ما جئتم به ؟ قالوا : هذه
 أشرفُ كسوة بلدينا . فأمر هارون القطَّاع بأن يقطع منها جلالاً وبراقع كثيرة
 لحيله فصَلَّبَ الرُّسُلَ على وجوههم ، وتذمَّروا ونكسوا رؤوسهم . ثم قال لهم
 الحاجب : ما عندكم غير هذا ؟ قالوا له : هذه سيوف قلعية لا نظير لها . فدعا
 هارون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب ، فقطعت به السيوفُ بين يديه سيفاً
 سيفاً كما يُقطُّ الفجل ، من غير أن تنفثي له شفرة ، ثم عرض عليهم حدَّ السيف
 فإذا لا فلَّ فيه ؛ فصَلَّبَ القومَ على وجوههم .

(١) في بعض الأصول : « على بن الحسن » .

ثم قال لهم : ما عندكم غير هذا ؟ قالوا : هذه كلاب سُورِيَّة لا يلقاها سبيح إلا عقرته . فقال لهم هارون : فإن عندى سُبُعا ، فإن عقرته فهي كما ذكرتم . ثم أمر بالأسد فأخرج إليهم ، فلما نظروا إليه هالهم ، وقالوا : ليس عندنا مثل هذا السَّبُع في بلدنا ! قال لهم هارون : هذه سباع بلدنا . تلوى قترسلها عليه . وكانت الأكبُ ثلاثة ، فأُرسلت عليه فرقتُه ، فأعجب بها هارون ، وقال لهم : تمنوا في هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا . قالوا ما تمنى إلا السيف الذي قطعت به سيفنا . قال لهم : هذا مما لا يجوز في ديننا أن نهديكم بالسلاح ، ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم ، ولكن تمنوا غير ذلك ما شئتم . قالوا : ما تمنى إلا به . قال : لا سبيل إليه . ثم أمر لهم بشعف كثيرة ، وأحسن جازتهم .

- ١٠ أبو جعفر البغدادى قال : لما أقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المأمون وأخذ حفره ، أذب له المأمون وصيغاً بأحسن الآداب ، وعلّه فنون العلم ، ثم أهداه إليه مع الطاف كثيرة من طرائف العراق وقد واطأه على أن يسسه ، وأعطاه سمّ ساعة ، ووعدته على ذلك بأموال كثيرة : فلما انتهى إلى خراسان وأوصل إلى طاهر الهدية ، قيل الهدية وأمر بإزالة الوصيف في دار ، وأجرى عليه ما يحتاج إليه من التوسعة في النزالة ، وتركه أشهرأ . فلما برم الوصيف ١٥ بمكانه ، كتب إليه :

بين المأمون
وطاهر بن
الحسين

باسمى ، إن كنت تقبلنى فاقبلنى ، وإلا فردنى إلى أمير المؤمنين .

- فأرسل إليه وأوصله إلى نفسه . فلما انتهى إلى باب المجلس الذى كان فيه ، أمره بالوقوف عند باب المجلس ، وقد جلس على ليدٍ أبيض وقرع رأسه وبين يديه مصحف منشور ، وسيفٌ مسلول . فقال : قد قبلنا ما يبعث به أمير المؤمنين ٢٠ ضرك ، فإنا لا نقبلك ، وقد صرّفناك إلى أمير المؤمنين . وليس عيبى جواب أكتبه إلا ما ترى من حالى . فأبلغ أمير المؤمنين السلام وأغلبه بالمال التمدد رأيتنى فيها .

فلما قدم الوصيف على المأمون وكله بما كان من أمره ووصف له الحالة

التي رآه فيها ، شاور وزراءه في ذلك وسألهم عن معناه . فلم يَعْلَمْهُ واحدٌ منهم . فقال المأمون : لكني قد فهمت معناه : أما تَقْرِئُهُ رَأْسَهُ وجُلُوسَهُ على اللَّبَدِ الأبيض ، فهو يخبرنا أنه عبد ذليل ؛ وأما المصحف المنثور ، فإنه يذكرنا باليهود التي له علينا ؛ ولما السيف المسلول ، فإنه يقول : إن نُكَيْتَ تلك اليهود فهذا يحكم بيني وبينك . أغلقوا عنا بابَ ذِكْرِهِ ولا تَبْجِهوه في شيء مما هو فيه .

فلم يَبْجِهْهُ المأمونُ حتى مات طاهرُ بن الحسين ، وقام عبدُ الله بن طاهر مكانه : فكان أخفَّ الناس على المأمون .

بينهما في
ابن السدي

وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون في إطلاق ابن السدي من حبسه ، وكان عامله على مصر فمزله عنها وحبسه ؛ فأطلقه له وكتب إليه :

أخي أنت ومولاي . فما تَرْضَاهُ أَرْضَاهُ

وما تَهْوِي من الأمر . فإني أنا أهواه

لَكَ اللهُ على ذاك . لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

١٠

كِتَابُ الْيَقُوْتَةِ

فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

فَرَشَ كِتَابُ الْيَقُوْتَةِ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

- قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في غنطة الملوك ومقاماتهم وما تفتنوا فيه من بديع حكمهم ، والتزلف إليهم بحسن التوصل ولطيف المعاني ، وبارع متعلمهم وأختلاف مذاهبهم
- ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في العلم والأدب ؛ فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا ، ومرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية ؛ وهما مادة العقل ، وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح ؛ وقد جمل الله بلطيف قدرته وعظيم ساطعانه بعض الأشياء عمداً ١٠ لبعض ومثولداً من بعض . فإجالة الوم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر ، وخواطر الذكر تنبّه روية الفكر . وروية الفكر تُثير مكامن الإرادة ، والإرادة تحكم أسباب العمل . فكل شيء يقوم في العقل ويمثل في الوم يكون ذكراً ، ثم فكراً ، ثم إرادة ، ثم عملاً . والعقل متقبل للعلم ، لا يعمل في غير ذلك شيئاً .
- والعلم عِلَان : علمٌ مُجَل ، وعلمٌ اسْتُعْمِل ؛ فإسْحَل منه ضرر . وما استعمل ١٥ نفع . والدليل على أن العقل إنما يعمل في تقبل العلوم كالبصر في تقبل الألوان والسمع في تقبل الأصوات : أن العاقل إذا لم يُعلم شيئاً كان كمن لا عقل له . والطفل الصغير لم تدرّه أدبا وتلقّنه كتاباً كان كالبهائم وأصل الدواب فإن زعم زاعم فقال : إنا نجد عاقلاً قليل العلم ، فهو يستعمل عقله في قلة عليه فيكون أسد رأياً وأبنة فطنة وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة ٢٠ العقل . فإن حججنا عليه ما قد ذكرناه من حُل العلم وأستعماله ؛ فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب .

قيل للهلبي : بم أدركت ما أدركت ؟ قال : بالعلم . قيل له : فإن غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت . قال : ذلك علمٌ حُل وهذا علمٌ استعمل . وقد قالت الحكماء : العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود ؛ فإذا كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً ، وإذا اجتمعا أنابت طوعاً أو كرهاً .

فنون العلم

قال سهل بن هارون وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن ينظروا فيه ، وقد يُرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال . فقال المأمون : « قد يُسمى بعض الناس الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كان هذا أردت فوجهه الذي ذكرت . »

ولو قلت أيضاً إن العلم لا يدرك غوره ، ولا يُسبر قعره ، ولا تُبلغ غايته ، ولا تُستقصى أصوله ، ولا تنضب أجزاؤه ، صدقت : فإن كان الأمر كذلك فابدأ بالأمم فالأمم ، والأوكد فالأوكد ، وبالفرس قبل النفل ، يكن ذلك عدلاً قصداً ومنهجاً جميلاً .

وقد قال بعض الحكماء : لست أطلب العلم طمعاً في غايته والوقوف على نهايته ، ولكن التماس ما لا يتسع جهله . فهذا وجه لما ذكرت .

وقال آخرون : علم الملوك النسب والخبر ، وعلم أصحاب الحروب درس كتب الأيام والسير ، وعلم التجار الكتاب والحساب . فأما أن يسمى الشيء علماً وينتهي عنه من غير أن يُسأل عما هو أضع منه ، فلا .

وقال محمد بن إدريس رضى الله عنه : العلم عِلان : علم الأبدان ، لا بن إدريس وعلم الأديان .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة : من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً

واحدا ، ومن أراد أن يكون أدبياً فليقتن^(١) في العلوم .

ابن يوسف القاضى : ثلاثة لا يسألون من ثلاثة : من طلب الدين بالفلسفة^(٢) لم يسلم من الزندقة ، ومن طالب المال بالكيفية لم يسلم من الفقر ، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

ابن سيرين وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى : العلم أكثر من أن يحاط به ، غفدوا من كل شيء أحسنه .

ابن عباس وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل . وقال الشاعر : لبض الشعراء

وما من كاتب إلا سبقه كتابته وإن قنيت يده
فلا تكتب بكفك غير شيء . يسرك في القيامة أن تراه
وقال الأصمى : وصلت بالملح وثلث بالغير .

لهم وقالوا : من أكثر من النحو حقه ، ومن أكثر من الشعر بدله ، ومن أكثر من الفقه شرفه .

ابن نواس وقال أبو نواس الحسن بن هانئ : ١٥

كم من حديث عجيب عندي لكا * لو قد نبتت به إليك لمركا
مما تحسره الرواة هذب * كالدر متظلماً بنهر فلكا^(٣)
أتتبع العلماء أكتب عنهم * كيما أحدث من أقيت فيضحكا

الحض على طلب العلم

ابن ماجة قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل .

(١) في بعض الأصول : فليقتن .

(٢) في بعض الأصول : : النجوم لم يسلم

(٣) فلك : استدار .

- وقال عليه الصلاة والسلام : الناس عالم ومتعلم ، وسائرهم حمج .

وعنه صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم .
إرضا بما يطلب . ولَمِيدَاْ جَرَتْ بِهِ أَقْلَامُ الْعُلَمَاءِ خَيْرٌ مِنْ دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ .
في سبيل الله .

٥ - وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام : لُفَّ الْعِلْمَ حَوْلَ عُنُقِك ، وَاكْنُبْ
في ألواح قلبك .

وقال أيضا : اجعل العلم مالك والأدب حليتك .

٦ - وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قيمة كل إنسان ما يُحْسِنُ .

٧ - وقيل لأبي عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟ قال : إن كان

١٠ يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم .

٨ - وقال عروة بن الزبير رحمه الله تعالى لبنيه : يَا بَنِيَّ ، اطْلُبُوا الْعِلْمَ ، فَإِنْ
تَكُونُوا صِفَارَ قَوْمٍ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْكُمْ فَمَنْ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
لَا يُسْتَفْتَى عَنْكُمْ .

٩ - وقال ملك الهند لولده ، وكان له أربعون ولداً : يَا بَنِيَّ ، أَكْثِرُوا مِنَ النَّظَرِ
فِي الْكُتُبِ ، وَازْدَادُوا فِي كُلِّ يَوْمٍ حَرْفاً ؛ فَإِنَّ ثَلَاثَةَ لَا يَسْتَوْجِبُونَ فِي غُرْبَةٍ :
الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير غمّارج الرأي .

١٠ - وقال المهلب لبنيه : إِيَّاكُمْ أَنْ تَجْلِسُوا فِي الْأَسْوَاقِ إِلَّا عِنْدَ زَرَادٍ أَوْ زَوَاقٍ .
أَرَادَ الزَّرَادَ الْحَرْبَ ، وَالزَوَاقَ الْعِلْمَ .

١١ - وقال الشاعر :

٢٠ نَعَمْ الْإِنْسُ إِذَا خَلَوَتْ كِتَابُ . تَلْهُو بِهِ إِنْ خَانَكَ الْإِحْبَابُ
لَا مُفْشِيًّا سِرًّا إِذَا اسْتَوَدَعْتَهُ . وَتُقَادُ مِنْهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابُ

وقال آخر :

وَلِكُلِّ طَالِبٍ لَنْةٌ مَنَوَّةٌ . وَأَلَدُ نَزْهَةٍ عَالِمٍ فِي كُنْهَةٍ

داود عليه
السلام يخط ابنه

لعل

أبي عمرو
ابن العلاء

لعروة ينصح
بنيه

ملك الهند
ينصح ولده

المهلب ينصح
بنيه

بعض الشعراء

ومن رجل بعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر ، وهو جالس في المقبرة ويده كتاب ، فقال له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : إنه لا أوْعَط مِن قبر ، ولا أمتع من كتاب .

بن عبد الله بن عبد العزيز وبضمهم

وقال رؤبة بن العجاج : قال لى القسابة البكرى : يارؤبة ، لملك من قوم إن سكث عنهم لم يسألوني ، وإن حدثتهم لم يفهموني ؟ قلت : إني أرجو ألا أكون كذلك . قال : فإتق العلم ونكدته ومُجنته ؟ قلت : تخبرني قال : آفته النسيان ، ونكدته الكذب ، ومُجنته نشره عند غير أهله .

النسابة البكرى

وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : منهُومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا .

لعبد الله ابن عباس

وقال : ذَلَّتْ طالباً فَمَزَتْ مطلوباً .

١٠

وقال رجل لابن هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أُضِيعَهُ . قال : كفأك بترك طلب العلم إضاعةً له .

بن أبي هريرة وبضمهم

وقال عبد الله بن مسعود : إن الرجل لا يُولد عالماً ، وإنما العلم بالتعلم . وأخذه «شاعر فقال :

لعبد الله ابن مسعود

تَعَلَّمَ فليس المرء يُولَدُ عالِماً هـ وليس أخو عِلْمٍ كُنْ هُوَ جاهِلٌ
ولآخر :

١٥

تَعَلَّمَ فليس المرء يُخلَقُ عالِماً هـ وما عالِمٌ أمراً كُنْ هُوَ جاهِلُهُ
ولآخر :

ولم أَرْ فرْعاً طال إلا بأصلِهِ هـ ولم أَرْ بدءَ العِلْمِ إلا تعلُّماً

وقال آخر :

٢٠

العِلْمُ يُغَيِّ قُلُوبَ المَيِّتِينَ كما هـ تَحْيَا البِلَادُ إِذَا ما مَسَّها المَطَرُ
والعلم يحملو العَمَى عن قلبٍ صاحِبِهِ هـ كما يُجَلِّي سِوَادَ الظُّلُمَةِ القَمَرُ
وقال بعض الحكماء : أَقْصِدْ من أصناف العلم إلى ما هو أَشْبهُ لنفسك ، وأخَفْ على قلبك : فَإِنَّ نَفَاذَكَ فِيهِ هـ على حسب شهوتك له وسهولته عليك .

ابن الحكماء

فضيلة العلم

لعل بن
أبي طالب

حدثنا أيوب بن سليمان قال : حدثنا عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران
الأنخس^(١) عن الوليد بن صالح الهاشمي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفي ،
عن أبي مخنف ، عن كَيْلِ النخعي ، قال : أخذ بيدي علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ، فخرج بي إلى ناحية الجبابة ، فلما أَصَحَّرَ نفس الصعداء ، ثم قال : يا كَيْلِ ،
إن هذه القلوب أوعية ، غيّر ها أو عاها فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : عالم ربّاني ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وسمّج رعا ، أتباع كلّ
ناقص ، مع كلّ ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .
يا كَيْلِ ، العلم خير من المال : العلم يحرّسك وأنت تحرس المال ، والمال
تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، ومنفعة المال تزول بزواله .

يا كَيْلِ ، محبة العلم دينٌ يُدَانُ به ، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته ،
وجيل الأعدوة بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكومٌ عليه .

يا كَيْلِ ، مات خُرّانُ المال وهم أحياء ، والعلماء باقرون ما بقي الدهر ، أعيانهم
مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ها هنا هللاً لعلها جماً - وأشار بيده إلى
صدره - لو وجدتُ له حَمَلَةً ، لى أجد لِقَاءَ غير مأمون عليه ، يستعمله آلة الدين
للدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه ، وينعمه على عبادته ؛ أو منقاداً لحَمَلَةٍ
الحق ولا بصيرة له في أخنائه ، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة .
لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، أو مهزوماً بالآلة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً
بالجمع والادخار ليساً من رعاية الدين في شيء أقرب شهاهما الأنعام السائمة .
كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللهم بلى ، لا تغلو الأرض من قائم بحجة الله
إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً منموراً ، لتلا تَبْطُلَ حُجُجُ الله وبيئاته ؛ وكذا ،
وأين ؟ أولئك والله الآفلون عدداً ؛ والأعظمون عند الله قدراً ؛ بهم يحفظ الله

(١) في بعض الأصول : « الأنخس » .

صَحَّه حَتَّى يودِعُهَا نُظْرَاهُمْ ؛ وَيَزِدُّوْهَا فِي قُلُوبِ أَشْيَاهُمْ ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِيْنِ ؛ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَخْشَنَ الْمُتَرَقُّونَ ، وَأَنْسَوْا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ ، وَصَحَّيُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعْلَقَةً بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى .

- ٥ . يَاقِيلُ ، أَوْلَيْتُكَ خَلْفَاءَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، وَالدُّعَاةَ إِلَى دِينِهِ ، آهَ آهَ . شَوْقًا إِلَيْهِمْ ..
النَّصْرَ إِذَا شِئْتَ .

قِيلَ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : أَيُّهَا أَفْضَلُ : الْعِلْمُ أَوْ الْمَالُ ؟ قَالَ الْعِلْمُ . قِيلَ لَهُ :
فَإِلَّا بِالْعُلَمَاءِ يَزِدُّهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ وَالْمُلُوكُ لَا يَزِدُّهُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ ؟
قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِحَقِّ الْمُلُوكِ وَجَهْلِ الْمُلُوكِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ .

الخليل في فضل
العلم على المال

- ١٠ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ .
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ قَلِيلَ الْعَمَلِ مَعَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ، كَمَا أَنَّ كَثِيرَهُ مَعَ
الْجَهْلِ قَلِيلٌ .

النبي صلى الله
عليه وسلم

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُذُولَهُ ، يَنْفُونَ
عَنْ تَحْرِيفِ الْفَاتِلِينَ ، وَاتِّعَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلِ الْجَاهِلِينَ .

- ١٥ . وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ، وَكُلُّ عِرٍّ لَمْ يُؤَكِّدْ^(١)
بِعِلْمٍ فَلَيْلَى ذَلِكَ مَا يَصِيرُ .

للأحنف

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ : الْمُلُوكُ حُكَّامُ عَلَى الدُّنْيَا ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامُ
عَلَى الْمُلُوكِ .

لأبى الأسود

وَقَالَ أَبُو قِلَابَةَ : مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ : مَنْ تَرَكَهَا
ضَلَّ ، وَمَنْ خَافَتْ عَنْهُ تَحَيَّرَ .

لأبى قلابة

- ٢٠ . وَقَالَ سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : إِنَّمَا الْعَالَمُ مِثْلُ السَّرَاجِ : مَنْ جَاءَهُ اقْتَبَسَ مِنْ عِلْمِهِ ،
وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْئًا ، كَمَا لَا يَنْقُصُ الْقَابِضُ مِنْ نُورِ السَّرَاجِ شَيْئًا .

لأبى عيينة

وفي بعض الأحاديث : إن الله لا يقتل نفس التقيّ العالم جموعاً .
وقيل للحسن بن أبي الحسن البصري : يَمَّ صارت الحِرقة مقرونة مع العلم ،
والثروة مقرونة مع الجهل ؟ فقال : ليس كما ظنم ، ولكن طلبتم قليلاً في قليل
فأعجزكم ؛ طلبتم المال وهو قليل ، في أهل العلم وهم قليل ، ولو نظرتهم إلى من
احترف من أهل الجهل لوجدتهم أكثر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ و ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا
إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ .

وقيل : لا تمنعوا العلم أهله فظلموه ، ولا تعطوه غير أهله فظلموه .
ولي بعضهم :

من منع الحكمة أربابها • أصبح في الحكم لم ظالماً
وواضع الحكمة في غيرهم • يكون في الحكم لها غاشماً
سمعت يوماً مثلاً سائراً • وكنت في الشعر له ناظماً
لاخير في المرء إذا ما غدا • لا طالباً علماً ولا عالماً

وقيل لبعض العلماء : كيف رأيت العلم ؟ قال : إذا اغتممت سلوقي ، وإذا
سلوت لثقي .

وأنفذ لسابق البربري :

العلم زين وتشريف لصاحبه • والجهل والنوك مقرونان في قرآن
ولغيره :

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه • حل فأبصر أي شيء تعمل
وإذا علمت بأنه متفاضل • فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

الأصحى قال : أول العلم الصحة ، والثاني الاستيعاب ، والثالث الحفظ ،
والرابع العمل ، والخامس نشره .

ويقال : العالم والمتعلم شريكان ، والباقي همج .

وَأُنْشِد :

لا يَنْفَعُ الْعِلْمُ قَلْبًا قَاسِيَا أَبَدًا ۝ وَلَا يَلِينُ لِفَكَ الْمَاضِغِ الْحَجَرُ

لماذ بن جيل

- وقال معاذ بن جبل : تعلوا العلم فإن تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، وبذله لأهله قربة . والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والآيس في الوحشة ، والصاحب في القربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والزين عند الانحلاء ، والسلاح على الإعداء . يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة ، تُقتنى آثارهم ، ويُقتدى بفعالهم . والعلم حياة القلب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ؛ يبلغ بالعبد منازل الأخيار ، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة ؛ الفكر فيه يعدل انصبام ، ومذاكرته القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام .

١٠

ولابن طباطبا العلوي :

لابن طباطبا

حسود مريض القلب يخفى أنيه ۝ وَيُضْحِي غَيْبَ الْبَالِ عِنْدِي حَزِينَهُ
يلوم على أن رحت في العلم طالبا * أَجْمَعُ مِنْ عِنْدِ الرِّجَالِ فَنُونَهُ
فأملك أبكار الكلام وعونه * وَأَحْفَظُ مِمَّا أَسْتَفِيدُ عِيُونَهُ
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى * وَيُحَسِّنُ بِالْجَهْلِ النَّعِيمَ ظَنُونَهُ
فيالائمي دعى أغالى بقيمتي ۝ فقيمة كل الناس ما يحسنونه

١٥

ضبط العلم والتثبت فيه

قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ما هذا العلم الذي يأت به عن العالم ؟ قال : كنت إذا أخذت كتاباً جعلته مدرعة .

لابن عباد
ابن عمر

٢٠

وقيل لرقبة بن مصقلة : ما أكثر شكك ؟ قال : بحاماة عن اليقين .

لابن مصقلة

وسأل شعبه أيوب السخيتاني عن حديثه ، فقال : أشك فيه . فقال : شكك أحب إلي من يقيني .

ابن شعبه
والسخيتاني

وقال أيوب : إن من أحمائي من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه .

لأيوب

- وقالت الحكماء : عَلَّمَ عَلَيْكَ مَنْ يَجْهَلُ ، ، وتعلم من يعلم ، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت ؛ وعلمت ما جهلت .
- وسأل إبراهيم النخعي عامراً الشعبي عن مسألة : فقال : لا أدري . فقال : النفس والشه
- هذا والله العالم ؛ سُئِلَ عما لا يدري ، فقال : لا أدري .
- وقال مالك بن أنس : إذا تَرَكَ العالمُ « لا أدري » أصيبت مقَاتِلُهُ . للإمام مالك
- وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من سُئِلَ عما لا يدري ؛ فقال : لا أدري ، لبداعة بن عمرو
- فقد أحرز نصف العلم .
- وقالوا : العلم ثلاثة : حديثٌ مُسْنَدٌ ، وآيةٌ مُحْكَمَةٌ ، ولا أدري ؛ فجعلوا لبضهم
- « لا أدري » من العلم ، إذا كان صواباً من القول .
- وقال الخليل بن أحمد : إنك لا تعرف خطأ مُعَلِّمِكَ حتى تجلس عند غيره . للخليل
- وكان الخليل قد غلبت عليه الإياضية حتى جالس أيوب .
- وقالوا : عواقبُ المكاره محدودة . لبضهم
- وقالوا : الخيرُ كُلُّهُ فيما أُكْرِهتِ النفوسُ عليه .

انتحال العلم

- قال بعض الحكماء : لا ينبغي لأحد أن ينتحل العلم ، فإن الله عز وجل يقول : الحكماء
- (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) وقال عز وجل : (وفوق كل ذي علم عليم) .
- وقد ذُكِرَ عن موسى بن عمران عليه السلام ، أنه لما كَلِمَهُ الله تعالى تكليماً ، ودرَسَ التوراةَ وحَفِظَهَا ، حدثته نفسه أن الله لم يَخْلُقْ خُلُقاً أَعْلَمَ منه ، فهو الله إليه نفسه بالخضر عليه السلام .
- وقال مقاتل بن سليمان وقد دخلته أجهة العلم : سلوني عما تحت العرش إلى
- أسفل من الثرى . فقام إليه رجل من القوم فقال : ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل من الثرى ، ولكن نسألك عما كان في الأرض وذَكَرَهُ الله في كتابه : أخبرني عن كلب أهل الكهف ، ما كان لونه ؟ فأفَعَمَهُ .

وقال قتادة : ما سمعت شيئاً قط ولا حفظت شيئاً قط فسيته . ثم قال : يا غلام ، هات لي . فقال : هما في رجلك . ففضحه الله .

لتنادم

وأُنفذ أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى :

لأبي عمرو بن
العلاء وغيره

مَنْ تَحَلَّى بِذِرِّ مَا هُوَ فِيهِ * فَضَحَتْهُ شَوَاهِدُ الْإِمْتِحَانِ

وفي هذا المعنى :

مَنْ تَحَلَّى بِذِرِّ مَا هُوَ فِيهِ * شَانَ مَا فِي يَدَيْهِ مَا يَدْعِيهِ
وَإِذَا قَلَّ الدَّعَاوَى لِمَا فِيهِ أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وَمَحَكُ الْفَتَى سَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ * وَإِنْ كَانَ دَائِباً يُخْفِيهِ
وَيُحْسِبُ الَّذِي ادَّعَى مَاعِدَاءَهُ * أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْتَرِيهِ

وقال شبيب بن شيبه لفتى من دوس : لا تنازع من فوقك ، ولا تقل إلا
بعلم ، ولا تتعاط مالم تبْلُ ، ولا يخالف لسانك ما في قلبك ، ولا قولك فعلك ،
ولا تدع الأمر إذا أُقبل ، ولا تطلبه إذا أدبر .

لشبيب بن شيبه
من دوس

وقال قتادة : حَفِظْتُ مَالِمَ يَحْفَظُ أَحَدٌ ، وَأُنْسِيتُ مَالِمَ يَنْسُ أَحَدٌ : حَفِظْتُ
الْقُرْآنَ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَقَبِضْتُ عَلَى لِحْيَتِي وَأَنَا أُرِيدُ قَطْعَ مَا تَحْتَ يَدِي
قَطَعْتُ مَا فَوْقَهَا .

لتنادم

ومر الشعبي بالسدي وهو يفسر القرآن ، فقال : لو كان هذا الساعة نشوان
يَضْرِبُ عَلَى أَسْنِهِ بِالطُّبْلِ ، أَمَا كَانَ أَحْسَنَ لَهُ ؟

الشعبي والسدي

وقال بعض المتحليين :

يُجْهَلُنِي قَوْمِي وَفِي عَقْدٍ مِثْرَوِي * تَمْنُونُ أَمْثَالًا لَمْ تُحْكَمْ الْعِلْمُ

وَمَا عَنِّي لِي مِنْ غَايِضِ الْعِلْمِ غَايِضٌ * مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا كُنْتُ مِنْهُ عَلَى فَهْمٍ

٢٠

وقال عدى بن الرقاع :

لابن الرقاع

وَعَلَيْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ عَالِماً * عَنْ عِلْمٍ ^(١) وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا

(١) في الأصول : « حرف .. »

شرائط العلم وما يصلح له .

وقالوا : لا يكون العالم عالماً حتى تكوّن فيه ثلاث خصال : لا يَحْتَفِر مَن
دوّه ، ولا يَحْسَد مَن فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمناً .

وقالوا : رأس العلم الخوف من الله تعالى .

وقيل للشعبي : أَقْنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ ! فقال : إِنَّمَا الْعَالِمُ مَن أَتَقَى اللَّهَ .

وقال الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون عابداً
ولا يكون عاقلاً .

وكان مسلم بن يسار عالماً عابداً عاقلاً .

وقالوا : ما قرّن شيء إلى شيء ، أَفْضَلَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ . ومن عَفِرَ إِلَى قُدْرَةٍ .

وقالوا : من تمام آلة العالم أن يكون شديد الهيبة ، رزين المجلس ، وقوراً
صموتاً ، بطلاً ، قليل الإشارات ، ساكن الحركات ، لا يَصْغَبُ
ولا يَغْضَبُ ، ولا يُبْهَرُ في كلامه ، ولا يَمْسَحُ عُنْتُونَهُ عند كلامه في كل حين ؛ فإن
هذه كلّها من آفات العلي .

وقال الشاعر :

مَلَى بِنَبْهَرٍ وَالتِّفَاتِ وَسُغْلَةٍ * وَمَسْجِدِ عُنْتُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ

ومدح خالد بن صفوان رجلاً ، فقال : كان بديع المنطق ، جزل الألفاظ ،
عريق اللسان ، قليل الحركات ، حَسَنَ الإشارات ، حُلُوَ الثمائل ، كثير الطلاوة ،
صموتاً وقوراً ، يهناً الحرب ، ويداوى الذر ، وَيُقِلُّ الْحَزَّ ، وَيُطَبِّقُ الْقَفْصِلَ ؛
لم يكن بالزمر المروءة ، ولا الهنير المنطق ، متبوعاً غير تابع .

كأنه علم في رأسه نار .

وقال عبد الله بن المبارك في مالك بن أنس رضي الله عنه :

لأبن المبارك
في مالك بن أنس

يَأْتِي الْجَوَابُ فَمَا يَرَجُعُ هَيْبَةً * فَالسَّائِلُونَ نَوَاصِي الْأَنْفَانِ
هَدْيُ الرِّقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُهَيْبُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

وقال عبد الله بن المبارك فيه أيضا :

صَحُوتُ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَتَقَاتُ أَبْكَارَ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِرِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ * وَسَيِّطَتْ لَهُ الْأَدَابُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ

ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً ، فقال له : أأنت لك هذا ؟ فقال : لم أُمْنَعُ قطّ بأمر المؤمنين علماً أبُيِّدُهُ ، ولم أحقر علماً أستفيدُه ، وصككت إذا لقيت الرجل أخذتُ منه وأعطيتُه .

ابن عبد الملك
ورجل

وقالوا : لو أنَّ أهل العلم صانوا عليهم لسادوا أهل الدنيا ، لكن وضعوه غير موضعه فقصر في حقهم أهل الدنيا .

لبعضهم

حفظ العلم واستعماله

١٠

قال عبد الله بن مسعود : تعلُّوا ، فإذا عَلِمْتُمْ فاعملوا .

لابن مسعود

وقال مالك بن دينار : العالم إذا لم يعمل بعلِّه زَلَّتْ موعظته عن القلب . كما يرل الماء عن الصفا .

لابن دينار

وقالوا : لولا العمل لم يُطلب العلم ، ولولا العلم لم يُطلب العمل .

لبعضهم

وقال الطائي :

الطائي

١١

وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ * وَلَمْ يَحْمَدُوا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أيها الناس ، تعلُّوا كتاب الله تُعرِّفُوا بِهِ ، وَاَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .

لابن الخطاب

وقالوا : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تُجاوِزِ الأذان .

٢٠

وروى زياد عن مالك ، قال : كن عالماً ، أو متعلِّماً ، أو مستمعاً ؛ وإياك والرابعة فإنها مهلكة ؛ ولا تكون عالماً حتى تكون عاملاً ، ولا تكون مؤمناً حتى تكون تقيّاً .

لمالك

وقال أبو الحسن : كان وكيع بن الجراح يتحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث .
 وكان الشعبي والزهرى يقولان : ما سمعنا حديثاً قط وسألنا إعادته .
 لأبي الحسن
 الشعبي والزهرى

رفع العلم وقولهم فيه

- قال عبد الله بن مسعود : تعلوا العلم قبل أن يُرفع .
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من
 الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء .
 وقال عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما : لما وُوري زيد بن ثابت في
 قبره : مَنْ سرّه أن يرى كيف يُقبَضُ العلم فهكذا يُقبَضُ .
 لابن مسعود
 النبي صلى الله عليه وسلم
 لابن عباس
 في ابن ثابت

تحامل الجاهل على العالم

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل للعالم أمر من جاهله .
 وقالوا : إذا أردت أن تفهم عالماً فأحضره جاهلاً .
 وقالوا : لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً ؛ فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم
 بغير شكر .
 قال النبي صلى الله عليه وسلم : أرحموا عزيزاً ذل ، أرحموا غنياً اقتقر ،
 أرحموا عالماً ضاع بين جهال .
 وجاء كيسان إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء ؛ ففكر فيه الخليل ليحييه ، كيسان والخليل
 فلما استفتح الكلام قال له : لا أدري ما تقول . فأنشأ الخليل يقول :
 لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت أجهل ما تقول عذلتك
 لكن جهلت مقالي فعدلتني . وعلت أنك جاهل فعدرتك
 قال حبيب :
 لحبيب

وعاذل عذلتني في عذلي . فظن أني جاهل من جهلي
 ما عتب المشبون مثل عقله . من لك يوماً بأخيلك كله

تسجيل العلماء وتعظيمهم

الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، فأخذ عبد الله بن عباس بركابه ؛ فقال : لا تفعل يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلاتنا . قال زيد : أرني يدك . فلما أخرج يده قُبِلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بابن حمّ نبيّنا .

زيد بن ثابت
وابن عباس

وقالوا : خدمة العالم عبادة .

لبيد

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : من حقّ العالم عليك إذا أتيتك أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة ، وتجلس قدامه ، ولا تشير بيدك ، ولا تغمز بعينك ؛ ولا تقول : قال فلان خلاف قولك ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلحّ عليه في السؤال ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة المُرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء .

لعلي بن
أبي طالب

وقالوا : إذا جلست إلى العالم فسلّ تَفَمّها ولا تسَلّ تَعَنّا .

نيسابور

عويص المسائل

الأوزاعي عن عبد الله بن ساعد عن الصنابحي عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطة .

لبيد
عليه وسلم
في صواب المسائل

قال الأوزاعي : يعني صواب المسائل .

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن مسألة فيها أغلوطة قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أحلك إيليس .

ابن سيرين
والأغلوطة

وسأل عمرو بن قيس مالك بن أذس عن تحريم تزوّج ناذي ثعلب ، فلم يرّد عليه شيئاً .

ابن أبي أنس
وابن أنس

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال : ما تقول في رجلٍ أمّه عند رجل آخر ؟ فقال : يُمسك عنها . أراد عمر : أن الرجل يموت وأمّه عند رجل آخر ، وقول عليّ : يمسك عنها ، يريد : يُمسك

ابن أبي الخطاب
وعلي

عن أم الميت حتى تستيري من طريق الميراث .

وسأل رجل عمر بن قيس عن الحصة يجدها الإنسان في ثوبه أو في خُفِّه
أو في جيبته من حصى المسجد ، فقال : اُرِّم بها . قال الرجل : زعموا أنها تصيح
حتى تُرَدَّ إلى المسجد . فقال : دعها تصيح حتى ينشقَّ حلقها ، فقال الرجل :
سبحان الله ! ولها حلق ؟ قال : فن أين تصيح . ٥

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
كيف هذا الاستواء ؟ قال : الاستواء معقول . والكيف مجهول ؛ ولا أظنك
إلا رَجُلٌ سَوَّءٌ .

وروى مالك بن أنس الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
إذا استبقيت أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى ينسلكها ؛ فإن أحدكم
لا يدري أين باتت يده ، فقال له رجل : فكيف تصنع في المهراس أبا عبد الله ؟
- والمهراس : حوض مكة الذي يتوضأ الناس فيه - فقال : من الله العلم ، وعلى
الرسول البلاغ ، ومنا التسليم . أَمِرُوا الحديث . ١٠

وقيل لابن عباس رضى الله عنهما : ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم
السماء ؟ قال : يكفيه منها كوكبُ الجوزاء . ١٥

وسئل علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء
والأرض ؟ فقال : أين توجبُ المكان ، وكان الله عز وجل ولا مكان .

التصنيف

وذكر الأصمعي رجلاً بالتصنيف ، فقال : كان يسمع فيمى غير ما يسمع ،
ويكتب غير ما وصى ، ويقرأ في الكتاب غير ما هو فيه . ٢٠

وذكر آخر رجلاً بالتصنيف فقال : كان إذا نسخ الكتاب مرتين
عاد سُريانياً .

بين ابن قيس
ورجل

بين ابن أنس
ومستنصر

لابن عباس

لابن أبي طالب

لبيهم

طالب العلم لغير الله

ففي صلاة
عليه وسلم
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أُعْطِيَ الْعَالِمُ الْعِلْمَ وَمُنِعُوا الْعَمَلَ
وَتَحَابُّوا بِاللَّسَنِ ، وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ ، وَتَفَاطَمُوا فِي الْأَرْحَامِ - لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصْمَحَهُمْ
وَأَعَى أَبْصَارَهُمْ »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بلى
يا رسول الله . قال : العلماء إذا فَسَدُوا .

للفضل بن عياض
وقال الفضل بن عياض : كان العلماء ربيع الناس ، إذا رآهم المريض لم يسره
أَنْ يَكُونَ صَاحِبًا ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْفَقِيرُ لَمْ يَوْدْ أَنْ يَكُونَ غَنِيًّا ؛ وَقَدْ صَارُوا
اليوم فتنة للناس .

ليس بن مريم
وقال عيسى بن مريم عليه السلام : سيكون في آخر الزمان علماء يُرْهَدُونَ
فِي الدُّنْيَا وَلَا يُرْهَدُونَ ، وَيُرْغَبُونَ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَرْغَبُونَ ؛ يَنْهَوْنَ عَنِ
إِتْيَانِ الْوَلَاةِ وَلَا يَنْتَهُونَ ، يُقَرَّبُونَ الْأَغْنِيَاءَ ، وَيُعَمِدُونَ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتَبَسَّطُونَ
لِلْكِبَرَاءِ ، وَيَنْقَبِضُونَ عَنِ الْفُقَرَاءِ ؛ أُولَئِكَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَأَعْدَاءُ الرَّحْمَنِ .

حمد بن واسع
وقال محمد بن واسع : لَأَنْ تَطْلُبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تَطْلُبُ بِهِ الْآخِرَةَ ، خَيْرُ
مَنْ أَنْ تَطْلُبَهَا بِأَحْسَنِ مَا تَطْلُبُ بِهِ الْآخِرَةَ .

لحسن
وقال الحسن : العلم علان : علم في القلب ، فذاك العلم النافع ، وعلم في اللسان ،
فذاك حجة الله على عباده .

ففي صلاة
عليه وسلم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنْ الزَّانِيَةُ لَا تَخْرُجُ إِلَى فُقَيْهِ وَلَا إِلَى حَلَةٍ
الْقُرْآنِ إِلَّا قَالُوا لَمْ : إِلَيْكُمْ عَنَا ، دُونَكُمْ عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ . تَيْشْتَكُونَ إِلَى اللَّهِ ،
فَيَقُولُ : لَيْسَ مِنْ عِلْمٍ كُنْ لَمْ يَعْلَمْ .

مالك بن دينار
وقال مالك بن دينار : مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِنَفْسِهِ فَالْقَلِيلُ مِنْهُ يَكْفِيهِ ، وَمَنْ طَلَبَهُ
لِلنَّاسِ فَخَوَانِجُ النَّاسِ كَثِيرَةٌ .

لابن شعبة
وقال ابن شعبة : ذَهَبَ الْعِلْمُ إِلَّا غُبَرَاتٌ فِي أَدْعِيَةِ سُوءٍ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من طلب العلم لأربع دخل النار : من طلبه ليهيئ به العلماء ، وليرأى به السفهاء ، وليستعمل به وجوه الناس لإليه ، أو ليأخذ به من السلطان .

- وتكلم مالك بن دينار فأبكى أصحابه ، ثم افتقد مصحفه ، فنظر إلى أصحابه وكلهم يبكي ، فقال : وبكم أكلكم يبكي . فنأخذ المصحف ؟
- قال أحمد بن أبي الخوارى : قال لي أبو سليمان في طريق الحج : يا أحمد ، إن الله قال لموسى بن عمران : مُرْ ظَلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَذْكُرُونِي ، فَإِنِّي لَا أَذْكَرُ مِنْ ذَكَرْنِي مِنْهُمْ إِلَّا بِلَعْنَةٍ حَتَّى يَسْكُتَ ! ويحك يا أحمد ! يلقى أنه من حجٍّ بمالٍ من غير حله ثم لي قال الله تبارك وتعالى : لَا بُدَّكَ وَلَا سَعْدَكَ حَتَّى تَوْدِيَ مَا يَدِيكَ ، فَمَا يُؤْمِنُنَا أَنْ يَقَالَ لَنَا ذَلِكَ ؟

باب من أخبار العلماء والأدباء

- أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحشنى ، أن عبد الله بن عباس سئل عن أبي بكر رضى الله عنه ، فقال : كان والله خيراً كله مع الحدة التي كانت فيه . قالوا : فأخبرنا عن عمر رضوان الله عليه . قال : كان والله كالطير الخيزر الذي نصب فخ له فهو يخاف أن يقع فيه . قالوا : فأخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه . قال : كان والله صَوَاماً قَوَاماً . قالوا : فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . قال : كان والله بمن حوى علماً وجلباً ، حسبك من رجل أعزته سابقته ، وقدمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا أشرف على شيء إلا ناله . قالوا يقال : إنه كان محدوداً . قال : أتمتعوا قولونه .

- وذكروا أن رجلاً أتى الحسن فقال : أبا سعيد ، إنهم يزعمون أنك تُبغض علياً فبكى حتى انضمت لحينه ، ثم قال : كان علي بن أبي طالب سهماً صائباً من مرمى الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذات سابقتها ، وذات فضلها ، وذات قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لم يكن بالتثومة عن أمر الله ، ولا بالمولوة في حق الله ، ولا بالسروة لمسأل الله : أعطني القرآن عزائمته فجاز

منه برياض مَوْنَةٍ ، وأعلام يَتَنَ . ذاك علي بن أبي طالب يا لُكْع .

وسئل خالد بن صفوان عن الحسن البصري ، فقال : كان أشبه الناس علانيةً بسريرة ، وسريرةً بعلانية . وآخَذَ الناس لنفسه بما يأمر به غيره ، ياله من رجل آستغنى عما في أيدي الناس من دنياهم ، واحتاجوا إلى ما في يديه من دينهم .

لا بن صفوان
عن الحسن
البصري

ودخل عروة بن الزبير يستأجر لعبد الملك بن مروان ، فقال عروة : ما أحسن هذا البستان ! فقال له عبد الملك : أنت والله أحسن منه ؛ إن هذا يؤتى أكله كل عام ، وأنت تؤتى أكلك كل يوم .

بن عبد الملك
وعروة في
بستان

وقال محمد بن شهاب الزهري : دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة ، فرآني أحدتهم سنا ، فقال لي : من أنت ؟ فالتسبتُ إليه ، فعرفني ؛ فقال : لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الزبير ! قلت : يا أمير المؤمنين ، مثلك إذا دَعَا لم يُعَد ، وإذا صَفَح لم يُتَرَّب . قال لي : أين نشأت ؟ قلت : بالمدينة . قال : عند من طلبت ؟ قلت : عند ابن يسار ، وابن أبي ذؤيب ، وسعيد بن المسيَّب . قال لي : وأين كنت من عروة بن الزبير ، فإنه بحر لا تُكدره الدلاء .

عبد الملك
ونشأه الزهري

وذكر الصَّعْبَةُ عند الحسن البصري ، فقال : رحمهم الله ، شهدوا وغننا ، وعلَّوا وجَّهنا ؛ فما اجتمعوا عليه اتَّبَعنا ، وما اختلفوا فيه وَقَفْنَا .

الحسن البصري
في الصَّعْبَةُ

وقال جعفر بن سليمان : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : مارأيت أحداً أَقْشَفَ من شعبة ، ولا أَغْبَدَ من سفيان ، ولا أَحْفَظَ من ابن المبارك .

لعبد الرحمن بن
مهدي

وقال : مارأيت مثل ثلاثة : عطاء بن أبي رباح بمكة ، ومحمد بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حيوة بالشام .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم ؟ فقالوا : كان مثل العافية التي لا يُعرَفُ فضلُها حتى تُفْقَدَ .

لأهل مكة
عطاء

وكان عطاء بن أبي رباح أسودَّ أعور أفلس أشلَّ أعرج ، ثم عمى . وأمه سوداء تسمَّى بركة .

شيء عن عطاء

وكان الأحنف بن قيس : أعور أعرج ولكنه إذا تكلم جلا عن نفسه .
وقال الشعبي : لو لا أني زوَّجْتُ في الرِّحْم ما قامت لأحد معي قائمة .
وكان توأما .

وقيل لطاووس : هذا قتادة يريد أن يأتيك . قال أن جاء ، لا قومن . قيل :
إنه فقيه . قال : إيليس أفعه منه ؛ قال : (رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) .

وقال الشعبي : القضاة أربعة : عمر ، وعلى ، وأبو موسى ، وعبد الله .
وقال الحسن : ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم : الابن والأب والجد ؛
عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ، ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمي .

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيهاً شاعراً ، وكان أحد
السبعة من فقهاء المدينة .

وقال الزهري : كنت إذا لقيت عبيد الله بن عبد الله ، فكأنما أفجر
به بحرا .

وقال عمر بن عبد العزيز : وددت لو أن لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود لم يفتني .

ولقيه سعيد بن المسيب فقال له : أنت الفقيه الشاعر ؟ قال : لا بد للمصدر
أن ينفث .

وكتب عبيد الله بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز وبأنه عنه شيء يكرهه :

أبا حفص أمانك عنك قولٌ . قُطِعْتُ به وضائق به جوابي .
أبا حفص فلا أدري أرغمي . تريد بما تحاول أم عتابي
فإن تلك عتاباً نعتب وإلا . فما عودِي إذا يبرأج غاب
وقد فارقت أعظم منك رُزوا . وواريت الأحبة في التراب
وقد عزوا على وأسلموني . معاً فليست بدمهم يميني

وكان خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم ، عالماً كثير الدراسة للكتب وربما

الأحنف
بن قيس

لطاووس
في قتادة

الشعبي في القضاة

الحسن

عبيد الله
ابن عبد الله

عبيد الله
ومهر بن
عبد العزيز

خالد بن يزيد

قال الشعر ، ومن قوله :

هل أنت مُتَفَتِّحٌ بِعِلْمِكَ مَرَّةً وَالْعِلْمُ نَافِعٌ
وَمِنْ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ بِالرُّأْيِ . يِ الْمُسَدِّدِ أَنْتَ سَامِعٌ
الْمَوْتُ حَوْضٌ لَا تَجْمَا . لَهُ فِيهِ كُلُّ الْخَلْقِ شَارِعٌ
وَمِنْ التُّقَى فَازِرْعٌ فَإِنَّكَ حَاصِدٌ مَا أَنْتَ زَارِعٌ

٥

وقال عمر بن عبد العزيز : ما وَلَدَتْ أُمِيَّةٌ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، مَا اسْتَنْثَى
عُثْمَانٌ وَلَا غَيْرُهُ .

وَكَانَ الْحَسَنُ فِي جَنَازَةِ فِيهَا نَوَائِحٌ ، وَمَعَهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، فَهُمْ سَعِيدٌ
بِالْانْقِرَافِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : إِنْ كُنْتَ كُلَّمَا رَأَيْتَ قَبِيحًا تَرَكْتَ لَهُ حَسَنًا أَسْرَعَ
ذَلِكَ فِي دِينِكَ .

١٠

وَعَنْ عِيسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : عَلَنِي سَفِيَانُ
الثَّوْرِيُّ اخْتِصَارَ الْحَدِيثِ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَإِذَا الْمَسَالِكُ حُلُقَةٌ وَإِذَا
نَافِعٌ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بَسَنَةً ، وَذَلِكَ سَنَةٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَةً .

١٥

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ : مَا خَلَقَ اللَّهُ أَحَدًا كَانَ أَعْرَفَ بِالْحَدِيثِ مِنْ يَحْيَى
ابْنَ مَعِينٍ ؛ كَانَ يُؤْتَى بِالْأَحَادِيثِ قَدْ خُطِطَتْ وَقُلِبَتْ فَيَقُولُ : هَذَا الْحَدِيثُ لَذَا ،
وَذَا لِهَذَا . فَيَكُونُ كَمَا قَالَ .

وَقَالَ شَرِيكَ : إِنِّي لَأَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَتَغَيَّرُ لَهَا لَوْنِي .

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : كُلُّ مَنْ ذُكِرَ لِي عَنْهُ وَجَدْتُهُ دُونَ مَا ذُكِرَ ، إِلَّا حَيَّوَةَ
ابْنَ شُرَيْحٍ ، وَأَبَا عَوْنٍ .

٢٠

وَكَانَ حَيَّوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ يَقْعُدُ لِلنَّاسِ ، فَتَقُولُ لَهُ أُمَةٌ : قُمْ يَا حَيَّوَةُ أَلْتَنِي الشَّعِيرَ
لِلدَّجَالِ . فَيَقُومُ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ : سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيَّ مِنْ سَفِيَانَ الثَّوْرِيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ حَدِيثٍ .

سُلَيْمَانُ وَالثَّوْرِيُّ

وكان يحيى بن العيمان يذهب بابنه داود كل مذهب ، فقال له يوما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم كان منصور ، ثم كان سفيان ، ثم كان وكيع . قم يا داود . يعنى أنه أهل للإمامة ومات داود سنة أربع ومائتين .

٥ وقال الحسن : حدثني أبى ، قال : أمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة إلا عربى وكان يحيى بن رثاب يؤم قومه بنى أسد ، وهو مولى لهم ، فقالوا : اعتزل . فقال : ليس عن مثلى نهي ، أنا لاحق بالعرب . فأبوا : فأتى الحجاج فقرا ، فقال : من هذا ؟ فقالوا يحيى بن رثاب . قال : ماله ؟ قالوا : أشرت أن لا يؤم إلا عربى ، فتناه قومه . فقال : ليس عن مثل هذا نهيت ، يصلى بهم . قال : فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء . ثم قال : اطلبوا إماما غيرى : إنما أردت أن لا تستبدلوني ، فأما إذ صار الأمر إلى فأنا أؤمكم ؟ ولا ولا كرامة .

١٥ وقال الحسن : كان يحيى بن العيمان يصلى بقومه ، فتعصب عليه قوم منهم ، فقالوا : لا تصل بنا لا أرضاك ، إن تقدمت تحينك ! فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضعه في الخراب ، وقال : لا يدنو منى أحد إلا ملأت السيف منه . فقالوا : بيننا وبينك شريك . فقدموه إلى شريك فقالوا : إن هذا كان يصلى بنا وكبرهناه . فقال لهم شريك : من هو ؟ فقالوا : يحيى بن العيمان . فقال : يا أعداء الله ! وهل بالكوفة أحد يشبه يحيى ! لا يصلى بكم غيره . فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود : يا بني كاد ديني يذهب مع هؤلاء ، فإن اضطروا إليك بعدى فلا تصل بهم .

٢٥ وقال يحيى بن العيمان : تزوجت أم داود ، وما كان عندي ليلة العرس إلا بطيخة ، أكلت أنا نصفها وهي نصفها ، وولدت داود ، فما كان عندنا شيء تلفه فيه ، فاشتريت له كساء بجنتين فلففناه فيه .

وقال الحسن بن محمد : كان لعملي صغيرتان ، ولابن مسعود صغيرتان . وذكر عبد الملك بن مروان روجا فقال : ما أعطى أحدا ما أعطى أبو زرعة :

أعطى فقه الحجاز . ودهاء أهل العراق ، وطاعة أهل الشام .

وروي أن مالك بن أنس كان يذكر علياً وعثمان وطلحة والزبير ، فيقول :
واقة ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر .

لا ينسرق
على عثمان
وطلحة والزبير

ذكر هذا محمد بن يزيد في الكامل : قال : وأما أبو سعيد الحسن البصري
فإنه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم ، وكان إذا جلس فمكث في مجلسه ذكر
عثمان قرّح عليه ثلاثاً ، وكعن قتلته ثلاثاً ، ثم يذكر علياً فيقول : لم يزل على
أمير المؤمنين صلوات الله عليه مظفراً مؤيداً بالنعم حتى حكم . ثم يقول : ولم
تُحكم والحق معك ! ألا تمنى قُدماً لا أبالك ؟

للبرد

وهذه الكلمة وإن كان فيها جفاء فإن بعض العرب يأتي بها على معنى المدح
فيقول : افطر في أمر رعينك لا أبالك ! وقال أعرابي :

١٠

رَبِّ العبادِ مالنا ومالكنا . قد كنتَ تَسْقِينا فقد بَدَّلْنا
• أنزل علينا القيث لا أبالك ! •

وقال ابن أبي الحواري : قلت لسفيان : بلغني في قول الله عز وجل :
(إِلَّا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) أنه الذي يلقي الله وليس في قلبه أحدٌ غيره .
قال : فبكى وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا .

ابن أبي الحواري
وسفيان

١٥

وقال ابن المبارك : كنت مع محمد بن النضر الحارثي في سفينة ، فقلت : بأي
شيء أستخرج منه الكلام ؟ فقلت : ما تقول في الصوم في السفر ؟ قال : إنما هي
المبادرة يابن أخى . فجاءني والله يفتياً غير فتياً إبراهيم والشعبي .

يحيى ابن المبارك
وابن النضر

وقال الفضيل بن عياض : اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس
بالبصرة ؛ فقال مالك بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار . فقال محمد بن واسع
لن كان عندهم : كنا نقول : ما هو إلا عفو الله أو النار . قال مالك بن دينار :
إنه ليعجبنى أن تكون للإنسان معيشة قدر ما يقوته .

ابن واسع
وابن دينار

٢٠

فقال محمد بن واسع : ما هو إلا كما تقول ، ليس يُعجبنى أن يصبح الرجل
وليس له غداء ، وبمسي وليس له عشاء ، وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل .

فقال مالك : ما أحوَجني إلى أن يعطَى مثلك .

وكان يجلس إلى سفیان فَنَيَّ كثيرُ الفكرة ، طويلُ الإطراق ، فأراد سفیان أن يُحرِّكه لسمع كلامه ؛ فقال : يا فتى ، إنَّ مَنْ كانَ قَبْلَنَا مَرُّوا على خيل عَتاق وبقينا على حِمير دَبْرَةٍ . قال : يا أبا عبد الله ، إن كنا على الطريق فما أسرعَ لِحَوْقِنَا بالقوم . ٥

وقال الأصمعي : عن شعبة قال : ما أحدثكم عن أحد من تعرفون ومن لا تعرفون إلا وأيوبُ ويونس وابن عون وسليان خير منهم .
قال الأصمعي : وحدَّثني سلام بن أبي مطيع قال : أيوبُ أَفْقَهُهُمْ ، وسليان التيمي أَعْبَدُهُمْ ، ويونس أشدُّهم زهداً عند الدرام ، وابن عون أضبطهم لنفسه في الكلام . ١٠

الأصمعي قال : حدثنا نافع بن أبي نعيم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : ألف عن ألف خير من واحد عن واحد ، فلان عن فلان ينتزع السنة من أيديكم .

وكان إبراهيم النخعي في طريق ، فلقيه الأعمش فانصرف معه ، فقال له : يا إبراهيم إن الناس إذا رأونا قالوا : أعمش وأعمر ! قال : وما عليك أن يأتُموا وتُؤَجِر ؟ قال : وما عليك أن يَسَلُّوا ونَسَلَمَ . ١٥

وروى سفیان الثوري عن واصل الأحب ، قال : قلت لإبراهيم : إن سعيد ابن جبير يقول : كلُّ امرأةٍ أتزوجها طالق ، ليس بشيء . فقال له إبراهيم : قل له ينفع آسته في الماء البارد . قال : قلت لسعيد ما أمرني به ؟ فقال : قل له : إن مررت بوادي التَّوَكِّي فاحلِّلْ به . ٢٠

وقال محمد بن مناذر :

وَمَنْ يَبْخِ الوَصَاةَ فَإِنَّ عِنْدِي ٥ وَصَاةَ الكَهُولِ وَالنَّبِيَّاتِ
خُذُوا عَن مَالِكٍ وَعَن ابْنِ عَوْنٍ ٥ وَلَا تَزُورُوا أَحَادِيثَ بَنِي دَابِ

لبعض الشعراء وقال آخر :

أَيُّهَا الطَّالِبُ عَلِيًّا • لَيْتَ حَمَادَ بْنَ زَيْدٍ
فَاقْتَبَسَ حِلًّا وَعَلِيًّا • ثُمَّ قَيْسَهُ يَغَيِّدُ

وقيل لأبي نواس : قد بعثوا في أبي عبيدة والأصمعي ليجمعوا بينهما ، قال :

- أما أبو عبيدة فإن مكثوه من سفره قرأ عليهم أساطير الأولين ، وأما الأصمعي
فَيُنْبَلُّ في قصص يُطَرِّبهم بِصَفِيره .

لأبي نواس
في أبي عبيدة
والأصمعي

وذكروا عند المنصور محمد بن إسحاق وعيسى بن دأب ، فقال : أما ابن إسحاق

فأعلمُ الناس بالسيرة ؛ وأما ابن دأب فإذا أخرجه عن داحس والغبراء
لم يُحْسِن شيئاً .

للمنصور في ابن
إسحاق وابن
دأب

- ١٠ وقال المأمون رحمه الله تعالى : من أراد طَوْأً بلا حرج ، فليسمع كلام
الحسن الطالبي .

للمأمون في
الطالبي

وسئل العتابي عن الحسن الطالبي ، فقال : إن جليسه لِطِيبٍ عَشْرَةٍ لَأَطْرَبُ
من الإبل على الحذاء ، ومن الثَّيْلِ على الغناء .

للعتابي فيه أيضاً

قولهم في حملة القرآن

- ١٥ وقال رجل لإبراهيم النخعي : إنّي أختم القرآن كل ثلاث . قال : ليتك نختمه
كل ثلاثين وتدرى أيّ شيء تقرأ .

بين النخعي
وقاري . فقرأ

وقال الحارث الأعور : حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُتِبَ اللهُ فِيهِ خَيْرٌ ما قَبْلَكُمْ ، وَبِأُ
ما بَعْدَكُمْ ، وَحُكْم ما بَيْنَكُمْ ؛ هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي لا تُزِيغ به الأهواء ،

لنبي صلى الله
عليه وسلم

- ٢٠ ولا يُشْبِع منه العلماء ، ولا يَخْلُقُ على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو الذي
مَنْ تَرَكَه من جَبَّار قَسَمَهُ اللهُ ، ومن ابْتغى الْهُدَى في غيره أضلَّهُ اللهُ ؛ هو حَبْلُ اللهِ
المتين ، والذِّكْرُ العظيم ، والصراط المستقيم . خذها إليك يا أعور .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : تجلّ عليك الشيب يا رسول الله . قال :

شيتني هوْدٌ وأخواتها .

وقال عبد الله بن مسعود : الحواميم ديباج القرآن .
 وقال : إذا رتعت رتعتُ في رياضِ دُمثائٍ أَتَأْتِي فِيهِن .
 وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها ونجرها ، قبل أن نحفظها .
 ٥ وقال صلى الله عليه وسلم : سيكون في أمتي قوم يقرأون القرآن
 لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، هم شرُّ
 الخلق والخليقة .

وقال : إن الزبانية لأسرعُ إلى فساقِ حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان ،
 فيشكون إلى ربهم فيقول : ليس من علم كمن لا يعلم .
 ١٠ وقال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذهُ بضاعةً ينقله من مصر
 إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه وصنيع حدوده ،
 واستدبر به الولاة ، وأستطال به على أهل بلده . وقد كثُر هذا الضربُ في حملة
 القرآن لا كثُرَهم الله عز وجل . ورجل قرأ القرآن فوضع دواحه على داء قلبه ،
 فسهر ليلته ، وهملت عيناه ؛ تَبَرَّأَ الخشوع ، وارتدى الوقار ، واستشعر الحزن .
 ١٥ ووالله لهذا الضربُ من حملة القرآن أقلُّ من الكبريتِ الأحمر ، بهم يسقى الله
 الفيث ، ويُنزَلِ النَّصر ، ويدفعُ البلاء .

العقل

قال سحبان وائل : العقل بالتجارب ؛ لأن عقلَ الغريزة سُلَّمٌ إلى عقل التجربة .
 ولذلك قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : رأى الشيخ خيرٌ من
 ٢٠ مشهد ^(١) الغلام .

وعلى العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالكا للسانه ، مُقبلا على شأنه .
 وقال الحسن البصري : لسان العاقل من وراء قلبه ؛ فإذا أراد الكلام تَفَكَّرَ ،
 ٢٠ الحسن البصري

(١) في بعض الأصول : « جلد الغلام » .

فإن كان له قال وإن كان عليه سَكَتٌ ؛ وَقَلْبُ الْآخِثِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، فَلِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ قَالَ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ سَكَتٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ قَالَ .

وقال محمد بن الناز : دخل رجل على سليمان بن عبد الملك ، فتكلم عنده بكلام أعجَبَ سليمان ، فأراد أن يختبره لينظر أعْقَلُهُ عَلَى قَدَرِ كَلَامِهِ لَمْ لَا .

بين سليمان بن عبد الملك ورجل أحب بكلامه

فوجده مضموفا . فقال : فَضَّلُ الْعَقْلَ عَلَى الْمُنْطَقِ حِكْمَةً ، وَفَضَلَ الْمُنْطَقَ عَلَى الْعَقْلِ مُجَنَّةً ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ مَا صَدَّقَ بَعْضُهَا بَعْضًا ؛ وَأَنْشُدَ :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا الْأَصْغَرَانِ : لِسَانُهُ ۝ وَمَعْقُولُهُ ، وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ
فَإِنْ تَرَمَنَ مَا يَرُوقُ فَرِيحًا ۝ أَمْرٌ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول زهير :

لزهير

وَكَاثِرٌ تَرَى مِنْ مُعْجِبٍ لَكَ صَامِتٍ ۝ زِيَادَتُهُ أَوْ تَقْصُصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفُ فَرَادِهِ ۝ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالذَّمِيمِ

وقال علي رضي الله عنه : الْعَقْلُ فِي الدِّمَاغِ ، وَالضُّحْكُ فِي الْكَبِدِ ، وَالرَّأْيَةُ فِي الطَّلْعَالِ ، وَالصَّوْتُ فِي الرِّثَةِ .

لعل

وَسُئِلَ الْمَغْبِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : كَانَ
وَاللَّهُ أَفْضَلَ مَنْ أَنْ يُخْدَعَ ، وَأَعْقَلَ مَنْ أَنْ يُخْدَعَ . وَهُوَ الْقَائِلُ : لَسْتُ بِخَبٍّ ،
وَالْخَبُّ لَا يَخْدَعُنِي .

للمغيرة في عمر

وقال زياد : لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي إِذَا وَقَعَ فِي الْأَمْرِ آخِثًا لَهُ ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ
يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ .

لزياد

وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ الْعَاصِ : مَا الْعَقْلُ ؟ فَقَالَ : الْإِصَابَةُ بِالظَّنِّ ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ
بِمَا قَدْ كَانَ .

لسرو بن العاص

وَقَالَ عَمْرِو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ظَنُّهُ لَمْ يَنْفَعْهُ يَقِينُهُ ^(١) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،

لعل في ابن عباس

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « تَنْفَعُهُ عَيْنُهُ » .

فقال : لقد كان ينظر إلى الغيب من رست رقيق .

وقالوا : العاقل فطنٌ مُنافل .

وقال معاوية : العقلُ مِكْيَالُ ثُلْثِهِ فِطْنَةٌ وَثُلَاثُهُ تَضَافِلُ .

لماوية

بين عمر والمغيرة
حين عزله

وقال المغيرة بن سُعْبَةَ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ عزّله عن كتابة
أبي موسى : أَعْنُ نَجْرَ عَزَلْتَنِي أَمْ عَنْ خِيَاةٍ ؟ فقال : لا عن واحدة منهما ، ولكني
كرهت أن أحل على العامة فضل عقلك .

بين معاوية
وابن الناس

وقال معاوية لعمر بن العاص : ما بلغ من عقلك ؟ قال : ما دخلتُ في
شيء قط إلا خرجتُ منه . فقال معاوية : لكني ما دخلت في شيء قط وأردتُ
الخروج منه .

شمر نخل به
ابن سهل

وقال الأصمعي : ما سمعت الحسن بن سهل مُدَّ صار في مرتبة الوزارة يتمثل
إلا بهذين البيتين :

وما بقيت من اللذات إلا * عَادَتُهُ الرِّجَالُ ذَوِي الصُّعُولِ
وقد كانوا إذا ذُكِرُوا قَلِيلًا * فقد صاروا أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ

لابن طاهر

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر - ويروى لمحمود الوراق - :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الْيَقَى * وَلَا بِاِكْتِسَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ الْعَقْلُ
وَكَمْ مِنْ قَلِيلِ الْمَالِ يُحَمَّدُ فَضْلُهُ * وَآخِرُ ذُو مَالٍ وَلَيْسَ لَهُ فَضْلُ
وَمَا سَبَقَتْ مِنْ جَاهِلٍ قَطُّ نِعْمَةٌ * إِلَى أَحَدٍ إِلَّا أَضَرَّ بِهَا الْجَهْلُ
وَذُو اللَّبِّ إِنْ لَمْ يُعْطَ أَحَدَتْ عَقْلَهُ * وَإِنْ هُوَ أَعْطِيَ زَاةَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلُ

لابن مناذر

وقال محمد بن مُنَازِد :

وَتَرَى النَّاسَ كَثِيرًا فَإِذَا * عُدَّ أَهْلُ الْعَقْلِ قُلُوفُ الْعَدَدِ
لَا يَقُولُ الْمَرْءُ فِي الْقَصْدِ وَلَا * يَعْدُمُ الْقِلَّةُ مَنْ لَمْ يَقْتَصِدْ
لَا تَعِدُ شَرًّا وَعِدَ خَيْرًا وَلَا * تُخْلِفُ الْوَعْدَ وَتُجَلُّ مَا تَعِدُ
لَا تَقُلُ شِرْعًا وَلَا تَهْمُ بِهِ * وَإِذَا مَا قُلْتَ شِرْعًا فَأَجِدْ

٢٠

لبعض الشعراء ولاخر :

يُعَرَفُ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي أَرْبَعٍ * مِشَبِّهَةٌ أُولَاهَا وَالْحَرَكُ
وَدَوْرُ غَيْبِهِ ، وَالْفَاطَةُ * بَعْدُ عَلَيْهِنَ يَدُورُ الْعَلَكُ
وَرَبَّمَا أَخْلَفَنَ إِلَّا الَّتِي * آخِرَهَا مِنْهُنَّ سُمِّنَ لَكَ
هَذِي دَلِيلَاتٌ عَلَى عَقْلِهِ * وَالْعَقْلُ فِي أَرْكَانِهِ كَالْمَلِكِ
إِنْ صَحَّ تَصَحَّ الْمَرْءُ مِنْ بَعْدِهِ * وَيَمْلِكُ الْمَرْءُ إِذَا مَا هَلَكَ
فَانْظُرْ إِلَى تَخَسُّعٍ تَدْبِيرِهِ * وَعَقْلُهُ لَيْسَ إِلَى مَا مَلَكَ^(١)
فَرَبَّمَا تَخَلَّطَ أَهْلُ الْحِجَا * وَقَدْ يَكُونُ النَّوْكُ فِي ذِي الدُّسَكِ
فَإِنْ إِمَامٌ سَالَ عَنْ فَاضِلٍ * فَادُلُّ عَلَى الْعَاقِلِ لَا أُمَّ لَكَ

هوذة وكسرى
وكان هوذة بن علي الحنفي يُجِيرُ لَطِيفَةَ كَسْرَى فِي كُلِّ عَامٍ - وَاللَّطِيفَةُ عِيرٌ
تَحْمِلُ الطَّيْبَ وَالْبَرْ - فَوَقَدَ عَلَى كَسْرَى ، فَسَأَلَهُ عَنْ بَنِيهِ ، فَسَمَّى لَهُ عِدَدًا . فَقَالَ :
أَيُّهُمْ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الصَّغِيرُ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَالْغَائِبُ حَتَّى يَرْجِعَ ، وَالْمَرِيضُ حَتَّى
يُفْقِيَ . فَقَالَ لَهُ : مَا غَاذَاؤُكَ فِي بَلَدِكَ ؟ قَالَ : الْحَبْرُ . فَقَالَ كَسْرَى لِحِلْسَانِهِ : هَذَا
عَقْلُ الْحَبْرِ . يَفْضَلُهُ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الْبَوَادِي الَّذِينَ غَاذَاؤُهُمُ اللَّبَنُ وَالْتَمَرُ .

للأعمى في هوذة
وهوذة بن علي الحنفي هو الذي يقول فيه أعشى بكر :

١٥ من ير هوذة يسجد غير مُتَّئِبٍ * إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ فَصَلَّهَا * صَوَاغُهَا لَا تَرَى عَيْنًا وَلَا طَبْعًا

بن أبي ميمنة
وأبي عمرو
وقال أبو عبيدة عن أبي عمرو : لَمْ يَتَوَجَّعْ مَعْدِيُّ قَطْ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ التَّيْجَانُ
لِئَمْنٍ . فَسَأَلَتْهُ عَنْ هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ ، فَقَالَ : إِنَّمَا كَانَتْ خَرَزَاتٍ تُنْظَمُ لَهُ .

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي يدعوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ
كَأَنَّكَ إِلَى الْمَلُوكِ .
بن أبي ميمنة
وأبي عمرو
وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي يدعوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ
كَأَنَّكَ إِلَى الْمَلُوكِ .

وفي بعض الحديث : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ قَالَ : أَقْبِلْ أَفَاقْبَلُ ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَتَهَكَ » .

ثم قال له : أدير أفادير . فقال : وعزى وجلالى ، ما خلقت خلقاً أحب إلى منك ، ولا وضعتك إلا فى أحب الخلق إلى . ولما خلقت الخلق قال له : أقبل . فأدير . ثم قال له : أدير . فأقبل . فقال : وعزى وجلالى ، ما خلقت خلقاً أبغض إلى منك ، ولا وضعتك إلا فى أبغض الخلق إلى .

٥ وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل ؛ ولا يشك فيه أحد من أهل العقول ؛ يقول الله عز وجل فى جميع الأمم : ﴿ وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

وقال أهل التفسير فى قول الله : ﴿ قَسَمُ لِّىْ حِجْرٌ ﴾ قالوا : لذى عقل . وقالوا : ظن العاقل كهانة .

لبعضهم

١٠ وقال الحسن البصرى : لو كان الناس كلهم عقول تحربت الدنيا . وقال الشاعر :

يُعدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً • وإن لم يكن فى قومه بحسب
وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله • وما عاقل فى بلدته بفريب
وقالوا : العاقل بى ماله بسلطانه ، ونفسه بماله ، ودينه بنفسه

١٥ وقال الأحنف بن قيس : أنا للعاقل المدبر أرحم مني للأحمق المقبل . للأحف

قال : ولما أبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : يا آدم إن الله عز وجل قد حبأك بثلاث خصال لتختار منها واحدة وتتخل عن أثنين ؛ قال : وما هن ؛ قال : الحياة والدين والعقل . قال آدم : اللهم إني اخترت العقل . فقال جبريل عليه السلام للحياة والدين : ارتضعا ؛ قال : إن ترتفع . قال جبريل عليه السلام : أعصيتا ؛ قال : لا ، ولكننا أمرنا ألا تفارق العقل حيث كان .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تقتدوا بمن ليست له عقدة .

قال : وما خلق الله خلقاً أحب إليه من العقل .

لأنى صل الله
عليه وسلم

بعضهم

وكان يقال : العقل ضربان : عقل الطبيعة وعقل التجربة ، وكلاهما يحتاج إليه ويؤدى إلى المنفعة .

وكان يقال : لا يكون أحد أحبَّ إليك من وزير صالح وافر العقل كامل الأدب حينك السن بصير بالأمور ، فإذا ظفرت به فلا تباعده ، فإن العاقل ليس بمائتك نصيبته وإن جفَّت .

٥

وكان يقال : غريزة عقل لا يضيع معها عمل .

وكان يقال : أجل الأشياء أصلا وأحلاها ثمرة : صالح الأعمال ، وحسن الأدب ، وعقل مستعمل .

وكان يقال : التجارب ليس لها غاية والعاقل منها فى الزيادة . ومما يؤكد هذا قول الشاعر :

١٠

ألم تر أن العقل زينٌ لأهله . وأن كمال العقل طول التجارب

ومكتوب فى الحكمة : إن العاقل لا يعتز بمودة الكذوب ولا يثق بنصيحة .
ويقال : من فاته العقل والفتوة فرأس ماله الجهل .

ويقال : من غير الناس الشيء ، ورضيه لنفسه فذاك الأحق نفسه .

١٥

وكان يقال : العاقل دائم المودة ، والأحق سريع القطيعة .

وكان يقال : صديق كل أمرئ عقله ، وعدوه جهله .

وكان يقال : المعجب لروح والعاقل منه فى مؤونة . وأما العجب فإنه الجهل والكبر .

وقيل : أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

٢٠

ويقال : ماشى بأحسن من عقل زانه حلم ، وحلم زانه علم ، وعلم زانه صدق ، وصديق زانه عمل ، وعمل زانه رفق .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ليس العاقل من عرف الخير

لسر

من الشر ، بل العاقل من عرف خيرَ الشرِّين .

ويقال : صدق عاقل أحبُّ إلى من صديق جاهل .

ليضم

وكان يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل إليه ، وإياك وفراقه إذا كان كريماً ، ولا عليك أن تصحب العاقل وإن كان غير محمود الكرم ، لكن أحترس من شين أخلاقه وانتفع بعقله ؛ ولا تدع مواصلة الكريم وإن لم تحمد عقله ، وانتفع بكرمه وأنفعه بعقلك ، وفرَّ الفرار كله من الأحمق اللئيم .

وكان يقال : قطيعة الأحمق مثل صلة العاقل .

وقال الحسن : ما أودع الله تعالى امرئ عقلاً ما إلا استفذه به يوماً ما .

الحسن

وأقوى رجل من بني مُجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أئست أفضل قومي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن كان لك عقل فلك فضل ، وإن كان لك تُقى فلك دين ، وإن كان لك مال فلك حَسَب ، وإن كان لك خلق فلك مروءة .

بين النبي صلى الله عليه وسلم ومجاشع

١٠

قال : تفاخر صفوان بن أمية مع رجل ، فقال صفوان : أنا صفوان بن أمية ، بخ بخ . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : وبلك ١ إن كان لك دين فإن لك حَسَباً ، وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإلا فأنت شر من حمار .

بين صفوان بن أمية وعمر

١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : كرم الرجل دينه ، ومروءة عقله ، وحَسَب خلقه .

لنبي صلى الله عليه وسلم

وقال : وكل الله عز وجل الحرمان بالعقل ، وוכל الرزق بالجهل ؛ ليعتبر العاقل فيعلم أن ليس له في الرزق حيلة .

٢٠

وقال بُزْرجهر : لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلدًا ليس فيه خمسة : سلطان قاهر ، وقاض عدل ، وسوق قائمة ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

لبزرجهر

وقال أيضاً : العاقل لا يرجو ما يُعَنَف برجائه ، ولا يسأل ما يخاف منعه ، ولا يمتن ما لا يُستهيى بالقدرة عليه .

لأعرابي

سئل أعرابي : أى الأسباب أعون على تذكية العقل ، وأياها أعون على صلاح السيرة ؟ فقال : أعونُها على تذكية العقل التعلُّم ، وأعونها على صلاح السيرة الفناعة .

وسئل عن أجود المواطن أن يُختبر فيه العقل ؛ فقال : عند التدبير .

وسئل : هل يعمل العاقل بغير الصواب ؟ فقال : مائل ما عمل يأذن العقل فهو صواب .

وسئل : أى الأشياء أدل على عقل العاقل ؟ قال : حُسن التدبير .

وسئل : أى منافع العقل أعظم ؟ قال : اجتناب الذنوب .

لبرزجر

وقال بَرْزَجَر : أَفَرَّةٌ مَا يَكُونُ مِنَ الدُّوَابِّ لَا غَنَى بِهَا عَنِ السُّوْطِ ، وَأَعْفُ

مَنْ تَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ لَا غَنَى بِهَا عَنِ الزَّوْجِ ، وَأَعْقَلُ مَنْ يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ لَا غَنَى بِهِ عَنِ مَشُورَةِ ذَوَى الْأَلْبَابِ .

سئل أعرابي عن العقل متى يُعرف ؟ قال : إذا نهاك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل .

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : العقل نُورٌ فِي الْقَلْبِ تَفْزُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَبِالْعَقْلِ عُرِفَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، وَعُرِفَتْ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَمَوَاقِعُ الْأَحْكَامِ ، وَجَعَلَ اللَّهُ نُورًا فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ يَهْدِيهِمْ إِلَى هُدًى ، وَيَصُدِّمُهُمْ عَنْ رَدًى .

وَمَنْ جَلَّالَةُ قَدْرِ الْعَقْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخَاطَبْ إِلَّا ذَوَى الْعُقُولِ . فقال عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ . وقال : ﴿ لِنُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ . أى عاقلاً . وقال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ . أى لمن كان له عقل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : العاقل يحلم عن ظلم ، ويتواضع لمن هو دونه ، وَيُسَابِقُ إِلَى الْبِرِّ مَنْ فَوْقَهُ . وإذا رأى باب برٍّ اتهمه ، وإذا عرضت له فِتْنَةٌ اعْتَصَمَ بِاللهِ وَتَسَكَّبَهَا .

وقال صلى الله عليه وسلم : قوام المرء عقله ، ولا دين لمن لا عقل له .

وإذا كان العقل أشرف أَعْلَاقِ النَّفْسِ ، وَكَانَ بَعْدَ تَسَكُّنِهِ فِيهَا يَكُونُ سَمُومًا لَطْلَبِ

القضائل وعلوها لا ابتغاء المنازل ، كانت قيمة كل أمرئ عقله ، وحليته التي يحسن بها
في أعين الناظرين فضله .

ولعبد الله بن محمد :

تأمل بعينيك هذا الأناصم . وكُنْ بعض من صانه نُبله
لحليته كل فتى فضله . وقيمة كل أمرئ عقله
ولا تتكل في طلب الملا . على نسب ثابت أصله
فما من قبي زانه أهله . يثوى وخالفه فعله

ويقال : العقل إدراك الأشياء على حقائقها فن أدرك شيئا على حقيقته فقد
كَمَلَ عقله .

١٠. وقيل : العقل مرآة الرجل .

أخذه بعض الشعراء فقال :

عقل هذا المرء مرآة . تَرى فيها فصالة
فإذا كان عليها . صدأ فهو جهالة
وإذا أخلصه الله . صقالا وصفاله
فهو تعطى كل حَيٍّ . ناظر فيها مثاله
ولاخر : لا ترائي أبداً أكرمُ ذا المال لماله
لاولا تُرى بمن يعقل عندي سوء حاله
إنما أفضى على ذا . ك وهذا يفعاله
أنا كالمراة ألقى . كل وجه يمثاله
كيفما قلبي الدهر يبدق من رجاله

ولبعضهم :

إذا لم يكن المرء عقل فإنه . وإن كان ذا نبل على الناس هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله . وأفضل عقل عقل من يتدين

وقال آخر :

إذا كنت ذا عقل ولم تك ذا غنى • فأنت كذى رَحْلٍ وليس له بَنْلٍ
وإن كنت ذا مال ولم تك عاقلاً • فأنت كذى بَنْلٍ وليس له رَحْلٍ
ويقال : إنَّ العقل عَيْنُ القلب ، فإذا لم يكن للمرء عقل كان قلبه أَكْمَه .

وقال صالح بن جَنَاح :

ألا إنَّ عقل المرء عَيْنًا فَوَّاده • وإن لم يكن عقلٌ فلا يُبصر القلب
وقال بعض الفلاسفة : الهوى مَصَادُ العقل .

ولعبد الله بن محمد : ثلاث من كُنَّ فيه جوى الفضل وإن كان راعباً عن
سواها : محبة العقل ، والتسك بالعدل ، وتنزيه نفسه عن هواها .

١٠ لابن دريد ولمحمد بن الحسن بن دُرَيْد :

وَأَقَّةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَنَ عَلَا • عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

وقال بعض الحكماء : ما عُبِدَ الله بشيء أحبَّ إليه من العقل ، وما عُصِيَ بشيء
أحبَّ إليه من السُّر .

وقال مسلمة بن عبد الملك : ما قرأت كتاباً قط لأحد إلا عرفت عقله منه .

١٥ وقال يحيى بن خالد : ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها : الكتاب يدل على
عقل كاتبه ، والرسول يدل على عقل مُرسله ، والهدية تدل على عقل مهديها .

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً ، فقيل له : إنه حديث السن ولا نزاه
يضبط عملك ؛ فأخذ العهد منه وقال : ما أراك تضبط عملك لحداثتك ؛ فقال الفتى :
من أمواته

وليس يزيد المرء جهلاً ولا عَمَى * إذا كان ذا عقل ، حدائهُ سنّه

٢٠ فقال عمر : صدق ، وردَّ عليه عهده .

وقال جَثَامَةُ بن قيس يصف عاقلاً :

يصير بأعقاب الأمور كأنما • تخطبه من كلِّ أمر عواقبه

شعر بلنامة

ولغيره في المعنى :

ولغيره

بصير بأعقاب الأمور كأنما هـ يرى بصواب الرأي ما هو واقع

وقال شبيب بن شيبه لخصاله بن صفوان : إني لأعرف أمراً لا يتلاقى فيه
ابن صفوان
اثنان إلا وجب النجاح بينهما ؛ قال له خاله : ما هو ؟ قال العقل ، فإن العاقل
لا يسأل إلا ما يجوز ، ولا يردُّ عما يمكن . فقال له خاله : نعت إلى فني ،
إنا أهل بيت لا يموت منا أحد حتى يرى خلفه .

وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد : يا بُنيء آخذ الجاهل وإن كان لك ناصحاً
ومضة عبد الله
ابن الحسين
كما يجند العاقل إذا كان لك عدواً ؛ ويوشك الجاهل أن تورطك مشورته في
بعض اغترارك فيسبق إليك مكر العاقل ؛ وإياك ومعاداة الرجال ، فإنك لا تعدمن
منها مكر حليم عاقل ، أو معاندة جاهل .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : لا مال أغود من
عقل ، ولا فقر أضرب من جهل .
ويقال : لا مروءة لمن لا عقل له .

وقال بعض الحكماء : لو استغنى أحد عن الأدب لاستغنى عنه العاقل ، ولا ينتفع
بالأدب من لا عقل له ، كما لا ينتفع بالرياضة إلا النجيب .

وكان يقال : بالعقل تنال لذة الدنيا ، لأن العاقل لا يسمى إلا في ثلاث :
مزية لمعاش ، أو منفعة لمعاد ، أو لذة في غير محرم .

ولبعضهم :

إذا أحببت أقواماً فلا تصق * بأهل العقل منهم والحياء

فإن العقل ليس له إذا ما هـ تفاضلت الفضائل من كفاء

لمحمد بن يزيد :

وأفضل قسم الله للبر عقله * وليس من الخيرات شيء يُقاربه

إذا أكمل الرحمن للبر عقله هـ فقد كملت أخلاقه ومآربه

يَعِيشُ الْفَقِي بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ * عَلَى الْعَقْلِ يَجْرِي عَلَيْهِ وَتَجَارِبُهُ
وَمَنْ كَانَ غَلَاً بِعَقْلٍ وَتَجِدَةً * فَدَوَّ الْجَدِّ فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ غَالِيَهُ
فَزَيْنُ الْفَقِي فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ * وَإِنْ كَانَ تَحْصُوراً عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَشَيْنُ الْفَقِي فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ * وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَافُهُ وَمَنَاسِبُهُ

ولبعضهم :

العقل يأمر بالعفاف وبالثَّقَى * وإليه يأوى الحلم حين يؤول
فإن استطعت فخذ بفضلك فضله * إن العقول يُرى لها تفضيل

ولبعضهم :

إِذَا جُمِعَ الْأَفَاثُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا * وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي عَقْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ غَنًى * وَلَا خَيْرَ فِي غِنًى إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
وَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَقْلٌ فَقَلِيلُهُ * هُوَ النَّصْلُ وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

ولبعضهم :

يُمَثِّلُ ذُو الْعَقْلِ فِي نَفْسِهِ * مَصَابِيهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَا
فَإِنْ نَزَلَتْ بِنْتُهُ لَمْ تَرْعُهُ * لِيَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَثَلَا
رَأَى الْمَهْمُ يُفْقِضُ إِلَى آخِرِهِ * فَصِيرَ آخِرَهُ أَوَّلَا
وَذُو الْجَهْلِ يَأْمَنُ أَيْامَهُ * وَيَقْسِي مَصَارِعَ مَنْ قَدْ خَلَا

الحكمة

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا أَخْلَصَ عِبْدُ الْعَمَلِ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً إِلَّا
ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ .

الذي صلى الله
عليه وسلم

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، يَأْخُذُهَا مَنْ سَمِعَهَا وَلَا
يَبَالِي مَنْ أَيَّْ وِعَاءٍ خَرَجَتْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتُظْلِمُوهَا ،
وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتُظْلَمُوا .

الحكما.

وقال الحكماء: لا يَطْلُبُ الرجل حكمةً إلا بحكمةٍ عنده .

وقالوا: إذا وجدتَ الحكمةَ مطروحةً على السَّكِّكَ اغْنَوْها .

في الحديث

وفي الحديث: خذوا الحكمة ولو من ألسنةِ المشركين .

لزياد

وقال زياد: أيها الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تتنفعوا بأحسن

ما تسمعون منا؛ فإن الشاعر يقول:

اعْمَلْ بِعَيْلِي وَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي . يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

نواذر من الحكمة

لقس بن ساعدة

قبل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه .

قبل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند غيره . قبل له: فما أفضل

المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه .

الحسن

وقال الحسن: التقدير نصف الكسب، والتؤدة نصف العقل، وحسن طلب

الحاجة نصف العلم .

لبعضهم

وقالوا: لا عقل كالتيدير، ولا ورع كالكلف، ولا حسب كحُسين الخلق،

ولا غنى كريضاً عن الله، وأحق ما صبر عليه ما ليس إلى تغييره سبيل .

وقالوا: أفضل البر الرحمة، ورأس المودة الاسترسال، ورأس العقوق

مكائمة الأذنين، ورأس العقل الإصابة بالظن .

وقالوا: التفسر نور والنفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والعلم حياة، والأول

سابق، والآخر لاحق، والسعيد من وعظ بغيره .

ابن الطرب وجمعة
في مجلس ملك حمير

حدث أبو حاتم قال: حدثني أبو عبيدة قال: حدثني غير واحد من هوازن

من أولى العلم، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية . قالوا: اجتمع عمرو بن الطرب

العدواني، وجمعة بن رافع النوسى . ويزعم النسابة أن لى بنت الطرب أم دوس،

وزينب بنت الطرب أم ثقيف . عند ملك من ملوك حمير، فقال: نساء لا حتى

أسمع ما تقولان . فقال عمرو لجمعة: أين تحب أن تكون أياهايك؟ قال: عند

- ذِي الرَّثِيَّةِ الْعَدِيمِ ، وَعِنْدَ ذِي الْحَلَّةِ الْكَرِيمِ ، وَالْمُعِيرِ الْغَرِيمِ ، وَالْمُسْتَضْعِفِ الْمَضْمِنِ . قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ ؟ قَالَ : الْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالضَّعِيفُ الصَّوَّالُ ، وَالْعَبِيءُ الْقَوَّالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ ؟ قَالَ : الْخَرِصُ الْكَائِدُ ، وَالْمُسْتَعِيدُ الْحَانِدُ ، وَالْمُلْحِفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ بِالصَّنِيعَةِ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا مُنِعَ عَدَرَ ، وَإِذَا مُطَالَ صَبَرَ ، وَإِذَا قُدِّمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . ٥
- مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا قُرِبَ مَنَعَ ، وَإِذَا بَعُدَ مَدَحَ ، وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ ، وَإِذَا ضُوقِيَ سَمَحَ . قَالَ : مَنْ أَلَمُّ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ تَخَصَّعَ ، وَإِذَا سئِلَ مَنَعَ ، وَإِذَا مَلَكَ كَتَعَ ، ظَاهِرُهُ جَشَعَ ، وَبَاطِنُهُ طَبَعَ . قَالَ : فَمَنْ أَحْلَمُ ؟^(١) النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ عَمَّا إِذَا قَدَّرَ ، وَأَجْمَلَ إِذَا انْتَصَرَ ، وَلَمْ تُطْفِئِهِ عَرَّةُ الظُّفْرِ :
- قَالَ : فَمَنْ أَحْزَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ ، وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نَضَبَ عَيْنَيْهِ ، وَتَبَكَدَ التَّيِّبَ دَبْرَ أُذُنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخَرَقُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ رَكِبَ الْخَطَّارَ ، وَاعْتَسَبَ الْيَثَارَ ، وَأَسْرَعَ فِي الْيَدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ أَوْجُودُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ بَدَّلَ الْمَوْجُودَ ، وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَعْهُودِ^(٢) . قَالَ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ جَلَّى الْمَعْنَى الْمَرِيزَ بِاللَّفْظِ الْوَجِيزِ ، وَطَبَّقَ الْمِفْصَلَ قَبْلَ التَّحْزِيزِ . قَالَ :
- مَنْ أَنْعَمُ النَّاسِ عَيْشًا ؟ قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشْقَى النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النَّعَمِ ، وَحَسَبَ عَلَى الْقِسْمِ ، وَاسْتَشْعَرَ النَّدَمَ ، عَلَى فُوتِ مَا لَمْ يُحْتَمِمْ^(٣) . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسِ ، قَالَ : مَنْ اسْتَشْعَرَ الْيَأْسَ ، وَأَظْهَرَ التَّجَمُّلَ لِلنَّاسِ ، وَاسْتَكْبَرَ قَلِيلَ النَّعَمِ ، وَلَمْ يُسَخِّطْ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ : فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ صَمَتَ قَادِرًا ، وَنَظَرَ فَاعْتَبَرَ ، وَوَعِظَ فَازْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ ؟ قَالَ : مَنْ رَأَى الْخَرَقَ مَمْنَمًا ، وَالتَّجَاوَزَ مَقَرَّمًا .
- ٢٠

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْحَلَّةُ : الْحَاجَةُ ، وَالْحَلَّةُ : الصَّدَاقَةُ . وَالْكَائِدُ : الَّذِي يَكْفُرُ

لَأَبِي عُبَيْدَةَ فِي
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « أَجَلٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « الْمَقْهُودُ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « مَا انْتَمَى » .

النعمة ، والكثود : الكفور . والمستبد : مثل المستير ، وهو المستطى ، ومنه اشتقاق المائدة لأنها تُمَادُ . وكنع : تقبض ، يقال منه : تكنع جلده ، إذا تقبض ، يريد أنه تَمَسَّكَ بِخَيْلٍ . والجشع : أسوأ الحرص . والطبع : الدنس . والآعساف : ركوب الطريق على غير هداية ، وركوب الأمر على غير معرفة . والمزبد : من قولهم : هذا أمرٌ من هذا ، أى أفضل منه وأزيد . والمطبق من السيوف : الذى يُصِيبُ الفاصل لا يجاوزها .

وقال عمرو بن العاص : ثلاث لا أناة فيهن : المبادرة بالعمل الصالح ، ودفن لسرو بن العاص الميت ، وتزويج الكفء .

وقال : ثلاثة لا يُندَمُ على ما سَلَفَ إليهم : الله عز وجل فيما عمل له ، والمولى الشكور فيما أُسْدِيَ إليه ، والأرض الكريمة فيما بُذِرَ فيها .

وقالوا : ثلاثة لا يلقها : ظلُ النعام ، وصحبةُ الأشرار ، والثناء الكاذب .
وقالوا : ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة . القِيَّ في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

وقالوا : ثلاثة لا تُعرف إلا في ثلاثة : ذو البأس لا يُعرف إلا عند اللقاء ، وذو الأمانة لا يُعرف إلا عند الأخذ والعطاء ، والإخوان لا يُعرفون إلا عند النوائب .

وقالوا : مَنْ حَلَّابٌ ثلاثة لم يسلم من ثلاثة : من طلب المال بالكيما ، لم يسلم من الإفلاس ؛ ومن طلب الدين بالفاسفة لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب الفقه بمرائب الحديث لم يسلم من الكذب ،

وقالوا : عليكم ثلاث : جالسوا الكبراء ، وغالطوا الحكماء ، وسائلوا العلماء .

وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه : أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ .

وآجتمعت علماء العرب والعجم على أربع كلمات : لا تحمّل على ظَنِّكَ ، لا تفتقر بامرأة ، ولا تثق بمالٍ وإن كثر .

قَالَ الرِّاحِي فِي حُطْبَتِهِ بِالْمَرْبِدِ : يَا بَنِي رِيَّاحٍ ! لَا تَحْقِرُوا صَغِيرًا تَأْخُذُونَ عَنْهُ ، فَإِنِّي أَخَذْتُ مِنَ الثَّعْلَبِ وَرَوَّغَانَهُ ، وَمَنِ الْقِرْدِ حَكَايَتَهُ ، وَمَنِ السَّنُورِ ضَرَعَتَهُ ، وَمَنِ الْكَلْبِ نَصْرَتَهُ ، وَمَنِ ابْنِ آوَى حَذَرَهُ ؛ وَلَقَدْ تَعَلَّيْتُ مِنَ الْقَمَرِ سُبْرَ اللَّيْلِ ، وَمَنِ الشَّمْسِ ظُهُورَ الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ .

الرياحي

وَقَالُوا : ابْنُ آدَمَ هُوَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْعَالَمَ كُلَّهُ ، فَكَانَ فِيهِ بِسَالَةُ اللَّيْثِ ، وَضَبْرُ الْحِمَارِ ، وَحِرْصُ الْخَنْزِيرِ ، وَحَذَرُ الْغَرَابِ ، وَرَوَّغَانُ الثَّعْلَبِ ، وَضَرَعُ السَّنُورِ ، وَحَكَايَةُ الْقِرْدِ ، وَجَبْنُ الصَّفَرْدِ .

لبضم

وَلَمَّا قَتَلَ كَسْرَى بُزْرَجْمَهُ وَجَدَ فِي مِثْقَلَتِهِ مَكْتُوبًا : إِذَا كَانَ الْغَدَرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالْتَفِعْ بِالنَّاسِ بَحْرًا ، وَإِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ رَاصِدًا فَالطَّمَأْنِينَةُ خُفَى .

بعد مقتل
بزرجهر

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : خُذِ الْخَيْرَ مِنْ أَهْلِهِ . وَدَعْ الشَّرَّ لِأَهْلِهِ .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا تَهْكُوا وَجْهَ الْأَرْضِ فَإِنَّ شَجْمَتَهَا فِي وَجْهِهَا .

لأبي عمرو بن
العلاء

لعمر بن الخطاب

وَقَالَ : بَعِ الْحَيَوَانَ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ فِي عَيْنِكَ :
وَقَالَ : فَرِّقُوا بَيْنَ الْمَنَاسِيَا ، وَاجْعَلُوا مِنَ الرَّأْسِ رَأْسَيْنِ ، وَلَا تَلْبِسُوا بَدَارَ مَعْجُزَةٍ .

وَقَالُوا : إِذَا قَدِمْتَ الْمَصِيبَةَ تَرَكْتَ التَّعْزِيَةَ ، وَإِذَا قَدِمَ الْإِخَاءَ سَمَّجَ الشَّاءَ .
وَفِي كِتَابِ الْهِنْدِ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَدَّخِرَ التَّمَّاسَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، وَلَا عُدَّ جَاهِلًا ، كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ السَّفْنَ فِي الْبَرِّ وَالْعَجَلُ فِي الْبَحْرِ ، وَذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ .

لهند

وَقَالُوا : إِحْسَانُ الْمُسَى أَنْ يَكْفَى عَنْكَ أَذَاهُ ، وَإِسَاءَةُ الْمُحْسِنِ أَنْ يَمْتَكِكَ جَدْوَاهُ .
وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : اقْدَعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ ، وَحَادِثُهَا بِالْذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيمَةُ الدُّنُورِ ؛ فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ .

للحسن البصري

يقول : حادوثها بالحكمة كما يُحدّث السيف بالصقال ، فإنها سريعة الدثور :
يريد الصدا الذي يمرض للسيف . وأقدعوها : من قدّعت أنف الجمل ، إذا دفعته ،
فإنها طُلّعة : يريد مُطلّعة إلى الأشياء .

قال أودشير بن بابك : إنّ للأذان حُجَّةً وللقلوب مَلَلًا : ففرّقوا بين الحكمتين
يكنّ ذلك استجماما . ٥

البلاغة وصفتها

قيل لعمرو بن عُبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بَلَنك الجنة وعدَل بك عن النار .
قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فما بَصَرَكَ مواضع رشذك ، وعواقب غيِّك .
قال : ليس هذا أريد . قال : من لم يُحَسِّن أن يَسْكُت لم يُحَسِّن أن يَسْمَع ، ومن
لم يُحَسِّن أن يسمع لم يُحَسِّن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن
يقول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا معشر
النبيين بكاء - أي قلبوا الكلام ، وهو جمع بكى . وكانوا يكرهون أن يزيد
منطق الرجل على عقله - قال السائل : ليس هذا أريد . قال : فكأنك تريد تَخْيِيرَ
الألفاظ في حُسن إيفهام ؟ قال : نعم . قال : إنك إن أردت تقرير حُجَّة الله في
عقول المكافئين وتَخْفِيفِ المثونة على المستمعين ، وتَرْزِيقِ المعاني في قلوب المستفهمين ،
بالألفاظ الحسنة ، رغبةً في سُرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ،
بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة ، كت قد أوتيت فصل الخطاب . ١٥

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الوصل من الفصل .
وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : إيجاز الكلام ، وحذف الفضول ،
وتقريب البعيد . ٢٠

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ قال : ألا يُؤَنَّى القاتل من سوء فهم السامع ،
ولا يُؤَنَّى السامع من سوء بيان القاتل .

وقال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ ، وتصيب

ببساوية وصحار

فلا تُخطئ . ثم قال : أَقْلَى يا أمير المؤمنين . قال : قد أَقْلَسَكَ . قال :
أَلَا تُبْطِئُ وَلَا تُخْطِئُ .

لأبي حاتم

قال أبو حاتم : استطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوجز منه .

بين ابن صفوان
ورجل يكثر
القول

وسمع خالد بن صفوان رجلاً يتكلم ويكثر ، فقال : أعلم رحمتك الله أن
البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة
فقال له : أبا صفوان ، ما من ذنب أعظم من آفاق الصنعة .

وتكلم ربيعة الرأي يوماً فأكثر ، وللى جنبه أعرابي ، فالتفت إليه فقال :
ما تَعْدُونُ البلاغة يا أعرابي ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تَعْدُونُ
العي ؟ قال : ما كنت فيه منذ اليوم ، فكأنما أَلْقَمَهُ حجراً .

- ومن أمثالهم في البلاغة قولهم : يُقِلُّ الحَزَّ وَيُطَبِّقُ المِفْصَلَ . وذلك أنهم
شبهوا البليغ المَوْجِزَ الذي يُقِلُّ الكلامَ وَيُصِيبُ الفصولَ والمعاني ، بالجزار الرفيق
الذي يُقِلُّ حَزَّ اللحم ويصيب مفاصله .
ومثله قولهم :

• يضع الهناء مواضع النُقْبِ •

- أى لا يتكلم إلا فيما يجب فيه الكلام ، مثل الطالئ الرفيق الذي يضع الهناء
مواضع النُقْبِ . والهناء : القَطْرَانِ . والنُقْبُ : الجَرْبُ .

وقولهم : قَرَطَسَ فلان فأصاب الثغرة ، وأصاب عينَ القرطاس . كل هذا
مثل للصيب في كلامه المَوْجِزِ في لفظه .

لعتابي

قيل للعتابي : ما البلاغة ؟ قال : إظهار ما غَضَّ من الحق ، وتصوير الباطل
في صورة الحق .

٢٠

لأعرابي

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة .

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : نشر الكلام بمعانيه إذا قَصُرَ ، وحُسن
التأليف له إذا طال .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ فقال : قَرع الحجة ودُنُو الحاجة .

وقيل لآخر ما البلاغة ؟ قال : الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير حطّال .

وقيل لغيره : ما البلاغة ؟ قال : إقلال في إرجاز ، وصراب مع سرعة جواب .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام واختيار الكلام .

وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟ قال : مَنْ ترك الفضول واقتصر على الإيجاز .

وكان يقال : رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : سُميَ البليغ بليغاً لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه

وسُئل بعض الحكماء عن البلاغة فقال : من أخذ معاني كثيرة فأذاها بألفاظ

قليلة ، وأخذ معاني قليلة فولّد منها لفظاً كثيراً ، فهو بليغ .

وقالوا : البلاغة ما حسن من الشعر المنظوم نثره ، ومن الكلام المنثور نظمته .

وقالوا : البلاغة ما كان من الكلام حسناً عند استماعه ، موجزاً عند بديته .

وقيل : البلاغة لغة دالة على ما في الضمير .

وقال بعضهم : إذا كفّك الإيجاز فالإكثار عيب ، وإنما يحسن الإيجاز

إذا كان هو البيان .

١٥ ول بعضهم :

خير الكلام قليل * على كثير دليل

والعنى معنى قصير * يحويه لفظ طويل

وقال بعض الكتاب : البلاغة معرفة الفصل من الوصل . وأحسن الكلام

القصد وإصابة المعنى .

٢٠ قال الشاعر :

وإذا نطقت فلا تكن أثيراً * وأقصد غيرُ الناس من قصدا

وقال آخر :

وما أحد يكون له مقال * فيسلم من ملام أو أثم

وقال :

الدهر ينقص تارة ويطول ٥ والمرء يصمت مرة ويقول
والقول مختلف إذا حصله ٥ بعض يُردّ وبعضه مقبول

وقال :

٥ إذا وضع الصواب فلا تدعه ٥ فإنك كلما دُقت الصوابا ...
... وجدت له على اللّهوات برّدا ٥ كبرّد الماء حين صفا وطابا

وقال آخر :

ليس شأن البليغ إرساله القو ٥ لَ بطول الإسهاب والإكثار
إنما شأنه التلطف للبعثى بحسن الإيراد والإصدار

وجوه البلاغة

١٠

البلاغة تكون على أربعة أوجه : تكون باللفظ والخط والإشارة والدلالة .
وكل منها له حظ من البلاغة والبيان ، وموضع لا يجوز فيه غيره .
ومنهم قولهم : لكل مقام مقال ؛ ولكل كلام جواب ؛ ورب إشارة
أبلغ من لفظ .

١٥

فأما الخط والإشارة ففهمان عند الخاصة وأكثر العامة ؛ وأما الدلالة فكل
شيء ذلك على شيء فقد أخبرك به ، كما قال الحكميم : أشهد أن السموات والأرض
آيات دالات ، وشواهد قائمات ، كل يؤدّي عنك الحجة ، ويشهد لك بالرّبوبية .
وقال الآخر : سل الأرض : من غرس أشجارك ، وشقّ أنهارك ، وجبّ
ثمّارك ؟ فإن لم تجبك إخباراً أجابتك اعتباراً .

بعضهم

٢٠

وقال الشاعر . لبعض الشعراء .

لقد جئتُ أبغى لنفسي مجيراً ٥ فجئتُ الجبالَ وجئتُ البحوراً
فقال لي البحرُ إذ جئتُه ٥ فكيفُ مجبورٌ ضريرٌ ضريراً

وقال آخر :

* نطقت عينه بما في الضمير .

لنصيب

وقال نصيب بن رباح :

فعاوجوا فاقنوا بالذي أنتَ أهله * ولو سكتوا أثنتُ عليك الحماطب

يريد : لو سكتوا لأثنتُ عليك حقايبُ الإبل التي تحتفها الركبُ من هياتك

وهذا الثناء إنما هو بالدلالة لا باللفظ .

لحيب

وقال حبيب :

الدارُ : ناطقة وليست تنطق * يدُورها أن الجديد سيخلقُ

وهذا في قديم الشعر وحديثه وطارف الكلام وتليده أكثرُ من أن يُحيط به

وصف أو يأتي من ورائه نعت .

بين الثابتين
ورجل في
البلاغة

وقال رجل للثاني : يا البلاغة ؟ قال : كُلُّ مَنْ بَدَأَكَ حاجته ، وأفهمك

معناه بلا إعادة ولا حُبسة ولا استعانة ، فهو بليغ . قالوا : قد فهمنا الإعادة

والحُبسة ، فما معنى الاستعانة ؟ قال : أن يقول عند مقاطع كلامه : أسمع مني ،

وأفهم عني ؛ أو يمسح عُشونه ، أو يقتل أصابه ، أو يُكثر النفاثة من غير

موجب ، أو يتساعل من غير سُئلة أو يفهر في كلامه .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

ملي به يهيز وألتفاتٍ وسُئلة * ومَسَحَةِ عُشُونٍ وَقَتْلِ الأصابع

وهذا كله من التبي.

لأبروز

وقال أبروز لكتابه : أعلم أن دعائم المقالات أربع ، إن التيس لها خامسة

لم توجد ، فإن نقصت منها واحدة لم تتم ، وهي : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن

الشيء ، وأمرك بالشيء ، وإخبارك عن الشيء ؛ فإذا طلبت فأصبح ، وإذا سألت

فأوضح ، وإذا أمرت فأحكيم ، وإذا أخبرت فهقق ، واجمع الكثير مما تريد في

القليل مما تقول . يريد الكلام الذي تقل حروفه وتكثر معانيه .

- لريمة الرأي وقال ربيعة الرأي : إني لأسمع الحديث عطلا فأشغفه وأقرطه فيحسُن ، وما زدتُ فيه شيئاً ولا غيّرتُ له معنى .
- لبضم وقالوا : خير الكلام ما لم يُخْتَجْ بعده إلى كلام .
- لجبي وقال يحيى : الكلام ذو فنون ، وخيره ما وفق له القائل ، وانتفع به السامع .
- وللحسن بن جعفر :

- عجبت لإدلال العبيّ بنفسه ، وصمت الذي قد كان بالحق أعلا
وفي الصمت ستر للعبيّ وإنما ، صحيفة لبّ المرء أن يتكلما
- لأعرابي وصف أعرابي بليفاً فقال : كأن الأسن رِيضت فما تنعقد إلا على وُدّه ، ولا تنطق إلا ببيانه .
- لأبي الوجيه وصف أبو الوجيه بلاغة رجل فقال : كان والله يُشول بلسانه شَوْلان ١٠
البروق ، ويتخلل به تخلل الحية .
- وللحرب من مَوْجَز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة ، وبدائع غريبة .
وسألتُ على صدر منها إن شاء الله .

فصول من البلاغة

- لعتبة بن مسلم قدم قُتيبة بن مُسلم خُراسان والياً عليها ، فقال : مَنْ كان في يده شيءٌ من مال
عبد الله بن عازم فَلْيَبْدِهِ ، وَمَنْ كان في فيه فَلْيَلْفِظْهُ ، وَمَنْ كان في صدره فَلْيَنْفُثْهُ .
فصعب الناس من حُسْن ما فعل .
- لابن السمال وقيل لابن السَّمال الأسدي أيام معاوية : كيف تركتَ الناس ؟ قال : تركتهم
بين مظلوم لا يَنصَف ، وظالم لا يَتَقَى .
- ٢٠ وقيل لثيب بن شَيْبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى : كيف رأيتَ الناس ؟
قال : رأيتُ الداخِل راجياً والخارج راضياً .

وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس :

إذا قال كَمْ يتركُ معالاً لِمَسائل . يُبَلِّغُ قَاطِبٍ لا تَرَى يَتَمها فَصَلاً

كُنْتُ وَشَقَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدْعُ . لِذِي إِدْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَوْلًا

ولقي الحسين بن علي رضوان الله عليهما الفرزدق في مسيره إلى العراق ؛
وفسأله عن الناس ؛ فقال : القلوبُ معك ، والسيوفُ عليك ، والنصر في السماء .

وقال مجاشع النهشل : الحقُّ ثَقِيلٌ ؛ فَمَنْ بَلَغَهُ أَكْتَفَى ، وَمَنْ جَاوَزَهُ اعْتَدَى .

٥ وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين المشرق والمغرب ؟
فقال مَسِيرَةُ يَوْمِ الشَّمْسِ : قِيلَ لَهُ : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مَسِيرَةُ
سَاعَةٍ لِدَعْوَةِ مُسْتَجَابَةٍ .

وقيل لأعرابي : كم بين موضع كذا إلى موضع كذا ؟ قال : يَأْمُضُ يَوْمٌ
وَسَوَادُ لَيْلَةٍ .

١٠ وشكا قوم إلى المسيح عليه السلام ذُنُوبَهُمْ ، فقال : أَتَرْكُوهَا تَنْفَرُ لَكُمْ .
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قِيَمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ .

وقيل لخالد بن يزيد بن معاوية : مَا أَقْرَبُ شَيْءٍ ؟ قال : الْآجِلُ . قِيلَ لَهُ :
فَمَا أَبْعَدُ شَيْءٍ ؟ قال : الْأَمَلُ . قِيلَ لَهُ : فَمَا أَوْحَشُ شَيْءٍ ؟ قال : الْمَيِّتُ . قِيلَ لَهُ :
فَمَا أَتَسُّ شَيْءٍ ؟ قال : الصَّاحِبُ الْمَوَاتَى .

١٥ مرَّ عمرو بن عُبيد بسارقٍ يُقْطَعُ ، فقال : سَارِقُ السَّرِيرَةِ قَطَعَ سَارِقَ الْعَلَانِيَةِ .
وقيل للخليل بن أحمد : مَا لَكَ تَرَوِي الشَّعَرَ وَلَا تَقُولُهُ ؟ قال : لِأَنِّي كَأَمْسَنَ :
أَشْعَدُ وَلَا أَقْطَعُ .

وقيل لثعلب بن عُلفه : مَا لَكَ لَا تُطِيلُ الْهِجَاءَ ؟ قال : يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ
مَا أَحْبَبْتَ بِالْعَنَقِ .

٢٠ ومرَّ خالد بن صفوانَ بِرَجُلٍ صَلَبَهُ الْخُلَيْفَةُ ، فقال : أَبْنَتُهُ الطَّاعَةُ
وَحَصَدَتُهُ الْمَعْصِيَةُ .

ومرَّ أعرابي بِرَجُلٍ صَلَبَهُ السُّلْطَانُ ، فقال : مَنْ طَأَّقَ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ صَاحِبُهُ ،
وَمَنْ فَارَقَ الْحَقَّ فَالْجَنَّةُ رَاحَتُهُ .

الحسين بن علي
والفرزدق

لمجاشع

علي

المسيح عليه
السلام

خالد بن يزيد

عمرو بن هبيرة
في سارق

لثعلب بن علفه

خالد بن صفوان

لأعرابي
في معلوب

النعمان وعدي
ابن زيد

ومن النطق بالدلالة ما حدث به العباس بن الفرج الرياشي قال : نزل النعمان
ابن المنذر ومعه عدي بن زيد العبادي في ظل شجرة مُورقة ليلهو النعمان هناك ،
فقال له عدي : أريدت اللعن ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : ما تقول ؛
قال : تقول ؛

رُبَّ بَرَبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا * يَمْزُجُونَ الْحَرَّ بِالمَاءِ الزُّلَالِ
ثُمَّ أَخَعُوا عَصْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ * وكذلك الدهرُ جَالٌ بعد حال
فتنقص على النعمان ما هو فيه .

وقال ابن الأعرابي : قلت للفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حذف الفضول ،
وتقريب البعيد .

وقال رجل لخالد بن صفوان : إنك تُكثِر . قاله : أَكْثَرُ لَضَرِيَيْنِ : أحدهما
فما لا تغني فيه القِلة ، والآخر لتمرّيس اللسان ، فإن حبسه يورث العقلة .
وكان خالد بن صفوان يقول : لا تكون بليغاً حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداء في
الليلة الظلماء في الحاجة المِهْمَة بما تَكَلِّمُ به في نادى قومك .
وإنما اللسان عُضْوٌ إِذَا مَرَّتْهُ مَرَاتٌ ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ لَيْكِنَ ^(١) كاليد التي
تخشنها بالممارسة ، والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه ، والرجل إِذَا
عَوَّدْتَ المشي مَشَتْ .

ابن وائل
وامرأته

وكان توفيل بن مُساحق إِذَا دخل على امرأته صَمِتَ ، فإِذَا خرج عنها تَكَلَّمَ .
فَقَالَتْ لَهُ : إِذَا كُنْتُ عِنْدِي سَكْتٌ ، وَإِذَا كُنْتُ عِنْدَ النَّاسِ تَنْطِقُ ؟ قَالَ : إِنِّي
أَجِلُّ عَنْ دَقِيقِكَ وَتَدْقِيقٍ عَنْ جَلِيلِي .

وذكر شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال : ليس له صديق في البر
ولا عمو في العلاية .

لشبيب بن
صفوان

وهذا كلام لا يعرف قَدْرَهُ إِلَّا أَهْلُ صِنَاعَتِهِ .

(١) في بعض الأصول : وكان .

ووصف رجل آخر فقال : أتيتاه فأخرج لسانه كأنه مخراق لآعب .

ودخل معن بن زائدة على المنصور يقارب خطوه ، فقال المنصور : لقد
كبرت سنك ؛ قال : في طاعتك ؛ قال : وإنك لجلد ؛ قال : على أعدائك ؛ قال :
أرى فيك بقية ؛ قال : هي لك .

وكان عبد الله بن العباس بليغا ، فقال فيه معاوية :
عباس

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف * ليحيى ولم يثن اللسان على مجي
يُصرف بالقول اللسان إذا انتحى . وينظر في أعطائه نظير الصقر

وتكلم صمصمة بن صوحان عند معاوية ففرق ، فقال له معاوية : بهرك
بين صمصمة
ومعاوية
القول ؟ قال : الجياد تضاح بالعرق .

وكتب ابن سيابة إلى عمرو بن بانة : إن الدهر قد كَلَحَ لجرح ، وطَمَحَ لجمع ،
لأب سيابة
وأفسد ماصِلح ، فإن لم تُعن عليه فَضَح .

ومدح رجل من طيئ كلام رجل فقال : هذا الكلام يُكتفى بأولاه ،
ويُشتنى بأخراه .

ووصف أعرابي رجلا فقال : إن رفدك لنَجِيج ، وإن خيرك لصريح ،
وإن منعك لمريح .

ودخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام ، فقدم خصما له إلى قاض
لعبد الملك ، وكان خصمه شيخا كبيرا . فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا ؟
فقال له إياس : الحق أكبر منه ؟ قال له : أسكت ؛ قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال :
ما أظنك تقول حقا حتى تقوم ؛ قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضي
فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر . فقال : آفَضَ حاجته الساعة وأخرجه من
الشام لا يُفسد على الناس .

ومن الأبياح قول ابن القريّة ، وقد دُعِيَ لكلام فاحتبس القول عليه ، فقال :
وقتي من
هبة القيس
قد طال السمر ، وسقط القمد . واشتد المطر فما انتظر . فأجابه فتى من عبد القيس :

قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، فليطلق من نطق .

قال أحد بن يوسف الكاتب : دخلتُ على المأمون وبه كتاب لعمرو
ابن مسعدة ، وهو يُصعد في ذُراه ، ويقوم مرة ويقعد أخرى ، ففعل ذلك
مرارا ، ثم التفت إليّ فقال : أحسبك مفكرا فيما رأيت ؟ قلت : نعم ، وفي الله
عز وجل أمير المؤمنين المكاره ، فقال : ليس بمكروه ، ولكن قرأت كلاما نظير
خير خبرني به الرشيد ، سمعته يقول : إن البلاغة كقارب من المعنى البعيد
وتباعدت من حشو الكلام ، ودلالة بالقليل على الكثير . فلم أتوهم أن هذا
الكلام يستتي على هذه الصفة حتى قرأت هذا الكتاب ، فكان أستعطافا على
الجنّد ، وهو :

١٠ « كتابي إلى أمير المؤمنين أيده الله ، ومن قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة
والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم وأختلت أحوالهم ،
فأمر بإعطائهم ثمانية أشهر .

ووقع جعفر البرمكي إلى كتابه : إن أستطعت أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا .

وأمره هارون الرشيد أن يمزّل أخاه الفضل عن الخاتم ويأخذه إليه عزلا
١٥ لطيفا فكتب إليه : قد رأى أمير المؤمنين أن ينقل خاتم خلافته من يمينك
إلى شمالك .

فكتب إليه الفضل : ما أنتقلت عنى نعمة صارت إليك ولا خضتكَ دوني .

ووقع جعفر في رُفعة رجل تنصّل إليه من ذنب : تقدمت لك طاعة ، وظهرت
منك نصيحة ، كانت بينهما نبوة ، ولن تغلب سيئة حسنتين .

٢٠ قال الفضل بن يحيى لآبيه : مالنا نُسدّي إلى الناس المعروف فلا تَرى من
السرور في وجوههم عند أنصرافهم بترنا ، مانراه في وجوههم عند أنصرافهم بتر
غيرنا ؟ فقال له يحيى : إن أعمال الناس فينا أجول منها في غيرنا ، وإنما يُسرُّ
الإنسان بما يُلغّه أمله .

قيل ليحيى : ما الكرم ؟ قال مَلِكٌ في زِيٍّ مسكين ؛ قيل : فما الفَرَعَة ؟
قال : مِسْكِينٌ في بطشٍ عَفِريت . قيل : فنبه الجُود ؟ قال : عَفُو بعد قَدْرَة .

أَتَى المَأْمُونُ بِرَجُلٍ قد وَجِبَ عَلَيْهِ الجَدُّ ، فَقَالَ وَهُوَ يُضْرَبُ : قَتَلْتَنِي
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ الْحَقُّ قَتَلْتُكَ ؛ قَالَ : أَرْحَمَنِي ؛ قَالَ : لَسْتُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْ
أَوْجِبَ عَلَيْكَ الجَدَّ . ٥

وَسَأَلَ المَأْمُونُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي شَيْءٍ ، فَأَمْرَعُ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لَهُ المَأْمُونُ :
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قد قَطَعَ غَرَضَ السَّجُولِ بِمَا مَكَّنَهُ مِنَ التَّثَبُّتِ ، وَأَوْجِبَ الْحُجَّةَ
عَلَى الْفَلِيقِ بِمَا بَصَّرَهُ مِنْ فَضْلِ الْإِنَاءَةِ . قَالَ : أَتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَكْتُبَهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، فَكُتِبَ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : قَالَ لِي المَأْمُونُ : أَنْتَ الْخَلِيفَةُ الْأَسْوَدُ ؟ قُلْتَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيَّ بِالْعَفْوِ ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ :

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ قُنْ لَهُ هـ عِنْدَ الْفَخَّارِ مَقَامُ الْأَصْلِ وَالْوَرَقِ
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَتَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا هـ أَوْ أَسْوَدَ الْجِلْدِ إِلَى أَيْضِ الْخُلُقِ
فَقَالَ المَأْمُونُ : يَا عَمِّ ، خَرَجَكَ الْهَزْلُ إِلَى الْجِدِّ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

لَيْسَ يُرَى السَّوَادُ بِالرَّجُلِ الشَّمْسُ وَلَا بِالْفَتَى الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ ١٥
إِنْ يَكُنْ السَّوَادُ مِنْكَ نَعِيبٌ هـ فَيَاضُ الْأَخْلَاقِ مِنْكَ نَصِيبُ

وَقَالَ المَأْمُونُ : اسْتَحْسِنْ مِنْ قَوْلِ الْحِكَاةِ : الْجُودُ بِذَلِكَ الْمَوْجُودِ ، وَالْبَخْلُ
بَطَرُ بِالْمَعْبُودِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ زَيْدَةً بَنَتْ جَعْفَرَ لِلْمَأْمُونِ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ قَتْلِ ابْنَاهَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخَذَكَ لِي لِمَا أَتُكَلِّفُ وَلَدِي ، مَا تُكَلِّفُ وَلَهَ أَكُنْتُ لِي عَوْضًا مِنْهُ .
فَلَمَّا خَرَجْتَ قَالَ المَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَالِدٍ : مَا ظَنَنْتُ أَنْ نَسَاءً يُجِبْنَ عَلَى
مِثْلِ هَذَا الصَّبْرِ .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِعَمْرُو بْنِ عُثَيْدٍ : أَعْطَيْتُ بِأَهْلِكَ يَا أَبَا عَثَانَ . قَالَ : إِنْ رَفَعَ
عَلَّمَ الْحَقُّ يَتَبَعُكَ أَهْلُهُ .

بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ
وَعَمْرُو بْنُ عُثَيْدٍ

آفات البلاغة

لأبي داود
الإمامي

قال محمد بن منصور كاتب إبراهيم ، وكان شاعراً راوياً ، وطالبا للنحو علامة - قال : سمعت أبا داود الإمامي وجرى شيء من ذكر الخطب وتمييز الكلام ، فقال : تلخيص المعاني رفيق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق في غير أهل البادية قصص ، والنظر في عيوب الناس عيب ، ومَسَّ النحية هُلك ، والخروج مما بُني عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعتُه يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة [وجناسها رواية الكلام]^(١) ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تحيُّر اللانظ ، والمحبة مقرونة بيلة الاستكراه .

وأشدني بيتاً في خطباء إيراد :

يُومون باللفظ الخفي^(٢) وتارة . ونحي الملاحظ خيفة الرُعباء

وقال ابن الأعرابي : قلت للأفضل : ما الإيجاز عندك ؟ قال حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

وتكلم ابن السكك يوماً وجارية له تسمع : فلما دخل قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تُكثِّرُ تزداده ! قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه . قالت : إلی أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد مله من فهمه .

باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۚ وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ ﴾ .

وقال رجل لمعرو بن العاص : والله لأنفرعنك لك . قال : هنالك وقعت

بن عمرو بن
العاص وبشهم

(١) زيادة عن البيان والتبيين .

(٢) في بعض الأصول : يومون بالخطب الطوال ...

في الشغل . قال : كأنك تهذبن ، والله إن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرًا . قال :
وأنت والله إن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة .

وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه : والله لأسببَنَّكَ سبًّا يدخلُ القبرَ معكَ .
قال : معكَ يدخل لا معي .

٥ وقيل لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك اليوم أبو أيوب السخيتاني حتى رحمتك .
قال : إياه فارحوا .

وشتم رجل الشَّعْبِيَّ ، فقال له : إن كنت صادقًا فنَفَرَ اللهُ لي ، وإن كنت
كاذبًا فنَفَرَ اللهُ لك .

١٠ وشتم رجل أَبَا ذَرٍّ ، فقال : يا هذا ، لا تُفَرِّقْ في شتمنا ودَعْ للأصليح موضعا ،
فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه :

ومرَّ المسيحُ بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًّا ،
فقال خيرًا . فقيل له : إنهم يقولون شرًّا وتقول لهم خيرًا . فقال : كلُّ واحدٍ
يُنْفِقُ بما عنده .

وقال الشاعر :
لبعض الشعراء

١٥ ثَالِثِي عِرو وَثَالِثُهُ * فَأَنْتُمْ الْمُتْلِبُ وَالثَّالِبُ
قلت له خيرًا وقال الحقُّ * كلُّ على صاحبه كاذِبُ

وقال آخر :

٢٠ وذو رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضَنْتِهِ * بحلي عنه حين ليس له حِلْمٍ
إذا سَمْتُهُ وَصَلُ الْقَرَابَةِ سَامَنِي * قَطِيعَتُهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِثْمُ
فَدَارِئَتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمَرَدُّ قَادِرٌ * على سَمْعِهِ مَا كَانَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ

عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما تجرع عبد في الدنيا جرعة أحبَّ إلى الله من
جرعة غيظ رَدَّهَا بِحِلْمٍ ، أو جرعة مصيبة رَدَّهَا بِصَبْرٍ .
ولقي من الله عليه وسلم

وكتب رجل إلى صديق له وبلغه أنه وقع فيه :

لئن ساءق أن نلتقي بمساواة * لقد سررتني أنني خطرت بكالكا

وأشد طاهر بن عبد العزيز :

لطاهر بن
عبد العزيز

إذا ما خطبيلي أسا مرة * وقد كان من قبل ذا جميل

تحمّلت ما كان من ذنبي^(١) * فلم يفسد الآخر الأول

صفة الحلم وما يصلح له

من حلم الأخف

قيل للأخف بن قيس : من تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري ؛

وأبته قاعدا بفناء داره ، مخبياً بمحال سيفه يحدث قومه ، حتى أتى رجلاً مكتوف

ورجل مقتول ؛ فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك . فوالله ما حلّ حبوته ولا

قَطَعَ كلامه . ثم التفت إلى ابن أخيه وقال له : يا بن أخى ، أئمت برّك ، ورميت

نفسك بسميك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك ،

وحلّ كفاف ابن عمك ، وسق إلى أمه مائة ناقة دية أبها فإنها غريبة .

ثم أنشأ يقول :

إني امرؤ لا يطعني حسي^(٢) * دَنَسَ يَهْجَسُهُ ولا أفنُ

١٥ من منقر في بيت مكرمة * والأمصن ينبت حوله الفُصنُ

خطباء حين يقول قائلهم * ييض الوجوه أعفّة لُسُنُ

لا يفظنون لعيب جارهم * ومُحْمُ لحفظ جوارِه فطنُ

وقال رجل للأخف بن قيس : علّني الحلم يا أبا بجر . قال : هو الذلّ يابن

أخى ، أفصبر عليه ؟

وقال الأخف : لست حلياً ولكنى أتحمّل .

٢٠ وقيل له : من أحلم : أنت أم معاوية ؟ قال : تالله ما رأيت أجهل منك ؛ إن

(١) في بعض الأصول : ذكرتم المقدم من فعله .

(٢) في عيون الأخبار : إني امرؤ لا شائن حسي .

معاوية يَقْدِرَ فَيَحْلُم ، وأنا أحلم ولا أقدر ؛ فكيف أقاس عليه أو أدانيه ؟

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : يَمَ بلغ فيكم الأحف ما بلغ ؟
 قال : إن شئت أخبرتك بخلة ، وإن شئت بخلتين ، وإن شئت بثلاث . قال :
 فما الخلة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه . قال : فما الخلتان ؟ قال :
 كان موقى الشر ، مُلقى الخير . قال : فما الثلاث ؟ قال : كان لا يجهل ،
 ولا يئسى ، ولا ييخل .

وقيل لقيس بن عاصم : ما الحلم ؟ قال : أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعْطَى مَنْ
 حَرَمَكَ ، وتعفو عن ظلك .

وقالوا : ما قرُن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة .
 وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعرفهم إلا في ثلاثة : لا تعرف الحليم إلا عند
 النضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا تعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .
 وقال الشاعر :

ليست الأحلام في حين الرضا * إنما الأحلام في حين النضب

وفي الحديث : « أقرب ما يكون المرء من غضب الله إذا غَضِبَ » .
 وقال الحسن : المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه . وتلا قول الله عز وجل :
 ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

وقال معاوية : إني لأستحي من ربي أن يكون ذنب أعظم من عفوى ،
 أو جهل أكبر من حلمي ، أو عورة لا أوارها بسترى .
 وقال مؤرق العنجل : ما تكلمت في النضب بكلمة ندمت عليها في الرضا .
 وقال يزيد بن أبي حبيب : إنما غضبي في نعلّي ، فإذا سمعتُ ما أكره
 أخذتُهما ومضيت .

وقالوا : إذا غضب الرجل فليستلقِ على قفاه ، وإذا عي فليرأح ^(١) رجله .

وقيل للأحنف : ما الحلم ؟ فقال : قولٌ إن لم يكن فعل ، وصحبتُ إن صرَّ قول .

للأحنف

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : من لانت كلمته وجبت محبته .

لأبي طالب

وقال : حيلك على السفه يكثر أنصارك عليه .

وقال الأحنف : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

وقال : رب غيظ تجرعه مخافة ما هو أشد منه . وأنشد :

٥

رَضِيتُ بِمَعْضِ الذِّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ * كَذَلِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز ما يكره ، فقال : لا عليك ، إنما أردت أن

عمر بن عبد العزيز
ورجل حاول
إغشابه

يستغفرني الشيطان بعزة السلطان ، فأنا لك اليوم ما تناله من غدا . أنصرفت

إذا شئت .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

لبعض الشعراء

١٠

لَنْ يُدْرِكَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَأَنْ كَرُمُوا * حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزَّوْا لِأَقْوَامٍ

وَيُشْتَمُوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ كَاسِفَةً * لَا ذُلٌّ يَجْزِي وَلَكِنْ ذُلُّ أَحْلَامٍ

ولآخر :

إِذَا قِيلَ الْعُورَاءُ أَعْضَى كَأَنَّهُ * ذَلِيلٌ بَلَا ذُلٍّ وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرَ

ومن أحسن بيت في الحلم قول كعب بن زهير :

لكعب بن
زهير

١٥

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَاءِ * أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

وقال الأحنف : آفة الحلم الذل .

وقال : لا حِلْمَ لِمَنْ لَا سَفِيهَ لَهُ .

وقال : ما قلَّ سفهاء قوم إلا ذلوا . وأنشد :

٢٠

لَا بَدَ لِلسُّودِيِّ مِنْ رِمَاحٍ * وَمِنْ رِجَالٍ مُصَلَّى السَّلَاحِ

يُدَافِعُونَ دُونَهُ بِالرَّيَاحِ * وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمِ النَّبَاحِ

وقال النابغة الجعدي :

النابغة الجعدي
والرسول صلى
الله عليه وسلم

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ * بِوَادِعَتِهِ صَفْوُهُ أَنْ يُكْثِرَا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له . حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا
ولما أنشد هذين البيتين التي صلى الله عليه وسلم ، قال : لَا يَقْضِضُ اللَّهُ فَاك .
فماش مائة وسبعين سنة لم تنفض له ثنية .

وقالوا : لَا يَظْهَرُ الْحِلْمُ إِلَّا مَعَ الْإِتِّصَارِ ، كما لَا يَظْهَرُ الْعَفْوُ إِلَّا مَعَ الْإِقْتِدَارِ .
وقال الاصمعي : سمعت أعرابيا يقول : كان سنان بن أبي حارثة أحلم من
فرخ الطائر . قلت : وما حلم فرخ الطائر ؟ قال : إنه يخرج من بيضة في رأس
ينق ، ولا يتحول حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران .
وللأشنداني :

للأشنداني

وفي اللين ضَعْفُ والشراسة هَيْبَةٌ . ومن لَا يُهَيِّبُ يُحْمَلُ عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ
وَلِلْفَقْرِ خَيْرٌ مِنْ غِنَى فِي دَنَاءَةٍ . وَلِلْبُوتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى صُغُرٍ
وما كل حين ينفع الحلم أهله . ولا كل حال يقبح الجهل بالصبر
وما بي على من لاني من فظاظه . ولكنني نَظَرْتُ أُنَى عَلَى الْعَسْرِ
وقال آخر في مدح الحلم :

لاخرفي مدح الحلم

إني أرى الحلم محموداً عواقبه . والجهل أقي من الأقوام أقواما

لسابقي

١٥ ولسابقي :

ألم ترَ أَنَّ الْحِلْمَ زَيْنٌ مُسَوِّدٌ . لصاحبه والجهلُ للرءِ شَانُ
فكن دافئاً للجهل بالحلم تسترخ . من الجهل إن الحلم للجهل دافئ
ولغيره :

لبعض الشعراء

ألا إن حلم المرأة أكبر نسبة . يسامى بها عند الفخار كريم
فياربِّ هب لي منك حلماً فإني . أرى الحلم لم يندم عليه حليم
وقال بعض الحكماء : ما أحلا عندي أفضل من غيظ أجمعه .

لبعض الحكماء

وقال بعضهم :

وفي الحلم رَوْعٌ للسفيه عن الأذى . وفي الحرق إغراء فلا تلك آخرها

فَتَسَدِّمَ إِذَا لَا تَنْفَعُكَ نَدَامَةٌ ۝ كَمَا نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تَفَرَّقَا

لدى عليه السلام وقال عليٌّ عليه السلام : أول عوض الحليم عن حبله أن الناس أنصاره على الجاهل .

اكسرى مثل كسرى أنو شروان : ما قَدَّرُ الحلم ؟ فقال : وكيف تعرف قدر ما لم ير كآله أحد .

لخالد بن معدن أسباب حبله لى وقال معاوية لخالد بن المُعْتَمِر : كيف حبك لى بن أبى طالب عليه السلام ؟ قال : أحبه لثلاث خصال : على حبله إذا غضب ، وعلى صدقه إذا قال ، وعلى وفاته إذا وعد .

وكان يقال : ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان : من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق ، ومن إذا رضى لم يخرج رضاءه إلى الظلم والباطل ، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له .

لمر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك .

للحسن وقال الحسن : إنما يعرف الحلم عند الغضب . فإذا لم تغضب لم تكن حليماً . وقال الشاعر :

وليس يَمُّ الحلم للره راضياً ۝ إذا هو عند السخط لم يتحَمَّ
كما لا يتم الجود للره موسراً ۝ إذا هو عند العسر لم يتجشَّم
وقال بعض الحكماء : إن أفضل وأدُّ تَرَى به الحلم ، فإذا لم تكن حليماً فتعلم ؛
فقلباً تشبه رجل يقوم إلا كان منهم .

وقال بعضهم : الحلم عُدَّةٌ على السفه ، لأنك لا تقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بفعله إلا أذلته .

ويقال : ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر انتقم ، ولكن الحليم من ظلم ظلم ثم قدر فعفا .

للأخف

وللأخف ، أو غيره :

ولربما ضحك الخليم من الأذى . وفؤاده من حره يشاؤ

ولربما شكّل الخليم لسانه . حذّر الجواب وإنه لمقو

وقيل : ما استسبب اثنان إلا غلب الأثهما .

لبعضهم

وقال الأخف : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال .

وقال بعضهم : إياك وعزة النضب ، فإنها تُصيرك إلى ذل الاعتذار .

وقيل : من حلم ساد ، ومن تهوّم ازداد .

وقال الأخف : ما نازعني أحد قط إلا أخذتُ أمرى بإحدى ثلاث : إن

كان فوق عرفت قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي

١٠ تفضّلت عليه .

لبعض الشعراء

ولقد أحسن الذي أخذ هذا المعنى فنظمه فقال :

إذا كان دوني من بُليتُ بجهله . أبيت لنفسي أن تُفَارَعَ بالجهل

وإن كان مثلي ثم جاء برّالة . هويتُ لصنعي أن يضاف إلى العدل

وإن كنت أدنى منه قدراً ومنصباً . عرفت له حقّ التقدّم والفضل

لغيره

١٥ وفي مثله قال بعض الشعراء :

سأزيم نفسي الصفع عن كل مذنب * وإن كثرتُ منه إلى الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة . شريف ومشروف ومثلّ مقاوم

فأما الذي فوق فأعرف فضله . وأتبع فيه الحقّ والحقّ قائم

وأما الذي دوني فإن قال صدق عن . إجابته نفسي وإن لام لانم

٢٠ وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هقل . تفضّلتُ إن الفضل للمرّ لازم

لأمرم بن قيس

ولأمرم بن قيس ، ويقال إنها لعل عليه السلام :

أصمّ عن الكلام المُخِطّاتِ . وأحلم وأحلم بي أشبه

وإني لأترك جُلّ الكلام * لتلا أجاب بما أكره

إذا مَا جَزَرْتُ سِفَاهَ السَّيْفِ ، عَلَى فَاثِي أَنَا الْأَسْفَه
فَلَا تَنْتَرِرُ بِرُؤَاهِ الرِّجَالِ ، وَمَا زَحَرُوا لَكَ أَوْ مَوَّهُوا
فَكَمْ مِنْ قَتَى يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ ، لَهُ أَلْسُنٌ وَلَهُ أَوْجُهُ
يَنَامُ إِذَا حَضَرَ الْمُكْرَمَاتِ ، وَعِنْدَ الدَّيَاةِ يَسْتَنِيهِ

الحسن بن رباح ، والحسن بن رباح :

أَحَبُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ جَهْدِي ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُجِيبَ وَأَنْ أُجَابَا
وَأَصْفَحَ عَنِ سِيَابِ النَّاسِ حَلْبًا ، وَشَرُّ النَّاسِ مِنْ يَمُوتِي السَّبَابَا
وَمِنْ هَابِ الرِّجَالِ تَهَيَّبُوهُ ، وَمَنْ حَقَّرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا
وَمَنْ قَضَتِ الرِّجَالُ لَهُ حَقُوقًا ، وَلَمْ يَقْضِ الْحَقُوقَ فَمَا أَصَابَا

- ١٠ وقال محمد بن علي رضوان الله عنهما : مَنْ حَلَمَ وَقَى عِرْضَهُ ، وَمَنْ جَادَتْ
كَفَّهُ حَسَنُ ثَنَاهُ ، وَمَنْ أَصْلَحَ مَالُهُ اسْتَنْتَى ، وَمَنْ احْتَمَلَ الْمَكْرُوهَ كَثُرَتْ مَحَاسِنُهُ ،
وَمَنْ صَبَرَ مُحَمَّدُ أَمْرُهُ ، وَمَنْ كَظُمَ غِيظُهُ فَشَا إِحْسَانُهُ ، وَمَنْ عَفَا عَنِ الذُّنُوبِ
كَثُرَتْ أَيَادِيهِ ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ كَفَاهُ مَا أَمَّهُ .

الحسن بن علي

- ١٥ وسأل أمير المؤمنين علي عليه السلام كبيراً من كبار الفرس : أَي شَيْءٍ
لِلْمُؤَكَّمِ كَانَ أَحْمَدَ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : كَانَ لِأَرْدَشِيرَ فَضْلَ السَّبْقِ فِي الْمَمْلَكَةِ ، غَيْرَ أَنَّ
أَحْمَدَ سِيرَةَ أَنْوَشِرَوَانَ . قَالَ : فَأَيُّ أَخْلَاقِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : الْحِلْمُ وَالْإِنَانَةُ .
قَالَ : هُمَا تَوْأَمَانِ يَنْتَجِعُهُمَا عُلُوُّ الْهَمَةِ .

بين علي وكبير
من الفرس

ولحمود بن الحسن الوراق :

لحمود الوراق

- ٢٠ إني وَهَيْتُ لِفَظَالِي ظَلْمِي ، وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِ
وَرَأَيْتُهُ أَتُسَدِّدُنِي إِلَى يَدَايَ ، لَمَّا أَبَانَ بِجَهْلِهِ حَلْمِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِي إِلَيْ مُضَاعَفِ الْغَنَمِ
وَعُدْتُ ذَا أَجْرٍ وَتَحْمَدَةٍ ، وَغَدَا بِكَسْبِ الظُّلْمِ وَالْإِنْمِ
وَكَأَنَّمَا الْإِحْسَانُ كَانَ لَهُ ، وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

ما زال يظلمني وأرحمه . حتى رثيت له من الظلم

ولمحمد بن زياد يصف حلياء :

تُظالم في الناس مُتُماً عن الحُنا . وحُرّاً عن الفحشاء عند التهاجر
ومَرَضَى إذا لَوْقوا حياءً وعَفَّة . وعند الحِفَاف كاللُبُوثِ الحَوادر
كَأَن لَمْ وَشَمًا يَخافون عاره . وما ذاك إلا لانتفاء المعابر
وله أيضاً :

وأرفع نفسى عن نفوس وربما . تذلت في إكرامها نفوس
وإن رامنى يوماً خَسِيسٌ بجهله . أبى الله أن أرضى بغير رضى خَسِيس
وقال وهب : مكتوب في الإنجيل : لا ينبغي لإمام أن يكون جائراً ومنه
يُلتمس العدل، ولا سفها ومنه يُقتبس الحلم . ١٠

ولبعض الشعراء :

وإذا استشارك من تَوَدَّ فعل له . أطلع الحليم إذا الحليم نهاكا
واعلم بأنك لن تَسُودَ ولن ترى . سُبُل الرشاد إذا أطلعت هواكا
وقال آخر :

وكن معدّاً للحلم واصفح عن الأذى . فإنك راء ما عملت وسماعُ
وأحِبِّ إذا أَحِبَّ جَبّاً مقارباً . فإنك لا تدرى متى أنت نازعُ
وأبغض إذا أبغضت غير مُباينٍ . فإنك لا تدرى متى أنت راجع

باب السوداء

قيل لعدي بن حاتم : ما السوداء ؟ قال : السيدُ : الاحق في ماله ، الذليل
في عِرْضه ، المطَّريحُ لِحِقْدِهِ . ٢٠

وقيل لقيس بن عاصم : بِمَ سَوَّدَكَ قومُكَ ؟ قال : بكفِّ الأذى ، وبذُل
النَّدَى ، وفنر المولى .

وقال رجل للأحنف : هم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتاً ، ولا أصبَحهم وجهاً ، ولا أحسنهم خُلُقاً ؟ قال : بخلاف ما فيك يابن أخى . قال : وما ذاك ؟ قال : يتركى من أورك ما لا يعننى كما عنك من أمرى ما لا يعنك .

للأحنف في
سويد قومه

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : كذبت لو كنت كذلك لم تقله .

عمر ورجل

وقال ابن الكلبي : قدم أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وحاتم بن عبد الله الطائي ، على النعمان بن المنذر ، فقال لإياس بن قبيصة الطائي أيهما أفضل ؟ قال : أبيت اللعن أيها الملك ! إني من أحدهما ، ولكن سألتهما عن أنفسهما فإنهما يُخبرانك . فدخل عليه أوس : فقال : أنت أفضل أم حاتم ؟ فقال : أبيت اللعن ! إن أدنى وليّ حاتم أفضل منى ، ولو كنت أنا وولسى ومالى لحاتم لأنهبنا في غداة واحدة .

أوس وحاتم
ابن يدى
النعمان

ثم دخل عليه حاتم ، فقال له : أنت أفضل أم أوس ؟ فقال : أبيت اللعن ! إن أدنى وليّ لأوس أفضل منى . فقال النعمان : هذا والله السوّد . وأمر لكل منهما بمائة من الإبل .

وسأل عبد الملك بن مروان روح بن زُبَاع عن مالك بن مسمع ، فقال : لو غَضِبَ مالك لغَضِبَ معه مائة ألف سيف لا يسأله واحدٌ منهم لم غَضِبْتَ ؟ فقال عبد الملك هذا والله السوّد .

عبد الملك
وروح في
مالك بن مسمع

وقال أبو حاتم عن العتيبي : أهدى ملك اليمن سبعَ جزائر إلى مكة ، وأوصى أن ينحرها أعزُّ قرشيٍّ بها ، فأنت وأبو سفيان عروس بنت . فقالت له هند : يا هذا ، لا تشغلك النساء عن هذه الأكرومة التي املك أن تسبق إليها . فقال لها : يا هذه ، ذرى زوجك وما آختر لنفسه . فوالله لا ينحرها أحدٌ إلا نحرتها ! فكانت في عَقْلِها حتى خرج إليها بعد السابيع فنحرها .

أبو سفيان
وجزائر ملك
اليمن

ونظر رجل إلى معاوية وهو غلام صغير ، فقال : إني أظن أن هذا الغلام سيسود قومه . فسمعت أمه هند ، فقالت : ثكلته إذاً إن لم يسُدْ إلا قومه .

لهند في ابنها
معاوية

وقال الهيثم بن عديّ: كانوا يقولون: إذا كان الصبي سائل الخرة، طويل الغرلة، مُلثات الإزرة، فذلك الذي لا يُشكُّ في سودده.

ودخل صَمرة بن صَمرة على النعمان بن المنذر، وكانت به دَمَلعة شديدة، النعمان وحمرة فالتفت النعمان إلى أصحابه وقال: تسمعُ بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه. فقال: أيها الملك، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإن قال قال ببيان، وإن قاتل قاتل يَحْتَنان. ٥ قال: صدقت! وبحقِّ سَوَدَّك قومك.

وقيل لعرابة الأوسى: بم سَوَدَّك قومك؟ قال: بأربع خلال: أنخدع لهم في مالى، وأذلُّ لهم في عِرْضى، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم. وفي عرابة الأوسى يقول الشماخ بن ضرار:

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو * إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْفَرِينِ ١٠
إِذَا مَا رَأَيْتَ رُفَعْتَ لِحْجِدَ * تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

وقالوا: يسود الرجل بأربعة أشياء: بالعقل، والآدب، والعلم، والمال. بعضهم وكان سلم بن نوفل سيد بنى كنانة، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما، فأقى به. فقال له: ما أمنتك من آتقأى؟ قال: فلم سَوَدَّكَ إذاً، إلا أن تكظم ١٥ النغيظ وتحلم عن الجاهل. وتحتمل المكروه. غلّى سبيله. فقال فيه الشاعر:

يُسَوِّدُ أَقْوَامَ وَلِيَسُوا بِسَادَةٍ * بَلِ السَّيِّدُ الصَّنْدِيدُ سَلَّمَ بِنُوفَلٍ

وقال ابن الكلبي: قال لى خالد العبديّ^(١): ما تَعْدُونَ السُّودد؟ قلت: أما في الجاهلية فالرياسة، وأما في الإسلام فالولاية، وخيرٌ من ذا وذلك التقوى. قال: صدقت. كان أبي يقول: لم يُدْرِكِ الأوَّلُ الشرفَ إلا بالعقل، ولم يدرك الآخر إلا بما أدرك به الأول. قلت له: صدق أبوك، وإنما ساد الأحنف ٢٠ ابن قيس بجبله، ومالك بن مسمع بحبِّ العشيرة له، وقتيبة بن مُسلم بدهائه، وساد المهلبُ بهذه الخلال كلها.

ابن ابن الكلبي
والعبديّ في
السودد

لابن ميهان : الأصمعي قال : قيل لأعرابي يقال له مُتَجِّع بن نهان : ما السَّمِيع ؟ قال :
السيد الموطأ الأكثاف .

وكان عمر بن الخطاب يُفرش له فراشٌ في بيته في وقت خلافته ، فلا يجلس
عليه أحدٌ إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن حرب .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان : كل الصَّيْد في جَوْف الفَرَا ؛
والفرا : الحمار الوحشي ، وهو دهموز ، وجمعه فِراء . ومعناه أنه في الناس مثل
الحمار الوحشي في الوحش .

ودخل عمرو بن العاص مكة ، فرأى قوماً من قريش قد تحلَّقوا حلقة ،
فلما رآوه رمَوْا بأبصارهم إليه ، فعدل إليهم فقال : أحسبكم كنتم في شيء من
ذكرى . قالوا : أجل ، كنا نمائل بينك وبين أخيك هشام . أيكما أفضل .
فقال عمرو : إن هشام علي أربعة : أمه آبة هشام بن المغيرة ، وأُمِّي من قد
عرقم . وكان أحب الناس إلى أبيه مني ، وقد عرقم معرفة الوالد بالولد . وأسلم
قبلي . واستشهد وبقيت .

قال قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة : احفظوا عني ، فلا أحد أنصجُ
لكم مني ، إذا أنا متُ فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم .
وقال الأحنف بن قيس : السودد مع السواد .

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير : أحدهما أن يكون أراد بالسوادِ
سواد الشعر ، يقول : من لم يَسُدْ مع الحدائث لم يَسُدْ مع الشيخوخة ؛ والوجه
الآخر أن يكون أراد بالسواد سواد الناس ودهاءهم ، يقول : من لم يَطِرْ له
اسمٌ على ألسنة العامة بالسودد لم ينفعه ما طار له في الخاصة .

وقال أبا ن بن مسلمة^(١) :

ولسنا كقومٍ تُخَذَّنين سيادةً ۝ يرى مالها ولا تحسُّ فعالها

(١) في عيون الأخبار : « زبان بن سيار » .

مَسَاعِيَهُمْ مَقْصُورَةٌ فِي يَوْمِهِمْ • وَمَسَاعَاتُنَا ذُبَانٌ طُرًّا عِيَالُهَا

الميثم بن عديّ قال : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء ،
تكاثر الناس عليه ، فأثشد يقول :

خَلَّتِ الدِّيَارُ قَسْدَتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ • وَمِنَ الشَّعَاءِ تَقَرَّدِي بِالسُّودِّ

سُودِدَ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَسْرَعَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُطِغْ بِهِ حَسَبُهُ ، وَمَنْ
أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .

وقال قُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ : مَنْ قَامَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعِهِ حَسَبُ آيَةٍ .
وقالوا : إِنَّمَا النَّاسُ بِأَبْدَانِهِمْ .

وقال الشاعر :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ غِصَامًا • وَعَلَّتْهُ الْكَرُّ وَالْإِقْدَامَا

وقال عبد الله بن معاوية :

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتُ أَوَائِلُنَا • يَوْمًا عَلَى الْأَحْصَابِ تَتَكَلَّمُ

نَبِيٌّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا • تَنَبَّى وَفَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقال قُتَيْبُ بْنُ سَاعِدَةَ : لَا تَفْتِنُ بَيْنَ الْعَرَبِ بَقِضِيَّةٌ لَمْ يَقْضِ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا
يَرُدُّهَا أَحَدٌ بَعْدِي : أَيُّمَا رَجُلٍ رَمَى رَجُلًا بِلَامَةٍ دُونَهَا كَرَمٌ فَلَا لَوْمَ عَلَيْهِ ، وَأَيُّمَا
رَجُلٍ ادَّعَى كَرَمًا دُونَهُ لَوْمٌ فَلَا كَرَمَ لَهُ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كُلُّ كَرَمٍ دُونَهُ لَوْمٌ فَالْلَوْمُ أَوْلَى بِهِ ، وَكُلُّ
لَوْمٍ دُونَهُ كَرَمٌ فَالْكَرَمُ أَوْلَى بِهِ ، تُرِيدُ أَنْ أَوَّلَى الْأُمُورِ بِالْإِنْسَانِ خِصَالُ نَفْسِهِ ،
وَلِنْ كَانَ كَرِيمًا وَأَبَاؤُهُ لَتَامَ لَمْ يَنْصُرْهُ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ لُثِمًا وَأَبَاؤُهُ كَرَامَ
لَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ .

وقال عامر بن الطفيل العامريّ :

وَلِيَّ وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدٍ عَامِرٍ • وَفَارِسِي الْمَشْهُورِ فِي كُلِّ مَوْكِبٍ

فَمَا سَوَّدَنِي عَائِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ . أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُوَ بِحَدِّهِ وَلَا أَبِ
وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ حَاجَاهَا وَأَتَقِي . أَذَاهَا وَأَرْبَى مِنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبِي
وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كلُّ مذهب . فأعجب
عبد الملك ما سمع من كلامه ، فقال له : ابنُ مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنُ نفسي
يا أمير المؤمنين ، التي بها توصلت إليك . قال : صدقت .

لرجل عند
عبد الملك

فأخذ الشاعر هذا المعنى ، فقال :

لبش الشعراء

مَا لِي عَقِلِي وَهَمَّتِي حَسْبِي * مَا أَنَا مَوْلَى وَلَا أَنَا عَرَبِي
إِذَا انْتَمَيْتُمْ مُنْتَمٍ إِلَى أَحَدٍ * فَلَيْتِي مُنْتَمٍ إِلَى آدَبِي

وقال بعض المحدثين :

رَأَيْتُ رِجَالَ بَنِي دَالِقٍ * مُلُوكًا بِفَضْلِ تِجَارَتِهِمْ
وَبَرَّزْنَا عِنْدَ حِيطَانِهِمْ * يَخْضُونَ فِي ذِكْرِ أُمُومَاتِهِمْ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِأَبْدَانِهِمْ * وَأَحْسَابِهِمْ فِي حِرَامَاتِهِمْ

المروءة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا دين إلا بمروءة .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

وقال دويبة الرأي : المروءة ست خصال : ثلاثة في الحضر ، وثلاثة في السفر .
فأما التي في السفر : فَبَذْلُ الزاد ، وَحُسْنُ الخُلُق ، ومداغة الرقيق ، وأما التي في
الحضر : ففلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وغفاف الفرج .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : المروءة مروءتان : مروءة ظاهرة ،
ومروءة باطنة . فالمرءة الظاهرة الرياش ، والمرءة الباطنة الغفاف .

لسن بن الخطاب

وقدم وقد على معاوية ، فقال لهم : مَا تَمْدُون المروءة ؟ قالوا : الغفاف
وإصلاح المعيشة . قال أسمع بإزيد .

مسوية وودع
قدم عليه

وقيل لأبي هريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله وتفقد الضيعة .

لأبي هريرة

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العفة والحرمة .

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : إِنَّا مَعِشَرُ قَرِيشٍ لَا نَعُدُّ الْحِلْمَ وَالْجُودَ
سُودًا ، وَنَعُدُّ الْعِفَافَ وَإِصْلَاحَ الْمَالِ مَرُوءَةً .
- وقال الأحنف : لَا مَرُوءَةَ لِكَذُوبٍ ، وَلَا سُودَدَ لِبَخِيلٍ ، وَلَا وَرَعَ
لَسِيِّئِ الْخُلُقِ .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَجَاوَزُوا لِذَوِي الْمَرُوءَاتِ عَنْ عِشْرَاتِهِمْ ،
فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنْ أَحَدُهُمْ لَيَعْتَرُ وَإِنْ يَدُهُ لِيَدُ اللَّهِ .
- وقال الثُّبَيِّ عن أبيه لَا تَتَمَّ مَرُوءَةُ الرَّجُلِ إِلَّا بِخَمْسٍ : أَنْ يَكُونَ عَالِمًا
صَادِقًا عَاقِلًا ذَا بَيَانٍ مُسْتَفْتِيًا عَنِ النَّاسِ .
- وقال الشاعر :
- وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْمَلُ نَفْسُهُ * فِي صَالِحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ
- وقيل لعبد الملك بن مروان : أَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ يَشْرِبُ الطَّلَاءَ ؟ فَقَالَ :
- لَوْ عَلِمَ مُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مَرُوءَتَهُ مَا شَرِبَهُ .
- وقالوا : مَنْ أَخَذَ مِنَ الدِّيكِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ، وَمِنَ الْغَرَابِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ، تَمَّ بِهَا
أَدَبُهُ وَمَرُوءَتُهُ : مَنْ أَخَذَ مِنَ الدِّيكِ سَخَاهُ وَشِجَاعَتَهُ وَغَيْرَتَهُ . وَمِنَ الْغَرَابِ هِكُورَهُ
- لَطَلَبَ الرِّزْقَ وَشِدَّةَ حُيُوهِ وَسَتَرَ سِفَادِهِ .

طبقات الرجال

- قال خالد بن صفوان : النَّاسُ ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ : طَبَقَةُ عُلَمَاءَ ، وَطَبَقَةُ خُطَبَاءَ ،
وَطَبَقَةُ أَدْبَاءَ ، وَرِجْرَجَةٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، يُنَاطُونَ الْأَسْمَاعَ ، وَيُضَيِّقُونَ الْأَسْوَاقَ ،
وَيَكْدُرُونَ الْمِيَاهَ .
- وقال الحسن : الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ : فَرَجْلٌ كَالْغَنَاءِ لَا يُسْتَعْتَبَى عَنْهُ ، وَرَجُلٌ كَالدُّوَاءِ .
- لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا حِينَ بَعْدَ حِينٍ ، وَرَجُلٌ كَالدَّاءِ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ أَبَدًا .
- وقال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : نَاسٌ ، وَنَسَنَاسٌ ، وَنَاسٌ
غَمَسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ .

للخليل وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : فرجل يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي ،
فذلك عالم فسلوه ؛ ورجل يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي ، فذلك الناسى فذكروه ؛
ورجل لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي ، فذلك الجاهل فعلّوه ؛ ورجل لَا يَدْرِي
وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي ، فذلك اللاحق فآرضوه .

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

أَلَيْسَ مِنَ الْبَلَوَى بِأَنَّكَ جَاهِلٌ • وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي
إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَسْتَ كَمَنْ دَرَى • فَكَيْفَ إِذْنُ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي
ولآخر :

وما الداء إِلَّا أَنْ تُعَلِّمَ جَاهِلًا • وَيَزْعُمَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَعْلَمُ

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة : عالم ربانى ؛ ومتعلم على
سبيل نعمة ، ورعاع تمسح يميلون مع كل ريح .

لن

وقالت الحكماء : الإخوان ثلاثة : فَأَخٌ يُخْلِصُ لَكَ وُدَّهُ ، وَيُبْذِلُ لَكَ رِفْدَهُ
وَيُسْتَغْرِغُ فِي مَهْمِكَ جُهْدَهُ ؛ وَأَخٌ ذُو نِيَّةٍ ، يَقْتَصِرُ بِكَ عَلَى حَسَنِ نِيَّةٍ دُونَ رِفْدِهِ
وَمَعُونَتِهِ ؛ وَأَخٌ يَتَمَلَّقُ لَكَ بِلْسَانِهِ وَيَتَهَاوَلُ عَنْكَ بِفَاهِهِ وَيُؤَسِّسُكَ مِنْ
كُذْبِهِ وَأَيْمَانِهِ .

فهماء

وقال الشعبي : مَرَّ رَجُلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَذَا لَا يَعْلَمُ ،
وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَنْ يَعْلَمُ .

لأبي مسعود
لرجل م

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا ، وَلَا تَكُنْ
الثَالِثَةَ فَتَهْلِكَ .

لنبي صلى الله
عليه وسلم

الغوغاء

٢٠

الغوغاء : الدُّبَا . وهى صنار الجراد ، وشُبَّهَ بِهَا سَوَادُ النَّاسِ .

وذكر الغوغاء عند عبد الله بن عباس ، فقال : ما اجتمعوا قط إِلَّا ضُرُّوا ،
وَلَا اقْتَرَعُوا إِلَّا نَفَعُوا . قيل له : قد عَلِمْنَا مَا ضُرُّ اجْتِمَاعِهِمْ ، فَمَا نَفَعُ اقْتِرَاعِهِمْ ؟

ابن عباس
والغوغاء

قال : يذهب السحاب إلى دُكانه ، والحداد إلى أكباره ، وكل صانع إلى صناعته .

ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى قوم يتبعون رجلاً أخذ في رية ؛ فقال : لا مَرَجاً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في شر .

وقال حبيب بن أوس الطائي :

٥ إِنَّ شِدَّتَ أَنْ يَسُوِّدَ ظَنُّكَ كُلَّهُ * فَأَجِلُهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ

وقال دعلج :

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ * اللَّهُ يُفْلِمُ أَنَّى لَمْ أَقْلُ فَتَدَا
إِنِّي لِأَفْزَحُ عَيْتِي حِينَ أَفْتَحُهَا * عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

الثقلاء

١٠ قالت عائشة رضى الله عنها : نزلت آية في الثقلاء : (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِنِينَ لِحَدِيثٍ) .

وقال الشعبي : من فاته ركعتا الفجر فليقلن الثقلاء .

وفيل الجالينوس : يَمَّ صار الرجل الثقيل أُنْقَلَّ من الحِمْلِ الثقيل ، فقال :
لأنَّ الرجل الثقيل إنما يُقْلَعُ عَلَى الْقَلْبِ دُونَ الْجَوَارِحِ ، وَالْحِمْلُ الثَّقِيلُ يَسْتَعِينُ
١٥ فِيهِ الْقَلْبُ بِالْجَوَارِحِ .

وقال سهل بن هارون : مَنْ ثَقُلَ عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ ، وَعَمَّكَ بِسُؤَالِهِ ، فَأَعِزَّهُ أَذْنًا صَمًا ، وَعَيْنًا عَمِيًا .

وكان أبو هريرة إذا استنقل رجلاً قال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَأَرْحَمْهُ .
وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيلٌ يقول :

٢٠ فَا الْفَيْلُ تَغْمِيهِ مَيْتًا * بِأَثْقَلٍ مِنْ بَعْضِ جُلَّائِنَا

وقال أبو حنيفة للأعمش وأناه عائداً في مرضه : لَوْ لَا أَنْ أَثْقَلَ عَلَيْكَ أَبُو مُحَمَّدٍ لَمَدَدْتُكَ وَاللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . فقال له الأعمش : وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي أَنْتَ ثَقِيلٌ عَلَى وَأَنْتَ فِي يَتِكَ ، فَكَيْفَ لَوْ جِئْتَنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ .

لعمري هذا الخطاب
في قوم

لعمري

لعمري

سهل بن هارون

أبو هريرة

أبو حنيفة
والأعمش

لرجل في ثعلب وذكّر رجل ثقيلاً كان يجلس إليه ، فقال : والله إنّي لأُفَضِّسُ شِقَّ الذي يليه إذا جلس إلى .

لبعضهم ونَقَشَ رجل على خاتمه : أَبْرَمَتْ قَهْمٌ . فكان إذا جلس إليه ثقیل ناوله إياه وقال : اقرأ ما على هذا الخاتم .

لحماد بن سلمة . وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستغفله قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ .

لعمار بن أبي عمر وقال بشار العُقَيْلِي في ثقیل يُكْنَى أبا عمران :

رَبِّمَا يَنْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَا . ن خَفِيفًا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

ولقد قلتُ إذْ أَظَلُّ عَلَى الْقَوْءِ * يَم ثَقِيلًا يُرْبِي عَلَى تَهْلَانِ

كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أبا عمران

ولآخر :

أَنْتَ يَا هَذَا ثَقِيلٌ * وَثَقِيلٌ وَثَقِيلٌ

أَنْتَ فِي الْمَنْظَرِ إِنْسَا * نٌ وَفِي الْمِيزَانِ فِيلٌ

الحسن بن هاني وقال الحسن بن هاني في رجل ثقیل :

ثَقِيلٌ يُطَالِعُنَا مِنْ أَمَمٍ * إِذَا سَرَّهٗ وَغَمُّ أَنْفِي أَلَمٌ

أَقُولُ لَهُ إِذَا بَدَأَ لَا بَدَأَ * وَلَا حَمَلَتْهُ إِلَيْنَا قَدَمٌ

فَهَدَّتْ خَبَالَكَ لَا مِنْ عَمَى * وَصَوْتَ كَلَامِكَ لَا مِنْ صَمَمٍ

وله فيه :

وَمَا أَظُنُّ الْقِيْلَاصَ مُنْجِيَّي * مِنْكَ وَلَا الْفُلْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ

وَلَوْ رَكِبْتُ الْبَرَّاقَ أَذْرَكُنِي * مِنْكَ عَلَى تَأْيِي دَارِكَ الثَّقَلُ

هَلْ لَكَ فِيهَا مَلَكُوتُهُ ، حَبَّةٌ * نَأْخُذُهُ جَمَلَةٌ وَتَرْتَحِلُ

وله فيه :

يَا مَنْ عَلَى الْجُلَّاسِ كَالْفَتَقِ * كَلَامُكَ التَّخْدِيشُ فِي الْحَلَقِ

هَلْ لَكَ فِي مَالِي وَمَا قَدَحَوْتُ • يَدَايَ مِنْ جِلٍّ وَمِنْ دِقٍّ
تَأْخُذُهُ مِنِّي كَذَا فِذِيَّةٍ • وَازْهَبْ فِي الْبُعْدِ وَفِي السُّعْيِ

وله فيه :

أَلَا يَا جَبَلَ الْمَقْتِ السَّنَى أَرَمَى فَا يَرِخَ
لَقَدْ أَكْثَرْتَ تَهْكِيرِي • فَا أَذْرَى لِمَا تَصْلُحُ
فَا تَصْلُحُ أَنْ تُهْجَى • وَلَا تَصْلُحُ أَنْ تُنْذَخَ

أهدى رجل من النغلاء إلى رجل من الظرفاء جملاً ، ثم نزل عليه حتى
أُبرمه ، فقال فيه :

يَا مُبْرَمًا أَهْدَى جَبَلَ • خَذُوا نَصْرِي أَلْفِي جَبَلَ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا ؟ • قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَفُودُهَا • قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا • قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ • قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلَلٌ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ • قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَنْ • قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلَةٌ
قَالَ بِهَذَا فَاصْكُبُوا • إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي جَبَلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْفِي جَبَلٌ • فَاصْنَعْنَا لَنَا أَنْ تَرْتَجِلَ
قَالَ وَقَدْ أَضْجَرْتُكُمْ • قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَتْرَقْتُكُمْ • قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ • قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ • قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ السَّجَلُ
يَا كَرِيبَ الشُّؤْمِ وَمَنْ • أَرَبِّي عَلَى نَحْسِ رَحَلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ • فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ

لناجر أهدى جملاً
ثم نزل عليه

١٠

١٥

٢٠

معدون
في بيض

وقال المعدون في رجل بغيض مقيت *

أَيُّ بَنِ الْبَغِيضَةِ وَابْنِ الْبَغِيضِ * وَمَنْ هُوَ فِي الْبَغِيضِ لَا يُلْحَقُ
سَأَلْتُكَ بِاللهِ إِلَّا صَدَقْتَ * وَعَلَى بَأْتِكَ لَا تُصَدِّقُ
أَتُبَغِضُ نَفْسَكَ مِنْ بَغِيضِهَا * وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَنْ أَحَقُّ

وله فيه :

في حريمِ النَّاسِ إِذْ كُنْتُ * تَ مِنْ النَّاسِ تَعُدُّ
وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِبُلْدِ * سَ إِذَا رَأَى يَصُدُّ

ولجيب الطائي في مثله ، أي في رجل مقيت :

يَا مَنْ تَبَرَّمَتِ الدُّنْيَا بَطَلَعَتِهِ * كَمَا تَبَرَّمَتِ الْأَنْجِلَانُ بِالرَّمْدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالًا فَاحْسَبْ * لِيُبْغِضَ طَلْعَتِهِ يَمْشِي عَلَى كَيْدِي
لَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ جَزَاءً مِنْ سَمَاجَتِهِ * لَمْ يَقْدَمْ الْمَوْتُ إِشْفَاقًا عَلَى أَحَدٍ

وللحسن بن هاني في الفضل الرقاشي :

رَأَيْتُ الرَّقَاشِيَّ فِي مَوْضِعٍ * وَكَانَ لِي بِبَيْضِ مَقِيَّتَا
فَقَالَ أَفْتَرَحَ بَعْضَ مَا تَشْتَهَى * فَقُلْتُ اقْرَحْتُ عَلَيْكَ السُّكُوتَا

للحسن بن هاني
والفضل الرقاشي

وأشد في الشعبي :

إِنِّي بُلَيْتُ بِمَعَشَرٍ * تَوَكَّى أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
بُلْدِهِ إِذَا جَالَسْتَهُمْ * صَدِثَتْ لِقَائِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يُفْهِمُونِي قَوْلَهُمْ * وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ
فَهُمْ كَثِيرٌ بِي كَمَا * أَنِّي بِقُرْبِهِمْ قَلِيلُ

وقال العبي : كتب الكيساني إلى الرقاشي :

شَكُوتُ إِلَيْنَا بِجَانِبِنَا * وَأَشْكُو إِلَيْكَ بِجَانِبِنَا
وَأَنْشَأْتَ تَذَكُّرُ قُدْرَاكَ * فَأَنْتَ وَأَقْدَرُ مِنْ عَدْنَا
فَلَوْلَا السَّلَامَةُ كُنَّا كَهُمْ * وَلَوْلَا الْبَلَاءُ لَكُنَا كُنَّا

من الكيساني
إلى الرقاشي

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال حبيب الطائي :

وصاحب لي مَلِكٌ مُجَنَّبَةٌ * أَهْدَنِي اللهُ شَخْصَةً مَجَلَا
سَرَقَتْ سِكِّينَهُ وَخَاتَمَهُ * أَقْطَعُ مَا بَيْنَنَا فَا فَعَلَا

وقال حبيب :

يَا مَنْ لَهُ فِي وَجْهِهِ إِذَا مَدَا * كُنُوزٌ قَارُونََ مِنَ الْبُخْضِ
لَوْ فَرَّ شَيْءٌ قَطْعًا مِنْ شَكْلِهِ * فَرَّ إِذْنٌ بِعَضْكَ مِنْ بَعْضِ
كَوْنِكَ فِي صُلْبِ أَيْنَا الَّذِي * أَهْبَطْنَا جَمْعًا إِلَى الْأَرْضِ

وقال أبو حاتم : وأشدني أبو زيد الأنصاري النحوي صاحب النوادر :
وجهٌ يَحْيِي دَعْوَى الْبَصْتِ فِيهِ * غَيْرَ أَنِّي أَصَوُّ عَنْهُ بُصَاقِي

لأن
زيداً لأنصاري

١٠ قال أبو حاتم : وأشدني العتي :

لَهُ وَجْهٌ يَحِيلُ الْبَصْقُ فِيهِ * وَيَحْرُمُ أَنْ يُلْقَى بِالتَّحِيَّةِ

قال : وأشدني :

قَيْصُ أَبِي أُمَيَّةَ ، مَا عَلِمْتُمْ * وَأَوْسَخُ مِنْهُ جِلْدُ أَبِي أُمَيَّةَ

التفاؤل بالاسماء

١٥ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً أراد أن يستعين به على عمل ،
عن اسمه واسم أبيه ؛ فقال : ظالم بن سُرَاقَة . فقال : تَظْلِمُ أَنْتَ وَيَسْرِقُ أَبُوكَ !
ولم يستعن به في شيء .

وأقبل رجل إلى عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : ما اسمك ؟ فقال : شهاب
ابن حُرْقَة . قال : بمن ؟ قال : من أهل حَرَّةِ النَّارِ . قال : وأين مسكنك ؟
٢٠ قال : بِذَاتِ لُظْي . قال : أَذْهَبَ فَإِنْ أَهْلَكَ قَدْ احْتَرَقُوا . فكان كما قال عمر
رضي الله عنه .

ولقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسروق بن الأجدع ، فقال له من أنت ؟

قال : مسروق بن الأجدع . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
الأجدع شيطان .

وروى سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير ، قال : كتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمراته : لا تبردوا بريدًا إلا حن الوجه
حسن الاسم .

ولما فرغ المهلب بن أبي صفرة من حرب الأزارقة . وجه بالفتح إلى الحجاج
رجلا يقال له مالك بن بشير ؛ فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال :
مالك بن بشير . قال : مُلك وبشارة .

لبعض الشعراء

١٠ وإذا تكون كريمةً فرَّجَتْها * أَدْعُو بِأَسْمَ مَرَّةٍ وَرَبَّاحٍ
يريد التطيُّر بِأَسْم ورياح ، السلامة والريح .

الرياشي عن الأصمعي قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،
نزل على رجل من الأنصار ، فصاح الرجل بفلامية : يا سالم ، ويا يسار ! فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَلَيْتُ لَنَا الدَّارَ فِي يُسْر .

١٥ وقال سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي : قدم جدِّي
حزن بن أبي وهب على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له : كيف اسمُك ؟
قال : حزن ! قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل سُهْل . قال : ما كنت
لأَدْعُ اسماً سَمَّيْتُ بِهِ أُمِّي . قال سعيد : فإننا لنجد تلك الحزونة في أخلاقنا
إلى اليوم .

٢٠ ولَمَّا تَغَيَّرَتِ الْعَرَبُ مِنَ الذَّرَابِ لِلْغَرَبَةِ ، إِذْ كَانَ آسَمُهُ مُشْتَقًّا مِنْهَا .
وقال أبو الشيص :

أَشَانَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقَى الْجِرَانِ * غَرَابُ يَنْوَحُ عَلَى غَصَنِ بَانٍ
وَفِي نَعْبَاتِ الْغَرَابِ اغْتَرَابٌ * وَفِي الْبَابِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّنَادِي

ولآخر في السفرجل :

لشاعر في
السفرجل

أهدى إليه سفرجلا فطيرا . منه فظل مفكرا مُستغبرا
خوف الفراق لأن شطر مجاته . سفر وحق له بأن يتغيرا

ولآخر في السوسن :

لاخرف السوسن

ياذا الذي أهدى لنا السوسنا . ما كنت في إهدائه مُحسنا
شطر اسمه سونه قد سؤتي * ياليت أني لم أر السوسنا

ولآخر في الأترج :

لشاعر في الأترج

أهدى إليه حبيبهُ أترجة . فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خاف التبذل والتألون إنها . لو أن باطنها خلاف الظاهر

وقال الطائي في الحمام :

للطائي في الحمام

هـن الحمام فإن كسرت عيافة . من حائنه فإنهن حمام

أشعب وقينة
بالمدينة

وكان أشعب يختلف إلى قبة بالمدينة ، فلما أراد الخروج سأله أن تعطيه
عائمه ذهب في يدها ليدكرها به . قالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ؛ ولكن
[خذ] هذا العود ، فملك أن تعود .

باب الطيرة

١٥

للنبي صلى الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكاد يسلم منهم أحد : الطيرة ،
والظن ، والحسد . قيل : فما المخرج منهم يا رسول الله ؟ قال : إذا تطيرت
فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ .

لأبي حاتم في
كلمات لقوة

وقال أبو حاتم : السائح ما ولاك ميامنه ، والبارح ما ولاك ميامره ، والجابه
ما استقبلك من تجاهك ، والقعيد الذي يأتيك من خلفك .

٢٠

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا عدوى ولا طيرة .

وقال : ليس منا من تطير .

وقال : إذا رأى أحدكم الطيرة فقال : اللهم لا طيرَ إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، لم تقضه .

والرب والطيرة وقد كانت العرب تطير ، وبأى ذلك في أشعارهم ، وقال بعضهم :

وما صدقتك الطير يوم لقينا • وما كان من دلاك فينا بخير

الحسان وقال حسان رضى الله تعالى عنه :

يا ليت شعري وليت الطير تخبرني • وما كان بين علي وابن عفا

لتسمعن وشبكاً في ديارهم • الله أكبر يا ثارات عفا

الحسن بن عافى وقال الحسن بن هانئ :

قام الأمير بأمر الله في البشر • واستقبل الملك في مستقبل الثمر

فالطير تخبرنا والطير صادقة • عن طيب عيش وعن طول من العمر

وقال الشيباني : لما قديم قتيبة بن مسلم والياً على خراسان ، قام خطيباً ،

قبيصة وشي من تطيره

فسقطت المنصورة من يده ، فطير به أهل خراسان ؛ فقال : أيها الناس ، ليس كما ظنتم ، ولكنه كما قال الشاعر :

فألفت عصاه واستقرت بها النوى • كما قرعنا بالإياب المسافر

١٥ اتخذ الإخوان وما يجب لهم

روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أن داود قال لابنه سليمان - عليهما

داود ويصاياه سليمان عليهما السلام

السلام : يا بني ، لا تستقل عدواً واحداً ولا تستكثر ألف صديق ، ولا تستبدل

بأخٍ قديم أخاً مستحدثاً ما أستقام لك .

وفي الحديث المرفوع : المرء كثير بأخيه .

في الحديث

٢٠ وقال شبيب بن شيبه : إخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا ، هم زينة في

الرخاء ، وعدة في البلاء ، ومعوقة على الأعداء .

لابن الأعرابي وأشد ابن الأعرابي :

لعمرك ما مال الفتي بذخيرة • ولكن إخوان الصفاء الذخائر

والأحف بن قيس : خير الإخوان ما إن استغثت عنه لم يزدك في
المودة ، وإن آتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن كُوترت عطفك ، وإن استرفقت
رفدك . وأنشد :

أخوك الذي إن ندعهُ لِمِلْمَةٍ * يُجِيبُكَ وَإِنْ تَفَضَّ إِلَى السَّيْفِ يَغْطِبُ

ولاخر : ٥ بعض الشعراء

أخاك أخاك إن من لا أخاله * كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

وما يجب للصدیق على الصديق النصيحةُ جهده : فقد قالوا : صديقُ الرجل
مرآته ، تُريه حسناته وسيئاته .

١٠ وقالوا : الصديق من صدقك ودّه ، وبذل لك رِفدَه .

وقالوا : خير الإخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك .

وقال الشاعر ^(١) :

فإن أولى الموالى أن تواليه * عند السُّرور كمن واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أشتروا ذكروا * من كان بألفهم في المنزل الحزين

١٥ ولاخر :

الصبر من كرم الطَّيِّعَة * والمُنْ مفسدة الصَّيِّعَة

ترك التَّعَهُد للصدیق يكون داعية القطيعة

لأن العذل في
الحسن يزلزله

أنشد محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المَعْدِل في الحسن بن إبراهيم :

يا من قدت نفسه نفسى ومن جعلت له وقاه لما يخشى وأغشاه

أبلغ أخاك وإن شَطَّ المَزارُ به * أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وأن طريقي موصول برويته * وإن تباعدت عن مشواي مشواهُ

الله يعلم أنى لست أذكره * وكيف يذكره من ليس بنفساه

٢٠

عدوا فـهل حسن لم يـجـوِ حـسَن * وهل فـتـى عـدَلَتْ جـدواهُ جـدواهُ
فـالـهـرُ يـفـى ولا تـفـى مـكـارِمُهُ . وَالْقَطْرُ يُحْصَى وَلَا تُحْصَى عَطَايَاهُ
وقيل لبعض الولاءة : كم صديقاً لك ؟ قال : لا أدري ؛ الدنيا مُقبلة على الناس
كلهم أصدقاؤى ، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

لبعض الولاءة
فى الأصدقاء

ولما صارت الخلافة إلى المنصور كتب إليه رجل من إخوانه كتاباً
فيه هذه الآيات :

المنصور وشاعر
يوثقه بالخلافة

إِنَّا بِطَلَاتُكَ الْأَلَى . كُنَّا مُنْكَادُ مَا مُنْكَادُ
وَنُرَى فَنُحَرِّفُ بِالْمَدَا . وَهَ وَالْبِعَادِ لِمَنْ يُبَاعِدُ
وَنَبِيتُ مِنْ شَفَقِي عَلَيْكَ رَيْبَةً وَاللَّيْلُ هَاجِدُ

فلما وصلت الآيات إلى أبي جعفر وقع على كل بيت منها : صدقت . ودعا به
فألقاه بإخوانه .

معاناة الصديق واستبقاء مودته

قالت الحكماء : مما يجب للصديق على الصديق ، الإغضاء عن زلاته ،
والتجاوز عن سيئاته ، فإن رجع وأعتب وإلا عانت به بلا إكثار ؛ فإن كثرة العتاب
مدرجة للقطيعة .

الحكماء

١٥

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لا تقطع أملك على أرتياب ، ولا
تهجره دون استعتاب .

لعل

وقال أبو الدرداء : من لك بأخيك كله ؟
وقالوا : أى الرجال المهذب ؟

لأبي الدرداء

٢٠

وقال بشار العقبلى :

لبشار

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت ، وأبى الناس تصفو مشاربته
وقالوا : معاناة الأخ خير من قتله .

وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ • ويبقى الودُّ ما بَقِيَ العتابُ

ولمحمد ^(١) بن أبان :

إذا أنا لم أَصْبِرْ على الذَّنْبِ منْ أخِرٍ • وَكُنْتُ أَجَازِيهِ فَأَيْنَ التَّفَاضُلُ

إذا ما دهاني مَفْصَلُ قَطْعَتِهِ • بَقِيَتْ وَمَالِي لِلنُّهْضِ مَفَاصِلُ

ولكنْ أَدَاوِيهِ ، فَإِنْ صَحَّ سَرَّيْ • وَإِنْ هُوَ أَغْيَا كَانَ فِيهِ تَحَامُلُ

وقال الاحنف : مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ أَنْ يَتَحَمَّلَ ثَلَاثًا : ظِلْمَ النِّصَبِ ، وَظِلْمَ الدَّائِلَةِ ، وَظِلْمَ الْهَفْوَةِ .

لعبد الله بن معاوية :

وَلَسْتُ بِسَادِي صَاحِبِي بِقَطْعِيَةٍ • وَلَسْتُ بِمُفَشِّ سِرِّهِ حِينَ يَفْضُبُ

عَلَيْكَ يَا خَوَانَ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ • قَلِيلُ فَصْلِهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْغَبُ

وَمَا الْحِذْنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُّهُ • وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيِّبُ

فُضِّلَ الصَّدَاقَةُ عَلَى الْقَرَابَةِ

قيل لبزرجهر : مَنْ أَحَبَّ إِلَيْكَ : أَخُوكَ أَمْ صَدِيقَكَ ؟ فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَخِي

إِلَّا إِذَا كَانَ لِي صَدِيقًا .

وقال أكرم بن صبيح : الْقَرَابَةُ تَحْتَاجُ إِلَى مَوَدَّةٍ ، وَالْمَوَدَّةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى قَرَابَةٍ .

وقال عبد الله بن عباس : الْقَرَابَةُ تُقَطَّعُ وَالْمَعْرُوفُ يُكْفَرُ ، وَمَا رَأَيْتُ

كَتَقَارُبُ الْقُلُوبِ .

وقالوا : إِيَّاكُمْ وَمَنْ تَكْرَهُهُ قُلُوبُكُمْ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ تُجَازِي الْقُلُوبَ .

وقال عبد الله بن طاهر الخراساني :

أَمِيلُ مَعَ الرَّفَاقِ عَلَى ابْنِ أُمِّي • وَاتَّحِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ

وإِن أَلْفَيْتَنِي مَلِكًا مُطَاعًا * فَإِنَّكَ وَاجِدُنِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقُ بَيْنَ مَمْرُوفٍ وَهِنَى * وَأَتَجَمِّعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

الحبيب : وقال حبيب الطائي :

وَلَقَدْ سَبَرْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ * وَبَلَوْتُ مَلُوحِضُوا مِنْ الْأَسْبَابِ
فَلِذَا الْقَرَابَةُ لَا يُقَرِّبُ قَاتِلُهَا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

البيروني : وللبيرد :

مَا الْقُرْبُ إِلَّا لِمَنْ نَجَحَتْ مَوَدَّتُهُ * وَلَمْ يَخْلُكْ وَلَيْسَ الْقُرْبُ لِلنَّسَبِ
كَمَنْ قَرِيبٌ دَوِيَّ الصَّدْرِ مُضْطَلِقِينَ * وَمَنْ بَعِيدٌ سَلِيمٌ خَيْرٌ مَقْتَرِبِ
وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : رَبُّ أَخِي لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ .

وقالوا : القريب من قُرب نفعه .

وقالوا : رَبُّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ .

لبعض الفراء : وقال آخر :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَنِبِ * وَابْنِ أَبِي مُتَّهِمٍ النَّجِيبِ

وقال آخر :

أَخُو ثَقَةٍ يُسَرُّ بَعْضُ شَأْنِي * وَإِنْ لَمْ تُدَيِّهِ مِنِّي قَرَابَةٌ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْبَنِيِّ قَرِيبٌ * تَبَيَّتْ صُدُورُهُمْ لِي مُسْتَرَابَةٌ

وقال آخر :

فَصَلِّ جِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ السَّجَلْ وَأَقْصِ الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَتْ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرُ أَكْلِهِ * وَيَأْكُلُ الْمَالُ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
فَارْضَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ * مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِثْهُ نَفْعَهُ

وقال :

لِكُلِّ ضَيْقٍ ^(١) مِنْ الْأَمُومِ سَعَةٌ * وَاللَّيْلُ وَالصَّبْحُ لَا يَتَجَاءُ مَعَهُ

(١) في بعض الأصول : لكل شيء

لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عَالِكَ أَنْ . تَرَكَ يَوْمًا وَالْذَهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وقال ابن هزيمة :

لا بن هزيمة

لَهُ دَرَكٌ مِنْ فَتَى فَجَعَتْ بِهِ • يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
هَيْشَ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِبَابِهِ • سَهْلَ الْحِجَابِ مُؤَدَّبِ الْحَقْدَامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ • لَمْ تَنْدِرْ أُيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ

٥

التجيب إلى الناس

في الحديث المرفوع : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ تَحِيًّا إِلَى النَّاسِ .
وفيه أيضًا : إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَّهِ إِلَى النَّاسِ .

في الحديث

لا بن هزيمة

ومن قولنا في هذا المعنى :

وَجْهٌ عَلَيْهِ مِنَ الْخِلاءِ سَكِينَةٌ • وَعَجَّةٌ تَجْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ • أَلْقَى عَلَيْهِ عَجَّةً لِلنَّاسِ

١٠

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص : إِنْ اللَّهُ إِذَا
أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّهِ إِلَى خَلْقِهِ ، فَاعْتَبِرْ مَنَزَلَتَكَ مِنْ اللَّهِ بِمَنَزَلَتِكَ مِنَ النَّاسِ . وَاعْلَمْ
أَنْ مَالِكَ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلُ مَا لِلنَّاسِ عِنْدَكَ .

من عمر إلى
ابن أبي وقاص

١٥ وقال أبو ذُهْمَانُ لِسَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، وَوَقَفَ إِلَى بَابِهِ لِحُجْبِهِ حِينَ ثَمَّ أُذُنُ لَهُ ،
فَنُتِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : إِنْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ وَفِي يَدَيْكَ ، قَدْ كَانَ فِي يَدَيَّ
غَيْرِكَ ، فَأَمْسَى وَاللَّهُ حَدِيثًا ، إِنْ خَيْرًا غَيْرَ وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا . فَتَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ
بِحُسْنِ الدُّعَا ، وَتَسَهَّلَ الْحِجَابُ ، وَإِنَّ الْجَانِبَ ؛ فَإِنْ حَبَّ عَبْدٌ اللَّهِ مَوْصُولٌ
بِحَبِّ اللَّهِ ، وَبُغِضَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِيَضِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَوَقَاوَهُ
عَلَى مِنْ أَعْوَجَ عَنْ سَبِيلِهِ .

٢٠

وقال الجارود : سَوْءُ الْخَلْقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ .

الجارود

وقيل لمعاوية : مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : مَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ صَالِحَةٌ .

لمعاوية

قيل له : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : مَنْ كَانَتْ لِي عِنْدَهُ يَدٌ صَالِحَةٌ .

البرد والخليل وقال محمد بن يزيد النحوي : أتيت الخليل ، فوجدته جالساً على طُفْسة صغيرة ، فوسَّع لي وكرهتُ أن أضيقَ عليه . فانقبضت ، فأخذ يعضدى وقزبني إلى نفسه ، وقال : إنه لا يضيق سَمُّ الحَيَاطِ بمتحائين ، ولا تَسَعُ الدنيا متباغضين .
لا يَنْعِدُوهُ ومن قولنا في هذا المعنى :

- ٥ صَلِّ مِنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مُعَانِيَةً ۝ فَاطْيَبُ الْعَيْشِ وَصَلِّ بَيْنَ الْفَيْنِ
وَأَقْطَعْ حَبَائِلَ خَسَدِنِ لَا تُلَاقِيَهُ ۝ فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِإِثْمِهِ

صفة المحبة

أبو بكر الوراق قال : سأل المأمونُ عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ، ماهو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إذا تقادحت جواهرُ النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منها لُحَّةٌ نورٍ تستضيءُ بها بواطنُ الأعضاء ، فتتحرك ١٠ لإشراقها طبائعُ الحياة ، فيتصوّر من ذلك خالق حاضر للنفس ، متصل بخوارطها ، يسمى الحب .

ولماد الراوية وسئل حماد الراوية عن الحب ، ماهو ؟ قال : الحب شجرة أصلها الفكر ، وعروقها الذكر ، وأغصانها السر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها المنية .

ولماد بن سهل وقال معاذ بن سهل : الحب أصعبُ ما رُكِبَ ، وأسكّرُ ما تُشْرِبُ ، وأظنُّعُ ما لُتِيَ . ١٥ وأحلى ما أشتهى ، وأوجعُ ما بَطَنَ ، وأشهى ما علَنَ .

وهو كما قال الشاعر :

وَالْحُبُّ أَفَاتٌ إِذَا هِيَ صَرَّحَتْ ۝ تَبَدَّتْ عِلَامَاتُهَا عُرَّرُ صُفْرُ
فِبَاطِنِهَا سَقَمٌ وَظَاهِرُهُ جَوَى ۝ وَأَوَّلُهُ ذِكْرٌ وَآخِرُهُ فِكْرُ

٢٠ وقالوا : لا يكن حبك كلفاً ، ولا يُنْضِكَ سرّاً .

وقال بشار بن العقبلي :

هَلْ تَعْلَمِينَ وَرَاءَ الْحُبِّ مَنَزَلَةً ۝ تُدْنِي إِلَيْكَ ، فَإِنَّ الْحُبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

لبعض الشعراء

أَجِبْكَ حُبًّا لَوْ تُحِبُّنْ مِنْهُ • أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونٍ
لَطِيفًا مَعَ الْأَحْشَاءِ أَمَا تَهَارُهُ • فَدَمَعَتْ وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَتَيْنُ

مواصلتك لمن كان يواصل أباك

٥ من حديث ابن أبي شَيْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَقْطَعْ مِنْ كَانَ
يُوَاصِلُ أَبَاكَ ، تُطْفِئُ بِذَلِكَ نُورَهُ ؛ فَإِنْ وَدَّكَ وَدَّ أَيْكَ .
عليه وسلم

وقال عبد الله بن مسعود : مِنْ بَرِّ الْحَيِّ بِالْمَيِّتِ أَنْ يَصِلَ مَنْ كَانَ يَصِلُ أَبَاهُ .
ولابكر

ومن أمثالهم فِي هَذَا الْمَعْنَى : لَا تَقْطَعْ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرَّوْا .
من أمثالهم

وقال الشاعر : ١٠

تَرْجُو الْوَلِيدَ وَقَدْ أَغْيَاكَ وَالِدُهُ • وَمَا رَجَاؤُكَ بَعْدَ الْوَالِدِ الْوَلَدُ

١٥ واجتمع عند ملك من ملوك العرب تميم بن مُرٍّ وبكر بن وائل ؛ فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمَا
مِنَازَعَةٌ وَمُفَاخَرَةٌ ، فَقَالَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَعْطَانَا سَيْفَيْنِ نَتَجَالَدُ بِهِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، حَتَّى
تَعْلَمَ أَتَيْنَا أَجْلَدَ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ فَنَحَتْ لَهَا سَيْفَانِ مِنْ عَوْدَيْنِ ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُمَا ، لَجُمْلًا
يَضْطَرُّبَانِ مَلِيًّا مِنَ النَّهَارِ ؛ فَقَالَ بَكْرُ بْنُ وَائِلَ :

• لَوْ كَانَ سَيْفَانَا حَدِيدًا قَطَعْنَا •

قال تميم بن مُرٍّ :

• أَوْ نَحِيتَا مِنْ جَنْدَلٍ تَصْلَعَا •

وحال الملك بينهما ، فقال تميم بن مُرٍّ لبكر بن وائل :

• أَسَاجِلُكَ الْعِدَاوَةُ مَا بَقِينَا •

٢٠

فقال له بكر :

• وَإِنْ مِتْنَا نَوَزَّعْنَا الْبَيْنَا •

فيقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم .
 أبو زيد : قال أبو عبيدة . بُنِيَ دُكَّانُ بِسَجِسْتَانَ ، بَنَتْهُ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ ، فَهَدَمَتْهُ
 تَمِيمٌ ؛ ثُمَّ بَنَتْهُ تَمِيمٌ فَهَدَمَتْهُ بَكْرٌ ؛ فَتَوَاقَعُوا فِي ذَلِكَ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ وَقْعَةً ، فَقَالَ
 ابْنُ حِرَازَةَ الْيَشْكُرِيُّ فِي ذَلِكَ :

عداوة تميم وبكر
 وشعر ابن حنزة

- قَرَّبَنِي يَا خَلِيلِي وَيَحْلِكِ دِرْعِي ۝ لَقِيعَتِ حَرْبُنَا وَحَرْبُ تَمِيمٍ
 إِخْوَةٌ قَرَّشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا ۝ فِي حَدِيثٍ مِنْ دَهْرِهِمْ وَقَدِيمٍ
 طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَآتِ أَوَانٍ ۝ إِنَّ مَا يَطْلُبُونَ فَوْقَ النُّجُومِ

الحسد

- قَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا رَاحَةَ لِلْحَسُودِ ، وَلَا إِعْآءَ لِلْمَلُولِ . وَلَا يُحِبُّ
 لِسَيِّئِ الْخَلْقِ .

لل

وَقَالَ الْحَسَنُ : مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشَبَّ بِمُظْلَمٍ مِنْ حَاسِدٍ : نَفْسٌ دَائِمٌ ، وَحُزْنٌ
 لَازِمٌ ، وَغَمٌّ لَا يَنْقُذُ .

الحسن

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَادَ الْحَسَدُ يَغْلِبُ الْقَدْرَ .
 وَقَالَ معاوية : كُلُّ النَّاسِ أَقْدَرُ أَرْضِهِمْ ، إِلَّا حَاسِدَ نَعْمَةٍ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْضِيهِ

النبي صلى الله
 عليه وسلم

- إِلَّا زَوَالَهَا .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لبش الدمر

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِذَا تَوَهَّاهُ ۝ إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : لَا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ ! قِيلَ لَهُ وَمَنْ يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ ؟
 قَالَ : الَّذِينَ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . يَقُولُ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْكِتَابِ :

لابن مسعود

- الْحَسُودُ عِنْدُو نَعْمَتِي ، مُتَسَخِّطُ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي .

وَيَقَالُ : الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللَّهُ بِهِ فِي السَّمَاءِ ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللَّهُ
 بِهِ فِي الْأَرْضِ ؛ فَأَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِآدَمَ ، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدُ
 قَايِلِ هَايِلِ .

لبعضهم

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ . إنه أراد بالذي من الجن إبليس ، والذي من الإنس قاييل . وذلك أن إبليس أول من سَنَّ الكفر ، وقاييل أول من سَنَّ القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

ولأبي العتاهية :

٥

يَا رَبِّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونِي ۝ وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظُلْمُونِي
وإن كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ ۝ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنَى سَيْيِمٍ مَعْرُوفِي
وإن نَالَهُمْ بَذْلٌ فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ ۝ وَإِنْ أَلَامَ أَبْذُلُ لَهُمْ شَتَّوْنِي
وإن طَرَقَنِي نِعْمَةٌ فَرَجَّحُوا بِهَا ۝ وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةٌ حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَمُنَّ إِلَيْهِمْ ۝ وَأَحْجُبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي

١٠

ليس بنزهة
وفطاف

أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : مرَّ قيس بن زهير ييلاد غطفان ، فرأى ثروة وعددا ، فكره ذلك ، فقيل له : أيسومك ما يسرُّ الناس ؟ قال : إنك لاتدرى أن مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل ، وأن مع القلة التحاشد والتناصر .

لبعضهم

قال : وكان يقال : ما أترى قومَ قط إلا تحاسدوا وتجادلوا .

وقال بعض الحكماء : ألْزَمُ النَّاسَ كِتَابَةُ أَرْبَعَةٍ : رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَرَجُلٌ حَسودٌ ، وَخُلِيطُ الْأَدْبَاءِ ، وَهُوَ غَيْرُ أَدِيبٍ ، وَحَكِيمٌ مَحْقَرٌ لَدَى الْأَقْوَامِ .

١٥

لابن المبارك

علي بن بشر المروزي قال : كتب إلى ابن المبارك هذه الأبيات :

كُلُّ الْعِدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَّا تَتَّهَى ۝ إِلَّا عِدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عَقِدْتُ ۝ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
إِلَّا إِلَهُ فَإِنْ يَرَسَمْ يُحَلِّه ۝ وَإِنْ أَبَاهُ فَلَا تُرْجَوْهُ مِنْ أَحَدٍ

٢٠

سئل بعض الحكماء : أى أعدائك لاتحب أن يعود لك صديقا ؟ قال : الحاسد الذى لا يردّه إلى مودتي إلا زوال نعتي .

سليمان النبي : وقال سليمان التيمي : الحسد يضعف اليقين ، ويسهر الدين ، ويكثر الهم .
الأحنف بن قيس ، صلى على حارثة بن قدامة السعدي ، فقال : رحمك الله ،
كنت لا تحسد غنيا ، ولا تحقر فقيرا .

لبعضهم : وكان يقال : لا يوجد الحر حريصا ، ولا الكريم حسودا .

لبعض الحكماء : وقال بعض الحكماء : أجهذُ البلاء أن تظهرَ الحَلَّةُ ، وتطولَ المدة ، وتعجزَ
الحيلة ، ثم لا تعتمدَ صديقا موليا ، وابن عم شامتا ، وجارا حاسدا ، ووليا قد
تمولَ عدوا ، وزوجة مُحْتَلَمَةٌ^(١) ، وجارية مستبعدة^(٢) ، وعبدًا يحقركَ وولدا يتنكر ؛
فانظر أين موضعُ جَهْدِكَ في الحرب .

قريش : لرجل من قريش :

١٠ حسدوا النعمة لما ظهرت . فرموا بأباطيل السكِّمِ
وإذا ما الله أسدى نعمة . لم يضرها قول أعداء النعم
وقيل : إذا سرَّك أن تسلم من الحاسد فمَّ عليه أمرُكَ .

وكانت عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين :

لئلا في شر
تتمثل به
إذا ما الدهرُ جرَّ على أناس * حوادثُه أناخَ بأخرينا

١٥ قل للشامتين بنا أفيقوا . سيلقي الشامتون كما لقينا
ولبعضهم :

إراك والحسد الذي هو آفة . فتوقَّه وتوقَّ غيرةَ مَنْ حسد

إنَّ الحسود إذا أراك مودةً * بالقول فهو لك العدوُّ المجتهدُ

إبليس بن سعد قال : بلغني أن إبليس لقي نوحا صلى الله عليه وسلم ، فقال له

٢٠ إبليس : أتى الحسدُ والشرُّ ، فإني حسدتُ آدمَ فخرجت من الجنة ، وشحَّ آدمُ
على شجرة واحدة منع منها حتى خرج من الجنة .

(١) محتلمة : تطلب الخلع والطلاق .

(٢) مستبعدة : تطلب أن تباع .

وقال الحسن : أصول الشر وفروعه ستة : فالأصول الثلاثة : الحسد ،
والحرص ، وحب الدنيا ، والفروع كذلك : حب الرياسة ، وحب التناء ،
وحب الفخر .

وقال الحسن : يحسد أحدهم أخاه حتى يقع في سريره وما يعرف علانيته ،
ويلومه على ما لا يعلبه منه ، ويتعلم منه في الصداقة ما يغيره به إذا كانت العداوة ؛
والله ما أرى هذا بمُسلم .

ابن أبي الدنيا قال : بلغني عن عمر بن دَرّ أنه قال : اللهم من أَرادنا بشراً
فاكفناه بأبي حُكَيْمِكَ شئت ، إما بتوبة وإما براحه .

قال ابن عباس : ما حدثتُ أحداً ما حدثتُ على هاتين الكلمتين .
وقال ابن عباس : لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر ؛ فإنما مثله
كما قال الأول : رُبَّ رَمِيَةٍ من غيرِ رام .

وقال بعض الحكماء : ما أحقَّ للإيمان ولا أهلكَ للستر من الحسد ، وذلك
أنَّ الحاسد مُعانِد للحكم الله ، باغٍ على عباده ، عاتٍ على ربه ، يعتدُّ بنعم الله نِقْماً ،
ومزِيدُهُ غَيْراً ، وعدلَ قضائه حَيْفاً ، للناس حال وله حال ، ليس يهدأ ليله ، ولا
ينام جسعه ، ولا ينفعه عيشه ، محتقر لنعم الله عليه ، متسخط ما جرت به أقداره ،
لا يبرُد غليله ، ولا تَوَمَّن غوائله ، إن سألته وترك ، وإن واصلته قَطَعَكَ ،
وإن صرَّمته سبقك .

ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال : يا عجباً لرجل أسلكه الشيطان مهاري
الفضالة ، وأورده قُفْمَ المَلَكَةِ ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ، إن أنالها
من أحب من عباده ، أشعر قلبه الأسف على ما لم يُقدَّر له ، وأغارَه الكُفْ
بما لم يكن لِنِاله .

أشدنى في الرملة :
لبعض الشعراء

اصْبِرْ عَلَى حَسَدِ الْحَسَوِدِ • فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
كَالِنَارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا • إِنَّ لَمْ تَحْسُدْ مَا تَأْكُلُهُ

وقال عبد الملك بن مروان الحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فيصف لي عيوبك . قال : أعفني يا أمير المؤمنين . قال : لست أفعل . قال : أنا لوح ، أدود ، حقود ، حسود . قال : مافي إبليس شر من هذا .

عبد الملك
والحجاج

وقال المنصور لسليمان بن معاوية المهلبى : ما أسرع حسد الناس إلى قومك ! فقال : يا أمير المؤمنين :

المنصور وسليمان
ابن معاوية

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحْسَدَةٌ • وَلَا تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا

وأشد أبو موسى لنصر بن سيار :

لابن سيار

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادَى ذَوُو عَدَدٍ • إِذَا الْمَعَارِجُ لَا تَنْقُصُ لِمِ عَدَا

إِنِّي مُحْسَدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ بِهِمْ • فَنُتِلَّ حُسَيْنٌ بِلَايِ جَرٍّ لِي حَسَدًا

وقال آخر :

لبعض الشعراء

إِنِّي مُحْسَدُونِي فَإِنِّي لَا تَمِيهِمْ • قَبِيلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُجِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَمْ مَابِي وَمَا بِهِمْ • وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ

وقال آخر :

إِنَّ الْغُرَابَ كَانَ يَمْشِي مَشْيَةً • فَمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَحْوَالِ

حَسَدَ الْقَطَاةِ فَرَامَ يَمْشِي مَشْيَهَا • فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعَقَالِ

فَأُضِلَّ مَشْيَتُهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا • فَلَذَاكَ كُنُوهُ أَبَا مِرْقَالِ

وقال حبيب الطائي :

لمحب

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ • طُوِيَتْ أُنَاحُهَا لِسَانَ حَسُودٍ

لَوْلَا أَشْتَعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ • مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفٍ الْعُودِ

وقال محمد بن منذر :

لابن منذر

يَا أَيُّهَا الْعَائِي وَمَا بِي مِنْ • عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَزْدَجِرُ

هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتَرْتَفُطِلْبُهُ • أَمْ أَنْتَ بِمَا أَتَيْتَ مُعْتَذِرُ

إِنْ يَكُ قَسَمُ الْإِلَهِ فَضَلَنِي • وَأَنْتَ صَلَّيْتُ مَا فِيكَ مُعْتَصِرُ

فالحمدُ والشكرُ والثناءُ له . وللجسدِ الترابُ والحجرُ
فما الذي يَجْنِي جليُسكُ أو . يبدو له منك حين يَجْنِي
إِقرأ لنا سورةً تُذَكِّرُنَا . فإنَّ خيرَ المَواعِظِ السُّورُ
أَوْصِفْ لنا الحكمَ في فرائضِنَا . ما تستحقُّ الاثني أو الذَّكرُ
أو آذُرِ قِصَّهَا نِجَا القلوبِ به . جاء به عن نبيِّنا الأثُرِ
أو من أحاديثِ جاهِلِيتِنَا . فإنها حِكْمَةٌ ومُخْتَصِرٌ ^(١)
أو آذُرِ عن فارسٍ لنا مثلاً . فإنَّ أمثالها لنا عِبَرُ
فإن تكن قد جَهِلْتَ ذاكَ وذا . ففِيكَ للناظرينَ مَعْتَبَرُ
فغنَّ صوتاً تُشجِّي القلوبُ ^(٢) به . وبعضُ ما قد أُتيتَ يُغْفَرُ

٥

بصري
بجسد وقلوبه

الأصمعي قال : كان رجل من أهل البصرة بَذِيًّا شَرِيًّا ، يؤذِي جيرانه
ويشتمُّ أعراضهم ؛ فأماه رجل فوعظه فقال له : ما بال جيرانك يشكونك ؟
قال : إنهم يحسدوني ! قال له : على أي شيء يحسدونك ؟ قال : على الصُّلبِ !
قال : وكيف ذاك ؟ قال أقبل معي . فأقبل معه إلى جيرانه ، فقعده مُتَحَازِئًا ؛
فقالوا : مالك ! قال : طارق اللبَّةِ كتابُ معاوية أن أُصْلَبَ أنا ومالك بن المنذر ،
وفلان ، وفلان . فذكر رجالا من أشرف أهل البصرة ؛ فوثبوا عليه وقالوا :
يا عدو الله ! أنت تُصَلِّبُ مع هؤلاء ولا كرامة لك ! فالتفت إلى الرجل فقال :
أما تراه قد حسدوني على الصُّلبِ ؟ فكيف لو كان خيراً .

١٠

١٥

وقيل لأبي عاصم النبيل : إن يحيى بن سعيد يحسدك وربما قرصك . لأبي عاصم النبيل
فأنشأ يقول :

فلست بحَيٍّ ولا مَيِّتٍ . إذا لم تُعَادَ ولم تُحَسَدِ

٢٠

(١) في بعض الأصول : ومختبر .

(٢) في بعض الأصول : النفوس .

محاسبة الأقارب

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى : مُرْ ذَوَى الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .

من عمر إلى
أبى موسى

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْقٍ : تَبَاعَدُوا فِي الدِّيارِ تَقَارَبُوا فِي الْمَوَدَّةِ .

لأَكْثَمُ

وَقَالُوا : أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمِ أَهْلِهِ .

لبعضهم

فَرَجُ بْنُ سَلَامٍ قَالَ : وَقَفَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الْأَسْكَرِ عَلَى ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَقَالَ :

نَشَدْتُكَ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ * رِجَالُ بَنُوهُ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ

فَإِنَّكَ قَدْ جَرَّبْتَنِي فَوَجَدْتَنِي * أَعَيْنُكَ فِي الْجَلِيِّ وَأَكْفَيْكَ جَانِبِي

وَلِنْ دَبٍّ مِنْ قَوْمٍ إِلَيْكَ عِدَاوَةٌ * عَقَارِبُهُمْ دَبَّتْ إِلَيْهِمْ عَقَارِبِي

قَالَ : نَعَمْ ، كَذَلِكَ أَنْتَ . قَالَ : فَمَا بَالُ مِثْرِكَ لَا يَزَالُ إِلَيَّ دَسِيسًا ؟ قَالَ :

لَا أَعُودُ ! قَالَ : قَدْ رَضِيتُ وَعِضَا اللَّهِ عَمَّا سَلَفَ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ عَمَلَهُ وَيُظْهِرَ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْلِسْ فِي غَيْرِ

ليحيى بن سعيد

مجلس رطبه .

وَقَالُوا : الْأَقْرَبُ هُمُ الْعَقَارِبُ .

وَقِيلَ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ مُصْعَبٍ : كَيْفَ غَلَبْتَ عَلَى الْبَرَامِكَةِ وَكَانَ عَنْدهُمْ مِنْ هُوِ آدَبِ

مِنْكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ مِنْهُمْ ، غَرِيبَ الْأَسْمِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، صَغِيرَ الْجَرَمِ ،

كَثِيرَ الْإِلْتَوَاءِ ، قَفْزِي لِيهِمْ تَبَاعُدِي مِنْهُمْ ، وَرَغْبِي فِي رَغْبَتِهِمْ عَنْهُمْ ، وَلَيْسَ لِلْقُرْبَاءِ

ظَرَفَةُ الْقُرْبَاءِ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : إِنِّي أَحْبَبْتُكَ . قَالَ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ وَلَسْتُ

لَكَ بِحَارٍ وَلَا أَخٍ وَلَا ابْنَ عَمٍّ ؟ يَرِيدُ أَنَّ الْحَسَدَ مُوَكَّلٌ بِالْأَدْنَى فَالْأَدْنَى .

بين خالد بن
صفوان ورجل

الشَّيْبَانِي قَالَ : خَرَجَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُتَزَيِّدًا بِالْأَنْبَارِ ، فَأَمْعَنَ فِي

زَهْتِهِ وَاتَّبَعَتْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَوَافَى خِيَابَ الْأَعْرَابِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : يَمْنُ الرَّجُلُ ؟

قَالَ : مِنْ كُنَانَةٍ . قَالَ : مِنْ أَيِّ كُنَانَةٍ ؟ قَالَ : مِنْ أَبْضِ كُنَانَةٍ إِلَى كُنَانَةٍ . قَالَ :

فأنت إذا من قريش ؟ قال : نعم . قال : فمن أي قريش ؟ قال : من أبفض قريش
إلى قريش . قال : فأنت إذا من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم . قال : فمن أي ولد
عبد المطلب أنت ؟ قال : من أبفض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال :
فأنت إذا أمير المؤمنين ! السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
فاستحسن ما رأى منه وأمر له بمجازة .

لدى الأصبح

وقال ذو الإصبع العدواني :

لِي ابْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حُلُقٍ * مُحَاسِدٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِي
أَزْرَى بَنَا أَتْنَا شَالَتْ نَعَاشُنَا * نَخَالَتِي دَوْنَهُ أَوْ خِلَّتْهُ دَوْنِي
يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصِي * أَضْرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمِي * أَلَا أَحِبَّكُمْ إِنْ لَمْ تُحِبُّونِي
لَا أَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ * مَا فِي ضَمِيرِي لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَكْفِينِي

ابن الشعراء

وقال آخر :

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ، مَهْلًا مَوَالِينَا * لَا تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا
لَا تَطْمَعُوا^(١) أَنْ تُهَيِّنُوا وَتُكْرِمَكُمْ * وَأَنْ تَكُنَّ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَا لَا نُحِبُّكُمْ * وَلَا نَلُومُكُمْ إِنْ لَمْ نُحِبُّوْنَا
وقال آخر :

وَلَقَدْ سَبَرْتُ النَّاسَ ثُمَّ خَبَرْتُهُمْ * وَوَصَفْتُ مَا وَصَفُوا مِنَ الْأَسْبَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُقَرِّبُ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمُدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ

المشكلة ومعرفة الرجل لصاحبه

قالوا : أقرب القرابة المشكلة . وقالوا : الصاحب المناسب .

وقال حبيب :

وَقُلْتُ أَخِي ، قَالَوا أَخٌ مِنْ قَرَابَةٍ ؟ * فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الشُّكُولَ أَقْرَبُ

(١) في بعض الأصول : « لا تجمعوا » .

وقال أيضاً :

ذو الودّ مني وذو القرّني بمنزلة * وإخوتي أسوة عدى وإخواني
عصابة جاورث آدابهم أدبي * فهم وإن فرّقوا في الأرض جيران

وقال أيضاً :

٥ إن تفرّق نسباً يؤلّف بيننا * أدب أفناه مقام الوالد
أو تختلف فالوصل منا مأوه * عذب تحدر من غمام واحد

وقال آخر :

إن النفوس لأجنّاد مجندة * بالإذن من ربنا تجري وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

١٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنفس أجنّاد مجندة ، وإنها
لتنشأ في الهوى كما تنشأ الخيل : فما تعارف منها آتلف ، وما تناكر
منها آختلف .

قضى صلى الله
عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : الصاحب رقة في الثوب ، فلينظر الإنسان
بِمَ يرقع ثوبه .

١٥ وقال عليه الصلاة والسلام : أمتحنوا الناس بإخوانهم .

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

فاعتبروا الأرض بأشباهها * واعتبروا الصاحب بالصاحب
وقالوا : كل ألف إلى الله ينزع .

لبعضهم

وقال الشاعر :

٢٠ والإلّف ينزع نحو الالفين كما * طير السماء على ألفتها تقع
قال امرؤ القيس :

لامرؤ القيس

أجارتنا إنا غريبان هاهنا * وكلّ غريب للغريب نسيب

في بعض الأصول : : بسكانها .

وقال آخر :

إذا كنت في قومٍ فصاحبُ خيارهم • ولا تصحب الأَرذليَّ قَرْدِي مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه • فكلُّ قرينٍ بالمقارِبِ يفتدي
وقال آخر :

٥ اصحب ذوى الفضل وأهل الدين • فالمرء منسربٌ إلى القرين

أيوب عن سليمان قال : حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم ، قال :
بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح إذ مر بلسر واقع على قصر ،
فقال له : كم لك مُذ وقعت هاهنا ؟ قال : سبعمائة سنة . قال : فن بني هذا القصر ؟
قال : لا أدري ، هكذا وجدته . ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأيات من شعر ، وهي :^(١)

١٠ خرجنا من قرى أصطخر • إلى القصر فقلناه

فن يسأل عن القصر • فبيئاً وجدناه

فلا تصحب أبا السوء • وإياك وإياه

فكم من جاهل أَرذلي • حكما حين آخاه

يُقاسُ المرءُ بالمرء • إذا ما المرء ما شاء

١٥ وفي الناس من الناس • مقاييس وأشباه

وفي المئين غنى للمئين أن تنطق أفواه

السعاية والبغى

قال الله تعالى ذكره : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بُغِيْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) .

وقال عز وجل : (... ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ) .

٢٠ وقال الشاعر : فلا سبق إلى أحدٍ يبغي • فإنَّ البغىَ مصرعه وخيم

وقال العتابي : بُغيتَ فلم تقع إلا صريعاً • كذلك البغى يصرع كل باغ

(١) وردت بعض هذه الأبيات في ثلاثة مواضع من عيون الأخبار منسوبة لابن النماية ، ولم نجد لها في ديوانه .

وقال المأمون يوماً لبعض ولده : إياك أن تصحى لأستماع قول السعاة ، فإنه ماسعى رجل برجل إلا آتخط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدا .

للمأمون يوصى
بعض ولده

ووقع في رقعة ساع : سننظر أصدقته أم كنت من الكاذبين .

ووقع في رقعة رجل سعى إليه ببعض عماله : قد سمعنا ما ذكره الله عز وجل

في كتابه ، فانصرف رحمك الله .

فكان إذا ذكر عنده السعاة قال : ما ظنكم يقوم يلعنهم الله على الصدق .

وسعى رجل إلى بلال بن أبي بردة ، فقال له : انصرف حتى أكشف عما

بلال ورجل
سعى إليه

ذكرت . ثم كشف عن ذلك فإذا هو لنغير رشدة ؛ فقال : أنا أبو عمرو ،

ماكذبت ولا كذبت .

حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الساعى

لنبي صلى الله عليه وسلم

لنغير رشدة (١) » .

وسأل رجل عبد الملك الخولة ، فقال لأصحابه : إذا شتمت فقوموا . فلما

عبد الملك ورجل
سعى إليه

تميماً الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحنى ؛ فأنا أعلم بنفسى منك ؛

أو تكذبينى ، فإنه لا رأى لكذوب ؛ أو تسعى لى بأحد . وإن شئت أقتلك .

قال : أقتلى .

ودخل رجل على الوليد بن عبد الملك ، وهو والى دمشق لآبيه ، فقال :

للأمر عندي فصيحة . فقال : إن كانت لنا فاذكرها ، وإن كانت لنغيرنا فلا حاجة

لنا فيها . قال : جارتى عصى وفر من بعثه . قال : أما أنت فتخبر أنك جار سوء ؛

فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ،

وإن شئت تاركناك . قال : تاركنى .

وفى سير العجم : أن رجلاً وثى برجل إلى الإسكندر ، فقال : أتعجب أن

من سير العجم

تقبل منه عليك ومنك عليه ؟ قال : لا . قال : فكف عن الشر فكف

عنك الشر .

(١) لنغير رشدة : لنغير أبيه الذى يقسب إليه .

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

لِذَا الرَّاشِي بَنَى^(١) يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدَّجِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِ

وقال ذو الرياستين : قبول النعمة شرٌّ من النعمة : لأن النعمة دلالة والقبول
إجازة ، وليس من ذلك على شيء . كُنْ قَبِيلَهُ وَأَجَازَهُ .

٥ ذُكِرَ السُّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ : لَوْلَمْ يَكُنْ فِي عِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ
مَا يَكُونُونَ أَبْضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَكِفَامُ .

وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف في شيء ، فَأَنْكَرَهُ ، فَقَالَ : أَخْبَرَنِي الثَّقَةُ .
قال : كلا ، إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبْلَغُ .

مصعب بن الزبير
والأحنف

وقد جعل الله السامع شريك القاتل فقال : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
أَكَاوُنَ لِلشُّعْرِ ﴾ . ١٠

وقيل : حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ .

لبعضهم

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ تَدْوُهُ * وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ

وقال آخر :

١٥ لَا تَقْبَلَنَّ نَمِيمَةً بُلَغَتْهَا * وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الذِّي أَنْبَاكَهَا
لَا تَنْقُشَنَّ بِرَجُلٍ غَيْرَكَ شَوْكَةً * فَتَقِيَّ بِرَجُلِكَ وَجِلَّ مَنْ قَدْ شَاكَهَا
إِنَّ الذِّي أَنْبَاكَ عَنْهُ نَمِيمَةٌ * سَيَدُبُّ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكَهَا

لديعل

وقال ديعل :

٢٠ وَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا * وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوَصِّلَ الْحَبْلُ أَحْوَجُ
رَأَوْا عَوْرَةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِأَلْهِم * فَلَمْ يَنْهَهُمْ حِلْمٌ وَلَمْ يَحْرَجُوا
وَكَانُوا أَنْاسًا كُنْتُ أَمْنُ غَيْبِهِمْ * فَرَاخُوا عَلَى مَا لَا يُحِبُّ فَأَذْنَجُوا

الغيبة

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قلت في الرجل ما فيه فقد اغتبتَه ، وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتَه .
- ابن سيرين ونوم
قالوا منه
- ومرَّ محمد بن سيرين يقوم ، فقام إليه رجل منهم فقال : أبا بكر ، إنا قد نلنا منك لحظنا فقال : إني لا أحِلُّ ما حَرَّمَ الله عليك ، فأما ما كان إليّ فهو لك .
- رقية بن مصقلة
وبعض جلسائه
- وكان رقية بن مصقلة جالسا مع أصحابه ، فذكروا رجلا بشيء ، فاطلع ذلك الرجل ، فقال له بعض أصحابه : ألا أخبره بما قلنا فيه لئلا تكون غيبة ؟ قال : أخبره حتى تكون نيمة .
- غيبة بن مسلم
ورجل مقاب
- اغتاب رجل رجلا عند غيبة بن مسلم ، فقال له غيبة : أمسك عليك أيها الرجل ، فوالله لقد تلمّظت بمضغة طالما لفظها الكرام .
- ابن سيرين
ورجل حسب
أنه اغتابه
- محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال له : بلغني أنك نلت مني ، قال : نفسي أعرُّ على من ذلك .
- بين بكر بن محمد
ورجل في مثله
- وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة (١) . بلغني أنك تقع فيّ أقال أنت إذا عرِّ أكرم من نفسي .
- ابن أبي وفاس
ورجل اغتاب
طلحة والزبير
- ووقع رجل في طلحة والزبير عند سعد بن أبي وقاص ، فقال له : اسكت ، فإن الذي بيننا لم يبلغ دينا .
- شريف ورجل
عاب عليه
- وعاب رجل رجلا عند بعض الأشراف ، فقال له : قد استدلتُ على كثرة عُيوبك بما تُكثّر من عيوب الناس ؛ لأنّ طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها .. أما سمعت قول الشاعر :

- لا تَمْتَكِنَنَّ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا ۖ فَيَهْتَكَ اللهُ سِتْرَهُ مِنْ مَسَاوِيكَ
وَإِذَا ذُكِرَ عَجَائِلُ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا ۖ وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

(١) في عيون الأخباز : علقمة .

وقال آخر :

لبعض العمراء

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلُهُ * عَارِثٌ عَلَيْكَ إِذَا فُضِّلْتَ عَظِيمُ
إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَأَنْتَ هَا هُنَا * فَإِذَا أَنْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

وقال محمد بن السماك : تَجَنَّبُ الْقَوْلَ فِي أَخِيكَ لِحُلَّتَيْنِ : أَمَّا وَاحِدَةٌ فَلِعَلَّكَ
تَعْيِيهِ بَشِيءٌ هُوَ فِيكَ ، وَأَمَّا الْأُخْرَى فَإِنْ يَكُنُ اللَّهُ عَاقِلًا مِمَّا ابْتَلَاهُ كَانَ شُكْرَكَ
اللَّهُ فِيهِ عَلَى الْعَاقِفَةِ تَعْيِيرًا لِأَخِيكَ عَلَى الْبَلَاءِ .

وقيل لبعض الحكماء : فَلَنْ يَعْيبَكَ ! قَالَ : إِنَّمَا يَقْرَضُ الدَّرْهَمَ الْوِازِنَ .
وقيل لبزرجهر : هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا لَا عَيْبَ فِيهِ ؟ قَالَ : إِنْ الَّذِي لَا عَيْبَ
فِيهِ لَا يَمُوتُ .

وقيل لعمر بن عُبيد : لَقَدْ وَقَعَ فِيكَ أَبُو بُوَيْسٍ السَّخْنِيَانِي حَتَّى رَحِمْنَاكَ . قَالَ : لَعَنُوا بَنِي عَدِ
إِيَّاهُ فَارْحَمُوا .

وقال ابن عباس : أَذْكَرُ أَهْلِكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ،
وَدَعَّ مِنْهُ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَ مِنْكَ .

وقدم العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَرَوِي
مِنْ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدَهُ :

الذي صلى الله
عليه وسلم
وإبن الحضرمي

تَحِبُّ ذُرَى الْأَضْدَانِ تَسِبُّ نَفْسَهُمْ * تَحِبُّبِكَ الْفَرْقَى فَقَدْ تَرَفَّعُ النَّعْلُ
وَلِنْ دَحَسُوا^(١) بِالْكُرْهِ فَاغْفُ تَكْرُمًا * وَإِنْ غَيَّبُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يَقُلْ
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ .

وقال الحسن البصري : لَا غِيَةَ فِي ثَلَاثَةٍ : فَاسِقٌ مُجَاهِدٌ بِالْفِسْقِ ، وَإِمَامٌ جَائِرٌ
وَصَاحِبٌ بِذَعَةٍ لَمْ يَدَعْ بِذَعَتِهِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « حَسَلُوا » .

وكتب الكسائي إلى الرقاشي :

من الكسائي
إلى الرقاشي

تَرَكَتَ الْمُسْجِدَ الْجَامِعَ • عَ وَالْتَرَكْ لَهُ رِيَّةَ
فَلَا نَافِلَةَ تَقْضِي • وَلَا تَقْضِي لِمَكْتُوبَةٍ
وَأَخْبَارُكَ تَأْتِيْنَا • عَلَى الْأَعْلَامِ مَنْصُوبَةٍ
فَإِنَّ زِدْتَ مِنَ الْغِيَةِ • فِي ذَلِكَ مِنَ الْغِيَةِ

مداراة أهل الشر

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : شرُّ الناس من اتَّقاء الناس لِشَرِّهِ .

النبي صلى الله
عليه وسلم

وقال عليه الصلاة والسلام : إِذَا لَقِيتَ اللَّيْمَ تَخَالَفْهُ ، وَإِذَا لَقِيتَ
الْكَرِيمَ تَخَالَطْهُ .

وقال أبو الدرداء : إِنَّا لَنَكْثِرُ فِي وَجْهِهِ قَوْمٌ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَلْعَنُهُمْ .

لأبي الدرداء

ومثل شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان ، فقال : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ
وَلَا عَدُوٌّ فِي الْعَلَانِيَةِ .

لأبي شبيب في
ابن صفوان

وقال الأحنف : رُبَّ رَجُلٍ لَا تَغِيبُ فَوَائِدُهُ وَإِنْ غَابَ ، وَآخِرَ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ
جَلِيسُهُ وَإِنْ احْتَرَسَ .

للأحنف

وقال كثير بن هراسة : إِنْ مِنَ النَّاسِ نَاسًا يَنْقُصُونَكَ إِذَا زِدْتَهُمْ ، وَتَهُونُ
عِنْدَهُمْ إِذَا خَاصَمْتَهُمْ ، لَيْسَ لِرِضَائِهِمْ مَوْضِعُ تَعْرِفِهِ ، وَلَا لِسَخَطِهِمْ مَوْضِعُ تَحْذَرِهِ .
فَإِذَا عَرَفْتَ أَوَّلَكَ بِأَعْيَانِهِمْ فَأَبْذُلْ لَهُمْ مَوْضِعَ الْمَوَدَّةِ ، وَآحْرَمِهِمْ مَوْضِعَ الْخَاصَةِ ،
يَكُنْ مَا بَذَلْتَ لَهُمْ مِنَ الْمَوَدَّةِ حَائِلًا دُونَ شَرِّهِمْ ، وَمَا حَرَمْتَهُمْ مِنَ الْخَاصَةِ
قَاطِعًا لِحَرَمَتِهِمْ .

لابن هراسة

وأنشد العتي :

العتي

لِي صَدِيقٌ يَرَى حُقُوقِي عَلَيْهِ • نَافِلَاتٍ وَحَقِّهِ التَّهَرُّ فَرَضًا
لَوْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ طَوَلًا إِلَيْهِ • ثُمَّ مِنْ بَعْدِ طَوْلِهَا سِرْتُ عَرْضًا
لَرَأَى مَا فَعَلْتُ غَيْرَ كَثِيرٍ • وَاشْتَمَى أَنْ يَزِيدَ فِي الْأَرْضِ أَوْصًا

أدبيل

وفي هذه الطبقة من الناس يقول دُعيل الخزاعي :

اشْقَهُم السَّمَّ إِنْ ظَفِرْتُ بِهِمْ • وَامْرِجْ لَمْ مِنْ لِسَانِكَ الْمَسْلَا

لسهل في العلاف

كتب سهل بن هارون إلى موسى بن عمران في أبي الهذيل العلاف .

إِنَّ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتُكَ حَاجَةً • لَا بِي الْهَذِيلُ خِلَافَ مَا أُبْدِي

فَأَنْزِلْ لَهُ كِنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ • فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رَفْدٍ

حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ • وَعَنَاؤُهُ فَأَجِبْهُهُ بِالرَّدِّ

لا بن عبد القدوس

وقال صالح بن عبد القدوس :

تَجَنَّبْ صَدِيقَ السُّوءِ وَاصْرِمْ جِبَالَهُ • وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ تَحِيصًا فَدَارِهِ

وَمَنْ يَطْلُبُ الْمُرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ • يَجِدْهُ وَرَاءَ الْبَحْرِ أَوْ فِي قَرَارِهِ

وَلَقَدْ فِي عَرِضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٍ • وَلَكِنَّهَا تَجْهَرُ بِالْمَكَارِهِ

لبعض الشعراء

وقال آخر :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ بَلَاءٌ • عِدَاوَةٌ غَيْرُ نَذَى حَسَبٍ وَدِينِ

يُيْلِكُ مِنْهُ عَرَضًا لَمْ يُصْنُهُ • لَيَرْتَعْ مِنْكَ فِي عَرِضِ مَصُونِ

أبو مسلم وأصحابه
في جواد

عرض على أبي مسلم صاحب الدعوة فرس جواد ، فقال لقواده : لماذا

يصلح مثل هذا الفرس ؟ قالوا : إنا ننزو عليه العدو . قال : لا ، ولكن يركبه

الرجل فيهرب عليه من جار السوء .

ذم الزمان

الحكام

قالت الحكماء : يُجِيلُ النَّاسَ عَلَى ذَمِّ زَمَانِهِمْ وَقَلَّةِ الرِّضَا عَنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ .

فنه قولهم : رضا الناس غاية لا تدرك .

وقولهم : لا سبيل إلى السلام من السنة العامة .

وقولهم : الناس يُعَيَّرُونَ وَلَا يَغْفِرُونَ ، وَاللهُ يَغْفِرُ وَلَا يُعَيِّرُ .

في الأثر

وفي الحديث : « لو أن المؤمن كالقِدَحِ لَقَالَ النَّاسُ لَيْسَ وَلَوْ لَا . . . » ١ .

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

مَنْ لَابَسَ النَّاسَ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ النَّاسِ • وَضَرَّ سَوْهَ بَأْسَابٍ وَأَضْرَايَ

لثافة في ليد هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : رحم الله ليذا ، كان يقول :

ذهب الذين يُعَاشُ في أَكْثَانِهِمْ • وَبَقِيَتْ في خَلْفٍ يَجْلِدُ الْأَجْرِبِ

فكيف لو أبصر زماننا هذا ؟

قال عروة : ونحن نقول : رحم الله عائشة ، فكيف لو أدركت زماننا هذا .

وكان بعضهم يقول : ذهب الناس وبقي النفساء ، فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟

لبعضهم في
معنى ما سبق

دخل مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك :

أَيَّ زَمَانٍ أَدْرَكْتَ أَفْضَلَ ، وَأَيَّ الْمُلُوكِ أَكَلْتَ ؟ قَالَ : أَمَا الْمُلُوكُ فَلَمْ أَرِ إِلَّا حَامِدًا

أَوْ ذَا مِمَّا ، وَأَمَا الزَّمَانُ فَيُرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَضَعُ أَقْوَامًا ، وَكُلُّهُمْ يَذُمُّ زَمَانَهُ ، لِأَنَّهُ يُبْلَى

جَدِيدُهُمْ ، وَيُفَرِّقُ عَنَدِيهِمْ ، وَيُهَرِّمُ صَغِيرَهُمْ ، وَيُهْلِكُ كَبِيرَهُمْ .

وقال الشاعر : لبعض الشعراء

أَيَا دَهْرٍ إِنْ كُنْتَ عَادِيْنَا • فَمَا قَدْ صَنَعْتَ بِنَا مَا كَمَا كَا

جَعَلْتَ الشَّرَّارَ عَلَيْنَا خِيَارًا * وَوَلَّيْنَا بَعْدَ وَجْهِ قَفَا كَا

وقال آخر :

إِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانُ تَزْيِيرٍ • وَعُكُلٌ فَالْإِسْلَامُ عَلَى الزَّمَانِ

زَمَانٌ صَارَ فِيهِ الصَّدْرُ تَجَرَّأَ • وَصَارَ الرُّجُ قُدَامَ السَّنَانِ

لَعَلَّ زَمَانَنَا سَيَعُودُ يَوْمًا • كَمَا عَادَ الزَّمَانُ عَلَى بَطَانِ

أبو جعفر الشيباني قال : أتانا يوماً أبو ميثاس الشاعر ونحن في جماعة فقال :

أبو ميثاس وقوم
يذكرون الزمان

مَا أَنْتُمْ فِيهِ وَمَا تَذْكُرُونَ ؟ قُلْنَا : نَذْكُرُ الزَّمَانَ وَفُسَادَهُ . قَالَ : كَلَّا ، إِنَّمَا الزَّمَانُ

وَعَادٌ ، وَمَا أَلْبَى فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ كَانَ عَلَى حَالِهِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى حُلَلًا تُصَانُ عَلَى أَنْبَاسٍ • وَأَخْلَاقًا تُدَاسُ (١) فَمَا تُصَانُ

يقولون الزمانُ بهُ فسادٌ * وهم فسَدُوا وما فسَدَ الزمانُ

لنرج بن سلام

أنشد فرج بن سلام :

هذا الزمانُ الذي كُنَّا نُحَدِّثُهُ * فيما يُحَدِّثُ كَدْبُ وابن مسعود
إنَّ دَامَ ذَا الدَّهْرِ لمَ تَحْزَنْ على أَحَدٍ * يموتُ مِنَّا ولم تَفْرَحْ بمولودٍ

الحبيب

وقال حبيب الطائي :

لَمْ أَبْكُ في زمنٍ لم أَرْضَ خَلَّتْهُ * إلا بكيتُ عليه حين ينصرمُ

لأدهر بن الحسين

وقال آخر في طاهر بن الحسين :

إذا كانت الدنيا تُتَالُ بطاهِرٍ * تَجَنَّبْتُ منها كُلَّ ما فيه طاهِرٍ
وأعرضتُ عنها عِفَّةً وتكرُّماً * وأرجأتُها حتى تدورَ الدوائر

لابن سعيد في

مقل وابن أخيه

١٠ وقال مؤمن بن سعيد في مقل الضبي وابن أخيه عثمان :

لقد ذَلَّتْ الدنيا وقد ذَلَّ أَهْلُهَا * وقد مَلَأَها أَمَلُ النَّدَى والتفضيل
إذا كانت الدنيا تَمِيلُ ^(١) بِخَيْرِهَا * إلى مثلِ عثمان ومثلِ المَحْوِلِ
ففي أَسْتِ آمَ دُنْيَانَا وفي أَسْتِ آمَ خَيْرِهَا * وفي أَسْتِ آمَ عُمَانٍ وفي أَسْتِ آمَ مَقِيلِ

لابن مناذر

وقال محمد بن مناذر :

يا طالِبَ الأشعارِ والنحوِ * هذا زمانٌ فاسدُ الحشوِ
تَهَارَهُ أَوْحَشُ من لَيْلِهِ * وَشَوْهُ من أَخْبَثِ النَّشْوِ
فَدَغْ طِلَابَ النُّحَى لا تَبْغِهِ * ولا تَقْلُ شِعْراً ولا تَزُو
فما يَجُوزُ اليَوْمَ إلا انْزُؤُ * مُسْتَحِكمُ العَرِفِ أو الشَّدْوِ
أو طَرِيزَانُ قَوْلِهِ كاذِبٌ * لا يَفْعَلُ الخَيْرَ ولا يَزُو

لابن عبد ربه

٢٠ ومن قولنا في هذا المعنى :

رجالٌ دونَ أَقْرَبِهِ السَّعَابُ * ووعدَ مِثْلَ ما لَمَعَ السَّرَابُ
ودَهَرُ سَادَتِ البُيُودُ فيه * وعائَتْ في جِوَانِهِ الذَّنَابُ

وَأَيَّامٌ خَلَتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ . وَدُنْيَا قَدْ تَوَزَّعَهَا الْكَلَابُ
 كَلَابٌ لَوْ سَأَلْتَهُمْ تُرَابًا * لَقَالُوا : عِنْدَنَا انْقَطَعَ التُّرَابُ
 تُعَاقِبُ مِنْ أَسَاءِ الْقَوْلِ فِيهِمْ . وَإِنْ يُحْيِينَ فَلَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ

كتب عمرو بن بحر الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

الجاحظ في
 ذم الزمان

- بسم الله الرحمن الرحيم . حَفِظَكَ اللهُ حِفْظَ مَنْ وَفَّقَهُ لِلْقَنَاعَةِ ، وَأَسْتَعْمَلَهُ بِالطَّاعَةِ
 كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَحَالِي حَالٌ مِنْ كَثُرَتْ غُرْمُهُ ، وَأَشْكَتْ عَلَيْهِ أُمُورُهُ ، وَأَشْبَهَ عَلَيْهِ
 حَالُ دَهْرِهِ ، وَخَرَجَ أَمْرُهُ ، وَقَلَّ عِنْدَهُ مَنْ يَثِقُ بِوَفَائِهِ ، أَوْ يَحْمَدُ مَعْبَةَ إِخَائِهِ ،
 لَاسْتَحَالَةَ زَمَانِنَا ، وَفَسَادِ أَيَّامِنَا ، وَدَوْلَةِ أَنْذَانِنَا ، وَقَدَمًا كَانَ مِّنْ قَدَمِ الْحَيَاءِ عَلَى
 نَفْسِهِ ، وَحُكْمِ الصَّدَقِ فِي قَوْلِهِ ، وَآثَرِ الْحَقِّ فِي أُمُورِهِ ، وَتَبَذَّ الْمَشْتَبَهَاتِ عَلَيْهِ مِنْ
 سُئُونِهِ . تَمَّتْ لَهُ السَّلَامَةُ ، وَفَازَ بِوُفُورِ حِفْظِ الْعَافِيَةِ ، وَحَمْدِ مَعْبَةِ مَكْرُوهِ الْعَاقِبَةِ ،
 فَظَنَّا إِذْ حَالٌ عِنْدَنَا حُكْمُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُهُ . فَوَجَدْنَا الْحَيَاءَ مُتَصِلًا بِالْحَرَمَانِ ،
 وَالصَّدَقَ آفَةً عَلَى الْمَسَالِ ، وَالْقَصْدَ فِي الطَّلَبِ بِتَرْكِ اسْتِهْمَالِ الْقِيَمَةِ وَإِخْلَاقِ الْعِرْضِ
 مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ دَلِيلًا عَلَى تَخَافَةِ الرَّأْيِ : إِذْ صَارَتْ الْخُطُوءُ الْبَاسِقَةُ وَالنَّعْمَةُ
 السَّابِقَةُ فِي ثَوْمِ النِّيَّةِ ^(١) ، وَتَنَاوَلَ ^(٢) الرِّزْقُ مِنْ جِهَةِ مَحَاشَاةِ الْوَقَارِ ^(٣) ، وَمَلَابَسَةِ
 مَعَرَّةِ الْعَارِ .

١٥

- ثم نظرنا في تعشُّبِ المتعشِّبِ لقولنا ، والكاشِرِ لحِجَّتِنَا ، فَأَقْنَأَ لِهَ عَلَمًا وَاضِحًا ،
 وَشَاهِدًا قَائِمًا ، وَمَنَارًا بَيِّنًا : إِذْ وَجَدْنَا مَنَ فِيهِ السُّفُولِيَّةَ الْوَاضِحَةَ ، وَالْمَثَالِبَ الْفَاضِحَةَ ،
 وَالْكَذِبَ الْمَبْرَحَ ، وَالْخُلْفَ الْمَصْرَحَ ، وَالْجَهَالَ الْمُفْرَطَةَ ، وَالرَّكَازَةَ الْمُسْتَحْفَةَ ،
 وَضَعْفَ الْيَقِينِ وَالِاسْتِثْنَاءِ ، وَسُرْعَةَ الْغَضَبِ وَالْخَفَةِ ^(٤) ، قَدْ اسْتَكْمَلَ سُرُورَهُ ،
 وَاعْتَدَلَتْ أُمُورُهُ ، وَفَازَ بِالسَّهْمِ الْأَغْلَبِ ، وَالْحِظِّ الْأَوْفَرِ ، وَالْقَدْرِ الرَّفِيعِ ،

٢٠

(١) في بعض الأصول : « المشيئة » .

(٢) في بعض الأصول : « دوسناه » .

(٣) في بعض الأصول : « الرعاء » .

(٤) في بعض الأصول : « الجرأة » .

والجواب^(١) الطائع ، والأمر النافذ ، إن زَلَّ قِيلَ حَكْمٌ ، وإن أخطأ قِيلَ أَصَابَ ، وإن هَدَى في كلامه وهو يقظان قِيلَ رَوَّيَا صادقة في سِيَةِ^(٢) مباركة .

فهذه حُجَّتُنَا - أبقاك الله - على من زَعَمَ أن الجَهْلَ يَخْفِضُ ، وأن الحق يضع ، وأن التَّوَكُّلَ يُرْدِي وأن الكذب يَضُرُّ ، وأن الخُلْفَ يُزَيِّرِي .

٥ ثم نظرنا في الوفاء والأمانة ، والتَّيْلَ والبراعة^(٣) ، وحُسن المذهب ، وكال المروءة ، وسعة الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفتاق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ؛ فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم يُنْصِفْهُ من حقِّه ، ولا قام له بوظائف فرضه ؛ ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به . فهذا دليل على أن العَالَمَ أَجْدَى من الصَّلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وَعَفَتْ آثَارُهُ ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ؛ ووجدنا العقل يَشْتَقِي به قرينه ، كما أن الجَهْلَ وَالْحَقَّ يحظى به خديته ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومُعْرِيَا عن الأيام ، حبث يقول :

تَحَامَقَ مع الحَقِّقِ إذا مَا لَقَيْتَهُمْ • وَلَا فِهِمُ بِالْجَوِلِ فَمِلَ أَخِي الْجَهْلِ

وَحَاطَ إذا لَاقَيْتَ يَوْمًا مُخْطَطًا • يُخْلَطُ في قَوْلٍ صَحِيحٍ وفي هَزَلٍ

١٥ فَإِنِ رَأَيْتُ المرءَ يَشْتَقِي بعقله • كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعُدُ بِالْعَقْلِ

فَبَقِيَ أَبقاك الله مثل من أصبح على أَوْفَارٍ ، ومن الثَّقلَ على جِجَارٍ ، لَا تَسْوَعُ له نَعْمَةٌ وَلَا يُطْعَمُ عَيْنُهُ غَفْضَةٌ ، في أَهْوِيلٍ يُبَاكِره مَكْرُوهُهَا وتُرَاوِحه عَقَابِلُهَا ؛ فلو أن السماء أَجِيبَ والتضَرُّعُ سُمِعَ ، لَكَانَتِ الْمُدَّةُ الْعُظْمَى ، والرجفة الكبرى ؛ فليت الذئب يا أَخِي مَا أَسْبَطَتْهُ من النفخة ، وَمِنْ لَجَأَةِ الصَّيْحَةِ ، قُضِيَ لِحَانُ ، وَأُذِنَ به فَكَانَ ؛ فَوَاقَهُ مَا عَذَّبَتْ أُمَّةً بِرَجْفَةٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا مَخْطَةٍ ، عَذَابَ عَيْنِي ٢٠ بِرُؤْيَا الْمُنَاطِلَةِ الْمَضْنَةِ^(٤) ، والأخبار المَهْلِكَةِ ، كَأَنَّ الزمان توكل بعذابي ،

(١) في بعض الأصول : : الجواز .

(٢) في بعض الأصول : : من نسمة .

(٣) في بعض الأصول : : والبلاغة .

(٤) في بعض الأصول : : المدنية . ٢٥

أو أتصب لإيلام^(١) : فاعيش من لا يسر بأخ شقيق ، ولا حدن شقيق ، ولا يصطبح في أول نهاره إلا بروية من تتركه رؤيته ، ونعمة من تغمه طلعه فبذل الله لي - أي أخي - بالمسكن مسكنا ، وبالربع ربعا فقد طالت النعمة ، وواطنت الكربة ، وأذلهمت الظلة ، ونجد السراج ، وتباطأ الانفراج ، والسلام .

فساد الإخوان

٥

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه ، فصاروا شوكا لا ورق فيه .

وقيل لعروة بن الزبير : ألا تنتقل إلى المدينة ؟ قال : ما بقي بالمدينة إلا حاسدٌ على نعمة ، أو شامتٌ بمصيبة .

١٠

الحسن^(٢) ، قال : أشدني الرياشي :

إذا ذهب التكرم والوفاء • وباد رجاله وبقي الغناء
وأسلنى الزمان إلى رجالٍ • كأمثال الذئاب لها عواء
صديق كلما استغفنت عنهم • وأعداء إذا جهد البلاء
إذا ما جئتهم يتدافعوني • كأنى أجرب أذاه^(٣) داء
أقول ولا ألام على مقالٍ • على الإخوان كلهم العفاء

١٥

وقالت الحكاء : لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له ، واصطناع من لا شكر عنده . والكريم يؤدُّ الكريم عن لُقية واحدة ، واللتيم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة .

وفي كتاب للهند : إن الرجل السوء لا يتغير عن طبعه ، كما أن الشجرة المزرة لو طليت بالعسل لم تثمر إلا مرًا .

٢٠

(١) في بعض الأصول : • لا يابى • .

(٢) الحسن : محمد بن عبد السلام وفي بعض الأصول : • الحسن ، وهي تحريف .

(٣) في بعض الأصول : • أعداء • .

وسمع رجل أبا العتاهية يُنشد :

فأرِمَ بطَرَفِكَ حيث شئت فلا تَرى إلا بخيلا

وقال أيضاً في هذا المعنى :

للهِ دَرُ أَيْكَ أَيْ زَمَانٍ * أَصْبَحْتَ فِيهِ وَأَيُّ أَهْلِ زَمَانٍ

كُلُّ يُوَازِنُكَ المَوَدَّةَ جَاهِدًا * يُعْطَى وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ

فَإِذَا رَأَى رُجْحَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ * مَالَتْ مَوَدَّتُهُ إِلَى الرُّجْحَانِ

وقال :

أَرَى قَوْمًا وَجُوهُهُمْ حِسَانٌ * إِذَا كَانَتْ حَوَائِجُهُمُ إِلَيْنَا

وَلِنْ كَانَتْ حَوَائِجُنَا إِلَيْهِمْ * يُقْبَحُ حُسْنُ أَوْجُوهِهِمْ عَلَيْنَا

فَإِنْ مَنَعَ الْأَشْخَةُ مَا لَدَيْهِمْ * فَإِنَّا سَوْفَ نَمْنَعُ مَا لَدَيْنَا

وقال :

مَوَالِينَا إِذَا احتَاجُوا إِلَيْنَا * وَلَيْسَ لَنَا احتِيَاجٌ لِلْمَوَالِ

البكرى

للبيكرى :

وخليلٍ لم أُنْخَنِهِ سَاعَةً * فِي دِيٍّ كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ

كَانَ فِي سَرِّى وَجْهِي رَاقِي * لَسْتُ عَنْهُ فِي مُهَيْمٍ أَحْتَرَسُ

سَتَرَ الْبُغْضُ بِالْفَظِ الهَوَى * وَادَّعَى الْوُدُّ بِنَشْرِى وَدَلَسَ

إِنْ رَأَى قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ * غِيَبَتْ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسَ

ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّنْتُهُ فِرَاصَةً * حَلَّ السِّيفُ عَلَى بَجْرِى النَّفْسَ

وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنْ غَاثَهُ * فَدَثَّرَ أَيْقَطُ مَنْ كَانَ نَعْسُ

٢٠ وأنشد العتي :

إِذَا كُنْتَ تَمُصُّ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ * وَتَغْتِيبُ مِنْ غَيْرِ جُرْإِمٍ عَلَيَّا

طَلَبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَى * عِنْدُكَ مَيْتًا وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا

فَلَا تَمُجِبَّنِ بِمَا فِي يَدَيْكَ * فَأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِى فِي يَدَيَّا

لابن أبي حازم وقال ابن أبي حازم :

وصاحب كان لي وكنتُ له * أشفق من والدي علي ولي
كنا كسائي نسمي بها قدمه * أو كذراع يبطئ إلى عضد
حتى إذا دانتِ الحوادثُ من * عظمي وحل الزمان من عقدي
أزور^(١) عني وكان ينظرُ من * طرفي ويرى بساعدي ويدي

وقال :

وخيل كان يخفِضُ لي جناحا * أفاد غني^(٢) فنبأني جماعا
فقلتُ له ولي نفسُ عروفي * إذا حيتْ تقحمت الرماحا
سأبدل بالمطاميع فيك ياساً * وباليأس استراح من استراحا

١٠ لبداعة بن معاوية وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

وأنت أحمى مالم تكن لي حاجة * فإن عرّضتُ أيقنتُ أن لا أخاليا
فلا زاد^(٣) ما بيني وبينك بعدما * بلوتك في الحاجات إلا تماديا
كلانا غي عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا
وعين الرضا عن كل عيب كيلة * كما أن عين السخط تبدي المساويا

١١ لبحري وقال البحتري :

أشرق أم أغرب يا سعيد * وأقص من ذمائي^(٤) أو أزيد
عدتني عن نصيبين العوادي * فبختي أبله فيها بليد
وخلفي الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن يعض * وأخلاق سمجن فهن سود

٢٠ (١) في بعض الأصول : « احول » .

(٢) في بعض الأصول : « فودعي » .

(٣) في بعض الأصول : « فلا زال » .

(٤) في بعض الأصول : « رباعي » .

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تُقَدَّرْ ۚ وَلَمْ تُكُنِ الْعَطَايَا وَالْجُدُودُ

لابن أبي حازم

وقال ابن أبي حازم :

وَقَالُوا : لَوْ مَدَحَتْ فِتْنَى كَرِيمًا ۚ فَقُلْتُ وَكَيْفَ لِي بِفِتْنَى كَرِيمٍ !
بَلَوْتُ وَسَرَّ بِي خَمْسُونَ حَوْلًا ۚ وَحَسْبُكَ بِالْمُجَرَّبِ مِنْ عَلِيمٍ
فَلَا أَحَدٌ يُعَدُّ لِيَوْمٍ خَيْرٍ ۚ وَلَا أَحَدٌ يَعُودُ عَلَى عَدِيمٍ

وقال :

قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ طَرًّا * لَمْ أَجِدْ فِي النَّاسِ حُرًّا
صَارَ حَلْوُ النَّاسِ فِي الْعَيْنِ إِذَا مَا ذِيقَ مُرًّا

وقال :

مِنْ سَلَا عَنِّي أَطْلَقْتُ جِبَالِي مِنْ جِبَالِهِ
أَوْ أَجَدَّ الْوَصْلَ سَارَعْتُ بِجَهْدِي فِي فِصَالِهِ
إِنَّمَا أَحْذَوْ عَلَى فِئْلٍ صَدِيقِي بِمِثَالِهِ
غَيْرَ مُسْتَخْدٍ إِذَا أَزَوَّرَ كَأَنِّي مِنْ عِيَالِهِ
لَنْ يَرَانِي أَبَدًا أُعْظِمُ ذَا مَالٍ لِمَالِهِ
لَا وَلَا أَزْرِي بِمَنْ يَعْقِلُ عِنْدِي سِوَهُ حَالِهِ
إِنَّمَا أَهْضَى عَلَى ذَا ۚ كَ وَهَذَا بِقَعَالِهِ
كَيْفَا صَرَفَنِي الدَّهْرُ فَإِنِّي مِنْ رَجَالِهِ

١٠

١٥

ومن قولنا في هذا المعنى :

لابن عبد ربه

أَبَا صَالِحٍ جَاءَتْ عَلَى النَّاسِ غَفْلَةٌ ۚ عَلَى غَفْلَةٍ مَاتَ بِكُلِّ كَرِيمٍ
فَلَيْتَ الْأَلَى بَانُوا ^(١) يُفَادُونَ بِالْأَلَى ۚ أَقَامُوا ، فَيُفَدَى ظَاغِرٌ بِمُغِيرٍ
وَيَا لَيْتَهَا الْكِبْرَى فَتُطَوَّى سَمَاوُنَا ۚ لَهَا وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ أَدِيمٍ
فَا الْمَوْتُ إِلَّا عَيْشُ كُلِّ مُبْجَلٍ ۚ وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَوْتُ كُلِّ ذَمِيمٍ

٢٠

(١) في بعض الأصول « كانوا » .

وَأَعْتَدُوا مَا أَدَّى الْجَفَوْنَ مِنَ الْبُكَاءِ * كَرِيمٌ رَأَى الدُّنْيَا بِكَفٍّ لَتِيمٍ

ومثله في هذا المعنى :

أبا صالح ، أين الكرامُ بأسرهم . أفدنى كريماً فالكريمُ رضا
أحقاً يقول الناسُ في جودِ حاتمٍ * وابنِ سنانٍ ^(١) كان فيه سخاء
عذيري من خلقي تَخَلَّقَ منهمُ * غباءً ولؤمٌ فاضحٌ وجفاه
حجارةٌ يُخَلُّ ما تجودُ وربما * تفجَّرَ من صُمِّ الحجارةِ ماء
ولو أن موسى جاء يضربُ بالعصا * لَمَّا انْبَجَسَتْ من ضربه البخلاءُ
بقاءً لئامِ الناسِ موتٌ عليهمُ * كما أن موتَ الأكرمين بقاء
عزيزٌ عليهم أن تجودَ أَكْفُهُمُ * عليهم من الله العزيز عفا

ومثله قولنا في هذا المعنى :

ساقُ تَرَفَّحٍ يشدو فوقه ساقُ * كأنه لِحَنَيْنِ الصَوْتِ مُشْتاقُ
ياضعةُ الشعرِ في بُلِّهِ جَرائِقَةٍ * نفاهتُ منهم في اللُّؤْمِ أخلاقُ
عُلْتُ بأعناقهم أيدي مُقَفَّعةٌ * لا بُورَكَتْ منهمُ أيدي وأعناقُ
كأنما بينهم في منع سائلهم * وحبس نائلهم عهدٌ وميثاقُ
كم سَقَتَهُمُ بأماديحٍ وقُدَّتُهُمُ * نحو المالِ فانتقادوا ولا انساقوا
وإن تَبَانِي في ساحاتهم ووطنُ * فالأرضُ واسعةٌ والناسُ أفرارُ
ما كنتُ أولَ ظَلَمَانٍ بِمَهْمَةٍ * يفرُّ من سرابِ القفرِ دفرارُ
رزقٌ من الله أرضاهم وأَسْخَطَى * واللهُ لِلْأَنوَكِ المعتسوه رزاقُ
يا قابض الكف لا زالت مُقَبِّضَةٌ * فإنا ملها للناس أرزاقُ
وغيب إذا شئتَ حتى لا تُرى أبداً * فإلفقدك في الأحشاء إقلاقُ
ولا إليك سبيلُ الجودِ شارعةٌ * ولا عليك لنورِ المجدِ إشراقُ

(١) يعني هرم بن سنان ، وقطع همزة الوصل للشعر ؛ وفي بعض الأصول :
وإن سنانا .

لم يكتفى رجاء لا ولا أمل . إلا تكفنه كُلاً وإسلاق
وقال مؤمل بن سعيد في هذا المعنى :

شعر مؤمل
ابن سعيد

لما أزدى بقدرى أتى . لست من نابه أهل البلد
ليس منهم غير ذى مقلية * لتوى الألباب أودى حسد
يتحامون لقائى مثل ما . يتحامون لقاء الأسد
طلعت أقفل فى أعينهم * وعلى أنفسهم من أحد
لوراوى وسط بحر لم يكن . أحد يأخذ منهم يدي

باب فى الكبر^(١)

قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول الله تبارك وتعالى : العظمة إزارى ، والكبرياء
ردائى ، فمن نازعنى واحداً منهما قصصته وأهنته . ١٠

وقال عليه السلام : لا يدخل حضرة القدس متكبر .

وقال : فضل الإزار فى النار . معناه : من سجد ذيله فى الحيلة قاده ذلك إلى النار .

ونظر الحسن إلى عبد الله بن الأهمم يخطب فى المسجد ، فقال : انظروا إلى هذا ؛
ليس منه عضو إلا والله عليه نعمة وللشيطان فيه لمة .

وقال سعد بن أبى وقاص لأبيه : يا أباي ، إياك والكبر ، وليكن فيما تستعين به
على تركه عليك بالذى منه كنت ، والذى إليه تصير . وكيف الكبر مع النطفة التى منها
خلقك ، والرحم التى منها قدفت ، والنداء الذى به غديت . ١٥

وقال يحيى بن حبان : الشريف إذا تقوى تواضع ، والوضيع إذا تقوى تكبر .

وقال بعض الحكماء : كيف يستقر الكبر فى من حلق من تراب ، وطوى على

القدر ، وجرى مجرى البول ! ٢٠

وقال الحسن : عجبا لابن آدم ، كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يقدر^(٢)

الحسن

(١) عنوان هذا الباب فى بعض الأصول : من قاده الكبر إلى النار .

(٢) فى بعض الأصول : « يؤذى » .

وَذَكَرَ الْحَسَنُ التَّكْبِيرِينَ فَقَالَ : يُلْقَى أَحَدُهُمْ يَنْصُ رَقَبَتَهُ نَصًّا ، يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ ، وَيَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ ، يَمْلَخُ فِي الْبَاطِنِ مَلَخًا ، يَقُولُ : هَا أَنَا ذَا فَأَعْرِفُونِي ! قَدْ عَرَفْنَاكَ يَا أَحْمَقُ ! مَقَتَكَ اللَّهُ وَمَقَتَكَ الصَّالِحُونَ .

وَوَقَفَ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ يَابَ عَمْرٍو مِنَ الْخَطِّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : أَسْتَأْذِنُ إِلَى عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقُولُوا : هَذَا ابْنُ الْأَخْيَارِ بِالْبَابِ . فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : ٥ أَنْتَ ابْنُ الْأَخْيَارِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ : بَلْ أَنْتَ ابْنُ الْأَشْرَارِ ، وَأَمَّا ابْنُ الْأَخْيَارِ فَهُوَ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ .

وَقِيلَ لِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ ظَلِيَّانَ : كَثُرَ اللَّهُ فِي الْعَشِيرَةِ أَمْثَالُكَ . فَقَالَ : لَقَدْ سَأَلْتُمُ اللَّهَ شَطَطًا .

وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ الدَّارِ عَظِيمِ الْكِبَرِ : أَلَا تَأْتِي الْخَلِيفَةُ . قَالَ : أَخَشَى ١٠ الْأَيْمِلَ الْجَسْرُ شَرْفِي .

وَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْبَسُ ؟ فَإِنَّ الْبَرْدَ شَدِيدٌ . قَالَ : خَسْبِي يُدْفِنُنِي .

قِيلَ لِلْحِجَاجِ : كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ بِالْعِرَاقِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ قَالَ : خَيْرَ مَنْزِلٍ ، لَوْ أَدْرَكْتُهَا أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ لَتَقَرَّبْتُ إِلَى اللَّهِ سَبْعَانَهُ وَتَعَالَى بِدِمَائِهِمْ . قِيلَ لَهُ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ : مُقَاتِلُ بْنُ مِسْمَعٍ ، وَابْنُ سَجِسْتَانَ فَأَتَاهُ النَّاسُ فَأَعْطَاهُمُ الْأَمْوَالَ ، فَلَمَّا قَدِمَ الْبَصْرَةَ ١٥ بَسَطَ لَهُ النَّاسُ أَرْبَعِينَ فَنَشَى عَلَيْهَا . فَقَالَ : لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ . وَعُبِيدُ اللَّهِ بْنُ ظَلِيَّانَ ، خَطَبَ خُطْبَةً أَوْجَزَ فِيهَا ، فَنَادَاهُ النَّاسُ مِنْ أَعْرَاضِ الْمَسْجِدِ : كَثُرَ اللَّهُ فِينَا أَمْثَالُكَ . قَالَ : لَقَدْ كَلَّمْتُمْ رَبَّكُمْ شَطَطًا . وَمَعْبِدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا عَلَى طَرِيقٍ ؛ فَتَرَتْ بِهِ أَمْرَأَةً فَحَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَبْنِ الطَّرِيقَ لِمَا كَانَ كَذَا ؟ فَقَالَ : لِمِثْلِي يُقَالُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟ وَيَلَاكَ ! . وَأَبُو السَّمَكِ الْخَنِي ، أَضَلَّ نَاقَتَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ نَاقِي . ٢٠ لَا صَلَّيْتُ أَبَدًا .

وَقَالَ نَاقِلُ الْحَدِيثِ : وَنَسِيَ الْحِجَاجُ نَفْسَهُ وَهُوَ خَامِسُ هَوَلَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، بَلْ هُوَ أَشَدُّهُمْ كِبَرًا ، وَأَعْظَمُهُمْ إِخَادًا ، حِينَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فِي عَطْشَةٍ عَطَشَهَا فَشَمَّتْهُ أَصْحَابُهُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ : بَلَفَنِي مَا كَانَ مِنْ عَطَاشِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَشَمَّيْتُ أَصْحَابَهُ لَهُ وَرَدَّهُ عَلَيْهِمْ ،

فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

وكتابه إليه : إن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم ، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين .

الحي
وعمرز الباهل

العبي قال : رأيت محمداً مولى باهة يطوف على بئلة بين الصفا والمروة ، ثم رأيت بعد ذلك على جسر بندا راجلا ، فقلت له : أراجل أنت في مثل هذا الموضع ؟ قال : نعم ، إنى ركبت في موضع يمشى الناس فيه ، فكان حقيقاً على الله أن يُرجلني في موضع يركب الناس فيه .

وصية بعض
الحكام لولده

وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني ، عليك بالترحيب والبشر ، وإياك والتقطيب والكبر ؛ فإن الأحرار أحب إليهم أن يلقوا بما يحبون ويمحرموا أن يلقوا بما يكرهون ويُعطوا ؛ فانظر إلى خصلة غطت على مثل اللؤم فالزمها ، وانظر إلى خصلة حفت على مثل الكرم فاجتنبها . ألم تسمع إلى قول حاتم الطائي :

أضاحك ضيقي قبل إزال رحله • ويُنصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى • ولكنما وجه الكريم خصب

لمحمد الوراق
في ذماته والبخل

وقال محمود الوراق :

التب مفسدة للدين منقصة • للعقل مجلبة للذم والسخط
منع العطاء وبسط الوجه أحسن من • بذل العطاء بوجه غير منبسط

وقال أيضا :

بشر البخيل يكاد يصلح بخله • والتب مفسدة لكل جواد
وتقصية تبقى على أيامه • ومسبة في الأهل والأولاد

لبعض الفراء

وقال آخر في الكبر :

مع الأرض يا ابن الأرض في الطيران • أتأمل أن ترقى إلى الدبران
فوائه ما أبصرت يوما مخلقا • ولو حل بين الجنى والسرطان
حماه مكان البعد من أن تناله • بهم من البؤى يدُ الخدائن

التساح مع النعمة والتذلل مع المصيبة

بضم قالوا : من عزَّ يَأْقَال الدمر ذل يَأْدِباره .

وقالوا : من أَبْطَره الغنى أَذَلَّهُ الفقر .

وقالوا : مَنْ وَلِيَ ولاية يرى نفسه أَكْبَر منها لم يَتَغَيَّر لها ، ومن وَلِيَ ولاية يرى ولاية أَكْبَر من نفسه تَغَيَّر لها .

وقال يحيى بن حبان : الشريف إِذا تَقَوَّى تواضع والوضيع إِذا تَقَوَّى تكبر

وقال كمرى : احذروا صولة الكريم إِذا جاع ، والثلثم إِذا شبع .

وكتب على بن الجهم إِلَى ابن الزيات : من ابن الجهم إِلَى ابن الزيات

أَبَا جَعْفَرٍ عَرَّجٍ عَلَى خُلْطَائِكَ . وَأَقْصَرُ قَلِيلًا مِنْ مَدَى غُلُوَائِكَ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَتَيْتَ فِي الْيَوْمِ رَفْعَةً . فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ

وقال عبد العزيز بن زُرَّارة الكلابي : لا بُدَّ زُرَّارة الكلابي

لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ أَلَيْسَ لِأَنَّهُ . صَبُورٌ عَلَى عَضَلَاءِ تِلْكَ الْبَلَابِلِ

إِذَا نَالَ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ . أَلَمْتُ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

وقال الحسن بن هاني : للحسن بن هاني

وَلَقَدْ حَزَنْتُ فَلَمْ أُؤْمَرْ حَزَنًا^(١) . وَلَقَدْ فَرَحْتُ فَلَمْ أُؤْمَرْ فَرَحًا

وكتب عَقِيل بن أَبِي طَالِب إِلَى أَخِيهِ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِب عَلَيْهِ السَّلَام يَسْأَلُهُ عَنْ

حَالِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

فَإِنْ تَسَأَلَنِي كَيْفَ أَنْتَ فَأَتِي . جَلِيدٌ عَلَى عَضِّ الزَّمَانِ صَلِيبٌ

عَزِيزٌ عَلَى أَنْ تُرَى فِي كِتَابَةٍ . فَيَفْرَحَ وَائِسٌ أَوْ يُسَاءَ حَيْبٌ

باب في التواضع

النبي صلى الله
عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من تواضع لله رفعه الله .

قالت الحكماء : كلُّ نعمة يُحصد عليها إلا التواضع .

وقال عبد الملك بن مروان ، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أفضّل الرجال

٥ مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن قُدرة ، وأنصف عن قوّة .

لابن السكك

وقال ابن السكك لعيسى بن موسى : تواضعك في شرفك أكبر من شرفك .

من تواضع
التجاشي

وأصبح التجاشي يوماً جالسا على الأرض والتاج عليه ، فأعظمت بطارقته

ذلك وسأله عن السبب الذي أوجبه ؛ فقال : وجدتُ فيما أنزل الله على المسيح :

إذا أنعمت على عبيدي نعمة فتواضع أتممتها عليه . وإنه وُلد لي هذه الليلة غلامٌ

١٠ فتواضعتُ شكرًا لله .

عمر وامرأة
من أرض

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويده على المعلى بن الجارود العبدى ،

فلقيته امرأة من قريش فقالت له : يا عمر ، فوقف لها . فقالت : كنا نعرفك مدةً

عُميرًا ، ثم صرت من بعد مُخَيَّرٍ حَمْرٍ ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين .

فاتق الله يا بن الخطاب وانظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيدَ قرب عليه

١٥ البعيد ، ومن خاف الموت خشي القوت . فقال المعلى : لربها يا أمة الله ! لقد

أبكيت أمير المؤمنين . فقال له عمر : اسكت . أتدري من هذه ويحك ؟ هذه

خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فَعَمَّرَ أُخْرَى أَنْ يسمع قولها

ويقتدى به .

لأبي عباد

وقال أبو عباد : ما جلس إلى رجل قط إلا حُيِّلَ إلى أنى سأجلس إليه .

للحسن

٢٠ وسئل الحسن عن التواضع فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدًا

إلا رأيت له الفضلَ عليك .

ابن بكر بن عباد
ورجل سأل
أن يعلّمه التواضع

وقال رجل لبكر بن عبد الله : علّني التواضع . فقال : إذا رأيت من هو

أكبر منك فقل : سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح ، فهو خير مني ؛ وإن رأيت

أصغر منك فقل : سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ ، فأنا شر منه .

وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

يا مَنْ تَشَرَّفَ بالدُّنْيَا وزَيَّنَها • ليس التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطَّيْنَ بالطَّيْنِ
إذا أَرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلِّهِمْ • فانْظُرْ إلى مَلِكٍ في زِيٍّ مِسْكِينٍ
ذاك الَّذِي عَظُمَتْ في النَّاسِ هِمَّتُهُ • وذاك يَصْلَحُ للدُّنْيَا وللدينِ

الرفق والآنفة

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أَوْقَى حَظَّهُ من الرفق فقد أَوْقَى حَظَّهُ من
خير الدُّنْيَا والآخرة .

قضى صلى الله
عليه وسلم

وقالت الحكماء : يُدْرِكُ بالرفق ما لا يُدْرِكُ بالعنف ، ألا ترى أن الماء على
لينة يقطع الحجر على شِدَّةِهِ .

الحكماء

وقال أنجع بن عمرو السلي لجعفر بن يحيى بن خالد :

شعر أنجع
إلى جعفر

ما كان يُدْرِكُ بالرجال ولا • بالمال ما أدركت بالرفق

وقال النابغة :

النابغة

الرفقُ يُمنِّئُ والآنفةُ سَمَادَةٌ • فانسَئِنْ في رِفْقٍ مُتَلَقٍ نَجَاحًا

وقالوا : المَجَلُّ بريد الزَّلَلِ .

أخذ القطامي التغلبي هذا المعنى فقال :

قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بضعَ حاجَتِهِ • وقد يَكُونُ مع المُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ

وقال عدى بن زيد :

لدى بن زيد

قد يُدْرِكُ المُبْطِلُ من حَظِّهِ • والحَيْنُ قد يَسْبِقُ جُهدَ الحَرِيسِ

استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقه

تقول العرب : أنضيتُ إليك بشقورى ، وأطلمتُك على عَجْرَى وبُجْرَى ،

للعرب

ولو كان في جسدِي بَرَصٌ ما كُتِمَتْهُ .

وقال الله تبارك وتعالى : (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ) .

الحكام.

وقالت الحكماء : لكل سرٍّ مُستودع .

وقالوا : مُكائمةُ الأذنين صريحُ العقوق .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

وَأَبْلُثْتُ عَمْرًا بِنُضْ مَا فِي جِرَانِي • وَجَزَعْتُهُ مِنْ مَرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ
وَلَا بُدَّ مِنْ شُكْوَى إِلَى ذِي حَنِيظَةٍ • إِذَا جَعَلْتُ أَمْرًا نَفْسٍ تَطْلُعُ

لحبيب

وقال حبيب :

شَكَوْتُ وَمَا الشُّكْوَى لِثَلَاثِ عَادَةٍ • وَلَكِنْ تَفِيضُ النَّفْسِ عِنْدَ امْتِلَائِهَا
وَأُنْشِدُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدَ الْبَصْرِيَّ (١) :

لأبي الحسن
البصري

لَعِبَ الْهَوَى بِمَعَالِمِي وَرُسُومِي • وَدَفِنْتُ حَيًّا تَحْتَ رَذَمٍ مُهْمُومِي
وَشَكَوْتُ هَمِي حِينَ ضَفَقْتُ وَمَنْ شَكَا • هَمًّا يَضِيقُ بِهِ فَتَبْرُ مَكْرُومِي

وقال آخر :

إِذَا لَمْ أَطِيقْ صَبْرًا رَجَعْتُ إِلَى الشُّكْوَى • وَنَادَيْتُ تَحْتَ اللَّيْلِ بِأَسَامِعِ النُّجُومِي
وَأَمْطَرْتُ صَخْرَ الْخَدِّ غَيْثًا مِنَ الْبُكََا • عَلَى كَيْدِ خَرَى لَرَّوِي فَارَّوِي

الاستدلال باللحظ على الضمير

قالت الحكماء : العين باب القلب ؛ فما كان في القلب ظهر في العين .

أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم

لثاق بن إبراهيم

ابن محمد ، قال :

إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي الْعَيْنِ إِذَا عَرَفْتُ ، وَأَعْرِفُ فِيهَا إِذَا أَنْكَرْتُ ، وَأَعْرِفُ فِيهَا
إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكِرْ ؛ أَمَا إِذَا عَرَفْتُ فَتَعْرِضُ ، وَأَمَا إِذَا أَنْكَرْتُ فَتَجْعَلُ
وَأَمَا إِذَا لَمْ تَعْرِفْ وَلَمْ تُنْكِرْ فَتَبْجُو .

أصريح النواني : وقال صريح النواني :

جعلنا علامات المودة بينا * مصابيد نحيط هُنَّ أخفى من الشعر
فأعرف فيها الوصل في لين طرفها * وأعرف فيها الحجر في النظر الشر

الوراق : وقال محمود الوراق :

إن العيون على القلوب شواهد * فبغضها لك بين وحبها
وإذا تلاحظت العيون تفاوضت * وتحدثت عما تُجنُّ قلوبها
ينطقن والأفواه صامتة فما * يخفى عليك برئها ومربها

لابن أبي حازم : وقال ابن أبي حازم :

تُخذ من العيش ما كفى * ومن الدهر ما صفا
عين من لا يحب وصالك * تُبدي لك الجفا

لابن مبدوبه : ومن قولنا في هذا المعنى :

صادق^(١) في الحب مكذوب * دمه للشوق مسكوب
كل ما تطوى جوائحه * فهو في العينين مكنوب

الحسن بن هاني : وقال الحسن بن هاني :

وإني لطير^(٢) العين بالعين زاجر * فقد كنت لا يخفى على ضمير

الاستدلال بالضمير على الضمير

لمكيم : كتب حكيم إلى حكيم : إذا أردت معرفة مالك عندى فضع يدك على صدرك ،
فكما تجدنى كذلك أجذك .

لبنهم : وقالوا : إياكم ومن بُغضه قلوبكم ، فإن القلوب تُجازى القلوب .

لدى الإصبع : وقال ذو الإصبع :

لا أسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميري لهم من ذاك يكفني

(١) في بعض الأصول : صاحب .

(٢) في بعض الأصول : لطف .

قال محمود الوراق :

لا تسألنَّ المرءَ عما عنده • واستمل ما في قلبه من قلبك
إن كان بُنْصًا كان عندك مثله • أو كان حُبًّا فاز منك بحبكها

الإصابة بالظن

٥ قيل لعمر بن العاص : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظن ، ومعركة
ما يكون بما قد كان .

وقال عمر بن الخطاب : من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لله دَر ابن عباس ، إن كان لينظر
إلى الغيب من سِتْرِ رقيق .

١٠ وقال الشاعر :

وقلنا يَفْجَأُ المَكْرُوهُ صاحبه • حتى يرى لوجه الشر أسبابا
ولما ركب الله العقل في الإنسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على
الباطن ويفهم الكثير بالقليل .

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا غافلا ما يرى إلا محاسنه • ولو درى ما رأى إلا مساويه
أنظر إلى باطن الدنيا فظايرها • كل الهائم يجرى طرفها فيه

تقديم القرابة وتفضيل المعارف

قال الشيباني : أول من أثر القرابة والأولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وقال : كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله . ولا يرى أفضل من عمر .

وقال لما آوى طريقه النبي صلى الله عليه وسلم : ما نفع الناس على أن وصل
رحمًا وقرب عَمًا .

وقيل لمعاوية بن أبي سفيان : إن آذَنكَ يُقَدِّمُ معارفه وأصدقائه في الإذن

على أشرف الناس ووجوههم . فقال وبلغكم ، إن المعرة لتنفخ في الكلب العقور
والجلل الصّول ؛ فكيف في رجلٍ حَسِبَ ذِي كَرَمٍ وَدِينٍ .

وقال رجل زياد : أصلح الله الأمير ، إن هذا يَدِيلُ بِمَكَانَةِ يَدَيْهَا مِنْكَ . قال :
نعم ، وأخبرك ما ينفعه من ذلك ، إن كان الحقُّ له عليك أخذتك به أخذًا شديدًا ،
وإن كان عليه قضيتُهُ عنه .

زياد ورجل يد
بمكانة منه

وقال الشاعر :

لبعض الشعراء

أقول لجارى إذ أتاني مُخَاصِمًا * يُدِلُّ بِحَقِّرٍ أَوْ يُدِلُّ بِبَاطِلٍ

إِذَا لَمْ يَصِلْ خَيْرِي وَأَنْتَ مُجَاوِرِي * إِلَيْكَ فَا شَرِّى إِلَيْكَ بِوَاصِلٍ

العنبي قال : وليَّ عبد الله بن خالد بن عبد الله القسرى قضاء البصرة ، فكان
يُحِبُّ أَهْلَ مَوَدَّتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَا أَنْكَ مُعَابِي . قال : وما خير
الصديق إذا لم يقطع لصديقه قطعة من دينه .

لمباداة القسرى
حين ولي قضاء
البصرة

وولي ابن سُبْرَمَةَ قضاء البصرة وهو كاره ، فأحسن السيرة ، فلما عَزَلَ اجتمع
إليه أهل خاصته ومودته ، فقال لهم : والله لقد وَلَّيت هذه الولايةَ وأنا كاره ،
وعَزَلت عنها وأنا كاره ، وما بي في ذلك إِلَّا عِجَافٌ أَنْ يَلِيَ هذه الوجوه مَنْ
لا يعرف حقها . ثم تَمَثَّلَ بقول الشاعر :

ابن سبرمة في
قضاء البصرة

فَا السَّجْنُ أَبْكَانِي وَلَا الْقَيْدُ شَفَنِي * وَلَا أَنِّي مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ أَجْزَعُ

بَلَى إِنَّ أَقْوَامًا أَخَافُ عَلَيْهِمْ * إِذَا مِتُّ أَنْ يُعْطُوا الَّذِي كَبْتُ أَمْنُ

وتقول العامة : حبة السلطان أَرُدُّ عليك من شهودك .

لعامة

وقال الشاعر :

إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ حَصْمًا * فَلَيْسَ بِقَابِلٍ مِنْكَ الشُّهُودَا

وقال زياد : أَحَبُّ الْوِلَايَةِ ثَلَاثٌ ، وَأَكْرَهَهَا ثَلَاثٌ : أَحَبُّهَا نَفْعُ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَضَرُّ الْأَعْدَاءِ ، وَاسْتِرْخَاصُ الْأَشْيَاءِ . وَأَكْرَهَهَا لِرُوعَةِ الْبَرِيدِ ، وَخَرَفُ الْعِزْلِ (١) ،
وشماتة العدو .

زياد

(١) في بعض النسخ : « وموت العزل » .

الحكام

ويقول الحكماء : أتحق من شاركك في النعمة شركاؤك في المصيبة .
أخذه الشاعر فقال :

وإن أولى الموالى أن تواسيه • عند الشُّرور لمن واساك في الحزن
إن الكرام إذا ما استهلوا ذكروا • من كان يأنفهم في المنزل الحزين

المجيب

وقال حبيب :

قَبِّحَ إِلَهُ عداوةَ لا تُتَّقَى • ومودةَ يُدَلَّى بها لا تنفعُ

فضل العشيرة

لعل

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عشيرة الرجل خيرُ للرجل من الرجل
للعشيرة ، إن كف عنهم يدا واحدة كفُّوا عنه أيدياً كثيرة ، مع مودتهم وحفاظهم
ونصرتهم ، إن الرجل لينضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه . وسأتلو عليكم في ذلك
آيات من كتاب الله تعالى ؛ قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط : ﴿ لو أن لي
بكم قوةً أو آوى إلى رُكنٍ شديد ﴾ يعني العشيرة ، ولم يكن للوط عشيرة ،
فوالذي نفسى بيده ما بُتَّ الله نبياً من بعده إلا في ثروة من قومه ، ومنعة من
عشيرته . ثم ذكر شعيباً إذ قال له قومه : ﴿ إنا لَنراكَ فِينا ضِعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَاكَ ﴾ وكان مكفوفاً ، والله ماهاجوا إلا عشيرته .

١٠

١٥

لبرزهم

وقبل لبرزهم : ما تقول في ابن العم ؟ قال : هو عدوك وعدوك عدوك .

الدِّين

لني على الله
عليه وسلم

من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدِّينُ يَنْتَهَصُ
ذا الحسب .

اسر

وقال عمر ألا إن الأسيف^(١) أسيف جبهة رضى من دينه وأمانته أن يقال
سبق الحجاج . ألا وإنه قد أذن معرضاً ، وأصبح قد رين به ، فن كان له عنده
(١) الأسيف : رجل من جبهة كان يشتري الرواحل فيغالي بها ثم يسرع فيسبق الحاج
فأنفلس ، فرفع أمره إلى عمر .

٢٠

شيء فليأتنا بالنداء نقسم ماله بين غرمائه ، ثم إياكم والدين ، فإن أوله ثم وآخره حزن .

وقال مولى قضاة :

لمول قضاة

فلو كنت مولى فيس عيلان لم تجد • على لإنسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاة كلها • فليست أبالي أن أدين وتغرما

وقال آخر :

لبعض الشعراء

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن • قضاء ولكن كان غرماً على غرم
وقال سفيان الثوري : الدين ثم بالليل وذل بالنهار ، فإذا أراد الله أن يذل عبدا جعله قلادة في عنقه .

ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا متقنعا ، فقال له : كان لقمان الحكيم يقول : القناع ريبة بالليل ذل بالنهار . فقال الرجل لقمان الحكيم لم يكن عليه دين .

لابن الخطاب

وقال المقنع الكندي :

للمقنع الكندي

يُعاتِبُنِي فِي الدِّينِ ^(١) قَوْمِي وَإِنَّمَا • تَدَايَنْتُ فِي أَشْيَاءَ تُكْسِبُهُمْ تَحْدا
إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحْوَهُهُمْ • وَإِنْ هَدَمُوا بَيْتِي بَنَيْتُ لَهُمْ نَحْدا

مجانبه الخائف والكذب

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الكذب مُجَانِبُ الْإِيمَانِ .
وقالت الحكماء : ليس للكذاب مروءة .

أنبي حلاقة
عليه وسلم

وقالوا : من عُرف بالكذب لم يُحِزْ صِدْقُهُ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يجوز الكذب في جدية ولا هزل .
وقال : لا يكون المؤمن كذابا .

وقال عبد الله بن عمر : حُلف الوعد ثلث النفاق .

(١) في بعض الأصول : يبيونني في الدين قومي .

وقال حبيب الطائي في عياش :

لجيب في عياش

يا أَكْثَرَ النَّاسِ وَغَدًا حَشْوُهُ كُحْلُفٌ * وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشْوُهُ كَذِبٌ

لابن عبد ربه

ومن قولنا في هذا المعنى :

صَحِيفَةٌ أَفْنَيْتَ لَيْتَ بِهَا وَعَسَى * عَنْوَانَهَا رَاحَةُ الرَّاجِي إِذَا يَلَسَا

وَعَدُّ لَهُ هَاجِسٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ بَرَمَتْ * أَحْشَاءُ صَدْرِي مِنْ طَوْلِ مَا اتَّحَسَّبَا

مَوَاعِدُ غَزَنِي مِنْهَا وَمِصْرُ سَنَّا * حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَبَسَا

فَصَادَمْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تُضْرِبُهُ * مِنْ لَوْمَةٍ بِعَصَا مُوسَى لِمَا أَنْبَسَا

كَأَنَّمَا صَيَّغَ مِنْ بُخْلٍ وَمِنْ كَذِبٍ * فَكَانَ ذَلِكَ لَهُ رُوحًا وَذَا نَفْسَا

التنزه عن استماع الخنا والقول به

اعلم أَنَّ السامعَ شريكَ القاتلِ في الشرِّ ؛ قال الله : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ .

عمرو بن عتبة
والقصير في رجل
يقسم رجلا

وقال العتيبي : حدثني أبي عن سعد القصير ^(١) قال : نظر إلى عمرو بن عتبة

ورجل يشتم رجلا بين يدي ؛ فقال لي : ويلك ! - وما قال لي : ويلك ! - قبلها -

تَرَاهُ سَمِعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَا كَمَا تَرَاهُ لِسَانَكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ؛ فَإِنَّ السامعَ شريك

القاتل ، وإِنَّه عَمِدٌ إِلَى شَرٍّ مَافِي وَعَاقِبُهُ فَأَفْرَعُهُ فِي وَعَائِكَ ؛ وَلَوْ رُدَّتْ كُلُّهُ جَاهِلٌ

فِي فِيهِ لَتَمَيِّدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِي قَاتِلُهَا .

باب في الغلو في الدين

لأن ذكر
في رجل مذهب

مُتَوَفَّى رَجُلٌ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ مِنْ أَسْرَفٍ عَلَى نَفْسِهِ فِي الذُّنُوبِ ، وَجَاوَزَ

فِي الطُّغْيَانِ ، فَتَجَافَى ^(٢) النَّاسَ عَنْ جِنَازَتِهِ ، فَخَضَرَهَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ وَصَلَّى عَلَيْهِ ،

فَلَمَّا أَدْبَى فِي قَبْرِهِ قَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَبَا فَلَانِ ، صَحِبْتَ عُمَرَكَ بِالتَّوْحِيدِ ، وَغَفَرْتَ

وَجَهَلْتَ اللَّهَ بِالسُّجُودِ ، فَإِنْ قَالُوا مَذَنْبٌ وَذُو خَطَايَا ؛ فَمِنْ مِثْلِنَا غَيْرُ مَذَنْبٍ

وَذِي خَطَايَا .

(١) في الكامل : « القصير » . وفي بعض الأصول ونهاية الأرب : سعيد القصير

(٢) في بعض الأصول : فتجافى .

لنبي صلى الله عليه وسلم

ومن حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرجل يُرَى أَشْعَثُ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟

٥

قال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّ الله يعنى بالحنيفية السمحة ولم يعنى بالزُهَّانية المبتدعة ، سُنَّتِي الصلاة والنوم ، والإِطَّار والصوم ؛ فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مِنِّي .

وقال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ ؛ فَإِنَّ الْمُنْتَبِتَ لَا أَرَحًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَتَى .

١٠

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خير هذه الأمة هنا النُّطْبُ الأوسط ، يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ النَّالِي وَيُلْحِقُ بِهِمُ التَّالِي .

لل

وقال مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ لابنه ، وكان قد تعبد : يَا بُنَيَّ ، إِنَّ الحسنة بين العيسيتين - يعنى الدين : بين الإفراط والتقصير - وخير الأمور أوسطها ، وشر السيِّر الحَقِيقَةُ .

لحرف
يتضح ابنه

١٥

وقال سلمان الفارسي : القصد والدوام ، وأنت الجوادُ السابق .

لبدان الفارسي

وقالوا : عَامِلُ البرِّ كَأَكْلِ الطَّعَامِ : إِنْ أَكَلَ مِنْهُ قَوْتًا عَصَمَهُ ، وَإِنْ أَسْرَفَ مِنْهُ أَهْلَمَهُ .

وفي بعض الحديث : أَنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام لقي رجلا ، فقال له : ما تصنع ؟ قال : أتعبد . قال : فمن يمود عليك ؟ قال : أخى . قال : هو أعبد منك .

عن عيسى عليه السلام

٢٠

ونظير هذا أَنَّ رُقَّةً مِنَ الأشْعَرِيِّينَ كَانُوا فِي سَفَرٍ ، فَلَمَّا قَدَمُوا قَالُوا : مَا رَأَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ بَعْدَكَ أَحْضَنَ مِنْ فُلَانٍ ؛ كَانَ يَصُومُ النَّهَارَ ، فَإِذَا نَزَلْنَا قَامَ

من الليل حتى ترتحل . قال : فمن كان يَمَهُنُّ له وَيَكْفُهُ ؟ قالوا : كلنا . قال :
كلكم أفضل منه .

وقيل للزهري : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : إنه ما هو بتشيعت اللّمة ، ولا
قَتْفِ الهيبة ، ولكنه ظَلْفُ النفس عن الشهوة .

٥ علي بن عاصم عن أبي إسحاق عن الشيباني قال : رأيت محمد بن الحنفية واقفاً
بعرفات على بَرْدَوْنٍ وعليه مُطْرَفُ حَزْ أَصْفَر .

السُّدِّي عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس كان يرتدي
رداءً بألف .

١٠ إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : ردائه وعمامة .

وقال معمر : رأيت قيصر أيوب السخنياني يكاد يمسُّ الأرض ، فسأله
عن ذلك ، فقال : إن الشجرة كانت فيما مضى في تذييل القميص ولانها اليوم
في تشميره .

١٥ أبو حاتم عن الأصمعي : أن ابن عون اشترى بُرُتْسًا ، فز على مُعَاذَةَ
العدوية ، فقالت : مِثْلَكَ يَلْبَسُ هذا ؟ فذكرت ذلك لابن سيرين ، فقال : أفلا
أخبرتني أن تيميا الدائري اشترى حُلَّةً بألف يُصَلِّي فيها ؟

قدم حماد بن سلة البصرة ، فجاءه فرقة السَّبَخِيَّ وعليه ثياب صوف ، فقال له
حماد : دُعُ عنك نصرانيتك هذه ! فقال له : لقد رأيتنا ننتظر إبراهيم فيخرج إلينا
وعليه مُعَصْفَرَةٌ ، ونحن نرى أن الهيئة قد حُلَّتْ له .

٢٠ أبو الحسن المدائني قال : دخل محمد بن واسع على قُتَيْبَةَ بن مسلم والي خراسان
في مِدْرَعَةٍ صوف ، فقال له : ما يَدْعُوكَ إلى لباس هذه ؟ فسكت ؛ فقال له قتيبة :
أَكَلَمَكُمُ فلا تَجِبْنِي ؛ قال : أكره أن أقول زُهداً فأزكي نفسي ، أو أقول فقراً
فأشكو ربي ؛ فما جوابك إلا السكوت .

قال ابن السكيت لأصحاب الصوف : والله إن كان لباسكم وفقاً لسرازمك لقد

لاين السكيت

أحببت أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لقد هلكتم .

القاسم وسالم وكان القاسم بن محمد يلبس الخنز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة ؛ فلا يُنكر هذا على هذا ولا ذا على هذا .

ابن المنكدر ودخل رجل على محمد بن المنكدر فوجده قاعدا على حشايا مضاعفة وجارية

تغلفه بالنالفة ؛ فقال : رحمك الله ! جئت أسألك عن شيء وجبتك فيه - يريد التزئين - قال : على هذا أذكت الناس .

الأعشى وإمام وصلى الأعشى في مسجد قوم فأطال بهم الإمام ، فلما فرغ قال له : يا هذا ،

لا تطيل صلاتك ؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف . قال الإمام : وإنها لكيرة إلا على الخاشعين ؛ فقال له الأعشى : أنا رسول الخاشعين إليك ، إنهم لا يحتاجون إلى هذا منك .

الربيع بن زياد العتي قال : أصابت الربيع بن زياد نصابة في جبينه ، فكانت تنقض عليه كل عام . فأناه علي بن أبي طالب عائدا ، فقال : كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال :

أجيد لو كان لا يذهب ما بي إلا بذهاب بصرى لتميت ذهابه . قال : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لي الدنيا فديته بها . قال : لا جرم ، يُعطيك الله على قدر الدنيا ، لو كانت لك لأنفقتها في سبيل الله . إن الله يُعطى على قدر الألم والمصيبة ، وعنده بعدُ تضييف كثير .

قال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، إنى لأشكو إليك عاصم بن زياد . قال :

وماله ؟ قال : لبس البقاء ، وترك الملا ، وغم أهله ، وأحزن ولده . قال : على عاصم . فلما أتاه ، عيس في وجهه ، وقال : وبك يا عاصم ! أتى الله أباح لك اللذات وهو يكره منك أخذك منها ؟ أنت أهون على الله من ذلك . أو ما سمعته يقول :

(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) حتى قال : (يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْؤَلُوهُ وَالْمَرْجَانُ) . وتأله لا يتذال نعم الله بالفعال أحب إلى من ابتذالها بالملال ، وقد سمعته يقول : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) وقوله : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) .

قال عاصم : فعَلَّامٌ اقْصَرَتْ أَنْتِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لُبِّينَ الْحَشِينِ
وَأَكْلِي الْحَشَفِ ؟

قال : إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَى أُمَّةِ الْعَدَلِ أَنْ يَقْتَدِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعَوَامِ ، لِنَلَا
يَسْتَنْعَ بِالْفَقِيرِ قَهْرَهُ .

قال : فَمَا خَرَجَ حَتَّى لَبَسَ الْعُلَاءَ وَتَرَكَ الْعَبَاءَ . ٥

محمد بن حاطب الجهمي قال : حَدَّثَنِي مِنْ سَمْعِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، وَكُنْتُ سَمِعْتُهُ
أَنَا وَأَبِي جَمِيعًا ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرِو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ ، قَالَ : أُنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو
ابْنِ الْعَاصِ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ تَلَطِّفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ :
كَيْفَ أَنْتِ يَا أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : كَيْفَ أَكُونُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَجُلٌ قَدْ تَحَلَّى
مِنَ الدُّنْيَا قَالَ لَهَا . كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : حَزَمَ النَّوْمُ فَلَا يَنَامُ ، وَلَا يَغْطِرُ ،
وَلَا يَطْعُمُ اللَّحْمَ ، وَلَا يُؤَدِّي إِلَى أَهْلِهِ حَقَّهُمْ . قَالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَتْ : خَرَجَ
وَيُوشِكُ أَنْ يَرْجِعَ السَّاعَةَ . قَالَ : فَإِذَا رَجَعَ فَاجْبِسِيهِ عَلَى . فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الرَّجْعَةِ ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَا تَنَامُ . ١٥
قَالَ : وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تَنَامُ وَلَا تَغْطِرُ . قَالَ : أَرَدْتُ
بِذَلِكَ الْإِمْنَ مِنَ الْفَرَجِ الْآكِبِ . قَالَ : وَبَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تَطْعُمُ اللَّحْمَ . قَالَ : أَرَدْتُ
بِذَلِكَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : وَبَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تُؤَدِّي إِلَى أَهْلِكَ حَقَّهُمْ . قَالَ :
أَرَدْتُ بِذَلِكَ نِسَاءَهُنَّ خَيْرٌ مِنْهُنَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ عَمْرٍو ، إِنَّ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً ؛ فَرَسُولُ اللَّهِ يَصُومُ وَيُغْطِرُ ،
وَيَأْكُلُ اللَّحْمَ ، وَيُؤَدِّي إِلَى أَهْلِهِ حَقَّ قَتْلِهِمْ . يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ
حَقًّا ، وَإِنَّ لِبَدْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصُومَ ؟ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَأَفْطِرُ يَوْمًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَصُومُ أَرْبَعَةَ
وَأَفْطِرُ يَوْمًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَصُومُ ثَلَاثَةً وَأَفْطِرُ يَوْمًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ :

التي صلى الله عليه
وسلم وعبد الله
ابن عمرو وقد
شكته زوجته

فيومين وأظفر يوما ؟ قال : لا . قال : فيوما ؟

- قال : ذلك صيام أخى داود . يا عبد الله بن عمرو ؛ كيف بك إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مَرَّجَتْ عهدُهم وموائيقهم فكانوا هكذا ؟ وغالف بين أصابعه . قال : فما تأمرنى به يا رسول الله ؟ قال : تأخذ ما تعرفُ وتَدَع ما تنكر ، وتعمل بخافة نفسك ، وتدع الناس وعوام أمرهم . قال : ثم أخذ بيده وجعل يمشى به حتى وضع يده في يد أبيه ، وقال له : أطع أباك .

- فلما كان يوم صَفَيْن قال له أبوه عمرو بن العاص : يا عبد الله ، اخرج فقاتل . فقال : يا أبنا ، أتأمرنى أن أخرج فأقاتل وقد سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعتُ وعهدَ إلى ما عهد ؟ قال : أنشدك الله ، ألم يكن آخر ما قال لك أن أأخذ بيدك فوضعتها في يدي وقال : أطع أباك ؟ قال : ١٠ اللهم بلى . قال : فإني أعزم عليك فلنخرج فقاتل ، قال : فخرج فقاتل متقلدا بسيفين .

القول في القدر

أحمد بن الكدر

- أتى قوم من أهل القدر محمد بن المنكدر ، فقالوا له : أنت الذى تقول إن الله يعذب الخلق على ما قَدَرَ عليهم ؟ فصرف وجهه عنهم ولم يُجِهم ، فقالوا له : أصلحك الله ! إن كنت لا تُجيبنا فلا نُخلينا من بركة دعائك ، فقال : اللهم لا تُزِدنا بعقوبتك ، ولا تَمَكُرْ بنا في حيلتك ، ولا تواخذنا بتقصيرنا عن رضاك ، قلل أعمالنا ثقيل ، وعظيم خطايانا تنفیر ، أنت الله الذى لم يكن شيء قبلك ، ولا يكون شيء بعدك ، ولئى الأشياء ، ترفع بالهدى من تشاء ، لا من أحسن امتثلتني عن عزك ، ولا من أساء غلبك ، ولا استبدتني عن حكومتك . ٢٠ وفدرك ، لا ملجأ إلا إليك ؛ فكيف لنا بالمغفرة وليست إلا في يديك ؟ وكيف لنا بالرحمة وليست إلا عندك ؟ حفيظ لا ينسى ، وقديم لا يبلى ، حتى لا يموت ؛ بك عَرَفناك ، وبك اهتدينا إليك ، ولولا أنت لم نَدْرِ ما أنت ، سبحانه وتعالى .

فقال القوم : قد والله أخبر وما قصر .

وقال : ذكر القدرُ في مجلس الحسن البصري ، فقال : إن الله خلق الخلق
للابتلاء ، لم يُطيعوه ياكراه ، ولم يعصوه بغلبة ، لم يهملهم من الملك ، وهو
القادر على ما أقدرهم عليه ، والمالك لما ملكهم إياه ، فإن يأتمر العبادُ بطاعة الله
لم يكن مشطاً لهم . بل يزيدهم هُدى إلى هداهم ، وتقوى إلى تقوam ؛ وإن يأتمروا
بمعصية الله كان الله قادراً على صرفهم إن شاء ، وإن خَلَّ بينهم وبين المعصية
فإن بعد إعدار وإنذار .

مروان بن موسى قال : حدثنا أبو خزيمة أن غيلان قَدِمَ بكلمة قد صاغها
حتى وقف على ربيعة ، فقال له : أنت الذي تزعم أن الله أحب أن يُعصى ؟
فقال له ربيعة : أنت الذي تزعم أن الله يُعصى كَرُها ؟ فكأنما ألْقَمَهُ حَجَرا .

قيل لطاووس : هذا فتادة يحب أن يأتيك . فقال : إن جاء لأقومن . قيل له :
إله قبيح . قال : إبليس أفقه منه . قال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ .

وقيل للشعبي : رأيت فتادة ؟ قال : نعم . رأيت كُناسة بين حشّين .
القدر هو العلم والكتاب والكلمة والإذن والمشية .

قال الأصمعي : سألت أعرابيا فقلت له : ما فضل بنى فلان على بنى فلان ؟
قال : الكتاب ، يعنى القدر .

وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . وقال : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ
بِكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ . وقال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ . يعنى القدر ،
وقال : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ .

قال الخشني أبو عبد الله محمد بن عبد السلام : شاعران من لحول الجاهلية
ذهب أحدهما في بيته مذهب العدلية والآخر ذهب مذهب الجبرية ، فالذي
ذهب مذهب العدلية فأعشى بكر حيث يقول :

استأثر اللهُ بالوفاء وبالعدلِ وولّى الملامّة الرجلَا

والذي ذهب منه الجبرية فليد بن ربيعة حيث يقول :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ قَوْلٌ ۝ وَيَأْذِنُ اللَّهُ رَيْثُ وَتَجَلُّ

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى ۝ نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

لابن معاوية وقال إياس بن معاوية : كُتِبَ الْفِرْقُ كُلُّهَا يَعْضُ عَقْلِي ، وَكُتِبَ الْقَدَرِيّ

بِعَقْلِي كُلُّهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : دُخُولُكَ فِيهَا لَيْسَ لَكَ ظَلَمُ مِنْكَ (١) ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ :

فَإِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ .

ومن قول الله عز وجل في القدر : ﴿ قُلْ فَتَنَ اللَّهُ الْبَالِغَةَ فَلَوْ شَاءَ

لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . وقال : ﴿ يَمْشُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُونَا عَلَى

إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

ابن شهاب قال : أنزل الله على نبيه آية في القدرية : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِنْسَانِ

وَقَعُوا لَوْ أَرَادُوا مَا قُلُوا ۝ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ . وقال : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي يُوسُفَ لَبَدَرْنَا الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ

إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ .

وقال محمد بن سيرين : ما يُنْكَرُ الْقَدَرِيَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عِلْمَ مَنْ خَلَقَهُ عِلْمًا

فَكُتِبَ عَلَيْهِمْ .

١٥

وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما تقول في القدر ؟ قال :

ويحك ! أخبرني عن رحمة الله ، أكانت قبل طاعة العباد ؟ قال : نعم قال علي :

أَسْلَمَ صَاحِبُكُمْ وَقَدْ كَانَ كَافِرًا . فقال الرجل له : أليس بالمشية الأولى التي أنشأني

بها أقوم وأقعد ، وأقبض وأبسط ؟ قال له علي : إنك بعد في المشية أما إنني

٢٠

أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ ، فَإِنْ قُلْتَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ : لَا ، كَفَرْتَ ؛ وَإِنْ قُلْتَ : نَعَمْ ،

فَأَنْتَ أَنْتَ . فَمَنْ الْقَوْمُ أَعْتَقَهُمْ لِيَسْمَعُوا مَا يَقُولُ ؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَخْبِرْنِي عَنْكَ ،

أَخْلَقَكَ اللَّهُ كَمَا شِئْتَ أَوْ كَمَا شَاءَ ؟ قَالَ : بَلِ كَمَا شَاءَ . قَالَ : فَخَلَقَكَ اللَّهُ كَمَا شِئْتَ

أو لما شاء ؟ قال : بل لما شاء . قال فيَوْمَ القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء ؟
قال : بل بما شاء ، قال : قم فلا مشيئة لك .

- قال هشام بن محمد السائب الكلبي : كان هشام بن عبد الملك قد أنكر على
غِيلان التكلم في القدر ، وتقدم إليه في ذلك أشدّ التقدم ، وقال له في بعض
ما توعّده به من الكلام : ما أحسبك تنتهي حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز
إذ احتجّ عليك في المشيئة بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَاوُنُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾
فوعت أنك لم تُناقِ لها بالا . فقال عمر : اللهم إن كان كاذبا فاقطع يده ورجله
ولسانه ، واضرب عنقه . فأنته أوّل لك ، ودع عنك ماضره إليك أقرب من
نفعه . فقال له غِيلان ، لحينه وشيقوته : أبعت إلىّ يا أمير المؤمنين من يُكلمني
ويصنّج عليّ ، فإن أخذته حُجتي أمسكت عني فلا سبيل لك إلىّ ، وإن أخذتني
حجته فسألتك بالذي أكرمك بالخلافة إلا تَقَدَّتْ فيّ مادعا به عمر عليّ . فعاظ
قوله هشاماً . فبعث إلى الأوزاعي حكى له ما قال لغيلان وما ردّ غيلان عليه :
فالتفت إليه الأوزاعي فقال له : أسألك عن خمس أو ثلاث ؟ فقال غِيلان :
عن ثلاث . قال الأوزاعي : هل علمت أن الله أعان على ما حرم ؟ قال غيلان :
ما علمت وعظمت عنده . قال : فهل علمت أن الله قضى على ما نهى ؟ قال غيلان : هذه
أعظم ، مالي بهذا من علم . قال : فهل علمت أن الله حال دون ما أمر ؟ قال
غيلان : حال دون ما أمر ؟ ما علمت . قال الأوزاعي : هذا مراتب ^(١) من أهل
الزَّيغ . فأمر هشام بقطع يده ورجله ، ثم ألق به في الكناسة . فاجترّسه الناس
يمجبون من عظيم ما أنزل الله به من نِقْمته . ثم أقبل رجلٌ كان كثيراً ما يُنكر
عليه التكلم في القدر ، فتخلل الناس حتى وصل إليه ، فقال : يا غيلان ، اذكر
دُعاء عمر . فقال غيلان : أطلع إذا هشام ، إن كان الذي نزل بي بدعاء عمر
أو بقضاء سابق فإنه لا أخرج على هشام فيما أمر به فبَلَنْتُ كلُّته هشاماً ، فأمر
بقطع لسانه وضرب عنقه ، لتمام دعوة عمر . ثم التفت هشام إلى الأوزاعي

وقال له قد قلت يا أبا عمرو ففسّر ، فقال : نعم ؛ قضى على ما نهي عنه : نهي آدم عن أكل الشجرة ، وقضى عليه بأكلها . وحال دون ما أمر ، أمر إبليس بالسجود لآدم وحال بينه وبين ذلك . وأعان على ما حرم ، حرم الميتة وأعان المضطر على أكلها .

- ابن أبي مروة
وقد أضافه
- الرياشي عن سعيد بن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبي عروبة قال :
لما سألت قتادة عن القدر فقال : رأى العرب تريد أم رأى العجم ؟ فقلت :
بل رأى العرب . قال : فإنه لم يكن أحد من العرب إلا وهو يُثبت القدر ، وأنشد :
ما كان قطيبي هو لك تنويعه . إلا كتاباً قد خلا مسطوراً
- لأعرابي
- وقال أعرابي : الناظر في قدر الله كالناظر في عين الشمس ، يعرف ضوءها ولا يحتم على حدودها .

١٠

لكعب بن زهير

لو كنت أعجب من شيء لأعجبتني . سعى الفتي وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتي للأمور ليس يدركها . فالنفس واحدة والهم مُتَشِيرُ
والمرء ماعاش ممدود له أدل . لانتهي العين حتى ينتهي الأمر

١٥

لبش المعراء

والجِدُّ أَنهَضَ بالفتى من عقله * فانهَضَ بِجِدِّ في الحوادثِ أو ذَرِ
ما أقرب الأشياء حين يسوقها . قدر وأبعدها إذا لم تُقدر

عبد الرحمن القصير^(١) قال حدثنا يونس بن بلال عن يزيد بن أبي حبيب
أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أيقدر الله على الشر ثم
يعذّبني عليه ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم .

٢٠

وحدثني^(٢) أبو عبد الرحمن المقرئ ، يرفعه إلى أبي هريرة ، عن عمر

(١) في بعض الاصول : عبد الرحمن بن القصير .

(٢) في بعض الاصول : قال وحدثني .

ابن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجالسوا أهل القدر ولا تُفاحوهم .

ومن حديث عبد الله بن مسعود ، قال : ما كان كفرٌ بعد بُرْوقِ قط إلا كان لابن مسعود مفتاحه التأكيد بالقدر .

- ٥ ثمامة بن أشرس قال : دخل أبو العتاهية على المأمون لما قدم العراق ، فأمر له بـمال وجعل يُجَادِهُ ، فقال له يوما : ما في الناس أَجْهَلُ من القَدْرِ ؟ فقال له المأمون : أنت بصناعتك أَبْصَر ، فلا تتخطاها إلى غيرها . قال له : يا أمير المؤمنين ، أجمع بيني وبين من شئت منهم . فأرسل إلى ، فدخلت عليه ، فقال لي : هذا يزعم أنك وأصحابك لا حجةَ عندكم . قلت : فليسال عما بدا له .
- ١٠ لحرك أبو العتاهية يده وقال : من حرك هذه ؟ قلت : مَنْ ناك أمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، شئتني . قلت له : تَقَضَّتْ أَصْلُكَ يا ماض ^(١) بَطَرُ أمه ؟ فضحك المأمون . فقلت له : يا جاهل ! تحرك يدك ثم تقول : مَنْ حركها ؟ فإن كان الله حركها فلم أشتكك ؛ وإن كنت أنت المحرك لها فهو قول . قال له المأمون : عندك زيادة في المسألة .
- ١٥ قال الكندي في الفن التاسع من التوحيد : اعلم أن العالم كله مَسْئُوسٌ بالقضاء والقدر . أعني بالقضاء - ما قُيِّمَ لكل معلول ^(٢) مما هو أصلح وأحكم وأتقن في بنية الكل ، لأنه جل ثناؤه خلق وأبدع مضطرا ومختارا بتمام القدرة ، فلما كان المختار غير تام ^(٣) الحكمة ؛ لأن تمام الحكمة لمبدع الكل ، كان لو أطلق واختياره لاختار كبيرا مما فيه فساد الكل ، فقدر جل ثناؤه بنية الكل تقديراً حكماً ، فصير بعضه سوانح لبعض ، يختار يارادته ومشيتته غير مقهور بما هو أصلح وأحكم في بنية الكل ؛ فتقدير هذه السوانح هو القدر . فبالقضاء والقدر سلس جل ثناؤه جميع

(١) في بعض الأصول : يا ماض ،

(٢) في بعض الأصول : مفعول .

(٣) في بعض الأصول : عن تمام .

أبو العتاهية
وابن أشرس
يدي المأمون

الكندي

ما أبدع ، فهذه السياسة المحكمة المتقنة التي لا يدخلها زلل ولا نقص . فأتضح أن كل معلول فيما قسم له ربه من الأحوال لا خارج عنها ، وأن بعض ذلك بأصطرار وبعبثه بأختيار ، وأن المختار عن سوانح قدره اختار ، وإيرادته لا بالكثرة منه فقل .

- لأعرابي سئل أعرابي عن القدر فقال : ذاك علم اختصت فيه الظنون ، وكثر فيه المختلفون ، والواجب علينا أن نرد ما أشكل من حكمه إلى ماسبق من علمه .

بحرس وندري واصطحب بحرسى وقدرى في سفر ، فقال القدرى للجوسى : مالك لا تسلم قال : إن أذن الله في ذلك كان . قال : إن الله قد أذن ، إلا أن الشيطان لا يدعك . قال : فأنا مع أقروهما .

- هشام وندري وقال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله في فضله وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ثم يمدبنا عليه ؟ قال هشام : قد والله فعل ، ولكن لا نستطيع أن نتكلم .

- عمر بن عبد وابن مسكين اجتمع عمرو بن عبيد مع الحارث بن مسكين بمنى ، فقال له : إن مثل ومثل لا يجتمعان في مثل هذا الموضع فيفترقان من غير فائدة ؛ فإن شئت فقل ، وإن شئت فأنا أقول . قال له : قل . قال : هل تعلم أحداً أقبل للعذر من الله عز وجل ؟ قال : لا . قال : فهل تعلم عُذراً آتياً من عُذر من قال « لا أقدر » فيما تعلم أنت أنه لا يقدر عليه ؟ قال : فلم لا يقبل . من لا أقبل للعذر منه ، عُذر من لا آتياً من عُذره ؟ فانقطع الحارث بن مسكين فلم يرد شيئاً .

٢٠ ردّ المأمون على الملاحدين وأهل الأهواء

قال المأمون للثنوى الذى تكلم عنده : أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما : هل تدم مسمى قط على إسمائه ؟ قال : بلى . قال : فالتدم على الإسماء . إسماء

بين المأمون
وننوى

(١) في بعض الأصول : فلم تقبل قول من لا أقبل للعذر منه عُذراً ولا آتياً من عُذره .

أَمْ إِحْسَانٌ ؟ قَالَ : بَلْ إِحْسَانٌ . قَالَ : فَأَلَتِي يُدِمُّ هُوَ الَّذِي أَسَاءُ أَمْ هُوَ غَيْرُهُ ؟
قَالَ : بَلْ هُوَ الَّذِي أَسَاءَ . قَالَ : فَأَرَى صَاحِبَ الْخَيْرِ هُوَ صَاحِبُ الشَّرِّ قَالَ :
فَأِنِّي أَقُولُ : الَّذِي يُدِمُّ غَيْرُ الَّذِي أَسَاءَ . قَالَ : فَتُدِمُّ عَلَى شَيْءٍ كَانَ مِنْهُ أَمْ عَلَى شَيْءٍ
كَانَ مِنْ غَيْرِهِ . فَسَكَتَ .

٥ . وَقَالَ لَهُ أَيْضًا : أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ بِأَتَيْنِ ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدُهُمَا أَنْ يَخْلُقَ
خَلْقًا لَا يَسْتَعِينُ فِيهِ بِصَاحِبِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا تَصْنَعُ بِأَتَيْنِ ؟ وَاحِدٌ يَخْلُقُ
كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَ لَكَ وَأَصَحُّ .

بينه وبين
صرتدخراسان

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْمُرْتَدِّ الْخُرَاسَانِي الَّذِي أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ وَحَلَّهُ مَعَهُ إِلَى الْعِرَاقِ
فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ ، أَخْبِرْنِي : مَا الَّذِي أَوْحَشَكَ مِمَّا كُنْتَ بِهِ إِنْسَانًا مِنْ دِينِنَا ؟
١٠ فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَسْتَحْيِكَ بِحَقِّ أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَكَ بِحَقِّ ، وَقَدْ صَرْتُ مُسْلِمًا
بَعْدَ أَنْ كُنْتُ كَافِرًا ، ثُمَّ عُدْتُ كَافِرًا بَعْدَ أَنْ صَرْتُ مُسْلِمًا . فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا
دَوَاءً لِهَذَانِكَ تَدَاوَيْتَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَلَّكَ السَّفَاهُ وَبَا عَلَيْكَ الدَّوَاءُ ، كُنْتُ قَدْ أَبْلَيْتُ
الْبُذْرَ فِي نَفْسِكَ وَلَمْ تُقْصِرْ فِي الْاجْتِهَادِ لَهَا ، فَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ فِي الشَّرِيعَةِ ،
وَتَرْجِعُ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْإِسْبَاطِ وَالْيَقِينِ وَلَمْ تُفَرِّطْ فِي الدَّخُولِ مِنْ بَابِ
١٥ الْحَزْمِ . قَالَ الْمُرْتَدُّ : أَوْحَشَنِي مِنْكُمْ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي دِينِكُمْ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
لَنَا اِخْتِلَافَانِ : أَحَدُهُمَا كَاِخْتِلَافُنَا فِي الْأَذَانِ ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَازَةِ ، وَصَلَاةِ الْعَبِيدِ
وَالْقَشْدِ ، وَالتَّسْلِيمِ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَوُجُوهَ الْقِرَاءَاتِ ، وَالاِخْتِلَافِ وَجُوهَ الْفُتْيَا ،
وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ ؛ وَهَذَا لَيْسَ بِاِخْتِلَافٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْيِيرٌ وَتَوْسِيعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنْ
السُّنَّةِ ؛ فَمَنْ أَذْنٌ مَثْنًى وَأَقَامَ مَثْنًى لَمْ يَأْتُمْ ، وَمَنْ رَجَعَ لَمْ يَأْتُمْ . وَالاِخْتِلَافُ الْآخَرُ
٢٠ كَنَحْوِ اِخْتِلَافِنَا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّنَا ، مَعَ
اجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ ، وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ الْحَبْرِ ؛ فَإِنْ كَانَ لِنَا أَوْحَشَكَ هَذَا
فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا
عَلَى تَنْزِيلِهِ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اِخْتِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُنْزَلَ كِتَابُهُ مُفْسَّرًا ، وَجَعَلَ كَلَامَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ لَا يُخْتَلَفُ فِي

- تأويله لفعل ؛ ولكننا لم نجد شيئاً من أمور الدين والدنيا وقع إلينا على الكفاية إلا مع طول البحث والتحصيل والنظر ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى واليمن ، وذهب التفاضل والتباين ، ولما عُرف الحازمُ من العاجز ، ولا الجاهلُ من العالم ، وليس على هذا بُيُت الدنيا . قال المرتد : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن المسيح عبدُ الله ، وأن محمداً صادق ، وأنت أمير المؤمنين .

بينه وبين علي
ابن موسى

- وقال المأمون لعلّ بن موسى الرضا : بم تدعون هذا الأمر . قال : بقرابة عليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة منه . فقال له المأمون : إن لم يكن ها هنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته ، من كان أقرب إليه من عليّ أو من في مثل قُعدده ^(١) ، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين ، وليس لعلّ في هذا الأمر حقٌّ وهما حيّان ، فإذا كان الأمر كذلك فإن علياً قد ابتزهما حقهما وهما صحيحان ، واستولى على ما لا يجبُ له .
- فما أجابه عليّ بن موسى بشئ .

- كتب واصل بن عطاء الغزال إلى عمرو بن عبيد :
أما بعد ، فإن استلاب نعمة العبد بيد الله ، وتعجيل المعاقبة بيد الله ، ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجاورة للجدال الذي يحول بين المرء وقلبه ، وقد عرفت ما كان يُطمَنُ به عليك ويُنسب إليك ونحن بين ظهرائي الحسن بن أبي الحسن رحمه الله ، لاشتِشاع قُبُح مذهبك ، نحن ومن قد عرفته من جميع أصحابنا ، ولَمّة إخواننا الحاملين الواعين عن الحسن ؛ فته تلکم ^(٢) لَمّة وأوعياء ^(٣) وحفظان ، ما أُمّث الطبايع ، وأزّزن المجالس ، وأبين الزُهد وأصدق الآلسنة ، اقتَدُوا والله بمن مضى شهابهم ، وأخذوا بهديهم ؟ عهدى والله بالحسن وعهدهم أميس في مسجد

من واصل
إلى ابن عبيد

(١) في بعض الأصول : « قُدره » والقعد : قرب النسب .

(٢) في بعض الأصول : « فباقة بل كم » .

(٣) في بعض الأصول : « وأعيان » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرق الأجنحة ، وآخرُ حديث حدثنا إذ ذكر الموت وهولُ المَطْلَع ، فأَسِف على نفسه واعترف بذنبه ، ثم التفت والله يَمْنَةً ويسرة معتبرا باكيا ؛ فكانني أنظر إليه يمسحُ رُفْعُ العرقِ عن جبينه ، ثم قال : اللهم إني قد شددتُ وضينَ راحتي ، وأخذتُ في أهيةِ سفرى إلى محل القبر وفرض العقر ، فلا تَوَاحِظْني بما يَلُصُّبُون إلىَّ من بَعْدِي . اللهم إني قد بَلَّغْتُ ما بَلَّغْتُ عن رسولك ، وفُتِرْتُ من محكمِ تأويلك ^(١) ما قد صدَّته حديثُ نبيك ؛ ألا وإني خائفٌ عمرا ! ألا وإني خائفٌ عمرا ! شكَايةُ لك إلى ربِّه جهرا ، وأنت عن يمين أبي حذيفة أقربنا إليه ؛ وقد بَلَّغْتُ كبيرُ ما حَمَلْتُه نَفْسُكَ ، وَقَلَّدْتُه عُنُقُكَ ، من تفسير التزيل ، وعِبَارَةُ التَّأْوِيل ؛ ثم نظرتُ في كتبك ، وما أدتُه ^(٢) إلينا روايتك من تنقيص المعاني ، وتفريق المبانى ، فدلَّتْ شكَايةُ الحسن عليك بالتحقيق بظهور ما ابتدعت ، وعظيْم ما تَحَمَّلْتُ ؛ فلا يفررك أَى أخى تدبِّرُ مَنْ حَوْلَكَ ، وتُعْظِمُهُمْ حَاوْلَكَ ، وخَفَضَهُمْ أَعْيَنَهُمْ عنك إجلالاً لك ، غدا واقه تمضى الخيلاء والتناحر ، وتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بما تسعى . ولم يكن كتابي إليك ، وتَجَلَّيَ عليك ، إلا لِيُذَكِّرَكَ بحديث الحسن رحمه الله ، وهو آخِرُ حديث حدثناه . فأذ المسموع وأنطق بالمفروض ، ودع تأويلك الأحاديث على غير وجهها ، وكن من الله وِجْلا . فكانُ قد .

ما جاء في ذم الجاهل والجهل

- قال النبي صلى الله عليه وسلم : الجاهل يظلم من غالطه ، وَيَعْتَدِي على من هو دونه ، ويتطاول على مَنْ هو فوقه ، ويتكلم بنير تميز ، وإن رأى كريمة أعرض عنها ، وإن عَرَضَتْ فَتَنَةٌ أَرَدَتْهُ وَهَوَّ بِهَا .
- وقال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العُجْب ، وكثرة المنطق ، وأن لا يرداء .
- ينهى عن شيء . ويأتيه .

(١) في بعض الأصول : « كتابك » .

(٢) في بعض الأصول : « أهدت » .

لأردشير : وقال أردشير : حسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل الناس تنفر منه وتغضب من أن تُنسب إليه .

لبعضهم : وكان يقال : لا تترك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف ؛ فإن أحق الناس بحرق النار أقربهم منها .

وقيل : خصلتان تُقرَّبانك من الآخر : كثرة الالتفات ، وسُرعة الجواب .
وقيل : لا تصطب الجاهل ، فإنه يريد أن يفعلك فيضرك .

لبعض الثمراء : وبعضهم :

لكلِّ داء دواء يُستطبُّ به . إلا الحماقة أعيت من يُداويها

ولأبي العاتية :

١٠ أَجْزَلَ الْآخِثِ أَنْ^(١) تَصُجْهُ * إِنَّمَا الْآخِثُ كَالثَّوْبِ الْخَلْقِ
كَلِمَا رَفَعْتَهُ مِنْ جَانِبٍ * زَعَرَتْهُ الرِّيحُ يَوْمًا فَانْخَرَقَ
أَوْ كَصَدْعٍ فِي زُجَاجٍ فَاجْثِرْ * هَلْ تَرَى صَدْعَ زُجَاجٍ يَلْتَصِقُ
فَإِذَا عَاتَيْتَهُ كَيْ يَرْغَى * زَادَ شَرًّا وَتَمَادَى فِي الْحَقِّ

أصناف الإخوان

١٥ قال العتابي : الإخوان ثلاثة أصناف : فرع بائن من أصله ، وأصل متصل بفرعه ، وقرع ليس له أصل . فأما الفرع البائن من أصله ، فأخاه بُيٌّ على مودة ثم انقطعت لحفظ على ذمام الصُّبْحَةِ . وأما الأصل المتصل بفرعه ، فأخاه أصله الكرم وأغصانه التقوى . وأما الفرع الذي لا أصل له ، فالنَمُوَّةُ الظاهر الذي ليس له باطن .

٢٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الصاحبُ وَفْعَةٌ في قبضك فانظر
إليه ملأه عليه وسلم
يَمَّ تَرْفَعُهُ .

وقالوا : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدوه عدواً .
وفد دحية ^(١) الكلبي على علي رضي الله عنه ، فإزال يذكر معاوية ويطريه
في مجلسه : فقال علي عليه السلام :

صديقُ عدوِّي داخلٌ في عداوِيَّ • وإني لِمَن وُدِّ الصديقِ ودودُ
• فلا تقرِّبُ مِنِّي وأنتَ صديقُهُ • فإنَّ الذي بينَ القلوبِ بعيدُ

هاتين

وفي هذا المعنى قول العتّابي :

نَوْدُ عَدُوِّي ثُمَّ تَزَعُمُ أَنِّي • صديقُكَ إنَّ الرأىَ عنكَ لعازِبُ
وليس أخى من وَدَنِي رَأَى عَيْنَهُ • ولكنَّ أخى من وَدَنِي وهو غائبُ

لبعض المراء

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذي إن زَلَّ صاحِبُهُ • يوما رأى الذنبَ منه غيرَ مغفورِ
• وإن أضع له حقاً فعاتَبَهُ • فيه أناه بَزويق المَعاذيرِ
• إنَّ الصديقَ الذي ألقاه يَعتِزُّ لِي • ما ^(٢) ليس صاحِبُهُ فيه بمعذورِ

وقال آخر :

كَم من أخ لك لم يَلِدْهُ أبوكا • وأخر أبوه أبوك قد يحفوكا
• صاف الكرامَ إذا أردتَ إغاءَهُم • وأعلمُ بأنَّ أبا الحِفاظِ أخوكا
• والناسَ ما استغنيتَ كنتَ أباَهُم • وإذا افتقرتَ إليهِم رَضُّوكا

وقال بعضهم :

أخوك الذي إن قتَ بالسيفِ عامِداً • لِتَضْرِبَهُ لم يَسْتَشْشِكْ في الرُّدِّ
• ولو ^(٣) جثَّتْ تَبْنِي كَفَّهُ لِتَبْيِهَا • لَبَادَرُ لِشَفَاقا عليك من الرُّدِّ
• يرى أَنه في الرُّدِّ كانَ مقصِّراً • على أَنه قد زادَ فيه على الجهدِ

(١) في بعض الأصول : « دحيم » .

(٢) في بعض الأصول : « تلقاه يعنر فيما » .

(٣) في بعض الأصول : « إن جثَّت » .

وقال آخر :

إِنْ كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا • فَتَنَّقْ وَانْتَقِدِ الْخَلِيلَا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصِفًا • فِي الْوُدِّ فَاتَّبِعْ بِهِ بَدِيلًا
وَلَقَلَّا تَلْقَى الْيَسَمَ عَلَيْكَ إِلَّا مُسْطِيلَا

والعلوى : ٥

صَنِ الْوُدِّ إِلَّا عَنِ الْكَرِيمِينَ • وَمَنْ بِمَوَاحِيهِ تَشْرُفُ
وَلَا تَنْقَرُ مِنْ ذَوِي خَلَّةٍ • بِمَا مَزَّهَوْا لَكَ أَوْ زَخَرُوا
فَكَمْ مِنْ آخِرٍ ظَاهِرٍ وَدَّهٍ • ضَمِيرُ مَوَدَّةٍ أَجِيفُ
إِذَا أَنْتَ عَاتَبْتَهُ فِي الْإِخَاءِ • تُنْكِرُ مِنْهُ الَّذِي تَعْرِفُ

١٠ شعر ابن جرير : وكتب العباس بن جرير إلى الحسن بن مخلد :

ارْزَعْ الْإِخَاءَ أَبَا مُحَمَّدٍ لِلَّذِي يَهْفُو وَصْنُهُ
وَإِذَا رَأَيْتَ مُنَافِسًا • فِي نَيْلِ مَكْرُمَةٍ فَكُنْهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الَّذِي : يَرَاكَ حَيْثُ تَنْيَبُ عَنْهُ
فَإِذَا كَشَفَتْ إِعْمَاهُ • أَحْمَدَتِ مَا كَشَفَتْ عَنْهُ
مِثْلُ الْحُسَامِ إِذَا انْتَصَا • هُوَ أَخُو الْخَفِيفَةِ لَمْ يَخْنَهُ
يَسْعَى لِمَا تَسْعَى لَهُ • كَرَمًا وَإِنْ لَمْ تَسْتَعِنْهُ .

١٥

لبعض الشعراء : ولآخر :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمَشَارِكُ فِي الْمُسْرِ وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ زَادَكَ فِي الْبِيسْرِ " وَإِنْ غَبْتَ كَانَ أَذْنَا وَعَيْنَا

٢٠

ولآخر :

وَمِنَ الْبَلَاءِ أَخْ جَنَائِيهِ • عَلَّقَ بِنَا وَلَعَبْنَا سَلْبَهُ

وقال آخر :

إذا رأيت انحرافاً من أخى ثقة • ضاقت على رُحْب الأرض أوطاني
فإن صَدَدْتُ بوجهي كيْ أَكَاثُهُ • فالعينُ غَضْبِي وقلبي غَيْرُ غَضْبَانِ

بين بعض الشعراء
وابن بشار

وكتب بعضهم إلى محمد بن بشار :

من لم يُرِدْكَ فلا تُرِذْ • وَوَكُنْ كُنْ لَمْ تَسْتَفِدْهُ
باعد أخاك لُبْعِدِهِ • وإذا دنا شَبْرًا فزِدْهُ
كم من آخر لك يابن بَشَارٍ وَأُمُّكَ لَمْ تَلِدْهُ
وأخى مُنَاسِبَةً يَسُو • ذِكْ عَيْتَهُ لَمْ تَفْتَقِدْهُ

فأجابه محمد بن بشار :

عَلَيْطُ الْقَمَى فِي قَوْلِهِ • مَنْ لَمْ يُرِدْكَ فَلا تُرِذْهُ
مَنْ نَافَسَ الْإِخْوَانَ لَمْ • يُبْدِ الْعِتَابَ وَلَمْ يُعِدْهُ
عَانَبَ أَخَاكَ إِذَا هَفَا • وَأَعْطَفَ بَوْدَكَ وَاسْتَعِدْهُ
وإذا أَتَاكَ بِعِيْبِهِ • وَاشْ قَهْلُ لَمْ تَقْتَمِدْهُ

ومما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : من لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ .
ويُنَشَّد :

« كيف أَصْبَحْتُ كيف أَمْسَيْتُ » ، بما • يُنَبِّتُ " الْوُدَّ فِي قُرَادِ الْكَرِيمِ
وعلى الصديق ألا يَلْقَى صديقه إلا بما يُحِبُّ ، ولا يؤذِي جليسه فيها هو عنه
بمعزل ، ولا يَأْتِي بما يَعْيب مثله ، ولا يَعْيب ما يَأْتِي شَكْلُهُ .

للتوكل البجلي

وقد قال المتوكل البجلي :

لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ • عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

- ٥ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاثٌ يُثبتن لك الوُدَّ في صدر أخيك :
أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحبِّ الأسماء إليه .
وقال : ليس شيء أبلغ في خير ولا شر من صاحب .
- لبعض الشعراء وقال الشاعر :
- ٥ إن كنتَ تبغى المرءَ ^(١) أو أصله * وشاهداً يُخبرُ عن غائبٍ
فاعتبر الأرض بأشباهاها ^(٢) * واعتبر الصاحب بالصاحب
لعدي بن زيد :
- عن المروء لا تسأل وأبصر قرينه ^(٣) * فكل قرين بالمقارن يقتدى
ولعمرو بن جميل التغلبي :
- ١٠ سأصبرُ من صديقي إن جفاني * على كلِّ الأذى إلَّا الهوانا
فإنَّ الحرَّ يأنف في سخلا * وإنَّ حَضَرَ الجماعةَ أن يُهانَا
قال رجل مُطِيع بن إياس : جئتكَ خاطباً مودتك . فقال له : قد زوجتك ،
على شرط أن تجعل صدقاتها آلا تسمع في مقالة الناس .
وبقال في المثل : من لم يزدردِ الرقيقَ لم يستكثر من الصديق .
وما أحسن ما قال إبراهيم ^(٤) بن عباس :
- ١٥ يا صديقي الذي بذلتَ له الوُدَّ * وأنزلته على أحشائي
إنَّ عينا أقديتها لتراعيك على ما بها من الأتداء
ما بها حاجةٌ إليك ولكن * هي مَعْقُودَةٌ بحبلِ الوفاء
ولابن أبي حازم :
- ٢٠ إرضَ من المروء في مودته * بما يُودِّي إليك ظاهره

(١) في بعض الأصول : « الأمر » .

(٢) في بعض الأصول : « بأسمائها » .

(٣) في بعض الأصول : « لئلاَّ وسل عن قرينه » .

(٤) في بعض الأصول : « على » .

من يكشِف الناس لم يجد^(١) أحداً . تصحُّ منه له^(٢) سرَّيره
يُوشِكُ ألا تُتمَّ وصل آخره في كلِّ زلَّاته تُتأفَّره
إن ساء في صاحبي احتملت وإن سرَّ فإني أخوه شاكره
أصْفَحُ عن ذنبه وإن طَلَب العذر فإني عليه عاذره

٥ . ولنغيره :

لبعض الشعراء :

إني إذا أبطأت^(٣) عنك فلم أزل^(٤) . لإحداثِ دهر لا يزال يعوق
لقد أصبحت نفسي عليك شفيقة . ومثلي على أهلِ الوفاء شفيق
أسرُّ بما فيه سرورُك إني . جدير بمكنونِ الإغاءِ حقُّ
عدوِّ لمن عاذيت سلمُ مسلم^(٥) . لكلِّ امرئٍ يهوى هواك صديق

١٠ . ولأبي عبد الله بن عرفة :

لابن عرفة

هُمُومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرة . وهمي من الدنيا صديقٌ مُساعد
يكون كروح بين جسمين فرقا . لجسمهما جسمان والروح واحد

وقال بعض الحكماء : الإغاء جوهرة رقيقة ، وهي مالم تُوقَّها وتَحْرَسها .
معْرِضةٌ للأفات . فَرُضَ الإغاء بالحدِّ له^(٦) حتى تصل إلى قُربهِ ، وبالكظم حتى
١٥ . يعتذر إليك من ظلمك ، وبالراضى حتى لا تستكبر من نفسك الفضل ولا من
أخيك التفسير .

ولمحمود الوراق :

الوراق

لا يرَّ أعظمُ من مُساعدة . فاشكر أخاك على مُساعدته .
وإذا هفا فأقلِّله هَفْوَه . حتى يعود أخاً كعادته

٢٠ (١) في بعض الأصول : « لا يرى » .

(٢) في بعض الأصول : « غدا » .

(٣) في بعض الأصول : « لعمري لئن » .

(٤) في بعض الأصول : « فلم أزل » .

(٥) في بعض الأصول : « فرض الأبي بالجداء له » .

فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَالِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَغْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانِدَتِهِ

لابن العذل ولعبد الصمد بن المعتدل :

مَنْ لَمْ يُرِدْكَ وَلَمْ تُرِدْهُ . لَمْ يَسْتَفِذْكَ وَلَمْ يُفِذْهُ

قُرْبُ صَدِيقِكَ مَا نَأْنَى . وَزَيْدُ التَّقَارُبِ وَاسْتَرْذُهُ

وَإِذَا وَهَتْ أَرْكَانُ وَدٍّ مِنْ أَخِي ثَقَّةٍ فَنَشِذُهُ

باب من أخبار الخوارج

لما خرجت الخوارج على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكانوا من الخوارج وهى
ابن أبي طالب

أصحابه ، وكان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لابن موسى الأشمرى ،

قالوا : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . فلما سمع علي رضى الله عنه نداءهم . قال : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُّ

بها باطل ، وإنما مذهبهم إِلَّا يَكُونُ أَمِيرٌ ، ولا بد من أميرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ .

وقالوا لعلي : شَكَّكَتْ فِي أَمْرِكَ ، وَحَكَّمْتَ عَدُوَّكَ فِي نَفْسِكَ . وخرجوا إلى

حَرُورِهِ ، وخرج إليهم علي رضى الله عنه ، فخطبهم متوَكِّئاً على قوسه ، وقال :

هَذَا مَقَامٌ مِنْ فَلَجٍ فِيهِ فُلُجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(١) ، أَنُشِدْكُمْ اللَّهَ ، هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَحَدًا

كَانَ أَكْرَهَ لِلْحُكُومَةِ مِنِّي ؟ قالوا : اللَّهُمَّ لَا . قال : أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي عَلَيْهَا

حَتَّى قَبِلْتُمُهَا ؟ قالوا اللَّهُمَّ نَعَمْ . قال : فَعَلَّامٌ خَالِفْتُمُونِي وَابْذَلْتُمُونِي ؟ قالوا : إِنَّا أَتَيْنَا

ذَنْبًا عَظِيمًا فَجَبْنَا إِلَى اللَّهِ مِنْهُ ، فَنُبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ . وَاسْتَنْفَرَهُ نَعْدَنُ إِلَيْكَ . فقال

علي : إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ . فَرَجَعُوا مَعَهُ وَهُمْ فِي سِتَّةِ آلَافٍ . فلما

اسْتَقَرُّوا بِالْكُوفَةِ أَشَاعُوا أَنَّ عَلِيًّا رَجَعَ عَنِ التَّحْكِيمِ وَتَابَ مِنْهُ وَرَأَاهُ ضَلَالًا .

فَاتَى الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ النَّاسَ

قَدْ تَحَدَّثُوا أَنَّكَ رَأَيْتَ الْحُكُومَةَ ضَلَالًا وَالْإِقَامَةَ عَلَيْهَا كُفْرًا وَتَبْتَ . فخطب علي

الناس فقال : مَنْ زَعَمَ أَنِّي رَجَعْتُ عَنِ الْحُكُومَةِ فَقَدْ كَذَّبَ ، وَمَنْ رَأَاهُ ضَلَالًا

فَهُوَ أَضَلُّ مِنْهَا . فخرجت الخوارج من المسجد فحَكَّمْتَ ، ففعل علي : لِمَنْ هُمْ خَارِجُونَ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : مَنْ أَفْلَحَ فِيهِ أَفْلَحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . وَالتَّلَاحُ : النَّصْرُ .

عليك . فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني ، وسيفعلون .

فوجه إليهم عبد الله بن العباس ، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى
 منهم جباهاً قَرَحَتْ لظول السجود ، وأيدياً كَتَفَاتِ الإبل ، وعليهم قُصص
 مُرَحَضَةٌ ، وهم مشعرون . قالوا : ما جاء بك يا بن عباس ؟ قال : جئتكم من عند
 ٥ صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، وأعلنّا بربّه وستة نبّيه ، ومن
 عند المهاجرين والأنصار : فقالوا : إنا أتينا عظيمًا حين حَكَمْنَا الرجال في دين الله ؛
 فإن تاب كما تَبْنَا ونَهَضَ لمجاهدة عدونا رجعنا . فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا
 ما صدقتم أنفسكم ، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أَرْنب تساوى رُبع
 درهم تُصَاد في الحرم ، وفي شقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم . قال :
 ١٠ فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة
 بينه وبين أهل الحديبية ؟ قالوا : نعم ، ولكن علينا بما نَفَسَه من خِلافة المسلمين .
 قال ابن عباس : ليس ذلك يُزِيلُها عنه وقد عا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اسمه من النبوة ، وقال سُهَيْل ^(١) بن عمرو : لو علمت أنك رسول الله ما حاربْتُكَ
 فقال للكاتب : اكتب « محمد بن عبد الله » . وقد أخذ عليٌّ على الحكيمين ألا يجورا ،
 ١٥ وإن يجورا فعلى أولى من معاوية وغيره . قالوا : إن معاوية يدعى مثل دعوى عليّ .
 قال : فأبهما رأيتموه . أوّلُ قولوه . قالوا : صدقت . قال ابن عباس : ومتى جاز
 الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما . فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف .

فصلى بهم صلواتهم ابن الكوّاء وقال : متى كانت حرب فرئيسكم شبت بن
 رَبِيعِ الرّياحى . فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب
 ٢٠ الرّاسبي ، فخرج بهم إلى النّهر وان ، فأوقع بهم عليّ ، فقتل منهم ألفين وثمانمائة ،
 وكان عددهم ستة آلاف . وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين من يُسِرُّ أمره ؛ فخرج
 منهم رجل بعد أن قال على رضى الله عنه : ارجعوا وأدفعوا إلينا قاتل عبد الله
 ابن خَبّاب . قالوا : كلنا قتله وشرّك في دمه .

عليهم ابن خباب

وذلك أنهم لما خرجوا إلى النهروان ^(١) لَقُوا مسلماً ونصرانياً ، فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيراً ، وقالوا : أحفظوا ذمة نبيكم . ولقوا عبد الله ابن خَبَاب ، وفي عنقه المصحف ومعه أمرأته وهي حامل ، فقالوا : إنَّ هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك . فقال لهم : أحيُوا ما أحيا القرآنُ ، وأميتوا ما أمات القرآن . قالوا : حدثنا عن أبيك . قال : حدثني أبي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تكون فتنةٌ يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ بدنه ، يُسمى مؤمناً ويُصبح كافراً ، فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً : قالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن علياً أعلمُ بالله منكم وأشدُّ توفيقاً على دينه وأبعد بصيرة . قالوا : إنك لست تتبع الهدى ، بل الرجال على أسمائها . ثم قربوه إلى شاطئ البحر فذببحوه ، فاعذَر ^(٢) دمه - أي جرى مستقيماً على دفة - وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة . فقال : هي لكم هبة . قالوا : ما كنا نأخذها إلا بشئ . فقال : ما أعجب هذا ! أقتلون مثلَ عبد الله بن خَبَاب ولا تقبلون منا جني نخلة إلا بشئ .

فريهم

ثم افرقت الخوارج على أربعة أضرب : الإباضية ، أصحاب عبد الله بن إباض ^{١٥} والصُّفَرِيَّة واخلنوا في تسميتهم ^(٣) . فقال قوم : سُمُوا بابن الصَّفَّار . وقال قوم : تهكمتهم العبادة فاصفرت وجوههم . ومنهم البهيسية : وهم أصحاب ابن يونس . ومنهم الأزارقة ، أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي ، وكانوا قبلُ على رأي واحد لا يختلفون إلَّا في الشيء الشاذ .

م وابن الزبير

فلنهم خروجُ مسلم بن عُبَيْة إلى المدينة وقتله أهل حِزَّة ، وأنه مُقبل إلى مكة ، فقالوا : يجب علينا أن نمنع حرَمَ الله منهم ونمتحن ابن الزبير ، فإن كان على

(١) في بعض الأصول : . إليهم .

(٢) في بعض الأصول : . فاندفر .

(٣) في بعض الأصول : . في تسميتهم .

رأينا تابعا . فلما صاروا إلى ابن الزبير عَرَفُوهُ أَنفُسَهُمْ وَمَا قَدِمُوا لَهُ ، فَأَظْهَرَ
لَهُمْ أَنَّهُ عَلَى رَأْيِهِمْ ، حَتَّى أَنَا هُمْ مُسْلِمٌ بِنِ عُبَيْةٍ وَأَهْلُ الشَّامِ ، فَنَدَفَوْهُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ
رَأْيُ يُزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَلَمْ يَتَابِعُوا ابْنَ الزَّبِيرِ ؛ ثُمَّ تَنَازَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا :
نَدْخُلُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَنَنْظُرُ مَا عِنْدَهُ ، فَإِنْ قَدِمَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرُ وَبَرٌّ مِنْ عُثْمَانَ
وَعَلِيٍّ وَكَفَرُوا أَبَاهُ وَطَلْحَةَ بِإِعْنَاهُ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ظَهَرَ لَنَا مَا عِنْدَهُ فَتَشَاغَلْنَا
بِمَا يُجِدِّي عَلَيْنَا . فَدَخَلُوا عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ وَهُوَ مُتَبَدِّلٌ وَأَصْحَابُهُ مُتَفَرِّقُونَ عَنْهُ ،
فَقَالُوا لَهُ : إِنَّا جِئْنَاكَ لِنُخْبِرَنَّكَ بِرَأْيِكَ ، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى صَوَابٍ بِإِعْنَتِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ
عَلَى خِلَافٍ دَعَوْنَاكَ إِلَى الْحَقِّ ؛ مَا تَقُولُ فِي الشَّيْخَيْنِ ؟ قَالَ : خَيْرًا ، قَالُوا : فَمَا
تَقُولُ فِي عُثْمَانَ الَّذِي سَمَّى الْجَمْعَ ، وَأَوَى الطَّرِيدَ ، وَأَظْهَرَ لِأَهْلِ مِصْرَ شَيْئًا
وَكَتَبَ بِخِلَافِهِ ، وَأَوْطَأَ آلَ بَنِي مُعِيطٍ رِقَابَ النَّاسِ وَأَثَرُهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَفِي
الَّذِي بَعْدَهُ الَّذِي حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ تَائِبٍ وَلَا نَادِمٍ ؛
وَفِي أَبِيكَ وَصَاحِبِهِ وَقَدْ بَايَعَا نَظِيرًا ، وَهُوَ لِإِمَامٍ عَادِلٍ مَرَضَى لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ كُفْرٌ ،
ثُمَّ نَكَبْنَا بَيْعَتَهُ وَأَخْرَجْنَا عَائِشَةَ تَقَاتَلْ ، وَقَدْ أَمَرَهَا اللَّهُ وَصَوَّاحِبَهَا أَنْ يَقْرَأَ فِي
فِي بُيُوتِهِمْ ، وَكَانَ لَكَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُوكَ إِلَى التَّوْبَةِ ؛ فَإِنْ أَنْتَ قَبِلْتَ كُلَّ مَا يَقُولُ
لَكَ الزُّنُيُّ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالنَّصْرُ عَلَى أَيْدِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَنَسَأَلُ اللَّهَ لَكَ التَّوْفِيقَ ،
وَإِنْ أَيْتَ خَذَلَكَ اللَّهُ وَانْتَصَرَ مِنْكَ بِأَيْدِينَا .

فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْرُ وَلَهُ الْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ فِي مَخَاطِبَةِ الْكَافِرِينَ
وَأَعْنَى الْعَاتِينَ بِأَرْقٍ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ ؛ قَالَ لِمُوسَى وَأَخِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا : ﴿ إِذْهَبَا
إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَهُ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ . وَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ بِسَبِّ الْمَوْتَى . فَهِيَ عَنْ
سَبِّ أَبِي جَهْلٍ مِنْ أَجْلِ عِكْرَمَةِ ابْنِهِ ، وَأَبُو جَهْلٍ عَدُوُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْمَقِيمُ عَلَى
الشِّرْكِ ، وَالْجَانِثُ فِي مُحَارَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ وَالْمُحَارِبُ لَهُ
بَعْدَهَا ، وَكَفَى بِالشِّرْكِ ذَنْبًا ؛ وَتَدَكَّنَ يُنَبِّئُكُمْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي سَمَّيْتُمْ فِيهِ طَلْحَةَ

- وأبى أن يقولوا : أتبرأ من الظالمين ؟ فإن كانوا منهم دخلاً في عُصار الناس ^(١) ، وإن لم يكونا منهم لم تُحفظوا بسبب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للذين في أبيه : ﴿ وَإِنْ نَجَاهُكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ وقال : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . وهذا الذي دعوتهم إليه أمر له ما بعده ، وليس يُقنعكم إلا التوقيف والتصریح ، ولعمري إن ذلك أخرى بقطع الحجج ، وأوضح لمتهاج الحق ، وأولى بأن يعرف كلُّ صاحبه من عدوه . فروحوا إلى من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه إن شاء الله تعالى .

- فلما كان الدش راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك عُدَّة ^(٢) ، قال : هذا خروج منابذ لكم . فجلس على رفح من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه . ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان في السنين الأوائل من خلافته ، ثم وصلون بالسنيين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالمأضية ، وأخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاصي يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحمي وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعجبوه من أمور ما كان له أن يفعلها أولاً مصيياً ثم أعتبهم بعد ذلك محسناً . وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه بعد أن ضمن لهم العُتبي ثم كُتب ذلك الكتاب بقتلهم . فدفعوا الكتاب إليه ، وخاف بالله أنه لم يكتبه ولم يأمر به ؛ وقد أمر الله عز وجل بقبول البين ، من ليس له مثلُ سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكانه من الإمامة ، وأن يمة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه ، وعثمان الرجل الذي لزمته عين لو حلف عليها حلف على حق ، فأخذها بمائة ألف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيُؤَدِّقْ ، ومن حلف بالله فليقبل . وعثمان أمير المؤمنين كصاحبه .

نظرة ابن
الزبير فيهم

(١) في بعض الأصول : « المسكين » .

(٢) نجدة : ابن عاصم الحنفي الخارجي .

وأنا وليّ وليّه وعدوّ عدوّه ، وأبي وصاحبه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ورسولُ الله يقول عن الله عز وجل يوم أُحُد لما قُطعت أصبغُ طلحة :
 سبقته إلى الجنة . وقال : أوجب طلحة . وكان الصديق إذا ذكر يوم أحد قال :
 ذلك يوم كله أو جُلّه لطلحة . والزبير حواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وصفوته ، وقد ذكر أنه في الجنة . وقال عز وجل : (لقد رضيَ اللهُ عنِ
 المؤمنينَ إذْ يبايعونَكَ تحتَ الشَّجرةِ) . وما أخبرتُنا بعدُ أنه سخط عليهم ؛ فإن
 يكن ما صنعوا حقاً فأهل ذلك ثم ، وإن يكن زلفٌ في عفو الله تمحيصاً ، وفيما
 وقفهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموها به فقد
 بدأتمكم بأمر عائشة ، فإن أبيّ أب أن تكون له أمّا ، نبذ اسم الإيمان عنه ؛
 وقد قال جلّ ذكره : (النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) .
 فنظر بعضهم إلى بعض ثم انصرفوا عنه .

وكتب بعد ذلك نافعُ بن الأزرق إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره :
 أما بعد ، فإني أحذرك من الله : يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ مُحضراً
 وما عملت من سوءٍ تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويُحذركم الله نفسه ، فاتق
 الله ربك ولا تتولّ الظالمين ، فإن الله يقول : (ومن يتَّزلفهم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)
 وقال : (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
 فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ) ، وقد حضرت عثمان يوم قُتل . فلمعري لئن كان قُتل
 مظلوماً لقد كفر قاتلوه وغاذلوه ، ولئن كان قاتلوه مهتدين ، ولهم لمهندون ،
 لقد كفر من تولّاه ونصره ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليّاً كانوا أشدّ الناس
 عليه ، وكانوا في أمره بين قاتل وغاذل ، وأنت تتولّى أباك وطلحة وعثمان ،
 فكيف ولايةٌ قاتل متعمد ومقتول في دين واحد ؟ ولقد وليّ علي بعده فبني
 الشُّبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الأحكام مجاريها ، وأعطى الأمور حقها فيما
 عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلعا يمتن ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما
 لكما قال ابن عباس رحمه الله : إن يكن عليٌّ في وقت مصيبتكم ومحاربتكم له كان

كتاب
 ابن الأزد
 إلى ابن الزبير

مؤمناً لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، وإن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائراً لقد بُؤِتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ، ولقد كنت له عدواً ، ولسيرته عاتباً ، فكيف توليته بعد موته .

وكتب نجدة . وكان من الصُفْرية القَعْدية . إلى نافع بن الأزرق لما بلغه عنه استعراضه للناس وقتله الأطفال ، واستحلاله الأمانة :

بين نجدة
وابن الأزرق

- بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فإن عهدي بك وأنت للقيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالآخ البر ، لا تأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم ؛ كذلك كنت أنت وأصحابك . أما تذكر قولك : لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين ، فلما شَرَّيت نفسك في طاعة ربك ابتناءً وضروانه ، وأصبحتَ من الحق فُصَّه وركبتَ ١٠ مُرَّةً ، تَجَرَّدَ لك الشيطان فلم يكن أحدٌ أثقلَ وطأةً عليه منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، فنوييتَ وأكفرتَ الذين عَدَّهم الله في كتابه من قَدَرِ المسلمين وضغفَتهم ، فقال جل ثناؤه ، وقوله الحق ووعد الصديق :
- (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) ثم سَمَّاهُمْ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ فقال : (ما على المحسنين ١٥ من سبيل) ثم استحلَّت قتل الأطفال ، وقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال جل ثناؤه : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) وقال في القَعْد خيراً ، وَفَضَّلَ اللهُ مَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِمْ ، ولا يدفع منزلةَ أَكْثَرِ النَّاسِ عملاً منزلة من هو دونه . إلا إذا اشتركا في أصل . أو ما سمعت قوله تبارك وتعالى : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله) فجعلهم الله ٢٠ من المؤمنين ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَعْمَالِهِمْ . ورأيتَ من رأيك أن لا تؤدَّى الأمانة إلى من يخالفك ، والله يأمرُك أن تؤدَّى الأمانات إلى أهلها . فائق الله وانظر لنفسك ، واتق (يوماً لا يجزي والله عن ولده ولا مولودُه هو جازٍ عن والده شيئاً) فإن الله بالمرصاد ، وحُكِمَ العَدْلُ . وقوله الفصل . والسلام .

جواب تافه

فكتب إليه نافع بن الأزرق :

- بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك تَعَطَّى فيه وتذكرني ،
وتصح لي وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أؤثره من
الصواب ؛ وأنا أمهل الله أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيستغيثون أحسنه ،
وغيث علي ما دئت به من (كفار القعد ، وقتل الأطفال ، واستحلال الأمانة .
وسأفسد لك لِمَ ذلك إن شاء الله : أما هؤلاء القعد فليسوا بمن ذكرت ممن كان
بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين ،
لا يجدون إلى الحرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ؛ وهؤلاء قد فقهوا
في الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم تهج واضح . وقد عرفت ما يقول الله
فيمن كان مثلهم ، إذ قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ
كُنْتُمْ . قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) . وقال (فرح المخلفون بمقدمهم خلاف رسول الله) . وقال :
(وجاء المعتدون من الأعراب ليؤذّن لكم . وقعد الذين كذبوا الله ورسوله .
سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . فانظر إلى أسمائهم وسماتهم ” .
- وأما أمر الأطفال فإن نبي الله نوحا عليه السلام كان أعرف بالله يا نجدة
مني ومنك ، فقال : ﴿ رَبِّ لَا تُؤْخَذْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذُبَابًا . لَئِنْ
تَذَرْتَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَدْرُوا أَلْفَاخًا كَثَرًا) . فسيام بالكفر وهم أطفال
وقبل أن يؤلّدوا ؛ فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا والله يقول :
(أَكْفَرًا لَكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ رَأْيٌ فِي الزُّبُرِ) وهؤلاء كذبوا الله ،
ولا تقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استحلال الأمانات ممن خالفنا فإن الله عز وجل أحل لنا أموالهم ،
كما أحل لنا دماءهم ، فدماهم حلال طلق ، وأموالهم فيء للمسلمين ، فائق الله

(١) في بعض الأصول : « فسيام بالكفر » . فكانت عبارة « فانظر إلى أسمائهم

وسماتهم » .

مرداس
وابن زياد

- وراجع نفسك ، فإنه لا عذر لك إلا بالنوبة ، ولا يسعك خذلاننا والقعود دوننا ، وترك ما نهجنه لك من طريقتنا ومقاتلتنا . والسلام على من أقر بالحق وعمل به .
- وكان مرداس أبو بلال من الخوارج ، وكان مستترا ، فلما رأى جند^(١) ابن زياد في قتل الخوارج وحبيهم ، قال لأصحابه : إنه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين ، تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل ، مفارقة للعقل ؛ والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة الميبل لعظيم ، ولكننا لا نبتدئهم ، ولا نجرد سيفنا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا . فاجتمع أصحابه وهم ثلاثون رجلا ، فأرادوا أن يؤلوا أمرهم حرث بن حجيل^(٢) ، فأتى . فولوا أمرهم مر أسا أبا بلال . فلما سمع بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري ، وكان له صديقا ، فقال له : يا أخى ، قال : أريد أن أهرّب بدني ودين أصحابي هؤلاء .
- من أحكام الجورة والظلمة . فقال له : أعلم بكم أحد ؟ قال : لا . قال : فارجع . قال : أو تخاف على مكروها ؟ قال : نعم وأن يؤتى بك . قال : فلا تخف ؛ فأتى لأجرد سيفا ، ولا أخيف أحدا ، ولا أقاتل إلا من قاتلني .

- ثم مضى حتى نزل آسك^(٣) وهو موضع دون خراسان ، فر به مال يحمل له ابن زياد ، وقد بلغ أصحابه أربعين رجلا ، لحظ ذلك المال ، وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ، ورد الباقي على الرسل ، وقال : قولوا لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا . فقال بعض أهلهم : فعلام ندع الباقي ؟ فقال : إنهم يقيمون هذا اليوم كما يقيمون الصلاة ، فلا نقاتلهم^(٤) .

مرداس

- وأتى بلال مرداس هذا أشعار في خروج منها قاله :
أبعد ابن و ، ذى النزاهة والعتى . ومروا في تلك المروا بها

(١) في بعض الأصول : « حزم » .

(٢) في بعض الأصول : « حرث بن حمر » . وقا ١٠٠٤ من الكامل .

(٣) في بعض الأصول : « آبل » .

(٤) في بعض الأصول : « فلا نقاتلهم مع الصلاة » .

- أَحِبُّ بَقَاءٍ أَوْ أَرْجَى سَلَامَةٍ * وَقَدْ قَتَلُوا زَيْدَ بْنَ حِصْنٍ وَمَالِكًا
فِيَارِبَ سَلَمٍ نَيْقٍ وَبَصِيْقٍ * وَهَبَ لِي الْبَقَا حَتَّى أَلَاقَى أَوْلِيَاكَ
- وَقَالُوا إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ زِيَادٍ ، قَالَ : خَرَجْنَا فِي جَيْشِ نَزِيدِ خِرَاسَانَ ،
فَرَرْنَا بِأَسْكَ ، فَإِذَا نَحْنُ بِمِرْدَاسٍ وَأَصْحَابِهِ وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : أَفَأَصْدُونَ
لِفَتَانِنَا أَتَمَّ ؟ قُلْنَا : لَا ، إِنَّمَا نَزِيدُ خِرَاسَانَ . قَالَ : فَأَبْلَغُوا مَن لَقَيْتُمْ أَتَا لَمْ نَخْرُجْ
لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَلَا لِنُرَوِّعَ أَحَدًا ، وَلَكِنْ هَرَبْنَا مِنَ الضَّرَرِ ، وَلَسْنَا نُقَاتِلُ
إِلَّا مَن يَقَاتِلُنَا ؛ وَلَا نَأْخُذُ مِنَ الْيَمَنِ إِلَّا أَغْطِيَاتِنَا . ثُمَّ قَالَ : أَتَدِبُّ لَنَا أَحَدٌ ؟
قُلْنَا : نَعَمْ ، أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ . قَالَ : فَتَى تَرَوْهُ يَصِلُ إِلَيْنَا ؟ قُلْنَا لَهُ : يَوْمَ
كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ أَبُو بِلَالٍ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .
- وَتَدَبَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكَلَابِيِّ ، وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْفَيْنِ ،
فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهِمْ صَاحَبَهُ أَبُو بِلَالٍ : أَتَيْتُ اللَّهَ يَا أَسْلَمُ فَإِنَّا لَنَزِيدُ قِتَالًا وَلَا نَحْتَجِزُ
مَالًا ، فَمَا الَّذِي تَرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَرُدَّكُمْ إِلَى آبِنِ زِيَادٍ . قَالَ : إِذَا قَتَلْتُنَا . قَالَ :
وَأِنْ قَتَلْتَكُمْ . قَالَ : أَفَقَشَرْتُكَ فِي دِمَائِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّهُ نَحْيُ وَأَنْتُمْ مُبْطِلُونَ . قَالَ
أَبُو بِلَالٍ : وَكَيْفَ هُوَ نَحْيٌ وَهُوَ فَاجِرٌ يَطْبِيعُ الظُّلَّةَ ؟
- ثُمَّ حَمَلُوا عَلَيْهِ حَمَلَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ ، فَانْهَزَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَى آبِنِ زِيَادٍ
غَضِبَ عَلَيْهِ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : انْهَزَمْتَ وَأَنْتَ فِي الْفَيْنِ عَنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا !
قَالَ لَهُ أَسْلَمُ : وَاللَّهِ لَأَنْ تَذُمَّنِي حَيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَحْدَنِي مَيِّتًا . وَكَانَ إِذَا
خَرَجَ إِلَى السُّوقِ وَمَرَّ بِالصَّيَّانِ صَاحُوا بِهِ : أَبُو بِلَالٍ : وَرَأَاكَ أَحْتَى شَكَا إِلَى
آبِنِ زِيَادٍ ، فَأَمَرَ الشَّرْطُ أَنْ يَكْفُوا النَّاسَ عَنْهُ .

رَدَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عَلَى شَوْذِبِ الْخَارِجِيِّ

الْمُهَيْمِنُ بْنُ دَعْيٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَوَانَةُ بْنُ الْحَكَمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : بَعَثَنِي
عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ قَتْرَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ إِلَى شَوْذِبِ الْخَارِجِيِّ وَأَصْحَابِهِ ،
إِذْ خَرَجُوا بِالْجَزِيرَةِ ، وَكُتِبَ مِنَّا كِتَابًا إِلَيْهِمْ . فَقَدَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَدَفَعْنَا كِتَابَهُ إِلَيْهِمْ .

فبعثوا معنا رجلا من بني شيبان ورجلا فيه حبشية يقال له شوذب ، فقدمنا
على عمر وهو بخصامة^(١) ، فصعدنا إليه ، وكان في غرفة ومعه آبنه عبد الملك
وحاجبه مزاحم ، فأخبرناه بمكان الحارثيين . فقال عمر : قتلوهما لا يكن معهما
حديد ، وأدخلوهما . فلما دخلا قالا : السلام عليكم . ثم جلسا . فقال لهما عمر :
أخبراني : ما الذي أخرجكم عن حكي هذا وما نَقَمْتُمْ ؟ فتكلم الأسود منهما ،
فقال : إنا والله مانقمننا عليك في سيرتك وتحريك العدل والإحسان إلى من وُلِّيت
ولكنّ يذنا وبينك أمر إن أعطيتناه فنعن منك وأنت منا ، وإن مَنَعْتناه فلست
منا ولسنا منك . قال عمر : ما هو ؟ قال : رأيُناك خالفت أهل بيتك وسميتُها
مظالم ، وسلكت غير طريقتهم ، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالتعنهم
وإبرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفزق .

فتكلم عمر بحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني قد علمت أو ظننت أنكم لم
تخرجوا تخرِجكم هذا المطلب الدنيا ومتاعها ، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها ،
وإني سألتكم عن أمر ، فبالله أصدّقاني فيه مبلغ عليكم . قالا : نعم . قال : أخبراني
عن أبي بكر وعمر ، أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة ؟
قالا : اللهم نعم . قال : فهل علمتا أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارادت العرب قاتلهم ، فسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وسبي
الذراري ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمت أن عمر قام بعد أبي بكر فردّ تلك السبايا
إلى عشائرها ؟ قالا : نعم . قال : فهل برئ عمر من أبي بكر أو تبرّءون
أتم من واحد منهما ؟ قالا : لا . قال : فأخبراني عن أهل التَّهْرَوان ، أليسوا
من صالحى أسلافكم ومن تشهدون لهم بالنجاة ؟ قالا : نعم . قال : فهل تعلمون
أن أهل الكوفة حين خرجوا كفّوا أيديهم ، فلم يسفكوا دما ، ولم يُخيفوا
آمنا ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : نعم . قال : فهل علمت أن أهل البصرة حين
خرجوا مع مسهر بن مُذَيْك استعرضوا الناس يقتلهم ، ولقوا عبد الله

ابن خبيب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ،
ثم قتلوا النساء والأطفال ، حتى جعلوا يلقونهم في قدور الأقط وهي تفور ؟
قالا : قد كان ذلك . قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قالوا : لا .
قال : فهل تبرءون من إحدى الفتيين ؟ قالوا : لا . قال : أفرايتم الدين ، أليس
هو واحداً أم الدين اثنان ؟ قالوا : بل واحد . قال : فهل يسمع منه شيء يُعجزني ؟
قالا : لا . قال : فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وتولى كل واحد
منهما صاحبه ، وتوليتم أهل الكوفة والبصرة ، وتولى بعضهم بعضاً ؛ وقد اختلفوا
في أعظم الأشياء : في الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعى إلا لعن أهل بيتي
والتبرؤ منهم أو رأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها ؛ فإن كان
ذلك فتى عهدك بلعن فرعون وقد قال : أنا ربكم الأعلى ؟ قال : ما أذكر أني
لعتنه . قال : ويحك ! أيسعك ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ، ولا يسعى
إلا أن ألعن أهل بيتي والبراءة منهم ؟ ويحكم ! إنكم قوم جهال ، أردتم أمراً
فأخطأتموه ، فأنتم تردون على الناس ما قيلَ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
بعثه الله إليهم وهم عبدة أوثان ، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ، وأن يشهدوا
أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فن قال ذلك خفن بذلك دمه ،
وأحرز ماله ، ووجبت حرمة ، وأمن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان أسوة المسلمين ، وكان حسابه على الله . أقلمتم تلقون من خلع الأوثان ،
ورفض الأديان ، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، تستيحلون دمه
وماله ، ويلعن عندكم ، ومن ترك ذلك وأباه ، من اليهود والنصارى وأهل الأديان
فنهزموه دمه وماله ويأمن عندكم ؟ فقال الأسود : ما سمعتُ كاليرم أحدًا أئین
حجة ، ولا أقرب مأخذاً ، أما أنا فأشهد أنك على الحق ، وأنى يرى . ممن يرى
منك ! فقال عمر اصاحبه : يا أبا بني شيبان ، ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسن
ما قلت ووصفت ! غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى أقام بما ذكرت
وأنظر ما حُببَ لهم . قال : أنت وذاك ! فأقام الحبشى مع عمر وأمر له بالعطاء ، فلم

يلبث أن مات ، ولحق الشيطانُ بأصحابه فقتلَ معهم بعد وفاة عمر

القول في أصحاب الأهواء

- وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكروا فضله . وشدة اجتهاده في العبادة ، فبينما هم في ذكره حتى طلع عليهم الرجل ؛ فقالوا : يا رسول الله ، هو هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إنني أرى بين عينيه سقعة من الشيطان ! فأقبل الرجل حتى وقف فسلم عليهم ، فقال هل حدثتكَ نفسك إذ طلعت علينا أنه ليس في القوم أحسن منك ؟ قال : نعم . ثم ذهب إلى المسجد يصف بين قدميه يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أينكم يقوم إليه فيقتله ؟ فقال أبو بكر : أنا يا رسول الله . فقام إليه فوجده يصلي ، فهابه فانصرف . قال : ما صنعت ؟ قال : وجدته يصلي يا رسول الله فهِبْتُهُ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أينكم يقوم إليه فيقتله ؟ قال عمر : أنا يا رسول الله . فقام إليه فوجده يصلي ، فهابه فانصرف . فقال : يا رسول الله ، وجدته يصلي فهِبْتُهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أينكم يقوم إليه فيقتله ؟ فقال علي : أنا يا رسول الله . قال : أنت له إن أدركته . فقام إليه فوجده قد انصرف ؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : هذا أولُ قرنٍ يطلع في أمتي ، لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ؛ إنني بنى إسرائيل افرقت على اثنتين وسبعين فرقة ، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة ، وهي الجماعة .

رجل ذكر عند
النبي صلى الله عليه
وسلم بالاجتهاد

الرافضة

- وإنما قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ، ولم يرفضهما أحدٌ من أهل الأهواء غيرهم ، والشعبة دونهم ، وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر ، فأما الرافضة ظها غلو شديد في علي ، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح ، وهم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، عليهم لعنة الله .

تسميهم بذلك
الاسم

وفيه يقول السيد الجُمَيْرِي :

السيد الجُمَيْرِي

٢٣٥

قوم غلّوا في عليّ لا أباهم ، وأجسموا أنفساً في حُبّه تَعَباً

قالوا هو الله جلّ الله خالقنا ، من أن يكون له ابن أو يكون أباً

وقد أحرَقهم عليّ رضي الله عنه بالنار .

المغيرة بن سعد
والأخت

٥ ومن الروافض المغيرة بن سعد مولى بجيلة ، قال الأعشى : دخلت على المغيرة

ابن سعد فسألته عن فضائل عليّ ، فقال : إنك لا تحتملها ! قلت : بلى . فذكر

آدم صلوات الله عليه ، فقال : عليّ خيرٌ منه ! ثم ذكر من دونه من الأنبياء ،

فقال : عليّ خيرٌ منهم ! حتى انتهى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليّ مثله .

فقلت : كذبت عليك لعنة الله . قال : قد أعلمتك أنك لا تحتملها .

المغيرة

١٠ ومن الروافض من يزعم أن عليّاً رضي الله عنه في السحاب ، فإذا أظلمت

عليهم سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ! وقد ذكرهم الشاعر فقال :

بَرَّثْتُ من الخوارج لستُ منهم . من التَّزَالٍ منهم وابنِ بابٍ ^(١)

ومن قوم إذا ذكروا عليّاً ، يَرُدُّونَ السلامَ على السحاب

ولكني أحبُّ بكلِّ قلبي * وأعلم أن ذلك من الصواب

... رسول الله والصدِّيق حقاً * به أرجو غداً حُسنَ الثواب

١٥

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم المنصورية ، وهم أصحاب أبي منصور الكِيسَف .

ولمَّا سُمِّي الكِيسَف لآنه كان يتأول في قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً

من السماء ساقطاً يقولوا سحابٌ مكرَّم ﴾ فالكِيسَف عليّ ، وهو السحاب .

المغيرة وماله

وكان المغيرة بن سعد من الشيعة الذين أحرَقهم عليّ رضي الله تعالى عنه بالنار ،

وكان يقول : لو شاء عليّ لأحیی عاداً وثموداً وقروناً بعد ذلك كثيراً ، وخرج لخالد

٢٠

ابن عبد الله ، فقتله خالد وصلبه بواسط عند قطرة العاشر .

كثير عزة

ومن الروافض كثير عزة الشاعر ، ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال :

(١) في بعض الأصول : ذوابن داب ، والتصويب من الكامل .

يأبنة أخى ، إن عمك كان يُحب هذا الرجل فأحبّه - يعنى علىّ بن أبى طالب
رضى الله عنه - فقالت : نصيحتك يا عمّ مردودة عليك ، أحبه والله خلاف
الحبّ الذى أحبّيته أنت . فقال لها : برئت منك . وأنشد يقول :

برئتُ إلى الإله من ابن أروى * ومن قول الخوارج أجمعينا

ومن تحمر برئتُ ومن عتيق * غداة دُعِيَ أمير المؤمنين
ابن أروى : عثمان .

من رابعهم والروافض كلها يؤمن بالرجعة ، وتقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي
وهو محمد بن على ، فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ، ويُحيي لهم موتاهم فيرجعون
إلى الدنيا ، ويكون الناس أمة واحدة ، وفى ذلك يقول الشاعر :

١٠ ألا إن الأئمة من قرشي * ولأمة العدل أربعة سواء

على والثلاثة من بني * هم الأسباط ليس بهم خفاء

فيسبط يسبط لإيمان وبر * ويسبط غيبته ككربلاء

أراد بالأسباط الثلاثة : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، وهو المهدي الذى
يخرج فى آخر الزمان .

١٥ السيد الحميرى ومن الروافض السيد الحميرى ، وكان يُلقب له وسائد فى مجلس الكوفة يجلس
عليها ، وكان يؤمن بالرجعة ، وفى ذلك يقول :

إذا ما المرء شاب له قَدال * وعلّاه المواشط بالخضاب

فقد ذهبت بشاشته وأودى * فقم بأيك وائبك على الشباب

فليس بمسائيد ما فات منه * إلى أحدٍ إلى يوم المآب

٢٠ إلى يوم يؤوب الناس فيه * إلى دنياهم قبل الحساب

أدين بأن ذاك كذاك حقّا * وما أنا فى النشور يذرى ارتباب

لأنّ الله خبّر عن رجالٍ * حيوا من بعد دس فى التراب

وقال يرثي أخاه :

يا بن أُمِّي قَدَتِكَ نَفْسِي وَمَالِي • كُنْتَ رُكْنِي وَمَفْزَعِي وَجَمَالِي
وَلَعَمْرِي لَنْ تَرْكُوكَ^(١) مَيِّتًا • رَهْنَ دَمِي صَنْكَ عَلَيْكَ مُهَالِي
لَوْ شِئَا أَلْفَاكَ حَيًّا صَحِيحًا • سَامِعًا مُبْصِرًا عَلَى خَيْرِ حَالِي
قَدْ يُعْتَمَمُ مِنَ الْقُبُورِ فَأُنْتَم • بَعْدَ مَا رَمَيْتِ الْعِظَامُ الْبُورَالِي
أَوْ كَسْبَعِينَ وَافِدًا مَعَ مُوسَى • عَايَنُوا هَانِلًا مِنَ الْأَهْوَالِي
حِينَ رَامُوا مِنْ خُيُثِهِمْ رُؤْيَا اللَّهِ وَأَتَى بِرُؤْيَا الْمُتَعَالِي
فَرَمَاهُمْ بِصَفْصَفَةٍ أَحْرَقَتْهُمْ • ثُمَّ أَحْبَابُهُمْ شَدِيدُ الْمِحَالِي

الأمون ورجل
من الحبانية

دخِلَ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَانِيَّةِ عَلَى الْأُمُونِ ، فَقَالَ : لُثْمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : كَلَّمَهُ ، فَقَالَ
لَهُ : مَا تَقُولُ ؟ وَمَا مَذْهَبُكَ ؟ فَقَالَ : أَقُولُ إِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عَلَى التَّوَهُّمِ وَالْحِسَابِ ،
وَإِنَّمَا يُدْرِكُ مِنْهَا النَّاسُ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ ، وَلَا حَقَّ فِي الْحَقِيقَةِ . فَقَامَ إِلَيْهِ لُثْمَامَةُ
فَلَطَمَهُ لَطْمَةً سَوَدَتْ وَجْهَهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، يَفْعَلُ بِي مِثْلَ هَذَا فِي
بَجْلِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ لُثْمَامَةُ : وَمَا فَعَلْتَ بِكَ ؟ قَالَ : لَطَمَتَنِي ، قَالَ : وَلِمَ لَا تَمَّا
دَهْنَتِكَ بِالْبَانِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَمَلَّ آدَمُ أُمْنَا • وَالْأَبَّ حَرًّا فِي الْحِسَابِ
وَلَمَلَّ مَا أَبْصَرْتُ مِنْ • بَيْضِ الطُّيُورِ هُوَ الْغَرَابِ
وَعَسَاكَ حِينَ قَعَدْتُ قُتِبْتَ وَحِينَ جِئْتَ هُوَ الذَّهَابِ
وَعَمَى الْبِنْفَسُجُ زَنْبَقًا • وَعَمَى الْهَارُ هُوَ السَّدَابِ
وَعَسَاكَ تَأْكُلُ مِنْ خَرًّا • كَ وَأَنْتَ تَحْمِبُهُ كِبَابِ

ابن عباس
وراضى

وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَادٍ قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ :
لَاخْبِرْنِكَ بِأَعْجَبِ شَيْءٍ : قَرَعَ الْيَوْمَ عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ كَمَا وَضَعْتَ ثِيَابِي لِلظَّهْرِ ،
فَقُلْتُ : مَا أَتَى بِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَيْنِ إِلَّا أَمْرٌ مُهِمٌّ ، أَذْخِلْهُ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « لَا تَرْكُوكَ » .

مَتَّى يُبْعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : أَيْ رَجُلٌ ؟ قَالَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . قُلْتُ :
لَا يُبْعَثُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ فِي الْقُبُورِ . قَالَ : وَإِذَا لَقَوْلُ يَقُولُ هَذِهِ الْجَهْلَةُ !
قُلْتُ : أَخْرِجْهُ عَنِّي لَعَنَهُ اللَّهُ .

الكيسانية ومن الروافض : الكيسانية ، قلت : وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد ، ويقولون
إن اسمه كيسان .

الحسينية ومن الرافضة الحسينية ، وهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، وكاوا يطرفون
بالليل في أزقة الكوفة وينادون : يا ثارات الحسين . فقيل لهم الحسينية .

النراية ومن الرافضة النراية ، سميت بذلك لقولهم : عليٌّ أشبه بالنبي من
الغراب بالغراب .

ومن الرافضة الزيدية ، وهم أصحاب زيد بن عليٍّ المقتول بخراسان ، وهم أقلُّ
الرافضة غُلُوًّا ، غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج .

الرافضة والسعي مالك بن معاوية قال : قال لي السعي وذَكَرْنَا الرافضة : يا مالك ، لو أردت
أن يُعطوني رقابهم عبيدًا وأن يملئوا بيتي ذهبًا على أن أكذبهم على عليٍّ كَذِبًا
واحدة لفعلوا ، ولكنني والله لا أكذب عليه أبدًا ، يا مالك ، إني درست ^(١) الأهواء

كلها ، فلم أرَ قومًا أحقَّ من الرافضة : فلو كانوا من السواب لكانوا حميرا ،
أو كانوا من الطير لكانوا رُحَمَا : ثم قال : أحذرك الأهواء المُنْصِئَةَ ، شرُّها
الرافضة ، فإنها يهود هذه الأمة ، يُبْغِضُونَ الإسلامَ كما يُبْغِضُ اليهود النصرانية ،
ولم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتًا لأهل الإسلام .
وَبَيْعًا عَلَيْهِمْ ، وقد حرقهم عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ، ونقام إلى
البلدان ، منهم عبد الله بن سبأ ، نفاه إلى سبأ ؛ وعبد الله بن سبأ ، نفاه إلى
الجزائر ^(٢) وأبو الكرويس ؛ وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود ، قالت اليهود :

(١) في بعض الأصول : دسك .

(٢) المجازر : قرية من نواحي النهروان . وفي بعض الأصول : المجازر .

لا يكون الملك إلا في آل داود ، وقالت الراضنة : لا يكون الملك إلا في آل علي
ابن أبي طالب . وقالت اليهود : لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح
المنتظر ، وينادي منادٍ من السماء . وقالت الراضنة : لا جهاد في سبيل الله حتى
يخرج المهدي وينزل سبب من السماء . واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى
تشتبك النجوم ، وكذلك الراضنة . واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً ، وكذا
الراضنة . واليهود لا ترى على النساء عِدَّة ، وكذلك الراضنة : واليهود تستحل دم كل
مسلم ، وكذلك الراضنة ، واليهود حرقوا التوراة ، وكذلك الراضنة حرقت القرآن
واليهود مُبغض جبريل وتقول : هو عدونا من الملائكة ، وكذلك الراضنة تقول :
غلط جبريل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب . واليهود لا تأكل لحماً
الجزور ، وكذلك الراضنة . واليهود والنصارى فضيلة على الراضنة في خصلتين :
سئل اليهود : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ؟ فقالوا : أصحاب موسى : وسئلت النصارى ، فقالوا :
أصحاب عيسى . وسئلت الراضنة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد : أَسْرَمَ
بالاستغفار لهم فشموم ، فالسيف مسلوكٌ عليهم إلى يوم القيامة ، لا تثبت لهم
قدم ، ولا تقوم لهم راية ، ولا تجتمع لهم كلمة ، دُعوتهم مدحورة ، وكلبتهم مختلفة ،
وجمعهم مفترق ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله .

وذكرت الراضنة يوماً عند الشعبي فقال : لقد بُغضوا إلينا حديث علي
ابن أبي طالب .

وقال الشعبي : ما شَبَّهت تأويل الروافض في القرآن إلا بتأويل رجل مضعوف
من بني غزوم من أهل مكة ، وجدته قاعداً بفناء الكعبة . فقال : يا شعبي ما عندك
في تأويل هذا البيت ؟ فإن بني تميم ينظفون فيه ، يزعمون أنه مما قيل في رجل
منهم ، وهو قول الشاعر :

يَبْنَى زُرَّارَةٌ تُحِبُّ بَفْنَاءَهُ * وَجُحَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ تَهْتَلُ

فقلت له : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت هو هذا البيت - وأشار يده
إلى الكعبة - وزرارة الحجير ، زدد حول البيت . فقلت : فجاشع ؟ قال : ذمهم .

جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟ قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت :
فنهشل ؟ فسكر فيه طويلا ، ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة ، طويلاً
أسود وهو النهشل .

قولهم في الشيعة

- قال أبو عثمان بن بحر الجلاحظ ، أخبرني رجل من رؤساء التجار قال : كان
معنا في السفينة شيخ شرس الأخلاق ، طويل الإطراق ، وكان إذا ذكر له الشيعة
غضب وأربد وجهه وزوى من حاجبيه ، فقلت له يوماً : يرحمك الله ، ما الذي
تكرمه من الشيعة ، فإني رأيتك إذا ذكروا غضبت وقبضت ؟ قال : ما أكره
منهم إلا هذه الشين في أول أسمهم ، فإني لم أجدها قط إلا في كل شر وشوم
وشيطان وشغب وشقاء وشناو وشرر وشين وشوك وشكوى وشهوة وشتم وشع .
قال أبو عثمان : فما ثبت للشيعة بعدها قائمة .

باب من كلام المتكلمين

- دخل الموبذ على هشام بن الحكم ، والموبذ هو عالم الفرس ، فقال له : ياهشام ،
حول الدنيا شيء ؟ قال : لا . قال : فإن أخرجت يدى ثم شيء يردّها ؟ قال
هشام : ليس ثم شيء يردّها ولا شيء تُخرج يدك فيه . قال : فكيف أعلم هذا ؟
قال له : ياموبذ ، أنا وأنت على طرف الدنيا ، فقلت لك : ياموبذ ، إنى لا أرى
شيئاً . فقلت لى : ولم لا ترى ؟ فقلت ليس ها هنا ظلام بمعنى . فقلت لى أنت :
ياهشام ، إنى لا أرى شيئاً . فقلت لك : ولم لا ترى ؟ قلت : ليس ضياء أنظر به .
فهل تكافأت الملتان في التناقض ؟ قال : نعم . قال : فإذا تكافأتا في التناقض
لم تتكافأ في الإبطال أن ليس شيء ؟ فأشار الموبذ بيده أن أصبت .
قال رجل لبعض ولاة بنى العباس : أنا أجعل هشام بن الحكم ^(١) أن يقول
في على رضى الله عنه إنه ظالم ؛ فقال : إن فعلت ذلك فلك كذا وكذا . ثم أحضر

(١) في بعض الأصول : هشام بن عبد الحكم ، وهو تحريف .

هشام ، فقال له : نشدتك الله أبا محمد ، أما تعلم أن علياً نازع العباس عند أبي بكر ؟ قال : نعم . قال : فمن الظالمُ منهما ؟ فكرِه أن يقول العباس ، فَبُواقِع سخط الخليفة ، أو يقول عليٌّ ؛ فبنقص أصله ، فقال : ما منهما ظالم ؟ قال : فكيف يتنازع اثنان في شيء لا يكون أحدهما ظالماً ؟ قال : قد تنازع الملكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ، ولكن ليُنَبِّها داود على الخطيئة ، وكذلك هذان أرادا تنبيه أبي بكر من خطيئته ، فأسكت الرجل ، وأمر الخليفة لهشام بصلة عظيمة .

دخل إبراهيم التَّظَّام على أبي الهذيل العلاف ، وقد أسنَّ وبُعِدَ عهدُه بالمناظرة ، وإبراهيم حدَّث السن . فقال : أخبرني عن قراركم : أن يكون جوهرًا مخافة أن يكون جسمًا ؛ فهل قررتم ألا يكون جوهرًا مخافة أن يكون عَرَضًا ، والعرض أضعف من الجوهر ؟ فبصق أبو الهذيل في وجهه . فقال له إبراهيم : قبحك الله من شيخ ، ما أضعف صحتك وأسفه حيلك .

قال : لقي جَهْمُ رجلا من اليونانيين ؛ فقال له : هل لك أن تكلمني وأكلبك عن معبودك هذا ، رأيته قط ؟ قال : لا ؛ قال : فليستَه ؟ قال : لا ؛ قال : فذقته ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحسٍّ من حواسِّك الخمس وإنما عقلُك معبَّر عنها فلا يدرك إلا ما أوصلت إليه من جميع المعلومات ؟ قال : فتلجلج جهم ساعة ، ثم استدرك فعكس المسألة عليه فقال له : ما تُقرُّ أن لك روحا ؟ قال : نعم ؛ قال : فهل رأيته أو ذقته أو سمعته أو شمته أو لمسته ؟ قال : لا ؛ قال : فكيف علمت أن لك روحا ؟ فأقر له اليوناني .

باب في الحياء

٢٠

قال النبي صلى الله عليه وسلم : الحياء خير كله . الحياء شعبة من الإيمان . وقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى يحب المحي الحليم المتعفف ، ويكره البذيء . السَّئَالُ الملهف .

وقال عَوْن بن عبد الله : الحياء والحلم والصمت من الإيمان .

وقال ابن عمر : الحياء والإيمان مقرونان جميعا . فإذا رفع أحدهما ارتفع الآخر معه .

وقال : مكتوب في التوراة : إذا لم تستح فاصنع ما تشاء . وقال : أحيوا الحياء بمجالسة من يُستَحْيَا منه .

- وذكر أعرابي رجلا حيا فقال : لاتراه الدهر إلا كأنه لاغنى به عنك ، وإن كنت إليه أحوج ، وإن أذنبت غفر وكأنه المذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأنه المسيء .

للبلى الأخيلية :

فتى هو أحياء من فتاة حية ، وأصبح من آيث يخفان خادر

- ولابن قيس أيضا :

تخالهم للحلم ضما عن الحنا ، وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر

ومرضى إذا لوفوا حياء وعفّة ، وعند الحفاظ كالليوث الخوادر

وقال الشعبي : تعاشر الناس فيما بينهم زمانا بالدين والتقوى ، ثم رُفِعَ ذلك فتعاشروا بالحياء والتزمت ، ثم رُفِعَ ذلك ، فسا يتعاشر الناس إلا بالرغبة والرهبة . وسيجي ما هو شر من ذلك .

-

وقيل : الحياء يزيد في النبيل .

ولبعضهم :

فلا وأيسك ما في العيش خير ، ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وقال آخر :

-

إذا رُزِقَ الفقى وجهاً وقاحا ، تقلّب في الأمور كما يشاء

ولم يك للدواء ولا لشيء ، تعالجه به فيه غناء

وربّ قبيحة ما حال بينى ، وبين رُكوبها إلا الحياء

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : قرنت الهيبة بالحيّة ، والحياء بالحرمان .

وقد قيل :

ارفع حياءك فيما جنت طالبه • إن الحياء مع الحرمان مقرون
وفي المثل : كثرة الحياء من التخنث .

قال الحسن : من استتر بالحياء لبس الجهل سرباله ، فقطعوا سراويل الحياء ،
فإنه من رقى وجهه رقى عليه .

وصف رجل الحياء عند الاحتف فقال : إن الحياء ليتم لمقدار من المقادير ،
فما زاد على ذلك قسمه بما أحببت .

وقال بعضهم :

إن الحياء مع الحرمان مقترن • كذا قال أمير المؤمنين علي
واعلم بأن من التخنث أكثره • فارضه في طلب الحاجات والأمل

وللتناج :

أجامل أقواماً حياء وقد أرى • صدورهم يادٍ على مراضها
ولابن أبي حازم :

وإني لئن نبني عن الجهل والحناء • وعن شتم ذي القرى خلّاق أربع :
حياء ، وإسلام ، وتقوى ، وأتقى • كريم ومثلى قد يضر وينفع

وقال آخر :

إذا حُرم المرء الحياء فإنه • بكل قبيح كان منه جدير
له قِحة في كل أمر وسره • مُباح وجدواه جفاً وغرور
يرى التَّشتم مدحاً والدناءة رِفعة • ولسمع منه في العِظات تُفور
فرج الفتي مادام حيّاً فإنه • إلى خير حالات التَّئيب يصير

باب جامع الآداب

آداب الله لنبية صلى الله عليه وسلم

قال أبو عمر أحمد بن محمد : أول ما بدأ به : أدب النبي صلى الله عليه وسلم ،
ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لآفته ، ثم الحكماء والعلماء .

- وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها ، فقال له : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولةً
إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ فناه عن التقير كما ناه
عن التبذير ، وأمر بتوسط الحالين : كما قال عز وجل : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .

وقد جمع الله تبارك وتعالى لنبية صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كتابه
المحكم ، ونظم له مكارم الأخلاق كلها في ثلاث كلمات ، فقال : ﴿ خذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ في أخذه العفو صلة من قطعه ، والصنع
عمن ظله ؛ وفي الأمر بالمعروف تقوى الله ، وغض الطرف عن المحارم ، وصون
اللسان عن الكذب . وفي الإعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن إمارة السفه
ومنازعة اللجوج .

- ثم أمره تبارك وتعالى فيما أدبه ، باللين في عريكته ، والرفق بأمنه ، فقال :
﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَإِنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وقال تبارك وتعالى : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
أَدْفَعِ بِالْأَيْمَنِ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وما يلقاها
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ .

- فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب ، قال الله تبارك وتعالى :
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

باب آداب النبي صلى الله عليه وسلم لأُمَّته

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أَدَّبَ به أُمَّته وَحَفَّظَهَا عليه من مكارم الأخلاق وجَمِيلِ المعاشرة وإِصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ وَصلةِ الأَرْحَامِ : أَوْصَانِي رَبِّي بِتَسْعٍ وَأَنَا أَوْصِيكُمْ بِهَا ، أَوْصَانِي بِالْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالنَّضْبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغَنَى وَالْفَقْرِ ، وَأَنْ أَغْفَرَ عَنِّي ظُلْمِي ، وَأَعْطَى مَنْ حَرَمَنِي ، وَأَصِيلَ مَنْ قَطَعَنِي ، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْرًا ، وَنُطْقِي ذِكْرًا ، وَنَظَرِي عِبْرًا .
وقد قال صلى الله عليه وسلم : نَهَيْتُكُمْ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَإِخَافَةِ الْمَسَالِ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : لَا تَقْعُدُوا عَلَى ظُهُورِ الطَّرِيقِ ، فَإِنْ أُيِّنْتُمْ فَتَضَوْا الْأَبْصَارَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَهْدُوا الضَّالَّ ، وَأَعِينُوا الضَّعِيفَ .
وقال صلى الله عليه وسلم : أَوْكُرُوا السَّقَاءَ ، وَأَكْفِرُوا الْإِنَاءَ ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَطْفِئُوا الْمَصْبَاحَ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ غُلْفًا وَلَا يَحْمِلُ وِكَا . وَلَا يَكْشِفُ الْإِنَاءَ .

وقال صلى الله عليه وسلم : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ ، وَمَتَعَ رَفْعَهُ ، وَجَلَدَ عَبْدَهُ .
ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : مَنْ يُبْغِضُ النَّاسَ وَيُبْغِضُونَهُ .
وقال : حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا الْبَلَاءَ بِاللِّدَاءِ .

وقال : مَا قُلٌّ وَكَئِنْ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى .
وقال : الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَيَسْعَى بِذَنبِهِمْ أَذْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ .

وقال : الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

وقال : لا تجنَّ يمينك على شمالك . ولا يُلْدَغُ المؤمن من جُحر مرتين .

وقال : المرء كثيرٌ بأخيه .

وقال آفصلوا بين حديثكم بالاستغفار ، وآستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .

وقال : أفضل الأصحاب من إذا ذَكَرْتَ أعانَكَ ، وإذا نَسِيتَ ذَكَرَكَ .

وقال : لا يُؤْمُ ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس على تكرمته إلا ياذنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول ابن آدم : مالى مالى وإِنما له من ماله ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو وهبَ فأَمْضى .

وقال : ستحرصون على الإمارة ، فتُعَمَّتِ المرَضعة ويُسْتِ الفاطمة .

وقال : لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان .

وقال : لو تكاشفتُم ما تدافعتُم ، وما هلك امرؤُ عرف قدره .

وقال : الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة . والناس كلُّهم سواهُ كَأَسنان المشط .

وقال : رَحِمَ الله عبداً قال خيراً ففَنِمَ ، أو سَكَتَ فسَلِمَ .

وقال : خير المال سِكَّةٌ مأبورة ، ومُهمرة مأمورة . وخير المال عينٌ ساهرة لعين نائمة .

وقال في إناث الخيل : بطونها كز ، وظهورها حرز .

وقال : ما أُمْلَقَ تاجرٌ صدوق ، وما أَقْفَرَ بيتٌ فيه خلٌّ .

وقال : قِيدُوا العلم بالكتابة .

وقال : زُرْعِيًّا تَزْدُ حُبًّا .

وقال : عَلَّقَ سوطك حيث يَراه أَهلك .

باب في آداب الحكماء والعلماء

منه في فضيلة الأدب

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طيبة ، وأنفسها
 قيمة ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويُفِيدُ الرَّغَائِبَ الجَلِيلَةَ ، ويُعِزُّ بلا عَشِيرَةٍ ،
 ٥ وَيُكَثِّرُ الْأَنْصَارَ بِغَيْرِ رِزْيَةٍ ؛ فَالْبَسُوهُ حُلَّةً ، وَتَرَبَّيْنُوهُ حَلِيةً ؛ يُؤْنِسْكُمْ فِي الْوَحْشَةِ ،
 وَيَجْمَعُ لَكُمْ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ .

ومن كلام علي عليه السلام ، فيما يروى عنه أنه قال : من حُلِمَ ساد ، ومن
 ساد استفاد ، ومن استعيا حُرِمَ ، ومن هاب خاب ، ومن طلب الرياسة صَبَرَ على
 السياسة ، ومن أبصر عيب نفسه تَعَمَّى عن عيب غيره ، ومن سَلَّ سَيْفُ الْبَغْيِ
 ١٠ قَتَلَ بِهِ ، ومن آخَضَرَ لِأَخِيهِ بَرًّا وَقَعَ فِيهَا ، ومن تَبَيَّنَتْ زَلَّتُهُ اسْتَعْظَمَ زَلَّةَ غَيْرِهِ ،
 ومن هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ أَتَهَنَكَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ ، ومن كَابَرَ فِي الْأُمُورِ عَطِبَ ،
 ومن أَتَقَحَّمَ اللَّجَجَ غَرِقَ ، ومن أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ ، ومن آسَنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ ، ومن
 تَجَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ ، ومن تَعَمَّقَ فِي الْعَمَلِ مَلَّ ، ومن صَاحَبَ الْأَنْدَالَ حُقِرَ ،
 ومن جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَفَرَ ، ومن دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ أَتَمَّ ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ
 ١٥ سَهَّلَتْ لَهُ طَارِقُهُ ، ومن حَسَّنَ كَلَامَهُ كَانَتْ الْهَيْبَةُ أَمَامَهُ ، ومن خَبَى اللهُ فَازَ ،
 ومن اسْتَفَادَ الْجَهْلُ تَرَكَ طَرِيقَ الْعَدْلِ ، ومن عَرَفَ أَجَلَ قَصْرِ أَمَلِهِ ، ثُمَّ
 أَنْشَأَ يَقُولُ :

إِلْبَسْ أَغَاثَكَ عَلَى عُبُوبِهِ • وَاسْتَرْ وَغْطٌ عَلَى ذُنُوبِهِ
 وَاصْبِرْ عَلَى بَهْتِ السَّفِيهِ وَالزَّمَانِ عَلَى خُطُوبِهِ
 ٢٠ وَدَعْ الْجَوَابَ تَقْضًى • وَكِلِ الْظُلُومَ إِلَى حَسِيهِ

وقال شبيب بن شيبَة : اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل ، ودليل على المروءة ،
 وصاحب في الأُزْبَةِ ، ومونس في الوحشة ، وحلية في المجلس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .
 وقال عبد الملك بن مروان لبيه : عليكم بطلب الأدب ؛ فإنكم إن احْتَمَمْتُمْ
 لبيد الملك
 ينفع بيه

- إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .
- لبعض الحكماء وقال بعض الحكماء : اعلم أن جأها بالمال إنما يصحبك ما يحبك المال ، وجأها بالأدب غير زائل عنك .
- لابن المقفع وقال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمالٍ أو لسلطانٍ فلا يُعجبك ذلك : فإن الكرامة تزول بزوالهما ، ولكن يُعجبك إذا أكرموك لدينٍ أو أدب .
- للأحنف وقال الأحنف بن قيس : رأس الأدب المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ولا في مالٍ إلا بجد ، ولا في صديقٍ إلا بوفاء ، ولا في فقيهٍ إلا بورع ؛ ولا في صديقٍ إلا بنية .
- وقال مصقلة الزبيري : " لا يستغنى الأديب عن ثلاثة وآتين : فأما الثلاثة : فالبلاغة والفصاحة وحسن العبارة . وأما الاثنان فالعلم بالآثر والحفظ للخير .
- لبعضهم وقالوا : الحسب محتاجٌ إلى الأدب ، والمعرفة محتاجةٌ إلى التجربة .
- لبرزجهم وقال برزجهم : ما ورث الآباء الأبناء شيئا خيرا من الأدب لأنَّ بالأدب يسكبون المال وبالجهل يتلفونه .
- لنصف بن عباد وقال الفضيل بن عياض : رأسُ الأدب معرفة الرجل قدره .
- وقالوا : حُسن الخلق خير قرين ، والأدب خير ميراث ، والتوفيق خير قائد .
- لسفيان الثوري وقال سفيان الثوري : من عرف نفسه لم يعرفه الناس فيه .
- أنوشروان والمويد وقال أنوشروان للمويد ، وهو العالم بالفارسية : ما كان أفضل الأشياء ؟ قال الطبيعة النقية تكتفي من الأدب بالراحة ، ومن العلم بالإشارة ؛ وكما يموت البذر في السباح ، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة . قال له : صدقت ، ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .
- لأردشير وقيل لأردشير : الأدب أغلبُ أم الطبيعة ؟ فقال : الأدب زيادةٌ في العقل

ومُنْتَبَهٌ للرأى ، ومُكْتَسَبَةٌ للصواب ؛ والطبيعة أُمْلَكُ ، لأنَّ بها الاعتقاد ونماء
الفراشة وتتمام الغذاء .

وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أغوّن للعقل بعد الطبيعة المولودة ؟ قال :
لبعض الحكماء أدبٌ مكتسبٌ .

٥ وقالوا : الأدب أدبان : أدبُ الغريزة ، وهو الأصل ؛ وأدبُ الرواية ، وهو
الفرع . ولا ينفرع شيء إلا عن أصله ، ولا ينمى الأصل إلا باتصال المادة .

وقال الشاعر :
لبعض الشعراء

ولم أرَ فرعاً طال إلا بأصله • ولم أرَ بدنه العلم إلا تملأ

وقال حبيب :
لحبيب

١٠ وما السيفُ إلا زُبُرَةٌ لو تركته • على الحالة^(١) الأولى لمّا كان يقطع

وقال آخر :

ما وهب الله لِإِمْرَأٍ هِبَةً • أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هَما حَيَاةُ النَّفْسِ فَإِنْ قُتِلَا • فَإِنْ قَدَّ الْحَيَاةُ أَحْسَنُ بِهِ

وقال ابن عباس : كفّاك من عِلْمِ الدين أنْ تُعرِفَ ما لا يَسْمَعُ جَهْلُهُ ، وكفّاك
١٥ من عِلْمِ الأدب أنْ تُروى الشاهد والمثال .

قال ابن قتيبة : إذا أردت أن تكون أديباً فتغنّ في العلوم .

وقالت الحكماء : إذا كان الرجل طاهر الآثواب ، كثير الآداب ، حسن
المذهب ؛ تأدّب بأدبه وصلح لصلاحه جميع أهله وولده .

قال الشاعر :

٢٠ رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصلِحُ أهله • ويُفسِدُهُمْ رَبُّ الفسادِ إذا فسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِفَضْلِ صَلَاحِهِ • ويُحْفَظُ بِدُمُوتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ

وسئل ديوجانس : أى الخصال أحمَدُ عاقبة ؟ قال : الإيمان بالله عز وجل .

(١) في بعض الأصول : « الحقيقة » .

وبرُّ الوالدين ، ومحبة العلماء ، وقبول الأدب .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لا أدب له لا عقل له .
وقالوا : الأدب يزيد العاقل فضلا ونباهة ، ويُفيدة رقة وظرفا .

فني صلى الله
عليه وسلم

وفي رقة الأدب

قال أبو بكر بن أبي شيبة : قيل للعباس بن عبد المطلب ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو أكبر مني وأنا أسنُّ منه .

العباس

وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر ؟ أنت أم الربيع بن خثيم ؟ قال أنا أكبر منه . سنا وهو أكبر مني عقلا .

أبو وائل
وابن خثيم

وقال أبان بن عثمان لطويس المُنَفَّى : أنا أكبر أم أنت ؟ قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! لقد شهدت رِفاف أهلك المباركة .

أبان وطويس

وقيل لعمر بن ذر : كيف بُرِّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهراً قط إلا مشى خلقي ، ولا ليل إلا مشى أُمّاي ولا رَقِيَّ عِلِّيَّةً وأنا تحته .

لأبن ذر في ابنه

ومن حديث عائشة ، قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجَلُّ أحداً تَجِلُّهَ لعمه العباس .

الرسول صلى الله
عليه وسلم
والعباس

وكان عمر وعثمان إذا لقيا العباس تَزَلَّا إعظاماً له إذا كانا راكبين .

الرياشي عن الأصمعي قال : قال هارون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أهدأ من ذلك .

الرشيد
وعبد الملك
ابن صالح

وقد تقدم هذا الخبر في الخبر الذي فيه مخاطبة الملوك ، وكذلك قول المجاج للشعي : كم عطاءك .

ومن قولنا في رقة الأدب :

لابن عبد ربه

أدبٌ كمثل الماء لو أفرغته • يوماً لسال كما يسيل الماء

أحمد بن أبي طاهر قال : قلت لعل بن يحيى : ما رأيت أكل أدبا منك !

من أدب على
ابن يحيى

(١) في أكثر الأصول : خثيم ، وهو تحريف .

قال : كيف لو رأيت إسماعق بن إبراهيم ! فقلت ذلك لإسماعق بن إبراهيم ، فقال :
كيف لو رأيت إبراهيم بن المهدي ! فقلت ذلك لإبراهيم ، فقال : كيف لو رأيت
جعفر بن يحيى .

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : قال لي رجاء بن حيوة : ما رأيت
أكرم أدباً ، ولا أكرم عشرة من أهلك ؛ سمعت عنده ليلة ، فبينما نحن كذلك
إذ عشى المصباح ونام الغلام . فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عشى المصباح ونام
الغلام ، فلو أذنت لي أصلحته ! فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم
ضيقه ، ثم حط رداءه عن منكبيه ، وقام إلى الدابة فصب من الزيت في
المصباح ، وأخضع الفتيلة ، ثم رجع . وأخذ رداءه وقال : قمت وأنا عمر ورجعت
وأنا عمر .

العتبي عن أبيه قال : صوت رجل عند عمر بن الخطاب في المسجد . فلما
كانت الصلاة قال عمر : عزمت على صاحب الصوت إلا قام فترضاً . فلم يقم
أحد ، فقال جرير بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، اعزم علينا كئناً أن نقوم
فتروضاً قال : صدقت ! ولا عليك إلا سيديا في الجاهلية ، فقيماً في الإسلام ،
قوموا فترضوا .

الرياشي عن الأصمعي قال : حدثني عثمان الشحام ، قال : قلت للحسن :
يا أبا سعيد . قال : لييك . قلت : أقول لي لييك ؟ قال : إني أقولها لحادمي .

وقال الشاعر :

يا حبذا حين تسمى الريح باردة * وادى أثنى وفتيان به هضم
تخدمون ، كراماً في مجالسهم * وفي الرجال إذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم * إلا يزيدكم حباً إلى هم

الادب في الحديث والاستماع

وقالت الحكمة : رأس الادب كله حسن التفهم والتفهيم ، والإصغاء للتكلم .

من رة . عمر بن
عبد العزيز

عمر بن الخطاب
ورجل أحدث
صوتاً في المسجد

لبعض الشعراء

الحكمة

الشعبي في يوم وذكر الشعبي قوماً فقال : ما رأيت مثلهم أسدّ تناوباً في مجلس ، ولا أحسن فهماً من محدث .

وله في عبد الملك وقال الشعبي فيما يصف به عبد الملك بن مروان : والله ما علمته إلا أخذاً بثلاث ، تاركاً لثلاث : أخذاً بحسن الحديث إذا حدث ، وبحسن الاستماع إذا حدث ، وبأسر المؤونة إذا حوّل ؛ تاركاً لمجاوبة اللئيم ، وممارة السفه ، ومنازعة اللجوج .

لبعض الحكماء يوصي ابنه وقال بعض الحكماء لابنه : يا بني ، تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الحديث ؛ ولعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول ؛ فأحذر أن تُسرّع في القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل أقرب منك إلى قول ما لم تفعل .

لبحرهم قالوا : من حُسن الأدب ألا تغالب أحداً على كلامه ، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، وإذا حدث بحدث فلا تُنازعه إياه ، ولا تقحم عليه فيه ، ولا تُره أنك تعلمه ، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حججك لحسن مخرج ذلك عليه ولا تُظهر الظفر به ، وتعلم حُسن الاستماع ، كما تعلم حسن الكلام .

لحسن البصري وقال الحسن البصري : حدثوا الناس ما أقبلوا عليكم بوجوهكم . وقال أبو عبيد الكاتب : إذا أنكر المتكلم عين ^(١) السامع فليساأله عن مقاطع حديثه ، والسبب التي أجرى ذلك له ؛ فإب وجده يقف على الحق أتم له الحديث ، وإلا قطعته عنه وحرّمه مؤانسته ، وعرفه ما في سوء الاستماع من الفسولة والحرمان للفائدة .

الآداب في المجالسة

ومن حديث أبي بكر بن أبي شيبة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يقيم الرجل للرجل عن مجلسه ولكن ليوسّع له .

(١) في بعض الأصول : : مخز . .

وكان عبد الله بن عمر إذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه . وقال :
 لا يقم أحد عن مجلسه ؛ ولكن أفسحوا يَفْسَحَ اللهُ لَكُمْ .

أبو أمامة قال : خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا إليه ؛ فقال :
 لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمتها . فما قام إليه أحد منا بعد ذلك .

٥ ومن حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن خرجتُ عليكم
 وأنتم جلوس فلا يقوم أحد منكم في وجهي ؛ وإن قمت فكا أنتم ، وإن جلست
 فكا أنتم . فإن ذلك كُحِلَّ من أخلاق المشركين .

وقال صلى الله عليه وسلم : الرجل أحق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر
 فراشه . ومن قام عن مجلسه ورجع إليه فهو أحق به .

١٠ وقال صلى الله عليه وسلم : إذا جلس إليك أحدٌ فلا تقم حتى تستأذنه .

وجلس رجل إلى الحسن بن عليٍّ - عليهما الرضوان - فقال له : إنك جلست
 إلينا ونحن نريد القيام ، أفتأذن ؟

وقال سعيد بن العاص : مامدتُ رجلي فُط بين يدي جليس ، ولا قُتُ عن
 مجلسي حتى يقوم .

١٥ وقال إبراهيم النخعي : إذا دخل أحدكم بيتاً فليجلس حيث أجلسه أهله .

وطرح أبو قلابة لرجل جلس إليه وسادة فردّها ، فقال : أما سمعتَ الحديث :
 لا تردّ على أخيك كرامته .

وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : لا يأبى الكرامة إلا حمار .

وقال سعيد بن العاص : لجليسي عليٌّ ثلاث : إذا دنا رجبتُ به ، وإذا جلس
 وسّعتُ له ، وإذا حدث أقبلتُ عليه .

وقال : إني لأكره ^(١) أن يمر الذباب بجليسي مخافة أن يؤذيه .

المهيم بن عدي عن عامر الشعبي قال : دخل الأحنف بن قيس على معاوية ؛
 معاوية والأحنف

فأشار إليه إلى وسادة ، فلم يجلس عليها ؛ فقال له : مامتك يا أحنف أن تجلس على الوسادة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فيا أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال : لا تَسْعَ للسلطان حتى يَمَكَّ ولا تقطعه حتى يَنسأك ، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة ، وأجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين .

وقال الحسن : بمجاسة الرجل من غير أن يُسأل عن اسمه وأسم أبيه ، ٥
بجالبية النوكي .

ولذلك قال شبيب بن شيبه لأبي جعفر ، ولقبه في الطواف وهو لا يعرفه ، فأعجبه حسن هيئته وسمته : أصلحك الله ، إني أحب المعرفة ، وأجلك عن المسألة . فقال : أنا فلان بن فلان .

قال زياد : ما أتيت مجلساً قط إلا تركت منه ما لو جلست فيه لكان لي ، ١٠
وترك مالي أحب إلي من أخذ مالي .

وقال : إياك وصدور المجالس وإن صدرتك صاحبها ؛ فإنها مجالس قُلعة .
وقال الشعبي : لأن أدعى من بُعِدَ إلى قُرب أحب إلي من أن أقصَى من قُرب إلى بُعد .

وذكروا أنه كان يوما أبو السمراء عند عبد الله بن طاهر ، وعنده إسحاق ١٥
ابن إبراهيم ، فاستدنى عبد الله إسحاق فتناجاء بشيء ، وطالت التجري بينهما . . .
قال : فاعتزني حيرة فيما بين القعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما وتنحى إسحاق إلى موقفه ، ونظر عبد الله إلى . فقال : يا أبا السمراء :

إذنا النجيان سرّا عتاك أمرهما . فانزع بسمعك تجهل ما يقولان

ولا تحمّلهما ثقلا لحوفهما . على تناجيهما بالمجلس الداني ٢٠
فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدبا ، ترك مطالبتي في هفوتي بحق الأمراء ،
وأذيتي أدب النظراء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما أحكم امرأة أخيه ، فإذا رأى عليه أذى

فَلْيُطِطْهُ عَنْهُ ، وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيَقُلْ : لَا بَيْكَ السُّوءُ ، وَصَرَفَ
اللهُ عَنْكَ السُّوءَ .

لبيهم

وَقَالُوا : إِذَا اجْتَمَعَتْ حُرْمَتَانِ أَسْقَطَتِ الصَّغْرَى الْكِبْرَى .

للدهاب

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ : الْعَيْشُ كُلُّهُ فِي الْجَلِيسِ الْمُنْعَى .

الأدب في الماشاة

٥

هشام بن ابنه
وان أخيه

وَجْهَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَهُ عَلَى الصَّائِفَةِ ، وَوَجْهَ مَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ ، وَأَوْصَى
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ لِابْنِ أَخِيهِ : كَيْفَ رَأَيْتَ ابْنَ عَمِّكَ ؟
فَقَالَ : إِنْ شِئْتُ أَجَلْتُ وَإِنْ شِئْتُ قَسَرْتُ . قَالَ : بَلْ أَجِئْتُ . قَالَ : عَرَضْتُ يَنِينَا
جَادَةً فَتَرَكْهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لِصَاحِبِهِ ، فَمَا رَكِبْنَاهَا حَتَّى رَجَعْنَا إِلَيْكَ .

الأمير والابن
الأسلم

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : مَاشَيْتُ الْمَأْمُونُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي بَسْتَانٍ مَوْسُئَةٍ بَنَتْ
الْمَاهِدِيُّ ، فَكُنْتُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتَرُهُ مِنَ الشَّمْسِ فَلَمَّا أَتَيْتُ إِلَى آخِرِهِ وَأَرَادَ
الرَّجُوعَ . أَرَدْتُ أَنْ أَدُورَ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي يَسْتَرُهُ مِنَ الشَّمْسِ ، فَقَالَ : لَا تَفْعَلْ ،
وَلَكِنْ كُنْ بِمَجَالِكَ حَتَّى أَسْتَرُكَ كَمَا سَتَرْتَنِي ! فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ قَدَرْتُ أَنْ
أَقِيكَ حَرًّا لَبَارِ لَفَعَلْتُ ، فَكَيْفَ الشَّمْسُ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِنْ كَرَمِ الصُّحْبَةِ .
وَمَشَى سَارًّا لِي مِنَ الشَّمْسِ كَمَا سَتَرْتُهُ .

١٥

ابن ذر وولده

وَقِيلَ لِعَمْرِ بْنِ دَزَّ : كَيْفَ بَرُّ ابْنِكَ بِكَ ؟ قَالَ : مَاشَيْتُ نَهَارًا قَطُّ إِلَّا مَشَى
خَلْفِي ، وَلَا لَيْلًا إِلَّا مَشَى أَمَامِي ، وَلَا رَقِي سَطْحًا وَأَنَا تَحْتَهُ .

لزياد في حارثة

وَقِيلَ لَزِيَادَ : إِنَّكَ تَسْتَخْلَصُ حَارِثَةَ بْنَ زَيْدٍ وَهُوَ يَوَاقِعُ الشَّرَابَ . فَقَالَ :
وَكَيْفَ لَا أَسْتَخْلَصُهُ وَمَا سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُ عَنْدهُ مِنْهُ عِلْمًا ،
وَلَا أَسْتَوْدَعُهُ . تَرَا قَطُّ نَصِيَّعَهُ ، وَلَا رَاكِبِي قَطُّ فَسَّتْ رَكْبَتِي رَكْبَتُهُ .

٢٠

يزيد الهادي وابن
يزيد في سفر

مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ مَوْسَى الْهَادِي
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جُرْجَانَ ، فَقَالَ لِي : إِمَّا أَنْ تَحْمِلَنِي وَإِمَّا أَنْ أَحْمِلَكَ ، فَفَعَلْتُ
مَا أَرَادَ ، فَأَنْشَدَنِي أَيْتَابُ بْنُ صِرْمَةَ :

أَوْصِيكُمْ بِاللَّهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ . وَأَحْسَبُكُمْ وَالْبِرَّ بِاللَّهِ أَوَّلَ

وإن قومكم سادوا فلا تحسدهم * وإن كنتم أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتم أعرستم فتعففوا * وإن كان فضل المال فيكم فافضلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم * فأفسمكم دون العشرة فاجعلوا
وإن طلبوا عرفا فلا تحرموهم * وما حملكم في المليات فاحملوا
قال : فأمر لي بعشرين ألف درهم .

وقيل إن سعيد بن سلم راكب موسى الهادي والحربة يد عبد الله بن مالك ،
وكانت الريح تسيئ التراب ، وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف أن يسير
على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ، فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد
ابن سلم فقال : أما ترى ما تلقى من هذا الخائن ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصر
في الاجتهاد ، ولكن حرم التوفيق .

بين الهادي وابن
سلم وعبد الله
ابن مالك

باب السلام والإذن

قال النبي صلى الله عليه وسلم : أطيّبوا الكلام ، وأفشوا السلام ، وأطعموا
الأيّام ، وصلّوا بالليل والناس نيام .

النبي صلى الله
عليه وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم : إن أبجل الناس الذي يبخل بالسلام .

وأى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عليك السلام يا رسول الله .
فقال : لا تقل : عليك السلام ؛ فإنها تحية الموتى ، وقل : السلام عليك .

وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز : خرج عمر في يوم عيد وعليه قميص
كثبان وعباءة على قلنسوة لاطئة ، فقامت إليه وسّدت عليه ، فقال : مه ، أنا
واحد وأنتم جماعة : السلام على والرّد عليك . ثم سلم وردّنا عليه ، ومشى فشيننا
معه إلى المسجد .

عمر بن عبد العزيز
وجماعة سلّوا
عليه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يُسَلِّم الماشي على القاعد ، والراكب على
الراجل ، والكبير على الصغير .

ودخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أبى يُقرئك السلام .

فقال : عليك وعلى أهلك السلام .

إبراهيم عن ^(١) الأسود قال : قال عبد الله بن مسعود : إذا لقيتَ عمرَ فاقراً ابن مسعود
وابن الخطاب
والأسود عليه السلام . قال : فلقيتَه فاقراًهُ السلام ، فقال : عليك وعليه السلام .

دخل ميمون بن مهران على سليمان بن هشام وهو والى الجزيرة ، فقال : سلام عليكم . فقال له سليمان : مامعك أن تسلم بالإنثرة ؟ فقال : إنما يُسَلَّم
على والى بالإنثرة إذا كان عنده الناس .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : كان الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران يكرهون الحسن وإبراهيم
وابن مهران أن يقول الرجل ، حياك الله . حتى يقول السلام .

وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليس فيه أحد ، وسئل
قال : يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

ومر رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول ، فسلم عليه ، فلم يرده النبي وسلم عليه
عليه السلام .

وقال رجل لعائشة : كيف أصبحت ؟ قالت : بنعمة من الله .

وقال رجل لشرج : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت طويلاً أملى ، قصيراً
أجلى ، سيئاً عملي .

وقيل لسفيان الثوري : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت في دار حارّة بين سفيان وآخر
في مثله فيها الأدلاء .

واستأذن رجل من بني عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ، الرسول صلى الله
عليه وسلم ومبتأذن فقال : أليح ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحادمه : اخرج إلى هذا فعليه الاستئذان ،
وقل له يقول : السلام عليكم ، أدخل ؟

جابر بن عبد الله قال : استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا . قال : أنا أنا !

(١) في بعض الأصول : إبراهيم بن الأسود .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ؛ فإن أذن لك وإلا فارجع .
 وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الأولى إذن ، والثانية مؤامرة ،
 والثالثة عزيمة ؛ إما أن يأذنوا ، وإما أن يردّوا .

باب في تأديب الصغير

٥ قالت الحكماء : من أذب ولده صغيراً سرّ به كبيراً .
 وقالوا : أطيعُ الطين ما كان رطباً ، وأعمرُ العود ما كان لثاً .
 وقالوا : من أذب ولده غمّ حاسده .
 وقال ابن عباس : من لم يجلس في الصغر حيث يكره ، لم يجلس في الكبر
 حيث يُحبّ .

١٠ قال الشاعر :
 إذا المرء أعجبه المروءة ناشئاً * فطلبها كهلأ عليه شديد
 وقالوا : ما أشدّ ظلام الكبير ، وأعسرَ رياضة الهرم .
 قال الشاعر :

وتروضُ عِرْسَكَ بعد ما هَرَمْتَ * ومن القناء رياضةُ الهرمِ

١٥ كتب شرح إلى معلم ولده :

ترك الصلاة لا لكُب يسمى بها * يعني الهراش مع الفؤاة الرُّجيس
 فليأتينك غدوةً بصحيفة * كتبت له كصحيفة المتلّس
 فإذا أتاك فَعَضْه بسلامة * أو عِظْه موعظة الأديب الكيس
 فإذا هَمَمْتَ بضربه فيدرّة * وإذا بلغت ثلاثة لك فاحيس
 واعلم بأنك ما أتيتَ نفسك * مع ما يُجرّعنِي أعزُّ الأنفس

٢٠ لابن عبد القدوس وقال صالح بن عبد القدوس :

وانت من أدبته في الصبا * كالمود يُسقى الماء في غرسه

حتى تراه مُسورقاً ناضراً . بعد الذي أبصرت من يمينه
والشيخ لا يترك أخلاقه . حتى يوارى في ثرى رقبته
إذا ارعوى عاد له جهله . كذي الضئ عاد إلى نكبه
ما تبلغ الأعداء من جاهل . ما يبلغ الجاهل من نفسه .

- ٥ وقال عمرو بن عُتبة لمعلم ولده : ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك
لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسنُ عندهم ماصنعت ، والقيح عندهم
ما تركت ؛ عليهم كتاب الله ولا تُكرههم عليه فيملؤهُ^(١) ، ولا تركهم منه
فيجروه . رَوْم من الحديث أشرقه ، ومن الشعر أعفقه ، ولا تنقلهم من علم
إلى علم حتى يُحكوه ، فإن أزدحام الكلام في التلب مشنةٌ للفهم . وعليهم
١٠ سنن الحكماء ، وجنبهم عادات النساء ، ولا تشكل على عُذر منى لك ، فقد أتكتلت
على كفاية منك .

باب في حب الولد

- ١٥ أرسل معاوية إلى الأخنف بن قيس ، فقال : يا أبا بجر ، ما تقول في الولد ؟
قال : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن له أرض ذليلة ، وسماء ظلية ، فإن
طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحوك ودهم ، ويُحبوك جهنم ؛
ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويُحبوا وفاتك . فقال : فته أنت يا أخنف .
لقد دخلت على وإنى لملوء غضباً على يزيد ، فسلكه من قلبي .
فلما خرج الأخنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم
ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأخنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ،
٢٠ شاطره إياها^(٢) .

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لأمه الناس
وإن سالم

(١) في بعض الأصول : « ولا تلهم فيه فيتركوه » .

(٢) في بعض الأصول : « البعثة » .

فيه ، فقال :

يَلُمُونَنِي فِي سَالِمٍ وَأَلُومُهُمْ * وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ
وقال : إِنَّ ابْنِي سَالِمًا لِيُحِبَّ اللَّهُ حُبًّا لَوْ لَمْ يَخْفَهُ لَمْ يَمِصْهُ .

ابن الجهم وولده
الحديث أربعة : كان عبد الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .
وقال : تزوجت أم داود ، فسا كان عندنا شيء ألقه فيه ، حتى اشتريت له
كسوة بدائي .

زيد بن علي
يوصي ابنه
وقال زيد بن علي لأبيه : يا بني ، إن الله لم يرَ منك لي فأوصاك بي ، ورضيتني
لك فحذرنيك . واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحب إلى التفریط ، وخير
الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق .

في الحديث المرفوع : ربح الولد من ربح الجنة .
وفيه أيضاً : الأولاد من ربحان الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بُشِّرَ بفاطمة : ربحانة أُخْتُهَا وَرِزْقُهَا
على الله .

معاوية وابن
الساس وعائشة
بنت معاوية
ودخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال : من هذه ؟
فقال : هذه تُفَاحَةُ الْقَلْبِ ! فقال له : أنبذها عنك ، فوالله إنهن لَيَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ،
ويقرِّضْنَ الْبُغْدَاءَ ، ويورِثْنَ الضَّغَائِنَ . قال : لا تقل ذلك يا عمرو ، فوالله ما مَرَضَ
المرضى ، ولا تَدَبَّ الموتى ، ولا أَعَانَ عَلَى الْإِحْزَانِ مِثْلُهُنَّ . ورُبَّ ابْنِ أُخْتٍ
قَدْ تَفَعَّ خَالَه .

٢٠
لحطان
وقال حطَّان بن المعل الطائي :

لَوْلَا بَلَيَاتُ كَزَغِ الْقَطَا * حُطِطْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَّبٌ وَاسِعٌ * فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وإنما أولادنا يبننا * أكسباً ذُنَا نَمَشَى عَلَى الْأَرْضِ

لابن أبي بكر

وقال عبيد الله بن أبي بكر : مَوْتُ الْوَلَدِ صَدْعٌ فِي الْكَبِدِ ، لَا يَنْجِبُ
آخِرُ الْأَبَدِ .

عمر ورجل
يعمل طعلا

ونظر عمر بن الخطاب إلى رجل يحمل طفلا على عنقه ، فقال : مَا هَذَا مِنْكَ ؟
قال : ابْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قال : أَمَا إِنَّهُ إِنْ عَاشَ فَتَنَّاكَ ، وَإِنْ مَاتَ حَزَنَّاكَ .

لقاطمة وهي
ترقص الماسين

وكانت قاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تُرْقِصُ الْحُسَيْنَ بْنِ عَلِيٍّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَقُولُ :

وَأَبَايَ شَبَّهَ النَّبِيَّ * لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ

للزبير وهو
يرقص عروة

وكان الزبير يرقص عروة ويقول :

أَيْضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ * مُبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِّيقِ
* أَلَّهُ كَمَا أَلَّهُ رِيقُ *

١٠

لأعرابي وهو
يرقص ولده

وقال أعرابي وهو يُرْقِصُ وَلَدَهُ :

أُحِبُّهُ حُبَّ الشَّحِيجِ مَالَهُ * قَدْ كَانَ ذَاقَ الْفَقْرِ ثُمَّ نَالَهُ
* إِذَا يُرِيدُ بَذْلَهُ بَدَأَ لَهُ *

وقال آخر وهو يرقص ولده :

أَعْرِفُ مِنْهُ قَلَّةَ النُّعَاسِ * وَخَفَّةَ مِنْ رَأْسِهِ فِي رَامِسِ

١٥

وكان رجل من طيء يقطع الطريق ، فمات وترك بُنْيَا رَضِيْعًا ، فجعلت أمه
ترقصه وتقول :

يَالَيْتَهُ قَدْ قَطَعَ الطَّرِيقَا * وَلَمْ يَرِذْ فِي أَمْرِهِ رَفِيقَا
وَقَدْ أَخَافَ النَّجْمُ وَالْمُضَيِّقَا * قَهْلًا أَنْ كَانَ بِهِ شَفِيقَا

لعبد الملك
في الوليد

وقال عبد الملك : أَحْزَنَ بَنَا فِي الْوَلِيدِ حُبَّنَا لَهُ فَلَمْ تَوَدِّهِ ، وَكَأَنَّ الْوَلِيدَ أَدْبَنَا .

٢٠

وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم : مَا فَعَلَ وَصِيْفُكَ فَلَانٌ ؟ قال : مَاتَ
فَاسْتَرَحَ مِنَ الْكِتَابِ . قال : وَبَلَغَ مِنْكَ الْكِتَابُ هَذَا الْمَبْلَغَ . والله لَأَحْضَرْتَهُ
أَمْدًا . وَوَجَّهَهُ إِلَى الْبَادِيَةِ فَعَلِمَ الْفَصَاحَةَ ، وَكَانَ أَمِيًّا ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ مَارْدَةَ .

إبراهيم عليه
السلام وملك
الموت

وفي بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن كان من أغْيَر الناس، فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره، فقال له: من أدخلك داري؟ قال: الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، جئت إقبض روحك. قال: أتاكني أنت حتى أودع ابني إسماعيل؟ قال: نعم. فأرسل إلى إسماعيل. فلما أتاه أخبره، فتعلق إسماعيل بأبيه وجعل يتقطع عليه بكاء، فخرج عنهما ملك الموت. وقال: يارب، ذبيحك إسماعيل متعلق بخليك! فقال له الله: قل له إني قد أهلتك. ففعل، وانحل إسماعيل عن أبيه، ودخل إبراهيم بيتاً ينام فيه؛ فقبض ملك الموت روحه وهو نائم.

باب الاعتضاد بالولد

- ١٠ قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه إليه في الولد: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ . وقال: ﴿وَلَمَّا خَفَتْ الْمَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْبِّيْ وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رِضِيًّا﴾ . والموالى هاهنا: بنو العم.

١٥

وقال الشاعر:

لبس الشعراء

من كان ذا عضدٍ يُدركُ ظلامته • إنَّ الدليل الذي لَيْسَتْ له عضدُ
تَبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قُلَّ نَاصِرُهُ • وَيَأْتِي الضَّمِيمُ إِنْ أَتَى له عَدُوُّ

المنبي قال: لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخزفوه ولم يكن له ولد يحميه، أنشأ يقول:

لأبي براء

٢٠

دَفَعْتُكُمْ عَنِّي وَمَا دَفَعُ رَاحَةٍ • بَشَى إِذَا لَمْ تَسْتَعِنْ بِالْأَنَامِلِ
يُضْمَعْنِي حُلِي وَكَثْرَةُ جَهْلِكُمْ • عَلَيَّ وَأَنَّى لَا أَصُولُ بِجَاهِلِ

وقال آخر:

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كَلَابَ لَهُ • وَتَتَقَى سَوْرَةَ الْمُسْتَفِيرِ الْحَاضِي

باب في التجارب والتأديب بالزمان

قالت الحكماء : كفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة .
وقالوا : كفى بالدهر مؤذبا وبالعقل مُرشدًا .

وقال حبيب :

أحاولت إرشادي فعقلُ مُرشدِي • أيم استمتت تأديبي فدهري مُؤدِّي

وقال إبراهيم بن سَكَّة :
لأين سَكَّة

من لم يُؤدِّبه والده • أدَّبه الليل والنهار
كم قد أذَّلَا كريم قوم • ليس له منهما انتصار
من ذا يدُ الدهر لم تنله • أو اطمانت به الديار
كلُّ عن الحادثات مُغْنِص • وعنده للزمان نار

وقال آخر :

وما أثقت لك الأيام عذرا • وبالأيام يتعطَّ الليث

وقالوا : كفى بالدهر مُخْبِرا بما مضى عما بقى .

وقالوا : كفى مُخْبِرا لدوى الألباب ما جربوا .

وقالوا لعيسى ابن مريم عليهما السلام : مَنْ أدَّبَكَ ؟ قال : ما أدَّبَنِي أَحَدٌ : لعيسى عليه السلام
رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته .

باب في صحة الأيام بالموادعة

قالت الحكماء : اصحب الأيام بالموادعة ، ولا تسابق الدهر فتكبو .

وقال الشاعر :

مَنْ سابق الدهر كَبَا كَبَوَة • لم يَسْتَقِلْهَا من خطا الدهر

فاخطُ مع الدهر إذا ما خطا • وأجر مع الدهر كما يجرى

لبشار وقال بشار العقبلي :

أُغْذِلْ إِنْ الْعُسْرُ سَوْفَ يُفِيقُ * وَإِنْ يَسَارًا مِنْ عَدِيٍّ لَخَلِيقُ
وما كنتُ إِلَّا كالزَّمانِ إِذَا صَحَا * صَحُوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمانُ أَمَوْتُ

لبعض الشعراء . وقال آخر :

٥ نَحْمَقُ مَعَ الْحَقِّ إِذَا مَا لَقِيتَهُمْ * وَلَا فِهِمَ بِالْجَهْلِ فَعِلَ ذَوِي الْجَهْلِ
وَنَحْطُ إِذَا لَا قِيَتَ يَوْمًا نَحْطًا * يُخْطِطُ فِي قَوْلٍ صَحِيحٍ وَفِي هَزَلٍ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْقَى بِعَقْلِهِ * كَمَا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَسْعَدُ بِالْعَقْلِ

وقال الآخر :

إِنِ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ * أَلْحَقَتِ الْعَاجِزَ بِالْحَازِمِ

١٠ وقال الآخر :

وَالسَّبَبُ الْمَانِعُ حُطَّ الْعَاقِلِ * هُوَ الَّذِي سَبَّبَ حُطَّ الْجَاهِلِ
وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : تَطَامَنُ لَهَا تَخْطُكُ .
وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

تَطَامَنُ لِلزَّمانِ يَجْزُكَ عَفْوًا * وَإِنْ قَالُوا ذَلِيلُ قُلْ ذَلِيلُ

١٥ بلبيب وقال حبيب :

وَكَانَتْ لَوْعَةٌ ثُمَّ احْمَأَّتْ * كَذَلِكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

وقال حبيب :

مَاذَا يُرِيكَ الدَّهْرُ مِنْ هَوَانِهِ * إِزْفِنِ لِقَرْدِ السَّوءِ فِي زَمَانِهِ

ولآخر :

٢٠ الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالِهِ * لَا بَدَّ أَنْ يُقِيلَ أَوْ يُدْبِرَ
فَإِنْ تَلَقَّاكَ بِمَكْرُوهِهِ * فَاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لَا يَصْبِرُ

ولآخر :

اصْبِرْ لِدَّهْرِ نَالٍ مِنْكَ فَهَكَذَا مَضَتْ الدَّهْرُ

فَرَحًا وَحُزْنَاً مَرَّةً * لَا الْحُزْنَ دَامَ وَلَا السُّرُورَ

ولآخر :

عفا الله عن صيرِّ الممِّ واحداً * وأيقن أن الدائرات تدور
تروح لنا الدنيا بنير الذي غدت * وتحدث من بعد الأمور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
وتطمع أن يبق السُّرُورُ لأهلِهِ * وهذا محال أن يدوم سُرُورُ

ولآخر :

سأنتظر^(١) الأيام فيك لعلها * تعود إلى الوصل الذي هو أجل

باب التحفظ من المقالة القبيحة

وإن كانت باطلا

١٠

للكاء

قالت الحكاء : إياك وما يُتَدَرَّ منه .

وقالوا : من عَرَضَ نفسه لثَمِّ فلا يأمن من إساءة الظن .

وقالوا : سَمُّكَ من شرِّ سماعه .

وقالوا : كفى بالقول عاراً وإن كان باطلا .

لبش الفراء

١٥ وقال الشاعر :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى دَمِهِ * دَمُوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ

وقال آخر :

قد قيل ذلك إن حَقًّا وإن كَذِبًا * فإِعتِذَارُكَ مِنْ قَوْلِي إِذَا قِيلَا

٢٠ وقال أرسطاطاليس للإسكندر : إن الناس إذا قدروا أن يقولوا قدروا أن

لأرسطاطاليس

ينصح الإسكندر

يفعلوا ، فاحترس من أن يقولوا تسلّم من أن يفعلوا .

(١) في بعض الأصول : « أما تنتظر » .

لامرى القيس : وقال امرؤ القيس :

• وَجَرَحُ اللِّسَانِ بِكَرْجِ الْيَدِ •

للأخطل : وقال الأخطل :

• وَالْقَوْلُ يَنْفَعُ مَا لَا تَنْفَعُ الْإِبْر •

للمدون : وقال يعقوب الجندوني ^(١) :

وَقَدْ يُرْجَى لِحَرْجِ السِّيفِ بُرْءٌ • وَلَا بُرْءٌ لِمَا جَرَحَ اللِّسَانُ

لبس الشعر : ولاخر :

قَالُوا وَلَوْ صَحَّ مَا قَالُوا لَفُزْتُ بِهِ • مَنْ لِي بِصَدِيقٍ مَا قَالُوا وَتَكْذِيبِي

باب الأدب في تشميت العطاس

١٠ ومن حديث أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُشِمَّتِ الْعَاطِسُ حَتَّى يَحْمَدَ اللَّهَ ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدْهُ فَلَا تُشِمَّتْ .
فاني مل الله عليه وسلم

وَقَالَ : إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ حَمْدَ اللَّهِ فَشِمَّتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَا تُشِمَّتْهُ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رِزْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يُشِمَّتُ الْعَاطِسُ إِلَى ثَلَاثٍ ، فَإِنْ زَادَ فَهُوَ دَائِمٌ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ .
لدى

١٥ عَطَسَ ابْنُ عُمَرَ ، فَقَالُوا لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَقَالَ : يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحَ بِالْكَفِّ .
لابن عمر
وَعَطَسَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَقَالَ :
لعل بن أبي طالب
يَنْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَشِمَّتْهُ ثَلَاثًا ، فَإِنْ زَادَ فَقُولُوا : إِنَّكَ مَضْنُوكٌ .
لعمر بن الخطاب

٢٠ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : التَّشْمِيتُ مَرَّةً وَاحِدَةً .
لبعضهم

(١) في بعض الأصول : « المحمدي » .

باب الإذن في القبلة

عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر ، قال : كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم .

في قبيل يد النبي
صلى الله عليه
وسلم

وكعب عن سفيان قال : قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب .

ومن حديث الشعبي قال : لقي النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب ، فالتزمه وقبل بين عينيه .

في قبيل النبي
صلى الله عليه
وسلم لجعفر

وقال إياس بن دغفل : رأيت أبا نضرة يقبل خذ الحسن .

الشياني عن أبي الحسن عن مصعب قال : رأيت رجلاً دخل على علي بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه ، ولم ينهه .

في قبيل يد علي

العنبي قال : دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده ، فقال : أقبل له . إن العرب ما قبلت الأيدي إلا هلوها ولا قبلتها اللهم إلا خضوعاً .

١٠١

واستأذن رجل المأمون في قبيل يده ، فقال : إن القبلة من المؤمنين ذلة ، ومن الذمى خديعة ؛ ولا حاجة بك أن تذل ، ولا حاجة بنا أن نخضع .

في قبيل
يد المأمون

واستأذن أبو دلامة المهدي في قبيل يده فمنعه ، فقال : ما منعني شيئاً أيسر أبو دلامة على عيالي فقدأ من هذه .

أبو دلامة
والهدي

١٥

الاصمعي قال : دخل أبو بكر الهجري على المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نَمَضَ فمي ، وأتم أهل بيت بركة ، فلو أذنت لي فقبلت رأسك لعل الله كان يمسك على ما بقي من أسناني . قال : اخز بينها وبين الجائزة . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أهون عليّ من ذهاب درهم من الجائزة ألا تبقى في فمي حاكّة . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

المجري
والمنصور

٢٠

وقالوا : قبل الإمام في اليد ، وقبله الأب في الرأس ، وقبله الأخ في الخد ، وقبله الأخت في الصدر ، وقبله الزوجة في النعم .

بعضهم

باب الأدب في العيادة

مرض أبو عمرو بن العلاء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فقال له : أريد أن أسأرك الليلة . قال له : أنت معافى وأنا مُبْتَلَى ، فالعافية لا تَدْعُكَ أن تسهر ، والبلاء لا يَدْعُني أن أنام . وأسأل الله أن يَهَبَ لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

أبو عمرو بن
العلاء وعائذ

ودخل كثير عزة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض ، فقال : لو أن سرورك لا يتم إلا بأن تعلم وأسقم لدعوتُ ربّي أن يصرف ما بك إليّ ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ، ولي في كفّك النعمة . فضحك وأمر له بجائزة . فخرج وهو يقول :

عبد العزيز بن
مروان وكثير

ونعودُ سيّدنا وسيّد غيّرنا * لَيْتَ النَّشْكِ كانَ الْوُؤَادِ
لو كان يقبلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ * بالمصطفى من طارِفي وتِلَادِي
وكتب رجل من أهل الأدب إلى عليل :

نُبِّئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌّ فَقُلْتُ لَهُمْ * نفسي الفداء له مِنْ كُلِّ عُدُورٍ
يَا لَيْتَ عَلَّتْهُ بِي نَمٌّ كانَ لَهُ * أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأُنِّي غَيْرُ مُأْجُورٍ
وكتب آخر إلى عليل :

وقيناك لو يُعطى الهوى فيكَ والى * لكانَ بنا الشكوى وكانَ لك الأجرُ
وكانَ شاعرٌ يختلفُ إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فناب عنه أياماً
لعلّه عرضت له ، فلم يفتقده يحيى ولم يسأل عنه ؛ فلما أفاق الرجلُ من علته
كتب إليه :

يحيى بن خالد
وشاعر اعتل

أيها الأمير أكرمك الله وأبقاك لي بقاء طويلاً
أجيبلاً تراه أصلحك الله ليكنما أراه أيضاً جريبلاً
أفنى قد أقمتُ عنكَ طويلاً * لا ترى مُنْهِذاً إلى رُسُولا
أَلَذِّبٍ فاعلِيتُ سوى الشك * سريلاً قد أوليتَ ليه جزيبلاً

٢٠

أَمْ مَلَأَ فَا عَلَيْنِكَ لِحَا * فَظِرْ مِثْلِي عَلَى الزَّمانِ مَوْلَا
 قَدْ أَتَى اللَّهَ بِالصَّلَاحِ فَا أَذْ * كَرْتِ بِمَا عَهَدْتَ إِلَّا قَلِيلًا
 وَأَكَلْتُ الثُّرَاجَ وَهُوَ غَدَاةٌ * أَقَلْتُ عَلَيَّ عَلَيْهِ أَفْوَلا
 وَكَأَنِّي قَدِمْتُ قُبْلَكَ آتِي * لَكَ غَدَاةٌ إِنْ أَجِدَ إِلَيْكَ سَبِيلًا
 فكتب إليه الوزير يعتذر :

دفع الله عنك نافية آله * رِ وحاشاك أن تكون عليلا
 أشهد الله ما علمت وماذا * لك مِنَ العُدْبِ جازراً مقبولا
 وكلي لو قد علمت لما وُدَّ * تُكَّ شَهراً وكان ذاك قليلا
 فأجعلن لي إلى التعلُّقِ بالعُدْ * رِ سبيلا إن لم أجِدْ لي سبيلا
 فتدري ما جاء ذوالفضل بالفض * لِي وما سمعَ الخليلُ خليلا

١٠

وكتب المتصم إلى عبد الله بن طاهر :

أَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ عَليلاً * أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقامُ زَيْلاً
 فَوَدِدْتُ أَنَّي مَالِكٌ لِسَلامَتِي * فَأُغِيرَهَا لَكَ بِكُورَةً وَأَحْيَا
 فَتَكُونَ تَبَقِي سَالماً بِسَلامَتِي * وَأَكُونَ مَيِّاً قَدْ عَرَكَ بِدِيلا
 هَذَا أَجْلكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي * وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلا

١٥

من المتصم إلى
 ابن طاهر

ومرض يحيى بن خالد ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا دخل عليه
 يعودده وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل الحاجب عن منامه وشرابه
 وطعامه ؛ فلما أفاق قال يحيى بن خالد : ما عاذني في مرضي هذا إلا إسماعيل
 ابن صبيح .

لبعض النمر

٢٠ وقال الشاعر :

عِيَادَةُ الْمَرْدِ يَوْمَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ * وَجِلْسَةُ لَكَ مِثْلُ اللَّحْظِ بِالْعَيْنِ
 لَا تُبْرِمَنَّ مَرِيضاً فِي مُسَاءِلَةٍ * يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسْأَلُ بِحَرْفَيْنِ

ابكر بن عبد الله . وقال بكر بن عبد الله يقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوس عنده : المريض في قوم عادوه يُعَادُ والصحيح يُزَار .

اسميان الثوري . وقال سُفيان الثوري : حُقُّ القزاء أَشدُّ على المرضى من أمراضهم : يَجِثُونَ في غير وقت ويطولون الجلوس .

عمر بن عبد العزيز وعائد . ودخل رجل على عمر بن العزيز يعود في مرضه ، فسأله عن علته ، فلبس أخبره قال : مِن هذه العلة مات فلان ، ومات فلان . فقال له عمر : إذا عُدَّت المرضى فلا تَنَعْ إليهم الموتى ، وإذا خرجت عنا فلا تَعُدْ إلينا .

لابن عباس . وقال ابن عباس : إذا دخلت على الرجل وهو في الموت فبشروه ليلتي ربّه وهو حَسَنُ الظن ، ولقنوه الشهادة ، ولا تُضْجِرُوهُ .

للأعمش في مرضه . ومرض الأعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته في كتاب وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحد قال : عندك القصة في الكتاب فاقرأها . لبعض السراة . وبعضهم :

مرض الحبيب فعدته . فرضت من حذرى عليه

وأنى إلى يهودى . فبرئت من نظرى إليه

١٥ بين محمد بن عبد الله وهو مريض وأخيه . ومرض محمد بن عبد الله بن طاهر ، فكتب إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله :

إني وجدتُ على جفّا * منك من فعّالِكَ شَاهِدَا

إني اعتلّكتُ فَا قَدَرْتُ * تَ سَوَى رَسُولِكَ عَائِدَا

وَلَوْ اعتلّكتُ فلم أَجِدْ * سِيبًا إِلَيْكَ مُسَاعِدَا

لَا سَتَشْمَرْتُ عَيْنِي الْكَرَى * حَتَّى أَعُودَكَ رَاقِدَا

فأجابه :

٢٠

كَلِمَتٌ مُّقْلَتِي بِشَوْكِ الْقِتَادِ * لَمْ أَذُقْ حَرَقَةَ لَطْعَمِ الرُّقَادِ

يَا أَخِي الْبَاذِلَ الْمَوَدَّةَ وَالنَّأَى * زِلَ مِنْ مُّقْلَتِي مَكَانَ السَّوَادِ

مَنْعَتْنِي عَلَيْكَ رِقَّةٌ قَلْبِي * مِنْ دُخُولِي إِلَيْكَ فِي الْمَوَادِ

لَوْ بِأَذْنِي سَمِعْتُ مِنْكَ أُنْبَاءً * لَتَفَرَّيَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ قَوَادِي

ولمحمد بن يزيد :

لحمد بن يزيد

يَا عَلِيًّا أَفْدِيكَ مِنْ أَلَمِ الْعِلَّةِ هَلْ لِي إِلَى الْإِقْدَاءِ سَبِيلُ
إِنْ يَحُلْ دُونَكَ الْحِجَابُ فَأُخَجِّبُ عَنْ يَدِكَ الصَّنَى وَالْعَوِيلُ

وأشدد محمد بن يزيد ، قال : أشدنى أبو دهمان لنفسه وقد دخل على بعض
الأمراء يعودوه :

لأبي دهمان في
عبادته لأمر

بَأَنْفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالْتُلْدُ * تَقِيكَ الذِّي تُخْفِي مِنَ السُّقْمِ أَوْ تُبْدِي
بِنَا مَعَشَرَ الْعَوَادِ مَا بَكَ مِنْ أَدَى * فَإِنْ أَشْفَقُوا مَا أَقُولُ فِي وَحْدِي
وكتب أبو تمام الطائي إلى مالك بن حواف في شكاة له :

من أبي تمام إلى
أبو طلوح

كَمْ لَوْعَةٍ لِلنَّدَى وَكَمْ قَاتِي * لِلْحَمْدِ وَالْمَكْرَمَاتِ مِنْ قَلْدِكَ
أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْهُ عَافِيَةً * فِي تَوَمِكَ الْمُعْتَرِي وَفِي أَرْزَاكَ
تُخْرِجُ مِنْ جَسَدِكَ السَّعَامَ كَمَا * أَخْرَجَ ذَمُّ الْقَعَالِ مِنْ خُلُقِكَ

١٠

ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل في شكاة له يعودوه ، فقال :

لحمد بن محمد
حين دخل على
المتوكل يعودوه

اللَّهُ يُدْفَعُ عَنْ نَفْسِ الْإِمَامِ لَنَا * وَكُنَّا لِلْعَنَابِ دُونَهُ غَرَضُ
فَلَيْتَ أَنَّ الَّذِي يَمْرُؤُهُ مِنْ مَرَضٍ * بِالْعَائِدِينَ جَمِيعًا لَا بِهِ الْمَرَضُ
فَبِالْإِمَامِ لَنَا مِنْ غَيْرِنَا عَوَضُ * وَلَيْسَ فِي غَيْرِهِ مِنْهُ لَنَا عَوَضُ
فَا أَبَالَى إِذَا مَا نَفْسُهُ سَلِمَتْ * لَوْ بَادَ كُلُّ عِبَادِ اللَّهِ وَانْقَرَضُوا

١٥

وقال آخر في بعض الأمراء :

لآخر في بعض
الأمراء

وَاعْتَلَّ فَاغْتَلَّتْ الدُّنْيَا لِحِلَّتِهِ * وَاعْتَلَّ فَاغْتَلَّ فِيهِ الْبَأْسُ وَالْكَرَمُ
لَمَّا اسْتَقَلَّ أَنْارَ الْمَجْدِ وَانْقَشَتْ * عَنْهُ الضَّيَانَةُ وَالْأَحْزَانُ وَالسَّعَمُ

وبلغ قيساً مجنوناً بنى عامراً أن لى بالعراق مريضة ، فقال :

لمجنون بنى عامراً
في ليل

يَقُولُونَ لِي بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ * فَمَا لَكَ تَجْفُوهَا وَأَنْتَ صَدِيقُ
شَفَى اللَّهُ مَرَضِي بِالْعِرَاقِ فَإِنِّي * عَلَى كُلِّ شَاكٍ بِالْعِرَاقِ شَفِيقُ

٢٠

لحمد بن عبد الله . ولحمد بن عبد الله بن طاهر :

أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنْهُ عَافِيَةً . تُغْنِيكَ عَنْ دَعْوَتِي وَعَنْ جَلَدِكَ
سُقْمَكَ ذَا لَا لِإِلَهِ عَرَضَتْ . بَلْ سَقَمُ عَيْنِكَ رَدَّ فِي جَسَدِكَ
فِيَامْرِضُ الْجَفُونَ أَخِي فَنَى . قَتَلْتَهُ بِالْجَفُونَ لَا يَدُكَ

لبعض الشعراء . وقال غيره :

يَا أَمْلَى ، كَيْفَ أَنْتَ مِنْ أَلَمِكَ . وَكَيْفَ مَا تَشْتَكِيهِ مِنْ سَقَمِكَ
هَذَا يَوْمَانِ لِي أَعْدُهُمَا * مُذْ لَمْ تُلْحَ لِي بُرُوقُ مُبْتَسِمِكَ
حَسَدْتُ حُمَاكَ حِينَ قِيلَ لَهَا . بِأَنَّهُ قَبْلُكَ فَوْقَ فِكَ
وَلُسْهِيمَ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ :

يَجْمَعُنَّ شَيْءٌ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٍ . وَوَاحِدَةٍ حَتَّى كَكُمْلَنَ ثَمَانِيَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْحَيَاةِ يُعَدَّتَنِي . لَوْلَا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ :

قَالَتْ مَرَضْتُ فَعُدْتُهَا فَتَبَرَّمْتُ . وَهِيَ الصَّحْبَةُ وَالْمَرِيضُ الْعَائِدُ
وَاللَّهُ لَوْ قَسَتِ الْقُلُوبُ كَقَلْبِهَا . مَا رَقَّ لِلْوَلَدِ الضَّعِيفِ الْوَالِدُ

للوائى . وقال الواثق :

لَا بِكَ السَّقَمُ وَلَكِنْ كَانَ بِي . وَبِنَفْسِي وَأَبَايَ وَأُمِّي
قِيلَ لِي إِنَّكَ صَدَّغْتَ فَمَا . خَالَطْتُ سَمِيحِي حَتَّى دِيرَ بِي
وَأَتَشَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ لَعَلِيَّةَ بِنْتُ الْمُهْدِي :

ثَمَارَضْتُكِ أَنْجَحِي وَمَا بَكَ عِلَّةٌ . تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ
وَقَوْلِكَ لِلْعَوَادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . فَقَالُوا قَتِيلًا قُلْتَ أَهْوَنُ هَالِكِ
لَنْ سَاءَ فِي أَنْ تَأْتِيَنِي بِمَسَاءَةٍ . لَقَدْ سَرَّيَ أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

لأبي عبد الله . ومن قولنا في هذا المعنى :

رُوحُ النَّدَى بَيْنَ أَنْوَابِ الْمُلَا وَصَبُ . يَعْتَنُ فِي جَسَدِ الْجَعْدِ مَوْصُوبِ

ما أنت وحدك مكسوة محبوب ضنى . بل كلنا بك من مفضي ومشحوب .
يا من عليه حجاب من جلاله . وإن بدا لك يوماً غير محجوب
ألقى عليك يداً للضرر كاشفة . كشاف ضرر نبي الله أيوب
ومثله من قولنا :

٥ لا غرور إن نال منك السقم والضرر . قد تكسف الشمس لابل يحسف القمر
يا غيرة القمر الذاوى غصارتها * فدى لنورك من السمع والبصر
إن يمس جسمك مدعوكا بصالية . فهكذا يوعك الضرغامه الهصر
أنت الحننم فإن تقلل مضارب . قبله ما يقل الصارم الذكر
روح من المجد في جنان مكرمة * كأنما الصبح من خديه ينفجر
لو غال بجلوده شيء سوى ندى . أكبرت ذاك ولكن غاله القدر
١٠ ومن قولنا في هذا المعنى :

لا غرور إن نال منك السقم مأسألا . قد يكسف البدر أحياناً إذا كلاً
ما تشكى علة في الدهر واحدة . إلا اشتكى الجود من وجديها عللاً

الادب في الاعتناق

١٥ أبو بكر بن محمد قال : حدثنا سعيد بن إسحاق عن ابن يونس المدني قال :
سفيان بن عيينة
و . قال
كنت جالساً عند مالك بن أنس ، فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب ، فقال
مالك : رجل صالح صاحب سنة ، أذخلاه . فدخل فقال : السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته . فرد السلام ، فقال : سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة
الله . فقال مالك : وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله . فصالحه مالك وقال :
يا أبا محمد ، لولا أنها بدعة لعانناك . فقال سفيان : قد عاتق من هو خير منا ،
٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مالك : جعفرأ ؟ قال : نعم . فقال مالك :
ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام . فقال سفيان : ماعم جعفرأ يعننا
وما خصه يخصنا إذا كنا صالحين ؛ أفأذن لي أن أحدث في مجلسك ؟ قال : نعم

يا أبا محمد . فقال : حدثني عبد الله بن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عباس : أنه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل بين عينيه وقال : جعفر أشبه الناس بي خُلُقًا وخُلُقًا .

باب الأدب في إصلاح المعيشة

- لبعضهم
قالوا : من أشبع أرضه عملاً أشبعت يده خُبْرًا .
وقالوا : يقول الثوب لصاحبه : أكرمتني داخلًا أكرمك خارجًا .
ل عائنة
وقالت عائشة : المَغْزول يد المرأة أحسن من الرمح يد المجاهد في سبيل الله .
عن ابن الخطاب
وقال عمر بن الخطاب : لاتَهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها .
وقال : فرّقوا بين المنايا واجملوا الرأس رأسين .
وقال : أملِكوا العجيين فإنه أحد الرّيعين .
لأبي بكر
وقال أبو بكر لغلّام له كان يتجر بالثياب : إذا كان الثوب سابغًا فأنشره وأنت قائم ، وإذا كان قصيرًا فأنشره وأنت جالس ، وإنما البيع يَكاس .
لعبد الملك
وقال عبد الملك بن مروان : مَنْ كان في يده شيء فليصلحه ، فإنه في زمانٍ إن احتاج فيه فأول ما يدل ديتُهُ .

باب الأدب في المَوَاكِلَة

- ١٥
قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أكل أحدكم قليلًا كل يمينه وليشرب يمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله .
بلال والجارود
محمد بن سلام الجمعي قال : قال بلال بن أبي بُردة . وهو أمير على البصرة ، للجارود بن أبي سبرة الهذلي : أتَحْضِر طعام هذا الشيخ ؟ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ؛ قال : نعم . قال : فصفه لي . قال : نأتيه فنجدّه مُتَبَطِّحًا ، يعني نائمًا ، فنجلِس حتى يستيقظ ، فيأذن فنساقطه الحديث ، فإن حَدَّثنا أحسن الاستماع ؛ وإن حَدَّثنا أحسن الحديث ، ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدّم إلى جواربه

وأمهات أولاده ألا تلتظ واحدة منهن إذا وضعت مائدة ، ثم يُقبل خبازه فيمُثل بين يديه قائماً ، فيقول له : ما عندك ؟ فيقول : عندي كذا وكذا . فيعدّد ما عنده . يريد بذلك أن يحسن كلُّ رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام . ويُقبل الألوان من هاهنا ومن هاهنا فتوضع على المائدة ، ثم يؤتى بريدة شبيهة من الفلفل رقطاء من الحِمص ، ذات خفافين من العراق ، فيأكل مُعْتِراً ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون ، جَثّاً على ركبته ؛ ثم آستأف الأكل معهم .

قال ابن أبي بُردة : لله دَرَّ عبد الأعلى ، ما أربط جأشه على وقع الأضراس .

وحضر أعرابي سُفرة هشام بن عبد الملك ؛ فبينما يأكل معه إذ تعلق شجرة في لقمة الأعرابي ، فقال له هشام : عندك شجرة في لقمك يا أعرابي . فقال : وإنك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشجرة في لقمي ! والله لا أكلت عندك أبداً ، ثم خرج وهو يقول :

وللوقت خيرٌ من زيارة باخيل * يلاحظ أطراف الأكيل على عَبدٍ

محمد بن زيد قال : أكل قائد لأبي جعفر المنصور معه يوماً ، وكان على المائدة محمد المهديُّ وصالحُ ابنه ، فينا الرجل يأكل من تريدة بين أيديهم ، إذ سقط بعض الطعام من فيه في النَّضارة ، فكان المهديُّ وأخاه عافا الأكل معه ، فأخذ أبو جعفر الطعام الذي سقط من فم الرجل فأكله ، فالتفت إليه الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الدنيا فهي أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك ، والله لا تركن في مرضاتك الدنيا والآخرة .

وحدث إبراهيم بن السدي قال : كان قتي من بني هاشم يدخل على المنصور كثيراً ، يسلم من بعيد وينصرف ، فأتاه يوماً فأدناه ، ثم دعاه إلى الغداء . فقال : قد تغذيت ! فأملهه الربيع حاجب المنصور حتى ظن أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما انصرف وصار وراء الستر دفعه في قفاه ، فلما رأى من الحاجب دفعه في قفاه ، شكاً لفتي حاله وما ناله إلى محومته ، فأقبلوا من غيد إلى أبي جعفر ، وقالوا : إن الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا . فقال لهم أبو جعفر : إن الربيع لا يُقدم على

المنصور يوماً
والربيع حاجبه

- مثل هذا إلا وفي يده حُجة ، فإن شتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا ، وإن شتم سألته وأسمتكم . قالوا : بل يسأله أمير المؤمنين ونسمع . فدعاه فسأله ، فقال : إن هذا الفتى كان يأتي فيسلم وينصرف من بعيد ؛ فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلم من قرب ؛ وتبذل بين يديه ودعاه إلى غدائه ؛ فبلغ من جهله بحق المرتبة التي أحله فيها أن قال : قد تغذيت . وإذا هو ليس عنده لَمَنْ أَكَلَ مع أمير المؤمنين .
 ٥ وشاركه في يده إلا سَدُّ خَلَّةِ الجوع ، ومثل هذا لا يُقَوِّمُهُ القول دون الفعل . فسكت القوم وانصرفوا .

لكبر بن ميادة

- وقال بكر بن عبيد الله : أحق الناس بلطمة مَنْ أتى طعاما لم يُدْعَ إليه ، وأحق الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت : اجلس هاهنا . فيقول : لا ، هاهنا ، وأحق الناس بثلاث لطعات من دُعِيَ إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادعُ ربة البيت تأكل معنا .

الجاحظ

- وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : لا ينبغي للفتى أن يكون مُكحلا ؛ ولا مُقَبِّباً ، ولا مُكْرَباً ، ولا مُشْكَامداً ، ولا حُرَامداً ، ولا تَقَامداً . ثم فسره فقال : أما المكحل ، فالذي يتعرق العظم حتى بدعه كأنه مكحلة عاج ، والمقَبِّب ، فالذي يركب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قبة ؛ والمُكْرَب ، الذي ييصق في الطست وينخم فيها حتى يصير بصاقه كأنه الكواكب في الطست ؛ والحرامد ، الذي يأتي في وقت الغداء والعشاء فيقول : ما تأكلون ؟ فيقولون من بفضه سماً ؛ فيدخل يده ويقول : في حِرَامِ العيش بعدكم ؛ والمُشْكَامد ، الذي يتبع اللقمة بأخرى قبل أن يُسَيِّئَهَا فينخق ، كأنه ديك قد ابتلع فأرة ، والتقامد ، الذي يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يديه غيره .

٢٠

غزل الب

- ومن الأدب : أن يبدأ صاحب الطعام بنسل يده قبل الطعام ، ثم يقول لجلسائه : من شابهكم فليغسل . فإذا غسل بعد الطعام : فليقدمهم ويتأخر .

أدب الملوك

- قال العلماء : لا يُؤْمَ ذو سلطان في سلطانه ولا يُجْلَس على تكرمته إلا بإذنه .

الملك

لزياد

وقال زياد : لا يُسَلَّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين .

ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده زياد ، فرحب به معاوية ووسع له إلى جنبه ، وأقبل عليه يسأله ويحاده ويزايد ساكت ، فقال له ابن عباس : كيف حالك أبا المغيرة ، كأنك أردت أن تُحدث بيتنا وبينك هجرة ؟ فقال : لا ، ولكنه لا يُسَلَّمُ على قادم بين يدي أمير المؤمنين . قال ابن عباس : ما أدركتُ الناس إلا وهم يُسلون على إخوانهم بين يدي أمرائهم . فقال له معاوية : كُفَّ عنه يا بن عباس ، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت .

لعبد الملك

الشيباني قال : بصق ابن مروان فقصر في بصقته ، فوقعت في طرف البساط فقام رجل من المجلس فمسحه بكفه ، فقال عبد الملك بن مروان : أربعة لا يُستَحْي من خدمتهم : الإمام ، والعالم ، والوالد ، والضيف .

ليحيى بن خالد

وقال يحيى بن خالد : مُسألهُ الملوك عن حالها من تحية النوكى ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ، فقل : صَبَحَ اللهُ الأمير بالنعمة والكرامة . وإن كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل اللهُ على الأمير الشفاء والرحمة .

لبعضهم

وقالوا : إذا زادك الملك إكراماً فزده إعظاماً ، وإذا جعلك عبداً فاجعله رباً ولا تُدِمن النظر إليه ، ولا تُكثِر من الدعاء له في كل كلمة ولا تتغير له إذا سخط ولا تغترّ به إذا رضى ، ولا تلحف في مسأله .
وقالوا : الملوك لا تُسأل ولا تشمت ، ولا تُكَيَّف .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

إن الملوك لا يُخطَبُونَا * ولا إذا ملوا يُعَابَتُونَا

وفي المقال لا نأزَعُونَا * وفي العطاس لا يُشْمَتُونَا

وفي الخطاب لا يُكَيَّفُونَا * يُثْنِي عليهم وَيَجْلُونَا

فأقهم وصاتي لا تكن مجنوناً

وقالوا : من تمام خدمة الملوك أن يُقَرَّب الخادم إليه نعليه ، ولا يدعه يمشي

إليهما ، ويجعل التعلّ اليئى قُبالة الرجل اليئى ، واليئسرى قُبالة الرجل اليسرى ؛
وإذا رأى متكاً يحتاج إلى إصلاح أصلحه ، ولا ينتظر فيه أمره ، ويتفقد الدواء
قبل أن يأمره ، وينفض عنها الغبار إذا قربها إليه ، وإن رأى بين يديه قرطاساً
قد تباعد عنه قربه إليه ووضعه بين يديه على كِسْره .

ماوية وأصحابه وقال أصحابُ معاوية لمعاوية : إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك ،
فأنت تكره أن تستخفنا فتأمرنا بالقيام ، ونحن نكره أن نُثقلَ عليك في الجلوس ،
فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك ؟ فقال : علامة ذلك أن أقول : إذا شتمت .
ليزيد في مثله وقيل مثل ذلك ليزيد بن معاوية ، فقال : إذا قلت : على بركة الله .

وقيل مثل ذلك لعبد الملك بن مروان ، فقال : إذا وضعت الخيزرانة .
وما سمعتُ بأطرب معنى ، ولا أكل أدباً ، ولا أحسن مذهباً في مساءلة الملوك
١٠ من شبيب بن شبية وقوله لأبي جعفر : أصلحك الله ، إني أحب المعرفة وأجلك
عن السؤال . فقال له : فلان بن فلان .

باب الكناية والتعريض

ومن أحسن الكناية اللطيفة عن المأني الذي يقبح ظاهره : قيل لعمر
١٥ ابن عبد العزيز ، وقد نبت له حَبْنٌ تحت أنثيه : أين نبت بك هذا الحَبْنُ ؟ قال :
بين الرافقة والأصْفَن .

وقال آخر ، ونبت به حَبْنٌ في أبطه ، أين نبت بك هذا الحَبْنُ ؟ قال :
تحت منكبي .

وقد كنى الله تعالى في كتابه عن الجماع باللامسة ، وعن الحدث بالناط فقال :
٢٠ ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسَ الْمَرْءُ الْمَرْءَ ﴾ - والناط : الفحص ،
وجمه غيطان - ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ وإنما كنى به عن
الحدث . وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمْتُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكُمْ فَتَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾
فكنى عن البرص .

ودخل الريع بن زياد على النعمان بن المنذر وبه وضح ، فقال : ما هذا البياض
بك ؟ فقال : سيف الله جللاه .

ودخل حارثة بن بدر على زياد وفي وجهه أثر ، فقال زياد : ما هذا الأثر الذي
في وجهك ؟ قال : ركبت فرسي الأشقر فجمع بي . فقال : أما إنك لو ركبت
الأشهب لما فعل ذلك . فكفى حارثة بالأشقر عن النبذ ، وكفى زياد بالأشهب
عن اللبن .

معاوية
والأحنف

وقال معاوية للأحنف بن قيس : أخبرني عن قول الشاعر :
إذا ما مات ميتٌ من بئيرٍ . وسرَّك أن يعيشَ لحيٌ بزادٍ
بُخْبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ . أو الشيء الملقف في البجاد
تراه يطوف في الآفاقِ حرصاً . ليأكلَ رأسَ لقمان بن عادٍ
ما هذا الشيء الملقف في البجاد ؟ قال الأحنف : السخينة يا أمير المؤمنين .
قال معاوية : واحدة بأخرى والبادي أظلم .

السخينة : طعام كانت تعمله قريش من دقيق ، وهو الحريرة ، فكانت تُسبَّ
به ؛ وفيه يقول حسان بن ثابت :
رَعِمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا . وَلِيَعْلَبَنَّ مُعَالِبُ الْقُلَّابِ
وقال آخر :

ه . تَعَسَّوْا مِنْ حَرِيرِهِمْ فَنَأَمُوا .

عثمان وعمر بن
الأسود خبز عذله
عن مصر

ولما عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاه ابن أبي سرح
دخل عمرو على عثمان وعليه جبة تحشوة ، فقال له عثمان : ما حشو جبتك يا عمرو ؟
قال : أنا . قال : قد علمت أنك فيها . ثم قال له : يا عمرو ، أشعرت أن اللقاح دوت
بمدك ألبائها ؟ فقال : لأنكم أنجفتم أولادها .

فكفى عثمان عن خراج مصر باللقاح ، وكفى عمرو عن جور الوالي بعده
وأنه حرم الرزق أهل العطاء ووفره على السلطان ، بالإحفاف .

الشاعر يمرض
بجمدة

وكان في المدينة رجل يسمى جمدة ، يرّجل شعره ويتعزّض للنساء المهرجات ،
فكتب رجل من الأنصار كان في النزول إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

أَلَا أَيْلُغُ أَبَا حَفِصٍ رَسُولًا ۝ فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ لَزَارَى
قَلَّا نَصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّا ۝ شَغَلْنَا عَنْكَ زَمَنَ الْحِصَارِ
يُعَلِّمُهُنَّ جَعْدًا شَيْطَانِي ۝ وَبَسَّ مَعْقِلُ الدَّوْدِ الطَّوَارِ ۝

٥

فكنى بالقلائص عن النساء ، وعزّض برجل يقال له جمدة . فسأل عنه عمر
فدّل عليه ، فجزّ شعره ونفاه عن المدينة .

عمر وامرأة
في النواف

وسمع عمر بن الخطاب امرأة في الطواف تقول :

فَهِنَّ مَن تُسْقَى بِعَذْبِ مُبَرَّدٍ ۝ تُقَاخُ فِتْلَكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ
وَمِنْهُنَّ مَن تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِينٍ ۝ أَجَاجٌ وَلَوْلَا خَشْبَةُ اللَّهِ قَرَّتِ

١٠

ففهم شكواها ، فبعث إلى زوجها فوجده متغيّر الفم ، فغيّره بين خمسمائة
درهم وطلاتها . فاختار الدرهم ، فأعطاه وطلّقها .

زياد وشريك
بهمري

ودخل على زياد رجل من أشراف البصرة ، فقال : أين مسكنك من البصرة ؟
قال : في وسطها قال له : كم لك من الولد ؟ قال : تسعة . فلما خرج من عنده
قيل له : إنه ليس كذلك في كل ما سأله ، وليس له من الولد إلا واحد ، وهو
ساكن في طرف البصرة . فلما عاد إليه سأله زياد عن ذلك ، فقال له : ما كذبتك .
لى تسعة من الولد ، قدّمْتُ منهم ثمانية فهم لى ، وبقى معى واحد ، فلا أدرى ألى
يكونُ أم على ؛ ومنزلى بين المدينة والجبانة ؛ فأنا بين الأحياء والأموات ، فنزلى
فى وسط البصرة . قال : صدقت .

١٥

الكناية يورّى بها عن الكذب والكفر

٢٠

لما هزم الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث وقتل أصحابه وأسر بعضهم ،
كتب إليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الأسرى على السيف ، فمن أقر منهم
بالكفر خلى سبيله ، ومن أبى يقتله . فأقر منهم بعمار الشعبي ، ومُطرّف بن

بن الحجاج
وإن جيب
ومطرّف

عبد الله بن الشخير ، وسعيد بن جبير . فأما الشعبي ومطرف فذهبا إلى التعريض والكناية ولم يصترحا بالكفر ، فقبل كلامهما وعفا عنهما ؛ وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل .

وكان مما عَرَّض به الشعبي فقال : أصلح الله الأمير ، نبا المنزل ، وأحزن بنا الجناب ، واستحلستنا الخوف ، واكتحلنا الدهر ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا فجرة أقرياء . قال : صدق . والله ما برؤا بخروجهم علينا ولا قوروا ، خلبا عنه . ثم قدم إليه مطرف بن عبد الله ، فقال له الحاجاج : أتقر على نفسك بالكفر ؟ قال : إن من شق العصا ، وسفك الدماء ، ونكث البيعة ، وأخاف المسلمين ، لجدير بالكفر . قال : خلبا عنه . ثم قدم إليه سعيد بن جبير ؛ فقال له : أتقر على نفسك بالكفر ؟ قال : ما كفرت بالله مذ آمنت به . قال : اضربوا عنقه .

ولما وليَ الواثق وأقعد للناس أحمد بن أبي دؤاد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء ، أتى فيهم بالحارث بن مسكين ، فقبل له : أشهد أن القرآن مخلوق ! قال : أشهد أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، هذه الأربعة مخلوقة . ومذ أصابعه الأربع ؛ فعرض بها وكفى عن خلق القرآن وخلّص مهجته من القتل . وعجز أحمد بن نصر فقيه بنداد عن الكناية فأباها ، فقتل وصُلّت .

ودخل بعض الثساك على بعض الخلفاء فدعاه إلى طعامه ، فقال : الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين ، وما أزكى نفسى ، بل الله يُزكّى من يشاء . وإنما كره طعامه .

الأصمعي عن عيسى بن عمر قال : بينما ابن عرياض يمشى مقدّما بطنه ، إذ استقبلته الخوارج يحزّون الناس بسؤفهم ؛ فقال لهم : هل خرج إليكم في اليهود شيء ؟ قالوا : لا . قال : فامضوا راشدين . فضوا حركوه .

ولنى شيطان الطارق رجلا من الخوارج ويده سيف ؛ فقال له الخارجى : والله لأتلتك أو تبرأ من عليّ . فقال : أنا من عليّ ومن عثمان

الواثق وابن مسكين وابن نصر في محنة القرآن

ابن خليفة وناسك في طعام

ابن عرياض والخواارج

الخوارج وشيطان الطارق

يرى يريد أنه من عليّ، ويرى من عثمان.

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قال الوليد بن عقبة على المنبر بالكوفة : أُنسم على مَنْ سَمَانٍ أَشْمَرَ بَرَكَاً إِلَّا قَامَ . فقام إليه رجل من أهل الكوفة فقال له : وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَقُومُ إِلَيْكَ فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي سَمَيْتُكَ أَشْمَرَ بَرَكَاً ؟ وَكَانَ هُوَ الَّذِي سَمَاهُ بِذَلِكَ .

يزد الوليد ورجل سماه

وقال معاوية لصمصمة بن صوحان : اصعد المنبر فألمن علياً . فامتنع من ذلك وقال : أو تفنّيني ؟ قال : لا . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : معاشرة الناس ، إن معاوية أمرني أن ألْمَنَ عليّاً ، فالتنوه لعنه الله .

معاوية وابن صوحان فلمن على

السكناية عن الكذب في طريق المدح

المدائني قال : أُنِيَ الرُّبَايَاتُ بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِغْلَام سكران
أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا يَنْزِلُ الدَّهْرُ^(١) فِدْرُهُ . وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَنْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ . فَهُمْ قِيَامٌ عِنْدَهَا وَقَعُودُ
فَظَنَّهُ وَلَدًا لِبَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِ ، فَلَمَّا كُشِفَ عَنْهُ قِيلَ لَهُ :
إِنَّهُ ابْنُ بَاقِلَآثٍ .

ابن الهيثم وغلام سكران

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة القاضي ، فقال له :
أَنْعَرَفَ هَذَا الرَّجُلَ ؟ وَكَانَ رُحِمِي عَنْدهُ بَرِيَّةً ، فَقَالَ : إِنْ لَهُ بَيْتًا وَقَدَمًا
وَشِرْفًا . فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَلَمَّا انْصَرَفَ ابْنُ شَبْرَمَةَ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : أَكُنْتَ تَعْرِفُ
هَذَا الرَّجُلَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي عَرَفْتُ أَنَّ لَهُ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَقَدَمًا يَمْشِي
عَلَيْهَا ، وَشِرْفَةً أَذْنَاهُ وَمَسْكِبَاهُ .

عيسى بن موسى وابن شبرمة في متهمة

وخطب رجل لرجل إلى قوم ، فسألوه : مَا خَرَفْتَهُ ؟ فَقَالَ : فَخَّاسُ الدُّوَابِ .
فَوُزَّجُوهُ ، فَلَمَّا كُشِفَ عَنْهُ وَجْهُهُ يَبِيعُ السَّنَائِيرَ ؛ فَلَمَّا عَتَّقُوهُ فِي ذَلِكَ قَالَ :

خطب لبائع سنائير

أَوْ مَا السَّائِرِ دَوَابٍّ ؟ مَا كَذَبْتُمْ فِي شَيْءٍ .

ودخل معلى الطائي على ابن السري يعمده في مرضه . فأنشده شعراً
يقول فيه :

فَأَقْسِمُ إِنَّ مَنْ الْإِلَهِ بِصَحَّةٍ . وَنَالَ السَّرِيُّ بْنُ السَّرِيِّ شِفَاءً

لَا رَيْحَ لِنَ الْبَيْسِ شَهْرًا بِحَبَّةٍ . وَأَعْتَقَ شُكْرًا سَالِمًا وَصَفَاءً ^(١)

فلما خرج من عنده قال له أصحابه : والله ما نعلم عبدك سالماً ، ولا عبدك
صفاءً ، فمن أردت أن تُعتق ؟ قال : هما هَرَّتَانِ عِنْدِي ، والحجَّ فريضة واجبة ،
فما عليّ في قول شيء إن شاء الله تعالى .

باب في السكناية والتعريض في طريق الدعاية

١٠ سئل ابن سيرين عن رجل ، فقال : تَوَقَّى الْبَارِحَةَ . فلما رأى جَزَعَ السائل
قال : (اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَاقِبِهَا) وإنما أردتُ
بالوفاة النوم .

ومرض زياد ، فدخل عليه شريح القاضي يعمده ، فلما خرج بعث إليه
مسروق بن الأجدع يسأله : كيف تركت الأمير ؟ قال : تركته يأمر وينهى . فقال
مسروق : إن شريحاً صاحب تعريض ، فأسأله . فأسأله . قال : تركته يأمر
بالوصية ، وينهى عن البكاء .

وكان سنان بن مكل الثُميري ^(٢) يسافر عمر بن هبيرة الفزاري يوماً على بئلة
فقال له ابن هبيرة : غَضُّنْ مِنْ عَنَانِ بَنَتِكَ . فقال : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير .
أراد ابن هبيرة قول جرير :

فَغَضُّ الطَّرَفِ إِنَّكَ مِنْ مُنْمِرٍ . فَلَا كَعْبًا بَلَنْتَ وَلَا كَلَابًا ٢٠

(١) في بعض الأصول : « ويعتق ... وخفاء » .

(٢) في نهاية الأرب : « أيوب بن ظبيان التميمي » .

معلى وابن السري
في مرضه

ابن سيرين في
رجل سئل عنه

لمرج في مرض
زياد

بين سنان التميمي
وابن هبيرة

وأراد سنان قول الشاعر :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَلُوتَ بِهِ • عَلَى قَلُوصِكَ وَاكْتَبْتُهَا بِأَسْيَارِ

نمى ونمى : ومر رجل من بنى نمير برجل من بنى تميم على يده باز ، فقال التميمي للنميري : هذا البازي ؟ قال له النميري : نعم ، وهو يصيد القطا . أراد التميمي

قول جرير :

أَنَا الْبَازِيُّ الْمُطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ • أُخِثْتُ لَهُ مِنَ الْجَوِّ انْصِبَابَا

وأراد النميري قول الطرماح :

تَمِيمٌ بِطَرْقِ الثُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا • وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْمَكَارِمِ صَلَّتْ

ودخل رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالي وهو والى أرمينية ،

ابن يزيد الهلالي
ومحارب

وقريب منه غدير فيه صفادع ، فقال عبد الله بن يزيد : ما تركتُنا شيوخ محارب

نام الليلة ؟ فقال له المحارب : أصلح الله الأمير ، أو تدري لم ذلك ؟ قال : ولم ؟

قال : لأنها أضلت برقعاً لها . قال فبجك الله ، وقبح ما جئت به ، أراد ابن يزيد

الهلالي قول الأخطل :

تَنَقُّ بِلا شَيْءٍ شُيُوخُ مُحَارِبٍ • وَمَا خَلَّتْهَا كَانَتْ تَرِيشُ وَلَا تَبْرِي

صفادعُ في ظُلُمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ • فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْنَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وأراد المحارب قول الشاعر :

لِكُلِّ هِلَالٍ مِنَ الثُّؤْمِ يُرْفَعُ • وَلابن هلال يُرْفَعُ وَفِيص

وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم^(١) : آتعرض لي فذين الفرسين فقال :

أحدهما أجش والآخر هزيم . يعني قول النحاشي :

ابن معاوية
وعبد الرحمن
بن الحكم

وَتَجَمَّى ابْنُ هَنْدٍ سَابِغٌ ذَوْغُلَالَةٍ • أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّمَّاحُ دَوَانِي

فقال معاوية : أما إن صاحبها على ما فيه لا يشبب بكنائنه . وكان عبد الرحمن

يُرمَى بكنئته .

(١) في عيون الأخبار • عبد الرحمن بن حسان • .

وشاور زياد. رجلا من ثقاته في امرأة يتزوجها ، فقال : لا خير لك فيها ؛
 إني رأيت رجلا يقبلها ، فتركه وخالفه إليها وتزوجها ، فلما بلغ زيادا خبره
 أرسل إليه وقال له : أما قلت لي إنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : نعم ، رأيت
 أباهما يقبلها .

٥ وقال أعرابي لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، آحلتني ونحيتني على جمل .
 فقال : نشدتك الله يا أعرابي ، أُنحِم هذا زق ؟ قال : نعم . ثم قال : من لم ينفعه
 ظَنُّهُ لم ينفعه يقينُهُ .

وودع رجلاً رجلاً كان يُنفِضه ، فقال : أمض في سر من حفظ الله ،
 وحجاب من كلامه . فظن له الرجل ، فقال : رفع الله مكانك ، وشد ظهرك ،
 وجهك منظوراً إليك . ١٠

الشيثاني قال : كان ابن أبي عتيق صاحب هزل ولهو ، واسمه عبد الله بن محمد
 ابن أبي بكر الصديق ، رضى الله عنهم وكانت له امرأة من أشراف قريش ، وكان
 لها فتيات يُغَنِّين في الأعراس والمآتم ، فأمرت جارية منهن أن تغني بشعر لها
 قاله في زوجها ، فتغنت الجارية وهو يسمع :

١٥ ذَهَبَ إِلَهِ بِمَا تَمِيشُ بِهِ . وَفَرَّتْ بُبْكَ أَيَّامًا قَرُرَ
 أَنْفَقْتَ مَالَكَ غَيْرَ مُحْتَسِمٍ . فِي كُلِّ زَايَةٍ وَفِي الْحَمْرِ

فقال للجارية : لمن هذا الشعر ؟ قالت : لمولائي . فأخذ قرطاسا فكتبه وخرج
 به ، فإذا هو بعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، قف قليلا
 أكلّمك . فوقف عبد الله بن عمر ، قال : ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر ؟ وأنشد
 البيتَين . قال : أرى أن تغفو وتصفح . قال : أما والله لن لقيتهُ لأنيكتهُ ! فأخذ
 ابن عمر ينكله ويزجره ، وقال : قبحك الله ! ثم لقيه بعد ذلك بأيام ، فلما أبصره
 ابن عمر أعرض عنه بوجهه ، فاستقبله ابن أبي عتيق فقال له : سألتك بالقبر ومن
 فيه إلا سمعت مني حرفين . فولاه قفاه وأنصت له ، قال : علبت أبا عبد الرحمن
 أني لقيت قاتل ذلك الشعر ونكتهُ . فصعق عبد الله ولُبط به فلما رأى

زيادومشير عليه
 في امرأة
 يتزوجها

عمر بن الخطاب
 وأعرابي

بين رجل
 ومودع له

ابن أبي عتيق
 وزوج له

ما نزل به دنا من أذنه وقال : أصلحك الله ، إنها امرأتى . فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه .

باب فى الصمت

داود عليه السلام ولقمان الحكيم ٥
كان لقمان الحكيم يجلس إلى داود صلى الله عليه وسلم مقتبساً ، وكان عبداً أسود ، فوجده وهو يعمل درعا من حديد ، فعجب منه ، ولم يدركه قبل ذلك ، فلم يسأله لقمان عما يعمل ، ولم يخبره داود ، حتى تمت الدرع بعد سنة ، فقباسها داود على نفسه ، وقال : زرد طائفا ليوم قرافا . تفسيره : درع حميئة ليوم قتال ؛ فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله .

لأبي عبيد الله الكاتب ١٠
وقال أبو عبيد الله كاتب المهدي : كن على آلتك الحظ بالسكوت أحرص منك على آلتك بالكلام ؛ إن البلاء موكل بالمنطق .

لأبي الفرداء
وقال أبو الفراء : أنصِفْ أذنك من فيك ، فإنما جُمِلَ لك أذنان آفتنان وفمٌ واحد لتسمع أكثر مما تقول .

معاوية والأحف ١٥
ابن عوف عن الحسن ، قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا وسكت الأحف فقال معاوية : مالك لا تتكلم أبابحر ، قال : أخافك إن صدقت وأخاف الله إن كذبت . .

للدهليز
وقال المهلب بن أبي صفرة : لأن أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب إلى من أن أرى لسانه فضلا على عقله .

لإسماعيل بن عبد الملك
وقال سالم بن عبد الملك : فضل العقل على اللسان مروءة ، وفضل اللسان على العقل عُجْنة .

إبضهم ٢٠
وقالوا : من ضاق صدره اتسع لسانه ، ومن كثر كلامه كثرت سقطته ومن ساء خلقه قل صديقه .

لهرم بن حيان
وقال هرم بن حيان : صاحب الكلام بين منزلتين : إن قصر فيه خُصِمَ ، وإن أغرق فيه أُنِمَ .

وقال شبيب بن شيبه : من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها أتقطع ضررها عنه .
وقال أكرم بن صفي : مَقْتَل الرجل بين فكيه .

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهم :
يَمُوتُ الفتي من عَتَرَة بلسانه . وليس يموت المرء من عَتَرَة الرجل
فَعَتَرْتُهُ مِنْ فِيهِ تَرِي بِرَأْسِهِ . وَعَتَرْتُهُ بِالرَّجْلِ تَبَرُّا عَلَى مَهْلٍ

وقال الشاعر :

الْهَلْمُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ . فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِثْلَ ثَارَا
مَا لَنْ تَذِمْتَ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً . إِلَّا تَذِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

وقال الحسن بن هانئ :

خَلِّ جَنَّتِيكَ لِأَرَى . وَامْضِ عَنِّي بِسَلَامٍ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ . لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
رُبُّ لَفْظٍ سَاقِ آجَا * لَ قِشَامٍ وَشَامٍ
إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الْأَجَمِ قَاهُ بِلِجَامٍ

وقال بعض الحكماء : حطى من الصمت لى ، ونفعه مقصور على وحطى من .
الكلام لغيرى ، ووباله راجع على .

وقالوا : إذا أعجبك الكلام فاصمت .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : متى أتكلم ؟ قال : إذا اشتيت أن تصمت .
قال : متى أصمت ؟ قال : إذا اشتيت أن تتكلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ شَرًّا مِنْ طَلَاقِ اللِّسَانِ .
وسمع عبد الله بن الأهم رجلا يتكلم فيخطئ ، فقال : بكلامك رُذِقَ
الصمتُ المحبة .

لشبيب

لجعفر بن محمد

لبعض الشعراء

لحسن بن هانئ

عمر بن عبد العزيز
وسائل في الكلام

لنبي صلى الله
عليه وسلم

باب في المنطق

قال الذين فضّلوا المنطق : إنما بُعِثَتِ الأنبياءُ بالكلام ولم يُبْعَثُوا بالسكوت ؛
وبالكلام وَصِفَ فضلُ الصمت ولم يوصفِ القولُ بالصمت ؛ وبالكلام يُؤمَرُ
بالمعروف ويُنهى عن المنكر ويُعْظَمُ الله ويُسَبِّحُ بحمده . والبيان من الكلام هو
الذي منَّ اللهُ به على عباده فقال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّاهُ الْبَيَانِ ﴾ . والعلم كله
لا يُؤدِّيه إلى أوعية القلوب إلا اللسان ؛ ففُتِحَ المنطقُ عامٌّ لقائله وسامعه ، ونُفِعَ
الصمتُ خاصٌّ لفاعله .

وأعدِلْ شيءٌ قيل في الصمت والمنطق ، قَوْلُهُم : الكلام في الخير كُلُّهُ أفضل
من الصمت ، والصمت في الشر كُلُّهُ أفضل من الكلام .

١٠ وقال عبد الله بن المبارك صاحب الرِّقَاقِ يرثي مالك بن أنس المدني : لابن المبارك

صَمَوْتُ إِذَا مَا لَصَّتُ زَيْنَ أَهْلِهِ * وَفَتَأَى أَبْكَارَ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ
وَعَى مَا وَعَى الْقُرْآنُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ هـ وَنَبَطَتْ لَهُ الْأَدَابُ بِاللَّحْمِ وَاللَّيْمِ
وقال عمر بن الخطاب : ترك الحركة غَفْلَةٌ . لابن الخطاب

وقال بكر بن عبد الله المزني : الصمت حُبْسَةٌ ^(١) .

١٥ وقالوا : الصمت نوم ، والكلام يقظة . لبعضهم

وقالوا : ماشيء ثنى إلا قَصُرَ ، إلا الكلام فإنه كُفِيَ طَالَ .
وقال الشاعر :

الصمت شيمته فَإِنْ هـ أَبْدَى مَقَالًا كَانَ فَصْلًا
أَبْدَى السَّكُوتَ فَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَدَعْ فِي الْقَوْلِ فَضْلًا

باب في الفصاحة

٢٠ . محمد بن سيرين قال : ما رأيت على امرأة أجمل من نغم ، ولا رأيت على
رجل أجمل من فصاحة . لابن سيرين

(١) في بعض الأصول : خرسَةٌ .

وقال الله تبارك وتعالى فيها حكاه عن نبيه موسى صلى الله عليه وسلم
 وأنبأه لعدم الفصاحة: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِمَانَا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ
 رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ 》 .

آفات المنطق

٥

ابن السكك
وجارية له

تكلم ابن السكك يوماً وجارية له تسمع كلامه ، فلما دخل قال لها : كيف
 سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه لولا أنك تردده . قال : أردده ليفهمه من لم
 يفهمه . قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يعلمه من فهمه .

١٠

معاوية وجلساؤه

الأصمعي قال : قال معاوية يوماً لجلسائه : أي الناس أفصح ؟ فقال رجل من
 السباط : يا أمير المؤمنين ، قوم قد ارتفعوا عن رُثَّة العراق ، وتياسروا عن
 كشكشة بكر ، وتيامسوا عن شلشنة تغلب ، ليس فيهم غنمة قضاة ، ولا
 طُمطمانية حخير . قال : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين ، قریش . قال
 صدقت ! فمن أنت ؟ قال : من جُرم . قال الأصمعي : جُرم فُصحاء الناس .
 وهذا الحديث قد وقع في فضائل قریش ؛ وهذا كان موضعه فذكرناه ^(١) .

١٥

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي : التمتة في المنطق : التردد في التاء .
 والعقلة : هي التواء اللسان عند إرادة الكلام . والحُبسة : تعذر الكلام عند
 إرادته . واللفف : إدخال حرف في حرف . والطمطمة : أن يكون الكلام مُشَبَّهاً
 لكلام العجم . واللكنة : أن تعترض عند الكلام اللغة الأجنبية - ونفسر هذا
 حرفاً حرفاً وما قيل فيه إن شاء الله - واللتنة أن يُعَدَّل بحرف إلى حرف .
 والغنة : أن يُتَرَبَّ الحرفُ صوت الخيشوم ؛ والحنة ، أشد منها . والترخيم :
 حذف الكلام . والفاواة : التردد في الفاء ؛ يقال : رجل فأواه ، تقديره فاعال :
 ونظيره من الكلام ، ساباط ، وغاتام ؛ وقال الرازي :

٢٠

يأبى ذات الجوربِ المُتَشَقُّ . أَخَذَتْ خَاتَمِي بِغَيْرِ حَقِّ

(١) في بعض الأصول : « فأعدناه » .

وقال آخر :

ليس بفأاء ولا نتمام • ولا حجب سَقَطَ الكلام
والرئة ، كالترج : تمتع أول الكلام ، فإذا جاء منه شيء اتصل به . والنعمة :
أن تسمع الصوت ولا تبين لك تقطيع الحروف .

وأما الرئة فإنها تكون غريزية . وقال الراجز :
• يَا أَيُّهَا الْمُخْلَطُ الْأَرْتُ •

ويقال إنها تكثر في الأشراف . وأما النعمة . فإنها قد تكون من الكلام
وغيره ، لأنها صوت من لا يفهم تقطيع حروفه . قال عنتره :
وصاحب ناديته فغمغما • يريد لييك وما تكلم

قد صار من خوف الكلام أعجميا
وأما كسكسة تميم : فإن بني عمرو بن تميم إذا ذكّرت كَافَ المؤنث فوقفت
عليها أبدلت منها شينا ، لقرب الشين من الكاف في المخرج ، وقال الراجز :
هَلْ لَكَ أَنْ تَنْفَعِي وَأَنْفَعَشِ • وَتُدْخِلِي الَّذِي مَعِيَ فِي اللَّذْمِ مَعَشِ
وأما كسكة بكر فقوم منهم يُبدلون من الكاف سیناً كما فعل التميميون في
الشين . وأما طمطمانية حمير فقيل يقول عنتره :

تَأْوِي لَهُ قُأَصُ النَّعَامِ كَأَوْتِ • حِرْقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَنْجَمِ طِمَطِيمِ
وكان صُهب أبو يحيى رحمه الله يَرَضُخْ لَكِنَّة رومية .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صُهب سابقُ الروم .
وكان عبيد الله بن زياد يَرْضُخْ لَكِنَّة فارسية من قَبْلِ زوج أمه
شِيرَوِيَه الأسواري .

وكان زياد الأعجم ، وهو رجل من عبد القيس ، يَرْضُخْ لَكِنَّة أعجمية ، وأنشد
المهلب في مدحه لإياه :

فَتَى زَادَهُ السُّلْتَانُ فِي الْمَدْرَعَةِ • إِذَا غَيَّرَ السُّلْتَانُ كُلَّ خَلِيلِ

يريد : السلطان ؛ وذلك أن بين التاء والطاء نسبة ، لأن التاء من مخرج الطاء . وأما الغنة فتستحسن من الجارية الحديثة السن . قال ابن الرقاع في الظبية :

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ * قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وقال ابن المقفع : إذا كثُرَ تَقْلِيْبُ اللِّسَانِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَلَانَتْ عَدَنَتُهُ .

وقال العتّابي : إذا حُبِسَ اللِّسَانُ مِنَ الْإِسْتِمْعَالِ أَشْتَدَّتْ عَلَيْهِ مَخَارِجُ الْحُرُوفِ .

وقال الراجز :

كَأَنَّ فِيهِ لَفَفًا إِذَا نَفَقَ * مِنْ مَوْلٍ تَحْيِيْسٍ وَمَمَّ وَأَرْقَ

باب في الإعراب واللمح

١٠ أبو عبيدة قال : مر الشعبي بقوم من الموالى يتذاكرون النحو ، فقال لهم : لئن أصلحتوه إنكم لأول من أفسده .

قال أبو عبيدة : ليته سمع لحن صفوان وخالد بن صفوان وخاقان والفتح ابن خاقان والوليد بن عبد الملك .

وقال عبد الملك بن مروان : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب ، والجدرى في الوجه .

وقيل له لقد عَجَلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين ، قال : شَيْبُنِي ارْتِقَاءُ الْمَنَابِرِ وَثَرُّعُ اللَّحْنِ .

وقال الحجاج لابن يَعمَرَ : أَسْمَعْنِي أَلَحْنَ ؟ قال : أَلَا رُبَّمَا سَبَقَكَ لِسَانُكَ الْحَاجَّاجُ وَيَنْبَسِرُ بِيَمِينِهِ فِي أَنْ وَأَنْ . قال : فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَرَّقْنِي .

٢٠ وقال المأمون لأبي علي المعروف بأبي يعلى المُنْقَرِي : بلغني أنك أَلَحٌّ ، وأنتك

لَا تُقِيمُ الشِّعْرَ ، وأنتك تلحن في كلامك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقت لسانى بالشئ منه ، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا يُنشد الشعر . قال المأمون : سألتك عن ثلاث عيوب فيك فزدتني

عيا رابعا ، وهو الجهل . يا جاهل ، إن ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة ،
وفيك وفي أمثالك نقصة ، وإنما منع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لنبي الطُّنَّة عنه ،
لأليعب في الشعر والكتاب ، وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ وما كنت تتلوا مِن
قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ ﴾ .

٥ وقال عبد الملك بن مروان : الإعراب جمال للوضع ، واللحن مُجَنَّة
على الشريف .

وقال : تعلموا النحو كما تعلمون السن والفرائض .

وقال رجل للحسن : إن لنا إماماً يلحن . قال : أميطوه .

الحسن ورجل
يصف إماما

وقال الشاعر :

١٠ النحو يُسْط من لسانِ الأَلَكْنِ • والمرءُ تُكْرِمُه إذا لم يَلْحِنِ
فإذا طَلَبْتُ من العلوم أَجَلَهَا • فأَجَلُها منها مُقِيمُ الأَلْسِنِ
وقال آخر :

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّةٌ • إذا ارتقى فيه الذي لا يملأه
زَلْتُ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُهُ • يُريد أن يُعَرِّبَهُ فيُعْجِمُهُ

١٥ وقال رجل للحسن : يا أبو سعيد ، فقال : أحسب أن الدوانيق شغلتك عن
أن تقول يا أبا سعيد .

الحسن ورجل
يلحن

وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لَحَّانا ،
فقال : يا غلام ، ادع لي صالح . فقال الغلام : يا صالحا . قال له الوليد : أنقص
ألفا . فقال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين فَرِدْ ألفا .

من لحن الوليد

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قريش ، فقال له الوليد :
من تَحْتَنَك ؟ قال له : فلان اليهودي . فقال : ما تقول ؟ ويحك ! قال : لعلك إنما
تسأل عن تَحْتَنِي يا أمير المؤمنين ، هو فلان بن فلان .

وقال عبد الملك بن مروان : أضربنا في الوليد حُبنا له فلم نَزِمْهُ البادية .

وقد يستثقل الإعراب في بعض المواضع كما يُستخف اللحن في بعضها .

لابن أسامة

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري :

مَنْطِقُ بَارِعٌ وَيَلْحَنُ أَحْيَا . نَا وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا كَانَ لِحْنًا

وذلك أنه من حكي نادرة مُضَحَكَة ، وأراد أن يوفي حروفها حفظها من الإعراب ، طمس حُسْنَهَا وأخرجها عن مقدارها ؛ ألا ترى أن مُزْبِدًا المدبني أكل طعامًا فَبَكَظَه وقيل له : ألا تقي ؟ فقال : وما آقي ، خَبِرْتُ نقي ولحِمُّ طري امرئ طالق ، لو وجدت هذا قِيًّا لَأَكَلْتُهُ .

ابن مهدي
وابن عمر

قال : وكذلك يُستقبح الإعراب في غير موضعه ، كما استقبح من عيسى ابن عمر إذ قال وابن هُبَيْرَة يضربه بالسياط ، والله إن كانت إلا أُنْيَابًا في أُسْنِمَا ، قبضها عشاروك .

وحكى عن بعض المُرِينِ اللحن أن جارية له غَنَتْه :

إِذَا مَا سَمِعْتُ اللَّوْثَ فِيهَا رَفَضْتُهُ * فَيَدْخُلُ مِنْ أُذُنٍ وَيَخْرُجُ مِنْ أُخْرَى

فقال لها : مِنْ أُخْرَى يَا فَاعِلَة ، أَمَا عَلِمْتُكَ أَنَّ (مِنْ) تَخْفِضُ ؟

وقال رجل لشرج : ما تقول في رجل تُوتِي وأخيه ؟ فقال له : شريح ولماه أباه وأخاه . فقال : كم لأباه وأخاه ؟ قال : لأبيه وأخيه . قال : أنت عَلِمْتَنِي ، فَا أَصْنَعُ ؟

بعض الشعراء
ومستدرك عليه

وقال بعض الشعراء . وأدرك عليه رجل من المنفصحين ، يقال له حفص ، لحنًا في شعره ، وكان حفص به اختلاف في عينه وتشويه في وجهه ، فقال فيه .

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنِكَ يَا حَفْصُ شَاغِلٌ * وَأَنْفُ كَثِيلِ الطُّودِ (١) عَمَّا تَتَّبِعُ

تَتَّبِعُ لِحْنًا مِنْ كَلَامٍ مُرَقَّتٍ . وَخَلَقَكَ مَبْنًى مِنَ اللَّحْنِ أَجْمَعُ

فَعَيْنُكَ إِقْرَاءٌ وَأَنْفُكَ مُكْنَأٌ . وَوَجْهُكَ إِطْلَاءٌ فَا فِيكَ مَرْنَعُ

باب في اللحن والتصحيف

- أبو حنيفة . وكان أبو حنيفة لحانا ، على أنه كان في القُتَيَّا وَلُطْفِ النظر واحد زمانه .
وسأله رجل يوما فقال له : ما تقول في رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل قتلته ، أُنْقِده به ؟ قال : لا ، ولو ضربه بأبا قُبَيْس .
- بشر المريسي . وكان بشر المريسي يقول لجلسائه : قَضَى الله لكم الخوائج على أحسن الوجوه وَأَهْنَوْهَا . فسمع قاسم التمار قوماً يضحكون ، فقال : هذا كما قال الشاعر :

إِنْ سُلِّمَتِ وَاللهُ يَكْلُوهَا ۝ صَنَّتْ بَشِيءَ مَا كَانَ يَرْزُوهَا

- وَبِشْرُ الْمَرِيْسِيِّ رَأْسُ فِي الرَّأْيِ ، وَقَاسِمُ التَّمَارِ مُتَقَدِّمٌ فِي أَحْصَابِ الْكَلَامِ ؛
واحتجاجة لبشر أعجب من لحن بشر .

- ابن شبة وإسحاق بن عيسى . ودخل شبيب بن شيبه على إسحاق بن عيسى يُعْزِيهِ عن طفل أصيب به ؛ فقال في بعض كلامه : أصلح الله الأمير ، إِنَّ الطُّفْلَ لَا يَزَالُ مُحْبَنُطِلًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَقُولُ : لَا أَدْخُلُ حَتَّى يَدْخُلَ أَبُوَايَ . قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيْسَى : سَبَّحَانَ الله ! مَاذَا جِئْتَ بِهِ ؟ إِنَّمَا هُوَ مُحْبَنُطِي ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّاجِزِ :

- إِنِّي إِذَا انْفَدْتُ لَا أَجْنُطِي ۝ وَلَا أَحِبُّ كَثْرَةَ التَّمَطُّيِ

- قال شبيب : أَلِي يُقَالُ مِثْلُ هَذَا وَمَا بَيْنَ لَا بَيِّنَهَا أَعْلَمُ مِنِّي بِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَلْبَصْرَةَ لَابِتَانَ يَالْكُغَم ! فَأَبَانَ بِتَقْرِيمِهِ عَوَارَةَ فَأَخْجَلَهُ ، فَسَكَتَ .
قوله : المحنطى : الممتنع امتناع طلب لا امتناع إباء^(١) ، وهو بالطاء غير معجمة ، ورواه شبيب بالظاء المعجمة . وقوله « مَا بَيْنَ لَا بَيِّنَهَا » خطأ ؛ إذ ليس للبصرة لابتان ، وإنما اللابة للبدية والكوفة . واللابة : العرة ، وهى الأرض ذات الحجارة السود .

(١) في بعض الأصول : « الممتنع في ظلال » .

نواذر الكلام

يقال ماء نُفَاح ، لباء العذب . وماء فُرات ، وهو أعذب العذب . وماء قُناع وهو شديد الملوحة . وماء حُرَاق ، وهو الذي يحرق من ملوخته . وماء شروب ، وهو دون العذب قليلا . وماء مُسُوس ، وهو دون الشروب . وماء شَريب ، وهو دون العذب .

اجتمع المفضل الضبي وعبد الملك بن قُريب الأصمعي ، فأنشد المفضل :
الضبي والأصمعي :
تُفْصِمُتْ بِالماءِ تَوَلَّبا جَلَمًا .

فقال الأصمعي : تولبا جدعا . والجذع السيئ الغذاء . فضجَّ المفضل وأكثر . فقال له الأصمعي : لو نفخت في الشُّبُور ما نفعك . تكلم بكلام النمل وأصِيب .

وقال مروان بن أبي حفصة في قوم من رُواة الشعر لا يعلمون ماهو ، على كثرة استكثارهم من روايته :

زَوَامِلُ لِلشُّعَايِرِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ • بِحَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاغِرِ
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا • بِأَوْسَافِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْفَرَارِ

باب نواذر من النحو

قال الخليل بن أحمد : أنشدني أعرابي :

وإن كِلَابًا هذه عَشْرُ أَبْطُنٍ • وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ

قال : فجعلت أعجب من قوله ، عشر أبطن ، فلما رأى عجبِي قال : أليس هكذا قول الآخر :

وكان يَحْيَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى • ثَلَاثَ شُفُوصِ كَاعِيَانِ وَمُعْصِرُ

وقال أبو زيد : قلت للخليل : لِمَ قالوا في تصدير وإِصل : أُوَيْصِلُ ، ولم

يقولوا وُويصل ؟ قال : كرهوا أن يشبه كلامهم ببيع الكلاب .

وقال أبو الأسود الدؤلي : من العرب من يقول : لولاي لكان كذا وكذا . لأبي الأسود

وقال الشاعر :

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَلَحَتْ كَمَا هَوَى • بِأَجْرَائِهِ مِنْ قُتْنَةِ النَّبِيِّ مُنْهَوَى
وكذلك « لولا أتم ، ولولا كم » : ابتداء وخبره محذوف .

لأبزيد وقال أبو زيد : وراء وقْدَام لا يُصْرَفَان لانهما مؤنثان ؛ وتصغير قُدَام قُدَيْدَمَة ، وتصغير وراء ورَيْئَة ؛ وقْدَام خمسة أحرف ، لأن الدال مشددة ، فأسقطوا الالف لأنها زائدة ، ولتلا يُصَغَّر اسمٌ على خمسة أحرف .

لأبستم أبو حاتم قال : يقال أُمُ يَبْنُو الأمومة ، وعمُّ يَبْنُ العمومة . ويقال : مأوم ، إذا شُجَّ أُمُ رأسه ^(١) . ورجل مُموم . إذا أصابه الموم .

للمازني وقال المازني : يقال في حسب الرجل أُرْثَة ^(٢) وَوْصَمَة وأُبْنَة ؛ وكذلك يقال للمصا إذا كان فيها عيب .

ويقال : قَدَيْتُ عَيْنَهُ ، إذا أصابها الرمد .

وقد يقال في التقديم والتأخير مثل قول الشاعر :

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَخْرَاهُ لَهَا • رَكِبْتُ هِنْدُ بَحْدَجَ جَمَلَا
يريد : ركبته هند بحدج جملا في شرَّ يوميهما ، نُصِبَ لأنه ظرف .

١٥ وقد يسمَّى الشيء باسم الشيء إذا جاوره ؛ قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّيَاءِ عَلَيْكُمْ • لَنَا قَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِحُ
قوله : لنا قراها ، يريد الشمس والقمر .

وكذلك قول الناس المعمرين : أبى بكر وعمر .

لأرياشي الرياشي : يقال : أَخَذَ قِصَّتَهَا وَكُفَّيَّتَهَا ، إذا أخذ عذرتها .

٢٠ قال أبو عبيدة : المَعْيُون : التي له منظر ولا تُخْبَرُ . والمعين : التي قد

أصيب بالعين . والمعين : الماء الظاهر

(١) في بعض الأصول : « مأومة » .

(٢) في بعض الأصول : « أصة » .

أبو عبيدة قال : سمعت روبة يقول : أنا رَيْقٌ ، يريد على الرقيق .
 الأصمعي قال : لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر ؛ فقال له : كيف
 رَحَلَك ؟ قال : ماتر داد إلا مثالة . قال : فما هذه المعبوراء التي تركض ؟ يريد :
 ماهذه الحير التي تركب ؟

• يقال : معبوراء ، ومشيوخاء ، ومعبوداء .

قال الأصمعي : إنما يقال : اقرأ عليه السلام ؛ وأنشد :
 اقرأ على عصير الشباب تحية • وإذا أقيمت دداً فقطني من دد
 وقال الفرزدق :

وما شيق القديس من ضعف عقله • ولكن طافت علماء قلفه حائل
 أراد : على الماء ، لحذف . وهذا آخر كتاب سيويه .

وقال بعض الوراقين :

رأيت يا حماد في الصبيد • أرائياً توخذ بالأيدي
 إن ذوي النحر لهم أنفس • معروقة بالمكر والكيد
 يضرب عبد الله زيداً وما • يريد عبد الله من زيد

• وأنشد أبو زيد الأنصاري :

بأفرط فرطحي لا أبا لكم • يا فرط إني عليكم خائف خفيو
 قلتم له أهنج تميماً لا أبا لكم • في قم قائل هذا التزب والحجر
 فإن بيئت تميم ذو سمعت به • بيت به رأست^(١) في عزها مضر

• ذو • هنا في مكان • الذي • لا يتغير عن حاله في جميع الإعراب ؛ وهذه

• لمة طوي ، تجعل • ذو • في مكان • الذي • .

وقال الحسن بن هانئ :

حُب المدامة ذو سمعت به • لم يُبق في غيرها فضلاً

(١) في الكامل : وفيه تنهت وأرست .

وبعض العرب يقول : « لا أَبَاكَ » في مكان « لا أَبَاكَ » مضافاً ؛
ولذلك ثبتت الألف ، ولو كانت غير مُعَرَّبَةٍ لقلت « لا أَبَ لَكَ » بغير ألف .
وليس في الإضافة شيء يشبه هذا ، لأنه حال بين المضاف والمضاف إليه .

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

أَبَا مَوْتٍ الَّذِي لَا بُدَّ أُنَى * مُلَاقِي لَا أَبَاكَ تُخَوِّفُنِي ٥
وقال آخر :

وقد مات شِمَاخٌ ومات مُرَزْدُ * وَأَيُّ كَرِيمٍ لَا أَبَاكَ مُخَلِّدٌ
وأنشد الفراء لابن مالك العقبيل :

لا بن مالك
العقبيل

إِذَا أَنَا لَمْ أَوْمِنْ عَلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ * لِقَاؤُكَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ
هذا مثل قولهم : يَتَيْنِ بَيْنَ .

١٠

وقال محمود الوراق :

الوراق

مَرْجَ السُّدُودِ وَصَالِهِ * نَ فَكَانَ أَمْرًا بَيْنَ بَيْنَ

وقال الفرزدق :

الفرزدق

وإِذَا الرِّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتُهُمْ * مُخَضَّعَ الرِّقَابِ نَوَاصِرَ الْأَبْصَارِ

١٥ قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي : في هذا البيت شيء مُسْتَظَرَفٌ عند
أهل النحو . وذلك أنه جُمِعَ « فاعِل » على « فواعل » وإذا كان هذا ، لم يكن بين
المذكر والمؤنث فرق ؛ لأنك تقول : ضاربةٌ وضوارب ، ولا يقال في المذكر
فواعل إلا في موضعين ، وذلك قولهم فوارس وهوالك ، ولكنه اضطرَّ في الشعر
فأخرجَه عن الأصل ، ولولا الضرورة ما جاز له .

للبرد

٢٠ وقال أبو غسان ربيع بن سلمة تلميذ أبي عُبَيْدَةَ المعروف بَدَمَاز ، يخاطب
أبا عَثَانَ النحوي المازني :

لعماد

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَلْتُ وَأَتَقَبْتُ نَفْسِي لَهُ وَالْبَدَنُ

وَأَتَيْتُ بِكَرًا وَأَتَّخَيْتُ * بَطُولِ الْمَسَائِلِ فِي كُلِّ فَنٍ
 سِوَى أَنْ بَابًا عَلَيْهِ الْمَفَا * وَالْفَاءُ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
 فَكُنْتُ بَطَّاهِرَهُ عَالِمًا * وَكُنْتُ يَاطِيَهُ ذَا فُطْنٍ
 وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِلَى جَنِبِهِ * مِنْ الْمَقَاتِ أَحْسَنُهُ قَدْ لُعِنَ
 إِذَا قُلْتَ هَاتُوا لِمَاذَا يُعَا * لَوْ لَسْتُ بِأَتَيْكَ أَوْ تَأْتِيَنَ
 أَجِيبُوا : لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا * عَلَى النَّصْبِ قَالُوا لِإِضْهَارِ أَنْ
 وَمَا إِنْ رَأَيْتَ لَهَا مَوْضِعًا * فَأَعْرِفْ مَا قِيلَ إِلَّا بِأَنْ
 فَقَدْ خُفْتُ يَا بَكْرٍ مِنْ طَوْلِ مَا * أَفَكَّرَ فِي أَمْرٍ أَنْ، أَنْ أَجِنَ

باب في الغريب والتعقيب

- ١٠ دخل أبو علقمة على أعيان الطيب ، فقال : أصلحك الله ، أكلتُ من لحوم
 هذه الجوازِل ، فَطَعَنْتُ طَسَاءً ^(١) ، فَأَصَابَنِي وَجَعٌ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَدَايَةِ الْعُنُقِ ، فَلَمْ
 يَزَلْ يَنْمُو وَيَرْبُو حَتَّى خَالَطَ الْحَلَبَ ^(٢) وَالشَّرَاسِيفَ ؛ فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ ؟ قَالَ نَعَمْ :
 خُذْ خَرْبِقًا وَسَلْفَقًا وَشِبْرَقًا فَوَهْرَقْهُ وَزَقْرَقْهُ وَاغْسِلْهُ بِمَاءِ ذُوبٍ وَاشْرِبْهُ .
 فقال له أبو علقمة : لَمْ أَهْمُكَ . فقال : مَا أَهْمُكَ إِلَّا كَمَا أَهْمَتَنِي !
 ١٥ وقال له مرة أخرى : إِنِّي أَجِدُ مَعْمَةَ وَقَرْقَرَةً . فقال : أَمَا الْمَعْمَةُ فَلَا أَعْرِفُهَا ،
 وَأَمَا الْقَرْقَرَةُ فَضَّرَاطٌ لَمْ يَنْصَجْ .
 وقال أبو الأسود الدؤلي لأبي علقمة : مَا حَالُ ابْنِكَ ؟ قَالَ : أَخَذَتْهُ الْحُمَى
 فَطَبَخْتَهُ طَبَخًا ، وَرَضَخْتَهُ رَضَخًا ، وَفَتَخْتَهُ فَتَخًا ، فَزَكَّهْتَهُ زَكَا . قَالَ : فَمَا فَعَلْتَ
 زَوْجَتَهُ الَّتِي كَانَتْ تُشَارُهُ وَتُهَارُهُ وَتُمَارُهُ وَتُزَارُهُ ؟ قَالَ : طَلَّقْتُهَا فَتَزَوَّجْتُ بَعْدَهُ
 ٢٠ فَطَعَنْتُ وَنَطَعْتُ . قَالَ : فَمَا بَطَلَيْتَ ؟ فَقَالَ لَهُ : حَرَفٌ مِنَ الْغَرِيبِ لَمْ يَلْعَلْكَ .

(١) طسئ : تنعم

(٢) الحلب : حجاب بين القلب وسواد البطن .

أبو علقمة وأعيان
 الطيب

أبو الأسود
 وأبو علقمة

فقال : يا بن أخي ، كل حرف لا يعرفه عمك فاستتره كما تستر السُّورُ خُرَّاهَا .

ودعا أبو علقمة بحمام يبيحه ، فقال له : أتقِ غسلَ الحَاجِم ، واشدد قَصْبَ الملازم ، وأرهف خُبَاتِ المَشارِط ، وأسرع الوضع ، وعجل النزع ؛ وليكن شرطك وخزا ، ومصك نهزا ، ولا تُرْذَن آتيا ، ولا تُكرهن آتيا .

أبو علقمة
وحجامة

فوضع الحَجام حَاجِمه في جوفته ومضى عنه .

وسمع أعرابي أبا المَكْنُون النحويّ في حلقة وهو يقول في دعاء الاستسقاء :
اللهم ربَّنَا وإلَهِنا ومولانا ، فصلِّ على محمدٍ نبينا ، اللهم ومن أراد بنا سوءاً فأحِطْ ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعتاق الولايد ، ثم أرسنه على هامته كرسوخ السَّجِّل على أصحاب الفيل ؛ اللهم آسِقْنَا غَيْنًا مُفِينًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجْلِجِلًا مُسَحْفِرًا هَزِجًا ، سَمًا سَفُوحًا ، طَبَقًا غَدَقًا مُتَعَنِّجًا نافعاً لِعَامَتِنَا وغير ضارٍّ لِحَاصَتِنَا . فقال الأعرابي : يا خليفة نوح ، هذا الطوفانُ وربُّ الكعبة ، دَعَى حَتَّى آوَى إِلَى جَبَلٍ يَمُصُّ مِنَ الْمَاءِ .

أبو المكنون
وأعرابي

وسمعه مرة أخرى يقول في يوم برد : إن هذا يوم بَلَّةٍ عَصَبُص ، بارد هُلُوف . فارتعد الأعرابي وقال : واقع هذا مما يزيدني بردا .

وخطب أبو بكر المنكور فأغرب في حُطْبته وتَقَرَّر في كلامه ؛ وعند أصل المنبر وجل من أهل الكوفة يقال له حَنَش ؛ فقال لرجل إلى جنبه : إني لأبغض الخطيبَ يكون فصيحا بليغا متَقَرِّرا . وسمعه أبو بكر المنكور الخطيب . فقال له : ما أحوجك يا حَنَش إلى مُدْخَرَجٍ مفتول لين الجِلاد لَدُنْ المَهْزَةِ عَظِيمِ الثَّرةِ (١) ، تؤخذ به من مَغْرِزِ العنق إلى عَجَبِ الذنب ، فتعلّ فتكثُر له رقعاتك من غير جدل .

أبو بكر
المنكور
وحنّش

وقال حبيب الطائي :

الحبيب

فإِنَّكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ هُوَ تَعَاطِيكَ الْغَرِيبِ وَنَ الْغَرِيبِ

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عَلِمًا • إِذَا رَسَخْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

لابن عبيد

ومن قولنا نمدح رجلاً باستهال الامط وحسن الكلام :

قَوْلٌ كَانَ فَرِيدَهُ • يَسْتَرُ عَلَى ذَهَبِ الْغَيْبِ

لَا يَشْمِزُ عَلَى اللِّسَانِ • وَلَا يَشْدُ عَنْ الْقُلُوبِ

لَمْ يَنْزِلْ فِي شَسْعِ الْأَنَا • وَلَا تَوَحَّشَ بِالْغَرِيبِ

سَيْفٌ تَقَلَّتْ مِثْلَهُ • عَطَفَ الْقَضِيبَ عَلَى الْقَضِيبِ

هَذَا تُجَدُّ بِهِ الرَّقَا • وَذَا تُجَدُّ بِهِ الْخُطُوبُ

باب في تكليف الرجل ما ليس من طبعه

قالوا ليس الفقيه بالتفقه ؛ ولا الفصاحة بالتفصح ؛ لأنه لا يزيد منزيد

لبعضهم

في كلامه إلا لنقص يحده في نفسه ، وما آتفت عليه العرب والمجم قولهم :

الطبع أملك :

وقال حفص بن النعمان : المرء يصنع نفسه ، فتي ما تبلى ينزع إلى العرق .

الحفص بن النعمان

وقال العرجي :

يَا أَيُّهَا الْمُتَعَلِّى غَيْرِ شَيْمَتِهِ • وَمِنْ شَمَائِلِهِ التَّبْدِيلُ وَالْمَلَقُ

أَدِجْ إِلَى خُلُقِكَ^(١) الْمَعْرُوفِ دَيْدَنَهُ • إِنَّ التَّخَلُّقَ بَأْسُ دُونِهِ الْخُلُقُ

١٥

وقال آخر :

وَمَنْ يَتَدَبَّعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ^(٢) نَفْسِهِ • يَدَّعُهُ وَيَقْبَلُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا

وقال آخر :

كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ يَوْمًا لِيَسِمَتِهِ • وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ

للخرمى

وقال الخرمي :

بُلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ • وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيعُنَا

(١) في بعض الأصول : خيمك

(٢) في بعض الأصول : سوس .

لبعض الشعراء

وقال آخر :

ولأيمّة لامتك يا فيضُ في الندى • فقلتُ لها هل يقدَحُ اللرمُ في البحرِ
أرادتُ لتتَنِي الفيضَ عن عادةِ الندى^(١) • ومن ذا الذي يثني السحابَ عن القطرِ

لجيب

وقال جيب :

تموّدَ بسطَ الكفِّ حتى لو آتَه • ثناها لقبضٍ لم تجبه أناملُه •
وقال آخر :

وقنّع أطرافهم قبضُها • فإن طلبوا بسطها تنكسر

لبعضهم

وقالوا : إن ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم عجز ، فكان يُصدر
عن رأيه ويتعرّف اليُمنَ في مشورته ، ثم إنه هلك ذلك الملك وقام بعده
ولده ، مُعجب بنفسه مُستبد برأيه فلم يُنزل ذلك الوزير منزله ولا اهتبل رأيه
ومشورته ؛ ف قيل له : إن أباك كان لا يقطع أمرا دونه . فقال : كان يغلط فيه ،
وسأمتعنه بنفسى . فأرسل إليه فقال له : أيهما أغلبُ على الرجل : الأدبُ
أو الطبيعة ؟ فقال له الوزير : الطبيعة أغلبُ ، لأنها أصلُ والآدبُ فرع ،
وكلُّ فرع يرجع إلى أصله . فدعا الملك سُفرتَه ، فلما وضعت أقبلت سنانيرُ
بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة ، فقال للوزير : اعتبر خطأك وضعت
مذهبك ؛ متى كان أبو هذه السنانير شمعا ؟ فسكت عنه الوزير وقال : أهملنى
في الجواب إلى الليلة المقبلة . فقال له : ذلك لك . فخرج الوزير فدعا بغلام له ،
فقال : اتمسك لي فأرا واربطه في خيط وجئني به . فأتاه به الغلام ، فغفده في
سبنيّة وطرحة في كُفّه ، ثم راح من الغد إلى الملك ، فلما حضرت سُفرتَه أقبلت
السنانير بالشمع حتى حُفَّت بها ، فخل الوزير الفأرَ من سبنيّة ثم ألقاه إليها ؛
فاستبقت السنانير إليه ورمت بالشمع ، حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال
الوزير : كيف رأيت غلبة الطبع على الأدب ورجوع الفرع إلى أصله ؟ قال :
صدقت ، ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه .

(١) في بعض الأصول : « عن عادة له » .

فإنما مدار كل شيء على طبعه ، والتكافؤ مذهبهم من كل وجه . قال الله
 لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : «وما أنا من المتكافئين» .
 وقالوا : من تطيع يغير طبعه نزعتنا العادة حتى ترده إلى طبعه ، كما أن الماء
 إذا أسخنته وتركته ساعة عاد إلى طبعه من البرودة ، والشجرة المرة لو طليتها
 بالعسل لا تتمر إلا مرّاً . ٥

باب في ترك المشاركة والممارسة

- دخل السائب بن صبيح على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتعرفني يا رسول
 الله ؟ قال : وكيف لا أعرف شريكى فى الجاهلية الذى كان لا يشارى ولا يمارى ؟
 وقال ابن المقفع : المشاركة والممارسة يفسدان الصداقة القديمة ويحلان العقدة
 الوثيقة ؛ وأيسر ما فهما أنهما ذريعة إلى المنافسة والمنغالية . ١٠
 وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : لا تمار أخاك ، فإما أن تُنصبه وإما أن تكذبه .
 وقال الشاعر :
 فإياك إياك المِراء فإنه هـ إلى السَّبِّ دَعَاءٌ وللضَّرْمِ جَالِبُ
 وقال عبد الله بن عباس : لا تمار قهيباً ولا سفياً ، فإنَّ الفقيه ينقلب
 والسفيه يؤذيكَ . ١٥

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : سبابُ المؤمن فسوق ، وقتاله كفر .

باب فى سوء الأدب

- دخل عروة بن مسعود الثقفى على النبي صلى الله عليه وسلم : فجعل يحذِّه
 ويشير يده إليه حتى تمس لحية ، والمغيرة بن شعبه واقف على رأس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يده السيف ، فقال له : أقبضْ يَدَكَ عن لَحْيَةِ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك أقبض يده عروة . ٢

وعروة هذا عظيمُ القريتين الذي قالت فيه قريش ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ويقال : إنه الوليد بن المخيرة المخزومي .

التي على الله
عليه وسلم
ووفد تميم

ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ناداه رجل منهم من وراء الجدار : يا محمد ، أخرج إلينا . فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ

- مِنْ وَرَاءِ الْحِجَرَاتِ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وفي قراءة ابن مسعود : ﴿بنو تميم أكثرهم لا يعقلون﴾ وأنزل الله في ذلك : ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَلِمَاءَ بَعْضُكُمْ بِضَاءً﴾ .

ونظر أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى رجل يبيع ثوباً ، فقال له : أتبيع الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ! قال . لقد علمت لو تعملون ! قل : لا ، وعافاك الله .

أبو بكر وبائع
ثوب

وخطب الحسن في دم ، فأجابه صاحب الدم فقال : قد وضعت ذلك الدم لله ولوجوهكم . قال له الحسن : ألا قلت : قد وضعت ذلك الدم لله خالصاً ؟

الحسن في دم

وذكر أعرابي رجلاً بسوء الأدب فقال : إن حدثتني سابقك إلى ذلك الحديث وإن تركته أخذتني الترهات .

أعرابي في
سببه أدب

- ١٥ ودخل بعضُ الرواة على المهدي ، فقال له : أنشدني قولَ زهير :

المهدي وبش
الرواة

• لَمِنَ الدِّيَارِ بَقِيَّةُ الْحَجْرِ •

فأنشدها حتى أتى على آخرها . فقال له المهدي : ذهب والله من كان يقول هذا . فقال له : كما ذهب واقه من كان يقال فيه ، فأنشده واستجملته .

ولما رفع قُطْرُبُ النحوي كتابه في القرآن إلى المأمون ، أمر له بمجازة وأذن له ، فلما دخل عليه قال : قد كانت عِدَّةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته ، فغضب

المأمون وهارب

- ٢٠ المأمون وهم به ، فقال له سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يقل بذات نفسه ، وإنما غلب عليه الحضر ! ألا تراه كيف يرشح جبينه ويكسر أصابعه ! فسكن غضبُ المأمون واستجمله واستحمله .

المأمون
والملوك

وكان الحسن الملقب ليلة عند المأمون بالرقّة وهو يسامره ، إذ نفس المأمون
والحسن يحذّنه ، فقال له : نعتت يا أمير المؤمنين فانتبه ! فقال : سوقي وربّ السكبة !
يا غلام ، خذ يده .

هشام وابوالنجم

ودخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك بأرجوزته التي أولها :

* الحمد لله الوهوب المجزّل .

وهي من أجود شعره ! فلما أتى على قوله :

* والشمس في الجوّ كعين الأحول

غضب هشام ، وكان أحول ، فأمر بصنّف قفاه وإخراجه .

يزيد بن عبد الملك
وكثير

ودخل كثير عزة على يزيد بن عبد الملك ، فينها هو يحذّنه إذ قال : يا أمير المؤمنين ،

ما معنى قول الشماخ :

إذا الأرض طيّت نوسد أبرديّه * تحدود جوازي بالرميل عين

فقال يزيد : وماذا على أمير المؤمنين ألا يعرف ما قال هذا الأعرابي الجلف مثلك ؟

وأستعصمه وأمر بإخراجه .

عبد العزيز بن
مهوان وكثير

ودخل كثير عزة على عبد العزيز بن مهوان فأنشده مدحته التي يقول فيها :

وأنت فلا تُفقد ولا زال منك * إمام يحيا في حجاب مُسدّن

أشتم من الغادين في كلّ حلّة * يمسون في صنب من العصب مُتّقن

لهم أزر حمر الحواشي يطونها * بأقدامهم في الحضرى المكنن

فاستحسنها وقال له : سل حاجتك ! فقال : توليني مكان ابن رمانة كاتيك .

فقال له : ويلك ! إذا كاتب وأنت شاعر ! فكيف تقوم مقامه وتسدّ مسدّه ؟ فلما

خرج من عنده ندم وقال :

عجبت لأخذني حطة العجز بدماء * تبين من عبد العزيز قلوبها

لئن عاد لي عبد العزيز بمنيلها * وأمكنتني منها إذا لا أقولها

[فهل أنت إن راجعتك القول مرة * بأحسن منها عائد فمئيلها ؟]

- وما يؤتى الأحف
وابن الأشعث
- ووقف الأحف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن للأحف ثم
لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمد في مشيته حتى دخل قبل الأحف ، فلما رآه معاوية
قال له : والله إنى ما أذنتُ له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله ، وإنّا كما نلى أموركم كذلك
نلى أديبكم ، ولا تزيدُ مَترَيدَ في أمره إلا لنقص يجده في نفسه .
- لعبد الملك
- وقال عبد الملك بن مروان : ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخفَّ بهم : العلماء ،
والسلطان ، والإخوان ؛ فمن استخف بالعلماء أفسد دينه ، ومن استخف بالسلطان
أفسد دُنياه ، ومن استخف بالإخوان أفسد مَروءته .
- بين عمر بن
عبد العزيز وأبي
الزناد كاتبه
- وقال أبو الزناد : كنتُ كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحيد
عامله على المدينة في المظالم ، فيراجعها فيها ؛ فكتب إليه : إنه يُخَيَّلُ إلى أنى لو كتبتُ
إليك أن تعطى رجلاً شاة ، لكتبتُ إلى : أضائاً أم مَرا ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما
لكتبتُ إلى : أذكرُ أم أنى ؟ ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتُ : أصغيراً أم كبيراً ؟
فإذا كتبتُ إليك في مظلة فلا تراجعني فيها .
- أبو جعفر
وابن قتيبة
- وكتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة ، يأمره بهدم دُورٍ من خرج مع إبراهيم
ابن عبد الله وعُقر نخلمهم . فكتب إليه : بأى ذلك نبدأ ، بالشُور أو بالخل ؟ فكتب
إليه أبو جعفر : إنى لو أمرتك بإفساد تمرهم ، لكتبتُ [إلى] : بأى ذلك نبدأ ،
بالصِّيحان أم بالبرّنى . وعزله وولى محمد بن سليمان .
- ولمحمود الوراق :
- كم قدر أيت مساة • من حيث تطمع أو تُسرّا
ولربما طلب الفسق • لا تخيبه منفعة فُسرّا
- عدي وشريح
القاضي
- ودخل عدي بن أرطاة على شريح القاضي ، فقال له : أين أنت أصلحك الله ؟
قال : بينك وبين الحائط ، قال : اسمع منى ، قال : قل نعم ، قال : إنى رجل من أهل
الشام ، قال : مكان صحيح ، قال : وتزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال :
وولد لى غلام ، قال : ليَهْنِك الفارس ، قال : وأردت أن أرحلها ، قال : الرجل
أحق بأهلها ، قال : وشرطت لها دواها ، قال : الشرط أهولك ، قال : فاحكم الآن بيننا ،

قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من ؟ قال :
بشهادة ابن أخت خالتك .

أراد شريح إقراره على نفسه بالشرط ؛ فكان شريح صاحب تمرىض عويص .

شريك
واسماعيل

ودخل شريك بن عبد الله على اسماعيل وهو يتخير يعود ؛ فقال للخادم : جئنا
يعود لأبى عبد الله . فجاء يربط ، فقال اسماعيل : اكسره . وقال لشريك : أخذوا
البارحة فى الحرس رجلا ومعه هذا الربيط .

لبعض الشعراء

وقال بعض الشعراء فى عيسى الخادم :

ومنى أذعها بكأس من الماء . . . أتتني بصحفة وزبيب

لمحبب بن قباب

وقال حبيب فى بنى تغلب من أهل الجزيرة يصفهم بالجفاء وقلة الأدب مع

كرم النفوس : . .

لارثة الحَصِير^(١) اللطيف غَنَظَهُمْ . . . وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ

فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَهُيْهِمْ . . . كَرَمَ النَّفُوسِ وَهَلَّةَ الْأَدَابِ

الشعبي مع جليس

وكان قتي مجالس الشعبي ، وكان كثير الصمت ، فالتفت إلى الشعبي ، فقال له :

إني لأجد فى قفاى حِكَّةً ، أفأمرنى بالحجامة ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذى حولنا من

الفقه إلى الحجامة . ١٥

ابن الحبيب
ونظلم

قال : وأتى أحمد بن الحبيب بعض المتظلمين يوما ، فأخرج رجله من الركاب

فركله بها . فقال فيه الشاعر :

قل للخليفة : يابن عم محمد . أشكل وزيرك إنه رَكَال

شريف مع وكيل
تاجر

وبعث رجل من التجار وكيلاً له إلى رجل من الأشراف يقتضيه مالاً عليه ،

فرجع إليه مضروباً ؛ فقال له : وإياك مالك ؟ قال : سَبَّكَ ، فسبَّته ، فضربني . قال :

وما قال لك ؟ قال : قال أدخل أثير الحمار فى حِرَامٍ مَنْ أُرْسَلَكَ ا قال : دعنى من أقترائه

عليّ وسبّه لي ، وأخبرني كيف جعلت أنت لاير الحمار من الحرمة ما لم تجعله لحر أُم من أرسلك ؟ هلا قلت : أير الحمار في هن أُم من أرسلك .

باب في تحنك الفقى

لمعرب بن الخطاب قيل لعمر بن الخطاب : إن فلاناً لا يعرف الشر . قال : ذلك أخرى أن يقع فيه .

٥

ولمعيان الثوري وقال سفيان الثوري : مَنْ لم يحسن أن يَنْسَى لم يُحَسِّن أن يَتَقَرَّ .
ولمرو بن العاص : ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ، وإنما العاقل الذى يعرف خيرَ الشرِّين .

ومثل ذلك قول الشاعر : بعض الشعراء

رضيت ببعض الذلِّ خوف جميعه * كذلك بعض الشرِّ أهونُ من بعض

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب ، قال : كان والله له فضل يمتنه من أن يخدع ، وعقل يمتنه من أن يتخدع .

للمغيرة في عمر ابن الخطاب

وقال إياس : لست بحبِّ والحبِّ لا يتدعنى . لإياس

وتجادل ابن سيرين والحسن ، وكان الحسن يرى كلَّ مسلم جائر الشهادة حتى يظهر عليه سقطة أو يجرحه المشهود عليه ، وكان إياس لا يرى ذلك ؛ فأقبل رجل ١٥ إلى الحسن فقال : يا أبا سعيد ! إن إياساً ردَّ شهادتي . فقام معه الحسنُ إليه فقال : يا أبا وائله ، لم رددتْ شهادةَ هذا المسلم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ صُلِّيَ صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم ، له ما لنا وعليه ما علينا . فقال له إياس : يا أبا سعيد يقول الله تعالى ﴿مَنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ﴾ وهذا مما لا تَرْضاه .

٢٠ وكان عامر بن عبد الله بن الزبير في غاية الفضل والدين ، وكان لا يعرف الشر ، فبينما هو جالس في المسجد إذ أتى ببطائه ، فقام إلى منزله فليسه ، فلما صار إلى بيته ذكره ، فقال لخادمه : أذهب إلى المسجد فأُتني ببطائي . فقال له :

عامر بن عبد الله وسقطة عطاءه

وَأَيْنَ نَجْدِهِ ؟ قَالَ : سَبَّحَانَ اللَّهِ ! أَوْ بَقِيَ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ .

وقال أبو أيوب : من أحمأى مَنْ أرتجى بركة دعائه ولا أقبلُ شهادته .

وذكرت فاطمة بنتُ الحسين عليهما السلام عند عمر بن عبد العزيز ، وكان لها معظماً ، فقيل : إنها لا تعرف الشر . فقال عمر : عَدَمُ معرفتها بالشر جَنَّتْهَا الشر .

وكانوا يستحسنون الخُنْكَ للفتى والصَّبُوةَ للحدث ، ويكرهون الشيب قبل أوانه ، ويشبهون ذلك بيبوس الثرة قبل نُضجها ، وإن ذلك لا يكون إلا من ضرر فيها .

فأنفع الإخوان مجلساً ، وأكرمهم عشرة ، وأشدُّهم جذفاً ، وأنهمم نفساً ، من لم يكن بالشاطر المفتك ، ولا الزاهد المتك ، ولا الماجن المنطرف ، ولا العابد المتقف . ولكن كما قال الشاعر :

باهندُ هل لكِ في شيخٍ فتى أبداً * وقد يكونُ شبابٌ غيرَ فتیانِ

وقال آخر :

وفتى وهو قد أنافَ على الحسينَ يَلْفَاك في ثيابِ غلام

وقال آخر :

فلنُسكِ مِنِّي جانبٌ لأُضِيعُهُ * وللهوِ مِنِّي والبَطَالَةِ جانبٌ

وقال حبيب :

كَهْلُ الأناةِ فتى الشذاة إذا عدا * للزَّوْجِ كانَ القشَمَ النظريفا

ومن قولنا في هذا المعنى :

إذا جالسَ الفتيانُ أَلْفَيْتَهُ فتى * وجالسَ كَهْلَ الناسِ أَلْفَيْتَهُ كَهْلاً

ونظيره قول ابنِ حِطَّانَ :

يوماً يَمَانِ إذا لاقيتُ دَائِمِينَ * وإن لقيتُ مَعْدِيّاً فَهَذَانِ

وقول عمران بن حطان هذا يحتمل غير هذا المعنى ، إلا أن هذا أقرب

لأبي أيوب

للسر بن عبد
العزيز في فاطمة

ما يستحسن
ويكره

لبعض الشعراء

لحبيب

لابن مبدد

لابن حطان

إليه وأشبه به ، لأنه أراد أنه مع اليائس يمانى ، ومع العدنانى عدنانى ،
فيحتمل أن ذلك لخوف منه أو مساعدة ؛ وكل ذلك داخل فى باب الحكمة
والحذق والتجربة .

ليضمهم وقالوا : اصحب البرّ لتأتى به ، والفاجر لتتحك به .

وقالوا ، من لم يصحب البرّ والفاجر ولم يؤدبه الرخاء والشدة ، ولم يخرج من
الظل إلى الشمس مرة ، فلا ترّجّه .

ومن هذا قولهم : حَلَبَ فلانٌ الدهرَ أَشْطَرَه ، وشرب أَفْوَيقَه . إذا فهِم
خَيْرَه وشَرَه ، فإذا نزل به النِّى عرفه ولم يُبطِرَه ، وإذا نزل به البلاء صبر له
ولم يُسْكِرَه .

لهذه الدرى وقال هذبة العُدْرى :

ولست بمُفْرَاحٍ إذا الدهرُ سَرَنى * ولا جازعٍ من صرفه المُتَغَلِّبِ
ولا أتنى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحِلُّ على الشرِّ أركبِ
وقال عبد العزيز بن زرارة فى هذا المعنى :

لهذه الدرى
ابن زواردة

قد عشت فى الدهرِ أطواراً على طُرُقٍ * شتى فصادفتُ منه اللين والفظماً
كُلًّا عرفتُ فلا التَّعْماءُ تُبْطِرُنِى * ولا تَحْشَمُتُ من لَوائِه جزعا
لا يَمَلُّ الأمرُ صدرى قبلَ وَقْعَتِه * ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وقعا
وقال آخر :

لبعض الشعراء

فإن تهموا بالنذر دارى ^(١) فإنها تراثٌ كبيرٌ لا يخافُ العواقبا
إذا همَّ ألقى بينَ عَيْنَيْهِ عِزْمَهُ * وأضرب عن ذِكْرِ العواقبِ جانباً
ولم يستشِرْ فى أمرِهِ غيرَ نفسه * ولم يرض إلا قائمَ السيفِ صاحباً
سَأَغْسلُ عَنِ العارِ بالسيفِ جالِباً * على قضاءِ الله ما كانَ جالِباً
وسئلت هند عن معاوية ، فقالت : والله لو جمعت قريش من أقطارها ثم رُبِى

لهند فى معاوية

به في وسطها يخرج من أي أعراضها شاء .

لبعض الشعراء

وهذا نظير قول الشاعر :

بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ هـ أَصَاحِبُهُ إِلَّا عِرَاكَ بْنَ نَازِلٍ
وَعَلَى بِهِ بَيْنَ السَّيَاحِلِينَ أَنَّهُ * سَيَنْجُو بَحْرِي أَوْ سَيَنْجُو يَاطِلٍ
وقال آخر :

لَيْنَ كُنْتُ عِثَاجًا إِلَى الْحِلْمِ إِنِّي هـ إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينِ أَحْوَجُ
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْجَهْلَ خِدْنًا وَصَاحِبًا هـ وَلَكِنِّي أَرْضَى بِهِ حِينَ أُخْرِجُ
فَإِنِ قَالَ قَوْمٌ إِنَّ فِيهِ سَمَاجَةً هـ فَقَدْ صَدَقُوا ، وَالذُّلُّ بِالْحَرِاسِمِجِ
وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مَلِجٌ * وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرِجُ
فَرَسٌ شَاءَ تَقْوِي مِي فَإِنِّي مُقَوِّمٌ * وَمَنْ شَاءَ تَعْوِجِي فَإِنِّي مُعَوِّجُ ١٠

لماوية في
الغامدي

وقال معاوية في سفيان بن عوف الغامدي : هَذَا الَّذِي لَا يُكْفِكُفُ مِنْ
عَجَلَةٍ ، وَلَا يُدْفَعُ فِي ظَهْرِهِ مِنْ بَطْمٍ ، وَلَا يُضْرَبُ عَلَى الْأُمُورِ ضَرْبُ
الْجَلِّ الثَّقَالِ .

لحسن بن هاني

وقال الحسن بن هاني :

مَنْ لِلجِدَاعِ إِذَا الْمِيدَانُ مَاطَلَهَا هـ بِشَاوٍ (١) مُطْلَعُ الْغَايَاتِ قَدْ قَرَحَا ١٥
مَنْ لَا يُفَصِّصُ مِنْهُ الْبُؤْسُ أَمَلَهُ هـ وَلَا يُصَدِّدُ أَطْرَافَ الرُّثَى فَرَحَا

لجرير

وقال جرير :

وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا زُرَ فِي قَرْنٍ هـ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةُ الْبُزْلِ الْفَنَائِسِ

باب في الرجل التفاع الضرار

بهمز

٢٠ يقال : إِنَّهُ لَخَرَّاجٌ وَلَاجٌ ، وَأَنَّهُ لَحَوْلٌ قَلْبٌ ؛ إِذَا كَانَ مُتَصَرِّقًا فِي أُمُورِهِ
تَفَاعًا لِأَوْلِيَائِهِ ، ضَرَارًا لِأَعْدَائِهِ . وَإِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ قِيلَ : مَا يُحِلِّي وَلَا يُبَيِّزُ

(١) في بعض الأصول : هـ بكل .

ولا يُعَدُّ في العير ولا في النَّفِير ، وما فيه خيرٌ يُرَجَى ولا شرٌّ يُتَّقَى .

وقال بعضهم : لا يَرْضَى العاقل أن يكون إلا إماماً في الخير أو الشر .

لبعض الشعراء وقال الشاعر :

إذا أنت لم تنفعَ فضرَّ فإنما * يُرَجَى النَّفْيُ كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا

٥

ولقال حبيب

ولم أرَ نفعاً عند من ليس ضارّاً * ولم أرَ ضرراً عند من ليس ينفعُ

وسمع أعرابي رجلاً يقول : ما أتى فلان يوم خير قط . فقال : إن لا يكن

أتى يوم خيرٍ فقد أتى يوم شر .

وقال الشاعر :

١٠ وما فعلت بنو ذبيان خيراً * ولا فعلت بنو ذبيان شراً

وقال آخر :

قَبَحَ الإلهُ عداوةَ لا تُتَّقَى * وَقَرَابَةَ يُدَلَّى بِهَا لَا تَنْفَعُ

ونفر رجل فقال : أبى الذى قَتَلَ الملوكة وَغَصَبَ المنابر ، وفعل وفعل !

فقال له رجل : لكنه أَمِيرٌ وَقُتِلَ وَصُلِبَ . فقال : دَعْنِي من أشره وقُتِله وصأبه ؛

١٥

أبوك جَدَّتْ نفسه بشيء من هذا قط ؟

وقال رجل (" بدم قومه ، وأغارَت بنو شَيْبَانَ عَلَى إبله فاستنجدهم فلم ينجدوه ،

لشاعر في دمه قومه

وكان فيهم ضعيف ، فقال فيهم :

لو كنتُ من مازِنٍ لم تَسْتَسِخِرْ إِبِلِي * بنو اللقيطة مِن دُهلِ بن شَيْبَانَ

إذا لِقَامَ بنُصْرَى مَعَشَرُ حُحْنُ * عند الحفيظةِ إِنْ ذُو لُؤْمَةٍ لَنَا

٢٠

لا يَسْأَلُونَ أَحَامٍ حِينَ يَدُبُّهُمْ * فى النَّابَاتِ عَلَى مَا قَالُ بُرْهَانَا

قومٌ إذا الشَّرُّ أَيْدَى نَاجِذِهِ لَمْ * طَارُوا إِلَيْهِ زَرَفَاتٌ وَوَحْدَانَا

لكن قومى وإن كانوا ذَوِي عَدِي * ليسوا من الشَّرِّ فى شيء وإن هَانَا

يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفَرَةً ۝ وَمَنْ لُؤْسُهُ أَهْلُ السُّوءِ إِحْسَانًا
كَأَنَّ رَبَّهُ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ ۝ سَوَاءٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانًا
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكَبُوا ۝ شَتَّوْا الْإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرَكَبَانَا
وَلَمْ يَرِدْ بِهَذَا أَنَّهُ وَضَعَهُمُ بِالْحِلْمِ وَلَا بِالْحَشِيَّةِ اللَّهُ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الذِّلَّ وَالْعِجْزَ ؛
٥ كَمَا قَالَ النَّجَاشِيُّ فِي رَهْطِ تَمِيمِ بْنِ مَقْبِلٍ :

النَّجَاشِيُّ فِي
ذِمِّ تَمِيمٍ

قَبِيلَتُهُ لَا يَخْفِرُونَ بِذِمَّتِهِ ۝ وَلَا يَطْلُبُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً ۝ إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَهْلٍ
وَكُلٌّ مِنْ نَفْعٍ فِي شَيْءٍ فَقَدْ ضَرَّ فِي شَيْءٍ .

لأشجع

وَكُنْ ذَلِكَ قَوْلَ أَشْجَعِ بْنِ عَمْرِو :

يَصْطَادُ أَعْنَاقًا بِمَنْصُلِهِ ۝ وَيَفْكُ أَعْنَاقًا مِنَ الرُّقِّ ١٠

الحسن بن حازم

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ حَازِمٍ :

يَرْجُو وَيَخْشَى حَالَتِكَ الْوَرَى ۝ كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

لابن دود

وَمَنْ قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

مَنْ يُرْتَجَى غَيْرُكَ أَوْ يَتَّقَى ۝ وَفِي يَدَيْكَ الْجُودُ وَالْبَاسُ
مَا عَشَّتْ عَاشِ النَّاسُ فِي نِعْمَةٍ ۝ وَإِنْ تَمُتْ مَاتَ بِكَ النَّاسُ ١٥

لبعض الشعراء

وَقَالَ آخَرُ :

وَلَيْسَ قِيَّ الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَأَغْدَى ۝ لَشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لَشَرْبِ غُبُوقٍ
وَلَكِنْ قِيَّ الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَأَغْدَى ۝ لَطَرٍّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

باب فِي طَلَبِ الرِّغَائِبِ

وَاحْتِمَالِ الْمُنَارِمِ^(١)

٢٠

فِي كِتَابِ لِلْهِنْدِ : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرِّغَائِبَ ، وَمَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : الرِّغَائِبُ .

الذى لعله أن ينال منه حاجته ، مخافة ما لعله يُوقاه ، فليس ببالغ جسيما ؛ وإن الرجل ذا المروءة ليكون حامل الذكر خاضق المنزلة ، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع كالثملة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا ، وذو الفضل لا يخفى فضله وإن أخفاه ، كالمسك الذي يُختم عليه ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكي والظهور .

ومن قولنا في هذا المعنى :

لابن عبدربه

خُتِمَتْ قَارَةُ مِسْكِ . فَأَبَتْ إِلَّا التَّذَكِّي

ليس يخفى فضل ذي الفضل يزور أو يافك

والذي يزور في الفضل غي عن مزي

ربما غم هلال الفطر في ليلة شك

ثم جلى وجهه التو * رُجِلَ كُلُّ حَلَكِ

إن ظهر اليم لا تر * كبه من غير فلك

ونظام الدر لا تمقده من غير سلك

ليس يصفو الذهب الإبرير إلا بعد سبك

هذه جملة أمثاله ل فن شاء فيحكى

أبطلت كل يمان وشامى ومكى

ليس ذا من صوغ عيشي ولا من نسج عكى

وقالوا لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين : إما في الغاية من

لبعضهم

طلب الدنيا ، وإما في الغاية من تركها . ولا ينبغي له أن يرى إلا في مكانين :

إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبذلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ماسق

غنى ، ولا الغنى غنى إذا ماسق غرما .

ونظار معاوية إلى عسكر علي رضي الله عنه يوم صفين ، فقال : من طلب

معاوية وعسكر
على يوم صفين

عظايا غامر بعظيمته . وأشار إلى رأسه .

وقال حبيب الطائي :

أعاذني ما أخشن الليلَ مركباً • وأخشنُ منه في العُلُماتِ رَاكِبُهُ
ذَرِينِي وَأَهْوَالَ الزمانِ أَقَامِهَا • فَأَهْوَالُهُ الْعُظْمَى تَلِمَهَا رَغَابُهُ

حبيب

وقال كعب بن زهير :

وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ يُفَيْتُهُ • وَلَيْسَ لِرَحِيلٍ حَطُّهُ اللَّهُ حَامِلُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْعَنَا • أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلُ

لكعب بن زهير

وقال الشماخ :

فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعِيشَةٍ • وَلَا فِي بَيوتِ الْحَيِّ بِالْمَوْتِ لَاحِجُ
فَتَى بِمَلَأُ الشَّبَى وَيُرْوِي سَنَانَهُ • وَيَضْرِبُ فِي رَأْسِ الْكَيْمِ الْمُدَجِّجُ

الشماخ

وقال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أُنْسَى لِأَذَى مَعِيشَةٍ • كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أُنْسَى لِجَدِّ مُؤْتِلٍ • وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتِلَ أَمْنَالِي

لامرؤ القيس

وقال آخر :

لَوْ لَا سَهْمَةُ أَعْدَاءِ ذَوِي حَسَدٍ • أَوْ أَنَّ أَنَالَ بَنَفْعِي مَن يُرَجِّئِي
لَمَّا خَطَبْتُ مِنَ الدُّنْيَا مَطَالِيهَا • وَلَا بَذَلْتُ لَهَا عِرْضِي وَلَا دِينِي
لَكِنُّ مَنَافَسَةُ الْأَعْدَاءِ تَحْمِلُنِي • عَلَى أُمُورٍ أَرَاهَا سَوْفَ تُزْذِنِي
وَكَيْفَ لَا كَيْفَ أَنْ أَرْضَى بِمَنْزِلَةٍ • لَا دِينَ عِنْدِي وَلَا دُنْيَا تُؤَانِنِي

لبعض الشعراء

وقال الخطيب في هجائه الزبرقان بن بدر :

دَجَّ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لُبُغَيْبِهَا • وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

الخطيب يهجو
الزبرقان

فاستعدي عليه عمر بن الخطاب وأسمعه الشعر ، فقال : ما أرى بما قال بأسا .

قال : والله يا أمير المؤمنين ما هجيت بيت قط أشد منه . فأرسل إلى حسان فسأله :

هل هجاء ؟ فقال : ما هجاء ، ولكنه سلخ عليه .

١٥

٢٠

لدا عر حدث وقد أخذ هذا المعنى من الحطيئة بعض المحدثين . فقال :

إِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبَكُمْ • أَنْ تَلْبَسُوا خَزَالَ الثِّيَابِ وَتَشَبَعُوا
فَإِذَا تَذَوُّدُوكُمُ الْمَكَارِمُ مَرَّةً • فِي مَجْلَسِ أَنْتُمْ بِهِ فَتَقَنُّوا

وقالوا : مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْزِلِ الرِّغَابُ ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِظَامَ
خَاطَرَ بِعَظِيمَتِهِ .

وقال يزيد بن عبد الملك ، لما أتى برأس يزيد بن المهلب ، فقال منه بعض
جلسائه ، فقال : إِنْ يَزِيدُ رَكَبَ عَظِيمًا ، وَطَلَبَ جَسِيمًا ، وَمَاتَ كَرِيمًا .

وقال بعض الشعراء :

لَا تَقْنَعَنَّ وَمَطْلَبُكَ مُحْكِنٌ • فَإِذَا تَضَايَقَتِ الْمَطَالِبُ فَاقْتَنَعْ

١٠. وما جُبِلَ عَلَيْهِ الْحُرُّ الْكَرِيمُ إِلَّا يَقْنَعُ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَشْيً •
عَمَّا انْبَسَطَ لَهُ ، أَمَلًا فِيمَا هُوَ أَسْنَى مِنْهُ دَرَجَةً وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةً ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِلْحَكِيمِ الرَّاجِزِ : إِنْ لِيَ نَفْسًا تَوَاقَهَ ؛ فَإِذَا بَلَغَكَ أَنِّي صَرْتُ إِلَى
أَشْرَفٍ مِنْ مَنْزِلَتِي هَذِهِ ؛ فَبَعِينٍ مَا أَرَيْتُكَ . قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ عَامِلٌ الْمَدِينَةَ لِسُلَيْمَانَ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ قَدِمَ عَلَيْهِ ذُكَيْنٌ . فَقَالَ لَهُ : أَنَا كَمَا أَعْلَنْتُكَ
أَنْ لِيَ نَفْسًا تَوَاقَهَ ؛ وَأَنْ نَفْسِي تَاقَتْ إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الدُّنْيَا فَلَمَّا بَلَغْتَهَا رَجَدْتُهَا
١١. تَتَوَقَّ إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ .

وَمِنْ الشَّاهِدِ لِهَذَا الْمَعْنَى ، أَنَّ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا كُلِّهَ اللَّهُ تَكْلِيمًا ،
سَأَلَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ . إِذَا كَانَ ذَلِكَ لَوْ وَصَلَ إِلَيْهِ أَشْرَفُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي نَالَهَا ، فَانْبَسَطَ
أَمَلُهُ إِلَى مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ . لِيُسْتَدَلَّ بِذَلِكَ أَنَّ الْحُرَّ الْكَرِيمَ لَا يَقْنَعُ بِمَنْزِلَةٍ إِذَا رَأَى
مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهَا .

٢٠.

وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَالْحُرُّ لَا يَكْتَفِي مِنْ نَيْلِ مَكْرُمَةٍ • حَتَّى يَرَوْمَ الَّتِي مِنْ دُونِهَا الْعُطْبُ
يَسْعَى بِهِ أَمَلٌ مِنْ دُونِهِ أَجَلٌ • إِنْ كَفَّهُ رَهَبٌ يَسْتَدْعِيهِ رَغْبُ

لِذَاكَ مَا سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ أَرِنِي • أَنْظُرْ إِلَيْكَ وَفِي تَسَالَهُ نَجَبُ
يَنْغِي التَّزِيدَ فِيمَا نَالَ مِنْ كَرَمٍ • وَهُوَ النِّجَى لَدَيْهِ الْوَحْيُ وَالْكَتَبُ
وَقَالَ تَأْبِطُ شَرًّا فِي ابْنِ عَمٍ لَهُ بِصَفِهِ بَرْكُوبُ الْأَهْوَالِ وَبِذَلِّ الْأَمْوَالِ :

لأجله ١

وإِنِّي مُهَيِّئٌ مِنْ تَنَائِي قَضَائِدَ • بِهِ لَا بِنِ عَمِّ الصَّدِيقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكٍ
أَهْرُ بِهِ فِي تَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ • كَمَا هَرَّ عِطْفِي بِالْمِجَارِ الْأَوَارِكِ
قَلِيلَ التَّشَكُّي لِلْمُهْمُ يُصِيبُهُ • كَثِيرُ النَّوَى شَتَّى الْهَوَى وَالْمَسَالِكِ
يُظَلُّ بِمَوَاهٍ وَيُوسَى بِفِرْهَا • وَجِدًّا وَبِعَرْوَى ظُهُورَ الْمَهَالِكِ
وَيَسْبِقُ وَقَدْ رَجَحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي • بِمُخْرِقٍ مِنْ شِدَّةِ الْمُتْدَارِكِ
إِذَا خَاطَ عَلَيْهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ • لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْعَانٍ فَاتِكِ
وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ رَيْبَةً قَلْبِهِ • إِلَى سَلَةٍ مِنْ جَهَنَّمَ أَخْلَقَ صَائِكِ
إِذَا هَزَّهَ فِي عَظَمِ قَرْنٍ تَهَلَّتْ • تَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الصَّوَاحِكِ
وَقَالَ غَيْرُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ [بَلْ هِيَ لَهُ أَيْضًا] :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَتَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ • أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُدْبِرُ
وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا • بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَذَاكَ قَرِيبُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ • إِذَا سُدَّ مِنْهُ مِخْرَجُ جَاشٍ مِخْرُ

١٥

باب الحركة والسكون

قال وهب بن منبه : مكوب في التوراة : ابن آدم ؛ حُلِفَتْ مِنَ الْحَرَكَةِ : فِي الْأَثَرِ
لِلْحَرَكَةِ ، فَتَحَرَّكَ وَأَنَا مَعَكَ .

وفي بعض الكتب : ابن آدم ؛ أَمَدَدَ يَدَكَ إِلَى بَابٍ مِنَ الْعَمَلِ أَفْتَحَ لَكَ بَابًا .

٢٠ من الرزق .

وشاور عتبة بن ربيعة أخاه شيبه بن ربيعة في النجعة ؛ وقال : إني قد أجديتُ ،
ومن أجذب انتجع . فذهبت مثلا . قال له شيبه : ليس من العز أن تنعرض للذل
فذهبت مثلا . فقال عتبة : إن يفرس الليث الطلأ وهو رابض . فذهبت مثلا .

عتبة بن ربيعة
وأخوه شيبه

- أخذه حبيب فقال : حبيب
- أَرَادَ بَأَن يَغْوِي الْغَيَّ وَهُوَ وَادَعٌ ۝ وَلَن يَفْرَسَ اللَّيْلُ الطَّلَا وَهُوَ رَايَضُ
- وقيل لأعشى بكر : إلى كم هذه النجعة والاعتراب ؟ أما ترضى بالخفض والدعة ؟ لأعشى بكر
- فقال : لو دامت الشمس عليكم المثلثوها : أخذه حبيب فقال :
- وَطَوَّلُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ خُلُقٌ ۝ لِدِيَا جَتِيهِ فَأَعْرَبُ تَجَدُّدٌ ۝
- فإني رأيت الشمس زيدت حجة ۝ إلى الناس أن ليست عليهم بمرمدي
- قال أبو سعيد أحمد بن عبد الله المكي : سمعت الشافعي يقول : قلت يبتين لشافعي
- من الشعر . وأنشدنا :
- إِنِّي أَرَى نَفْسِي تَسْقُو إِلَى مِصْرٍ ۝ وَمِنْ دُونِهَا خَوْضُ الْمَهَامِيهِ وَالْقَفْرِ
- فَوَاقِيهِ مَا أَدْرِي إِلَى الْخَفِضِ وَالنَّعْيِ ۝ أَقَادُ إِلَيْهَا أَمْ أَقَادُ إِلَى قَبْرِ ۝
- فدخل مصر فات . ١٠
- وقال موسى بن عمران عليه السلام : لا تذبوا السفر ، فإنني أدركت فيه ما لم يدركه أحد . يريد أن الله عز وجل كلمه فيه تكليما .
- وقال المأمون : لا شيء ألد من سفر في كفاية ، لأنك في كل يوم تحلحلة للمأمون
- لم تحلها ، وتعاشر قوما لم تعاشرهم . ١٥
- وقال الشاعر :
- لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ ۝ يَنْ أَنْ تَبْدُلَ أَوْطَانًا بِأَوْطَانٍ
- تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا ۝ أَهْلًا بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانٍ
- مع أن المقام بالمقام الواحد يُورث الملالة .
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : زُرْ غِيَابًا تَزِدُّ حُبًّا . ٢٠
- وقالت الحكماء : لا تنال الراحة إلا بالتعب ، ولا تُدرك الدعة إلا بالتعب .
- لاني مل الله عليه وسلم
- وقال حبيب :
- بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْمُطْمَئِنِّ فَلَمْ تَرَهَا ۝ تَسْأَلُ إِلَّا عَلَى جَسَرٍ مِنَ التَّعَبِ

وقال أيضاً :

على أتى لم أخو وفراً جُعمًا • ففُزت به إلا بشغل مُبدٍ
ولم تُعطني الأيام نوماً مُسكناً • ألدُّ به إلا بنوم مُشرِد

وقال أيضا :

• وركب كأطراف الأسيئة عرسوا • على مثلها والليل تُطو غياهبه
لأمرٍ عليهم أن يتمُّ صُدوره • وليس عليهم أن يتمَّ عواقبه
وبعد فهل يجوز في وهم أو يتمثل في عقل أو يصح في قياس ، أن يُحصَد
زرع بغير بذر ، أو تجنى ثمرة بغير غرس ، أو يُورَى زَنَدٌ بغير قندح ، أو يُشمر
مال بغير طالب ؟

١٠ ولهذا قال الخليل بن أحمد : لا تصلُ إلى ما تحتاج إليه إلا بالوقوف على
ما لا تحتاج إليه ، فقال له أبو شمر المتكلم : فقد آتجت إذا إلى ما لا تحتاج
إليه ، إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به . قال الخليل : ويحك ! وهل
يقطع السيفُ الحسامُ إلا بالضرب ، أو يجرى الجوادُ إلا بالرَّكض ، أو هل تُنال
نهايةُ إلا بالسمى إليها والإيضاح نحوها . وقد يكون الإكذاء مع الكد ، والخيبة
مع الهيبة . ١٥

لبعض الغمراء

وقال الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرَضَ البلادِ • من المشرِّقين إلى المغيرين
وأُدْرِعُ الخوفَ تحت الرِّجاء • وأستصحبُ الجدَى والفرقدَيْن
وأطوى وأنشرُ ثوب المومِ • لى أن رجعتُ بِخُفَى حُنين
إلى أن أكونَ على حالةٍ • مُقلًا من المالِ صِفَرَ اليدين
فقيرَ الصَّديق غنيَّ العدو • قليلَ الجداء عن الوالدَيْن ٢٠

ومثل هذا قليل في كثير ، وإنما يحكم بالأعم والأغلب ، والنَّجْعُ مع الطلب
والحرمانُ العجزُ أصحُّ .

وقد شرح حبيب هذا المعنى فقال :

حبيب

مِمَّ الْفَتَى فِي الْأَرْضِ أَغْصَانُ الْغَنَى . غَرِسْتُ وَلَيْسَتْ كُلُّ حَيْنٍ تَوْرُقُ

وقال إسماعيل بن إبراهيم الجندوني في المطالب :

الجندوني

لَكَ الْخَاطُ مَرَضٌ وَدَلٌّ . غَيْرَ أَنَّ الطَّرْفَ عَنْهَا أَكَلٌ

وَأَرَى خَدْيِكَ وَرَدًّا نَضِيرًا . قَدْ جَاهَدَ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي ^(١) طُلٌّ

عَذْبَةُ الْأَلْفَاظِ لَوْ لَمْ يَشْنُهَا . كَرُّ تَقْنِيدٍ بِسْمَعِي يُضِلُّ ^(٢)

إِنَّ عَزَى الَّتِي أَنْصَتَ بِي . عَنْ سِوَاهَا كَثُرَتْهَا لِي قُلٌّ

ظَلَّتْ فِي أَفْئَاءِ ظِلِّكَ حَتَّى . ظِلٌّ فَوْقَ السَّالِفِ ظَلٌّ

إِنْ أَوَّلَى مِنْكَ بِي لَمَرَامٌ . لَا يَجِلُّ الْهَوْلُ حَيْثُ يَجِلُّ

مَا مُقَامِي وَحُسَامِي قَاطِعٌ . وَسِنَانِي صَارِمٌ مَا يُقَلُّ

سِنَانِي مِثْلُ رَوْضَةٍ حَزِينٍ . أَضْحَكْتُهَا دِيمَةً تَنْسَهَلُ

وَدَلِيلِي بَيْنَ فَكَيٍّ يَمْلُؤُ . كُلُّ صَفِيٍّ رَيْضٍ فَيَذِلُّ

ثَمَلًا مِنْ خَمْرَةِ الْمَجَزِ ^(٣) أَسْقَى . نَهْلًا مِنْ بَعْدِهِ إِلَى عَلٍّ

إِنْ يَكُنْ قُرْبُكَ عِنْدِي جَلِيلًا . فَأَقُلُّ الْحَزْمُ مِنْهُ أَجَلٌ

أَقْعِيدًا لِلْفَقِيدَةِ الْفَقَا . كُلُّ الْفَيْ بِي لِعُدْمِي يُخِلُّ

وَبِكَ لَيْسَ اللَّيْلُ لَيْتَ يُضْحِي . مُخْرَجًا مِنْ غَيْبِهِ وَهُوَ كَلٌّ

فَاتْرُكِي عَنَّا وَلَوْ مَا دَعَى . وَعَلَى الْإِفْتَارِ عَيْنُكَ سَجَلٌ

هُوَ سَيْفٌ غَنَدُهُ بُرْدَتَاهُ . يَنْتَضِيهِ الْحَزْمُ حَيْنَ يُسَلُّ

لَا يَشْكُ السَّمْعُ حَيْنَ يَرَاهُ . أَنَّهُ بِالْيَسَدِ يَنْخَعُ أَرْلُ

بَيْنَ ثَوْبِيهِ أَخُو عِزْمَاتٍ . يَتَّقِيهَا الْحَادِثُ الْمُصْمِتِلُ

(١) في بعض الأصول : قد جلاه من دموعي .

(٢) في بعض الأصول : يظلل .

(٣) في بعض الأصول : النخمر .

ليس تنبؤي رجال ويده * إن نبأني منزل وحل
فأقلى بعض عدلٍ مُقِل * لا يرى صرف الزمان يقُل
إن وخذ العيش إثمارِ رزقي * يجتنبها المسهبُ المشمعلُ
لا تقُلْ حدَّ عزمي بلوم * إني للعزم والنهر خلُ
فالتقى من ليس يرعى حماه * طمعاً يوماً له مستزلُ
من إذا خطبُ أطلَّ عليه * فله صبرٌ عليه مُظِلُ
يصحبُ الليلَ الوليدُ لي أن * يرمَ الليلُ وما إن يملُ
ويرى السير قد يُلججُ منه * مضعةً لكنها لا تَصِلُ
شُحرت أثوابه تحت ليل * ثوبه ضافٍ عليه رِفْلُ
سأضيقُ النّومَ كيما ترين * ومضيعي مُعْظَمٌ لي مجلُ
فابتناء المزهدم المهادي * وانحلالُ العدم سيرٌ وحلُ

٥

١٠

باب التماس الرزق وما يعود

على الأهل والولد

قال النبي صلى الله عليه وسلم : العائدُ على أهله وولده كالجَاهِدِ المُرَابِطِ
لنبي صلى الله عليه وسلم

١٥ في سبيل الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : اليدُ العليا خير من اليدِ السفلى ، وأبدأ
بمن تعول .

وقال عمر بن الخطاب : لا يقعدُ أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم

ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً ، وإن الله تعالى إنما يرزق

الناس بعضهم من بعض . وتلا قول الله جل وعلا ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ

فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم

تفلحون ﴾ .

وقال محمد بن إدريس الشافعي: أحسن على ما ينفعك، ودع كلام الناس، فإنه لا سبيل إلى السلامة من السنة العامة.

الشافعي

ومثله قول مالك بن دينار: من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه.

مالك بن دينار

ظاهر بن عبد العزيز: أخبرنا علي بن عبد العزيز قال: أنشدنا أبو عبيد القاسم ابن سلام:

ابن سلام

لا ينقص الكامل من كاله: ما ساق من خير إلى عياله

وقال عمر بن الخطاب: يا معشر القراء، اتمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس.

ابن عمر

وقال أكرم بن صفي: من ضيع زاده آتكل على زاد غيره.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خيركم من لم يدع آخرته لدينه ولا دنياه لآخرته.

١٠

النبي صلى الله عليه وسلم

وقال عمرو بن العاص: أعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا، وأعمل لآخرتك عمل من يموت غدا.

وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبادة والقوة على العمل، وقالوا: صحبناه في سفر، فما رأينا بعدك يا رسول الله أعبد منه، كان لا يفتل من صلاة، ولا يفطر من صيام. قال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن كان يَمُوتُهُ ويقوم به؟ قالوا: كُلُّنَا. قال كُلُّكُمْ أعبدُ منه.

النبي صلى الله عليه وسلم
متعب

١٥

ومر المسيح برجل من بني إسرائيل يتعب، فقال: ما تصنع؟ قال: أتعب. قال: ومن يقوم بك؟ قال: أخى. قال: أخوك أعبد منك.

للمسيح عليه السلام في مثله

وقد جعل الله طلب الرزق مفروضا^(١) على الخلق كله: من الإنس، والجن، والطير، والحوام: منهم بتعليم، ومنهم بإلهام؛ وأهل التحصيل والنظر من الناس يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأفصح وجوهه، من السؤال والاتكال والحلاية والاحتيال.

٢٠

باب فضل المال

قال الله تعالى ﴿المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للجاشعي : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك خلق فلك مروءة ، وإن كان لك دين فلك كرم .

وقال عمر بن الخطاب : حسب الرجل ماله ، بكرمه دينه ، ومروءته خلقه .
وفي كتاب الأدب للجاحظ : أعلم أن تسمير المال آلة للكارم ، وعون على الدين ، وتأليف للإخوان ؛ وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرغبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به : فأجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا .

وقال حكيم لابنه : يا بني ، عليك بطلب المال ؛ فلو لم يكن فيه إلا أنه عزز لكيم ينصح ابنه في قلبك وذل في قلب عدوك لكفي .

وقال عبد الله بن عباس : الدنيا العافية . والشباب الصحة ، والمروءة الصبر ، والكرم التقوى ، والحسب المال .

وكان سعد بن عبادة يقول : اللهم أرزقني جدا ومجدا ، فإنه لا نجد إلا بفعل ، ولا فإل إلا بمال .

وقالت الحكماء : لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ، ويحمي به مروءته ، ويصل به رجه .

وقال عبد الرحمن بن عوف : يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي .

وقال سفيان الثوري : المال سلاح المؤمن في هذا الزمان .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم الثمن على طاعة الله الغنى . ونعم السؤل إلى طاعة الله الغنى ، وتلا ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم

من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وقوله (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يُرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين).

الحارث بن عيسى ابنه وقال خالد بن صفوان لابنه: يا بني، أوصيك بأثنين لن تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

لعمرو بن الورد وقال عمرو بن الورد:

ذري للفقير أسمى فاني * رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم * وإن أسمى له كرم وخير
يأعذه القريب ويزديه * حليته وينهره الصنير
وتلقى ذا النقي وله جلال * يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والدنب جم * ولكن للقي رب غفور

لبعض الغمراء وقال آخر:

سأ كسب مالاً أو أموت بيلديه * يقل بها قهقر الذمومع على قبري

وقال آخر:

سأعمل نص العيس حتى يكفني * غني المال يوماً أو غني الحدنان
فللثوب خير من حياة يرى لها * على المرء بالإقلال وسيم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقال * وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كأن النقي في أهله بورك النقي * بغير لسان ناطق بلسان

لابن عباس الرياشي قال: أنشدنا أبو بكر بن عيَّاش:

حيران يعلم أن المال ساق له * ما لم يسق له دين ولا مخلق
لولا ثلاثون ألفاً سقطها يدرأ^(١) * إلى ثلاثين ألفاً ضاقت الطرق
فمن يكن عن كرام الناس يسألي * فأكرم الناس من كانت له ورق

(١) في بعض الأصول: بطرا.

وقال آخر :

لبعض السامع

أَجَلَكُ قَوْمٌ حِينَ صَرَتْ إِلَى النَّعْيِ • وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُوتِ جَلِيلٌ
وَلَوْ كُنْتَ ذَا فَهْرٍ وَلَمْ تُمُتْ ثَرَوَةً • ذَلَّتْ لَهُمْ وَالْفَقِيرُ ذَلِيلٌ

وقال محمود الوراق :

للوراق

أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يُبْرِئُ لِمَالِهِ • وَإِنْ كَانَ لَا أَمْلَ هُنَاكَ وَلَا فَعْلُ
فَتُفَرِّقُ ذَوِي الْأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيَهُمْ • فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفَعْلُهُمْ فَعْلٌ
وَأُنْشِدُ أَبُو مُحَلَّمٍ لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ طَلِيلَةَ بْنِ قَيْسٍ بْنِ حَاصِمٍ :

وَكُنْتُ إِذَا حَاصِمْتُ خَصَمًا كَبَيْتُهُ • عَلَى الْوَجْهِ حَتَّى خَاصِمْتَنِي السَّهَامُ
فَلِمَا تَنَازَعْنَا الْخُصُومَةَ غُلِبْتُ • عَلَى وَقَالُوا قُمْ فَإِنَّكَ ظَالِمٌ

وَأُنْشِدُنِي الرِّيَاشِي :

للرياش

لَمْ يَبْقَ مِنْ طَلَبِ النَّعْيِ • إِلَّا التَّعَرُّضُ لِلْعُتُوفِ
فَلَا تُقْذِفَنَّ • بُمُهْجَتِي • بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ
وَلَا تُطَلِّبَنَّ وَلَوْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَلْعُقُ فِي الصُّفُوفِ

وَكَانَ لِأَحْبَبَةِ بْنِ الْجَلَّاحِ بِالزُّورَاءِ ثَلَاثَةٌ نَاضِحٌ • فَدَخَلَ بَسَنَانَا لَهُ ، فَرَّ
بَشْرَةً فَلَقَطَهَا فُتُوتٌ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : تَمَرَةٌ إِلَى تَمَرَةٍ تَمَرَاتُ ، وَجَمَلٌ إِلَى جَمَلٍ ذُوذُ :
ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

لأحبة

إِنِّي مُقِيمٌ عَلَى الزُّورَاءِ أَعْمُرُهَا • إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى^(١) الْإِخْوَانَ ذَوِ الْمَسَالِ
فَلَا يُفَرِّقُكَ ذُو قَرْنٍ وَذُو نَسَبٍ • مِنْ ابْنِ عَمٍّ وَمِنْ عَمٍّ وَمِنْ خَالٍ
كُلُّ النَّسَاءِ إِذَا نَادَيْتُ يَحْذُرُنِي • إِلَّا نَدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَا مَالِي

وَمِنْ قَوْلِنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لأبن عبدويه

دَعْنِي أَصْنُ حُرٍّ وَجْهِي عَنْ إِذْلَتِهِ • وَإِنْ تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ وَلَدِي
قَالُوا نَأَيْتَ عَنِ الْإِخْوَانِ قُلْتُ لَهُمْ • مَا لِي أُخْ غَيْرُ مَا نَطْلُو عَلَيْهِ يَدِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : • إِنَّ الْحَبِيبَ إِلَى • •

كان الرماحس بن حفصة بن قيس وابن عم له يُدعى ربيعة بن الورد يسكنان الأردن . وكان ربيعة بن الورد موسرا ، والرماحس معسراً كثيراً ما يشكو إليه الحاجة ، ويعطف عليه ربيعة بعض العطف ، فلما أكثر عليه كتب إليه :

- إذا المسرء لم يطلب معاشاً لنفسه • شكا الفقر أو لام الصديق فأكثر
 ٥ وصار على الأدنين كلاً وأوشكت • صلات ذوى القربى له أن تنكرا
 فسر في بلاد الله وآتمس الغنى • قيس ذا يسار أو تموت فتعذرا
 فطالب الحاجات من حيث تبغى • من المال إلا من أجدت وشعرا
 ولا ترض من عيش بدون ولا تم • وكيف ينام الليل من كان معسرا
 وقال بعض الحكماء : المال يورق الدني ، والفقر يذل السني ، وأنشد :
- أرى ذا الغنى في الناس يسمعون حوله • فإن قال قولاً تابوه وصدقوا
 ١٠ فذلك دأب الناس ما كان ذا غنى • فإن زال عنه المال يوماً تفزقوا
 وأنشد :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها • لحثيثا انقلبت يوماً به انقلبوا
 يعظمون أبا الدنيا فإن وثبت • يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا

صنوف المال

١٥

قال معاوية لصعصعة بن صرحان : إنما أنت هائم بلسانك ، لا تنظر في أود
 الكلام ولا في استقامته : فإن كنت تنظر في ذلك فأعبرني عن أفضل المال .

- فقال : والله يا أمير المؤمنين ، إنني لأدع الكلام حتى يختمر في صدري ،
 فما أريح به ولا أتلق فيهِ حتى أقيم أوده ، وأحرر مته ، وإن أفضل المال
 ٢٠ كربة سمراء في تربة غبراء ؛ أو نعجة صفراء في روضة خضراء ؛ أو عين خزارة
 في أرض خوزارة . قال معاوية : لله أنت ، فأين الذهب والفضة . قال : حجران
 يصطكان ، إن أقبلت عليهما نفدا ، وإن تركتهما لم يريدا .

وقيل لأعرابية : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قنني . قيل لها : فائة

معاوية وابن
 سونات

لأعرابية

من الضأن ؟ قالت غنى . قيل لها : فائمة من الإبل ؟ قالت : منى .

وقال عبد الله بن الحسن : علة الدور مسألة ، و غلة النخل كفاف ، و غلة لبدهة بن الحسن الحب ملك .

وفي الحديث : أفضل أموالكم : فرس في بطنها فرس يتبعها فرس ، وعين ساهرة لعين نائمة . ٥

وأشدد فرج بن سلام لبعض العراقيين :

ولقد أقولُ الحاجبَ نُصْحاً له . خَلَّ العُروضَ وبيعَ لنا أرضاً
إني رأيتُ الأرضَ يَبْقَى نفعُها . والمالَ يأْكُلُ بعضُه بعضاً
وآحذرُ أناساً يُظهرون حُبَّه . وعيوبُهم وقلوبُهم مَرَضَى
حتى إذا أمكنَهم من فُرصة . تركوا الخِداغَ وأظهروا البَغْضا ١٠

تدبير المال

قالوا : لا مال لأخرق ، ولا عيلة على مُصلح ، وخير المال ما أطعمك
لا ما أطعمته .

وقال صاحب كلية ودمنة : لينفق ذو المال ماله في ثلاثة مواضع : في الصدقة
إن أراد الآخرة : وفي مُصالاة السلطان إن أراد الذكر ؛ وفي النساء إن أراد ١٥
نعيم العيش .

وقال : إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها إلا بأربعة ؛ فأما الثلاثة
التي يطلب : فالسعة في المعيشة ، والمنزلة في الناس ، والراد إلى الآخرة ، وأما
الرابعة التي تُدرك بها هذه الثلاثة : فاكسباب المال من أحسن وجوهه ، وحسن
القيام عليه ، ثم التثمين له ، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويُرضى الأهل ٢٠
والإخوان ويعود في الآخرة نفعه . فإن أصاع شيئاً من هذه الأربعة لم يدرك
شيئاً من هذه الثلاثة . إن لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به ؛ وإن كان ذا مال
واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى ويبق بلا مال ، وإن هو أنفقه

ولم يُثْمَره لم تمنعه قلة الإنفاق من سرعة النفاد . كالكحل الذي إنما يؤخذ منه على الميل مثل الفبار ، ثم هو مع ذلك سريع نفاده . وإن هو اكتسب وأصلح وثمر ولم ينفق الأموال في أبوابها ؛ كان بمنزلة الفقير الذي لا مال له ، ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يفارقه ، ويذهب حيث لا منفعة فيه ؛ كحابس الماء في الموضع الذي تنصب فيه المياه ، إن لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه ؛ مَصَلَّ وسال من نواحيه ، فيذهب الماء ضياعا .

وهذا نظير قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ . وقوله عز وجل لئن لم يكن الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ .

ابن عباس ورجل في يده درهم
فقطر عبد الله بن عباس إلى درهم بيد رجل ، فقال له : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . يريد أنه لا يلتفع به حتى يُنفقه ويستفيد غيره مكانه .
قال الحطية :

مُفِيدٌ وَمُتَلَفٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ . تَهْلُلُ وَآهَتَرُ اهْتَزَّزَ الْمُهْنِدُ
وقال مسلم بن الوليد :

لبيش الثمراء
لا يعرف المال إلا ريث يُنفقه . أو يوم يجمعه للنهب والبدد
وقال آخر :

* مُهْلَكُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ *

لغيان الثوري
وقال سُفيان الثوري : من كان في يده شيء فليُصلِّحه ؛ فإنه في زمان إن احتاج فيه ، فأول ما يذله دينه .

للتلس
وقال المتلس :

وحبسُ المالِ أيسرُ من بُغاه . وضربُ في البلاد بغير زادٍ

وإصلاحُ القليلِ يزيدُ فيه * ولا يبقى الكثيرُ مع الفسادِ

سعد القصير قال : ولآتي تَبَّةُ أمواله بالحجلز ، فلما ودعته قال لي : يا سعد ،

تَعَاهَدُ صَغِيرَ مَالٍ فَيَكْثُرُ ، وَلَا تُضَيِّعُ كَثِيرَهُ فَيَصْغُرُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَسْخَنُ كَثِيرُ
مَالٍ عَنْ إِصْلَاحِ قَلِيلِهِ ، وَلَا يَبْنَعُ قَلِيلُ مَالٍ بِدَى عَنْ الصَّبْرِ عَلَى كَثِيرِ
مَا يَنْوِي . قَالَ : فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، فَخَدْتُ بِهَا رَجَالَاتٍ قَرِيشٍ فَفَرَّقُوا بِهَا الْكَتَبَ
عَلَى الْوُكَلَاءِ .

الإقلال

قال أرسطاطاليس : الْغَنَى فِي الْغَرَبِ وَطَنٌ وَالْمِقْلُ فِي أَهْلِهِ غَرِيبٌ .
أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا الْغَرِيبُ بِنَى الثَّنَائِ * وَلَكِنَّ الْمِقْلَ هُوَ الْغَرِيبُ
إِذَا مَا الْمَرْءُ أَغْوَزَ ضَاكُ ذُرْعًا * بِحَاجَتِهِ وَأَبْعَدَهُ الْقَرِيبُ

١٠ وقال إبراهيم الشيباني : رَأَيْتُ فِي جِدَارٍ مِنْ جُدُرِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بَيْنَتَيْنِ
مَكْتُوبَيْنِ بِالذَّهَبِ :

فَكُلُّ مُقِلٍّ حِينَ يَفْدُو حَاجَةً * إِلَى كُلِّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبٌ
وَكَانَ بَنُو عَمِي يَقُولُونَ مَرْحَبًا * فَلَمَّا رَأَوْهُ مُقْتِرًا مَاتَ مَرْحَبٌ

وَمَنْ قَوْلُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى :

١٥ أَعَاذَلُ قَدْ آكَلْتُ وَبِكَ قُلُوبِي * وَمَا بَلَغَ الْإِشْرَاكَ ذَنْبُ عَدِيمٍ
لَقَدْ أَسْقَطْتُ حَقِّي عَلَيْكَ صَبَابَتِي * كَمَا أَسْقَطَ الْإِفْلَاسُ حَقَّ غَرِيمٍ
وَأَعْدَرُ مَا أَدَّى الْجَفُونَ مِنَ الْبُكََا * كَرِيمٌ رَأَى الدُّنْيَا بِكَفٍّ لَثِيمٍ
أَرَى كُلَّ قَدَلٍ قَدْ تَبَجَّحَ فِي الْغَنَى * وَذَوَالْطَّرْفِ لَا تَلْقَاهُ غَيْرَ عَدِيمٍ

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِي :

٢٠ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ لِي نَقِيبٌ * نَخَفَ ظَهْرِي وَمَلَأَ وَلَدِي
مَنْ نَفَطَرَتْ عَيْنُهُ إِلَيَّ قَدَدٌ * أَحَاطَ عَلَيَّ بِمَا حَوَتْهُ يَدِي

وَكَانَ أَبُو الشَّيْمَقِ الشَّاعِرُ أَدْبِيًا طَرِيفًا عَارِفًا صُغُلُوكَا مُتَبَرِّمًا ، قَدْ لَزِمَ بَيْتَهُ أَبُو الْكَفَى
فِي أَطْيَارِ مَسْحُوقَةٍ ، وَكَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ عَلَيْهِ أَحَدٌ بَابَهُ خَرَجَ ، فَظَفَرَ مِنْ فُرْجِ الْبَابِ ،

فإن أعجبه الواقف فتح له ، وإلا سكت عنه ، فأقبل إليه بعض إخوانه فدخل عليه ، فلما رأى سوء حاله ، قال له : أبشر أبا الشمقمق ، فإننا روينا في بعض الحديث أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة . قال : إن كان والله ما تقول حقاً لاكونن بزناً يوم القيامة ، ثم أنشأ يقول .

- أنا في حالٍ تعالى الله ربّي أيّ حالٍ
ولقد أهزّلتُ حتى • تحتَ الشمسِ خيالٍ
من رأى شيئاً محالاً • فأنا عينُ المحالِ
ليس لي شيءٌ إذا قبلَ لِمَنْ ذا قلتُ ذالِ
ولقد أفلسْتُ حتى • حلّ أكلِي لِعيالِ
• في حرامِّ الناسِ طراً • من نساءٍ ورجالِ
• لو أرى في الناسِ حرّاً • لم أكن في ذا المثالِ

وقال أيضاً :

- أنتراني أرى من الدهرِ يوماً • لي فيه مَطِيئَةٌ غيرُ رِجْلِي
كلما كنت في جميعٍ فقالوا • قَرَّبُوا لِلرَّحِيلِ قَرَّبْتُ نَعْلِي
• حينَما كنت لا أخلفُ رِجْلاً • من رَأَيْني فقد رَأَيْني وَرَحْلِي

وقال أيضاً :

- لو قد رأيت سريري كنتَ تَرَحُّنِي • الله يعلمُ مالي فيه تَلْبِيسِ
• واللهُ يعلمُ مالي فيه شايِئِكُ • إلّا الحَصِيرَةُ وَالْأَطْهَارُ وَالذَّيْبُ

وقال أيضاً :

- بَرَزْتُ من المنازلِ والقِيَابِ • فلم يَعْسُرْ على أَحَدٍ حِجَابِي
فَمَنْزِلَ الفِضَاءِ وَسَقْفُ يَتَى • سماءِ الله أو قِطْعُ السَّحَابِ
فَأَنْتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلَ يَتَى • عَلَى مُسْلِمًا من غيرِ بَابِ
لأنّي لم أجِدْ مِضْرَاعَ بَابٍ • يكونُ من السَّجَابِ إلى التُّرَابِ

ولا انشق الثرى عن عود نخت . أو مل أن أشد به ثيابي
ولا خفت الإباق على عيدي . ولا خفت الهلاك على دواي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً . محاسبة فأغلظ في حسابي
وفي ذا راحة و فراغ بال . فدأب الدهر ذا أبداً ودائي

الهند

وفي كتاب للهند : ما التبّع والإخوان والأهل والأصدقاء والأعوان والحُمم
إلا مع المال ، وما أرى المروءة يظهرها إلا المال ، ولا الرأي والقرة إلا المال ،
ووجدت من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمراً فقد به العُدم ، فيبقى مقصراً
عما أراد ، كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الصيف ، فلا يجرى إلى بحر
ولانهر ، بل يبقى مكانه حتى تلتشفه الأرض ؛ ووجدت من لا إخوان له لا أهل له .
ومن لاولد له لا ذكر له ، ومن لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة له ، ومن لا مال له
لا شيء له ؛ لأن الرجل إذا آتقر رَفَضَهُ إخوانه وقطعه ذو رحمه ، وربما
اضطرته الحاجة لنفسه وعياله إلى التماس الرزق بما يُغزى فيه بدينه ودنياه ،
فإذا هو قد خسر الدنيا والآخرة ، فلا شيء أشد من الفقر ، والشجرة النابتة
على الطريق المأكولة من كل جانب أمثل حالاً من الفقير المحتاج إلى ما في أيدي
الناس . والفقر داعٍ صاحبه إلى مَقَتِ الناس ، ومُتْلَف للعقل والمروءة ،
ومُذْهَب للعلم والأدب ، ومعدن للثمة ^(١) ، وجمع للبلايا ؛ ووجدت الرجل
إذا آتقر أساء به الظن من كان له مؤتمناً ، وليس من خَصَلَة هي للفقير مدح
وزين إلا وهى للفقير ذم وشين ؛ فإن كان شجاعاً قيل أهورج ، وإن كان
جواداً قيل مُفسد ، وإن كان حليماً قيل ضعيف ، وإن كان وقوراً قيل
بليد ؛ وإن كان صموتاً قيل عي ، وإن كان بليغاً قيل مهذار ؛ فالموت أهون
من الفقر الذى يضطر صاحبه إلى المسألة ، ولا سيما مسألة اللئام ؛ فإن التكبريم
لو كُلف أن يدخل يده في فم تنين ويُخرج منه سمّاً فينتلعه ، كان أخف عليه من
مسألة البخيل اللئيم .

السؤال

- أبني صل الله عليه وسلم : لأن يأخذ أحدكم أحبله فيحطب بها على ظهره
أهرون عليه من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله . أعطاه أو منعه .
- بعضهم وقالوا : من فتح على نفسه باباً من السؤال ، فتح الله عليه سبعين باباً
من الفقر .
- لأحکم وقال أكرم بن صيني : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل .
ورأى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلاً يسأل برفقات فقنعه بالسوط ،
وقال : ويلك ! في مثل هذا اليوم تسأل أحداً غير الله .
- لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : المساكين لا يعمدون مريضاً ، ولا يشهدون جنازة ،
ولا يحضرون جمعة ، وإذا اجتمع الناس في أعادهم ومساجدهم يسألون الله من
فضله ، اجتمعوا يسألون الناس ما في أيديهم .
- لثمان بن النذر وقال الثمان بن النذر : من سأل فوق حقه استحق الحرمان ، ومن الجف
في مسأله استحق المظل . والرقق يُمن ، والخرق شوم ، وخير السخاء ما وافق
الحاجة ، وخير الغف مع القدرة .
- لصريح وقال شريح : من سأل حاجة فقد عرّض نفسه على الرق ، فإن قضاه
المسئول منه استعبده بها ، وإن رده عنها رجع كلامها ذليلاً ، هذا بذل البخل ،
وذلك بذل الرد .
- الحبيب وقال حبيب :
ذلُّ السؤالِ شجى في الخلقِ معترض * من دونه شرّ من خلفه جرض
ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهي إن أفتيته عيوض
- الحشني قال : قال أبو غسان : أخبرني أبو زيد قال : سأل سائل بمسجد
الكوفة وقت الظهر فلم يُعط شيئاً ، فقال : اللهم إنك بجاحتي عالم لا تُعلم ،
أنت الذي لا يُعوزك نائل ، ولا يُخيفك سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل ؛ أسألك

صبراً جبلاً ، وفرجاً قريباً ، وبصرًا بالهدى ، وقوة فيما تُحب وترضى . فتبادروا إليه يعطونه . فقال : والله لا رزأتكم الليلة شيئاً وقد رفعت حاجتي إلى الله . ثم خرج وهو يقول :

ما نالَ بِإِذِلِّ وَجْهِهِ بِسْؤَالِهِ • عِوَضًا وَلَوْ نَالَ النَّيِّ بِسْؤَالِهِ
وَإِذَا النَّوَالُ مَعَ السُّؤَالِ وَرَزَقَتْهُ • رَجَحَ السُّؤَالُ وَشَالَ كُلُّ نَوَالٍ

وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس إني سائلُ الله وحده • وصائرُ عِرْضِي عن فلانٍ وعن فلانٍ

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ • وَسَأَلْتُ اللَّهَ لَا يَنْجِبُ

وقال ابن أبي حازم :

لَطَى يَوْمَ وَلِيَّتَيْنِ • وَلَبَّسَ ثَوْبَيْنِ بِالْبَيْنِ
أَهْوَنُ مِنْ مَنِيَّةٍ لِقَوْمٍ • أَعْضُ مِنْهَا جَفَوْنَ عَيْنِي
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ذَا عِيَالٍ • قَلِيلَ مَالٍ كَثِيرَ دِينِ
لَأُحْمَدُ اللَّهَ حِينَ صَارَتْ • حَوَائِجِي يَنْتَهَ وَيُنِي

ومن قولنا في هذا المعنى :

سؤالُ الناسِ مِفْتَاحُ عَيْدٍ • لِبابِ الْفَقْرِ فَاتْلَفِ بِالسُّؤَالِ

وروى أشعب الطماع عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحشر الله عز وجل يوم القيامة قوما غارية وجوههم قد أذهب حياتها كثرة السؤال .

سؤال السائل من السائل

٢٠

مدح أبو الشمقمق مروان بن أبي حفصة . فقال له أبو الشمقمق : أنت شاعر وأنا شاعر ، وظاقتنا كلنا السؤال .

ابن أبي حفصة
وأبو الشمقمق

وذكر أعرابي رجلاً بالسؤال ، فقال : إنه أسأل من ذي عصوين :

لأعرابي

الحبيب وقال حبيب :

لم يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْمَقَ لِعَبِيَّةٍ * من سَائِلٍ يَرْجُو الْفَيْءَ من سَائِلٍ
الأصمعي عن عيسى بن عمر النحوي قال : قدمتُ من سفر فدخل عليّ ذو الرمة
الشاعر ، فمرضتُ لَأَن أُعْطِيَهُ شَيْئاً ، فقال : كَلَّا ، أَنَا وَأَنْتَ نَأْخُذُ وَلَا نَعْطِي .

الشيب

لنيس بن عاصم قال قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية .

وقال غيره : الشيبُ نَذِيرُ الموت .

وقال النمرى : الشيبُ عنوانُ الكِبَرِ .

وقال المُعْتَمِر بن سُلَيْمَانَ : الشيبُ مَوْتُ الشَّعَرِ ، ومَوْتُ الشَّعَرِ عِلَّةُ

لَمَوْتِ الْبَشَرِ .

وقال أعرابي : كُنتَ أَنْكَرَ الْبَيْضَاءِ فَصُرْتَ أَنْكَرَ السُّودَاءِ ، فَيَا خَيْرَ مَبْدُولٍ
وَيَا شَرَّ بَدِيلٍ .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : عَجِلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قال :
شَيْبَتِي هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا .

وقيل لعبد الملك بن مروان : عَجِلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قال : شَيْبَتِي
ارْتِقَاءُ الْمَنَابِرِ وَتَوَقُّعُ اللَّحْنِ .

وقيل لرجل من الشعراء : عَجِلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ . فقال : وكيف لا يعجل وأنا
أَعْصُرُ قَلْبِي فِي عَمَلٍ لَا يُرْجَى ثَوَابُهُ ، وَلَا يُؤْمَنُ عِقَابُهُ .

وقال حبيب الطائي :

غدا الشيبُ مُحْتَطًّا بِفَوْدِي سُحْطَةً * طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ مَهْمَعٌ
هو الزَّوْبُ يُجْنَى وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى * وذو الْإِلْفِ يُقَالِي وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
له منظر في العين أبيضُ ناصع * وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

وقال محمود الوراق :

للوراق

بَكَيْتُ لِقَرَبِ الْأَجْلِ • وَبُعِدَ فَوَاتِ الْأَمَلِ
وَوَافِدِ شَيْبِ طَارَا • بِعَقَبِ شَبَابِ رَحَلِ
شَبَابٌ كَانَ لَمْ يَكُنْ • وَشَيْبٌ كَانَ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكَ بِشِيرُ الْبَقَا • وَجَاءَ بِشِيرُ الْأَجْلِ

٥

وقال أيضاً :

لَا تَطْلُبَنَّ أَثَرًا بَعِيْن • فَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمِتَتِيْن
أَبْدَى مَقَابِيحِ كُلِّ شَيْءٍ • وَمَا عَمَّاسِيْنَ كُلِّ زَيْنِ
فَإِذَا رَأَيْتَ الْغَايِبَا • تَرَى رَأْيَنِي مِنْكَ غُرَابِيْن
وَلَرُبَّمَا نَافَسَنَ فِيهِ • لَكَ وَكَفَنَ طَوْعًا لِلْبَدِيْن
أَيَّامَ عَمَمِكَ الشَّبَا • بُوَأْتِ سَهْلَ الْعَارِضِيْن
حَتَّى إِذَا نَزَلَ الْمَشِيدَ • بُوَصِرْتَ بَيْنَ عِمَامَتِيْن
سُودَاءَ حَالِكَةٍ وَيَدٍ • مَضَاءِ الْمُنَاشِرِ كَالْحَجِيْن
مَنْجَعِ الصُّدُودِ وَصَا • لَمْ تُنْ فَكُنْ أَمْرًا بَيْنَ بَيْنِ
وَصَبَرَنَ مَا صَبَرَ السَّوَا • دُ عَلَى مُصَانَعَةٍ وَدَيْنِ
حَتَّى إِذَا تَجَمَّلَ الْمَشِيدَ • بُوَجَّازَ قَطَرَ الْحَاجِيْن
قَفْنِيْن شَرُّ قَفِيْسَةٍ • وَأَخَذَنِي مِنْكَ الْإِطْيِيْن
فَاقْرَأِ الْحَيَاءَ وَسَلِّ نَفْ • سَكَ أَوْ فَنَادِ الْفَرَقْدِيْن
وَلَيْنَ أَصَابَتِكَ الْخَطُو • بُوَبْ كُلِّ مَكْرُوهِ وَشَيْنِ
فَلَقَدْ أَمِنْتُ بِأَنْ يُصِيْدَ • بِكَ نَظَرَ أَبَدًا بَعِيْن

١٠

١٥

٢٠

وقال حبيب الطائي :

لحبيب

نَظَرْتُ إِلَى بَعِيْنٍ مِنْ لَمْ يَمْدِلِ • لَمَّا تَمَكَّنَ حُبُّهَا مِنْ مُقْتَلِي
لَمَّا رَأَتْ وَضَحَ الْمَشِيْبِ بِلَيْسَى • صَدَتْ صُدُودُ مُجَانِبِ مُتَحَمِّلِ

فَجَعَلْتُ أَطْلُبُ وَضَلُّهَا بَطْلَقِي • وَالشَّيْبُ يَنْمِرُهَا بِأَلَا تَعْمَلِي

لبعض الشعراء وقال آخر :

صَدَّتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَارِهَا • عَنَى بِمَطْرُوهِ إِنْ سَأَلْتُهَا غِرْقُ
وَرَاعَهَا الشَّيْبُ فِي رَأْسِي فَقَلْتُ لَهَا • كَذَلِكَ يَصْفَرُّ بَعْدَ الْخُضْرَةِ الْوَرَقُ

لابن أمية وقال محمد بن أمية :

رَأَيْتُ الْغَوَاثِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي • فَأَعْرَضَنِي عَنِ الْخُدُودِ النَّوَاضِرِ
وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي • دَتُونٌ فَرَقَمَنَ السُّكُوتَى بِالْحَاجِرِ

لقول وقال العلوي :

عَيَّرْتَنِي بِشَيْبِ رَأْسِي نَوَارُ • يَا بَنَةَ الْمَلِكِ لَيْسَ فِي الشَّيْبِ عَارُ

١٠ إِنَّمَا الْعَارُ فِي الْفِرَارِ مِنَ الزَّحَى • فَبِإِذَا قِيلَ أَهْنُ أَهْنُ الْفِرَارُ

لابن عبد ربه ومن قولنا في الشيب :

بَدَأَ وَضَحُ الْمَشْيَبِ عَلَى عِذَارِي • وَهَلْ لَيْلٌ يَكُونُ بِلَا نَهَارِ

شَرِيتُ سَوَادَ ذَا بَيَاضٍ هَذَا • فَبَدَّلْتُ الْعِمَامَةَ بِالْحِمَارِ

وَأَلْبَسْتَنِي النَّهْيَ ثَوْبًا جَدِيدًا • وَجَرَدَنِي مِنَ الثَّوْبِ الْمَعَارِ

١٥ وَمَا بَعَثَ الْهَوَى بَيْعًا بِشَرِطٍ • وَلَا أَسْتَنْثِيَتْ فِيهِ بِالْخِيَارِ

ومن قولنا فيه :

قَالُوا شَبَابُكَ قَدْ وَلَّى فَقُلْتُ لِمَ • هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَنِيدَيْنِ

جِلٌّ مَنَ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبَدَى مُعَانَبَةً • فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَضَلُّ بَيْنِ الْفَيْنِ

وَاقْطَعِ حَبَائِلَ خِدَنِ لَا تُلَاقِمُهُ • فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى آتِنَيْنِ

ومن قولنا فيه :

جَارَ الْمَشْيَبُ عَلَى رَأْسِي فَسَيَّرَهُ • لَمَّا رَأَى عِنْدَنَا الْحُكَّامَ قَدْ جَلَّوْا

كَأَنَّمَا جُنَّ لَيْلٌ فِي مَفَارِقِهِ • فَاغْتَاثَهُ مِنْ بَيَاضِ الشَّيْبِ لِمَسْفَرِ

ومن قولنا فيه :

سوادُ المرء تُنفذه الليالي • وإن كانت تصيرُ إلى تصادِ
فأسودُّه يعودُ إلى يابض • وأيضه يعودُ إلى سوادِ

ومن قولنا أيضا :

• أطلالُ هُوكٍ قد أقوتَ منانها • لم يبقَ من عهدِها إلا أنافها
هذهِ المفاقرُ قد قامت شواهدُها • على فنائكَ والدنيا تُزكها
الشَّيبُ سُفْتَجَةٌ فيها مُعنونةٌ • لم يبقَ لِلْمَوْتِ إِلَّا أن يُسجها
ومن قولنا أيضا :

نجومٌ في المفاقرِ ما تنورُ • ولا يجرى بها فلكٌ يدورُ
كأنَّ سوادَ لَيْمَتِهِ ظلامٌ • أغارَ مِنَ الشَّيبِ عليه نورُ
10 ألا إِنَّ القَتيرَ وعيدُ صدقٍ • لنا لو كان يزجرنا القَتيرُ
نذيرُ الموتِ أرسله إلينا • فكذبنا بما جاء النَّذيرُ
وقلنا لِلنَّفوسِ لعلَّ عُمرًا • يطولُ بنا وأطولُه قصيرُ
مَنْ كَذَبَتْ مواعِدُها وعانتَ • فأولُها وآخِرُها غرورُ
16 لقد كاد السُّلُو يُميتُ شوقي • وَلَكِنْ قَلْبًا فُطِمَ الكبيرُ
كأنِّي لم أرقُ بل لَمْ يَرَقْ • سُحُوسٌ في الآكَةِ أو يدورُ
ولم ألقِ المُنَى في ظِلِّ لُحْيٍ • بِأَقَارِ سَحَابِهَا السُّبُورُ
ولآخر :

والشَّيبُ كَتَيْفِصِ الصَّبَا • فاقضِ اللبَّانةَ في الشَّبَابِ

٢٠ وقال ابن عباس : الدنيا الصحة والشباب .

ولبعضهم :

في كل يوم أرى يضاء قد طلعت • كأنما طلعت في ناظيرِ البصرِ
لئن قصصتك بالمراضِ عن نظري • لما قصصتك عن همِّي ولا فكري .

ولابن المعتز :

جاء الشيب فما تعست به • ومضى الشباب فما بكى عليه

وقال أيضاً :

ماذا تريد من جهلى وقد غبرت • سنو شبابى وهذا الشيب قد وخطا
أرفع الشعرة البيضاء ملتقطا • فيصبح الشيب للسوداء ملتقطا
وسوف لا شك يُعيني فأتركه • فطالما أعمل المقرض والمُشط

الشباب والصحة

لابن العلاء قال أبو عمرو بن العلاء : ما بكى العربُ شيئاً ما بكى على الشباب وما بلغت به ما يستحقه .

والأصمى وقال الأصمى : أحسن أنماط الشعر المرائى والبكاء على الشباب :
وقيل لكثير عزة : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : ذهب الشباب فما أطرب ،
ومات عبد العزيز فما أرغب .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : الدنيا العافية ، والشباب الصحة .
والوراق وقال محمود الوراق :

أليس عجيباً بأن الفقى • يُصاب يمهض الذى في يديه
فبين يمينه باله موجه • وبين مغمضه مُخْذِلٌ إليه
ويسلبه الشيب شرح الشباب • فليس يُعزّيه خاق عليه
لابن أبي حازم وقال ابن أبي حازم :

ولّى الشباب نخلَ الدمع ينهلُ • فقدُ الشباب بفقد الروح متصل
لا تُكذِّبَنَّ فما الدنيا بأجمعها • من الشباب يوم واحد بدل
بلرير وقال جرير :

ولّى الشباب حميدةً أيامه • لو كان ذلك يُشتَرى أو يرجع

وقال صريع الغواني :

لم- مع الغواني

وهاهنا أيام الصبا وزمانه • لو كان أسفّت بالمقام قليلا
سَل عيش دهرٍ قد مضت أيامه • هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

وقال الحسن بن هاني :

الحسن بن هاني

وأراني إذ ذاك في طاعة الجهل وفوق من الصبا إمرأة
ترَبَّ عيشٍ لَرَيْطِي فضل ذيل • ولرأسي ذُؤَابَةٌ فسرعا
يقنع من الشباب جديد • لم ترَقمه بالخصاب النساء
قبل أن يلبس المشيب عذارى • وتبلى عمامتي السوداء

وقال أعرابي :

لأعرابي

فه أيام الشباب وعصره • لا يُستعار جديده فيمار
ما كان أقصر ليله ونهاره • وكذلك أيام السرور وقصار

ومن قولنا في الشباب :

لاين مبد ربه .

ولّى الشباب وكنت تسكن ظله • فانظر لنفسك أيّ ظل تسكن
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه • يُدلي بحجته إلى من يلقن

ومن قولنا فيه :

قالوا شبابك قد مضت أيامه • بالعيش قلت وقد مضت أيامي
فه أبة نعمة كان الصبا • لو أنها وصلت بطول دوام
حسّر المشيب قناعه عن وجهه • وصحا الموائل بعد طول ملام
فكان ذلك العيش ظلّ عمامة • وكان ذلك اللهو طيف متام

ومن قولنا فيه :

ولوشئت راهنت الصبا والهو • وأجريت في الذات من متين
وأسلت من ثوب الشباب، وللصبا • على رداء مُعَلَم الطرفين

لبعض الشعراء وقال آخر :

إِنَّ شَرَّ الشَّبَابِ وَالشَّمَرِ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُبَاعِضْ كَانَ جُنُونًا

وقال آخر :

قَالَتْ عَهْدُكَ بِجُنُونًا فَقُلْتُ لَهَا • إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

لأن عهده ومن قولنا في الشباب :

كُنْتُ لِلْفِ الْعِصَا فَوَدَّعَنِي • وَدَاعَ مَنْ بَانَ غَيْرُ مُنْصَرِفِ

أَيَّامَ هَوَى كَقَطْلِ لَيْلَةٍ • وَإِذْ شَبَابِي كَرُوضَةٍ أُتِفَ

ومن قولنا في الشباب :

شَبَابِي كَيْفَ صَرْتُ إِلَى نَفَادٍ • وَبُدِلْتُ الْبَيَاضَ مِنَ السَّوَادِ

وَمَا أَتَى الْحَوَادِثُ مِنْكَ إِلَّا • كَمَا أَبَقْتُ مِنَ الْقَمَرِ الدَّوَادِي

فِرَاقُكَ عَرَفَ الْأَحْزَانَ قَلْبِي • وَفَرَّقَ بَيْنَ سَجْفَيِ وَالرُّقَادِ

فِيَا لِنَسِيمِ عَيْشٍ قَدْ تَوَلَّى • وَيَا لِنَلِيلِ حُزْنٍ مُسْتَفَادِ

كَأَنِّي مِنْكَ لَمْ أَرْتَعْ بِرَبْعٍ • وَلَمْ أَرْتَدِّ بِهِ أَحْلَى مَرَادِ

سَقَى ذَاكَ الثَّرَى وَبُلُّ الثُّرَيَّا • وَغَادَى نَبْتَهُ صَوْبَ الْغَوَادِي

فَكَمْ لِي مِنْ غَلِيلٍ فِيهِ خَافٍ • وَكَمْ لِي مِنْ عَوِيلٍ فِيهِ بَادِي

زَمَانٌ كَانَ فِيهِ الرُّشْدُ غَيًّا • وَكَانَ النَّعْيُ فِيهِ مِنَ الرَّشَادِ

يُغَلِّبُنِي بِدَلٍّ مِنْ قَبُولٍ • وَيُسَعِدُنِي بِوَصْلٍ مِنْ سُعَادِ

وَأَجْنُبُهُ فَيُعْطِنِي قِيَادًا • وَيَجْنُبُنِي فَأَعْطِيهِ قِيَادِي

الخصاب

قال النبي صلى الله عليه وسلم : غَيَّرُوا هَذَا الشَّيْبَ . وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ .

وكان أبو بكر يخصب بالحناء والكم .

وقال مالك بن أسماء بن خارجة لجاريته : قَوْمِي أَخْضِي رَأْسِي وَلِحْيَتِي . فَقَالَتْ :

فاني صلى الله
عليه وسلم

دعى ، قد عيّتُ مما أرقمك . فقال مالك بن أسماء :

عَبَّرْتَنِي خَلْقًا أَبْلَيْتَ جِدَّهُ * وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يَمُدَّ خَلْقًا

ودخل أبو الأسود الدؤلى على معاوية وقد خضب ؛ فقال : لقد أصبحت
يا أبا الأسود جميلًا ؛ فلو عقلت تيممة . فأنشأ أبو الأسود يقول :

أَقْنَى الشَّبَابِ الَّتِي فَارَقْتُ بِهِجَتَهُ * مَرُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يُبْقِيَ لِي مِنْ طَوْلٍ اخْتِلَافُهَا * شَيْئًا يُخَافُ عَلَيْهِ لَذْعَةُ الْحَدَقِ

وذكر عن الأصمعي قال : بلغنى عن بعض العرب فصاحة ، فأنته فوجده
يخضب ، فقال : يابن أخى ، ما الذى أقصدك إلى ؟ قلت : الاستئناس بك
والاستماع من حديثك . قال : يابن أخى ، قصدتني وأنا أخضب ، والخضاب
١٠ من مقدمات الضعف ، ولطالما فرّعت الوحوش ، وقدت الجيوش ، وورّيت
السيف ، وقرّيت الضيف ، وحميت الجار ، وأبيت العار ، وشربت الراح ،
وجالست الملاح ، وعاديت القروم ، وعلوت الخصوم ؛ واليوم يابن أخى الكبير
وضعت البصر تركا من بعد الصفو الكدر . وأنشأ يقول :

شَيْبٌ نَعْلُهُ كَكَبَا نُسْرُهُ * كَهَيْئَةِ الثَّوْبِ مَطْوًى عَلَى خِرْقِ
فَكَنتُ كَالنَّصْنِ يَرْتَاحُ الْفَوَادِيهِ * فَصُرْتُ عَوْدًا بِلَامٍ وَلَا وَرْقِ
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ إِنْ الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ * وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّقِ

ودخل معاوية على ابن جعفر يعوده ؛ فوجده مُفِيقًا وعنده جارية فى
حجرها عود ؛ فقال : ما هذا يابن جعفر ؟ فقال : هذه جارية أروّجها وبقى
الشعر فزيدته حُسْنًا بِحُسْنِ نَعْمَتِهَا . قال : فلنقتل . فحركت عودها وغنت ؛ وكان

معاوية قد خضب : ٢٠

أَلَيْسَ عِنْدَكَ شُكْرٌ لِّى جَعَلْتُ * مَا أَيْضُ مِنْ قَادِمَاتِ الرَّيْشِ كَالْهَمْرِ
وَجَدَدْتُ مِنْكَ مَا قَدْ كَانَ أَحْلَقَهُ * رَبُّ الزَّمَانِ وَصَرَفَ الدَّهْرَ وَالْقَدَمَ

معاوية وابن
جعفر

فحك معاوية رجله ؛ فقال له ابن جعفر : لم حركت رجلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : كل كريم طروب .

وقال محمود الوراق في الحضاب :

للوراق

للصيفِ أن يُقرى ويُعرفَ حقُّه * والشيبُ ضيفُك فأقرِه بِحُضَابِ
وَأَقِ بِأَكْثَبِ شَاهِدٍ وَلَرَبِّمَا * وَأَقِ الْمَشِيبُ بِشَاهِدِ كَذَابِ
فَانْصَحْ شَهَادَتَهُ عَلَيْكَ بِحُضْبِهِ * تَتَنَّى الظُّنُونُ بِهِ عَنِ الْمُرَاتِبِ
فَإِذَا دَنَا وَقَتُ الْمَشِيبِ نَحْلُهُ * وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ فِيهِ كُلُّ ذَهَابِ

لبس الشراء وقال آخر :

وقائله تقول : وقد رأيتُ * أَرْقُعُ عَارِضَتِي مِنَ الْقَشِيرِ
عَلَيْكَ الْخَطَرُ عَلَيْكَ أَنْ تُدْنِي * إِلَى بَيْضِ تَرَاتُيْهِنَّ حُورِ
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عَمْرِي * وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

وقال غيره :

إِنَّ شَيْئًا صَلَاحُهُ بِحُضَابِ * لَمَذَابٌ مُوَكَّلٌ بِمَذَابِ
فَوَاقٍ الشَّيْبُ لَوْلَا هَوَى الْبَيْضِ وَأَنْ تَشْمِزَ نَفْسُ الْكَعَابِ
لَأَرَحْتُ الْخُدَيْنَ مِنْ وَطَرِ الْخَطَرِ وَأَذْنَتَ بَانِقِضَاءِ الشَّيْبِ

وقال غيره :

بَكَرْتُ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي * لَكُنَّ ذَلِكَ يُعِيدُنِي لِلشَّيْبِ
وَإِذَا أَدِيمُ الْوَجْهِ أَخْلَقَهُ إِلَيَّ * لَمْ يُتَفَعَّ فِيهِ بِحُسْنِ خِضَابِ
مَاذَا تَرَى يُجِدِّي عَلَيْكَ سَوَادُهُ * وَخِلَافُ مَا يُرْضِيكَ تَحْتَ ثِيَابِ
مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْحِضَابُ لَوَاصِفُ * إِلَّا كَشْمِيسٍ جُلَّتْ بِسَحَابِ
تَحْنَقُ قَلِيلًا ثُمَّ يَقْشَعُهَا الْعَبَا * فَيَصِيرُ مَا سُتِرَتْ بِهِ لِذَهَابِ

ومن قولنا في هذا المعنى :

أَصَمَّ فِي الْغَوَايَةِ أَمْ أَنَابَا * وَشَيْبُ الرَّاسِ قَدْ أَنْصَى الشَّيْبَا

إِذَا نَصَلَ الْحَضَابُ بِكِي عَلَيْهِ ۝ وَيَضْحَكُ كُلًّا وَصَلَ^(١) الْحَضَابَا
كَانَتْ حَامَةً يَبْضَاءُ ظَلَّتْ ۝ مُقَاتِلُ فِي مَقَارِفِهِ غُورَابَا

فضيلة الشيب

قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ شَابَ شَيْئَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وقال ابن أبي شيبة : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَتَفِ الشَّيْبِ
. وقال : هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِ .

وقالوا : أَوَّلُ مَنْ رَأَى الشَّيْبَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ،
مَا هَذَا ؟ قَالَ لَهُ : هَذَا الْوَقَارُ . قَالَ : رَبِّ زِدْنِي وَقَارًا .

وقال أبو نُوَاسٍ : ١٠

يَقُولُونَ فِي الشَّيْبِ الْوَقَارُ لِأَهْلِهِ ۝ وَشَيْبِي بِمُحَمَّدٍ اللَّهُ غَيْرُ وَقَارٍ

وقال غيره :
بعض الشعراء

يَقُولُونَ هَلْ بَعْدَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ ۝ فَقُلْتُ وَهَلْ قَبْلَ الثَّلَاثِينَ مَلْعَبٌ
لَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الشَّيْبِ إِنْ كَانَ كُلًّا ۝ بَدَتْ شَيْئَةً يَرَى مِنَ اللَّهِ مَرْكَبُ

دَخَلَ أَبُو دَلْفٍ عَلَى الْمَأْمُونِ ، وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ [لَهُ] ، وَقَدْ تَرَكَ الْحَضَابُ ١٥

أَبُو دَلْفٍ ، فَتَمَزَّ الْمَأْمُونُ الْجَارِيَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ : شَيْبْتُ أَبَا دَلْفٍ ، إِنْ أَلَّ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ لَا عَلَيْكَ ! فَسَكَتَ أَبُو دَلْفٍ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : أَجْهَأَ أَبَا دَلْفٍ .
فَأُطَارِقُ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ . فَقَالَ :

تَهَيَّأْتُ أَنْ رَأَيْتُ شَيْبِي قُلْتُ لَهَا ۝ لَا تَهَيَّئِي مَنْ يَطْلُ عُثْرُهُ بِشَيْبِ
شَيْبِ الرِّجَالِ لَمْ زَيْنٌ وَمَكْرُمَةٌ ۝ وَشَيْبُكَ لَكُنَّ الْوَيْلُ فَكَيْتِي ٢٠
فِينَا لَكُنَّ وَإِنْ شَيْبٌ بَدَأَ أَرْبُ ۝ وَلَيْسَ فَيَكُنْ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرْبٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : وَنَصَلَ .

وقال محمود الرواق :

للوراق

وعائب عابى بِشَيْبٍ • لَمْ يَعُدْ لَنَا أَلَمْ وَقَّة

فقلت للعابى بِشَيْبٍ • يا عائب الشَّيبِ لَا بَلْغَتَه

أُتشدنى أبو عبد الله الإسكندراني، معلم الإخوة :

- وما زاد في طول اكتابى • طلائع شيتين أَلْمَتَا فِي
فأما شية ففزع منها • إلى المقرض من حب التصابي
وأما شية ففوت عنها • لتشهد بالبراء من الخضاب !

وقال محمد بن مناذر :

لأبن مناذر

لَا سَلَامَ عَلَى الشَّبَابِ وَلَا حَيَا إِلَّا لَهُ الشَّبَابُ مِنْ مَعُودٍ

- ١٠ قد لبستُ الجدي من كلِّ شَيْءٍ • فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ شَرًّا جَدِيدِ
صاحبُ ما يزال يدعو إلى العُيبِ وما مَرْنِ دعا له برشيد
ولنعم العُيبُ والوازِعُ الشَّيْبُ ونعم العُفَادُ للاستفيد

كبرت السن

قيل لأعرابي قد أخذته كبرة السن : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت تُقَيِّدُنِي

لأعرابي

- ١٥ الشعرة وأَعْرَضُ بِالْبَعْرَةِ ؛ قد أقام الدهر صَعْرِي بعد أن أَمَتَّ صَعْرَه .

وقال آخر : لقد كنت أنكرُ البيضاء ، فصرت أنكرُ السوداء ، فيأخِرُ مبدول

لبعضهم

ويا شَرًّا بَدَلِ .

ودخل المستورغ بن ربيعة على معاوية بن أبي سفيان وهو ابن ثلثمائة سنة ؛

معاوية
والمستورغ

فقال : كيف تجددك يا مستورغ ؟ فقال : أجدني يا أمير المؤمنين قد لان مني ما كنت

- ٢٠ أحب أن يشند ، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين ، وبيض مني ما كنت أحب
أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض . ثم أنشأ يقول :

سَلْنِي أَتَبَيَّنْكَ بآيَاتِ الْكِبَرِ • نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ بِالسَّحَرِ

وَقَلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ أَعْتَكَرَ • وَقَلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الرَّأْدُ حَضَرَ

وسرعة الطرف وتَحْيِجُ النظر . وَتَرْكُ الحِمْيَاءِ فِي قَبْلِ الطَّهْرِ
وَالنَّاسُ يَتَلَوْنَ كَمَا يَتَلَوُ الشَّجَرُ

وقال أعرابي :

أشكو إليك وَجَعاً بَرَكْتِي * وَهَدَجَاناً لَمْ يَكُنْ فِي مِشْقِي
كَهَدَجَانِ الرَّأْلِ خَلْفَ الْهَيْقَتِ

وقال آخر :

وَالكَبِيرُ رِيثَاتُ أُرْبَعُ * الرُّكْبَانِ وَالنِّسَاوَالِ أَخْدَعُ

وقال جرير :

تَحْنُ الْعِظَامُ الرَّاجِفَاتُ مِنَ الْبِلَى * وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَيْنِ طِيبُ

وقال أعرابي في امرأة :

يَا بَكْرُ حَوَاءَ مِنَ الْأَوْلَادِ * وَأَقْفَمُ الْعَالَمِ فِي الْبِلَادِ
عُمْرُكَ مَعْدُودٌ إِلَى التَّنَادِ * لِحَدِيثِنَا بِمَحْدِثِ عَادِ
وَمُبْتَدَأِ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * وَكَيْفَ جَاءَ السَّيْلُ بِالْأَطْوَادِ

وقال آخر :

إِذَا عَاشَ الْفَقَى سَعِيدِينَ عَاماً * فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسَرَّةُ وَالْفَنَاءُ

كان في غطفان نصر بن دهمان ؛ قاد غطفان وسادها حتى خَرِفَ وَعُمِّرَ
تسعين ومائة سنة ، حتى أسود شعره ونبتت أضراسه وعاد شاباً ؛ فلا يعرف في
العرب أعجوبة مثله .

وقال محمد بن منذر في رجل من المُعَمَّرِينَ :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ * قَدْ صَحَّحَ مِنْ طَوْلِ عُمْرِهِ الْأَبَدُ
قَدْ شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاكْتَمَلَ الدَّمَرُ وَأَثَابُ عُمْرِهِ جُدُّ
يَا تَنَرَّ لِقِيَانِ كَمْ تَعِيشَ وَكَمْ * تَسْبَحُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لَبْدُ
قَدْ أَصْبَحَتْ دَارُ آدَمَ خَرِبَتْ * وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّكَ الْوَيْدُ

عبد الملك
والشعبى

تَسْأَلُ غِرْبَاتَهَا إِذَا حَجَلْتُ ۝ كَيْفَ يَكُونُ الصَّدَاعُ وَالرَّمَدُ
ودخل الشعبى على عبد الملك بن مروان ، فوجده قد كبا عُمَتًا ، فقال :
ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : يا شعبى ؛ ذكرتُ قول زهير :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سُبْعِينَ حِجَّةً ۝ تَخَلَّفتُ بِهَا عَنِ عِذَارِ الْجَامِ
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى ۝ فَكَيْفَ بَعْنُ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِ ۝
فَلَوْ أَتَيْتُ أَرَمَى بَلِيلَ رَأْيِهَا ۝ وَلَكِنِّي أَرَمَى بَغْيِ مِهَامِ
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ تَارَةً وَعَلَى الْعَصَا ۝ أُنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَاسِ
قال له الشعبى : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة ،
وقد بلغ سبعين سنة :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً ۝ تَخَلَّفتُ بِهَا عَنْ مَنَكِيٍّ رِدَائِيَا
فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً قَالَ :
بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً ۝ وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَ
فَإِنْ تُرَادَى ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا ۝ وَفِي الثَّلَاثِ وَقَاهِ لِلثَّانِيَا
فَلَمَّا بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ قَالَ :

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ طَوِيلًا ۝ وَسُؤَالَ هَذَا الْخَلْقِ كَيْفَ لِيَبْدَ
فَلَمَّا بَلَغَ مِائَةَ سَنَةٍ وَعِشْرًا قَالَ :
أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ ۝ وَفِي تِكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا عُمُرُ
فَلَمَّا بَلَغَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً وَقَدْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ :

تَمَنَّى ابْنُ نَافِثٍ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا ۝ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِيْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي تَعَلَّسَانِيهِ ۝ وَلَا تَخْشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلُقَا شَعْرُ
وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ ۝ أَضَاعَ وَلَا عَانَ الْخَلِيلَ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَ ۝ وَهَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ
قال الشعبى : فاقده رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها .

وقال لييد أيضاً :

لييد

أليس ورأى إن تراخت مَنِيَّتِي * لزوم العصا تُحَيِّ عليها الأصابعُ
أخْبَرُ أخبار القرونِ التي مضت * أدبُ كَأَيُّ كَلِمَاتُ راصِعُ
فأصبحتُ مثل السيف أخلقُ جَنَنَهُ * تقادُمُ عهد القين^(١) والنَّصلُ قاطعُ

د ويقال : مكتوب في الزبور : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة .

وقال محمد بن حسان النبطي : لا تسأل نفسك العام ما أعطتك في العام الماضي .

وقال معاوية لما أسن : ما سرّ شيء كنت استلذه وأنا شاب فأجده اليوم كما
أجده ، إلا اللّبن والحديث الحسن .

عاش ضرار بن عمر حتى ولّد له ثلاثة عشر ذكراً ، فقال : من سرّه بنوه

سأته نفسه . ١٠

وقال ابن أبي قُيَين :

لاين أبي قُيَين

مَنْ عاشَ أَخْلَقَتِ الأيامُ جِدَّتَهُ * وخائنه يَتَقَسَّاهُ السَّمْعُ والبصرُ
قالت عَهْدُكَ مجنوناً قُلْتُ لها * إنّ الشَّبَابَ جنونٌ يَرُوهُ الكِبَرُ

قال أبو عبيدة : قيل لشيخ : ما بقي منك ؟ قال : يَسْبِقُنِي مَنْ أُمَامِي .

١٥ ويُذكرني مَنْ خَلَقَنِي ، وأذكُرُ القديم ، وأُنسى الحديث ، وأنسى في الملا ، وأسهر

في الخلا ، وإذا قُتُّ قُرْبَتِ الأرضُ مِنِّي ، وإذا قعدتُ تباعدتُ عني .

لمجد

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أرى بصرى قد رابني بعد حِجَّتِهِ * وحسبك داء أن تصيح وتسلّي

لبعض الشعراء

وقال آخر :

كانت قَتَاتِي لا تَلِينُ لِفانِسٍ * فألانتها الإصباحُ والإمساء

٢٠

ودعوتُ ربّي بالسّلامةِ جَاهِدًا * ليُضِحِّي فلذا السّلامةُ داءُ

(١) في بعض الأصول : « الجفن » .

لأبي المتأهية وقال أبو المتأهية ، وروى للقطامي :

* أَمْرَعُ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ *

وقالت الحكاءة (١) : مازاد شيء إلا نقص ، ولا قام إلا شخص .

لبعض المحدثين وقال بعض المحدثين :

- ٥ أَلَسْتُ تَرَى أَنَّ الزَّمَانَ طَوَانِي • وَبَدَّلَ عَقْلِي كُلَّهُ وَرَانِي
تَحْيِيَّتِي عَضْوًا مَضْمُونًا فَلَمْ يَدْعُ • سَوَى أَسْمَى صَحْبًا وَحْدَهُ وَلِسَانِي
وَلَوْ كَانَتْ الْأَسْمَاءُ يَدْخُلُهَا الْبَلَى • إِذَا بَيَّيْتُ أَسْمَى لِأَمْتَدَادِ زَمَانِي
وَمَا لِي لَا أَبْلِي لِسَبْعِينَ حِجَّةً • وَسَبْعِ أَنْتَ مِنْ دُونِهَا سَلْتَانِ
إِذَا عَنِّي شَيْءٌ تَحْيَلْ دُونَهُ • شَيْبُهُ ضَبَابٍ أَوْ شَيْبُهُ دُخَانِ

قال الغزالي :

- ١٠ أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ مَحْمُودًا عَلَى أَمَدٍ • مِنَ الْحَيَاةِ قَصِيرٍ غَيْرِ مَمْدُودٍ
حَتَّى بَقِيْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَلْفٍ • كَأَنِّي بَيْنَهُمْ مِنْ وَحْشَةٍ وَحْدِي
وَمَا أَفَارِقُ يَوْمًا مَنْ أَفَارِقُهُ • إِلَّا حَسِبْتُ فِرَاقِي آخِرَ الْعَهْدِ

لبعض الشعراء وقال آخر :

- ١٥ يَا مَنْ لَشَيْخٍ قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ • أَقْنِي ثَلَاثَ عِائِمٍ أَلْوَانَا
سُودَاءَ حَالِكَةٍ وَتَحْقُ مَقُوفٍ • وَأَجِدْ لَوْنًا بَعْدَ ذَلِكَ جِئَانَا
قَصَّرَ اللَّيَالِي خَطْوَهُ قَدَانِي • وَحَنِينُ قَائِمٍ صُلْبِهِ قَتَحَانِي
صَحْبَ الزَّمَانِ عَلَى اخْتِلَافِ نَوْنِهِ • فَأَرَاهُ مِنْهُ شِدَّةً وَلَيَانَا
وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ كُلَّهُ • وَكَأَنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ سِوَانَا

وقال سفيان الثوري في مدح كبره :

- ٢٠ إِنِّي وَإِنْ كَانَتْ مَسْنَى كَبْرٍ • عَلَى مَا قَدَّرْتَنِي مِنْ كِبَرِي
أَعْرِفُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفَارِقَنِي • مَوْقِعَ سَهْمِي وَالسَّهْمِ فِي الْوَتَرِ

(١) في بعض الأصول : « الحفشاء » .

من صحب من ليس من نظرائه لحصال فيه

كان حارثة بن بدر العداني فارس بنى تميم ، وكان شاعراً أديباً ظريفاً ، وكان
يعاقر الشراب ويصحب زيادا ، فقبيل زياد : إنك تصحب هذا الرجل وليس
من شاكلتك . إنه يعاقر الشراب . فقال : كيف لا أحبه ولم أسأله عن شيء .
قط إلا وجدتُ عنده منه علما ، ولا مثي أماني فاضطرني أن أماديي ، ولا مثي
خلفي فاضطرني أن ألقت إليه ، ولا راكبي فست ركبتي ركبته . فلما هلك
زياد قال فيه حارثة بن بدر :

أبا المنيرة والدنيا مغرورة * وإن من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للبعروف معرفة . وكان عندك للتكبير تنكير
لو خلد الخير والإسلام ذا قدم * إذا خلدك الإسلام والخير
وتمام هذه الآيات قد وقعت في الكتاب الذي أفردها للمرائي .

وكان زياد لا يداعب أحد في مجلسه ولا يضعك ، فاخضع إليه بنو راسب
وبنو الطفاوة في غلام أئبته هؤلاء وهؤلاء ، فتعير زياد في الحكم ، فقال له حارثة
ابن بدر : عندي أكرم الله الأمير في هذا الغلام أمر ، إن أذن لي الأمير
تكلمت به فيه . قال : وما عندك فيه ؟ قال : أرى أن يلقي في دجلة ، فإن راسب
فهو لبني راسب ، وإن طفا فهو لبني الطفاوة ! فبسم زياد وأخذ نعليه ودخل ،
ثم خرج فقال لحارثة : ما حالك على الدعابة في مجلسي ؟ قال : طيبة حضرتي ،
أصلح الله الأمير خفت أن تقوتني ، قال : لا تعد إلى مثلها .

ولما ولي عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه ، أخرج حارثة بن بدر وجفاه ،
فقال له حارثة : مالك لا تنزلي المنزل التي كان ينزلي أبوك ؟ أتدعي أنك أفضل
منه أو أعقل ؟ قال له : إن أبي كان برع في الفضل بروعا لا تضربه حجة
مثلك . وأنا حدث أخشى أن تُعزقني ببارك : فإن شئت فاترك الشراب
وتكون أول داخل وآخر خارج . قال : والله ما تركته فكيف أتتركه لك ؟ قال :

حارثة العداني
وزياد

ابن زياد وحارثة
وأبو الأود

فتخير بلداً أَوْلَيْكَهُ . فاختار سُرقَ من أرض العراق ، فوله إياها . فكتب إليه
أبو الأسود الدؤلي وكان صديقاً له :

- أَحَارِ بن بدير قد وليت ولايةً * فكن جُرَدًا فيها نخون وتسرقُ
وباهٍ تيمماً بالغي ، إنَّ للغي * لساناً به المرء الهيوبَةُ ينطقُ
وما الناسُ إلَّا اثنانِ إما مُكذَّبٌ * يقولُ بما يهوى وإنا مُصدقُ
يقولون أقوالاً ولا يُحكِمونها * فإن قيل يوماً حقُّوا لم يُحققوا
فدعْ عنك ما قالوا ولا تكثرِ بهم * لحظُّك من مالِ العراقي سُرقُ
فوقَّع في أسفل كتابه : لا بُعدَ عليك الرشد .

ابن الوليد البجلي
وابن يعض

- وكان ابن الوليد البجلي ، وهو ابن أخت خالد بن عبد الله القسري ، ولي
أصبهان ، وكان رجلاً متمسكاً متضلعا ، فقدم عليه حمزة بن يعض بن عوف في
١٠ صحبته ، فقبل له : إن حمزة لا يصعب مثلك ؛ لأنه صاحب كلاب وهو . فبعث
إليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف . فقال فيه :

- يا ابن الوليد المرتجى سيئه * ومن يُجملُ الحدثَ الحالكِ
سبيلُ معروفك متى على * بالي فإلى على بالكِ
١٥ حشوا قبضي شاعرٍ مُفلقٌ * والجودُ أمي حشوا سربالكِ
يلومك الناسُ على عُقبتي * والمُسكُ قد يستصحبُ الزامِكِ
إن كنت لا تصحبُ إلا فتى * مثلكَ لن تُوقىَ بأمثالكِ
هتبي أمراً اجتُ أريدُ الهدى * فجدُ على جهلي يا سلامِكِ

قال له : صدقت ! وقربه وحسنتَ عنده منزلته .

- وكان عبد الرحمن بن الحكم الأمير قد عتب على ندمائه ، فأمر نصرًا الفتي
٢٠ بإسقاطهم من ديوان عطائه ولم يستبدل بهم ؛ فلما كان بعد أيام استوحش لهم ،
فقال لنصر : قد استوحشنا لأصحابنا أولئك ؛ فقال له نصر : قد نالهم من سخط
الأمير ما فيه أدبٌ لهم ؛ فإن رأى أن يرسلَ فيهم أرسلتُ . قال : أرسل . فأقبل

عبد الرحمن بن
الحكم وبعض
ندمائه

القوم وعليهم كآبة السخط ، فأخذوا بحالهم ولم ينشروا ولا خاضوا فيما كانوا
يخوضون فيه ، فقال الأمير لنصر : ما يمنع هؤلاء من الانشراح ؟ قال : عليهم
أبقى الله الأمير وجة السخط الذي نالهم ، قال قل لهم : قد عفونا فلينشروا .
قال : فقام عبد الرحمن بن الشعر الشاعر المتبحر ، فجثا بين يديه ، ثم أنشده شعراً
له أقنع فيه على بعض أصحابه إلا أنه ختمه بيتين بديعين ، وهما :

فيارحمه الله في خلقه * ومن جوده أبداً يسكبُ

لئن عفت حُجبة أهل الذنوب * لقل من الناس من تصعبُ

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول النابغة :

ولست بمسبوقٍ أحباً لآثله * على شعثٍ أرى الرجال المهذبُ ؟

قولهم في القرآن

كتب المريسي إلى أبي يحيى منصور بن محمد : أكتب : القرآن خالق أو مخلوق ؟
فكتب إليه : عافانا الله وإياك من كل فتنة ، وجعلنا وإياك من أهل السنة ، ومن
لا يرغب بنفسه عن الجماعة ، فإنه إن فعل فأعظم بها مئة ، وإن لا تفعل فهي
الهلكة ، ونحن نقول : إن الكلام في القرآن بدعة ، يتكلف المجيب ما ليس عليه ،
ويتعاطى السائل ما ليس له ، وما نعلم خالفاً إلا الله ، وما سوى الله فمخلوق ؛
والقرآن كلام الله ، فأنته بنفسك إلى أسمائه التي سماه الله بها فتكون من المهتدين ،
ولا تُسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين . جعلنا الله وإياك من الذين
يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون .

قناة

المريسي وأبو
يحيى

تم الجزء الثاني

من كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه

ويليه الجزء الثالث

وأوله : كتاب الموهبة في الأمثال

فهرس

موضوعات الجزء الثانى

من العقد الفريد

صفحة	صفحة
١٣ بين المنصور وذى حاجة . بين المأمون والبهائي عمر بن عبد العزيز ووفد العراق	١٣ كتاب المزجاة في مخاطبة الملوك
١٤ التوصل والاعتذار	لنبي صلى الله عليه وسلم .
لنبي صلى الله عليه وسلم . جعفر بن يحيى ومعتذر . للحسن بن وهب .	١٤ لتجليل الملوك وتمظيمهم
١٥ لابن عبد ربه في الاعتذار . لبعضهم في تجنب الاعتذار .	ليحيى بن خالد في خطاب الملوك .
١٦ لمحمود الوراق . بين عبد الملك وابن شهاب الزهري . بين المنصور وجريح . بين المأمون وابن الفارسي .	٤ ابن صبيح والقفل بن يحيى في علته . الحجاج والشعي .
١٧ المأمون وابن يوسف في شكايته منه .	٥ قبلة اليد .
١٨ المنصور وابن فضالة المأمون وابن أكرم . الاستعطاف والاعتراف .	١٨ الرسول صلى الله عليه وسلم وتقبل يده . بين سليمان وجعفر بن يحيى .
١٩ بين المهدي وابن دواد .	١٩ من كره من الملوك تقبيل اليد حسن التوقيع في مخاطبة الملوك
٢٠ يزيد بن مزيد أمام الرشيد . المأمون وأبراهيم بن المهدي .	٧ الرشيد وعبد الملك بن صالح . المأمون وابن مزيد .
٢١ المأمون وإسحاق بن العباس .	٨ الرشيد وابن صالح . المأمون وغلان في الديوان . عبد العزيز بن مهزيان ولعصب .
٢٢ عبد الملك وابن عتبة وغالده بن يزيد .	المأمون ووداعه الحسن بن سهل . المأمون وسعيد بن مسلم .
٢٣ سليمان بن علي وابن عتبة أمام المسودة الرشيد وعبد الملك بن صالح .	٩ مدح الملوك والتزلف إليهم .
٢٤ لعبد الملك بن صالح بعد خروجه من السجن	أردشير حين ولي . حسان بن ثابت والجففي
٢٥ ابن سلم حين بلغه غضب الخليفة على رجاء . لبعضهم في الاعتذار إلى مالك . قتيبة وأبو مجاز . الحجاج ومذنب . بعض الملوك ومذنب . سليمان بن عبد الملك وغالده بن عبد الله . معاوية وابن زبناح .	١٠ خالد القسري بين عمر بن عبد العزيز . المأمون ومادح له عند دخوله بغداد . بين خالد القسري وبعضهم في مثله . بين الحسن بن سهل وآخر ابن صفوان ووالد دخل عليه .
٢٦ عبد الملك ورجل جفاء . الحسن بن سهل ونعيم بن حازم . المأمون وهاشمي أذناب المأمون ورجل اعتذر . المنصور ويزيد ابن هيرة .	١١ بين الرشيد وبعض الثمراء . لابن صفوان ق مدح رجل . الرشيد وسهل بن هارون . المأمون وسهل بن هارون .
	١٢ الحجاج وزيد الصكي . لابن شيبة في صالح ابن المنصور . لابن شيبة في الخلافة . لبعض الخلفاء في ابن شيبة . بين عبد الملك وذى حاجة

صفحة	صفحة
٢٧	نعم بن جميل بين يدي المعتصم .
٢٨	المنصور وجعفر بن محمد .
٢٩	سليمان بن عبد الملك ويزيد بن راشد .
٢٩	الرشيد ورجل حبسه . المأمون ورجل من خاصته .
٣٠	المأمون ومحمد بن عبد الملك . عبيد بن أيوب والحجاج .
٣١	لابن الزيات يستعطف المتوكل .
٣٢	أبو مسلم وبعض قواده . بين المأمون وأبي دلف .
٣٣	المنصور ومن بن زائدة . عبد الملك وأعرابي سرق .
٣٤	تذكير الملوك بذيهم متقدم . حسن التخلص من السلطان .
٣٥	بين المختار وسراقة .
٣٦	من بن زائدة وبعض الأسرى . عمر بن الخطاب والمهزيان .
٣٧	المأمون وأبو دلف حين ظفريه .
٣٨	معاوية وأسد من أهل العراق . عبد الملك ورجل أمر بقتله .
٣٩	الحجاج وبعض الأسرى . معاوية وولس الثغنى . سليمان بن عبد الملك ويزيد بن أبي مسلم .
٤٠	الحجاج وابن يعمر في الحسين .
٤١	الحجاج وعاصم بن أبي وائل . الحجاج وأمرى الجاجم .
٤٢	للفرزدق في جهاد الحجاج بعد موته . سليمان ابن عبد الملك وأبر الرقاع .
٤٣	شريك والربيع بن يدي المهدي . الحجاج وجامع المحاربين .
٤٤	الرشيد وسلم بن الوليد وابن أبي شيخ .
٤٦	الرشيد ويعقوب بن صالح . توسط مسلة بين هشام والسكيت .
٤٨	خلاص ابن هيرة من خالد القدرى . فضيلة العفو والترغيب .
٥٠	المأمون وصاحب وضوئه .
٥١	بعد الهمة وشرف النفس .
٥٢	معاوية وعمر بن سعيد . لابن المهلب في الفرزدق .
٥٣	عمر بن عبد العزيز وعقيل بن علفة من غيرة عقيل .
٥٤	الأوس والخزرج .
٥٥	للفرزدق والأحوص في النخز .
٥٦	لهنية في القنجر .
٥٧	لظاهر بن الحسين . لابن مسلة في الرد على طاهر . لابن طاهر في القنجر .
٥٨	لابن مسلة في الرد على بن طاهر .
٥٩	مراسلات الملوك .
٦٠	من ملك الهند إلى عمر بن عبد العزيز .
٦١	بين ملك الروم وعبد الملك بن مروان . بين ملك الهند والرشيد .
٦٢	بين المأمون وطاهر بن الحسين .
٦٥	كتاب الباقوة في العلم والأدب فنون العلم .
٦٦	بين المأمون وصهل بن هارون .
٦٧	الحض على طلب العلم .
٦٨	ليني صلى الله عليه وسلم .
٦٩	ليأرد عليه السلام يعط ابنه .
٦٩	لميد الله بن عباس . لميد الله بن مسعود . فضيلة العلم .
٧٠	لمل بن أبي طالب .
٧٠	ليني صلى الله عليه وسلم . لابن الأسود .

صفحة	صفحة
٨٥ يحيى بن النعمان . على وابن مسعود	٧١ الحسن البصرى . للاسمى .
٨٦ للبدر . بين ابن المبارك وابن النضر	٧٢ لعاذ بن جيل . لابن طباطبا
٨٧ للاسمى في نفر . النخعي والاعشى .	ضبط العلم والتثبت فيه
٨٨ لابي نواس . للنصور . للأمون	٧٣ للإمام مالك . لامداه بن عمرو
قولهم في حلة القرآن	انتحال العلم
بين النخعي وقارئ القرآن . لابي يونس	موسى عليه السلام وقد ظن أنه أعلم الخلق .
المقفل	٧٤ لقنادة . لابي عمرو بن البلاد . للشعي والسدي
لعلى بن أبي طالب . الحسن البصرى .	٧٥ شرائط العلم وما يصلح له
بين سليمان بن عبد الملك ورجل . للغيرة	للشعي . الحسن . لابن المبارك في مالك
في عمر . لزياد . لعمر بن العاص .	ابن أنس
لحاوية . بين عمر والحيرة . بين معاوية وابن	٧٦ حفظ العلم واستعماله
العاص : شعر تمثل به الحسن بن سهل .	لابن مسعود . لابن دينار . لابن الخطاب لماك .
هودة وكسرى . بين النبي ﷺ وهودة .	٧٧ رفع العلم وقولهم فيه
ما ورد في القتل . الحسن البصرى . لابي يونس	لابن مسعود . لابي يونس . لابن عباس .
لعمر بن الخطاب .	تحامل الجاهل على العالم
بين النبي ﷺ وبجاشعي . لبرزجمهر	لنبي ﷺ . كيسان والخليل .
لنبي صلى الله عليه وسلم	٧٨ تجليل العلماء وتعظيمهم
لعبد الله بن محمد . لبعض الشعراء .	زيد بن ثابت وابن عباس . لعلى كرم الله وجهه .
لابن دريد . بين عمر بن عبد العزيز ورجل	عويص المسائل
من أعوانه .	لنبي ﷺ . بين ابن الخطاب وعلى .
وصية عبدالله بن الحسين . لعلى رضي الله عنه	٧٩ التصنيف
الحكمة	للاسمى . لبعضهم .
١٠٠ لابي يونس عليه وسلم	طلب العلم لغير الله
نوادير من الحكمة	لنبي ﷺ . ليعلى بن مريم .
لقس بن ساعدة . ابن القارب وحمدة في مجلس	٨١ باب من أخبار العلماء والأدباء
ملك حمير .	لابن عباس في الخلفاء الحسن البصرى وعلى
١٠٢ لابي عبيدة في تفسير التريب	بن أبي طالب .
١٠٢ لعمر بن العاص . لعمر الخطاب . العرب والسهم	٨٢ عبد الملك وشهاب الزهري . الحسن البصرى
١٠٤ بمد مقتل برزجمهر . لعمر بن الخطاب الحسن	في الصحابة .
البصرى	٨٣ للشعي في القضاء . بين عبيد الله وعمر بن عبد العزيز
١٠٥ البلاغة وصفها	٨٤ الحسن وابن جهم . سليمان التيمي والثوري
بين معاوية وحمير	

صفحة	صفحة
١٠٦ بين ابن صفوان ورجل يكثر القول	١٢٢ لخالد بن معمر في أسباب جه لعل .
١٠٧ لجعفر بن محمد	١٢٣ للاحنف .
١٠٨ لبعض الشعراء	١٢٤ الحسن بن رجاء لمحمود الوراق .
١٠٥ بين العتاني ورجل في البلاغة لأبرير	١٢٥ باب السودد
١١٠ لربيعة الرأي . الحسن بن جعفر .	١٢٦ الاحنف في تسويد قومه له . أبو سفيان
فصول من البلاغة	وجواهر ملك العين . لهند في ابنها معاوية .
لقنية بن سلم . لابن السبا .	١٢٧ من حلم ابن نوفل .
١١١ الحسين بن علي والفرزدق . لعل كرم الله	١٢٨ لابي سفيان في أبي سفيان . رأى عمرو بن
وجهه . للمسيح عليه السلام .	الماص في أخيه هشام .
١١٢ النعمان وعدى بن زيد . لخالد بن صفوان .	١٢٩ سودد الرجل نفسه
١١٣ بين المنصور ومن بن زائدة . لمعاوية في	لنبي سفيان . لنس بن ساعدة
ابن عباس .	١٣٠ المروءة
١١٤ كتاب من عمرو بن مسعدة إلى المأمون . بين	لنبي سفيان . لعمرو بن الخطاب . لأبي هريرة
جعفر البرمكي وأخيه الفضل .	١٣١ طبقات الرجال
١١٥ من بلاغة المأمون . بين المأمون وأبراهيم	١٣٢ لعل رضى الله عنه . لنبي سفيان
ابن المهدي .	الغوغاء
١١٦ آفات البلاغة	ابن عباس والغوغاء .
لأبي داود الإبادي . للفضل في الإيجاز	١٣٣ لعمرو بن الخطاب في قوم .
باب الحلم ورفع السيئة بالحسنة	الثقلاء
بين عمرو بن الماص وبعضهم	لعاثلة . لأبي هريرة . أبو حنيفة والأعشى
١١٧ بين أبي بكر وآخر . لعمرو بن عبيد في نيل	١٣٤ الحسن بن هاني
السختياني منه . أبو ذر وشاتم له .	١٣٥ لتاجر أهدى جلامم نزل عليه .
١١٧ المسيح عليه السلام وقوم من اليهود . لنبي	١٣٦ الحسن بن هاني في الفضل الرقاشي . الشعبي
صلى الله عليه وسلم .	١٣٧ التناول بالاسماء
١١٨ صفة الحلم وما يصلح له	عمر وظالم بن سراقه
من حلم الاحنف .	١٣٨ لنبي سفيان في البريد . الحجاج ورسول
١١٩ لخالد بن صفوان في الاحنف لقيس بن عاصم	المهلب . من تناول الرسول ﷺ
في الحلم .	١٣٩ باب الطيرة لنبي صلى الله عليه وسلم
١٢٠ عمرو بن عبد المزور ورجل حاول اغتياله لكعب	١٤٠ العرب والطيرة . لحسان
بن زهير . الثابتة الجمعدى والرسول ﷺ	اتخاذ الإخوان وما يجب لهم

صفحة	صفحة
١٤١	لداود يوصي ابنه سليمان عليهما السلام
١٤٢	للأخف . لابن المذفر في الحسن بن ابراهيم
١٤٣	المصور وشاعر يهتبه بالخلافة
١٤٤	معاينة الصديق واستبقاء موته
١٤٥	للحكاه . لمل رضى الله عنه .
١٤٦	فضل الصداقة على القرابة
١٤٧	ليزرجهر . لاكرم بن صفي
١٤٨	لحيب الطائي . للبرد
١٤٩	التحبيب إلى الناس
١٥٠	في الحديث . لابن عبد ربه . من عمر إلى سعد
١٥١	ابن أبي وقاص . لمعاوية .
١٥٢	المبرد والخليل . لابن عبد ربه
١٥٣	صفة المحبة
١٥٤	لابن طاهر يصف الحب للأيمن . لحاد
١٥٥	الراوية . لمعاد بن سهل
١٥٦	مواصلتك لمن كان يواصل أباك
١٥٧	للنبي ﷺ . لابن مسعود . لأبي بكر .
١٥٨	عداوة تميم ويكر وشعر ابن حلوة .
١٥٩	الحسد
١٦٠	لمل رضى الله عنه للنبي ﷺ . لابن مسعود
١٦١	لأبي العتابة . لابن المبارك .
١٦٢	لسليمان التيمي . لعائشة في شعر تتمثل به .
١٦٣	إبليس ونوح لابن عباس لبعض الشعراء
١٦٤	عبد الملك والحجاج . المنصور وسليمان
١٦٥	بن معاوية
١٦٦	بصري يحمده قومه . لأبي عاصم النبيل
١٦٧	محاسبة الأقارب
١٦٨	من عمر إلى أبي موسى . لابن مصعب في غلبته
١٦٩	على البراءة . بين خالد بن صفوان ورجل .
١٧٠	لأبي الأصم . لبعض الشعراء .
١٧١	المشاكاة ومعرفة الرجل لصاحبه
١٧٢	لأبي تمام .
١٧٣	للنبي ﷺ . لبعض الشعراء .
١٧٤	سليمان بن قيس . لابن عبد ربه .
١٧٥	لأبي العتابة . لابن المبارك .
١٧٦	لسليمان التيمي . لعائشة في شعر تتمثل به .
١٧٧	إبليس ونوح لابن عباس لبعض الشعراء
١٧٨	عبد الملك والحجاج . المنصور وسليمان
١٧٩	بن معاوية
١٨٠	بصري يحمده قومه . لأبي عاصم النبيل
١٨١	محاسبة الأقارب
١٨٢	من عمر إلى أبي موسى . لابن مصعب في غلبته
١٨٣	على البراءة . بين خالد بن صفوان ورجل .
١٨٤	لأبي الأصم . لبعض الشعراء .
١٨٥	المشاكاة ومعرفة الرجل لصاحبه
١٨٦	لأبي تمام .
١٨٧	للنبي ﷺ . لبعض الشعراء .
١٨٨	سليمان بن قيس . لابن عبد ربه .
١٨٩	لأبي العتابة . لابن المبارك .
١٩٠	لسليمان التيمي . لعائشة في شعر تتمثل به .
١٩١	إبليس ونوح لابن عباس لبعض الشعراء
١٩٢	عبد الملك والحجاج . المنصور وسليمان
١٩٣	بن معاوية
١٩٤	بصري يحمده قومه . لأبي عاصم النبيل
١٩٥	محاسبة الأقارب
١٩٦	من عمر إلى أبي موسى . لابن مصعب في غلبته
١٩٧	على البراءة . بين خالد بن صفوان ورجل .
١٩٨	لأبي الأصم . لبعض الشعراء .
١٩٩	المشاكاة ومعرفة الرجل لصاحبه
٢٠٠	لأبي تمام .

صفحة	صفحة
١٩١ الحسن البصري غيلان وريمة . طلوس	١٧٧ باب في التواضع
وقتادة للخفني في الأعشى وليد .	التي <small>عليه السلام</small> لابن السالك . من تواضع التجاني
١٩٢ لإياس بن معاوية . لابن شهاب . لابن سهرين	عمر وامرأة من قرينش .
بين علي بن أبي طالب وقدرى .	١٧٨ لأبي المتاهية . التي صلى الله عليه وسلم لتأنيته
١٩٣ هشام وغيلان والأوزاعي .	لعدي بن زيد .
١٩٤ لكعب بن زهير . بين النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> وقدرى	استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقه
١٩٥ لابن مسعود . أبو المتاهية وابن أشرس بين	١٧٩ للحكاه . لبعض الشعراء . لحبيب . لثمان
بدي المأمون الكندي	ابن إبراهيم .
١٩٦ مجوس وقدرى . عمر بن عبيد وابن مسكين	١٨٠ لعريق الغواني . للوراق . لابن عبد ربه .
رد المأمون على الملحدين وأهل الأهواء	لحسن بن هاني .
بين المأمون وثموي .	الإصابة بالظن
١٩٧ بين المأمون وبين مرتد خراسان .	لمرو بن العاص . لعمر بن الخطاب . لـ
١٩٨ بين المأمون وبين علي بن موسى . من واصل	ابن أبي طالب . لابن عبد ربه .
ابن عطاء إلى عمرو بن عبيد .	تقديم القراءة وتفضيل المعارف
١٩٩ ماجاء في ذم الخنفي والجهل	للشيباني في عثمان . معاوية وآذنه
التي صلى الله عليه وسلم .	١٨٢ زياد ورجل يدل بمكانة منه . لمبداه القسري
٢٠٠ لأزدشهر . لأبي المتاهية .	حين ولي قضاء البصرة . ابن شبرمة في قضاء
بأصناف الإخوان	البصرة . لزياد .
للمتاني . التي صلى الله عليه وسلم .	١٨٣ فضل المشيرة . الدين
٢٠١ لبعض الشعراء .	لمولى قضاة . لسفيان الثوري . لعمر بن الخطاب
٢٠٢ للمطوي . شعر بن جبرين إلى ابن عتاد .	١٨٥ لحبيب في عياش . لابن عبد ربه .
٢٠٣ بين بعض الشعراء وابن بشير .	التنزه عن استباح الخنا والقول به .
وما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة	عمرو بن عتبة والقسم في رجل يشتم رجلا
لمل رضى الله عنه	لابن ذر في رجل مذنب .
٢٠٤ لعمر بن الخطاب . بين مطيع بن إياس وعاطب	١٨٦ التي <small>عليه السلام</small> . لملى رضى الله عنه لسليان
مودة . بعض الأمثال .	القارسي . لميسى عليه السلام .
٢٠٥ لبعض الشعراء . بن عرفة . للوراق .	١٨٧ للزهرى . محمد بن الحنفية .
٢٠٦ باب من أخبار الخوارج	١٨٨ الأعمش وإمام . الربيع بن زياد وعلى في عاصم
الخواارج وعلى بن أبي طالب .	١٨٩ عبد الله بن عمرو عند رسول الله وقد شكت زوجته
٢٠٧ عابجه ابن عباس لم . قتال على لم .	١٩٠ القول في القدر
	لمحمد بن المنكدر .

صفحة	صفحة
٢٣٢	٢٠٨ قتل الخوارج ابن خباب . فرق الخوارج .
التورى . لأزده	لقاؤهم ابن الزبير .
٢٣٣	٢١٠ خطبة ابن الزبير فيهم .
٢٣٤	٢١١ كتاب ابن الأزرقي إلى ابن الزبير
وفي رقة الأدب	٢١٢ بين نعمة وابن الأزرقي
٢٣٥	٢١٣ رد ابن الأزرقي على عمدة
عبد الملك بن صالح	٢١٤ مرادس وابن زياد . شعر مرادس
من عمر بن عبد العزيز . عمر بن الخطاب	٢١٥ رد عمر بن عبد العزيز على شاذب الخارجي
ورجل أحدث صوتا في المسجد	٢١٨ القول في أصحاب الأهواء .
الأدب في الحديث والاستماع	ورجل ذكر عند النبي ﷺ بالاجتهاد
٢٣٦	٢١٩ السند الحميدي في الرافضة . المتغيرة بن سعد
٢٣٧	والاعمش المنصورية ، المتغيرة ومقتله كثيرة
٢٣٨	٢٢٠ من رأى الرافض .
وأبو السمراء .	٢٢١ المأمون ورجل من الحسابية . ابن
٢٣٩	عباس ورافض .
هشام بن ابنه وأبن أخيه . المأمون وابن	٢٢٢ بعض فرق الرافض . الرافضة والشيعي
أكرم . لوياد في حادثة : بين الهادي وابن	٢٢٤ قولهم في الشيعة
يزيد في سفر .	حكاية الجاحظ .
٢٤٠	باب من كلام المتكلمين
باب السلام والإذن	٢٢٨ باب في الحياة
٢٤١	باب جامع الآداب
٢٤٢	آداب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولده . لابن عبد القدوس	لابن عبد ربه
٢٤٣	باب آداب الله لنبيه ﷺ لأمته
باب في حب الولد	٢٣١ باب في آداب العلماء والحكماء
٢٤٤	لعلى رضى الله عنه . لشبيب بن شيبة .
٢٤٥	لعبد الملك ينصح بليه .

صفحة	صفحة
٢٥٦ محمد بن عبد الله بن طاهر . العباس بن الأحف الواثق . لطف بنت المهدي لا بن عبد ربه	٢٤٤ ابن النيمان وولده . يزيد بن علي يوصى ابنه . في الحديث معاوية وابن العاص وعائشة بنت معاوية
٢٥٧ الأدب في الاعتناق سفيان بن عيينة ومالك	٢٤٥ عمر ورجل يعمل لطفلا . لفاطمة وهي ترقص الحسين لعبد الملك في الوليد
٢٥٨ باب الأدب في إصلاح المعيشة لعائفة ، لعمر بن الخطاب ، لابي بكر ، لعبد الملك	٢٤٦ ابراهيم عليه السلام ومالك الموت . باب الاعتقاد بالولد
باب الأدب في المزاكاة لنبي ^{صلى الله عليه وسلم} . بلال والجارود	لبعض الشعراء . لابي براء
٢٥٩ هشام وأعرابي حضر سفره ، بين المنصور وأعرابي ، المنصور وهاشم والربيع حاجبه	٢٤٧ باب في التجارب والتأديب بالزمان لحييب . لابن شكة . لعيسى عليه السلام
٢٦٠ ليكر بن عبد الله ، الجاحظ ، غسان اليد أدب الملوك	٢٤٨ لبشار العقيلي . لابن عبد ربه ٢٤٩ لأرسطاطاليس ينصح الإسكندر ٢٥٠ لأمير القيس . للأخطل . للحمدي
٢٦١ لزياد ، لعبد الملك ، لعلي بن خالد ، لبعض الشعراء	باب في الأدب تسميت الطعاس لنبي صلى الله عليه وسلم . لعل رضي الله عنه لعمر بن الخطاب
٢٦٢ معاوية وأصحابه ، أبو جعفر وشيب باب الكناية والتعريض	٢٥١ باب الإذن في القبلة في تقبيل يد النبي ^{صلى الله عليه وسلم} . في تقبيل يد علي . في تقبيل يد المأمون . أبو دلامة والمهدي . المجزي والمنصور
لعمر بن عبد العزيز	٢٥٢ باب الأدب في العبادة أبو عمرو بن العلاء وعائد . عبد العزيز بن مروان وكثير . من أديب إلى عليل بين يحيى بن خالد وشاعر اعتل .
٢٦٣ النعمان الربيع ، حارثة بن بدر وزباد معاوية والأحف ، عثمان وعمرو بن العاص حين عزله عن نصر	٢٥٣ من المستعم إلى ابن طاهر . ابن صبيح ويحيى بن خالد حين اعتل . لبعض الشعراء
٢٦٤ لشاعر يرضى بمسدة ، عمر وأمرأة في الطواف الكناية يورى بها عن الكذب والكفر بين الحجاج وابن جبير ومطرف	٢٥٤ ليكر بن عبد الله في قوم طخوه ، لسفيان الثوري . عمر بن عبد العزيز وعائد . لابن عباس . للأعشى في مرثعه
٢٦٥ الواثق وابن مسكين وابن نصر في حنة القرآن بين خليفة وناسك في طعام ، ابن عرياض والخوارج ، الخوارج وشيطان الطاق	٢٥٥ محمد بن يزيد . لابي دهمان في عيادته لا يمد نجون بن عامر في ليل
٢٦٦ بين الوليد ورجل سماه ، معاوية وابن صوحان في لمن على	
الكناية عن الكذب في طريق اللدح ابن المهتم وغلام سكران ، عاتق لبائتم سنان	

صفحة	صفحة
٢٧٩	٢٦٧
ابو حنيفة ، لبشر المريسى ، ابن شيبة وإسحق بن عيسى	معل وزاين السرى فى مرضه
نوادير الكلام	باب فى الكناية والتدريض فى طريق الدعابة
الضبي والاصمى ، لابن أبي حفصة فى رواية للشه	لابن سهرين فى رجل سئل عنه ، لشرح القاضي فى مرض زياد ، بين سنان القيرى
باب نوادر من النحو للخليل ، أبو زيد والخليل ، لابي الاسود	وابن مبردة
٢٨٠	٢٦٨
لابي زيد ، لابي حاتم ، للمازنى ، الرياضى ، لابي عبيدة	نعمير وتيمى ، ابن يزيد اللال ومحارب ، بين معاوية وعبد الرحمن بن الحكم
٢٨١	٢٦٩
أبو عمرو وعيسى بن عمر ، للاصمى ، للفرزدق لبعض الوراقين ، لابي زيد الانصارى ، للحسن بن هانئ	زياد ومشير عليه فى امرأة يتزوجها ، عمر بن الخطاب وأعرابي ، بين رجل ومودع له ، ابن أبي عتيق وزوج له
٢٨٢	٢٧٠
لابن مالك العقيل ، للوراق ، للفرزدق للبرد	باب فى الصمت
٢٨٣	داود عليه السلام ولقمان الحكيم ، لابي البرداء معاوية والأحنف ، لسالم بن عبد الملك ، لمرم بن حيان
باب فى الغريب والتعقيب	٢٧١
أبو علقمة وأعين الطليب ، أبو الاسود وأبو علقمة	لشبيب بن شيبة ، لجعفر بن محمد ، للحسن بن هانئ ، عمر بن عبد العزيز وسائل فى الكلام
٢٨٤	لنبي صلى الله عليه وسلم
أبو بكر المنكورد وحش ، لحبيب الطائي	٢٧٢
٢٨٥	باب فى المذوق
لابن عبد ربه ، لحفص بن النجمان ، للخرمى لحبيب ، لبعضهم	فى فضل المنطق لابن المبارك لعمر بن الخطاب
٢٨٦	باب فى الفصاحة
باب فى ترك المشارة والمماراة	لابن سيرين
٢٨٧	آفات المنطق
رسول الله ﷺ والسائب ، لابن المقفع ، لابن أبي ليلى ، لابن عباس	٢٧٣
٢٨٨	ابن السكاج وجارية له معاوية وجلساؤه
النبي ﷺ وفد نجم ، أبو بكر وبائع ثوب ، المهدي وبعض الرواة ، المأمون وقطرب	٢٧٥
٢٨٩	باب فى الإعراب واللحن
المأمون والولوى ومشام وأبو النجم ، يزيد ابن عبد الملك وكثير	الشعبي وقوم من الموالي ، لعبد الملك بن مروان ، المأمون والمنقرى
٢٩٠	٢٧٦
بين عمر بن عبد العزيز وأبي الرواد كاتبه ، عدى وشرح القاضى	الحسن ورجل يلحن ، من لحن الوليد بن عبد الملك
٢٩١	٢٧٧
لحبيب فى بنى تغلب ، للشعبي مع مجلس ، ابن الخصيب ومنظلم ، شريف مع وكيل تاجر	لابن أسماء ، بعض الشعراء ومستدرك عليه
	٢٧٨
	باب فى اللحن والتصحيح

صفحة	صفحة
٢٩٢ باب في تحنك الفتى	٣٠٧ هـ باب فضل المال
لعمري بن الخطاب . لسفيان الثوري ، لعمرو بن العاص ، للبصرة في عمر بن الخطاب ، حاصر بن عبد الله وسرقة عطائه	الذي <small>عليه السلام</small> ، لعمري بن الخطاب لحكيم بنصحه ابنه لابين عباس ، لابين عبادة ، الحكاه ، لابين عوف
٢٩٣ لعمري بن عبد العزيز في فاطمة عما يستحسن ويكره ، لابين عبد ربه ، لابين حطان	٣٠٨ لخالد بن صفوان بوصى ابنه ، لعروة بن الورد لابين عياش
٢٩٤ ملحية العفري ، لعبد العزيز بن زرارة ، لهند في معاوية	٣٠٩ لبعض الشعراء ، للوراق ، للرياشي ، لاجبة لابين عبد ربه
٢٩٥ لمعاوية في القامدي ، للحسن بن هاني	٣١٠ صنوف المال
باب في الرجل النفاق الضرار	معاوية وابن صوحان ، لأعرابي
٢٩٦ لحبيب ، بين متفخخين ، للشاعر في ذم قومه	٣١١ لعبد الله بن الحسن ، للذي <small>عليه السلام</small>
٢٩٧ للنجاشي في ذم تميم ، للحسن بن هاني لابين عبد ربه	سر تدبير المال
باب في طلب الرغائب واحتمال المقارم	لبعضهم ، لصاحب كلية ودمنة
٢٩٨ لابين عبد ربه ، معاوية وعسكر على يوم صفين	٣١٢ ابن عباس ورجل في يده درهم ، للحطية ، لسفيان الثوري ، للتلس
٢٩٩ لكعب بن زهير ، للشاخ ، لاسرى القيس للحطية بهجر الزرقان	٣١٣ الإقلال
٣٠٠ ليزيد بن عبد الملك في رأس ابن المهلب ، لابين عبد ربه	لأوسططاليس ، لبعض الشعراء ، لابين عبد ربه
٣٠١ لتأبط شرا	الحسن بن هاني ، أبو الشمقق
باب الحركة والسكون	٣١٥ لهند
في الأثر ، عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة	٣١٦ السؤال
٣٠٢ لحبيب ، لأعشى بكر الشافعي ، لموسى عليه السلام للأسامون ، للذي <small>عليه السلام</small>	الذي <small>عليه السلام</small> ، لاكثم بن صيفي ، على رضى الله عنه وسائل يعرفات ، لابين عباس ، لنعمان ابن المنذر لشرج ، لحبيب مسائل بمسجد الكوفة
٣٠٣ الخليل وأبو شمر ، لبعض الشعراء	٣١٧ لمسلم بن الوليد ، لعبيد بن الأبرص ، لابين أبي حازم ، لابين عبد ربه ، للذي <small>عليه السلام</small>
٣٠٤ لحبيب ، للحمدي	٣١٨ لحبيب ، للاصمعي وابن عمر
٣٠٥ باب التماس الزق وما يمود على الأهل والولد	الشيب
للذي <small>عليه السلام</small> ، لعمري بن الخطاب	لقيس بن عاصم ، للنعيمي للعتير ، لأعرابي
٣٠٦ للشافعي ، لمالك بن دينار ، للذي <small>عليه السلام</small> للشيخ عليه السلام	الذي <small>عليه السلام</small> ، لعبد الملك بن مروان
	٣١٩ للوراق ، لحبيب الطائي
	٣٢٠ لبعض الشعراء ، لابن أمية ، للعولي لابين عبد ربه

صفحة	صفحة
٣٢٩ لاعرابي، لبعض الشعراء، لجريز، نصر بن دهمان، لابن منذر	٣٢٢ الشباب والصحة
٣٣٠ عبد الملك والشعي	لابن البلاد، للأصمعي، لابن عباس، للوراق
٣٣١ الليد، في الزبور، للتبلي، لضرار، لابن أبي فن، لابي عبيدة، لحيد بن ثور	لابن أبي حازم، لجريز
٣٣٢ لابي التماحية، لبعض المحدثين، للغزال	٣٢٣ لصريح الغواني، للحسن بن هاني، لاعرابي
٣٣٣ من صحب من ليس من نظرائه لخصال فيه حارثة الغداني وزباد، ابن زياد وحارثة وأبو الأسود	لابن عبد ربه
٣٣٤ ابن الوليد البجلي وابن يعض، عبد الرحمن بن الحكم وبعض ندمائه	٣٢٤ لبعض الشعراء، لابن عبد ربه
٣٣٥ لقابفة	الخصاب
قولهم في القرآن	التي صلى الله عليه وسلم
المريسي وأبو يحيى	٣٢٥ معاوية وأبو الأسود، معاوية وابن جعفر
	٣٢٦ للوزاق، لابن عبد ربه
	٣٢٧ فضيلة الشيب
	التي صلى الله عليه وسلم؛ لابي نواس؛ أبو دلف والمأمون
	٣٢٨ للوزاق، لابن منذر
	٣٢٨ كبرة السن
	لاعرابي، لبعضهم، معاوية والمستنصر

